تفسير البلنسي

TAFSIR AL-BIDLISI

تفسير البدليسي

Author : *Al-Shaykh Houssamuddin Ali ben Abdullah Al-Bedlisi Al-Hanafi Al-Sufi (D. Around 900 H.)*

المؤلف : الشيخ حسام الدين علي بن عبدالله البدليسي الحنفي الصوفي (ت حوالي سنة ٩٠٠ هـ)

Editor : *Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali*

المحقق : الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

Classification : *Exegesis Of Qur'an - Sufism*

التصنيف : تفسير قرآن – تصوّف

Year : *1441 H. - 2020 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٤١هـ – ٢٠٢٠م

Pages: *4072 (5 Vols. / 5 Pasrts)*

عدد الصفحات : ٤٠٧٢ (٥ أجزاء / ٥ مجلدات)

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : *Lebanon*

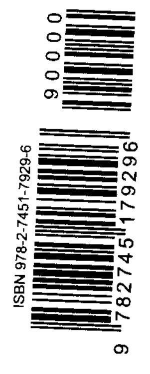
بلد الطباعة : لبنـــان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى



Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com


ISBN 978-2-7451-7929-6



تفسير البدليسي

تفسير إشاري صوفي شارح لمقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان - الشريعة والطريقة والحقيقة

تأليف

العارف بالله تعالى الشيخ

حسام الدين علي بن عبد الله البدليسي الحنفي الصوفي

المتوفى حوالي سنة 900 هجرية

اعتنى به وضبطه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

الجزء الخامس

المحتوى

من سورة الصافات - حتى سورة الناس





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الَّذي جعلَ الحقائق الإلٰهية والماهيات الكونية في مشاهدات تجلياته الذاتية وشهود ظهوراته الأولية صافات ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي قدر المودة الذاتية والمحبة الأصلية الأولية والمناسبات الأزلية بينها وبين الأعيانِ الروحية حتى تعارفوا به وتعاطفوا معَها وتلاطفوا بعضهم ببعض، ومال كل منها إلى الآخِر، وظلَّ بهَا الأول متصلًا بالآخِر صفوفًا وأشخاصًا وصنوفًا وأفرادًا في المرتبة الثانية في عالم الأمر والأرواحِ صافات، وفي المرتبة الثالثة في عالم البرزخ حافاتٍ قالَ النبي ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة إذا تعارفوا منها ائتلقوا وإذا تناكروا منها اختلفوا**»، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي جعلَ تلك المناسبة ذريعةً لاتصال بعضها ببعض ووسيلةً لإظهار أحكام أنوار النبوة وأعلام أسرار الولاية من النفوس الكامِلة الكلية متصلة إلى النفوسِ الناطقة الناقصة الجزئية كأداةٍ حسب ما تقتضيه الأدوار النورية الصريحة وتامات حيث ما ترتضيه الأكوار الظلية المضمورية متعادلة، مقتضيات أعيان الأدوار بمرتضيات الأكوار تبعًا وضمنًا في الأدوار الإفرادية ومتكافية في الجمعية وجمعية الجمعية.

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١﴾

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ [الصَّافات: 1] أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الأملاكِ ومدبرات الأفلاك ومدبرات السماواتِ حال كونهم صافاتٍ إما في السماوات

والأفلاك لأداءِ العباداتِ واقتضاء الطاعاتِ كما أخبر الله عنهم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: 165 ـ 166] وقيل لأنهم يضعونَ أجنحتها في الهواءِ ويقفونَ منتظرين في وصول الأمر إليهم ويحتمل العيان، يقال معنى كونهم إن لكل واحد مرتبة معينة ودرجة بينة في الشرف والفضيلة أو في الذات والغلبة وتلك الدرجات المرتبة باقية غير متغيرة.

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾﴾

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾﴾ [الصَّافات: 2] أي الناهياتِ نهيًا يقال: زجرت فلانًا عن السوءِ إذا نهيته فانتهى، قالَ ابن عباس: يريد إنَّ الملائكة الذين وكلوا بالسحاب يزجرونها بمعنى أنهم يتعرفونها من موضعٍ إلى موضِعٍ، أو لأن الملائكة لهم تأثيرات في قلوب بني آدم على سبيل الإمام والخطاب والإعلام والإلقاء والأعوام، فهم يزجرونهم عن المعاصي والسيئات، ويأخذونهم ويحدثونهم إلى الحسناتِ بالنواصي، وأيضًا للملائكة أن يزجروا نفوسَ بني آدم عن التعريض إلى الهيئآت ويطردوا الشياطين عن الاشتغال بإغوائهم وإغرائهم بالضلالةِ والإضلال.

واعلم أن الموجوداتِ على أربعةِ أقسام: مؤثر على الإطلاقِ وهوَ الباري تعالى، وموجود متأثر على الإطلاقِ وهو الأجرام والأجسام، وموجود مؤثر من وجه ومتأثر من وجهٍ، فمن جميع من هذه الموجوداتِ وهو الإنسان، إما تأثره من جميع الموجوداتِ فظاهِر وإما تأثيره في اللَّهِ فلقوله عليه السلام: «رب أستعين» «أقسم على اللَّهِ» ارغبوا في الدعاءِ أهل التصوف وأصحاب الجوع والعطش، فإنَّ اللَّهَ ينظر إليهم ويسرع في إجابتهم.

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾ [الصَّافات: 3] صفة أخرى للملائكة باعتبارِ تنزيل الكتب السماوية وتلاوتهم إياها وإنزالهم وقيلَ: الصافاتِ هي الطيور لقوله: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: 41] والزاجرات كل ما زجر عن معاصي اللَّهِ ومنهياته زجرًا تامًّا شديدًا عامًّا، والتاليات كل من تلا كتاب اللَّهِ، ويجوز أن يقسم بنفوسِ العلماءِ العاملة، والصافات أقدامهم في التهجد وسائر الصلوات المفروضة التي يودونها صفًّا صفًّا، فالزاجرات بالمواعظة والنصائح، فالتاليات لآيات

وإرهاصاتِ معالم الدينِ في مدارس أهل اللَّهِ في مراتب كمال الإيمانِ وقوة اليقين أو بنفوس صعاليك الجهاد في سبيل الله، الذين يصفون صفًّا ويزجرونَ زجرًا، الخيولَ ليحرزوا قصبات السبق في مضمار التوفيق ويتلون ذكر اللَّهِ وكلامه.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الصَّافات: 4 - 5] خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وهو هوَ ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصَّافات: 5] بعضها مثالية من مطلع الاعتدال إلى نقطة الشمال، وبعضها جنوبية وهي منها إلى نقطة الجنوب، وهي نصف الدور وهوَ مائة وثمانونَ درجة، كل منها مشرق، ومقابلتها في النصفِ في الآخِر هي مغارب بعضها شرقية وبعضها غربية، وذلك بحسب اختلاف عروض البلدان والآفاق والأقاليم، فإنَّ غرض البلد إذا كان مساويًا له الميل الكلي وهو هو، فإذا بلغت الشمس إلى نقطة الشمالِ تماسَ الأفق ولا يغرب في هذا اليوم، وذلك إذا حلت في نقطة الانقلاب الصيفي على مدار رأسِ السرطان الذي تماس أفق هذا البلد، فحينئذٍ يكون تمام هذا القوس مشارق ومطالعَ، وكذا النصف الآخِر يكون مغاربَ، وذلك لأن منطقة البروج في أفق هذا البلدِ والعرض ينطبق على الأفقِ والعرض، فإذا حلت الشمس في مدار رأس السرطان تماس الأفق في هذا العرض ولا يغرب في هذا اليوم، ويكون أطول نهار هذا العرض يومًا وليلةً أربعًا وعشرينَ ساعة، فإذا رجعت الشمس وتجاوزت عن مدار رأس السرطانِ الذي هوَ أبدي الظهور في هذا البلدِ إلى المداراتِ التي هي ثلاثة يحصل لها طلوع وغروب وينتقص النهار ويزداد الليل شيئًا فشيئًا إلى أن بلغت الشمس إلى معدل النهارِ فحينئذٍ استوى النهار والليل في هذا البلد، وإذا تجاوزت إلى النصف الجنوبي من المعدل انتقص النهار وازدادَ الليل إلى أن وصلت إلى نقطة الانقلابِ الشتوي وحلّت في مدار رأسِ الجدي، الذي بدائرة الخفاء في هذا تماس الأفق من تحتٍ ولا تطلع في هذا البلد فيكونَ ذلك اليوم بليلته ليلًا ويكون هذا الليل في هذا العرض أطولَ الليالي أربعًا وعشرين ساعة، وإذا جاوزت عن مدة النقطة حصلَ لأهل البلد النهار ويزداد النهار وينتقص الليل قياسًا على ما علمتَ في ذلك النصف ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحديد: 6].

فحينئذ يشكل أمر الصلاة في هذا البلد وهو سفلين وبلغا فيه الإسلام والمسلمونَ، وفي هذين اليومين اتحد المشرق والمغرب، فإذا ازدادَ العرض على تمام الميل الكلي وبلغ سبعين وكانَ أطولَ النهارِ، وهذا العرض والموضع أزيد من أربع وعشرينَ ويصير يومين أو ثلاثة أو أربعة إلى أن بلغ العرض إلى تسعين درجة فحينئذٍ ينطبق دائرة معدل النهارِ على الأفق واتحد قطبهما فحينئذٍ يكون نصف منطقة البروج الشمالي ظاهرة أبدًا والنصف الآخر خفية أبدًا فإذا كانت الشمس على النصف الظاهِر لا يغرب وإذا وصلت إلى النصف الخفي لا تطلع ما دامَ على هذا النصف، فإذا السنة في هذا العرض يوم وليلة السنة نصف النهار والنصف الآخر ليل، أعني ستة أشهر نهار، وستة أشهر ليل، ويكون تمام الأفق إذا وصلت الشمس في نقطة الاعتدال الربيعي مطالِع ومشارق لأنه في هذه الحالةِ تماس منطقة البروج الأفق ولا تطلع وهيَ نقطة الاعتدال الخريفي أعني الميزان يكون الأفق مغارب لأنها تماس هذا الأفق من تحت ولا يخفى جزمها بل يدور تحت الأفق إلى أن يخفى تحت الأفقِ بالكلية هذا في طور الآفاق.

وأما في طور النفس فاعلم أن شمس الحقيقة الإنسانية، وهيَ التجلي الذاتي المنطوية على نهار التجليات النورية الجمالية، وعلى الميل إلى التجليات الظلية الجلالية بما تنزلت من سماءِ الأحدية الذاتية التي هي نهاية التجليات العدمية الجلالية إلى خط استواء الأحدية مستوى نهار التجلي النوري الجمالي الوجودي ودليل التجلي الظلي الجلالي العدمي، فلما تنزلت على قوس نهارِ نصف شمالِ التجليات النورية الجمالية ازدادَ نهار التجليات النورية الجمالية انتقص ليل التجلي الظلي الجلالي إلى أن وصلت إلى نقطة تقاطع دائرة معدلِ نهار الجمال بدائرة منطقة بروج ليل الجلالِ في مرتبة البرزخ وعالم الخيال المطلق والمثال المحقق فحينئذٍ يستوي نهار الجمال والجلالِ.

وإذا تجاوز عن هذه النقطة والمرتبة إلى جانب شمال الظهوراتِ الجسمانية والمرتبة ازداد نهار التجلي الجمالي على أفق التجلي الجلالي فحينئذٍ انبسط نهار التجلي النور الجمالي على جهات المراتب الأشهر الست وصارت كلها نهارًا، وذلكَ عندَ بلوغ سير شمس حقيقة السالكِ إلى الطور السري الذي هو مطلع شمس التجليات ومنتهى علم اليقين ومبدأ عين اليقين، وإذا انتهى السير إلى طور

غيب الغيوب أخذ السير من ظاهِر التجلي النوري الجمالي إلى باطِن التجلي الوجودي وهوَ التجلي العدمي، وازدادَ ليل التجلي العدمي الجلالي إلى أن وصلت إلى نقطة تقاطِع معدل نهار التجلي النوري ومنطقة البروج ليل التجلي الظلّي في عالم البرزخ فحينئذٍ اعتدلَ نهار التجلي النوري وتساوى بليل التجلي الظلي وإذا تجاوزت منها إلى جانب غيب عالم الأمرِ وجيب الملكوت وباطِن الجبروتِ إلى أن وصلت إلى نقطة جنوب الهوية الذاتية فحينئذٍ استوَى التجلي العدمي الجلالي وحصل ليله في جميع مراتب الجهاتِ الست وحصل الفناء الكلي في غيب الغيوب وحصلَ نهار وليل للسَّالِكِ الفاني والباقي.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصَّافات: 6 ـ 7] المراد من السماءِ الدنيا هي القربَى لأنها أقرب السماواتِ إلينا، والكواكب هيَ الأجرام المشهورة بعضها ثابتة بأن تكون حركاتها بطيئة تتحرك في كلماته سنة درجةً على رأى، أو سبعين أو ستة وستين على رأي آخر، وذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الثابتات كلها في الفلك الثامن بناء على أنَّ بعض الثابتاتِ التي على منطقة البروج تنكسف بالكواكب السبعة السيارة، والمنكسف فوق الكاسِف وذلك بيِّن، فإذن لا بدّ وأن الثوابت كلها في فلك واحد فوق أفلاك السيارات.

أقول: فيه بحث لأن حديث الكسفِ والانكساف إنما يتم في الكواكب التي تكون على منطقة البروج والسياراتِ التي في ممرها، وأما التي هيَ بعيدة عن منطقة البروج ولا تقع السيارات متحازمة ومتسامتة لها أفلا يجري هذا الاستدلال فيها، فيجوز أن يكونَ بعضها تحت السيارات في فلك تكون منطقته في منطقة البروج كالمماثلاتِ السبعةِ، وأيضًا ليس بواجب أن تكون جميع الثوابت في فلك واحد، بل يجوز أن تكونَ على كرات وأفلاك غير متناهية بأن تكون لكل كوكب فلك تتطابق مناطقها ومراكزها ومجاوزها وتتسامت أقطابها وتساوت حركاتها فحينئذٍ يرى حركة واحدة هذا في بعض الكواكب التي على منطقة البروج وتكون مرصودة، وأما الكواكب الخارجة عن منطقة البروج وليست مرصودة فأحوالها غير معلومة، ويجوز أن يكون الأخلاق الذي وجدوه في حركاتِ الثوابت بأن

قالوا: تحركت وقطعت درجة واحدة في مائة سنةٍ أو سبعينَ أو ستة وستين سنة يكون مبينًا على اختلاف أفلاكها، وبالجملة إن أقوالَ الفلاسفة في هذا المقام مضطربة لا يسمن ولا يغني من جوع فلنرجع إلى ما كنا بصدده.

واعلم أن ظاهِرَ هذه الآية لا تدل على أن هذه الكواكب مركوزة في سماءِ الدنيا، فكيف تكونَ مزينة لَها، لأنَّ السماواتِ كلها شفافة لا يتقبل النورَ أقول: إنَّ سماء الدنيا وإن كانت شفافة إلا أنها لما كانَ وراءها جسمٌ كثيف مظلم بالنسبةِ إليها وهيَ كرة النار فإنها وإن كانت لطيفة شفافة بالنسبة إلى باقي العناصر إلا إنها بالنظر إلى أجرام السماوات ثقيلة كثيفة مظلمة، فحينئذٍ ينعكس منها إليها صور الكواكب كالانعكاسِ في المرآة، فإنَّ ظهورها أو تحتها مظلم كمرآة ذات وجهين، فإن تحتها مظلم ينطبع فيها صور المحسوسات، أو نقول يجوز أن يكونَ بينَ سماء الدنيا وهيَ فلك القمر وبين كرة النارِ كرة أخرى ويكون أظلم من النارِ ككرة البخار شرطًا للانطباعِ، وتكون زرقة السماوات وألوان الكواكب وظهور الصبح الشتوي وغيره يكون بالنسبة إلى هذه الكرة.

وكذا الصبح والشفق إنما هو بالنظر إلى هذه الكرة لا بالنسبة إلى كرة الفجر والتي هي طبقة من طبقات الهواء وتكون زرقة السماوات والصبح والشفق وألوان الكواكب بالنسبة إلى هذه الكرة، لتكون الزينة بالنظر إلى هذه الكرة على ما ذهبت إليه، وهذا بما يثبت إذا قام الدليل على إبطال الاحتمال السابق ولم يقم على إبطال الاحتمال السابق، ولم يقم بعد قوله بزينة الكواكب أي زينة هي الكواكب، فالإضافة بيانية وهي مصدر كنسبةٍ اسم لا يزال به الشيء كالتبعة اسم يلاق به الدواة، فعلى هذا الإضافة بيانية ويجوز أن تكون إضافتها إلى الفاعل أي ذاتها الكواكب بمعنى اللام أي ترتيبة الكواكب، أو إلى المفعول والمزين هو الله، وإن كانت احتمالًا للإضافة وجهان: أحدهما: بيانية إذ الزينة مبهمة تتناول الكواكب وغيرها، فإذا ذكرت الكواكب زال الإبهام وحال المرام، والثاني: أن يراد بها ما زينت الكواكب والضوء أو أشكالها المختلفة بالصغر والعظم والوضع بالقرب والبعد والاجتماع والمقارنة والمقابلة والتسديد والتثليث والتربيع كشكل الثريا والجوزاء والعقرب وغير ذلك.

﴿وَحِفْظًا﴾ أي حفظ السماواتِ ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصَّافات: 7] خارج عن

طاعةِ الله برمي الشهب قالَ المفسرون: إن أقوام الشياطين كانوا يصعدونَ إلى قرب السماءِ ليسمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الحوادِث والغيوب، وكانوا يخبرون بها ضعفاءهم ويوهمونهم أنهم يعلمونَ الغيب، فمنعهم الله من الصعودِ والقرب إلى السماءِ بهذه الشهب، وحفظ السماءِ منهم ومن تقربهم إنما يكون برجمهم وبإبعادهم بحدوث الشهب، أو رجمهم أو تبعيدهم إنما يظهر بصورة الشهب، فصورة طردهم ونفيهم عن السماوات قد تكون دفعيًّا سريعًا كالشهب وقد تكون تدريجيًّا كالنيازك وذوات الأذناب والذوايب، والكل يكون دالًّا على حوادِث عظيمة ووقائع جسيمة، ولا ينافي ما قالت الحكماء من إنها متكونة من نجاراتٍ متراكمة ودخانات متكاثفة، وقد وصلت إلى طبقة الهواءِ المستخرجة المتصلة بكرة النار واشتعلت، فإن انطفت سريعًا فهي الشهب، وإن تفتتت وامتدت فهي النيزك ونظيرها، فالمؤثر والفاعِلَ في الكل هوَ الله، فيجعل كلا منهما رجمًا وطردًا للشياطينِ ودليلًا على حدوثِ أمور أخرى معه أن كلما قال الحكيم والفلاسفة في سبب حدوث حادثاتٍ جو السما كالرعدِ والبرق والصواعِق والقوس القزح والهالة والشهب ونظائرها أمور إقناعية لا برهانية، فلا يشفي عليلًا والذي هو المعول عليه هو ما قاله الشارع، فنظر الحكيم مقصور على القائل هنا، ونظر الشارع على القائل والفاعِل ووحي يفيد اليقين.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾﴾

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ من باب التفعل صلة تسمع أدغمت التاء في السينِ فأصبح الهمزة المكسورة لتعذر الابتداء بالسكون وهوَ طلب السماع بطريق المبالغة يعني أن الشياطينَ المردة لا يستطيعونَ لأن يعرجوا إلى الملإِ الأعلى ليسمعوا الكلامَ من الملإِ أو الملائكة كما ورد في الحديث «**أن الملأ أو الملائكة**» كما ورد في الحديث أن الملأَ ليطلبونه كما تطلبونه أنتم، أو المراد من الملأ الأعلى المرتبة العالية التي ملئت من الملائكة العالية الشريفة، ومن الاستماع الإصغاءَ بقرينة إلى، لأن الاستماعَ والسماع والسّمع لا يستعمل بإلى إلا إذا كانَ بمعنى الإصغاءِ، ويقابلها الملأ الأسفل أي الجن والإنس ومرتبتهما لأنهما سكان الأرضِ، أو المراد من الملأ الأعلى الأعيان الكائنة في الأدوار النورية الجمالية، ومن الأسفل الأعيان الجلالية وأشرف الملائكة وأعلاها، ومقابلتها ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصَّافات: 8].

﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾﴾

﴿دُحُورًا﴾ [الصَّافات: 9] أي لو قصدوا الملأَ الأعلى ليطردونَ ويطرحون من جميع جوانب السماءِ، أي من أي جهةٍ صعدوا للاستراق، دحورًا مفعول له أي الوجود المطرد، أو بمعنى مفعول منصوب على الحاليةِ، ولأنَّ القذف والطردَ متقاربانِ في المعنى فيكون مفعولًا مطلقًا أي يدحرونَ دحورًا أو قذفًا ورميًا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصَّافات: 9] دائم ولازم، أو شديد وهو عذاب الآخرةِ.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ وعلى أخذ الشيء بسرعةٍ، وأصل اختطفه من في محل الرفع بدل من فاعل يسمعونَ، أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة، أي اختلس الكلمة على وجه المسارعةِ ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصَّافات: 10] نافذ من غير أن يقفَ إلى أن ينطفئ والشهاب ضوء مستطيل في الجوِّ منطفئ سريعًا، يقال إنه كوكب ساقط وقد مر بيانه آنفًا.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾﴾

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ استخيرهم واطلب منهم الفتوى والعلمَ والخبرة والضمير المنصوب لمشركي مكة أو لبني آدم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أي أكثر وأقوى خلقًا وتكوينًا للملائكة والسماوات والأرضِ وما بينهما من كائناتِ الجو من الرعدِ والبرقِ والسحاب والمطر والثلج والشهب والنيازك وغير ذلكَ ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ [الصَّافات: 11] أي أم الذي خلقناه وهو من جملة الخلائقِ أي الأصنام والأوثانِ التي يعبدونها، ويقطع بهِ قراءة من قرأ أم عددناه يعني لما ثبت بالدلائل القطعية والبراهينِ العقلية إنه تعالى خالِق السماوات والأرضِ وما بينهما وحده بلا مشاركة لغيره لا من المخلوقاتِ ولا من غيره، فاستفت يا محمد هؤلاء المشركينَ وقل لهم أنتم أشد خلقًا لهم أي لهذه الأشياء التي خلقها الله وتعبدونها، فإن قيل: لما ثبتَ أنَّ الكلَّ بخلق الله وهم مقرون به ومعترفونَ فما الفائدة في هذا القول، أجيب بأن الإنسان لما كان مخلوقًا من أشياء مختلفة وأمور متباينة أخلف حاله وتباين مآله سيما حالَ قلبه فإنه انقلب حاله، سمي بهذا الاسم، فإنَّ تصديقه

واعترافه بتوحيد صانعه وتفريد ربه وخالقه لا يثبت عملًا قطعًا بحيث لا يرتابِ فيه أصلًا، مع أن الشيطان آنًا فآنًا يوسوس له ويبدله ويصرف فيه إلى ما تقتضيه الشيطنة، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحَجّ: 52]، وقوله عليه السلام: «**إن قلب ابن آدم بينَ أصبعين من أصابع الرحمنِ يقلبه كيف يشاء**».

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: 53] فإذا أرادَ الله أن يخبر عن حال الإنسانِ، وإن وظيفة العاقِلَ إنه لا بدّ وأن يغفل عن اللّه وذكره، وأن يكونَ في توجهِه إلى اللّهِ وفي ذكره محترزًا أو مستعيذًا باللّهِ عن الإلقاءِ الشيطاني ووسوستِه ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾ [الصَّافات: 11] ممتزج ضعيف استئناف إما شهادة عليهم بالضعفِ والرخاوة وبعدم التعويل والاعتداد بحالِهم لعدم ثباتهم إذ أصلهم لا ثبات فيهِ ولا صلابةَ ولا اشتدادَ، وهو الطين، أو احتجاج عليهم بأنَّ الطينَ الذي أصله التراب وهوَ مادة وجودهم فكيف يمكن إنكاره حيث قال: أإذا كنا ترابًا.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ أنتَ يا محمد حال كمال تيقنك وتثبتكَ بأنَّ اللّهَ تعالى خالق الكل، فإذا تأمّلت في عجائب صنعِه وآثار أنوار قدرته ووفور علمه وحكمته عجبتَ ووقعت في العجب والحيرة في غرائب مصنوعاتِه وعجائب مبدوعاته ومبدعاته عطف على المقدرِ للترقي والحال في هذه الحالةِ، هم أي المشركون ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصَّافات: 12] منكَ ومن تعجبك وبما يريهم من آثار قدرة اللّهِ وأنوار حكمته، وذلك لتوغلهم في الضلالة وكمال بعدهم عن الهداية والإدراكِ والدراية، أو عجبتَ من إنكارهم البعث، وذلك أن من له أدنى مسحة وعقل ودراية وعلم أن العالم وما فيهِ مخلوقٌ، وأن الإنسان من جملتِه، وإن مادة المخلوق وقابليته أمر ثابت، كما أن قادرية الأنوارِ وفاعلية الفاعِلِ أمر ثابت وشيء لازم ثابت غير زائل عنه، فليس هذا محل التعجب بل محله هو الإبداع والتكوين الأول الذي هو الخلق بلا مادة ولا مدة.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الصَّافات: 13] أي إذا وعظوا الشيء من اللَّهِ وذكر عليهم من عجائب قدرته وغرائب صنعه وصنعته لا يتعظون ولا يقبلونَ النصيحة والموعظة، ولا يدركونَ الحكمةَ ومسائلها ولا أحكام الشريعةِ ودلائلها: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269] وهم بعيدين عن الحكمةِ فكيف عن دقائقها وأسرارها وأنوارِها وخصائِصها.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ واضِحةً وعلامةً لائحة دالة على كمال قدرتِه وتمام اعتنائه وإرادته كانشقاقِ القمرِ ورمي الحصباءِ والتراب على وجوههم، وكغلبة يوم معركة بدر بكمال ضعفهم حيث غلبوا على المشركينَ مع وفور قوتهم وكثرة شوكتهم وغير ذلك ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصَّافات: 14] ويستخفون ويبالغونَ في الاستخفاف والسخرية، أو يطلبون بعضهم من بعض أن ينسبوه إلى السخرية.

﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا﴾ أي الأمر يظهر على محمد ﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ أي أمر يخيل ويوقع في النفس أمرًا مخيلًا متعجب من النفوس السخيفة والأفهام والخيول الكثيفة والأوهام الضعيفة ﴿مُبِينٌ﴾ [الصَّافات: 15] ظاهر كونه سحرًا.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ باليةً وأجزاءً عن الروحِ خاليةً ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصَّافات: 16] ومحشورونَ ومجموعون في الموقِف المعهود والقضاء الممدودِ.

﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الصَّافات: 17] عطف على أنَّ واسمِها أو على الضمير في مبعوثون فإنه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعادِ ولبعد زمانهم.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد في جواب سؤالهم وإنكارهم البعث ﴿نَعَمْ﴾ [الصَّافات: 18]

بل واللَّه قادر على البعثِ كما كانَ قادرًا على الخلقِ والتكوينِ معَ إنه كانَ بلا مادة ومدة وأنموذجه ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [الصَّافات: 18] صاغرونَ، وإنما اكتفى به في الجواب لسبقِ ما يدل عن جدارةٍ، قرئ الله والرسول.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ جواب سؤال مقدر، أي إذا كانَ ووجب ويثبت الحشر فما البعث والآخرة، وصيحة واحدة وهي النفحة الثانية مأخوذ من قولك زجرَ الراعي الإبل والغنم إذا صاح عليها ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الصَّافات: 19] أي قيامًا من مراقدهم أي قاموا حالَ الصيحة وهم أحياء يبصرونَ أو ينتظرونَ ثمرات أشجار الأعمالِ وبركاتِ أزهار الأقوال والأحوال.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا﴾ هذا اليوم الذي نجازَى فيهِ هوَ يوم الدين والجزاء يدانونَ فيهِ بالأعمالِ والأفعالِ والأحوال والأقوال، قالَ النبي ﷺ: «**إنما هيَ أعمالكم تردُّ عليكم**» ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الصَّافات: 20].

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي يوم يفصل بينَ المرء وعمله، أو بينَ الخلائقِ ﴿ٱلَّذِى﴾ وبين الظالم والمظلوم وبين العالِم والمعلَّم والمعلوم ﴿كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصَّافات: 21] جواب الملائكة أو من كلام بعضهم لبعض والفصل هو الحكم والقضاء بها، والفرق بينَ الهدى والضلالة.

﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بعضهم على بعض في الدنيا أو على نفوسهم بأنواعِ الفسوق والكفر ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ ما ازدوجوا واجتمعوا معه من أنواع المعبوداتِ والمهدياتِ من الازدواج والأصنام والكواكب والأوثانِ وغير ذلك عن النبي ﷺ، وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهلَ الزنا معَ أهلِ الزنا، وأهل السرقة معَ أهل السرقة، وقيل: قرنّاهم مع الشياطين وقيلَ نساؤهم اللاتي على دينهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [الصَّافات: 22] إياه في الدنيا.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الملائكة والكواكب والأشجار والنار والأزهار والحيوانات، والعجم والإنسانِ وغير ذلك ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: 23] وأعلموهم وعَرِّفوهم، وألهموا إليها ليسلكوا طريقها.

﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَقِفُوهُمْ ۖ﴾ في الموقف الأول ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصَّافات: 24] وذلك لأنهم مسؤولونَ عن إجزائهم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36] عن العقائد والأعمال والأفعالِ والأحوال والأقوال والواو لا توجب الترتيب، وإن أفادَ الجمعَ ما لكم يا معشرَ الشرك والإشراك.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الصَّافات: 25] وتتعاضدونَ، ولا يكون بعضكم ظهيرًا ولا ناصرًا أو نصيرًا كما كنتم في الدنيا بعضكم معينًا لبعض في الاستخلاص عن العذاب وفي النجاة عن العقاب.

﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ الذي هو يوم الدينِ ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصَّافات: 26] منقادونَ فيه لعجزهم وانسدادِ باب الحيَل عليهم أصله طلب السلامة.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ من السفلة والأداني ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ على بعض من الرؤساء والأعالي ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصَّافات: 27] يسأل بعضهم بعضًا، والسؤال يتعين من جانب بل التوبيخ والتعبيرِ، ولذا فسر يتخاصمونَ.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ [الصَّافات: 28] أي عن الوجوه وأحسنها، وكناية عن البعاداتِ ووفور الخيراتِ، فإنَّ العربَ يتشاءمونَ بالشمالِ ويتيمنونَ باليمين، ولذا سموها الشوماء كما سموا أختها باليمين، وسموا بالمبارح وتطيروا

بالبارحِ، وكانَ الأعسر معينًا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بأفاضِل الأمورِ باليمينِ وأراذلها بالشمالِ، وكانَ رسول الله ﷺ يحب اليمين في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات، والشمال لكاتب السيئات، ووعدَ المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسيء بشماله، فاستعيرت اليمينَ هنا للقوة والقهر لأن اليمينَ توصفه بالقوة، وبها يقطع البطش، والمعنى أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهرِ وتبعدوننا عن السلطان والغلبةِ حتى تحملونا على الضلالِ وتقسرونا عليه، وهذا من خطاب الأتباع لرؤسائهم.

﴿قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الصَّافات: 29] هذا جواب عن الرؤساء للأتباعِ، يعني إنكم ما كنتم متصفين بالإيمانِ حتى يقال إنا أنزلناكم وقسرناكم عنه ومنعناكم منه إلى الكفر والضلالِ.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ﴾ وغلبة وتسلط حتى نقهركم ونجبركم على الكفر ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ﴾ [الصَّافات: 30] راسخينَ في معصية الله راسخين لطاعة اللّهِ ومتابعيه.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ وثبت وتحقق لدينا ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ [الصَّافات: 31] حيث قال ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: 119] ولأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعينَ ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [الصَّافات: 31] يعني ما وجب وتحقق قول ربنا وجب أن نكون ذائقين هذا العذاب.

﴿فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ﴾ [الصَّافات: 32] وأضللناكم يعني أنا إنما أقدمنا على إغوائكم لأنا كنا موصوفينَ في أنفسنا متحققين بحقيقتنا بالإغواء والغواية بمن اعتقدتم، إن غوايتكم وإغواءكم سبب إغوائنا فـ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ إن كانت مبتدأ إلى إغواء آخر لزم التسلسل، وإن اختصت بأنفسنا لزم التحكم، فعلم أن حصولَ العناية والرشاد والضلالة والسداد ليسَ من قبلنا بل من قبل غيرنا، وذلك الغير هو ما قاله تعالى:

﴿فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [الصَّافات: 31] هذا تنزيل وتسليم من كل منهما للآخر، فإذا اشتركَ الأتباع والرؤساء في العذاب فههنا خمسة أجوبةٍ بعضها من الأتباع وبعضها من الرؤساء وبعضها من الجانبينِ فاشترك العذاب، وإليه الإشارة ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ [الصَّافات: 32].

﴿فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٣﴾

﴿فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٣﴾ [الصَّافات: 33] كما كانوا في الدنيا مشتركين في أصل الغواية والإغواء قالَ أيضًا:

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٤﴾

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٤﴾ [الصَّافات: 34] أي الكافرين بدليل.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾

﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ [الصَّافات: 35 ـ 36] إن لمجرد قول محمد هو شاعِر يقول من تلقاء نفسه ويتجرأ على اللّهِ إنه كلام الله معَ أنه مجنون لا يعلم ما يفعل ولا يقول ما يدرك.

﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧﴾

﴿بَلۡ جَآءَ﴾ محمد من عندِ الله ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متلبسًا ومستصحبًا بالكلام الثابت لله كلام الله لا كلام البشر، عطف على المنفي المقدر ﴿وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصَّافات: 37] في نفسه صادق ومصدق للأنبياء المرسلين كما ثبت في الكتب السماوية والصحف الإلٰهية إنه سيجيئني نبي أي صادق في نفسه ومصدق لغيره من الأنبياء وأخبر بقدومه وخبره دعوة عيسى ابن مريم كما مر في سورة الصف.

﴿إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ٣٨ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾

﴿إِنَّكُمۡ﴾ [الصَّافات: 38] أي المجرمين ﴿لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ٣٨ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا

كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الصَّافات: 38 ـ 40] استثناء منقطع إلا أن يكون الضمير في يخبرون لجميع المكلفين فالاستثناء باعتبار المماثلة وثواب العبادِ المخلصينَ ثابت على التضعف والانقطاع أيضًا هذا الاعتبار والاتصال باعتبار المماثلة النوعية والانقطاع باعتبار المماثلة الوصفية الجارية مجرى النوعية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾﴾ [الصَّافات: 41] إشارة إلى العباد المعهودة وبيان لحسن حالهم ومآلهم في النشأتين أي: رزق مختص بخصائص شريفة وهي الدوام والتلذذ العام والفرح التام ولذا فسره بقوله:

﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَوَٰكِهُ﴾ [الصَّافات: 42] فإنَّ الفاكهةِ ما يقصد بها التلذذ والترفه والتنعم دون التغذي والتقوي والنشوء والنماءِ، إذ أهل الجنة لما أعيدوا على خلقة محكمة وهيئة متقنة مصونة عن التخلل والذبول والفساد والخمول فلا يحتاجونَ إلى بدل ما يتخلل، ولذا كانت أرزاقهم فواكه خالصة لقوله لها ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: 20 ـ 21] وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ [الزخرف: 71] فالمقصود من الأكل هو التنعم والتلذذ لما علمتَ إن أهل الجنة بنيتهم محكمة لا يتطرق عليها التخلل والضعف والتخلخل ﴿وَهُم مُّكۡرَمُونَ﴾ [الصَّافات: 42] عندَ اللَّهِ معظَّمون من لدنه تصل إليهم أرزاقهم منةً من غير سبق سؤال وتعب وتقدم كلمة ولحوق سبب، كما يحصل رزق لهم بلا تعب.

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ [الصَّافات: 43] أي ليس فيها إلا التلذذ والتنعم، إما ظرف أو حال من المستكن في مكرمين، أو خبر ثانٍ لأولئك.

﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿عَلَىٰ سُرُرٖ﴾ بيان للتنعم يحتمل الحالَ والخبر ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الصَّافات: 44] حال من المستكن في مكرمينَ أو في ضمير على سرر، وأن يعلق بمتقابلينَ يكون حالًا أيضًا من ضمير مكرمونَ.

﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ٤٥﴾

﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ﴾ أي بإناءٍ مملوء بشراب وخمرٍ كقوله وكأسٍ شربت على لذةٍ ﴿مِّن مَّعِينِۭ﴾ [الصَّافات: 45] من شراب معينٍ أو نهر معين أي جار أو ظاهِر سهل الماء طاهر عن الكدورات أو خارج منَ العيونِ صفة للماءِ وصف به خمر الجنة لأنها تجري كالماءِ كما قالَ: ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: 15]، وأنهار من عسل مصفى، أو للإشعار بأن يكونَ لهم بمنزلة الشراب جامع لما بطَل من أنواع الأشربة لكمال اللذة وقوله:

﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦﴾

﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦﴾ [الصَّافات: 46] صفتان لكأس ووصفها بلذة إما للمبالغةِ أو لأنها تأنيث لذة بمعنى لذيذ وزنه فعل.

﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ٤٧﴾

﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ﴾ غائلة وصداع وخمار كما في خمر الدنيا من غاله يغوله إذا أفسد وَغُيّر، ومنه القول ﴿وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصَّافات: 47] يسكرون ويزول عنهم الإدراك والتمييز، من نزف الشارب فهو نزيف ومذيوف إذا زال عقله وذهب تميزه وإدراكه، وإنما أفرده بالنفي وعطف على ما تقدم لأنه من أعظم مفاسِده كأنه جنس برأسه وكان في المرد والمذمة.

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ٤٨﴾

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ أي أزواج مطهرة عن دنسِ الحيض ومعفن النفاسِ وجنس القبض، قد قصرت أبصارهن وحصرت عيونهن على أزواجهن ﴿عِينٞ﴾ [الصَّافات: 48] أي محل العيونِ جمع عيناء.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ [الصَّافات: 49] شبهت ببيض النعام في صفاء البياضِ المصون عن رسوم الغبار وركوب البحار.

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠﴾

﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠﴾ [الصَّافات: 50] عطف على يطاف أي

يشربونَ فيتحادثونَ على الشراب ويتساءلون عن كيفية وكمية وحقيقة أبنيته عندَ استقبالِ بعضهم بعضًا، والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيهِ، فإنه ألذ تلك اللذاتِ إلى العقل وتساؤلهم إنما هو عن المعارف والفضائل وعما جرى بهم في الدنيا والآخرة عن حقيقة هذه اللذاتِ، وكيفيتها إشعار بأن إدراك الأشياء ومعرفة حقائقها ألذ التنعماتِ وأعز اللذات في الدارين، إذ لا شرف فيهما لا بالعلمِ ولا بالرياسة، ولا ولذة ولا تنعم إلا بتعرف صنوف الحكمِ.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ في مكاورتهم ومحادثتهم ﴿إِنِّى كَانَ لِى﴾ في الدنيا والنشأة الأولى ﴿قَرِينٌ﴾ [الصَّافات: 51] وجليس وقريب وأنيس ومكين.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصَّافات: 52] عن جملة من جملة على التصديق بالتوحيد وبعثة الأنبياء المخبرينَ عن الحشر والنشر والبعث وما يلزمهما من الجنة والنار وما يلزمهما من النعيم ودرك الجحيم.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ دميمًا وأجزاء متفرقة عميمًا ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصَّافات: 53] من الدين وهو الجزاء كما قيلَ تدين تدان قالَ الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: 4].

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قَالَ﴾ [الصَّافات: 54] ذلك القائل ومن المسؤول عنه والسائل ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الصَّافات: 54] واقفون على أحوال أهل النار وأصحاب الجنة وأرباب الأنوار لأراكم ذلك القرين قيل: القايل هو الله والملائكة يقول لهم بل تحبونَ أن تتطلعوا على أحوال أهل النارِ والجنة لأراكم ذلك القرين، فيعلموا أين منزلكم من منازلهم.

﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَٱطَّلَعَ﴾ [الصَّافات: 55] عليهم ووقف على كيفية أحوالهم ويعرف بهم ﴿فَرَءَاهُ﴾

قرينه ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: 55] ووسطها، ويمكن أن يكونَ المراد من القرين هو المولود الجني الذي يولد معه فيدعوه إلى العصيان والكفر والطغيانِ كما وردَ في الحديث: «**إن شيطاني أسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخيرِ**».

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦﴾

﴿قَالَ﴾ صاحب القرين للقرين ﴿تَٱللَّهِ﴾ وباللَّهِ وواللَّهِ ﴿إِن كِدتَّ﴾ ماضٍ من كادَ من أفعال المقاربة أي لو قربت بالظفر علي بالإضلالِ والإغواءِ ﴿لَتُرْدِينِ﴾ [الصَّافات: 56] من الأرداءِ وهو الإهلاك أي لتهلكني بإضلالك إيايَ بإنكار البعثِ والقيامة وما يترتب عليها من الجنة والنارِ وغيرهما مما يجب الإيمان به.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ وفضله وتوفيقه وعنايته ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصَّافات: 57] في النارِ والحاضرينَ في الجحيم، ولما تم الكلام معَ الرجل القرينِ الذينَ كانَ في الدنيا قرينًا وهو الآن من أهل النار عادَ إلى مخاطبته وجلسائه الذين هم من أهل الجنة فيقول لهم.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩﴾

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩﴾ [الصَّافات: 58 ـ 59] فيهِ حالان أحدهما: أن أهلَ الجنة لا يعلمون في أول حياتهم في الجنة أنهم لا يموتونَ فإذا جيءَ بالموتِ على صورة كبش أملح وذبح فعند ذلك يعلمونَ أنهم لا يموتون، فلعل هذا الكلام حصل قبل ذبح الموتِ العلم بعدَ الموتِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الأمرَ المشهود والحالَ المعهودَ دائم لنا وثابت عندنا وإنه ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الصَّافات: 60] يحتمل أن يكونَ من كلامهم وأن يكونَ من كلام اللَّهِ لتقرير قوله: والإشارة إلى ما أنتم عليه من النعمة والخلق والأمنِ والأمان من عذاب الله ومن كمال فضله وإحسانه.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ العمل الذي يستحق لهذا الفضل العظيم والفوز الكريم بحسب أن يعمل ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصَّافات: 61] قالَ بعضهم المراد من هذا القائل ومن قرينه ما ذكره الله في سورة الكهفِ، ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف: 32] إلى آخر الآية روي أن رجلينَ كانا شريكين فحصل لهما ثمانية آلاف دينار فقال أحدهما للآخر: أقاسمك فقاسمه واشترى أحدهما دارًا بألف دينار فأراها صاحبه وقال: ترَى حسنها؟ فقال: ما أحسنَها فخرجَ وقال: اللهم إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وإني أسألك دارًا من دور الجنة فتصدق بألف دينار لأن يزوجه الله من الحور العين. ثم إن صاحبه اشترى بستانين بألفي دينار فتصدق هذا بألفي دينار، ثم إنَّ اللَّهَ تعالى أعطاه في الجنة ما طلب فعند هذا قالَ إنه ﴿كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصَّافات: 51] فاطلع فرآه في سواء الجحيم.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَذَٰلِكَ﴾ العمل المذكور والأصل الطويل المزبور ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ وأكثر سعادةً وأكبر سعاية وسيادةً ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الصَّافات: 62] لما قال بعدَ ذكر أبواب أهل الجنةِ وصنفها ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصَّافات: 61] وبعدُ قال: قل يا محمد ذلك خير نزلًا، هو ما يحضر عندَ نزول الضيافِ تعظيمًا لهم وتكريمًا لشأنهم، يقال: أرسلَ الأمير وأحضر لفلان نزلًا، فحاصل الرزق المعلوم لأهل الجنة اللذة والسرور، وحاصل الرزق لأهل النار الزقوم والألم والشدة والهم والغم والثبور، ومعلوم أنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخِر في الحيرة والسعادةِ واللذة والسيادةِ إلا أن حاصلَ الكلام إما بهم على سبيل السخرية والاستهزاء بهم والاستخفاف بحالهم والاستحقار بمآلهم أو لأجلِ أن المؤمنينَ لما آثروا أمرًا ما أوصلهم إلى العذاب الأليم بل إلى النعيم العميم فقيلَ لهم توبيخًا وتعبيرًا على قبح إيثارهم وسوء اختيارهم.

وأما ﴿ٱلزَّقُّومِ﴾ فقال الواحدي: لم يذكر المفسرونَ تفسير للزقوم إلا الكلبي فإنه روَى إنه لما نزلت هذه الآية قالَ ابن الزبير: أكثر الله في بيوتكم ﴿ٱلزَّقُّومِ﴾ فإن أهلَ اليمن يسمون التمر والزيت بالزقوم فقالَ أبو جهل: لحارثيه زقمينا، فأتت بزيتٍ

وتمر وقال: تزقموا. ثم قالَ الواحدي: ومعلوم أن الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا الزيت والتمر فلو لم يكن للزقوم اشتقاق فمن التزقم وهو الإفراد في الأكلِ حتى يكره، فمن هذا علم أن الزقومَ في القرآنِ يدل على أنه شجرة كريهة الطعم منتنة الرائحة شديدة الخشونة موصوفة بصفات كريهة غير محصورة في البشاعةِ والشناعةِ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ۝٦٣﴾

﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ۝٦٣﴾ [الصَّافات: 63] وعذابًا شديدًا لا نهاية لشدته ولا غاية لحدته.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤﴾

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤﴾ [الصَّافات: 64] وقعرها بيان لها وشرح لحقيقتها، لما سمعوا إنَّها في النارِ شيعوا بأنَّ النارَ تحرقها وتفنيها ولم يتفطنوا على أنَّ من قدر على خلق ما يعيش في الماءِ ويتلذذ ويلتذ منها هوَ قادرٌ على خلقِ شجرة أصلُها في النارِ فلم تحترق منها، إذ الشيء من يتأثر من نفسها ومن تطيرها ولأن شأن النَّار إنما هيَ تفريق المختلفات وجمع المتماثلات والمتشكلات فشجرة الزقوم أصلها في النارِ ويثبت في قعر جهنم فكيف يحترق ويتلاشى أو يتفرق، أو نقول النار متخالفات الكيفيات، مثلًا نار الدنيا والعناصِر بالنسبة إلى نار الأفلاك باردة، ونار الأفلاك بالنسبة إلى نار الآخرَة كذلك باردة بل أبرد، وقد اشتهر أنَّ نارَ الآخرة أحر من نار الدنيا سبعينَ مرةً وضعفًا؛ ونار الآخرة بالنسبةِ إلى نار الله تعالى التي توقد وتطلع على الأفئدة أخف.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۝٦٥﴾

﴿طَلْعُهَا﴾ هي النخلة فاستعير لما طلعَ وخرج من شجرته الزقوم من حملِها وثمرتها إما استعارة لفظية أو معنوية، وإنَّما سميت طلعًا لطلوعِها كل شبه، قيلَ طلع النخل أول ما يخرج من ثمرته ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ [الصَّافات: 65] في عدم تناهي القبح والهول، وهي حيات هائلة قبيحة المنظر، الغرض من هذا التشبيه التوهم والتخييل بأنها أقبح القبائح وأكره الوقائح إذ لا قبح في عالم المعالم والحس والخيال من الأغوال والشياطينِ كما يقصد من التشبيه بالملكِ أحسن

الحسنى وزيادة في النورِ والضياء ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31] هذا من باب تشبيه المخيل والموهوم والمفعول بالمحسوس كما إذا أرادوا أن يتخيلوا شيئًا شديد الاضطراب بكثرة الصورة منكرة الهيئة قالَ إنه شيطان قالَ امرؤ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرقٌ كأنيابِ أغوالِ

وأقبح منها أنَّ الشياطين نوع منها حيات لَها رؤوس وأعراف وهي من أقبح الحياتِ كما أن الأغوالَ والشياطين نوع منها لكل شخص منهم عشرة رؤوس واحد منها رأس الإنسانِ والباقي رأس الكلب والخنزير والدب والحيةِ وغير ذلك من أهول الحيواناتِ والحياتِ، فإن قيلَ لما كانَ الزقوم بهذا النعت والوصف فكيف يكون الأكل، أحسب بأن الله خلق فيهم جوعًا وكيفية سمته تنقطع بها أمعاؤهم وتلتهب أحشاؤهم وتحترق بها أكبادهم وتخترق بها أجوافهم وبطونهم ولكمال القلق والاضطراب وشدة الكرب فيهم في هذه الحالةِ يضطرونَ إلى أكلها وإذا أكلوا استولى عليهم العطش والحرارة فيجيئونَ إلى شرب الماءِ الحميم ظنًّا منهم أنَّ هذا العطش إنما يزود بالماءِ الحميم، وهكذا يعذبونَ أهل النار بأنواع هذا العذاب وأكثر أهل هذا النوع من العذاب إنما هم الجن والشياطين والأبالسة والأهرمن.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ [الصَّافات: 66 ـ 67] أي بعدما سقوا مِنها وامتلأت بطونهم عنها ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصَّافات: 67] أي شوبًا من غساق ومن دم وقيح وصديد ويسيل من قروح أهل النارِ أو مشوبًا ومخلوطًا بماءٍ حميم وإيراد يشعر بأن حال المشروب في الساعة أردأ من حال المأكول.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: 68] أي بعدَ الزقوم وشرب الحميم هذا يدل على أنهم عندَ الأكل والشرب ثم يكونوا في الجحيم وذلك بأن يكونَ

الحميم في موضِع خارج عن الجحيم فهم يوردونَ الحميم، لأجل الشرب كما يوردَ الإبل إلى الماءِ ثم يوردونَ إلى الحميم، هذا قول مقاتل، واحتج إلى صحته بقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: 43 ـ 44] يوردونَ إليه كما يورد الإبل من الماءِ ثم يردونَ إلى الجحيم هذا في الشرب صحيح، وأما في الأكلِ فمشكل لأن شجرة الزقوم داخل في الجحيم، اللهم إلا أن يقال: أن الجحيم طبقات، ففي طبقة يأكلون وفي طبقة يسكنون وفي طبقة يشربون أو تقول أن الزقوم والحميم يزل القدم إليهم قبلَ دخولهم فيها.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الصَّافات: 69] أي ألفوا آبائهم ووجدوهم مألوفينَ بهم غاوينَ في أنفسهم.

﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الصَّافات: 70] يبادرونَ ويسرعون بقليل استحقاقهم تلك الشدايد بتقليد الآباء في الضلالِ والغواية، والإضلال فيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلكَ الاقتداءَ والتقليد من غير توقفٍ على نظر وبحثٍ.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الصَّافات: 71] أي الأمم الأقدمونَ الذينَ كانوا قبلَ قومك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الصَّافات: 72] الأنبياء الذينَ خوفوهم من العواقب وحدثانِ وطريانِ المصاب في الدارين وعموم النشأتين.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الصَّافات: 73] من الشدائد والفضائح والفوائد الضوارعِ.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الصَّافات: 74] الذين انتهوا بإنذارهم وتفطنوا بأشعارهم فأخلصوا دينهم وتحصنوا بيقينهم باللَّهِ.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ شروع في القصص وتفصيل بأطوار البصص وآثار النصص أي دعى اللَّهَ حينَ يأمر من دعوة قومه وهدايته وقطع النظر من الأنبياء من الاستغراقِ في الغفلةِ ونومه ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ [الصَّافات: 75] أي فأجبناه أحسنَ الإجابة، واللام لتوطئة القَسَم أي فواللَّهِ نعم المجيبونَ نحن، فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ وأبعدناه وأنجيناه ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: 76] والحوب الأليم العميم والغرق والحرق والحَسم.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ﴾ وفروعه وأحفاده ﴿هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصَّافات: 77] بعده متناسلينَ إلى يوم القيامة، لما روي أنه مات كلما كانَ معه في السفينةِ غير بنيه وأزواجهم.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أي حصرنا النسل والتناسلَ على نوح ﴿فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الصَّافات: 78] أي الأمم المردفينَ.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ كلام جيئ به على الحكاية يسلمونَ عليه تسليمًا، وقيل هوَ سلام ودعاء من الملائكة بالثبات والدوام والسلامة في عموم الأوقاتِ والأولاد ونسله إلى آخر الزمانِ وانقطاع تمام الأعيانِ، أو هوَ من اللَّهِ عليه ولأتباعِه ومفعول تركنا محذوف ﴿فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافات: 79] متعلق بالثبوتِ أي هذه التحية والكرامة ثابتة له والذريعة في الملائكةِ والثقلين جميعًا.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ما فعلنا في نوحٍ من التكرمةِ وحسن الجزاءِ والتحية ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصَّافات: 80] تعليل ما فعلَ بنوح من الكرامةِ.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصَّافات: 81] تعليل لإحسانِه بالتوفيق بكمال إيمانه وإظهار لجلالة قدره وجزالة شأنه وعدالة أمره وأحكامه وإتقانه.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الصَّافات: 82] يعني كفار قومه وفجار أعيان ليله ويومئذ لدى دومانهم ما كتب الله عليهم من صلاة وصوم في الوحي ولوحه.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ وبعض ذريته ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصَّافات: 83] ممن شايعه من الإيمانِ وكمال المعرفة ووفور الإحسان في تقنين شرائع النبوة وتعين النواميس الإلٰهية لاشهار حكم البدائع الربوبية، ولا يبعد أن يتفق شرعهما فروعًا، أما الأصول فلا اختلاف فيها أصلًا لأنها أمر واحد لا يتطرق فيها الاختلاف أبدًا، لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ [الشورى: 13]، إنه كان بينهما ألفان وستمائة وأربعون سنة وكان بينهما نبيّان هود وصالح.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصَّافات: 84] من آفات القلوب وهيئات النقص ونواقص العيوب أو من العلائق النفسانية والعوائق الجسمانية.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ إذا أراد أن ينحت الأصنام على أشكال عجيبة وأمثال غريبة ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصَّافات: 85] أي: أيُّ شيء تعبدونَ مما صنعتم.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصَّافات: 86] مفعول له أي تريدونَ آلهةً من دون اللَّهِ إفكًا وباطلًا، وإنما قدم المفعول على الفعلِ للعناية به، والمفعول له على المفعول به، فإنه كانَ الأهم عنده أن يغريهم أنهم على إفكٍ وباطل في شركهم، ويجوز أن يكون حالًا بمعنى أتريدون آلهةً دونَ الله آفكين ثم قال:

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصَّافات: 87] إذا تقيموه وقد عبدتم غيره ما يصنع بكم وأنتم ضيعتم رأس مال التجارة الأزلية الذي أعطاه لكم وهو العمر والحياة بصرفكم إياه فيما لا يعطى له ولا يعطى به.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾

﴿فَنَظَرَ﴾ إبراهيم ﴿نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ [الصَّافات: 88] فرأى مواقِعَها من المنازل والبروج واتصال بعضها ببعض فنظر إلى بيت مرضه وصاحبه والمستولى عليه وهو مثلث، أي كوكب وصاحب المثلث وغير ذلك من الحظوظِ فرأى فيه نحس، أو متصلًا بصاحبه نحس، وإلى صاحب الطالِع فوجده في بيت المرض قد اتصل بكوكب النحس اتصالًا مذمومًا، أو تحتَ الشعاعِ وقد نظر النحس، أو وجد في برج طالعِه سهم المرض.

﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

﴿فَقَالَ﴾ على وجه الظن ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصَّافات: 89] ومريض بمرض متعدي سارَ إلى غيره.

﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الصَّافات: 90] مخافة التعدي والسراية إليهم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿فَرَاغَ﴾ مال إبراهيم ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ [الصَّافات: 91] تطييبًا لقلوبهم وترغيبًا لنفوسهم وآمالهم إلى الآلهة الباطلة وهي الأصنام المنحوتة والأوثان المصنوعة،

إلى الله الحقِّ والواحد المطلق، لا شريكَ لَه في الألوهية ولا نظير له في الربوبية ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصَّافات: 91] الطعامَ الذي جلبوه إليهم ونصبوه لديهم إذ كانَ دأبهم أن يرفعوا الطعامَ إليهم، ثم يصرفون الطعامَ منها إلى الفقراءِ والمساكينَ، هذا استخفاف بآلهتهم وبأفعالهم وعقولهم وهو تدبيرهم وقلة تفكرهم.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الصَّافات: 92] الخطاب بالآلهة وإن من حقِّ الإلَه والمعبودِ هو النطق لجواب السائِلين.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾

﴿فَرَاغَ﴾ ومال ثانيًا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مستخفًّا ومستهزئًا بهم وبمن عندهم من الجهالِ ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصَّافات: 93] كان يضربهم باليد اليمنى ضربًا كأنه لحرب حربًا حركًا حركًا في الأجزاء والأعضاءِ أقوى، قيلَ أرادَ باليمينِ القسم الذي سبق منه، وقال ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: 57] الآية.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الصَّافات: 94] أي توجهوا حال كون عهدة الأصنام يسرعونَ إلى إبراهيم وذلك لأنهم أخبروا بما فعل إبراهيم بآلهتهم فلما وصلوا إلى آلهتهم

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الصَّافات: 95] وتخرطونَ بأيديكم والحال أن:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: 96] أي بأعمالكم أو بمعمولكم وهو الأصنام فالله أحق بالعبادةِ إن كنتم تفعلون.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ [الصَّافات: 97] يعني لما شاهد قوم إبراهيم استخفافه وتحقيره بآلهتهم وأصنامهم قصدوا إهلاكه فضربوا في حقه آراء وقالوا أقوالًا

مختلفةً بعضهم قالوا ابنوا له بنيانًا رفيعًا وبرجًا عاليًا عظيمًا فسما سمكه وطوله ثلاثونَ ذراعًا وعرضة عشرونَ، وملأه حطبًا وحشيشًا يابسًا ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: 97] دهنًا ونفطًا واطرحوا عليه نارًا أو كبريتًا ليتوقد ثم يطرح إبراهيم في تلك النار ليحترق.

﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصَّافات: 98] ذوات خسارةٍ وسفالةٍ وحقارة ورزالة وشقاوة بإبطالِ كيدهم ورده عليهم.

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَقَالَ﴾ في دفع كيدهم ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ ومهاجر ومراغب إلى ربي مُبدئي ومُربيي، فهذا القول ما قيلَ الدخولِ في النارِ حيث اذهبوا به إلى النار وبعدَ الخروج، والأول أوفق وأولى ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الصَّافات: 99] إلى حيث أمرني وجعلَ مصيري فيه بعدَ الخروج وعوارض الشام أو أرض المقدس فلما قدم الأرض المقدسة سألَ ربه الولَد فقال:

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾ ولدًا يكون ﴿مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الصَّافات: 100].

﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصَّافات: 101] وولد عليم حكيم في صغره حليم في كبره، وفيه إشارة ولديه بشارة إلى أن ولدَه يعيش عيشًا طويلًا وينتعش انتعاشًا جليلًا، ومتصفًا بالحكيم متعرفًا بالعِلم والحلم وبفنون الحكم، وأي حكم أعظم وأي حكم أكرم من أن أمره أبوه بذبحه في يده، وهوَ إسحاق أو إسماعيل وهو مانعة الخلو لا الجمع.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصَّافات: 102] أي الحركة والمشيَ إلى الجبل للذبح

وهو ابن ثلاثة عشر أو سبعة عشر سنين، فلما وصلوا إلى الجبل ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصَّافات: 102] اختلف العلماء من الملّيين وهو إسماعيل أم إسحاق، أم هما، على سبيل منع الخلو، ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو علي وعمر وسعيد بن جبير وقتادة وكعب الأحبار وابن عباس ومسروق وعطاء ومقاتل وغير ذلك إلى أنه إسحاق، وذهب آخرونَ وهو عمر بن عبد العزيز وسعيد بن المسيب والحسن البصري والشعبي ورواية عن ابن عباسٍ إلى أنه إسماعيل، والأظهر أنه إسماعيل، فإن إسحاقَ قد كانَ في آخر عمر إبراهيم وامرأته سارة حيث قالت: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾ [هود: 72].

روي أنه رأى ليلة التروية إن قائلًا قالَ له: إنَّ اللَّهَ يأمرك بذبح ابنك إسماعيل، فلما أصبح تيقن وجزم أنه من اللَّهِ، وحملَ على الظاهِر من غير تأويل، إذ الأنبياء لا يعبرونَ ما رأوه، ثم رأى مثله ليلة الثانية فهم بنجزه وقالَ له ذلك، ولذلك سميت الأيام الثلاثة بالتروية، وعرف الظاهِر أن المخاطب في هذه الصور إسماعيل، لأنه وهب له أثر الهجرة، وإن البشارة بإسحاقَ بعدَ معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام: «**أنا ابن الذبيحين**»، أحدهما جده الأعلى إسماعيل والآخر أبوه عبد الله، وذلك أنَّ عبد المطلب نذر أن يذبح ولدًا إن سهَّل الله له حفر بئر زمزم وبلغ بنوه عشرًا فلما سهلَ وخرج السهم على عبد اللَّهِ وذلك أن عبد المطلب فداه بمائة إبل، فلذلك سنت الإبل للدية مائةً وتفردت عليها، ولأن ذلك كانَ بمكة وقرنا الكبش معلقتين بالكعبة حتى إذا احترقا معَها في أيام ابن الزبير ولم يكن إسحاق ثمة، ولأن البشارة بإسحاق كانت مقرونةً بولادةِ يعقوبَ منه فلا يناسبها الأمر بديهة مراهق، وما رأى إنه ﷺ سئل أي نسب أشرف؟ فقال: صدّيق الله ابن يعقوب إسرائيل بن إسحاق ذبيح اللَّهِ بن إبراهيم خليل الله.

والظاهر أن هذه القصة ليست مانعة الجمع بل هي في مانعة الخلوِّ ولذا اشتهر حتى في حيز التواتر، فإنَّ كثيرًا من الصحابةِ والتابعينَ قد اتفقوا في كل منهما. ووقع عن ابن عباس الإشارة إليها كما مرت الإشارة إليهما، ولذا أبهم في الآية واشترك الذبح فيهما ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصَّافات: 102] أي انظر على أي أمر يقع القرار وسيتقرر رأيك، فإني أسلمت نفسي إليكَ، وكانَ إبراهيم إذا أرادَ

هاجرَ وإسماعيلَ حملَ على البراقِ فيفدوا من الشام، فيقبل بمكة ويروح من مكة فيبيت عندَ أهل الشام، حتى إذا بلغ إسماعيلَ معَه السعي وأخذ بنفسه ورجاه، ولما كانَ تأمل فيه منَ عبادة ربه وتعظيم من يأته أمر في المنامِ أن يذبحه ليلة التروية كانَ قائلًا يقول له: إنَّ الله يأمركَ بذبح ابنكَ هذا، فلما أصبح رأى في نفسه وفكر من الصباح إلى الأصيلِ والرواحِ أمنَ الله هذا الحكم، أم منَ الشيطان؟ ومن ثمة سمي يوم التروية، فلما أمسى رأى في المنام ثانيًا فلما أصبح [عرف] أن ذلك من اللَّهِ، ومن ذلكَ سمِّي يوم عرفة قيلَ: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليالٍ متوالياتٍ متتابعاتٍ، فلما تيقن ذلك أخبر ابنه به، فقالَ: يا بنيَّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴿قَالَ﴾ لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصَّافات: 102] على الذبح أو على قضائه ومشيئته وحكمته.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ الأمر إليه وأسلم الذَّبح نفسه وإبراهيم ابنه وأصله سلم هذا لفلان وأخص لَه فإنه سلم من أن ينازع وأمن من أن يناقش معه ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصَّافات: 103] أي أصرعه على الأرض وأضجعه على جنبيه على الأرض والجبهة بينَ الجنبين، فقالَ له ابنه الذي أرادَ ذبحه: يا أَبَت اشدد رباطي حتى لا اضطرب، ولف مني الثياب وأبعده حتى لا ينتضح عليه من دمي شيء فينتقص أجري وثوابي، وتنحط درجتي وتراه أمي فتحزن، واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين ومروره على حلقي لتكونَ أهونَ عليَّ لئلا اضطربَ فأتحرك، فإن الموت شديد، وإذا أتيتَ أمي فاقرأ علَيها السَّلام مني، وإن رأيتَ قميصي على أمي فاضل فإنه عسى أن يكونَ تسلية لَها، قال له إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنتَ يا بني على أمر اللَّهِ، ففعل إبراهيم ما أمر به ابنه ثم أقبلَ عليه يقبله وقد بلطه وهوَ يبكي والابن أيضًا يبكي، ثم إنه وضعَ السكين على حَلقه فلم يخفه ولم يقطع السكين حلقه. روي أنه كانَ مرر الشفرة في حلقه ولم تقطعه فشحذها مرتين أو ثلاثًا بالحجر كل ذلك لا يستطيع.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصَّافات: 104 ـ 105] ولم يبل في الرؤيا لأنه أجرى الرؤيا على ظاهرها ولم يغيرها كما هو شأن الأنبياء، فإن

الأنبياء لا يغيرونَ الواقعةَ والرّؤيا، إذ النبوة تحكم على الظاهِر والولاية على الباطِن والحقائق الخفية والدقائق الحفية والرقائق الصفية واللوازم القريبة والبعيدة التي بينها وبينَ الملزوماتِ علاقة معنوية، يؤول وينتقل من تلك اللوازم إلى تلك الملزوماتِ انتقالًا دفعيًّا أو تدريجيًّا، فإن كانَ هذا الانتقال عند الأخبار للمعبر سمي بالتعبير والتأويل، وإن كانَ الانتقال بعيدًا والعلاقة خفيةً واللوازم خلية غريبة فلا يعبر، ويقال لها: أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمينَ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصَّافات: 105] يعني أنا كما عفونا عن ذبح ولا نجزي من أحسنَ في إطاعة أمرنا واستقام في عبادتنا، تعليل للحكم المذكور والأمرِ المسطور، واحتج به من جوز النسخ قبل الفعل، فإنه عليه الصلاة والسلام كانَ مأمورًا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾

و﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الأمر المذكورَ ﴿لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصَّافات: 106] والابتلاء المبين حيث أخبر بذبح ابنه لتمييز المخلص الموافق عن الناكص المنافق.

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصَّافات: 107] وأعطيناه على وجه الامتنانِ وطريقة الإحسانِ ليتم فعله ويكمل أمله فعظمته إما بحسب الجثة والمقدار أو الأجر والرتبة لأنه جيء به من عند اللَّهِ فإنه يفتدي به الله الأنبياء ابن لنبي كامل وفرد فاضل ويكون من نسلِه سيد الأنبياءِ والمرسلينَ وسند الأولياءِ الموصلينَ والحكماءَ المتألهين قيلَ كانَ كبشًا من الجنةِ، فإن إبراهيم إذا نظَر رأى جبرائيل ومعه كبش أبلج أقرن، فقالَ: هذا فداء ابنك فاذبحه دونه، فكبر جبرائيل وكبر الكبش وكبر إبراهيم وكبر ابنه عليه السلام، فأخذ إبراهيم الكبش وأتى به المنحر فذبحه قالَ أكثر المفسرينَ كانَ ذلك الذبح كبشًا رعيَ في الجنةِ أربعينَ خريفًا، عن ابن عباس عليه السلام قالَ: الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام هوَ الذي قربه ابن آدم.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الصَّافات: 108] أي تركنا له في الآخرينَ أي

آخر الزمانِ أو في آخر اليوم وهم المسلمونَ.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾ [الصَّافات: 109] قد سبق بيانه وسبق أمره وشأنه في قصته وحقيقة أمره وقضيته.

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠﴾

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصَّافات: 110] أي كما فضلنا إبراهيم بالنبوة والحكم والحكومةِ وحسن الخلقِ وجودة الخلق، نجزي المحسنينَ في الأعمالِ والأفعال والأحوال بحسن الحالات وعلو المقاماتِ وسمو الكمالاتِ الذاتية الأسمائية والأفعالية والآثارية، ولذا شاهدَ ربه في صورة أعلى أعيانها وأبهى أكوانها، وأشهده حقيقة ملكوتها، وكذلك نري إبراهيم ملكوتَ السماوات والأرض وليكونَ منَ الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبًا قال هذا ربي، فلما أفلَ قالَ: لا أحب الآفلينَ إلى قوله: وجهت وجهي.

﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١﴾

﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١﴾ [الصَّافات: 111] المؤمنين في درجة الإيمانِ وكمال اليقين.

﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢﴾

﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ﴾ ثانيًا ﴿نَبِيّٗا﴾ يكون مِنَ الأنبياء المتحققين ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصَّافات: 112] هذا دليل واضِحٌ وبرهان صريح خارج على كون المذبوح هوَ إسماعيل عليه السلام.

﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾

﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ﴾ جعلنا إبراهيم منبع الخيرات ومعدن المنافِع الكثيرة ومرتع المبراتِ العاليةِ الكبيرة ﴿وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ﴾ بأن جعله آدم الأنبياء في بني إسرائيل ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ أي يظهر ولد منه ﴿مُحۡسِنٞ﴾ [الصَّافات: 113] في الأقوال والأعمالِ والأخلاقِ وما يصدر منهما بأمر اللّهِ أي بعض ذريتهما صالِح محسن والبعض

الآخر ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصَّافات: 113] من الملوك والسلاطين وسائر الأعيانِ.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [الصَّافات: 114] تفصيل لما أجملَ وتفضيل لما أهملَ.

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل آل يعقوب ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصَّافات: 115] والغم الهميم والهم العميم وهو استئصال فرعونَ إياهم واستحياء نسائهم والزنا بهم وغير ذلك من صنوف الاستخفافِ وصنوف الاستحقار والاستصغارِ أو من كرب الغرق وركوب التفريق والفرق بينَ الأحبابِ وعموم الأصحابِ.

﴿وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَنَصَرْنَـٰهُمْ﴾ موسى وهارونَ وقومهما على القوم الظالمينَ الذينَ كذبوا بآياتنا وهم قوم فرعونَ ﴿فَكَانُوا۟﴾ وصاروا السبط ﴿هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾ [الصَّافات: 116] على القبط قوم فرعون.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الصَّافات: 117] البليغ البالِغ في الظهور والإظهار والإبانة وهو التوراة.

﴿وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ [الصَّافات: 118] الموصِلَ إلى البغية والحقِّ والصواب والصدقِ.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الصَّافات: 119] أي حصرنا الدولة

والحشمة والسعادة في الآجلةِ والعاجلةِ والدنيا والآخرةِ عليهما وإنهما إلى آخر الزمان الذي اختصوا به وهو ينتهي إلى زمانِ دولةِ المحمدي والإسلام والكتاب الذي جيء به.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ [الصَّافات: 120 ـ 121] أي كما شرفناكم وفضلناكم بالنبوة ونجزيكم الحسنات العظيمة والخيراتِ الكريمةِ ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصَّافات: 121] أي الذينَ أحسنوا في الأعمالِ والأفعال والأقوال بحسن الأحوال وفضل المقاماتِ من أصحاب الولايةِ والعلوم الحقيقية والإدراكاتِ الحقة كخضر وأتباعِه ممن يقتدى به فيما خصه الله به من العلم اللدني والحكم المعنوية أي الحاصِل من عند اللّهِ فإن العالِم هو العالم بهذا العرف الحقة والحصص الخفية.

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الصَّافات: 122] أي بعض منهم يشعر بكثرة هذه الطائفة وغرفه هذه الغرفة التي خفت عن الخلق حالاتهم قد احتجبوا تحت البشرية ونعت الصور التي تكونت من الجواهِر العنصرية «**أوليائي تحت قبائي لم يعرفهم غيري**» وبأنّ هذه الفرق لا تنقطع أبدًا وإنهم لا يموتونَ بل ينتقلون من دار إلى دار أي من دار برزة إلى دار برزة أخرى، وإن انتقلت الدورة وارتحلت الدولة من دورة إلى دورة، لأنهم باقون ببقاء الحقِّ، وداموا بدوام الجمع والفرق، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم﴾ [آل عمران: 169 ـ 170] وإلى هذا أشارَ آدم الأولياء علي المرتضى، إن أمت فلم أمت، وإن قتلت فلم أقتل وغير ذلك من الكمالاتِ القدسية والآيات المقدسة.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الصَّافات: 123] تصريح وتفصيل وتصحيح وتفصيل لما أبهم وأجمل.

واعلم أن الأدوار الدائرة والأكوار السائرة والسر السائر في النشآت والدّرّ الدائر في الدوراتِ والكورات، لكل منهما صاحب ورب دائر ومرب طائر، فإن صاحب الأفراد والأدوار النورية الجمالية الوجودية الإفرادية وهو حضرة خضر عليه السلام وصاحب الأكوار الظلية الجلالية الإفرادية العدمية، هو الياس وصاحب الصورة الجمعية، وهو سر الله الدائر هو المرتضى الذي في الحقيقة هو باطن المصطفى وظاهره كما قال علي عليه السلام: أنا المصطفى، أنا علي المرتضى، كما قال النبي عليه السلام: «**علي مني وأنا منه**»(*).

وإنما خرج بإلياس لأنه صاحب الأكوار الجلالية الخفية قد احتاج إلى الإظهارِ والتصريح والبيان بخلاف صاحب الأدوار النورية الجمالية الوجودية الإفرادية وصاحب جمعية الأدوار والأكوار، فإنهما ظاهران يحتاجان إلى البيانِ والتصريح، يا علي كنت مع الأنبياءِ سرًّا وصرت معي جهرًا وهذه الأشخاص الثلاث هم سند أرباب البروز والبرزاتِ ورائهم ومقدمهم ورئيسهم وسندهم ولكل منهم برزات وظهورات في كل دورة من الأدوارِ وفي كل كورة من الأكوار الإفرادية والجمعية بصورة مختلفة وصفاتٍ متقابلةٍ، إما جزئية أو كليةً إما الجزئية فكظهوره وبروزه بصور الأشخاصِ الفاصلة من كل نوع كأعيانِ الأعيان الإنسانية وأفرادها وكسائر أنواع الأنواع الحيوانية والنباتية المعدنية كما مرت الإشارة في سورة سبحان في قصة بختنصّر، فإن الله مسخه تارة بصورة النسرِ والثور والأسدِ ثم أبرزه بصورة الإنسانِ وملّكه الأقاليم السبعةِ ويقال بهذا القسم برزات المكمل هذا مما روي عن ابنِ عباس ووهب والسدي.

وعن غيرهم في شأن بختنصّر وإطلاق اسم المسخِ عليه: إنما هي على سبيل التشبيه والاستعارة وإشارة إلى أن بداية البرزات هو التناسخ والمسخ إذ التناسخ لا يكون إلا في النفوس الناقصةِ ولهذا قيل ما من ملة إلا ولها قدم راسخ في التناسخ كما أشار إليه عليه السلام «**يحشر الناس على صورة أعمالهم ومنهم**

(*) يتكلم بلسان الجمع وهو هنا الفناء بالحقيقة المحمدية فمن حيث الظاهر علي رضي الله عنه ومن حيث الباطن والحقيقة محمد عليه الصلاة والسلام ومن حيث باطن الباطن الحق تعالى طبعًا وكل ذلك من غير حلول ولا اتحاد. وهكذا كل ما ورد على لسان الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه في هذا التفسير وفي غيره من الكتب.

القردة والخنازير وعبدة الطاغوتِ ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 60]».

واعلم أن للإنسان في الأكوار الظلية الجلالية نشآت كثيرة وبروزات غفيرة بالأصالةِ والصريحة وفي الأدوار النورية الجمالية بالتبعية والضمنية، فمنهم من قال: أنه هو إدريس النبي، والبعض على أنه من بني إسرائيل، وهو ابن عم إليسع وقيل هو يسر بن العازار بن هادان وغير ذلك.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: 124 ـ 125] أي تعبدون بعلًا وصنمًا وتطلبونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ وتتركون ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصَّافات: 125].

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ نصبه إما على المدح أو على أنه صفة الأحسن ﴿وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصَّافات: 126] الأقدمين في الأدوار والأكوار.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي الياس الذي دعاكم إلى التوحيد وعبادة اللّهِ ومعرفته أن تدعو الخلق إلى الحقِّ، والخضر وهو صاحب الأدوار النورية أيضًا يدعو الخلق إلى الحقِّ، إلا أنّ دعوة الناسِ الذي هو صاحب الكورة إنما تدعو إلى بر الشرائع ودرر أحكام النبوة، ودعوة الخضر إنما تكون إلى بحر المعارف الإلٰهية والآخر الولاية وأسرارها وصاحب جمعيتها إنما يدعو إلى الوحدة والكثرة وجمعيتهما وإن الولاية والنبوة ومعيتهما قال النبي ﷺ عنهما: «**الخضر في البحر وإلياسِ في البر يجتمعان كل ليلةِ عند الردم**» الذي بناه ذو القرنين بين الناسِ وبين يأجوج ومأجوج ويحجّان كل سنة ويشربان من زمزم، فلا يكون لهما مطلب ولا يعرف لهما موضع معين فيقصد، بل هما سياران ودواران ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصّافات: 127] في النار ودار البوار.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الصّافات: 128] مستثنى من واو محضرون.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الصّافات: 129] أي حضر الأمر عليه إلى آخر الأدوار ونهاية الأكوار.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصَّافات: 130] أهل الناس وما ينسب من الأعيانِ الظلية الصريحة والنورية تبعًا قيل هي لغة في إلياس كإسماعل في إسماعيل وميكائل في ميكائيل قيل وهي جمع أراد به إلياس وأتباعه من المؤمنين، فيكون بمنزلة الأشعريين والأعجميين، وفي صحف عبد الله بن سلام على إدراسين أي إدريس وأتباعه، وإنّ إدريس لمن المرسلين.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [الصّافات: 131] في نشأت الأكوار ودورات الأدوار.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا﴾ [الصَّافات: 132 ـ 135] امرأته ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الصَّافات: 135] الباقين في العذاب.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الصَّافات: 136] وأهلكناهم في آخر الأمر وعاقبته.

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ﴾ يا أهل مكة ﴿عَلَيْهِم﴾ أي على آثار أهل لوط ورسومهم ومنازل حركاتهم ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ [الصَّافات: 137] وقت الصباحِ وباللّيلِ أي استقر مرور

أهل مكة ليلًا ورواحًا ونهارًا وصباحًا.

﴿وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٣٨﴾

﴿وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٣٨﴾ [الصّافات: 138] أي ليس فيكم عقل تعبرون به.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩﴾

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ﴾ الأنبياء ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصّافات: 139].

﴿إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠﴾

﴿إِذۡ أَبَقَ﴾ وفر وفلت وهرب ﴿إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ [الصّافات: 140] المملوء من الناسِ والدواب والأجناسِ والأمتعة قال ابن عباس كان يونس أوعد وخوف وأنذر قومه لحلول العذاب ونزول البلية والعقاب، فلما تأخر خرج من بينهم فعمد البحر قاصدًا ليركب الفلك فركب السفينة فأحبست السفينة ومكثت ولم تجرِ قال الملاحون: هاهنا عبد آبق من سيده.

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١﴾

﴿فَسَاهَمَ﴾ وقرع أهل السفينة واقترعوا فوقعت القرعة على يونس ثلاث مرات، فقال يونس: أنا عبد آبق وزح وزجر نفسه وطرحها في الماءِ ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ﴾ [الصافات: 141] مِن المفرغين فلمّا زجّ نفسه في البحر وطرحها فيه

﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾

﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ﴾ وابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الصّافات: 142] ملوم نفسه ووبخها.

﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾

﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ [الصّافات: 143] الذاكِرين للّهِ بالتسبيح بقوله لا إلّه إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالِمين نفسه بالإباقِ.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾

﴿لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ﴾ ومكث ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصّافات: 144] حيًّا وقيل ميتًا وصار بطن الحوت قبرًا له إلى يوم القيامة.

﴿ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ ﴾

﴿ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ ﴾ أي طرحناه بالأرضِ الخالي عن الكلاءِ والأشجار والنباتِ والبقول والأزهارِ والحشاش والأنوارِ، واختلف في مدة المكث وقال بعضهم: ثلاثة أيام أو سبعة أو عشرة أيام أو أربعون ﴿ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴾ [الصّافات: 145] مما ناله في البطن قيل صار بدنه كبدن الطفلِ.

﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ ﴾

﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ ﴾ شاخصة مظلّةً ﴿ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾ [الصّافات: 146] أي قرع قيل هو كل شجرة تبسط على وجه الأرض ولا يقوم على ساقه على وزن التفعيل، من قطن بالمكانِ إذا أقام به، والأكثر على أنه كانت الدباء غطت بأوراقها من الذباب، فإنه يقع عليه، يدل على ذلك إنه قيل لرسول الله ﷺ إنك تحب القرع قال: «**أجل هي شجرة اختفى يونس فيها**»، وقيل هي شجرة التين يُغطى بورقها ويستظل بأغصانها ويفطر على ثمارها.

﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ ﴾

﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ ﴾ نفر من قومه الذين هرب عنهم وهم أهل من أرض موصل، قيل أن يصيبه ما أصابه، قيل إرساله كان بعد الخروج من بطن الحوتِ، أو إرسال ثانٍ إليهم أو إلى غيرهم ﴿ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴾ [الصّافات: 147] على مائة ألف في بادئ النظر إذا نظر إليهم في أول الأمرِ قيل هم مائة ألف أو أكثر قرئ بالواوِ.

﴿ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨ ﴾

﴿ فَـَٔامَنُواْ ﴾ [الصّافات: 148] يعني القوم الذي أرسل يونس إليهم بعد معاينةِ العذاب ﴿ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ ﴾ أي جعلناهم محظوظين ﴿ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [الصّافات: 148] ووقت معلوم وأجل مرسوم.

﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩ ﴾

﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ ﴾ أي فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ وتعبير ﴿ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ ﴾ [الصّافات: 149] أي الأولاد والإناث أي التي شرفهم دون شرف الذكور

﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الصافات: 149] وذلك أن جهينة وهي سلمة بنت عبد الدار زعمت أنّ الملائكة بنات اللّهِ فإنهم جعلوا للّهِ البناتِ ولأنفسهم البنين.

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الصافات: 150] حاضرون أي خلقناهم في حضورهم وهم عليهم شاهدون.

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ وافترائهم وتعمدهم في الكذب على اللّهِ ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [الصَّافات: 151].

﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ بيان الإفك وتفسيره ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصَّافات: 152] على اللّهِ.

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿أَصْطَفَى﴾ الله ﴿ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ [الصافات: 153].

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [الصافات: 154 ـ 156] بأنّ للّه ولدًا إناثًا وهذا جهل مركب وفرية بلا مرية عليه سرت فإنه كان لكم عليه حاكم وكتاب ناطق جازم.

﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ أي الذي حجتكم فيهِ وبرهانكم وبينتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الصَّافات: 157] في دعواكم وجازمين في صدق دعائكم.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ﴾ أي بين الملائكة سماهم بالجنة لاجتنابهم عن الأعينِ والأبصار قال ابن عباسٍ طائفة وقوم من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم إبليس قالوا هم بنات اللّهِ ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ [الصافات: 158] أي الذين هم

قابلوا القول ﴿لَمُحۡضَرُونَ﴾ [الصّافات: 158] في النارِ وعذاب دار البوار ثم نزه الله تعالى ذاته ونفسه عما قالوا فقال:

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩﴾

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩﴾ [الصّافات: 159] بالولدِ والتوالِد والنسب والتولد.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠﴾

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠﴾ [الصّافات: 160] قد مرت صورة الاستثناءِ.

﴿فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ١٦١ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾

﴿فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ١٦١ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ [الصّافات: 161 - 162] الضمير المجرور عائد إلى اللّهِ فبنيت بناء اسم الفاعِل جمع فاتن من الفتنة وهو العذاب، والمراد هنا سببها أي الضلالة والإضلال لما ذكر فساد الكفر وبطلانه أراد أن يبين أنهم لا يقدرون على حمل أحدٍ على الضلالةِ إلا إذا كان حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع فيه يعني إنكم وما تعبدون أي مع معبودكم ما أنتم وهم جميعًا بفانين على اللّهِ إلا أصحاب النار الذي سبق في علم اللّهِ كونهم من أهل النار يعني إنكم ومع آلهتكم وقرنائكم وأصحابهم لا يتركون عبادتها ما أنتم ساعين أو حاملين إياهم على طريقة الفتنة والإضلال إلا من هو ضال مثلكم وقد علم من هذه أنه لا تأثير لإغواءِ الشيطان ووسوسته في الضلالة وإنما التأثير قضاء اللّهِ وحكمه وقدره.

﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾

﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾ [الصّافات: 163] أي إلا من كان كذلك تصريح بأنّ المقتضى لوقوع هذه المحدثاتِ إنما هو حكم اللّهِ وكان بن عبد العزيز يحتج بهذه في إثبات هذا الطلب أي من قدر اللّهِ أنهم سيدخلون النّار الحميم والدار السعير الجحيم أي سبق له في علم اللّهِ وحكمه الشقاوة.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤﴾

﴿وَمَا مِنَّآ﴾ من أحدٍ وشخص وفرد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الصّافات: 164] ومرام

مرسوم اعتراف من الملائكةِ بربوبية اللّهِ وألوهيتِه أي ليس أحد من بني نوعنا من جنس الملكِ، إلا له في خزائن علمه ودقائق تقديره وقضائه وحكمه مقام معين، أي حال ومآل مبين في المعرفة والعبادة وفي القرب والسعادةِ والبعدِ والشقاوة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الصّافات: 165] في أداءِ الطّاعة وقضاء العبادةِ ومراتب الشهود والمشاهدة وفي الوفاءِ بالعهودِ والمعاهدة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصّافات: 166] المنزهون للّهِ عما لا يليق به قيل الأول إشارة إلى تفاوت درجاتِهم في الطّاعاتِ وتغارير مقاماتهم وحالاتهم في المعارف والعباداتِ وأما واللام وتوسيطه التفصيل بين أداة التأكيد والاختصاصِ فيدل على المواظبة على الذكر والتسبيح من غير فترة وذهول غفلة.

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الصّافات: 167] أي مشركو قريش.

﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ﴾ الأعيانِ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصّافات: 168] وكتبنا من كتب الأقدمين.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الصّافات: 169 - 170] وبكمال العلمِ والدرايةِ المتخصصين.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصّافات: 171] أي وعدنا لهم بالنصرِ والغلبة والظفر والقهرِ على الأعداءِ.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصّافات: 172] أي عبادنا المخلصُون ورسلنا

المتخلصون عن شوائب الكفر والشركِ والظلمة.

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾

﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ الغيبية وعساكرنا الشهادية والغيبية ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصّافات: 173] لهم الغلبة والاستيلاءِ والقهر والاستعلاء على الخصماءِ والأعداءِ يقول:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٤﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي عن الأعداءِ ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الصّافات: 174] أي حين النصر والظفر على الأعداء أعني يوم بدر وسائر الأحايين إلى يوم القيامةِ والحشرِ.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٥﴾

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٥﴾ [الصّافات: 175] أي وأنزلهم العذاب حيث أبصروا وأدركوا العذاب بحسن البصرِ.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ١٧٦﴾

﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾ ويحلون عقابنا ﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الصَّافات: 176].

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ١٧٧﴾

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ العذاب وحل العقاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ وقضاء فناء عرصةِ دارهم وقطع وجزم بانتفاءِ استراحهم ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: 177] أي ضلّ وأصبح صباح الذين أنذروا ظلامًا وأيضًا مساءً.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٨﴾

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٨﴾ [الصّافات: 178] على ما تقتضي الدورة النورية الجمالية والكورة الظلية الجلالية، فالأول إشارة إلى الثاني والثاني إلى الأول.

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٩﴾

﴿وَأَبْصِرْ﴾ العذاب يقتضيه دورة النور والجمالِ كما أبصرت العذاب الذي يقتضيه كورة الظل والجلال الضمني ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصّافات: 179] في انتهاءِ اقتضاءِ الدّورة وانقضاء ارتضاء الكورة.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾

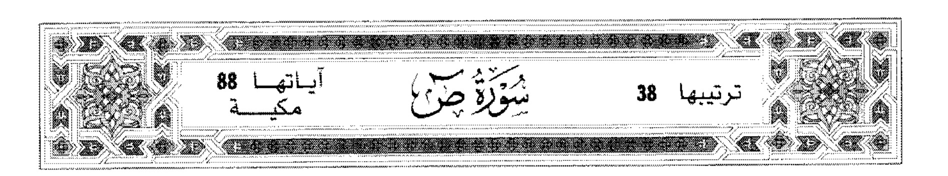
﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ [الصّافات: 180] على ما يقتضيه النور والجمال.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصَّافات: 181 - 182] على ما يقتضيه الظل والجلال عن النبي ﷺ: «**من قرأ والصافات أعطي من الأجرِ عشر حسناتٍ بعدد كل جني وشيطان وباعدت منه مردة الشيطان وبرأ من الشرك**».

قال علي رضي الله عنه: من أحبّ أن يكتال بالمكيالِ الأوفى يوم القيامةِ فليكن آخر كلامه من مسبحه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ إلى آخر السورة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي صير صاد جبل وجود رسول الله ﷺ في مكة عالم الناسوت قرار الأعيان مرتبة الكائناتِ ومداد الأكوان مرتبة المكوناتِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي جعل الجزاء الأفضل أعني داوود الروح إمامًا وظيفةً في مصر البدنِ ومدينة الحسدِ لانتظام أحوال ممالِك أطوار سلطانِ القلبِ لتحصيل أنوار أسرار عالم الشهادةِ والغيبِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذين أودع . . .

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢﴾

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢﴾ [ص: 1 ـ 2] أي المخالفين الّذين فسقوا وخرجوا على هذه الدولةِ من الروم إلى الشام ومصر وغيرهم من الأعراب والأعجام في بضع سنين مع أنهم كانوا في عزة ومنعة وغلبة وشقاق في حالة الصحةِ ومرضِ الشقاقِ، وجاءت هذه في حقهم ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء: 97].

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣﴾

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾ [ص: 3] التكثير ووعيد على كفرهم به استكبارًا أو شقاقًا واستنكارًا أو مكابرة وعنادًا فإنّ اللّه قد أودع جميع الأسرار الإلٰهية وأبدع تمام الأنوار الكونيةِ والحقائق الربوبية وعموم الحوادثِ الزّمانية والحوادث

الكنانية على طريقة اللزوم والملازمة بأن جعل الله تعالى بعضها مرتبطًا ببعض لعلاقة وعلّية بينها بأن لو ذكر أو تعقل أحدهما إلى الآخر انتقالًا عقليًا أو وهميًا أو عاديًا ﴿فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: 3] استغاثةً وعادوا فيها استعانةً أو قوة واستغفارًا، ولا مشابهة بليس، زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وخصت بلزوم الأعيان وحذف أحد المعمولين وقيل هي النافية للجنس أي لا حين مناصٍ منجى ومخلصٍ أو مؤخر مصدري ناص ينوص إذا تأخر أو ناص ينيص إذا تقدم.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾

﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾ أو وقعوا في التعجب بأنه خلاف ما أطبق عليه وتطابق واتفق وتوافق لديه آباؤنا وما نشاهده من أن الواحد لا يفي عمله قدرته ومشيئته وإرادته في خلقِ الأشياءِ المتخالفة ﴿أَن جَآءَهُم﴾ رسول ونبي ﴿مُّنذِرٌ﴾ وهو بشر مثله هم ﴿مِّنْهُمْۖ﴾ من جملتهم ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وضع المظهر موضِع المضمر غضبًا عليهم وإشعارًا بأنّ كفرهم مبني على هذا القول ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ﴾ في إظهار معجزاته ﴿كَذَّابٌ﴾ [ص: 4] فيما يقول على اللّهِ وعدًا ووعيدًا.

﴿أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾

﴿أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ﴾ التي وجدنا عليها آباؤنا ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ﴾ وربًّا متحدًا ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [ص: 5] الأمر الذي جعل الآلهة إلٰهًا واحدًا وإسناد الأفاعيل كلها منه الخيرِ والشرِّ والنفع والضر إليه ﴿لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: 5] بالِغ في العجب في النهاية إذ هو خلاف ما أطبق عليه ومخالف لما اتفق لديه آباؤنا ومستبعد جدًّا من الواحِد، لا نفي علمه وقدرته وإرادته ومشيئته في إيجاد الأمور الكثيرة المتخالفة وتدبيرها من السماواتِ والأرضِ وما فيها وخارج عنهما من طبقات الأفلاك والأملاكِ، روي أنه لما أسلم عمر ودخل في زمرة المسلمين واتفق بالمؤمنين شق ذلك على قريش فأتوا أبا طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا ورئيسنا ورأسُنا وأنت تعلم ما يفعل هؤلاء السفهاء أو الفرق الجهلاء وإنا أتينا لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فاستحضر رسول الله ﷺ وقال: هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل إليهم كل الميل فقال: «**ما يألونني**» قالوا: ارفضنا وارفض ذكر آلهتك فقال: «**أرأيتم؟ إن**

أطعتوني فأتوني بكلمة واحدةٍ تملكون بها العرب وتدين لكم العجم» قالوا: نعم، قال عليه السلام: «**قولوا لا إلَه إلا الله**» فانطلق وذهب الملأ أشراف قريش من مجلس أبي طالب.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ إلى ما أنتم عليه ﴿وَٱصْبِرُوا۟﴾ واثبتوا ﴿عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ وعلى عبادتها ولا ينفعكم مكالمته لأنه يدعوكم إلى إلٰهه ويأمركم بترك عبادتكم آلهتكم وإن هي المفسرة ﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ الأمر الذي يدعيه من التوحيد ورفض الآلهة ﴿لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: 6] بيننا وبينك من ريب الزمانِ أو التوحيد أو ما يقصده من الرياسةِ والتفرع والسعادة على العرب والعجم.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾﴾

﴿مَّاسَمِعْنَا بِهَـٰذَا﴾ الأمر الذي يدعيه ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ التي تركنا عليه آباؤنا أو في ملّة عيسى التي هي الملك ونهاية النحل أو حال من هذا أن ما سمعنا من أهل الكتابِ ولا الكهان بالتوحيد كائنًا في الملة المترقبة ﴿إِنْ هَـٰذَآ﴾ الأمر الذي يدعيه من التوحيد ﴿إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ﴾ [ص: 7] أي كذب محض وافتراء طلق اختلقه واخترعه وتعمده بنفسه.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ مع أننا وهو في درجة واحدة بل نحن أحق لتمولنا وفضلنا عليه بالمال والجاه والمنال فاختصاصه من بيننا به تحكم ولا يعلمون الله، يعلم ما يسرون وما يعلنون، وبيده مقاليد السماوات ومفاتيح خزائن الأرضِ والسعادات يختص برحمته بأمره وعموم نعمته بإذنه من يشاء من عباده ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ أي ليس لهم استحقاق الوحي في ارتيابهم في مبدئه بل في منزلِه ومبدئه، وهو القدرة الكاملة والإرادة الشاملة إذ لو اعتقدوا الخالق القادر على كل شيء لما وقع عنهم الشكّ في الذكرِ والقرآنِ وفي إنزالِهِ على من يشاء من عباده ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [ص: 8] بكسر الباء الدال على حذف الياء يعني بل ارتيابهم وشكهم في القرآنِ أمر مستقر لا يزول عنهم إلى أن يذوقوا عذاب الشكِ،

فلما ذاقوا عذاب الشكِّ زال عنهم الارتياب والشك شرطًا وعلة.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾ [ص: 9] إشارة إلى عدم اعتقادهم بالحقِّ والحقائق إلى تنوع فساد حقيقتهم وعقيدتهم، فإنهم تارة يتشككون وتارة يدعون الألوهية لاستحقاق نزول الذكر عليهم، وتارة أن يكون عندهم خزائن الرحمةِ فيتصرفون فيها فيتخيرون للنبوة بعض أساطينهم ورؤسائهم وأسانيدهم، فالأمر ليس كما توهموا بل الوحي والقرآن عطية إلهية وموهبة ربانية يختص بها من يشاء من عباده في أنه بقعة في بلاده ويفضله على من يريد ويهب لمن يشاء ويزيد.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟﴾ ويتشككوا ويتصعدوا ويتسلكوا ﴿فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ [ص: 10] التي توصلهم إلى السماءِ فليأتوا بها في الوحي إلى من يختارون، هذا دعاء آخر منهم استدل حكماء الإسلام على أن الأجرام الفلكية وما أودع فيها من النفوسِ والقوى والخواص أسباب الحوادثِ السفلى بما أنّ اللّه تعالى سمى الفلكياتِ أسبابًا وذلك يدل على ما ذكر.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١﴾

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١﴾ [ص: 11] جند مبتدأ وما للإيهام كقولك بصور ما وبوجه ما وشعور ما، والظرف صفة له أي جند ثابت أي في ذلك الموضع الذي كانوا يذكرون هذه الكلماتِ الطّاغية الطاعنة في نبوة محمد ﷺ، وهو في مكة فيدل على أن المراد وهو فتح مكة، قيل هو يوم بدر أو الخندق والأحزاب من الأعراب التي اجتمعوا وهم الكفار.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢﴾

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ﴾ وثمودِ ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ [ص: 12] ذو الملك الثابتِ الأوتادِ في أكثر البلادِ وذو القوة الشديدِ والبطشِ المبتدأ السديدِ، أو ذو الجنود التي هي الجماعة الكثيرة، سمّوا بذلك لأن بعضهم يشدّ بعضًا كالوتدِ ليشد البناء، قيل كان يمد الرجل مستلقيًا على الأرض ثم

تشدّ يديه ورجليه ورأسه على الأرضِ بالأوتادِ.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣﴾

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [ص: 13] هم قوم شعيب أي الأشجار المؤتفكة المتكاثرة، وإنما أهلك الله هذه الأقوام سنة بالغرق والطوفان قوم نوح وقوم عاد أعني عاد بالريح وثمود قوم صالح بالصيحةِ، وقوم لوط بالخسف، وقوم شعيب بعذاب الظلة، والأقباط قوم فرعون بالغرق في النيل.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾ [ص: 14] بكسر الباءِ الدال على الياءِ أي وجب عليهم ونزل لديهم عذابي.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝١٥﴾

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي كفار مكة أو مطلق الكفرة إذ مورد الآية وإن كان خاصًّا إلا أن حكمها عام ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي نفخة الصور ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: 15] بضم الفاء وفتحها فالأولى قراءة بني تميم ولغتهم والثانية لغة جرهم بمعنى الراحةِ والإفاقة كالعقاب بمعنى الإجابةِ إذ ذهاب المرض الأول ما بين الحياتين فوافق أي العذاب لا يمهلهم بذلك القدر من الزمان والوقت ما لها من مقدار صوت فواق ومكثه.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝١٦﴾

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي قسطنا وحصتنا من العذاب، كناية وقرطاسية أي صحيفة الأعمالِ ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: 16] أجْرِ. قيل: لما نزلت ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧﴾ [الانشقاق: 7] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: 25] قالوا استهزاءً عجل لنا قطنا وكتابنا في الدنيا، قيل يوم القيامة والحساب، قيل حظنا أو نصيبنا من الجنةِ.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧﴾

و﴿ٱصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي الكفار من تكذيبك والاستهزاء بك وبكتابك ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص: 17] أي واذكر لهم قصة داوود تعظيمًا للمعصية

في أعينهم وتكريمًا لعبادِ اللّهِ في كمال إشفاق الحقّ في حقهم، فإن الأنبياء مع كونهم معصومين من الصغائر والكبائر تنتفي صدور المعصية منهم فما ظنك بالأولياء والأحياء، سيما من وقع في رتبة المحبوبين ومرتبة المجذوبين، فإنهم إن اتفق أن يصدر منهم المعصية والذنب ويظهر عنهم الإثم من الكبيرة والنقصان والريب والعيب، فإن اللّه يغفر لهم ويعفو عنهم إذا تابوا إليه وأنابوا عنده ولديه ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي ذا القوة الكاملة والقدرة الشاملةِ والحكمة الواصلة ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17] رجَّاع وأياب وذوا إياب إلى الله ومرضاته فإنه كان كثير الاستغفار والاسترجاع والاستبشار، وأحب الصلاة والصيام وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ أي أطعنا الجبال به لنا أو أطعناه بالجبال لحكمنا وقضائنا، كما قال وسخرنا مع داود الجبال ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ يشتغلن بتسبيح الله وتنزيهه وتبعيده عن كلّ نقصٍ لا يليق بحضرته ولا يحيق بنعت ألوهيته وصفة ربوبيته ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: 18] أي وقت العشي وحين الإشراق أي إذا أشرقت الأرض بنور الشمس ألوهية وطلوعِها وارتفاعِها إلى أن بلغت حد الضحوة وعن أم هاني بنت أبي طالب أنه عليه السلام صلى صلاة الضحى فقال: يا أم هانىء هذه صلاة الإشراق عن ابن عباسٍ رضي الله عنه ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية.

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: 19] من كل جانب إليه ومن أي بعد وقطر لديه، عطف على الجبالِ، أي وسخرنا الطير محشورة قال ابن عباس كان داود إذا سبح سبح به الجبال، اجتمع معه الطيور وحشرت وسبحن معه والأشياء كلها يسبحن الله لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44] فالأشياء كلها ذوات عقول وتمييز يناسبُها، وإنما لم يراعِ المطابقة بين الحالين لأن الحشر جملة أدلة على كمال القدرة ووفور القوة منه مدرجًا، وقرئ بالرفعِ بالابتداء والخبر ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 19] أي كل واحدٍ من الجبالِ والطيور رجاع إليه لأجل التسخير والفرق بينه وبين ما قبله أنه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها أو كل واحد منها ومن داود مرجع لله التسبيح.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ نبوة والحكومة والعلم وأبواب العلم ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: 20] وقطع الخصوماتِ ليتميز الحق عن الباطِل والكلام المحض الذي ينبه المخاطب على المقصودِ من غير التباسِ يراعِ فيه خطاب الفصل والوصلِ والعطف والاستئناف والإضمار والإظهار والحذف والتكرار، وإنما سمي به لأنه يفصل المقصود عما سبق مقدمة من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه اختصار مخل وإيجاز مضلّ وإشباع مملّ كما جاء في الحديث في وصف كلام الرسول ﷺ لا نذر ولا هذر.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١﴾

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ استفهام فيهِ التعجب والتشويق إلى استماعه والخصم في الأصلِ مصدر، ولذلك أطلق للجمع ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: 21] إذ تصعدوا سور الغرفة متعلق بمحذوف أي نبأ يحاكم خصم إذ تسوروا بالبناءِ على المراد به في عهد داود، وإسناد إنا إليه على حذف مضافٍ، أي قصة نبأ الخصم، أو بالخصمِ لما فيهِ من معنى الفعل لا يتأتى لأن إتيانه الرسول عليه السلام لم يكن.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝٢٢﴾

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ بدل من الأولى أو ظرف لتسوروا ﴿فَفَزِعَ﴾ داوود ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من كل واحدٍ منهم دخلوا ونزلوا لديه من فوق في يوم الأحزاب والمجرمين على الثباتِ لا يتركون من يدخل عليه، فإنه عليه السلام كان قد قسم زمانه يومًا للعبادةِ ويومًا للتقضي، ويومًا للوعظ، يومًا اشتغال لحاجته، فتسور عليه ملائكة على صورة الإنسان في يوم الخلوةِ ﴿قَالُوا۟﴾ أي الملائكة ﴿لَا تَخَفْ﴾ [ص: 22].

واعلم أن للناسِ في هذه القصةِ ثلاثة أقوال:

أحدها: ذكر هذه القصة على وجه يدل على صدور الكبيرة عنه.

والثانية: دلالتها على الصغيرة.

والثالثة: ذكر قصته بحيث لا يدل على الصغيرة ولا على الكبيرة.

أما الأول: فحاصل الكلام أن داوود عليه السلام عشق امرأة أوريا فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها فأرسل الله إليه ملكين في صورة المتخاصمين في واقعةٍ شبيهة بواقعته وعرضا عليه تلك الواقعة فحكم داوود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبًا ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبةِ.

وفائدة الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها ليكون داعيًا إلى الإصغاء لها والاعتبار بها، وقول إن هذا الانتساب مما ما يرضى به بالنسبة إلى واحدٍ من الناسِ فكيف إلى من هو أشرف زمانهم وأفضلهم وعصمه من الصغائر والكبائر، إن اللّه أمر حبيبه بأن يقتدى على المصابرة على المكاره وعلى طاعة الله، فالأولى أن يحمل على الثالث لا تخف يا داوود حيث أتاك للحكومة ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ﴾ وطغى ﴿بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم﴾ يا داوود ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ والعدل من غير حيف وميل ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ من الشط وهو الإفراط في البعد ويعبر عن الجورِ وعن البعد عن الحق مأخوذ من شط النهر حيث يبعد عن الماءِ من حافته، أي ولا يظلم ولا تبعد عن الحقِّ في الحكمِ والتظلم، ولا تجاوز عن الصواب في الحكومةِ ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: 22] أي شدنا وثبتنا على وسطه.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ للدين في الدينِ وعلى طريقتي وسبيلي وسيرتي اجتلاب بشرف حكم اليقين باكتساب السعادة في يوم الجزاءِ ويوم الدينِ ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ ضأنة ومعز، والعرب تكني بالنعجة عن المرأة إشارة إلى داوود عليه السلام ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أعطينها واجعلني كافلًا وهو الذي يعني بها وينفق عليها أي طلبها لا تزوجها ﴿وَعَزَّنِى﴾ وغلبني عزيزًا غالبًا ﴿فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: 23] أي في مخاطبتها ومكانتها بأن جاء بحجاج لم أقدر بردها أو في مغالبته إياي في الخطبة، فقال خاطبت وخطبت المرأة وخطبها وهو يخاطبني خطابًا حيث زوجها دوني.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ أخوك ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ مضمومة جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في إنكار فعل خليطه ولتبين طمعه، ولعله قال ذلك بعد اعترافِه أو على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر إلى تضمنه معنى الإصغاء ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي﴾ ويظلم ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الشركاء الذين خلطوا أموالهم جمع خليطٍ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ فإنهم لا يظلمون أحدًا لأن كمال الإيمانِ يردع المؤمن عن ارتكاب الظلم سيما إذا قارن به العمل الصالح ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ﴾ أي هم قليل ما صلة أو تأكيد بمعنى التنكير والإبهام ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ وأيقن وعلم وأتقن وأحكم علمه علمًا يقينًا ﴿أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ﴾ وابتليناه ابتلاءً شديدًا وامتحناه امتحانًا سديدًا ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لذا نبه الصعاد رغم صدور الاختيارِ ﴿وَخَرَّ﴾ وسقط ﴿رَاكِعًا﴾ ساجدًا والمراد هو قصد الهوي إلى أن بلغ حد الركوع ثم سجد ﴿وَأَنَابَ﴾ [ص: 24] فرجع إلى الله بالتوبة وعاد إليه بالإنابةِ والتبتيل والحوبة.

فلما كان الأنبياء معصومين من الكبائر والصغائر قيل أنّ ذنب داوود إنما كان لأنه تمنّى أن يكون امرأةً أو رياء وخبت فاتفق الغذاء فقدم داوود في ذلك الغذاء ليقتل ويتزوج امرأته فلما قفل ووصل خبر قتله ولم يجزع عليه كما كان يجزع على قتل الأحياءِ والعساكِر والأنصارِ والأعوان، فلما تزوج امرأة أوريا ابتهاجًا به ومسرة له عاتبه الله على ذلك بأن عيّن الملكين ليرفع هذه الصورة إلى داوود توبيخًا وزجرًا على تمني تزوج تلك المرأةِ وهذا الأمر وإن كان في الصورة صغيرًا إلا أنه في الحقيقة والمعنى لكبير لاشتغال قلبه بما سوى اللّهِ وتوجهه إليهِ، قيل كان ذنبه أن أوريا كان قد خاطب تلك المرأة ووطّن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داوود فتزوجت منه فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لغيره وعنده تسعة وتسعون امرأةً.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ يقول: «**إنّ داوود حين نظر إلى المرأة**

فأهمَّ ما همَّ فأوصى صاحب البعثِ وقال: إذا حضر العدد تقرب فلانًا وفلانًا بين يدي التابوتِ، وكان التابوت في ذلك الزمانِ يستنصر به من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش، فقتل زوج المرأةِ فنزل الملكانِ يقصانِ عليه قصتها ففطن داوود فسجد ومكث أربعين ليلة ساجدًا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جنبيهِ، وهذا يقول في سجوده زلّ داوود زلةً بما بين المشرق والمغرب، لم ترحم ضعف داوود ولم يغفر ذنبه أحدًا في الخلقِ من بعدِه. فجاء جبرئيل من بعدِ أربعين ليلةً فقال: يا داوود إن اللّه قد غفر الهم الذي هممت به، فقال داوود الربّ قادر على أن يغفِر لي الهم الذي هممت به، وقد عرفت أنّ اللّه عدل لا يميل، فكيف يميل بفلان جنديًّا إذا جاء يوم القيامةِ فقال في الذي عند داوود، فقال جبرئيل ما سألت اللّه يا داوود على ذلك فإن ثبت لأفعلن فقال: نعم، ففرح جبرئيل وسجد فمكث ما شاء ثم نزل، فقال سألت اللّه يا داوود عن الذي أرسلني فيهِ فقال قل لداوود إنّ اللّه يجمعكما يوم القيامةِ فيقول له هب حرمك الذي عند داوود، فيقول هو لك يا رب، فيقول فإن لك في الجنةِ ما شئت وما اشتهيت عوضًا، قال بعضهم: إن داوود لما دخل عليه الملكانِ فقضى على نفسه فتحولا في صورتهما فخرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسِهِ، وعلمه داوود إنما عنى به فخرّ ساجدًا أربعين ليلةً لا يرفع رأسه إلا لِحاجة ولوقتٍ بالصلاة المكتوبة ثم يعود ساجدًا إلى أن يتم أربعين يومًا لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه ويناجي إلٰهه ويسأله التوبة ويحاولُ منه الإيابة. وكان من دعائه في سجوده: سبحان الملكِ الأعظمِ الذي يبتلي الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور، سبحان الحائل بين القلوب، إلٰهي أنت خلقتني فكان في سابقِ علمِك ما أنا إليه صائر، سبحان الله خالق النور إلهي خليت بيني وبين عدوي إبليس إلهي الويل الويل لداوود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داوود الخاطِئ، سبحان خالق النور إلهي بأي عينٍ أنظر إليك يوم القيامةِ وإنما ينظر الظالمون من طرف تبقى بأي قدم يقوم بين يديك يوم القيامة يوم يزل الأقدام من الخاطِئين، سبحان خالق النور، إلٰهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عندِ سيدِه، سبحان خالِق النور إلهي أنا الذي لا أطيق حر نارك سبحان خالِق النور إلٰهي أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي».

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ الذي اقترفه ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي القرب يعني القرب أي العلم بالقرب ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: 25] أي جنة وشهود وجه اللّهِ ولقائه.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ونائبًا عنا في التصرف في الكون ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ بالقسطِ والعدل والانتصاب لا بالمزية ولا الفضلِ والجود والاعتسافِ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي مثل النفس الأمارة وهواها أي مشتهياتها ونيلها إلى مرضاتِها ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وطريق الحقِّ والوسطِ المحقق وهو الدين والإسلام إنّ الدِّين عند اللّهِ الإسلام ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: 26] بسبب نسيانهم في الدنيا يوم القيامةِ التي فيها الحساب ويعطى فيها الأجر والثواب ونعطى فيها العقابِ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [ص: 27] في بحر من الكائناتِ وهو ثواني النجوم من الرعد والبرقِ وذوات الأذناب في طبقاتِ العناصر وكرة البخارِ والهواء والنارِ من مارج من نار والجان خلقتا من قبل من نار السموم (باطلًا) لا يكون فيه حكم ومصالحِ فيكون عبثًا وضائعًا وضلالًا بلا فائدة.

حكي عن الله تعالى: لما تاب على داوود وقبل منه التوبة بكى على خطيئته ثلاثين سنةً لا ترقأ دموعه لا ليلًا ولا نهارًا وهو ابن سبعين سنةً فقسم أوقاته على أيام، يوم للقضاءِ بين بني إسرائيل، ويوم لنسائِه، ويوم يسبح فيه في الفيافي والجبال والساحِل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة ألوف فيجمع إليه الرهبان لينوح وتبكي معه الشجر والطيور والمياه والسباع فإذا أسى رجع، فإذا كان يوم يوجبه على نفسه نادى مناحة على نفسه أن اليوم يوم نوح داوود على نفسِه

فليحضر من يشاهده فيدخل الغار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاثة فروشٍ من مسوح حشوها ليف فيجلس عليه ما يرتجي أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داوود صوته بالبكاءِ والنوح على نفسِه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى ينحر الفرس في دموعه ويقع داوود فيها ينشد الفرجِ وهو يضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيحمل داوود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول: يا رب اغفر ما يرى فلوعدل بكاء أهل الأرض لعدل ما شرب داوود شربة ماءٍ ولا يأكل لقمةً من الطعام إلا وفيها دموع ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخلق الباطِل أو المظنون العاطل ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ من أهل مكة ومطلق الكفار ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: 27].

﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾

﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ منقطعة والاستفهام فيه إنكار التسوية بين المجرمين والمؤمنين المتقين ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: 28].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾

هذا ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾ كثير المنافع كبير المجامِع ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ويتفكروا في معظمِ بيناته ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: 29] ليتعظ أرباب النهي وأصحاب العقول السليمةِ في القطرة الأولى.

﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾

﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ تكريمًا وتعظيمًا ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ أي سليمان وما بعده تعليل للمدح ولذا حذف المخصوص به وهو من حالِه ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30] أي داوود رجاع إليه مبتغى الثواب لديه.

﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١﴾

﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ﴾ أي على سليمان ﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾ في العشاء ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ [ص: 31]

جمع صافنة وهو الخيل الذي يقوم على ثلاثِ قوائم وهو من الصفاتِ المحمودةِ في الخيول الصفوف القيام وجاء في الحديثِ: «**من سرّه أن يقوم له الرجال صفوفًا فليتبوأ مقعده من النارِ**»، ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ [ص: 31] جمع جواد وهو من الجودةِ وهو السابق والمعنى إن استوفت سكنت، وإن ركضت سبقت فعرضت الخيول لسليمان ففتنته لصلاةِ العصرِ بعد غروب الشمسِ فتنبه فندم.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَقَالَ﴾ اعترافًا بذنبه وقال سليمان بعد الانتباهِ عن نوم الغفلة ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ آثرت واخترت ودّ الخيل ومحبتها، والمراد من الخير هو الخيل، وإنما سميت خيرًا لأنه معقود بناصيتها الخير كما ورد في الحديث: «**الخيل معقود في نواصيه الخير إلى يوم القيامة**»، ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: 32] حتى توارت الشمس وغابت واختفت بحجاب الأفقِ الحسيّ أو الحقيقي.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿رُدُّوهَا﴾ أي الصافنات ﴿عَلَيَّ﴾ أقعدوها بين يدي وهو مفعول فقال ﴿فَطَفِقَ﴾ أي أخذ سليمان أي يمسح فيقطع ﴿مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: 33] وقطعًا يعني أن سليمان لما اشتغل بالصافناتِ ومشاهدتها وضبط أحوالِها إلى أن توارت الشمس وغربت وفاتت منه صلاة العصرِ استردها وأمر بذبحها وقطع سوقها وأعناقها بالسوق لشغلها عن ذكر ربه وتصدق بلحومِها لتأثير محبتها وتأثر مودتها في قلبه بأن شغلته عن القيام بأمر ربه ولا دواء لدفع الداءِ لا ذلك. قال النبي ﷺ: «**كل ما شغلك عن ذكرِ ربك فهو دنياك وحب الدنيا رأس كل خطيئةٍ وترك الدنيا رأس كل عبادةٍ**».

ولما كان سليمان نبيًّا ابن نبي أيده الله تعالى بالنصرِ والظفر وسخر له الريح والإنس والجن، ومن شأنِ الأنبياءِ أن يعصمهم الله تعالى من الصغائرِ والكبائر فمن طعن في سليمان ونسب إليه الكبائر العظيمة الجسيمةِ فهو ناشئ من كمال عداوته وبغضه له، وقد وصل إليه ميراث من الآباء والأجداد بطنًا بعد بطن ونسلًا بعد نسل، إلى أن ينتمي إلى طائفةٍ من اليهودِ قد كانوا عادوا سليمان وكفروا إلى أن جاء الإسلام ونزل في حقه ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾

[البقرة: 102] فمن طعن في حق سليمان فهو من ثمرات تلك العداوة الموروثة قال النبي ﷺ: «**الحب يتوارث والبغض يتوارث**».

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: 34] وألقيناه في الفتنة بأنه لما سمع أن في مدينةٍ في جزيرة من جزائر العرب ملك له ملك عظيم ليس للناسِ إليه سبيل لتحصنه في البحر كان الله قد أتى لسليمان في ملكه سلطانًا لا يمنع عليه شيء لا في بر ولا في بحر، فأمر الله أن يركب الريح والفلك فخرج إلى تلك المدينة حتى نزل بجنود من الجن والإنسِ فاستولى عليها فقفل ملكه وسخر ملكه وأصاب فيما أصاب بنتًا لذلك الملك يقال لها جراده فلم يخلق مثلها في البلادِ محفوفة بالحب والودادِ فاصطفاها وآثرها ودعاها إلى الإيمانِ والإسلام، فأسلمت وأحبها حبًّا شديدًا لم ينجب أحدًا مثلها من نسائه، وكانت عنده على منزلة رفيعة ورتبة منيعةٍ لكنها كانت محزونة مهمومةً ومحنونةً لا يسكن حزنها ولا يستكن دمعها فشقّ ذلك على سليمان فقال ويحكِ ما هذا الحزن الذي لا يندفع والدمع الزارف لا ينقطع، قالت إني أتذكر أبي وما كان له في ملكه وما أصابه، قال سليمان إن اللّه أم أبوك وملكه أوسع أم ملك أبيك؟ قالت: الله وملكه أوسع، وهو باق وما سواه هالك فإذا قال: فما بالكِ لا تتبتلي إليه ولا تنقطعي عما سواه لديه لتبقي ببقائه وتبتهجي وتسري بمشاهدته ولقائه! فوطني نفسك بذلك الملك والمالك الباقي وبطني قلبك عما سواه وعالجي مرضاته بذلك الترياق والراق.

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي

إلا الحبيب الذي شغفت به وعنده رقيتي وترياقي

قالت: نعم إنه كذلك لكن بحكم حال البشرية وقرب العهد بذلك إني إذا ذكرته يطرأ عليّ بلا اختيارٍ وإرادة الحزن المتفاقم والهم المتراكم لا أقدر على دفعِه ولا أستطيع على رفعه لعلّ اللّه يحدث بعد ذلك أمرًا فلو إنك أمرت الشياطين لتصوروا إلى صورته في داري هذا لأتسلى بهذا ويكون لقلبي أمر يندفع به حزني ويرتفع به عني وينقطع به دمعي وحزني. فأمر سليمان الشياطين بتصوير صورة أبيها في داره فإذا خرج سليمان عن دارِها كانت تسجد لتلك الصورةِ على

عادتِها المستمرة وعبادتها المستقرة أربعين يومًا وهو لا يعلم هذه الحالة لإخفائِها إياها عنه، وقد اطلع عليها وزيره آصف بن برخيا فأخبر عنها سليمان فقام سليمان فكسر ذلك الصنم وعاتب تلك المرأة وقال: إنا للّهِ وإنا إليه راجعون. وقال: إن هذا لهو البلاء المبين والابتلاء المتين، ثم أمر بثياب المطهّرةِ فأوتي بثوب قد غزلها الأبكار ونسجها وخاطتها الأبكار ولا يغسلها إلا الأبكار ولم يمسها الحيض، فلبسها فخرج إلى فلاة من الأرضِ وحده فأمر برداء قد فرش وجلس على ذلك الرداء وتمعك فيه تذللًا للّه وتضرعًا إليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره، فلم يزل يعقل ذلك حتى أمسى ثم رجع إلى ذلك وكانت له أم ولدٍ يقال لها الأمينة كان إذا دخل مذهبه إذ أراد إصابة امرأةٍ من زوجة وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يمس إلا طاهرًا أو كان ملكه وسلطنته وتسخيره الجن في خاتمه، فوضع في ذاك اليوم عندها، ثم دخل مذهبه وأتاها الشيطان صاحب البحر اسمه صخرة على صورة سليمان فقال: يا أمينة أعطِني خاتمي، فناولته إياه فأخذه فجعله في يده ثم خرجا حتى يجلس على سبيله وعكفت عليه الطير والجن والإنس، فأتى لآمنة وغيرت حاله وهيئته فقال: يا أمينة أعطيني خاتمي قالت: من أنت؟ قال: أنا سليمان بن داوود قالت: كذبت، فدعا سليمان فأخذه وهو جالسٌ على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئة قد أدركته، فخرج فجعل يقفِ على دار من ذوي بني إسرائيل يقول: أنا سليمان بن داوود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون: انظر إلى هذا الرجل المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان، فلما رأى سليمان هذا الأمر عمد إلى البحرِ فكان ينقل الحيتان لصاحبِ البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى فأكلها، فمكث بذلك أربعين صباحًا عدة ما كانت عبدت الوثن في داره فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في ذلك الأيام فقال: آصف يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلافِ حكم سليمان بن داوود؟ قال: فما رأيت؟ قالوا: نعم، قال: أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهنّ هل أنكرتن في خاصية أمره ما أنكرنا في أمر عامة الناسِ وعلانيته، فدخل على نسائِه هل أنكرتن من أمر داوود ما أنكرنا فقلن: أنشده ما يدع امرأة منا في دمِها ولا

يغتسل من الجنابة فقال: إنا لِلّهِ وإنا إليه راجعون، ثم خرج على بني إسرائيل ما في الخاصة أعظم مما في العامة.

فلما مضى أربعين صباحًا ظهر الشيطان من مجلسه ثم مر بالبحر وقذف الخاتم فيهِ فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان وأخذ سمكتين وفي أحدهما خاتم سليمان فباع التي ليس فيها خاتم وأمسك ما فيها خاتمه، فلما أخذ في أكلها شق بطنها وجد في بطنها خاتمه فحمد اللّهِ وأثنى عليه وخر ساجدًا باكيًا متضرعًا بسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون، فتختم فاعتكفت عليه الطيور والوحوش والإنس وجميع الموجودات فأتى إلى قومه ورجع إلى ملكه في يومِه.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ أي خاتمًا وإنما عنى الخاتم بالجسد إشعارًا أن جسد سليمان وحقيقته وما تدور عليه سلطته وملكه وحكمه وحكمته وحكومته ونبوته وسائر ما على بنيته وأبنيته هو الخاتم لأن الجسد وجسمه قد كان في هذه الأيام معطلًا كأنه كان باطلًا ومبطلًا كأن لم يكن شيئًا مذكورًا أو أمرًا لإسار أو لا مسرورًا إلى أن صار آصف في هذه الأيام حاورًا ودائرًا فبائرًا وسائرًا إلى أن رد له مُلكه وأجلسه على سريره وكرسيه وأعاد الخاتم في يدِه فثبت. قيل: احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله إليه: احتجب عن الناسِ ثلاثة أيام فلما تنظر في صور عبادي فابتلاه الله عزّ وجل فأمر الشيطان أن يأخذ خاتمه ثلاثة أيام كما ذكر ثم أناب أي ألقيتا أو غلبتا سليمان على كرسي الخلافة وعرش الإمامةِ والنبوة بعد إسقاطه بعد أربعين يومًا ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: 34] إلى اللّهِ ورجع إليه وتجاوز لديه هذا العقاب إنما شاع من اللّهِ تعالى وطاب لمجرد التصوير وتجويز التحرير فما ظنك بأكثر من ذلك.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ [ص: 35] وتجاوز عن سيئاتي ووفور خطياتي التي صدرت عني في أغلب أوقاتي وأكثر مقامي الذي صرفت إليه النظر في إصلاح أحوال الممكناتِ، ولذلك أمر الله حبيبه بدوام الاستغفارِ وتسبيحه بقوله ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: 3] قال عليه السلام: «**وإني**

ليغان على قلبي وإني لأستغفر اللّه في كل يوم بمائة مقام مائة مرة أو سبعين مرةً»، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ في الصورةِ والمعنى أو في الدنيا والعقبى أو في عالم سلطنة البرزات الكلية في الصورة، فإن عرضه الصورة ضيق جدًّا لا يسع أمثال هذهِ المنح والأعطياتِ ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: 35] أي باقي عمري، فإن أوان الشباب أقوى من أوان الوقوف وما بعده، وأوان الوقوف أقوى من أوان الكهولة وأوان الكهولة أقوى من الشيخوخة إلى الموت الطبيعي إشارة إلى أن كل دورة يكون أقرب إلى المبدأ أي أعظم أعيان الأدوار، فإن أعيان الدورة العظمى أعظم قدرًا وأتم مقدارًا وأعم سلطةً من أعيانِ الدورة الكبرى، وكذا أعيان الدورة الكبرى أعظم من أعيانِ الدورة الوسطى، وأعيان الدورة الوسطى أعظم من أعيانِ الدورة الصغرى، وسلطنة أعيانِ كل دورة قريبة إلى الذاتِ أقدم، فتكون أعظم فلا يكون ولا يثبت في دورة دينية وكورة بعيدة من بعدها وإن كانت من حيث الخصائص الجامعية أنزل وأسفل وأقل ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: 35] ولاختصاصِ مطلق الموهبةِ ولانتصاصِ الفطنة الذاتية بك خصصتني بموهبة لا تليق بغيري وتقديم المغفرة على طلب الملك والمملكة إشعار بأنّ إجابة الدعاءِ والمسألةِ وثباتِ الملكِ والمملكةِ موقوف على إقامةِ الدينِ ولو كان باطلًا منسوخًا بقوله الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ وهو هواء الحياةِ التي هي شرط العلم، أو المراد هو هواء الحب الذاتي، الّذي هو أول الاعتباراتِ ومبدأ تمام الأسماءِ والصفاتِ «**كنتُ كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف**»:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبي خاليًا فتمكّنا

إشارة إلى أنّ سليمان من أعيانِ الدورةِ الكبرى الذي ربها هو الحياة، وبيان الاختصاصِ بالمواهب الصورية أي ذللنا له الريح والعناصر الهوائية التي تجري بأمرِه حيث أراد وأي مكان تريد، أن رجع وعاد وأعاد، وكذا ذللنا له الطيور والوحوش والجبال والوهاد والشياطين التي خلقها الله تعالى من الهواءِ الغالب على سائر العناصِر والمواد ﴿رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: 36] من الرخاءِ وهو اللّين،

والسهولة كناية عن كمال المطاوعةِ ووفور الإطاعةِ الصادرة من العناصِر والمركباتِ منها بأنه يتصرف فيها حيث يريد ويشاء.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧﴾

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧﴾ [ص: 37] عطف على الريح يدل عليه ويفصله قوله كل بناء وغواصٍ بدل من الشيطانِ أو بيان للشّياطينِ بأن بعضهم يعمل البناء والآخرين غواصون في البحرِ وجو الهواءِ.

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ﴾ عطف على كل بناءِ وبيان وتفسير له وتفصيل لأعمال الشياطينِ ﴿فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ [ص: 38] جمع الصفدِ وهو القيد أي أدخلهم في القيدِ ويحملهم متعمدين متقارنين في الزجر متقاربين في العذاب والزجر.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾

﴿هَٰذَا﴾ أي هذا الذي أعطيناك من الملكِ والبسطةِ والبسائط والتسلط على الملوكِ والممالكِ ﴿عَطَآؤُنَا﴾ ومنحنا ومواهبنا﴿فَٱمۡنُنۡ﴾ أنعم وأفضل المستحقين وبالفقراءِ المستلحقين ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾ واحفظه ولا تمنحه حسب ما يتعلق به إرادتك ومشيئتك ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص: 39] أي ليس لأحد سوى اللّهِ ليطلب منك ويضع على أعمالِك الكتاب.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾

﴿وَإِنَّ لَهُۥ﴾ أي لسليمانِ ﴿عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص: 40] أي كمال القرب في الآخرةِ وإن كان في الدنيا بحسب الصورةِ فإنّ العبد قد يكون في الظاهِر والصورةِ، وفي الآخرة في الباطِن والمعنى، كما يقول لا يذوقون فيها الموت إلّا الموتة الأولى قال النبي ﷺ: «**وأما أجسادهم فقرشيون وأما بقلوبهم فعرشيون**».
﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ أي حسن المرجع وهو الجنة كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادةً، أو المراد بالأول جنة التحقيق والبقاءِ، أو المراد بالأول جنة التجليات وبالثاني جنة الدرجاتِ أي جنة النفس والروحِ.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ لما ذكر داوود وسليمان وهو صاحب النعماءِ والآلاء أعقبهما أيوب البلاء ليكون أعمّ في العبرة والاعتبارِ وأتم في الخبرة والاختبارِ ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: 83] والبلاء ومسني الشر والعناء وكان سبب ذلك الشيطان كما قال ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ﴾ ومشقة وضر وتعب وإعياء ﴿وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41] ألم وبلاء وحكاية لكلامه الذي ناداه له، أو استغاثه مظلوم فلم يغثه، أو كانت مواشيه في ناحيةٍ ملك كافرٍ فداهنه فلم يضره، أو لسؤالِه امتحانًا لعبرة فيكون اعترافًا بالذنب أو مراعاة للأدب، أو لأنه وسوس إلى أتباعِه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم، أو لأن المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضِه من عظمِ البلاءِ والقنوطِ من الرحمةِ ولصبره على الجوعِ فلما انقضى مدة بلائِه وتخلص من شدائده قيل له:

﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾ في الأرضِ ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ﴾ [ص: 42] لما أمر بالركضِ فركض وضرب في الأرضِ ضربًا شديدًا فظهر ونبع من الأرض ماء وتفجرت عين فقيل هذا مغتسل أي مكان ومحل يغتسل فيه بهذا الماءِ، ثم بعد ذلك تحرك ومشى أربعين خطوةً فركض ركضًا آخر في الأرضِ فنبع في تلك الأرضِ غيره أخرى ماءً باردًا ﴿وَشَرَابٞ﴾ [ص: 42] يشرب منه، هذا من خصائص البلية الشديدة حيث يصل لصاحبه بسبب كمال التوجه إلى اللّهِ تمام شر أكثره قوة إلهية وقدرة ربانية تؤثر في الكون كما حصل لموسى عليه السلام حيث صار بنو إسرائيل في التيه حيارى في صحاري، وغلب عليهم العطش فآيسوا من جميع الجهاتِ من حصول الماءِ وتوجهوا إلى موسى لطلب الماءِ فأمره الله بقوله: ﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [الأعراف: 160].

روِي أنّ إبليس سأل ربه فقال: من عبدك لو سلّطتني عليه تمنعه عني ويعصى عليّ ولم يقبل ولم يتأثر عن وسوستي؟ فقال الله تبارك وتعالى: نعم عبدي أيوب فقال: يا رب سلطني على ماله، قد هلك من مالك كذا وكذا قال في جوابه: إنّ الله تعالى قد أعطاني فقد أخذ ماله مني بحمد اللّهِ تعالى، قال: يا رب إنّ أيوب

لا يبالي بمالِه فسلطني على ولدِه فجاء وزلزل داره فأهلك أولاده جميعًا، فجاء وأخبره فلم يلتفت إليهِ فقال: إن أيوب لا يبالي بمالِه وولده فسلطني على جسده، فأذن فيه في جلده فحدثت فيه أسقام عظيمة وآلام جسيمة مؤلمةً فمكث في ذلك البلاءِ سنتين حتى صارت بحيث استقذره أهل بلدِه فخرج إلى الصحراءِ وما كان يقرب منه أحد، فجاء إلى امرأتِه وقال: إنّ زوجك إن استعاذني خلصته من هذا البلاء. فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف باللّهِ لئن عافاه الله ليجلدها مائة جلدةٍ، وعند هذه الواقعة قال: إني مسني الشيطان بنصب وعذاب [فأجاب الله] دعاءه وأوحى إليه أن اركض برجلك فأظهر الله من تحت رجليه عينًا باردةً طيبةً فاغتسل بها، فأذهب الله عنه كل داءٍ في ظاهِر جلدِه، وردّ عليه أهله وماله، والقول الثاني إن الشيطان لا يقدر على ذلك بل الفاعل والقادر على الكلِّ الله.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ يعني لما انقضت مدة البلية وتحرك بحر العناية الأزلية مقرونًا بالكفاية الأبديةِ، ووهب الله له أهلًا وأعطى له مالًا كما كان في الأولِ ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [ص: 43] حتى كان بضعف ما كان أولًا، وإنما عبر عنه الضعفِ بالمثلِ إشعارًا بأنه طريقه في الحصول والتحصيل ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ كرحمتنا عليه أولًا ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ وموعظة وعبرة ونصيحةً ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: 43] من وقائع أيوب أولًا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ عطف على اركض أي حزمة صغيرة من الحشيش ونحوه، أو مِلءَ الكفِّ من الأغصانِ والشجر، أو الحشيش فاضربه ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ روي أن زوجته كانت بنت يعقوب، وقيل رحمة بن فراسيم بن يوسف بن يعقوب ذهبت بحاجةٍ فأبطأت، فحلف أيوب أن يرى ضربها مائة جلدةٍ فحلل يمينه بذلك الضرب بتلك الحِزمةِ، أو بملء الكف من الأغصانِ وهي رخصة باقية في الحدودِ ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ حال والمحدود على إجراء حدود اللّهِ وأحكامه، وأيوب فيما

أصابه من البليات في الأهلِ والنفس والعرضِ والمالِ، ولا يخلو أن شكواه إلى اللّهِ، فإنه لا يسمى جزعًا كتمني العافية وطلب الشفاءِ مع أنه قال ذلك خيفة أن يعينه أو قوته في الدينِ ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44] سيدٌ ومتوجه بشراشره إلى اللّهِ تعالى.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ قرأ ابن كثير عبدنا على أن يكون إبراهيم عطف بيان لمزيد شرفه، وإسحاق ويعقوب عطف عليه ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: 45] أولي القدرة في ذواتِ كمال القوة في الطاعةِ والانقياد بها والإطاعةِ والنصرة في الدينِ، أو أولي الأعمالِ الفاضلةِ والأفعال الكامِلة التي يبقى آثارها أبد الآباد، فعبر عن الأعمالِ بالأيدي، لأن أكثرها بمباشرتِها وأكبر بمزاولتِها، والأبصار عن المعارفِ والإدراكات والدرايات. والمراد من الأول هو العلومِ والإدراكات النظرية المكتسبة، ومن الثاني العلوم والإدراكات الفطرية الضرورية والمشاهدات الحضورية، أو المراد مِن الأول هي الأحكام الدينية التي هي ثمرات شجرةِ النبوة، ومن الثانيةِ هي الأسرار الإلٰهية التي منشؤها الولاية، وأما صورة كمال جمعيتهما فهي من خصائصِ صاحب الزمانِ المظهر الموعود والإمام المعهودِ وإليه الإشارة بقوله:

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾ في آخر الزمانِ ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: 46] وهو دار القرار.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [ص: 47] المؤمِنون الفرحون التابعون للإمام الموعود الذين هم مبارز الأنبياء من الأولياء ﴿عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: 47].

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ وهو ابن أخطوب استخلفه إلياس على بني إسرائيل ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ [ص: 48] ابن عم أليسع، واختلف في نبوتِه ونصير، فقيل فولي

مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم. وقيل: كفل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاةٍ ﴿وَكُلٌّ﴾ من هؤلاء المذكورين من الأنبياء بعض ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: 48] أو من للتبيينِ، أي هؤلاء المذكورين من الأنبياءِ في هذه النبوةِ كلهم من الذين اصطفاهم الله على أهل زمانِهم، ولا يلزم من هذا أن يكون غير المذكورين في هذه السورة أن لا يكونوا من الأخيار، هذا إشارة إلى القرآنِ لما ذكر أحوال الأنبياءِ لأجل أن يصبر محمد على تحمل سفاهةِ الجهال ثابتًا مستقيمًا، أراد أن يميز أحد الناس عن الآخِر، لا جرم قال هذا ذكر، كما أن المنظم إذا بين كلامًا قال: هذا باب، ثم شرع في باب آخر فالذكر، وهذا بمنزلةِ باب وفصل في الكتب.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ أي القرآن في بيان أحوال الأنبياء، وفي بيان أحوال المتقين، وفي بيانِ أحوالِ الطاغين ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: 49].

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ عطف بيان لحسن مآب وهي من الأعلام الغالبة كقوله: جنات عدن الذي وعد الرحمٰن ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: 50] نصبها على الحالِ والفاعل فيها ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [ص: 51 - 52] أي قصرت وانحصرت أطرافهنّ وأعينهنّ عليهم أي لا يلتفت الحور العين إلى غيرهم ﴿أَتْرَابٌ﴾ [ص: 52] صفة محذوف موصوفها أي بنات مستويات الأسنانِ ثلاثًا وثلاثين واحدها ترب.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ [ص: 53] الذي ذكرنا من الجنةِ ونعيمها ﴿مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: 53] علة الوصول إلى الجزاءِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكر في الجنة ﴿لَرِزْقُنَا﴾ [ص: 54] أي ما قصده الله تعالى

رزقًا لنا في الجنةِ ﴿مَا لَهُۥ﴾ ليس له ﴿مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: 54] وانقطاعٍ وانتهاء هذا الأمرِ هذا أو خذ هذا.

﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥﴾

﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥﴾ [ص: 55] إضافة للصفة إلى الموصوف أي مآب مرجع شر ومآل ضر.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٥٦﴾

﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لشر ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها، فيها حال من جهنم ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [ص: 56] مستفاد من فراشِ النايم، والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم، يقول لهم بئس جهنم.

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي فليذوقوه هذا، أو العذاب هذا فليذوقوه، ويجوز أن يكون مبتدأً خبره حميم ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: 57] وهو على الأولين خبر محذوف أي هو حميم وغساق، أي ما يغسق، وليس من صديد أهل النارِ من غسقته العين إذا سال دمعها.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾

﴿وَءَاخَرُ﴾ أي مذوق آخر عذاب آخر ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: 58] أي من مثل هذا المذاق أو العذاب كثير وأفواج من العذاب، والشدة وتوحيد الضمير لأنه للذكر أو للشراب السائِل للحميم والغساق، أو للغساقِ، أزواج خبر لآخر أو صفة له أو للغساق، والجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف أو صفة له أو للتلاوة لهم.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۝٥٩﴾

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ إذ دخلوا النار واقتحمها معهم فوج معهم في الظلال، والاقتحام: ركوب الشدةِ والدخولِ فيها ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ دعاء من المتبوعين على أتباعهم، أو صفة لفوج، أو حال، أو مقولًا فيهم، أي ما أتوا مكانًا رحبًا متسعًا ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ [ص: 59] داخلون فيهم بأعمالهم التي تكون مصورة

بصور متناسبة وأشكال وأمثال متقاربةٍ، قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس على صور أعمالهم فمنهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت، إنما هي أعمالكم ترد عليكم**»، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: 60].

﴿قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ﴾ أي الأتباع للرؤساءِ ﴿لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ أي أنتم أحق بهذا القول للدعاءِ عليه، وقيل لنا فضلالكم وإضلالكم كما قالوا ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أي قدتم العذاب أو الصلي لنا بإغوائِنا وإغرائِنا على ما قدمه على العقائد الزائفة والأعمال القبيحة الراجعةِ ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [ص: 60] أي فبئسِ المقر المستقر جهنم.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾

﴿قَالُواْ﴾ أي الأتباع أيضًا ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ [ص: 61] مضاعفًا، وذا ضعفٍ وذلك أن يريد أن عذابه مثله فيصير ضغثين، وذلك أن يريد على ذاتِه مثله فيصير ضغثين من العذاب.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَقَالُواْ﴾ أي صناديدهم ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ [ص: 62] يعنون فقراء المسلمين الذين ليس [يرونهم] ويعدونهم في الظاهِر من الأشرارِ لا نراهم في النار.

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ صفة أخرى لرجال بهمزة الاستفهام على أنه إنكار لأنفسهم والاستحسار لأنفسهم منهم ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [ص: 63] أي مالت وانصرفت وزالت عن دركهم الأنظار، فلا نراهم، وأم معادلة لما لنا لا نرى على أن المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم عن النظر، كأنهم قالوا ليس ههنا، أم زاغت عنهم الأبصار، أو لاتخذناهم على القراءةِ الثانية بكسرِ الهمزةِ بمعنى أي الأمرينِ فعلنا بهم إنكارها على أنفسهم ومنقطعة وأمر أن الدلالة على أن استرذالهم الاستخبار كان لزيغ أبصارِهم وقصور أنظارهم وفتور أفكارهم على رثاثةِ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي حكينا عنهم ﴿لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: 64] بدل من حق، أو خبر مبتدأ محذوف، وَقُرِئ بالنصب على البدلِ من ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين والكافرين المعاندين ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ أي أنذركم عذاب الله ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص: 65] الغالب على غيره فلا يتأثر مما سواه لا من شره ولا من خيره.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ﴾ القوي الغالب على غيره ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص: 66] المتجاوز عن سيئات ما يشاء.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ﴾ أي ما أنبأتكم وأخبرت لكم من الوحي المبشر والإخبار المخوف والمنذرِ ﴿نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ [ص: 67] وسبأ كريم.

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [ص: 68] لتمادي غفلتكم وتنادي جهلتكم، فإنّ العاقِل لا يعرض على مثلِه، كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة والنهج الناطقة.

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: 69] في شأنِ آدم حيث قال ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ هذا دليل على أنهم أي الملأِ الأعلى، وهم العقول المجردة والأنوار القاهرة والملائكة المقربون الذين لا يعصون اللّه ما أمرهم، وهو التقديس والتنزيه، مأمورون بالسجودِ لآدم، وذلك لأنهم لما علموا الأعيان الذين يقاتلونهم وهم الجواهِر الفاسقة والأعيان الفاسقة وما كان لهم علم بالأعيانِ الجامعةِ بين التقديس والتدنيس والتنزيه والتشبيه والاستئناس

والاستنخاسِ والتأنيس وهو آدم اختصموا للّه واعترضوا عليه حين قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ﴾ ولذلك رواه عليهم بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي ما يوحى إلي ﴿إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [ص: 70] أي مخوف ظاهر متين.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ أي اذكر وقت قول ربك ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: 71] بدل من إذ يختصمون، مبين ومفسر له وزن القصة التي دخلت إذ عليها مشتملة على مقالة الملائكة وإبليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود له على ما مر في سورة البقرةِ وسورة الحجرِ، وإنما ذكر قصة آدم، وخليفته مكررةً، إشعارًا بأنّ في تمام الأدوار يكون خاتمتها وفاتحتها آدم.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وأحييته بنفخ الروح فيه وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: 72] وتكرار الآيات إشارة إلى تكرر نشآته في الأدوار، وتكثر شؤوناته في الأكوار.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [ص: 73] لآدم لإنجاء قهرمان سلطان الجامعية في آدم سجد له جميع الملائكة القدسية العلوية والسفلية قد سجدوا، أو إلا وقع التحكم.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾ تعظم وتجبر وتكرم ﴿وَكَانَ﴾ صار ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [ص: 74] بأمر اللّهِ ومشيئته وحكمته على مقتضى حكمه.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾

﴿قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: 75] أي الجمال والجلال والظاهِر والباطِن، أو القدرة والإرادة من غير واسطة من العالياتِ والسافلاتِ، أي الأب والأم ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ بنفسك حتى أبيت السجود ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: 75] استعليت وتعظمت بنفسك من غير استحقاقٍ ذاتي أو عرضي، أو كنت ممن علا، أو زعمت الاستحقاق الذاتي والوصفي.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦﴾

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ﴾ أفضل ﴿مِّنۡهُۖ﴾ وأقدم وأكمل منه ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [ص: 76] تعليل لعلوه على آدم وتسفل آدم.

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧﴾

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي من الجنة أو من السماءِ أو من المرتبة الملكية أو الصورة الملكية، أو من جمعية طاعتي وكلية عبادتي ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ [ص: 77] بعيد ومطرودٌ عن اللّهِ وكمال رحمتِه وعموم رأفته وهجوم نعمته.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾ وبعدي وغضبي وقهري ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: 78] ثم يقضي على مقتضى كمال أعد اللّهِ ووفور نصفته لو علم الكافِر ما عند اللّهِ من رحمتِه لما قنط من رحمته قط الحديث.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩﴾

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [ص: 79] في المحشر الأعظم والقيامةِ الكبرى.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠﴾

﴿قَالَ﴾ الله في جواب إبليس حيث سأل الله أن يمهله ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ [ص: 80] والممهلين والمتروكين.

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾﴾

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص: 81] وهو النفخة الأولى.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ وسلطانك وكمال قهرك ﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: 82].

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: 83] الذين حماهم الله في حما الإخلاص الذى لا يطلع نبي مرسل ولا ملك مقرب بل هو مخصوص باللّهِ.

﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾

﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ [ص: 84] والحق الثاني منصوب بنزع الخافض وهو قسم، أي فبالحقِّ أقول وأقسم.

﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ مقسم عليه مقول القول ﴿مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: 85] يعني أنّ الله تعالى خلق من اسمه اللطيف والرحمن الجنة، ومن اسمه القهار والمعذب النار والجحيم، وهيّأ لكل منهما أعيانًا من الكونِ، فأهل الجنةِ وأعيانِها هم الأنبياء والأولياء والعلماء الربانيون والمؤمنون الصّالحون والعباد المخلصون والولاة العادلون والحكام المشفعون ومن تابعهم، وأهل النارِ والجحيم هم الشياطين والأبالسةِ ومن وافقهم، قيل المعنى فأحق القول وأقول إلى آخره.

قرأ عاصِم: وخبره برفع الأول على الابتداءِ ونصب الثاني أن الحق بيميني وقسمي، أو الخبر، أي بالحقِّ وبالحقِّ أقسم أقول على التحقيق (لأملأنّ جهنم)، إلخ وقرأ مجرورين على إضمار حرف القسم في الأول وحكاية لفظ المقسم به في التوكيدِ، ويجوز أن يرفع الأول على الخبر والمبتدأ محذوف ونصب الثاني بـ:(أقول) أي أنا الحق وأقول الحق، وهذه الجملة حالية وإن نصبهما أما الأول فعلى الإغراء والثاني بالقول.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي على تبليغ القرآن والدعوة إليه وإلى العمل بأحكامِه ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: 86] أي من المتصنعين في الشريعة والدينِ والمنتحلين في القرآنِ بل عقل سليم وطبع مستقيم يشهد بصحتها ويحكم على جلالةِ شأنِها.

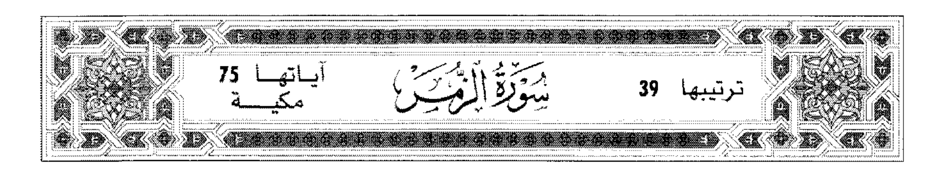
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٨٧﴾

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وموعظةٌ وهداية ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [ص: 87] عالم الإنسِ وعالم الجنِّ.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ۝٨٨﴾

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ أي خبر رواج القرآن وشيوع أحكامِه وسطوع أعلامِه ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: 88] أي بعد زمانٍ ومرور دورانٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الّذي نزل الكتاب على عبده محمد يشرح صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكرِ اللّهِ ويكون للعالمين نذيرًا ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الّذي خلق السماواتِ والأرضِ دليلًا على كمال قدرته وجلالةِ إرادته خبرًا بصيرًا ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي كور اللّيل على النهارِ وكور النهار على اللّيلِ وجعل الشمس مضيئًا والقمر نورًا منيرًا.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾

هذا ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وبالعكس ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزُّمر: 1] فعلى الأول صلة التنزيل أو خبر ثانٍ أو حال والعامل فيه معنى الإشارة، والتنزيل والكتاب على الأول وهو السورة، وعلى الثاني يحتمل السورة، والمجموع قرئ بالنصب على الإضمار، إما مفعول مطلق أو مفعول به أي قرئ، أو ألزم أو نزل الله تنزيل الكتاب.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ منجمًا على سبيل التدريج بعد تنزيله مجملًا دفعةً واحدة إلى اللوحِ المحفوظِ، أو منه إلى سماءِ الدنيا متلبسًا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ والصواب في الصدقِ، أو نسب إثبات الحقِّ وإظهاره وتفصيل أسرارِه وتنصيل أنوارِ شموس

أحكامِه وتحصيل أطوار أعلامِه ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ﴾ تفريع على الحكم أو الأحكام كلها ﴿مُخۡلِصٗا﴾ مقارنًا بالاختصاصِ الكامِل والإخلاصِ الفاضِل بالتبرؤ عن الشركِ الصّريح والخفي الذي لا يطلع عليه إلا الله ﴿لَّهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [الزُّمر: 2] بالرفعِ على الاستئنافِ لتعليلِ الحكم وتقديم الخبرِ لتأكيد الاختصاصِ وتشييد الانتصاصِ المستفاد من اللام والتقديم كما صرّح به مؤكدًا، وإجراء مجرى المعلوم المعرف لكثرة حججه الساطعةِ وقوة البراهينِ القاطعةِ.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ فحق المتدين أن يخلص أحواله وأحكامه عن شوائب الأغراضِ ويخصص أعلامه عن شوائب الأغراضِ ومعايب الأعواضِ ليتوجه بشراشرِه إلى جناب قربه وقدسه وقباب شربه وإنسِه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ من الأهواء الفاسدة والآراء الكاسدةِ قائلين بأنّا ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ أي قربًا كاملًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزُّمر: 3] وذلك لسوء فهمهم ودناءة همتهم وهمهم، لأنهم ما تفطنوا أنّ التقرب إلى اللّهِ لا يحصل إلا بالإنسانِ الكامِل والفرد الفاضِل والإمام المكمل من الأنبياءِ والأولياءِ والحكماءِ، وزعموا أنّ النجاة إنما يتكامل بشفاعةِ الأوثانِ.

﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾

﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا﴾ كما زعموا ﴿لَّٱصۡطَفَىٰ﴾ واختار بإرادتِه ومشيئته ﴿مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ إذ لا موجود سواه ومخلوقاتِه لامتناعِ تعدد الواجب لذاتِه، فإذن انحصر الموجود على الواجِب المنفرد والخالِق المتفردِ ومخلوقاتِه ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ وتنزه ذاته تنزهًا بالغًا إلى الغاية حتى أنه لا يجوز العقل الصريح موجودًا ما يكون سواه ولا مخلوقه ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الزُّمر: 4] بيان للتنزيه ومحصوله.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥﴾

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ تقرير لمحصول التنزيه ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ بالعدلِ والقسطِ هذا تعليل للحكمِ للمذكور بأن من خلق الأجرام الشريفة العالية والأجسام المتقنة العالية على وجه بديع ونظام مستحكم منيع جديد بأن يكون واحدًا في ذاتِه متفردًا في نعوته وصفاتِه، فلا يشاركه في ذاتِه أحد ولا يكون له في الألوهيةِ ضد ولا ند، فيكون هو الصمد الذي لم يلدِ ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحدًا، لأنه من صفاتِ الأجسامِ وسماتِ الوجودِ بعد الإعدام ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ إذا تجاوزت الشمس نقطة انقلاب الشتوية ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ عند انصرافِها عن نقطة الانقلابِ الصيفي بأن يزيد أجزاءِ النهار وساعاته على أجزاءِ الليل وساعاتِه، وذلك إذا حلت الشمسِ في الدائرة اليومية يقطعها الأفق على التفاصِل بأن يزيد قسم اللّيل على قسم النهارِ وبالعكس، ولا مزية في أن التزايد والتناقص والتفاضلِ والتناقض إذا كانت متبادلةً لا بدّ وأن يصل إلى حدٍّ فاصِل متساوي القوسان عنده، ثم يشرع إلى التفاضل والتناقص إلى معين، وذلك هو نقطة الاعتدال الربيعي والخريفي، والانقلابين ففي الأول يتساوى القوسانِ وفي الثانية يتساوى القوسان بالزيادةِ والنقصانِ، يبلغ الازدياد والانتقاص إلى النهايةِ ﴿وَسَخَّرَ﴾ لكم ﴿ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ في هذه المداراتِ وفي هذا التزايد والتناقص والتعادل والتناصف ﴿كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾ ووقت معين في التزايد والتناقص والتعادل والسرعةِ والإبطاءِ والتوسط، لا يتخلف عن هذه الأحوالِ عند الوصولِ إلى هذه المواضِع والمداراتِ ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ القوي الغالب في تسخيرها وتبليغهما إلى منتهى كمالهما في هذه الحالاتِ، ثم ينحط كل منهما من ذلك الكمالِ إلى حال الانحطاطِ والتوسط بينهما، فلا يتجاوزانِ عن كلٍّ من هذه الحالاتِ ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الزُّمر: 5] يتجاوز عن سيئاتِ من غفل عن ملاحظة هذه الحالاتِ الدالة على كمالِ قدرته وعموم حكمته.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وهي آدم أو حوا أو جمعيتهما أو الطبيعة النوعية الكائنة في العوالِم الجامِع للحقائق الجنسية والطبائع النوعية والحقائق الكلية وهي موجودة فكان يتوارد عليها الصورة المتنوعة والهيئات المتفرعة والأشكال المتقنعة حالها ﴿ثُمَّ جَعَلَ﴾ أي خلق ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فيه ثلاث دلالات على أمرٍ غريب وخلق بديع عجيب: خلق آدم من غير أب وأم، وحواء من ضلعه، ثم خلق أفرادًا غير متناهية من نفسين من غير فترة و(ثم) للعطف على محذوف وهو صفة أنفس أي خلقت أي وجدت على خلق لتفاوتٍ ما بين الآنين.

فإن **الأولى**: عادة مستمرة دون الثانية، قيل: خرج من ظهره وذريته كالذر ثم خلق منه حواء، وأما الطبيعة الجنسية والحقيقة النوعية فهي غريزة ثابتة في عالم البرزخ، فعند انتقال الدورة من مرتبة إلى مرتبة يصورها الله تعالى تلك الغريزة بالصورة النوعية ثم بالطبيعة ثم بالهيئة الشخصية، **فالأولى**: هي التي تسمى برب النوعِ، **والثانية**: برب الصنفِ في عرف الأشرفيين بلسانِ الشرع بالملكِ أشار إليه بقوله جاءني ملك الأشجار وملك البحار وملك الأمطار وغير ذلك ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ ذكر وأنثى من أتان والبقر والضأن والمعِز. فيه إشعار بأن خلق هذه الأزواج خلق آدم في البدايةِ أو العالم في الفطرة الأولى خالٍ عن تمام المركبات بل عن البسائط وعموم الموجوداتِ «**كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف**» ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ إشارة إلى كيفية التولد والتوالِد ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ بطنًا من بعد بطنٍ ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمةِ، أو ظلمة الأصلاب والأرحام والدنيا، فإن الروح الإلهي يتنزل من فضاء ضياء عالم النورِ وقدسِ الظهور إلى عالم الظلمة الكوني التي تختفي فيها الروح الإلهي بشخصه وعينه، ويظهر منه الآثار وأحكام الأنوار ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الزُّمر: 6] إشارة إلى الخالِق أي خالِق مواد وجودكم وأسباب ذواتكم وشهودكم.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ إما خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من (الله) يشعر

باستحقاقِ العبودية وبأن علة العبودية هي الربوبية، وهي التربية بالكمالاتِ الذاتية والأسمائية، والاستحقاقات للعبودية ذاتي بأن خلق موادِ الموجوداتِ وأنشأ ماهياتها، ثم رباهم بالكمالاتِ الذاتية والوصفية ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ﴾ في الظاهِر والباطِن في الأدوار والأكوار أي ملك الذوات والصفاتِ والهيئاتِ والجواهِر والأعراضِ من الأفعالِ والأعمالِ والمصالِح والأغراض إلا الله في الظاهِر والباطِن والصورة والمعنى في الأدوار والأكوارِ في الأولى والأخرى ﴿إِلَّا هُوَۖ﴾ أي الخالق الكل ومبين جميع الطرق وعموم السّبل ﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [الزُّمر: 6] يعدلون ويصطفون عن عبادته وعن طريق توحيده وسبيل طاعاتِه.

﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾

﴿إِن تَكۡفُرُواْ﴾ يا معشر القريش أو الأعراب أو أصحاب الكتاب بمحمد وبأمره وأمر اللّهِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ﴾ وعن إيمانكم وتصديقكم وعن عبادتكم ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ﴾ المؤمنين أو المطلق وإن أراد يعني أن الله تعالى لكونه خيرًا محضًا ولا يحب لعباده ﴿ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [الزُّمر: 7] المطلق ولا العصيان وإن أراده لا يجزي في ملكه شيء إلا بمشيئته وإن أراد به بل ما يشاء أحد إلا بمشيئته وإرادته ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الإنسان: 30].

والتحقيق أن اللّه تعالى يتصرف في ملكِه على مقتضى اسم الجلالِ وهو صريحًا على مقتضى اسم الجمالِ والظل لعدم تقرر من أنّ كل معبود ومولود جني على ما يقتضي الجلالِ، ويقوي المولود النوري الجمالي ويدله إلى العصيانِ والكفرِ، وكلاهما ملكه ومملوكه، وفي فرداريّة ذروة الجمالِ يكون مرضيًّا ومقتضيًا لأنه مرتضى الجلالِ، والمولود الجني لأنه مقتضى الجمال، ومرتضى الجميل والكفر والعصيان من حيث أنهما ينتفيان الشر والظلم لا يكونُ مرضيًّا ومقتضيًا لأنه مرتضى الجلال، والمولود الجني والمقتضى الضمني، إلا أنه في كلتا الدورتين وفي كلا المولودين يكون أمرهما أن الكفر والعصيان مرادًا لا مرضيًّا لأنه على حذف مقتضى الجميل ومقتضى الجمالِ ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ﴾ نعم اللّهِ تعالى ومنحه ويظهر عليه مسيرته وفرحه ﴿يَرۡضَهُ﴾ مضارعٌ أصله (يرضى) سقطت

الألف بالجزم واتصل به الضمير المنصوب العائد إلى ما يوجب ذلك الشكر ﴿لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ﴾ أي وزر الرجل لآخر، إذ كلهم مجزيون بأعمالِهم إن خيرًا فخيرًا أو إن شرًّا فشرًّا فلا يؤخذ أحد منا بمعصية رجل آخر، وكذا لا يثاب بطاعة آخر وعبادات رجل آخر إلا أن يحق اشتراكه كالحج والصلواتِ والصدقاتِ والمبراتِ والخيراتِ ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ ومعادكم ومصيركم ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ ويخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ﴾ بالمحاسبة والمجازاتِ إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الزُّمر: 7] فلا يخفى عليه شيء من الأعمالِ والأفعال والأقوال والأحوالِ.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعًا بشراشره لديه لزوال ما ينازع وعاء الفعلِ [وتزاحم معا الفهم] والعقلِ في الدلالة على أن مبتدأ الكلِّ منه وإنشاء العز والذلِّ عنه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ وأعطاه وأفضل له وفضله من الخول والنعمةِ، أو الحولِ وهو الافتخار والمباهاتِ ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ أي من اللّهِ ﴿نَسِيَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي الضر الذي كان يدعو اللّه أن يكشفه ويتوجه إلى ربه الذي كان يتضرع ويتخشع بكليته لديه ليدفعه منه بما كان قبل ذلك عليه ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل ظهور النعمةِ ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ﴾ ذاك الداعي ﴿أَندَادًا﴾ أمثالًا وأشباهًا وأفرادًا ﴿لِّيُضِلَّ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ وطريقه وهو الإسلام والتشايع بين الأنام ﴿قُلْ﴾ يا محمد في دفعِه ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ﴾ واحتفظ بضلالتِك وإشراكك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزُّمر: 8] على سبيل الاستيلاءِ بالمبالغةِ.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ بوظائفِ الطاعاتِ وأداءِ مراتب العباداتِ ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزُّمر: 9] وساعاتِه في إجرائه أم متصلة بمحذوفِ تقديره كافر خير أم هو قانت أو

منقطعة بل أم من هو قانِت ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزُّمر: 9] حال من ضمير قانت وقرئ بالرفع على الخبر والمراد الجمع بين الصفتين ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ وعذابها وشدائد عقابها ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ ويطلب مغفرة إلاهه حالان أو الاستئنافِ للتعليل ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ ويتعظ ويقبل النصح والموعظة ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمر: 9] أولو العقولِ الكامِلة والأرواحِ الفاضلة التي هي للإنسان كاللب والدّر للأثمارِ والأصداف.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ باكتساب طاعتِه وارتكابهِ أوامره وأمثالِها والانتهاءِ عن مناهيهِ والتجافي عن السيئات والمعاصي ﴿لِلَّذِينَ﴾ آمنوا وعملوا الصّالحاتِ و﴿أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ كتبوا ﴿حَسَنَةٌ﴾ يكون مثوبة في الأجرِ ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ فإن كانت الأرض ضيقة والتي هي ليست منيعة لم يكلف على نفسِك بالتوطن بها عملًا بالحديثِ المؤول: «**حب الوطنِ مِن الإيمان**» ترتضي بالضيق والضنك والشدة من الحرارة وكمال البرود، بل عليك الانتقال والحركة والارتحالِ إلى أرض طيبةٍ وعرض صيبة إذا طلب الفراغ للطاعةِ واقتناصِ الفراغ بجلب الحضور وجمعية القوى والخواطِر لأداء العبادةِ واجب، ولو صبر على المسير ولم يضطرب ولم يجزع ولم يتململ وثم يزمع واصطبر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ ويعطي الصابرون إلى التثبتِ والتصبر على الشدائدِ والمشاقِ والعوائِد وسوء المساق ﴿أَجْرَهُم﴾ وثوابهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمر: 10] أي أجرًا لا يهتدى ولا يسترشد إليه حساب الحساب، ولا أصحاب السوء والجواب، وفي الحديثِ تنصب الموازين يوم القيامةِ لأهل الصلاةِ والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا ينصب لأهل البلاءِ ميزان ولا ينشر لهم ديوان ونصب عليهم الأجر بغير حساب.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزُّمر: 11] متوحدًا له ومخصصًا الطاعة والعبادة به.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزُّمر: 12] أو لأن الأحكام الدينية إنما تتكامل شيئًا فشيئًا إذا عمل به الأمرِ أولا بكمال الإخلاصِ وخلوص الاعتقادِ ثم يأمر بها التابعين ليتعدى ذلك العمل كمًّا وكيفًا إلى التابعين ويستقر ويستمد ويثبت فيهم إذ ثبوتها في نفس المتبوعِ فيكون علّةً له في التابعين.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزُّمر: 13] تعليل في المعنى للحكم السّابِق إذ الخوف أمن اللّهِ يوجب أن تكون الأعمال الصادرة منه خالصة له مخلَصة لأجله لأنه لما علِم أنّ اللّه خبير بأعمالِه بصير لأحوالِه ولا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرضِ ولا في السماء، وإنها ترد إليه مع العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فإذًا لا يقصد في أعمالِه إلا إياه ولأجله.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ [الزُّمر: 14] بيان الإخلاصِ وتفسير لمعنى الاختصاصِ.

﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ تفريع على معنى الإخلاصِ ومفهوم الاختصاصِ وتهديد وتخويف للعالمين العاملين بأنّ اللّه تعالى لما كان خبيرًا بالأعمالِ بصيرًا بعموم الأفعالِ والأحوالِ، فافعلوا ما شئتم فإن الله يجازيكم ويحاسبكم ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ يعضدهم غير الحق ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ فإنّ المحبة لِلّه وكمال الإخلاصِ يتعدى إلى الأهل والأتباع وكذا البغض والرياء قال النبي ﷺ: «**الحب يتوارث والبغض يتوارث**» ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الذي أجزي العاملين فيها ﴿أَلَا ذَٰلِكَ﴾ العمل الذي قصد به غير اللّهِ ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزُّمر: 15] الظاهِر القوي المتين آثار الخير أبد الآبادِ.

﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦﴾

﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ﴾ طباق وسرادقاتٍ وأثمارها ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر الذي ذكر والشيء المزبور والمراد إحاطة النارِ بهم من جميع الجوانب، ونظيره في الأحوال النفسانيةِ والأفعالِ الإنسانية، فكيف سمى ما تحته بالظلة، أجيب بأنه من باب إطلاقِ أحد الضدينِ على الآخِر كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: 40]، أو لأن انطلق بالنسبةِ إلى إنسانٍ فوق وبالنسبةِ [لغيره] تحت ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزُّمر: 16] واحذروا ذلك اليوم وعقوباته وشدائده وبكتابه.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ ويأدبهم ويهددهم أي طاغوت الشهواتِ والهواءِ وجالوتِ المشتهياتِ والضياء أن تعبدوها ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وأقبلوا إليهِ وتابوا لديه بالتوحِد الكامِل بالرجوعِ الشامِل ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ في الحياة الدنيا والنشأة الأخرى ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ [الزُّمر: 17].

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ﴾ والكلام الدنيء والنازِل والناقِص والقول ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ أي ما يدل عليه القول بالمطابقة أو بالقرائِن القوية والمعاني الحقيقية والمفهوماتِ الصادقة ولا يلتفت إلى المجازِ والنفي والكناياتِ واللوازم البعيدة والدلالاتِ الغريبةِ والانتقال الضعيفة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ بإيضاح المعنى وإفصاح المباني وانكشافِ المضامينِ والمفهوماتِ والمعاني الأول والثواني ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزُّمر: 18] أصحاب العقول السليمةِ والطبيعة المستقيمة في غير مزاحمةِ الوهوم الضعيفة والعقل الصريح والذوق الصحيح إشعار بأنّ اتباع المعاني واختصار الحسية وفهمها إنما هو بهداية اللّهِ وكمال

عنايته، وإن شأن العقل الصريح هو فهم المفاهيم الحقةِ والمعاني المحققة وأما فهم المعاني الكاذبة والمباني العاطلة والمباني الباطِلة إنما يكون بمزاحمةِ الأوهامِ الفاسدة ومعارضةِ الأفهام الكاسدةِ كما تقرر من أصل الأخبار إنما هو الصدقَ، وأما احتمال الكذب فهو أمر العقل المثبت بأذيالِ الوهم المزاحم للعقل الصريح في أحكامِه الحقية الصايبة وشأن العقلِ الجزئي المتعلق بأمر المعاشِ المتشبث في مطالبه بالوهمِ والخيالِ والكذب.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ ووجبت وقوعًا عليهم شدة العذاب ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ وتقدر على إخراج وتخليص من وقع وسقط ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزُّمر: 19] وكان في السعير ودار البوار.

قال ابن عباس: ورد في أبي لهب عم النبي ﷺ وابنِه روي أن أبا بكر الصديقِ رضي الله عنه آمن أولًا بالنبي ﷺ حيث عرج إلى السماءِ، وأراد أن يخبر أحدًا من النّاسِ حاله فعرض على قلبه فهداه إلى أبي بكر الصديقِ رضي الله عنه، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه أيضًا قد تأمّل في شأنِ النّبي ﷺ بأنه صادِق في دعواه فألهمه الله بأنّ محمدًا صادق في دعوى نبوته فخرج من بيتِه متعمدًا إلى النبي ﷺ وكذا أخرج في هذه الساعةِ النبي قاصدًا أبا بكر، فلما التقيا قال النبي ﷺ: «**إني رسول اللّهِ وقد أسري بي إلى السماءِ**»، فقال أبو بكر: صدقت آمنت بك وبمن أرسلك إلينا، فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد بن أبي وقاصٍ وسعيد بن زيد رضي الله عنهم فسألوه فأخبرهم بإيمانِه فآمنوا كلّهم فأنزل الله فيهم: ﴿ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: 17، 18] وكل حسنٍ قال ابن عباس: هي من سبق في علم اللّه أنه من أهل النار، قيل قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: 18]، وقيل: هي قولَه: هؤلاء في النار ولا أبالي.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ وكل ما نهاه عنه من المكاره والمناهي والسيئات

والملاهي سرًّا وعلانيةً ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ منازل عالية وجحافل غالية في الجنةِ من فوقِها غرف ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾ أرفع وأعلى وأوسع وأبهى ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ تحت الغرف المذكورة ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزُّمر: 20] في موضِع المظهر موضِع المضمرِ إشعار بأنّ اللّه لا يتجلى لهم ويظهر لديهم في تلك المنازلِ آنًا فآنًا، وعد الله في المعهدِ الأولِ في مقام ألست بربكم، فإنه يتجلى ويظهر لهم في الأدنى على من في الدنيا والآخرة لا يخلف الله ما وعدهم وعهد معهم، قال النبي ﷺ: «**إنّ أهل الجنة يرون أهل الغرف كما يتراءون الكواكب الدّرية، الفائزون في الأرضِ عن المشرق والمغرب، يتواصل ما بينهم**»، وقالوا يا رسول اللّهِ تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا باللّهِ وصدقوا المرسلين**».

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الإلٰهية والسحابية وسحاب السماءِ الربانية ﴿مَآءً﴾ أي ماء المعارف الفطرية والعلوم والإدراكاتِ الحقيقية الشهودية، وهو التجلي الإلهي والظهور الأسمائي ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمر: 21] أي في القوى الروحانية والمبادئ العقلية فيظهر بذريعة كل قوة وواسطةِ كل مبدأ من المبادئ النفسانية عيون المعاني وفنون الحقائق والمباني، أو المراد بها هي الأطوار السبعة القلبية مثلًا في الطورِ القالبي وخصائص القوى البدنية من المشاعِر الظاهرة يظهر ذلك التجلي بصور الأنوار والأضواءِ والأشكال الحسية والهيئات السَّنية والكيفيات الحسية، أو النفسية، وكذا لسائر الكيفياتِ من الروائح الطيبة والطعوم الهنيةِ والأصوات الحسنةِ والملموسات النعيمة وغير ذلك.

وفي الطور النفسي يظهر بصور الأفعالِ الحميدةِ والأعمالِ السّديدة كالأقوالِ الحسنةِ من الأشعار المليحة والألفاظِ الفصيحةِ والعقائد الصحيحةِ وغير ذلك، وفي الطور القلبي يظهر بصور الملكات الفاضلةِ الكاملة والهيئات السنية الجميلةِ كالعفة والحكمةِ والشجاعةِ والعدالةِ وغير ذلك من الفروعِ المندرجة تحت كل منها من الصبر والقناعةِ والتوكلِ والتودد والمحبة والرضاءِ والتسليم والسخاوة والجود

والكرم والتقوى، وفي الطور السري يظهر بصورة التجلي الإلهي بمظاهِر المحسوساتِ كما شاهد النبي ﷺ ذلك بصورة شاب أمرد قطط، وموسى بصورة النارِ في الشجرة، والخليل بصورة الكواكبِ وغير ذلك من صور عالم الآثارِ من الأنهار والأضواءِ والأنوار والأشجارِ والأثمارِ، وفي الطور الروحي يظهر بصور الأفعال الربانيةِ والتكويناتِ الإلٰهية كالإيجادِ والإبداعِ والخلق والاختراع، وفي الطور الخفي يظهر بصور الأسماءِ الذاتية وصفاتها الأوليةِ وهي العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وفي طور غيب الغيوب يظهر بنعت الفناءِ في اللّهِ والبقاء باللّهِ، وعلى هذا القياسِ المؤلفات والمركباتِ منها في طور الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية في الأرض الاستعدادية والعرض القابلية.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ أي علومًا وإدراكاتٍ حقيقية وأحوال ومقاماتٍ عالية وحالاتٍ ومكاشفاتٍ رفيعةٍ ومشاهداتٍ بديعة على ما يقتضيه أطوار مقتضياتِ تفاوت الأدوارِ ومرتضياتِ تغاير الأكوار أفرادًا وجمعًا إفرادًا وتبعًا ﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ وخصائصه وأوانه ونصائصه وأكوانه وخصوصياته ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ﴾ أي التجلي الذاتي السَّني للكل بالتدريج ﴿مُصْفَرًّا﴾ متغيرًا ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ﴾ فتاتًا منكسرًا فاترًا متغيرًا بالكلية ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التجلي والظهور، ثم في الإفناءِ والفتاتِ والانكسار والكسور ﴿لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمر: 21] أي موعظةً واعتبارًا وغيرة ونصيحة لصاحب العقل الصريح والذوق الصحيح والنطق الفصيح المنبري المتجنب عن الأحكام الوهمية والأفهام الرسمية.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾ [الزُّمر: 22] أي الوجه يلي النفس، وبهذا الوجه يأخذ القلب المتوسط بين الروحِ والنفس المتصل المرتبط بالعالِم البرزخي السفلي باعتبار الصدر المنخرطِ في البرزخ الأعلى وهو مقام (أو أدنى) الأحدية الجمعية ومقام (قاب قوسين) وهو برزخ البرازخ باعتبار الطور السري وهو الفؤاد، وذلك أنّ للقلب وجوهًا ثلاثة:

أحدها إلى النفس وبهذا الوجه يأخذ المعاني الحسية والمبادئ النفسية لاستخراج المطالب العقلية والمآدب القدسية.

ووجه إلى المبادئ العالية والأسماءِ الإلٰهية يستفيض منها المعاني المجردة ويستفيد ويقبل الإشراقات النورية والتجليات الأسمائية والذاتية.

ووجه إلى نفسه تدور على نفسه جامعًا للوجهين رافعًا إلى أُنسِه مستأنسًا بحقيقة قدسِه وهو الدين الإلهي والإسلام الحقيقي، فانشراح الصدرِ عبارة عن انطباق الوجهِ النّفسي على الوجهِ الإلهي واحتراق النفس في النور القدسي ليتحقق بالمقام الأنسي ﴿لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي من شرح الله صدره قد وصل في شرحِ صدره إلى مرتبة من نور الله قلبه بنور التجلي وتمكن في الاستفاضةِ وشهود التجلي مبلغ من يتوارد عليه ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أنوار التجليات المتعاقبة شيئًا فشيئًا ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ للذين انغمست قلوبهم في ظلمة وجه النفس الأمارة، ولم يتصاعد إلى سماءِ الجمعيةِ الإلٰهية، والكونيةِ العاصية غيوبهم فانظلمت وتبعدت ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ والتذكر بتلك الحالةِ الأزلية والمعاهدة الأوليةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المنغمسون في ظلمات الألوهيةِ النفسانية والأدوية الطبيعية الجسمانية الخالية عن الأدوية الروحانية ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزُّمر: 22] أي الجهل المركب الذي هو إرواءِ لأمراضِ النفوس.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ٱللَّهُ﴾ الّذي ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الذي يزيل عن القلب المرض الخبيث وحسنه لفظي ومعنوي، أمّا [اللفظي] فهو الفصاحة والبلاغة، وأما المعنوي فهو شفاء ودواء من جميع الأمراضِ الظاهرة والباطنةِ، وفيه سعادة النشأتين، وهو القرآن الذي هو كلام نفسي ونظم وصف معنوي قديم قائم بذات اللّهِ تعالى لا خبر ولا إنشاء ولا حقيقة ولا مجاز ولا مفرد ولا مركب وغير ذلك من المقابلات بل هو يكون ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزُّمر: 23] أي في أجزائه وعشرائه وسوره متماثلة متشابهة في النزول والإنزال، فإن القرآن قد نزل مرتين أحدهما في اللوح

المحفوظ دفعة، وعلى التدريج في أطوار أدوار الجمال وأكوار الجلال متشاركة ﴿مَّثَانِيَ﴾ [الزُّمر: 23] إما في الإنزال أو التنزيل أو في الحكم، فإن له باعتبار اقتضاء الجمال حكمًا، وباعتبار الجلالِ حكمًا ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر: 87] أو باعتبار أكثر الأشياءِ بل كلها فيه مذكورة زوجان، أي متقابلان مثل النهي والأمرِ، والإخبارِ والإنشاءِ، والعام والخاصِ، والمجمل والمبين، والكفر والأعيانِ، والطاعةِ والعصيانِ، وأحوال السماوات والأرضِ، والدنيا والآخرةِ، والجنةِ والنار، وغير ذلك من الأمور المتقابلةِ ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ في مقام النفس وطورها ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ بالرحمةِ التامةِ والنعمة العامةِ والمغفرة الطامة الضامة في مقام القلبِ وطوره بالتوجهِ الكامل والانعطاف التامِّ من النفس إلى حضائر القدس وسرائر الأنسِ في الطور السري، الذي هو أول موطِن التجليات ومحل بواطِن الظهوراتِ.

وللذكر سبع مواطن وهي الأطوار السبعة القلبية: إحداها الطور القالبي باللسانِ وفي الطور النفسي، والقلبي السري، والروحي، والخفي، وغيب الغيوب، عن كعب الأحبار أنه قال في التوراة في السفرِ الثاني: محمد رسول الله ﷺ الحمادون لله يحمدون اللّه في السراءِ والضراءِ، يحمدون اللّه في كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة الشمسِ يصلون الصلاة إذا جاء وقتها، ولن أقبضه حتى يقام به الملة المعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتحوا عينًا عمياء وأذنًا صماء وقلوبًا غلفاء، فلا يزال العبد في خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلبِ حتى تصير الكلمة متأصلة في القلب مزيلة لحديث النفس، ينوب معناها في القلب عن كل حديث النفس، فإذا استولت الكلمة وسهلت على اللسانِ يبشر بها القلب، فلو سكت اللسان لأسكت القلب، ثم يتجوهر في القلب وبتجوهرها يسكن نور اليقين في القلب، حتى إذا ذهبت صورة الكلمة من اللسانِ والقلب لا يزال بذرها لتجوهرها، ويتحد الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه ويصير حينئذٍ ذكر الذاتِ، وهذا الذكر هو المشاهدة والمعاينة والمكاشفة عن ذكر الذاتِ، هذا هو المقصد الأقصى، وفي هذا الحديثِ إشارة إلى أطوار الذكرِ من المبدأ والمنتهى فتأمل يظهر لك تفاصيله.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الزُّمر: 23] أي الكتاب المذكور في الأطوار المذكورة ﴿هُدَى ٱللَّهِ

﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ من عبادِه المخلصين في تلك الأطوار ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ ويغويه إلى أنواعِ الضلالات ويغريه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزُّمر: 23] وإلى الصراط المستقيم وإلى الطريق القويم نادٍ.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤﴾

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعني أن الإنسان إذا التقى مخوفًا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يتقي فيها وجهه لأنه أعزّ أعضائه عليه أي من يقدر أن يحفظ أعز أعضائه عن أشدِّ العذاب، أو ذاته ووجهه عن العذاب الشديد ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ قيل نزلت في أبي جهل ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ والقائل هو خزنة النارِ أو الملائكة أو الله ﴿ذُوقُواْ﴾ ويأمركم ﴿مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الزُّمر: 24] من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحسبونه، ولا يخطر ببالهم أنّ الشر يأتيهم من الشيطانِ.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٥﴾

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي كذب القوم الذين كانوا من قبل أهل مكةِ الرسل الذين أرسلوا إليهم ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الزُّمر: 25] ولا يحسبون.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ العذاب ﴿ٱلۡخِزۡيَ﴾ والهون والحقارة، وهي مضرب الخزية عليهم ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزُّمر: 26].

﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧﴾

﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزُّمر: 27] يتأملون.

﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨﴾

﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨﴾ [الزُّمر: 28] الكفر والتكذيب.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازعون مختلفون يقال رجل يشتكس إذا كان سيء الخلقِ مخالفًا للناسِ لا يرضى بالإنصاف، يقال للنار والليل: متشاكسانِ أي متضادانِ ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ أي اضرب لقومك مثلًا لهم: ما يقولُون في رجل من المماليكِ قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع، كلّ واحدٍ منهم يدعي أنه عبده منهم يتجاذبونه في حوائجهم وهو متحير في أمره، فكلما أرضى أحدهم غضب الباقون فهو يبقى متحيرًا لا يعرف أيّهم أولى بأن يطلب رضاءه وإنه معينه في حاجاته فهو بهذا السبب في عذاب دائم وتعب لازم، ورجل آخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الإخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماتِه، فهذين العبدينِ أحسن حالًا وأبين شأنًا وأطيب مآلًا، والمراد تمثيل من هو أحسن حالًا بمن هو أقبح حالًا، ولما كان الغرض من ضرب المثل إصلاح مآلِنا وإفلاح وإنجاح آمالِنا وهو من أجلّ النعم وأفضل منايح الجودِ والكرم، وجب علينا الشكر والحمد قال ﴿مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ على فنونِ نعمهِ وعيون عواطفه وكرمه، رب العالمين إشعار بأنّ ضرب المثلِ من أعظم الربوبية، وأكرم الترتيب والتدبير ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر: 29].

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ في حد ذاتك ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمر: 30] يرجعون إلى ما كانوا عليه ميتين.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمر: 31] يعني المحق والمبطل، والصديق من الزنديق، والظالم والمظلوم يعني يتخاصمون.

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الزُّمر: 32] أي إضافة الولد إليه والإشراك به

﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ أي الكتاب الصّادق والخبر الصادق وهو خبر محمد، أو محمد الصادقِ وفيهِ مبالغة ﴿إِذۡ جَآءَهُۥٓ﴾ عائد إلى من ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى﴾ ومكانًا ومأوًى ومنزلًا ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزُّمر: 32] الجاحِدين الحق والمنكرين به من غير توقفٍ وتأملٍ.

﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾

﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ أي الكتاب الصادق المطابقِ للواقِع أحكامه ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ الموصول للجنسِ المتناولِ للرسل والمؤمنين، أو العهد وهو الرسول الذي صدق به المؤمنون، ولذا قرئ (وصدقوا) أو (أول من صدق)، أما أبو بكر أو علي رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «**أولكم ورودًا على الحوضِ وأولكم إسلامًا عليِ ابن أبي طالب**» قرئ بالتخفيف أي صدق به الناس ومجهولًا صدق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الصادقون المصدقون ﴿هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمر: 33] مخالفة الحقِّ، فمنهم من قال الذي هو جبرئيل وصدق به محمد وتلقاه بالقبول، أو محمد وصدق به أبو بكر والمؤمنون بأجمعهم.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ في الجنةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أعطاهم الله ﴿جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الزُّمر: 34] على إحسانِهم وإيمانهم وتقواهم.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٥﴾

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ﴾ ويستر ويتجاوز ﴿عَنۡهُمۡ﴾ بالإحسانِ المذكور ﴿أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ الأسوء للمبالغةِ، فإنه إذا كفره كان غيره أولى بذلِك، أو للإشعار بأنهم لاستعظامِهم الذنوب يحسون أنهم مقصرون مذنبون، وأن يفرط منهم من الصغائر سوء خلق بهم، ويحتمل أن يكون بمعنى سيءٍ كقولهم الناصِح، والأصح إعلاني بزواره فرأوا، سواء جمع سوءٍ ﴿وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الزُّمر: 35] بسبب حسن إخلاصِهم وصفاءِ نيتهم ومآل اختصاصهم به، ولذلك سيّئهم لم يمسسهم سوء وحسنهم بأحسنٍ.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾ [الزُّمر: 36] يعني محمدًا استفهام فيه إنكار المنفي مبالغة في الإثباتِ والعدلِ وقرئ عباده أي الأنبياء والمتقين، فيكون جنسًا، أليس الله يحفظ عبده عن المكاره قصده بها الأعداء، فلا يبالي عما سواه سيما أصنامًا منحوتة وأوثانًا مخروطةً ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ وذلك إنهم خوفوا النبي حيث بعث خالدًا ليكسر العزى قيل له احذرها إن لها لشدةً وبطشًا فعمد إليه خالد فهشم أنفها فتنزل تخويفه منزلة تخويف رسولِ اللّهِ ﷺ فقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾ [الزمر: 36]. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ ويجعله بعيدًا من رحمته التامةِ ووفور نعمته العامةِ ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزُّمر: 36] ومرشدٍ يرشده إلى جناب قدسه ونقاب حضرة أنسه وقباب مرتبة تقدسه دليل على أنّ خالق الكفر والعصيانِ هو الله كما قال أهل السنةِ والجماعةِ خلافًا للمعتزلة والقدرية متمسكين بقوله تعالى: ﴿بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزُّمر: 37] من العصاةِ والضالين.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ بعزيز قوي قاهِر سالب ومنيع ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ [الزُّمر: 37] فينتقم من جمعية الذاتية والصفاتية.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ وذلك لأنّ معرفته تعالى للنفوسِ فطرية وإدراكه لها جبلي أصلي، قال عليه السلام: «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه**»، ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ وشدّة بلاءٍ وفتنة وعناءٍ ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزُّمر: 38] أي

تلك الآلهة يقدرن على أن يكشفه ويدفعه عني ﴿أَوْ أَرَادَنِي﴾ الله ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ ونعمةٍ ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ قادرة على أن تمنعها مني ﴿قُلْ﴾ في جوابهم ودفع العذاب عنهم ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزُّمر: 38] لغلبهم بأن الكل منه.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ﴾ قريش ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الزُّمر: 39] وحالاتكم التي كلكم عليها، والمكانة بمعنى المكانِ فاستعيرت للحال كما يستعار هنا حيث للمكانِ والزمانِ ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ على مكانتي وحالي فحذف للاختصارِ والمبالغةِ في الوعيدِ وللإشعار بأن الحال لا يقف على أمر معهود وحد محدود بل سيال يتزايد على مر الأيامِ وكر الأعوام وظفرًا ونصرة وقدرة وفرصة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر: 39] الحالَ الدائرة بيننا وبينكم.

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ من الله وهوان وذلة من هذه ﴿يُخْزِيهِ﴾ يحقره ويذلّله وقد أخزاهم الله يوم بدر ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الزُّمر: 40] ثابت في الآخرةِ دائم يوم الندامةِ.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ﴾ متلبسًا ومقرونًا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ والعدل والصدق، فإنه مدار معايشهم ومثار انتعاشِهم لما طال حزن رسول اللّهِ على إصرار قومه على الكفرِ والعناد كما قال ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6] أطنب الله الكلام في حقهم تارة للدلالةِ والتبيين بطريقِ الهدايةِ والتحقيق والإدراكِ والدراية، وتارة بضرب المثلِ، وتارة بذكرِ الوعدِ والوعيدِ، وأراد بكلام يزيل الحزن العظيم عن قلبه فقال: إنا أنزلنا عليك الكتاب الكامل الشريف لأمور مقرونة بالحقِّ والمعجزاتِ الدّالة على أنه من عند اللّهِ ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ بالحقّ وطريقهِ ﴿فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الزُّمر: 41] يعود

إليها ويرجع آثار نكايته وآبار نوائبه لديهِ ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم﴾ في إصلاحِ الأمور عاجلًا وآجلًا ﴿بِوَكِيلٍ﴾ [الزُّمر: 41] ليخبرهم على الهدى ويقسرهم على المقصدِ الأقصى الأعلى.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ يعني أنّ الله قدر في سابق علمه وقدر في سالِف قدره وحكمه لكل واحدٍ روحًا وبدنًا ونفسًا وجسدًا، ودبر البدنِ والجسد بتعلق النفس والروح به، وقدر ارتضاءه وقرر فيه بعده متنًا، فإذا استوفى تدبير البدن وجميع ما يتوقف عليه انقطع تصرف النفس وارتفع تدبير الروحِ والعقلِ فاعترى عليه الموتِ واجترأ لديه ملك الإهلاكِ الفوت واستطرى إليه السكون وقطع الصوتِ ﴿وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ﴾ أي النفس لم ينقطع عنها بل يرجع إلى عالم الخيالِ، وينقطع عملك النفس وهو القوى النفسانية كالمشاعِر الظاهرة والباطنة التي تتوقف عليها تصرف النفس وأعظمها هو البصر والسماع والنظر وغيرهما، فيعرض على النفس حالة شبيهة بالموتِ وهي النوم، وإليه الإشارة بقوله والتي لم تمت ﴿فِي مَنَامِهَاۖ﴾ أي لا ينقطع تصرف النفس في البدنِ بالكلية ﴿فَيُمۡسِكُ﴾ [الزُّمر: 42] الله النفس العائدة إلى البرزخ وعالم الخيالِ المقيد إلى أن يزول عنها الكلال، وعن أعمالِها ومباديها البدنية والنفسانية الإعياء والكسالة والملال.

﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾ [النبإ: 9 ـ 11] وهكذا يتوارد الليل والنهار إلى أن ينتهي الشخص إلى كماله اللائق واستئناف حاله السابق واللاحِق. فذهب الحكيم الطبيعي إلى أنه إنما يحصل على الأكثر في مائة وعشرين سنة ويسمى الموت الطبيعي، إذ نسبة العقول العشرة التي هي مظاهِر الأسماءِ سابقة الذاتية، والذات مع جمعيتهما وهي تلك عشرة كاملة، وتفاصيل آثار أنوارها إجمالًا وإجلالًا وجوبًا وإمكانًا إنما يتبين في عالم الملكوتِ والنفوس باثنتا عشرة صفة، وفي عالم البرزخ وعالم الخيال المطلق والطبيعة الكلية وفلك عالم المثالِ باثنتا عشرة صورةً، وفي عالم الملك والجسمِ الكمال وهو العرش بلسانِ

الشرع، والفلك الأعظم وفلك الأفلاك بلسانِ الحكماءِ باثني عشر برجًا، ولا يصل آثار أنوار فيض كل عقل ونفس في عالم الكونِ والفساد سيما في مرتبة الناسوتِ إلا إذا رأى السماوية والنجوم الفلكية سيما السيارات والنيرين الأعظمين أعني الشمس والقمر الموصل كل منهما الأفياض التي أودعها الله تعالى وأبدعها في السماواتِ وأجزاء الأفلاكِ خصوصًا في البرزخ والدرجاتِ، فإذا لا يستكمل كل شخصٍ من الأشخاصِ إلا في هذه المدة لتضمنها وصول ما في هذه الأجزاءِ فيه إذا صانه الله تعالى عن القواطع في أثناء العمر.

فالموت بحسب الوجود أخص من النوم، ويجامعه في ما أشار إليه عليه السلام: «**النوم هو الموتِ الأصغر**» لأنه عبارة عن انقطاعِ تصرف النفس في البدنِ بالكل بخلاف النوم، فإنه عند النوم عبارة على تقاعِد بعض أعمالِها عن الأعمالِ البدنية، وأما بحسب المفهوم بمبانيها وبحسب الوجود يجامعها عطف على الأنفسِ يعني أن الله تعالى يقطع تعلق النفس وتصرفها عن البدنِ بالكلية ظاهرًا وباطنًا في وقت الموت، ويقطع تصرف النفس في البدن في الظاهِر دون الباطِن في النوم، وربما يطلق النوم على انقطاعِ تصرف النفس عن الباطِن وذهولها عنه كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**»، كما يطلق الموت على الجهلِ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: 122] أموات غير أحياء، فيمسك الله عزّ وجل النفس العاملة في عالم البرزخ وجهه إليه حالة النوم ﴿ٱلَّتِي قَضَىٰ﴾ وحكم ﴿عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ وجريان الهلكِ والفوتِ وانقطاعِ التصرف في الظاهِر والباطِن حتى الصوت ﴿وَيُرْسِلُ﴾ النفس العاملة ويوجهها عن عالم البرزخ الكرة ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ إلى عالم الملكِ للتصرف في البدنِ وتدبيره ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُّمر: 42] أي وقتٍ ضرب لموته.

عن ابن عباس: إنّ في ابن آدم نفسًا وروحًا بينهما مثل شعاع الشمسِ فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح الّذي به النفس والتحرك، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه. عن علي رضي الله عنهما قال: يخرج الروح عند النوم يبقى شعاعه في الجسدِ فبذلك يرى الرؤيا، وإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسدِه بأسرع من لحظةٍ، ويقال إنّ أرواح الأحياء ترسل حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاءِ مدة حياتها.

هذا **واعلم** أنّ الروح والعقل والنفس حقيقة واحدة، والفرق والتغاير بينهما اعتباري، فباعتبار إدراكِ المنافِع والمضار والغموم والسارّ وغير ذلك يسمى بالعقلِ، وباعتبار تدبيره والتصرف فيه يسمى بالنفسِ، وباعتبار أنه حي ويظهر منه أثر الحياةِ يسمى بالروحِ، وما ذكرناه تفصيل لما أجمل ابن عباسٍ وعلي رضي الله عنهما.

واعلم أنّ أعمالَ النفسِ وأفعالَها وسائر ما يصدر منها ومن العقل أو من الإدراكاتِ والعلوم صور مثالية ومثل برزخية خيالية، ولكل ما كان في الظاهِر والغيب والباطِن من الأجسامِ والجواهِر والأعراضِ والمعاني المجردة والمباني المرددة لها في عالم البرزخ وعالم مطلق الخيالِ والبرزخ المبدئي والمبادئ صور وأمثلة متقاربة وغرر وهيئات متناسبة دنياوية، وبينها وبين ما يصدر منها من الأفعالِ والأعمالِ والأحوال والأقوالِ والمعاني المجردة الفائضة علاقة معنوية وملازمة عقلية وخيالية، ينتقل منها إليها ويصير بما يناسبها ويسمى بالتعبيرِ والتأويل، وذلك أنّ النفس والروح لها اتصال بعالم البرزخِ فعند تقاعد أعمالِ النفسانية وهي الحواس الظاهرة والقوى الباطنة عن أعمالها عادت النفس ورجعت الشبح إلى شبحها الأصلي وهي عالم المثال، وشاهدت صور الأعمالِ والأفعالِ، وأخبرت كما شاهدت في عالم البرزخِ القوة المتخيلة، اختزلت القوة المتخيلة كما تلقته من الصورِ والمعاني البرزخية وإفاضتِها إلى الحسِّ المشترك فشاهدها فبعثها الحس المشترك إلى خزنة الخيالِ فحفظتها إلى أن انتبه فتذكرها، وعبرها المعبر إلى سمعها بما يناسبها. قال النبي ﷺ: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشِه فلينفضن فراشه بداخِله إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصّالحين**» ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الأمرِ المذكور مِنْ توفي النفسِ والإرسال ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزُّمر: 42] للدلالة على كمال قدرته ووفور قوته ودرور حكمتِه.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ بل اتخذوا الهمزة للإنكارِ ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمر: 43] والمتخذ إما قريش أو الأعراب أو غيرها، وغير اللّهِ إما الأصنام أو الآلهة التي أخذوها

﴿شُفَعَآءَ﴾ كالملائكةِ أو الإنسان أو الكواكب أو غيرها ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾ لا من الشفاعة ولا من غيرها، فإن شفاعتهم لو كانت لا تكون إلا بأمر الله أو إذنه ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزُّمر: 43] لا يكون لهم عقل وهو مناط التصرف والتودد والتعطف، واعلم أن الكفار قالوا نحن لا نعبد الأصنام لاعتقادنا لها آلهة قد خلقنا ونصرنا وتنفعنا بل نعبدها لأجل أنها تماثيل أشخاص كانوا عند اللّهِ مقربين، لعلّ أولئك يشفعنا فأجاب الله عنه ردًّا عليهم بأنه ليس الأمر على ما زعموا بل اتخذوها من دونِ اللّهِ شفعاء، فإذن قل يا محمد أولو كانوا لا يعقلون، تقرير الجواب هؤلاءِ الكفارِ إما أن يطمعوا تلك الشفاعة من هذه الأصنامِ، أو من أولئك العلماء والزهادِ المقربين الذين هذه تماثيل لهم، والأول باطلَ لأن هذه الأجسام جمادات لا يملكون شيئًا ولا يعقلون، وأما الثاني فلأن في القيامةِ لا يملكون أحدًا أمرًا لا الشفاعة ولا غيرها إلا بإذنه.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)﴾

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ وغيرها من أمور النبواتِ ﴿جَمِيعًا﴾ فلا يملكون شيئًا من الأمورِ الوجودية والعدمية إلا بإذنِه وأمره فلا يستطيع أحد شيئًا من الأشياءِ ولا أمرًا من الأمورِ ولا شفاعة إلا بأمرين أن يكون المشفوع مرتضىً وأن يكون الشفيع مأذونًا له، وههنا الشرطان مفقودانِ جميعًا، أو لو كانوا معناه يشفعون وكانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون، أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئًا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم ولا إدراك حتى يتمكنوا أن يتصرفوا فيما دونهم تصرف المالِك في المملوكِ ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي عالم المجرداتِ والأنوار القاهِراتِ المدبراتِ والجواهِرِ الغاليات والفواخِرِ العالياتِ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ الأجسام السافلاتِ المادياتِ الأجرام السماوية والأجسام العنصرية وما يتركب منها، فيكون مالك الملكِ على الإطلاقِ وحينئذ لا شريك له ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزُّمر: 44] رجوعًا كليًّا وجزئيًّا آنًا فآنًا دفعيًّا أو تدريجيًّا، أدوارًا وأكوارًا، إفراديًّا أو جمعيًّا، إذ للأشياءِ كلها في كل زمانٍ بل في كل آنٍ حشرًا ونشورًا بطنًا وظهورًا وكونًا وبروزًا وخفاءً وصدقًا، كما يكون لها بعد انقضاء مدة الأدوار وانقراض

نوبة التدبير في الأكوار، قيامةً وحشرًا ونشرًا وما يلزمه من الجنةِ والنار.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ بلا مشاركة الغيرِ في الذكرِ بأن يترك آلهتهم إلّا اللهِ ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ انقبضت فنفرت من الاشمئزازِ وهو النفور والتنفر يعني إذا قيل لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد اشمأزت وتنفرت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ﴾ لأن فيه نفي آلهتهم ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ من الأصنام والأوثانِ ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزُّمر: 45] ويفرحون ولذلك حين قرأ النبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: 52] (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجى)(*) وكان ذلك باب الكعبة فسجد وسجدوا معه، ففرح الكفار وظهرت آثار الفرح والبهجة في وجوهِهم وبشرتهم، فالاستبشار والاشمئزاز متقابلانِ إذ لكل منهما غايتانِ فإن الاستبشارِ إن يلي القلب الابتهاج والسرور حتى ينبسط وظهر في الوجهِ فيتهلل وينتصر ويستبشر، والاشمئزاز ضده وعكسه يظهر آثار الفزع والانقباضِ والحرج في البشرةِ، والعامل في (إذا) المفاجأة معناها يعني فاجؤوا وقت الاستبشار.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ [الزُّمر: 46] بيان السماوات والأرضِ إذ السماوات هي عالم الغيب والأرضِ عالم

(*) عن سعيد بن جبير: قرأ رسول الله ﷺ بمكة «النجم» فلما بلغ هذا الموضع ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: 19، 20] قال فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتجى، قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾.

الشهادةِ، أنت تحكم بين عبادك من المخلفات والمعادات والمشاجرات والخصوماتِ سئل عن عائشة رضي الله عنها بم يفتح الرسول الصلاة من اللّيل قالت: كان يقول اللّهم رب جبرئيل وميكائيل وإسرافيل فاطِر السماواتِ والأرضِ أنت تحكم بين عبادك ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزّمر: 46] اهدني لما اختلف فيهِ من الحقِّ بأمرك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الخزائن والدفائن وما على الأرضِ من العروضِ والجواهر والنقود والأجناسِ بأسرِها ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾ وأنفقها في سبيل اللّهِ وتصدق بها على المستحقين، وحسبوا أنهم يحسنون إحسانًا خالِصًا لِلّه وهم بذلك يخلصون وينجون ﴿مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ﴾ وأسوأ العقاب وأشدِّ الحسابِ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ﴾ وطمعوا برحمة اللّهِ وعنايتهِ ﴿وَبَدَا﴾ وظهر لديهم واتضح بين يديهم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمر: 47] ويظنون أنه ما بقي من حسابهم من شيء، وإن ظهرت لهم أنواع من العقابِ لم يكن في حسبانِهم، أي أظهر هو سبها من سيئات أعمالهم أمورًا لا تتناهى كأنهم ما حبط وما أعطى الحِساب أصلًا بل كأنه تعالى استأنف حسابهم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17].

إني رأيتُ يومًا السلطان حسن البيضاوي البانيدي وجدَّه عمر عفى الله عنهما فسألت عن أحوالها فقال لنا أحوال غريبة وحالات عجيبة قد حاسبنا الله حسابًا وحسبنا أنّ حسابنا قد انقضى وجوابنا قد تم ومضى ولم يبق علينا شيء من الحِسابِ والسؤال والجواب، فإذا قد أظهر الله من صحائف أعمالِنا وصفائح أفعالِنا شيئًا ما كنا نعلمه، فإذا قد خجلنا خجلةً عظيمةً وحصل لنا وذقنا عذابًا فوق عذاب وهلاكًا فوق هلاك لقد تمنينا أن نموت موتًا أبدًا نعوذ باللّهِ من توقيفاتِ حساب اللّهِ ومناقشاتِه، وأن يفعل بنا بالعدلِ لا بالفضلِ نرجو من الله رحمته وفضله وإحسانه، فإن كثيرًا ما عمِل العبد عملًا وحسب أنه عمل صالِحًا قد وقع في حيز القبولِ، فإذا هو كان من أسوأ السيئاتِ وأقبح الخطيئاتِ وأفضح المنكراتِ حسنات الأبرار

سيئات المقربين، ورب تالي للقرآن والقرآن يلعنه، عن سفيان الثوري أنه قرأ هذه فقال: ويل لأهلِ الرياءِ ويل لأهلِ الرياء، هذا اللّهم إنِّي أعوذ بك من الرياءِ، فإنها أخفى من دبيب أضعف النملِ في ظلمةِ الليلة الظلماء.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي سيئات أعمالِهم أو كتبهم حين أن يعرض صحائفهم ولا يقبض لدى عرض الأعمالِ صحائفهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزُّمر: 48] أي أحاط بهم سوء وجزاء استهزائه.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ﴾ والبؤس والمرض والشرّ والجوع والفقر ﴿دَعَانَا﴾ وناجانا وخاطبنا ونادانا طالبًا دفعه وراغبًا عنا رفعه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ﴾ وأعطينا ﴿نِعْمَةً﴾ وأنعمنا رحمة ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ [الزُّمر: 49] أي قال الإنسان إنما أعطيت النعمة بناء مجهول من باب الأفعال ماضٍ نفس المتكلم، أي على علم حاصل من الله متعلقًا بكيفية كسبه، أو بأني سأعطاه لما فيّ استحقاقه أو من اللّهِ لي وباستحقاقي إنما أوتيته مني بهذا ولأجل ذلك قدرت على اكتسابه مثل أن يكون مريضًا فيعالج نفسه فيقول إنما وجدت الصحة لعلم بكيفية العلاج، وكذا يقال إنما وجدت المال لعلمي بكيفية المكتسب، وضمير المنصوب يعود إلى ما وإن جعلت موصولةً، وإلا فلنعمة والتذكير لأنّ المراد ما الشيء ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ أي النعمة المذكورة ابتلاء وامتحان، لأن عند حصولها يجب الشكر وعند فقدانِها يجب الصبر، والتخلف فيهما يوجب العذاب والضرّ ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر: 49] ذلك الابتلاء وحكمته وفائدته.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الضمير عائد إلى كلمة (إنما) أوتيته إلى آخره أو إلى الجملةِ ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الزُّمر: 50] أي ما منع كفرهم من العذاب شيئًا وكذا سائر مكتسابهم.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَالَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ أي جزاء اكتسابهم وعذاب اجتلابهم من السيئاتِ وأنواعِ الذنوب والخطيئاتِ ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالعتوِّ والعنادِ والمكابرة وعموم الإفسادِ ﴿مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ المشركين من قريش والأعراب، ومن للبيانِ والتبعيض ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ أي كما أصاب أولئك بأنهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزُّمر: 51] أي يعجزون في الدنيا والآخرة بإجراء جزائهم.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ تارة في الدنيا جزاءً بما عملوا أو ينقص أخرى بما اكتسبوا من سوءِ الفعالِ تفصيل وبيان لما تقدم لمن يشاء ﴿وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ البسطِ والقبض ﴿لَآيَٰتٍ﴾ [الزُّمر: 52] يدل على سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجلادته إذ كثيرًا ما يكون الجاهِل الأحمق مرزوقًا والعاقل العالم محرومًا مدفوقًا.

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيت مذاهبه … وكم جاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرةً … وصيّر العالمَ النحريرَ زنديقا

وكذا ليس لأجل الطالِع والأنجم وأوضاعِ الأفلاكِ لأنّ في الساعة التي ولِد فيها ملك كامل سلطان عادل ولد فيهِ عالم من الناسِ وعالم من الحيواناتِ غير الإنسان وكذا يتولد في هذه الساعة عالم من النباتِ فلو كان السبب وضع الأفلاك واتصالات ما في الأفلاكِ من النجوم والكواكب لتخلف الحكم في غير الملك فيما يطلب هذه الأقسام علمنا أنّ المؤثر والمقتضي هو الله تعالى، وأشار إليه بقوله: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الشورى: 12] وقوله: ﴿اللَّهُمَّ مَٰلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26] نصب على ذلك دلائِل وإشارات وبراهين وعلاماتٍ ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزُّمر: 52] وبكمال قدرته وتمام إرادته وعموم مشيئته

يختص برحمتِه ووفور عنايتِه ونعمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾

﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ أفرطوا في حال حياتهم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ وحكموا عليها بالإفراطِ والتقصير والانحطاط والتقتير والتحبير ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ ولا تيأسوا من كمال مغفرته ووفور رأفته وعموم رحمتِه أولًا، ولا من وفور فضله وإحسانه ثانيًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ غفرانًا وعفوًا أوليًّا أو بعد التعذيب وتعداد الذنب والتقريب أو التبعيد والتعريب ما عدا الشرك بالترتيبِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: 54] من أنواعِ الذنبِ وأصناف التكريب ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ في الدنيا والآخرةِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر: 53] في الآخرةِ تعليل في المبالغة في التجاوزِ عن السّيئاتِ في الدارين وفي الغفرانِ للخطيئات في النشأتين.

عن ابن عباسٍ: إنّ ناسًا من أهلِ الشركِ قد قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا ثم أتوا النبي وقالوا: إنّ الذي تقول وتدعوننا إليهِ لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت. وأيضًا قال: إنّ الله بعث النبي ﷺ إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أنه من قتل أو أشرك أو زنا يلقَ آثامًا تضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: 60] فقال وحشي: هذا شرط شديد لعلي لا أقدر على ذلك فهل غير ذلك؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: 116]، فقال وحشي: وإني بعدُ في شبهةٍ فلا أدري يغفر لي أم لا فأنزل الله: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]. قال وحشي: نعم هذا فجاء وأسلم، فقال المسلمون: هذا خاصة أم للمسلمين عامة قال عليه السلام: «**بل للمسلمين عامةً**». عن النبي ﷺ: «**كان في بني إسرائيل رجل قد قتل تسعًا وتسعين إنسانًا فخرج إلى راهب فسأله التوبة قال: لا توبة لك فقتله فجعل يسأل فقال له رجل: إيت قرية كذا وفيه رجل، فأقبل فتوجه إليه، فإذا أدركه الموت في الطريق اختصم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى انظروا إلى أي القريتين كان أقرب إن كان إلى هذه القرية**

أقرب فقد تاب وإني أقبل توبته فوجد أن هذه القرية أقرب بشبر فغفر له».

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي أقبلوا وتوجهوا ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ إذا رجعوا إليه بالطاعةِ والعبادة الظاهرة ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ في يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزُّمر: 54] ولا يدفع عنكم العذاب أي عذاب التحسر وعقاب التجبر والندامة في القيامة الروحية وإنما ذكر على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولِها تمييز وتوبة وللدلالةِ على أنها شرط فيها لازم لا يحصل بدونها، هذا ضعيف لأنّ الله تعالى ذكر أن الله يغفر الذنوب كلها من غير شرط. واعلم أنّ الله تعالى فعال لما يريد فإذا أراد أن يغفر للعباد خلق فيه التوبة، والتوبة في الحقيقة هي الندامة وهي بخلق الله وإرادته.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ وهو القرآن لما تقدم نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا، والقرآن كله أحسن من حيث إنه كلام الله، أو المراد هو الناسخ لا المنسوخ، أو المأمور دون المنتهي، ولعله هو ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعةِ والمراقبة على التقوى والإطاعةِ ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً﴾ دفعة واحدة أو فجاءةً بلا إعلام وتنبيهٍ وتمهيد ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزُّمر: 55] بمحنته وإقباله لتداركوا وتحذروا.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمر: 56] مفعول له أي كراهة أن تقول نفسٌ واحسرتا وندامتا والتنوين إما للتنكير أو العوضِ أي اتبعوا أحسن ما أنزل كراهةً وحذرًا من أن يصدر من نفس من نفوسكم هذا القول مبنيًا

على ما فرطت أي قصرت في جنب الله أي الجنبِ اليمنى والجنب هو الطرف الذي يجب تنزيه الله عنه فلا أن يعمل بالقدرةِ التي هي مقتضى الجمال الذي يمر في المولود الإنسِي بمعنى دفع التقصير مني في أداءِ وظائف المولود الإنسي من الطاعات والعبادات والاعتقاداتِ لعدم موافقة المولود الجني الذي يربيه الجلال المولود الإنسي ولمعارضته به بل غلبته عليه فحينئذٍ يقع منه التقصير في أداءِ العباداتِ قال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجنِّ قالوا: وإياك يا رسول اللّهِ قال: وإياي لكن اللّه أعانني عليه فأسلم على يدي فلا يأمرني إلا بالخير**»، ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزُّمر: 56] المستهزئين من السخرية وهي الاستهزاء ومحل ﴿وَإِن كُنتُ﴾ على الحالِ كأنه قال فرطت ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧﴾

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ بالإرشادِ إلى الحق ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزُّمر: 57] من المخالفاتِ الإلهيةِ والمبايناتِ العرقية وغير الأحكام الشرعية.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزُّمر: 58] بمعنى أنّ الله تعالى قد أمر باتباع القرآن كراهة لأمور أحدها أن يقول نفس كل أحد منكم يوم القيامة على تقدير عدم الاتباع ومعاينة علامة الخسارة، يا حسرتا وندامتا على ما فرطت وقصرت في أداء وظائف العبودية ومتابعةِ كتاب اللّهِ، والمتابعة بما فيهِ من الأحكام الشرعية حال كون النفس قابلة بنفسها لنفسها، وإن كنت من الساخرين لكنت من الخاسرين والمغبونين، والأمر الثاني هو أن يقول على التمني لو أنّ اللّه هداني وأرشدني في الآخرةِ أو في الدنيا لكنت من المتقين الخائفين عن عذاب المحترزين عن مخالفة أمره، والأمر الثالث هو أن يقول حين يرون العذاب

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٩﴾

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزُّمر: 59] يدعو ما قالوا لو أن لي كرةً فأكون من المحسنين.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأن قالوا ليس هذا كلام فيكون جزاء كذبهم ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمر: 60] الجاحدين لكلام اللّهِ ولرسوله.

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ وخافوا مخافة كلام وحكم شريعته ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ مفعلة من الفوزِ وهو الفلاح والنجاة والنجاح الذي به استحقوا بحسن العملِ وكمال الصلاحِ ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ والعذاب وشدة العقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزُّمر: 61] على فوت سعادتهم وموت عملهم الصالح ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لهم البشرى في الحياة الدنيا.

﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزُّمر: 62] يتولى التصرف فيهِ بالأصالةِ والوكالةِ.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ جمع مقلاد كمفتاحٍ جمعه مفاتيح ومنديل جمعه مناديل، أي بيده خزائن الرحمة والرزق ووفور النعمةً، سئِل النبي ﷺ عنها فقال: «**لا إله إلّا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر اللّه ولا حول ولا قوة إلّا باللّهِ، هو الأول والآخر والظاهِر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيءٍ قدير**»، والمعنى على هذا أنّ اللّه تعالى يوجدها ويخبر عنها وهي مفاتيح خبر السماواتِ والأرضِ ومن تكلم أصابه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الزُّمر: 63] متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [الزُّمر: 61] وما

بينهما اعتراض للدلالةِ على أنه تعالى مهيمن رقيب حاكمٌ على العبادِ مطلع على أحوالهم مجاز عليها وتعيين النظم للإشعارِ بأنّ العمدة في فلاحِ المؤمنينِ فضلهم وإن إهلاك الكافِرين بأن خسروا أنفسهم والتحريض بالوعدِ والتعريض بالوعيد قضية للكرم والمراد بالآياتِ دلائِل قدرته.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزُّمر: 64] وإنما وليت الهمزة (غير اللّهِ) دون (أعبد) إشعارًا بأنّ عبادة الغير ممنوع لا العبادة نزلت حيث قال الكفار: اعبد يا محمد آلهتنا لنعبد إلٰهك، وفيهِ توبيخ ومذمة صريحة لعبادةِ غير اللّهِ حيث نصّ على جعلهم

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ في بني إسرائيل من الرسل ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ باللّهِ غيره من المخلوقاتِ ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ولنجعله ضائعًا عبثًا بل يتضمن وبالًا عظيمًا ونكالًا عميمًا ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمر: 65].

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزُّمر: 66] إشعار بأنّ حقيقة الإنسانِ من حيث إنه ممكن عار عن جميع الكمالاتِ وعموم الخيرِ والسعاداتِ والخير كله والكمال جله من اللّهِ ولكونِ الشيطانِ قريبًا بل أقرب منك ومن دمِك ونفسك إليك خفيًّا عنك ويدخل ويجري في عروقك مجرى الدم في العروق يدعوك إلى الضلالِ، ويغويك إلى مقتضى الوهم والخيال الذي يقضي إلى مخالفة أمر الله لولا عناية اللّهِ وهدايته لضلّ الإنسان بتمام أفراده كما ضلّ في الفطرة الأولى بأكل الشجرة ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

وأما ما قيل: هذا من قبيل الفرض فهو تكلف بارد وتعسف مارد بما لا يرضى به الله ورسوله إذ الأفراد الإنسانية كلها من حيث إنها إنسان مشتركة في

اللوازم الذاتية واللواحق الفطرية، فإبراء الرسول من اللوازم الفطرية إخراج له من الحد الإنساني وهو غير مرضي ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ التقديم يفيد الحصر للعبودية به تعالى ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على نعمة الاختصاصِ فإنه من أجل النعم والمنح الجزيلةِ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ومعرفته ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمر: 67] هذا التمثيل والغرض منه تنبيه على كمال عظمته وشمول قدره ووفور قوته والتوفيق هو كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضةِ لا باليمينِ إلى جهة خفيفةٍ أو مجاز، كذا حكم ما يرى أن جبرئيل عليه السلام جاء إلى رسول الله فقال: يا أبا القاسِم إنّ اللّه يمسك السماواتِ يوم القيامةِ على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهز فيقول: أنا الملك فضحك رسول اللّهِ تعجبًا به، قال: ثم قرأ تصديقًا له

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ إنما أفصح العرب تعجبًا لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه منه علماء البيانِ من غير تصور إمساكٍ ولا أصبع ولا يد ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول كل شيءٍ وآخره على الزبدة والخلاصةِ التي هي الدلالة على القدرة الباهرةِ وإنّ الأفعال العظام التي تتحير فيها الأذهان ولا تكتنهها الأفهام ولا تكتسبها الأوهام، هينة عليه هوانًا لا يوصِل السامِع إلى الوقوفِ عليه إلا آخر العبارةِ في مثلِ الطّريقة من التخييل والتمثيل، ولا ترى بابًا من علم البيان أدق ولا ألطف من هذا البيان ولا أنفع وأعون على تعاطي أقاويل المشتبهاتِ من كلام اللّهِ في القرآنِ وسائر الكتب السماوية، وكلام الأنبياءِ فإنّ أكثره وأغلبه تخيلات وزالت فيها الأوهام ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر: 67] في الأدوار الجماليةِ والأكوار الجلالية وأعلى من أن يراد من هذه الألفاظِ المشعرة بتفخيم الأعضاءِ والأشباحِ الظاهرةِ والباطنة ما أبعدوا على من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم أو ما يضاف إليه من الشركاءِ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ في المرة الأولى في انقضاء الدورة الجمالية الإفرادية ﴿فَصَعِقَ﴾ ومات وهلك ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي في الأدوار الجمالية صريحًا من الملائكةِ والعجائب الغيبية والغرائب الكونيةِ التي لا يعلمها إلّا الله ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ومن فيها من الأكوان الظلية في الأكوار الجلالية الضمنية من المولوداتِ الجنية المثبوتة بالمولود الإنسي ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ من الأفراد الكاملةِ التي استكملت في جميع الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية، وذلك عند تطابق المولود الإنسي والجني وتوافقهما وتكاملهما في تمام الأدوار والأكوار الصريحة الضمنية بحيث لم يبق لهما حالة منتظرة.

قال علي كرم الله وجهه في أطوار بروزاتِه وأدوار برزاته: أنا المنقلب في الصُّورِ، أنا الصيحة بالحق يوم الخروج لا يكتم عنه خلق السماوات والأرض، أنا الذي أقوم الساعة، أنا الذي إن أمت فلم أمت وإن قتلت فلم أقتل، وغير ذلك مما يدل على تحققه في كل الأدوارِ والشهور، أنّ الأحياء الذين لا يموتون هم خضر وإلياس والأعيان الذين قد تحققوا بتبعيتهم له ﷺ.

وأما النبي ﷺ فهو وعلي متحدان في الحقيقة كما قال النبي ﷺ: «**أنا أول ما خلق الله نوري**»، وقال علي رضي الله عنه: أنا محمد المصطفى وأنا علي المرتضى كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**علي مني وأنا منه**»(*).

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ نفخة ﴿أُخْرَىٰ﴾ [الزُّمر: 68] في انقضاء هذه الكورة الجلالية الصريحة أن مدة كل دورة وكورة صريحتين إذا انقضت اصطكت سماوات كل دورة وحصل عند ذلك الاصطكاكِ صيحة هائلة وصوتًا شديدًا لا يستطيع أحد ولا يستطيع فرد من الكائناتِ أن يسمع صوت ذلك الاصطكاك لا من الإنسِ ولا من الجن ولا من الملائكة والشياطين، فإذا انتقلت نوبة الترتيب والتدبير إلى دورة أخرى أو كورة أخرى أمر الله تعالى أن يحيي تلك الأصوات التي هلكت لدى

(*) يتكلم بلسان الجمع من حيث حقيقته التي هي الحقيقة المحمدية وليس بلسانه الفرقي من حيث هو علي.

انقضاءِ الدورة لتي ظهرت أعيانها فيها من السماواتِ والأرضِ وما فيهما من الملائكة والإنسِ والشياطين والجن ويظهر في تلك الأعيان كلما أثبتوا في تلك الدورة من الأعمالِ والأحوال والأفعال والأقوال جودتنا متناسبة وهيئات متقاربة حسنةٍ أو قبيحة قال النبي ﷺ: «**إنما هي أعمالكم تردُّ عليكم**»، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمر: 68] من قبورهم ينتظرون ما أمر الله فيهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون سنة وإما أو يومًا أو قرنًا أو غير ذلك لا يعلم إلا الله**» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34] الآية.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ وأضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ وخالقها ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ديوان الأعمالِ والصحائف ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ مفعول ما لم يسم فاعله جيئ أي أمر الله أن يجيئني الأنبياء ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ في القيامة ﴿وَقُضِىَ﴾ وحكم ﴿بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالقسطِ والعدلِ والاقتصادِ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزُّمر: 69] أي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ وأعطيت ثواب أعمالهم ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزُّمر: 70] أي بأفعالِهم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ مجهول ساق وهو الطرد أي سوقًا عنيفًا زمرًا أي أفواجًا وأفرادًا وأزواجًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ حتى لانتهاء السوقِ وغايته فإذا انتهى السوق للغاية ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزُّمر: 71] السبعة التي لكل منها

جزء ومقسوم وزمرة مرسوم ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزُّمر: 71].

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزُّمر: 72 - 73] أي صيرتم بطيب المكانِ أحسن الحالِ والمقام، ماض أصله طيبتم مثل بيعتم ففعل به ما فعل به ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزُّمر: 73] روي عن علي رضي الله عنه قال سيقوا إلى الجنةِ فإذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة من تحت ساقِها عينان فيغتسل المؤمن بإحداهما فيطهر ظاهره فيشرب من الأخرى فيطهر باطنه ويلقاهم الملائكة على أبواب الجنةِ يقولون: سلام عليكم طبتم إشارة إلى أن هذه الدار دار السلام والسلامة من كل عناءٍ وآفةٍ.

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾

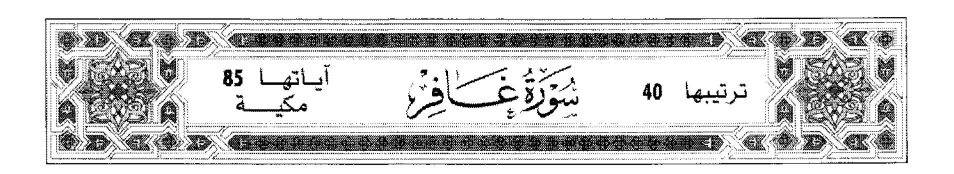
﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزُّمر: 74] أي أرض الجنةِ كما قال ولقد كتبنا في الزبور من بعدِ الذكرِ أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون، إن في هذا لبلاغًا لقوم عابدين ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ونتنزل ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ وأي مقام ومنزل نريد ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزُّمر: 74] أي ثواب المطيعين.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ محيطين من حف يحفه إذا أحاط حفت الجنة

بالمكاره وحفت النار بالشهواتِ الحديث ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ أي جوانبه وأطرافِه ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي ذاكرين بحمد ربهم أو متلبسين به ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ أي بين الخلق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بإدخالِ بعضهم في النارِ وبعضهم في الجنةِ ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الزُّمر: 75] عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامةِ وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوه**». عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ كل ليلةٍ بني إسرائيل والزمر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل إيمان المؤمن مرآةً لشهود تجلياتِ الذاتِ والأسماءِ والصفاتِ ومرقاة للصعودِ إلى شهود التجلياتِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي رحمهم بأنواعِ الرحمةِ وصنوف العباداتِ والكراماتِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي أماتهم مرتين وأحياهم كرتين مرة في الدورة الجماليةِ الوجودية وأخرى في الكورة الجلاليةِ، وأحدهما بالاختيارِ والإرادة في القيامةِ النفسية، والأخرى بالاضطرار في القيامةِ الآفاقية.

﴿حمٓ ۝١﴾

﴿حمٓ ۝١﴾ [غافر: 1] (حا) فيه من الأعداد ٤٨ دل على عدّه الأدوار والأكوار الكلية الإفرادية النورية والظلية وهي بإزاءِ القراناتِ التي يقع في المثلثاتِ الأربعة التي هي على طبائع الأدوار المربعة النورية وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى أي النار والهواء والماءِ والتراب وهي منسوبة إلى العلمِ والحياة والقدرة والإرادة فأعيان الدورة العظمى التي ربها العلم يكون على طبيعة النار في غاية العظمة والاقتدار، وأعيان الدورة الكبرى التي ربها الحي على طبيعة الهواءِ، وأعيان الوسطى التي ربها القدير على طبيعة الماءِ، وأعيانِ الصغرى التي يدبرها المريد على طبيعة الأرضِ.

ولا شك أنّ كل دورة تكون أقرب إلى المبدأ الأعلى يكون أعيان نهاية أعظم ومدة أعمارها أطول قياسًا على أن الأدوار المتوازية الموازية للحفظة كلما يكون

أقرب إلى المحيطِ وأبعد عن المركز يكون أعظم وحركتها أسرع وأتم وأقدم، ولذا صار لهم الأول أعظم من البواقي في مدة الدورة العظمى ثلاثمائة وستون ألف سنة، وكذا مقدار كل دورة من هذه الأدوار ثلاثمائة وستون ألف سنة، وكل سنة ثلاثمائة يومًا، والفرق في مقدار اليوم، فإن مقدار يوم الدورة العظمى ثلاثمائة وستون ألف سنة من أيام سيرة الدورة الأولى التي يليها وهي الكبرى فإن مقدار الدورة الكبرى خمسون ألف سنةٍ، ومقدار يوم الدورة الوسطى ألف سنة، ومقدار يوم الدورة الصغرى مائة سنة وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4] ثم تعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنةٍ قال بل لبثت مائة عام فهذه الأدوار النورية الجمالية الأربعة نصف يوم بليلها، وأكوار المدة الظلية الجلالية وهي باطن الأدوار النورية الجمالية فيكون النصف الآخر لهذا اليوم، فهذه الأدوار والأكوار يوم واحد إلهي من الأيام الإلهية.

وتكرار (حم) في سبعة مواضِع إشارة إلى أنّ المبادئ الإلٰهية تسعة وهي الأسماء الذاتية السبعة التي هي أرباب هذه الأدوار، أربعة منها وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى بالأصالةِ والاستقلال، وأربابها هي العليم والحي والقدير والمريد، والثلاثة الأخرى هي بالاشتراكِ والتبعية، وأربابها هي السميع والبصير والمتكلم، ولكل دورة منها سماوات وأرض ودنيا وآخرة ومكان وزمان فسماوات الدورة العظمى عقلية وأرضها هي القابليات الذاتية ومكانها هو الخلاء عن الغيرِ، يا بارئ النفوسِ بلا مثالِ خلى من غيره وزمانها هو الوقت المطلق الذي هو الظرف التكويني الذي يقع فيهِ الخلق الإبداعي وهو امتداد ديمومية الحق وبقائه ودنياؤها هي استمرار وجود السماواتِ العقلية، وأعيانها هي الأوان النورية والجواهرِ الفعلية والملائكة العالية، وأجزاؤها هي باطن سماواتها وعينها وباطن أعيانها وعيونها وإذا انتهت جلة تدبيرها وانتقلت إلى مدة دورة باطنها وعينها أخلقت وتطببت سماوات هذه الدورة وظهرت غيوبها وبواطنها وانكشفت الآخرة وتعينت دنياؤها، وهكذا أحكام سائر الأدوار والأكوار، فكما أنّ اللذاتِ باعتبار الظهور والنور والجمال اقتضاءات وظهورات، كذلك لها باعتبار البطونِ والظل والعدم والجلال اقتضاءات من الدنيا والآخرة والسماواتِ والأرضِ والأعيانِ بعكس ما اقتضاه النور والجمال.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [غافر: 2] مرفوع على أنه خبر (حم) قرئ بتحريك الميم أما الفتح فلالتقاء الساكنين، ونصبه إما على المدح، أو بإضمارِ اقرأ، أو ما يناسبه ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ القوي القاهِر الغالب على المشركين والمردة الكافرين ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: 2] بحقائق الأشياءِ وأحوالِها وأحكامِها وأعمالها الظاهرةِ والباطنة، ولذا خص بالوصفين لما في القرآن من الإعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة الشاملة للنظرية والعملية.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ بالعفو وكمال العفو ووقور الصفو ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ أي ذي العقاب الشديد صفة أخرى لتحقيق ما فيه من الترغيب والإنذار والترهيب والحث على ما هو المقصود منه، والإضافة حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص، وأريد بـ(شديد العقاب) أشده أو الشديد عقابه، فحذف اللام للازدواج بالسابقِ واللاحقِ إذ فيهما نكرات ورعاية الازدواج أمر ترغب إليه في جعل الاتعاظِ الغير المتصرفة متصرفة لتكون مناسبة لما قبلها وما بعدها نحو سلاسلًا وأغلالًا وسعيرًا، فاندفع الإشكال بأن تقديره شديد عقابه، ولا يصح توصيف المعرف به، وأما (غافرِ الذنب) و(قابل التوب) فلم يرد بهما حدوث الفعلين بأنه يغفر الذنوب ويقبل التوبة الآن وغدًا حتى تكونا في حكم الانفصالِ، بل المراد ثبوتهما، فكان حكمهما حكم إلٰه الخلقِ ورب العرش، والتوب كالتوبة حدد وقيل جمعهما ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي التقبل بترك عقاب المستحق أو بجعل المناسب من الذنب كمن لا ذنب له، وأصل الطول الإنعام الذي يطول مدته على صاحبه والسعةِ والتفضيل، يقال طال علينا أي تفضل علينا تفضلًا ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: 3] فإذا وجب الإقبال الكلي إلى عبادته والاستقبالِ الحقي والجلي إلى طاعته والتعاكف بشراشره على مطاوعته.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤﴾

﴿مَا يُجَٰدِلُ﴾ ولا يكابر ﴿فِيٓ﴾ جحود ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ولا يبالغ في إنكارِ بيناتِه ونفي أماراتِ نبواته ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وستروا الحق وأظهروا الباطل وأشهروا السبيل العاطل ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ﴾ ويجعلك مغرورًا ﴿تَقَلُّبُهُمۡ﴾ وترددهم وتصرفهم ﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [غافر: 4] أي بلاد الحجازِ واليمن والطائفِ والشام والحبشة ومصر وديار سعد وغير ذلك للتجاراتِ واستجلاب الجاهِ وفوائد الجهاتِ والاكتسابِ في المعاملات.

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ وجماعته ﴿وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ أي القوم الذين جاؤوا بعد قوم نوح وأضربوا واجتمعوا على أنبيائهم بالتكذيب ﴿وَهَمَّتۡ﴾ وقصدت أو عمت وازدحمت ﴿كُلُّ أُمَّةِۭ﴾ وطائفة من هؤلاءِ الكفارِ والمشركين والفجارِ والمتمردين من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بِرَسُولِهِمۡ﴾ الباء صلة أي قصدوا رسولهم ﴿لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ حيث دعاهم إلى الله وإلى قبول أحكامه، أي ليتمكنوا من أخذ ذلك الرسول وقتله وأسره وتعذيبه وإصابته بما أرادوا من إهانتِه وتعذيبه.

وقيل الأخذ هو الأسر ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ باستصحاب ما لا حقيقة ولا ثبات له ﴿لِيُدۡحِضُواْ﴾ وليبطلوا ويزللوا ﴿بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ الأمر الثابت في نفسِه الذي به الرسل يمثل قولهم إن أنتم إلّا بشر مثلنا ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: 27] وغير ذلك من النقولات ﴿فَأَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ يعني أنهم قصدوا أخذه وقتله وتعذيبه فنحن قد جعلنا إجزاءهم بما قصدوا رسلي أرسلناهم إليهم ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: 5] أي عقابهم دعاء فيه أمرهم، فإن أردتم أن تشاهدوا عاقبة أمرهم فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم ومنازلهم وحوافي أماكنهم فتعاينون أثر ذلك، وهذا تقرير فيه معنى التعجب.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٦﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ من قومك يا محمد ﴿أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: 6] في محل الرفعِ بدل من كلمةِ (ربك) بدل الكل أو لاشتمالِ على إرادةِ اللفظِ والمعنى أو في محل النصب لحذف لام التعليل واتصال الفعلِ والذين أي قريش ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم وجب إهلاك هؤلاء إذ العلة الواحدة تجمعهم أنهم أصحاب النارِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ هم الكروبيون أعلى طبقاتِ الملائكة وأولهم وجودًا، وحملهم إياه وحفوفهم حوله مجاز على حفظهم وتدبيرهم له، أو كناية عن قربهم من ذي العرشِ ومكانتهم عنده، وتوسيط في نفاد أمره ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ يذكرون مجامِع البيان من صفاتِ الجلالِ والإكرام والجمال وجعل التسبيح أصلًا والحمد للّهِ، لأن الحمد ليس مقتضى الحالِ دون تسبيحهم ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ ويصدقون بأنه واحِد لا شريك له أخبر عنهم بالإيمانِ إخبارًا لفضله وتعظيمًا لأهله ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: 7] أي يطلبون المغفرة لمن آمن باللّهِ وبمن جاء منه من الرسل من الملائكة والبشر والكتب المنزلة قد يثبت أنّ كمال السّعادةِ منوطًا بأمرين التعظيم لأمر اللّهِ والشفقة على خلق اللّهِ، فالأولانِ مشعران بالأول والثالث بالثاني.

هذا يدل على أنّ الملائكة لاستغنائهم عن الاستغفارِ لأنفسهم أفضل ممن استغفروا لهم، ويمكن أن يجاب بأنه لا يدل على الأفضليةِ بل يدل على أنهم غير مقصودين بالذواتِ بل هم مقصودون بالغيرِ، بل المقصود بالذاتِ هو معرفة اللّهِ وعبادته الكاملة الشاملة لجميع أصناف العباداتِ، وهذه المعرفة والعبادة لا تحصل إلا فيمن كل فقره واحتياجه لله تعالى والاستغناء لا يليق إلا لواجب

الوجودِ والغني بالذاتِ لا الممكن، ومن هذا اجترؤوا على اللّهِ حيث ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: 30] كما قال: «**كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف**» وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون.

واعلم أن درجاتِ الملائكةِ كدرجات البشرِ متفاوتة، فمنهم السابقون في الوجود وهم نوعان أحدها: من غلب عليهم سلطنة الذاتِ الأحدية وأشغلتهم أنوار إشراقات وجه اللّهِ عن الالتفاتِ إلى غيره وهم المهيمون في مشاهدة نور جمالِهِ والمتحيرون المتلاشون في سطواتِ شعاشِع عظمة جلالِه، ومنهم من غلب أحكام أسمائه وصفاته الذاتية وهي سبعة: العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

فالذي غلب عليهم أحكام الأربعة الأولى هم الرسل من الملائكةِ وهم إسرافيل وجبرئيل وميكائيل وعزرائيل، ولكل منهم أعوان وأنصار لا يعلم عددهم ونصرهم وعونهم ومددهم إلّا الله، وهم الذين أظهر الله بهم عالم الكونِ، والأعيانِ الجمالية والأكوان الكمالية، ودبروا أمورهم في الظاهِر والباطِن، يدبروا الأمر من السماءِ إلى الأرضِ، ومنهم من خصهم بتدبير السماواتِ خاصة وهم الملائكة المدبرون في الكونِ، ومنهم من اختص بتدبير العرش وهم ثمانية لأنّ الذات الأحدية مع الأسماءِ السبعةِ الذاتية كما اقتضت في المرتبة الواحدية، وعالم الجبروت كونًا جامعًا للنسب الذاتية والصور العلمية، وهي النسب العقلية وهي العقل، وفي عالِم الربوبية والأرواحِ والملكوتِ مظهرًا جامعًا للإضافاتِ الفعلية والنسب الإيجادية، وهي النفس الكلية واللوح المحفوظ، وفي عالم البرزخ ومرتبة الخيال حقيقة كلية وطبيعة أصلية وتسمى برب النوع، وفي عالم الملكِ والشهادة جسمًا كليًا يجتمع فيه آثار عالم البرزخ والأرواحِ وعالم العقول والجبروتِ ويسمى بالعرش والفلك الأطلسِ وفلك الأفلاك، ثم تنزل آثار تلك الأنوار الربانية، ومنه على سبيل التدريج إلى فلك الثامِن، والكرسي ومنه إلى فلك الباقيةِ شيئًا بعد شيء إلى أن تصل إلى فلك القمرِ والعقلِ الفعالِ، ومنه إلى العناصِر إلى أن تصل المركباتِ إلى نهايتها وهو الناسوت، والأمور الكلية التي تصير الأفياض في كل واحد منها مجملًا يسمى كل منها عرشًا أو الأول وهو العقل الكل فيسمى بالعرشِ الأعظمِ، والثاني بالعرش العظيم، والثالث بالعرشِ

الكريم، والرابع بالعرشِ المجيد، وقد يسمى الأول بعرشِ الرحمٰن أيضًا.

وأنت خبير بأن هذا العرش قائم بمظاهِر الذاتِ والأسماء السبعة الذاتية في الواحدية والجبروت والمجموع ثمانية، وإن لكل واحدٍ من هذه الأسماءِ والصفاتِ أيضًا اقتضاءً خاصًا، ولكل منهما وجهان الذي يلي الخلق يظهر سماء العقلي العلمي، وبالوجهِ الذي يلي الحق يظهر الكواكب الإلهية والشمس الواحدية في عالم الجبروتِ في أفلاك العقولِ، هذا من خصائص اسم العليم، وصفة العلم والإسلام التي أيضًا اقتضاء في عالم الأمرِ، والملكوتِ يظهر من أفلاك روحانية وكواكب نورانية، والاسم القدير أيضًا اقتضاء في مرتبة البرزخ ويظهر به أفلاك نورانية وكواكب برزخية خيالية، وللمريد أيضًا اقتضاء في عالم الملكِ والشهادةِ ويظهر به أجسام غائبة وأجرام سماوية وكواكب جسمانية لما تحقق أن المراتب الكلية والعوالم الأصلية كلها ظلال وأمثال لكل ما ثبت في عالم الملكِ والشهادةِ من السماواتِ والعرش والكرسي والكواكب الثابتة والنجوم السيارة والعناصِر وأحوالها ولوازمها المركبات وخصائصها لا بدّ وأن تكون ثابتة في المراتب العالية، وفي كل مرتبة من المراتب ملائكة على مقتضى خصوصية تلك المرتبة، وكذلك سماوات وكواكب ونسب وإضافات ذاتية وعلمية وعقلية ونفسية وبرزخية وجسمية.

أما الجسمية فهي الكواكب الثابتة والسيارات وأوضاعها، وأما المثالية فهي الكواكب المتدلية والجواهر الفردة والجواهر الهبائية وأما النفسية فهي النسب العقلية والإضافاتِ التكوينية، وأما العقلية فهي النسب القضائية الحكمية التي أجراها الله تعالى واختزنها في العقل الأول والعقل الكل، وأما العلمية والصور العلمية الذاتية فهي الشؤونات الإلٰهية والإضافاتِ الأولية، وفي كل مرتبة من هذه المراتب ملائكة مخصوصة لكل منهما من كل مرتبة عبادة مخصوصة وطاعة خاصة منصوصة، فإن مرتبة الجبروت منسوبة إلى جبرائيل الذي هو مظهر العلم، ومرتبة الملكوتِ منسوبة إلى إسرافيل الذي هو مظهر الحياة وميكائيل منسوبة إلى مرتبة البرزخ الذي هو مظهر القدرة ومرتبة الملك منسوبة إلى عزرائيل الذي هو مظهر الإرادة، ولذا اختفت الحياة فيها ولم يظهر الحياة ولا العلم فيها.

وقد عرفت أنّ الأسماء الأربعة الذاتية المذكورة أرباب الأدوار الأربعة النورية الجمالية، وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، وللأعيانِ

المنسوبة إلى هذه الأدوار علوم وإدراكات ورسوم وعبادات وشهود مشاهدات مناسبة لكل حرف من الأسماءِ المذكورة، وإن مقتضى كل اسم من هذه الأسماء لا بدّ وأن يوجد في كل الأدوار والمراتب، فإذن لا بدّ وأن يوجد في نهاية المرتبة للأدنى وهي الناسوتِ والإنسانِ مقتضيات تمام الأسماءِ والأدوار والأكوار وهي ٤٨، ومن هذا اجتمعت العبادات والطاعات كلها واستغفرت الملائكة وعينت هذه الأسماء، وباطنها يقتضي في جيب هذه المراتب لمرتضى باطن هذه الأسماء بحكم سلطان الجلال أكوار أربعة وهي بواطن الأدوار أربعة وأسماؤها هي أسماء الأدوار وهي: العظمى والكبرى والوسطى والصغرى.

والفرق بالإضافة واقتضاءِ كل منها بعكس ما اقتضاه كل من الأدوار، فإن الدنيا في الدورة النورية الجمالية سواء كانت عظمى أو كبرى أو وسطى أو صغرى تكون ظاهرة الآخرة وباطنة والنبوة جلية والولاية خفية والسماوات مرتفعة والأرض منخفضة والجسم ظاهرًا والنفس والروح خفية متسترة، وفي الكورة الظلية الجلاليةِ تكون بالعكسِ، وأعيان الدورة العظمى النورية الجمالية إذا كانت صريحة تكون ملائكة عالية وأهرمانية خفية ضمنية، وإذا كانت كورة عظمى جلالية صريحة تكون أعيانها أهرمانية صريحة ظاهرة والملائكة خفية ضمنية تبعية وهما توأمان كما يكون الجمال والجلال توأمين إلا أنه يكون أحدهما صريحًا والآخر ضمنًا وتبعًا.

فإن كان التدبير للجمالِ صريحًا كانت الأعيان ملائكة ظاهرة والأهرمانية ضمنًا وتبعًا، وكذا الدنيا تكون ظاهرة والآخرة باطنة خفية والسماوات مقتضية مرفوعة والأرض منخفضة هابطة والنبوة ظاهرة والولاية خفية متسترة وكذا سائر الأحوالِ، وإذا انتقلت صراحة فردارية التدبير والتربية من الجمالِ والجلالِ الضمني بعد استعادة النور والجمالِ مقتضاه بعكس الأمر وتمام الاقتضاءاتِ وجميع المرتضياتِ في جميع الأكوار الظلية العظمى والكبرى والوسطى والصغرى إلى أن ينتهي إلى الناسوتِ الجلالي والإنسانِ الظلي الإفرادي، وإذا انتهت فردارية النور والجمالِ وفردارية الظل والجلالِ الإفرادي انتقلت إلى الاقتضاءِ الجمعي بين النور والجمال والظل والجلالِ، فهنا اثني عشر دورة وكورة وجمعية وأربعة نورية جمالية إفرادية، وأربعة جلالية فردارية وأربعة جمعية بينهما.

أو إلى الإشارة بقوله ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ نوري جمالي وظلي جلالي

إفرادي بسيط وشيء جمعي وكمال معنى ﴿رَّحۡمَةٗ﴾ شاملة للأعيان النورية والأكوان الظلية ﴿وَعِلۡمٗا﴾ حضوريًّا وحكمًا شهوديًّا جمعيًّا لهما ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ﴾ [غافر: 7] أي الأعيانِ الذين وصلوا إلى المرتبة الجمعية والرتبة المعية وحصلوا مقام الذين ﴿تَابُواْ﴾ من المقام الإفرادي والمرام الفرداني إلى الكمال الجمعي والجمع الكمال المعي ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [غافر: 7] واجتمعوا بدليلك إلى نور وجهك الكريم وهو الكمال الجمعي والجمع الكمالي الذاتي، وهو الدين الحقيقي الذي هو الشريعة والطريقة والحقيقة لقول النبي عليه السلام: «**الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي**».

والتحقيق في تمام الأدوار الإفرادية وهي ٤٨، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ ح م في سبعة مواضِع إشارة إلى أن من الأسماءِ السبعةِ الذاتية وإلى أنّ الأدوار الإفرادية وهي ٤٨، فما هي مقتضيات الذات والأسماء المتبعة والصفات بذريعة العقول العشرة في المراتب المخففة البسيطة وهي أربعة: الجبروت والملكوت والبرزخ والشهادة ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف: 142]، «**مَن أخلص لله تعالى أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**» ولذا أردف استغفار الملائكة بالدعاءِ في حق المؤمنين الناشئين بالصيانةِ والحفظ والوقاية عن جحيم البعدِ عن الكمالِ الجمعي المذكور بقولهم ﴿وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: 7] أي جحيم المرتبة الإفرادية من أدوار الجمالِ وأكوار الجلالِ إذ النفوس كلها من حيث إنها حصة من مطلقة الوجودِ ونصة من الوجودِ المطلق طالبة له وراغبة إليه وكمالها إنما يتم إذ أوصلت إلى كمالِها الجمعي وهو الذات البحت ومطلق الوجود المطلق من حيث إنه محيط بجميع الأدوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية، وهو الجامع للكل ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: 3].

﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨﴾

﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ﴾ [غافر: 8] أي الأعيان المندرجة تحت الحقيقة المحمدية الجامعة للكل أي الحصص الوجودية والنصص الجودية التي هي نسب ذاتية

مندمجة تحت حيطةٍ هيئة الجمعية ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ أي جنة الجمعية الذاتية والأسمائية الإلٰهية والكونية ﴿ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ﴾ في معهد العهود والمقعد المعهود في مقام ألست بربكم في بداية الدورة العظمى الوجودية والعهود المعهودة والعقد الموعودة تجري في بداية كل دورة ومفتتح كل كورةٍ إفرادية وجمعية ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾ أي من الأعيان الجمالية الإفرادية ﴿وَأَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ في الأكوان الجلالية الفردارية ومن ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ﴾ أي تولدت منهما أي من جمعيتهما الإفرادية والموصول عطف على ضميرهم ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي لا يمتنع ولا يصعب عليه من مقدور ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [غافر: 8] الذي لا يفعل المقدور إلا على وجه تقتضيه الحكمة البالغة والمصلحة السابقة.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩﴾

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي حفظ الأعيان المذكورة والأقوام الثلاثة المزبورة يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة، وعذاب الحساب والسؤال، يبدأ من تتمة دعاء الملائكة للمؤمنين التائبين بإزالة العذاب وإدخالهم الجنة ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ هو فعول متضمن لمعنى الشرب مبتدأ ولذا دخل الفاء في خبره ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ أي يوم القيامة والحسرة والندامةِ ﴿فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾ إياه وتعبيره بالماضي إشعار بأنه لا خلف عنه ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الحفظ والوقاية ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ﴾ والسعادة في الدنيا ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: 9] الفوز العميم والنفع الرفيع المصدر قال النبي ﷺ: «**يدخل المؤمن الجنة فيقول: أين أبي وأين أمي وولدي وأين زوجتي، فيقال أنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول إني كنت لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة**».

مطلب دخول أولاد الرجل الصالح الجنة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ۝١٠﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ باللّهِ وبرسوله وبما جاء به ﴿يُنَادَوۡنَ﴾ [غافر: 10] يوم القيامة وهم في النارِ ويقال لهم ﴿لَمَقۡتُ ٱللَّهِ﴾ وسخطه ﴿أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾

وهم قد مقتوا أنفسهم حين عرضوهم وعليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب، فيقال: لمقت اللّهِ وسخطه وعتابه أكبر من مقتكم وتحصنكم وعنايتكم على أنفسكم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: 10] هذا على سبيل الحكايةِ، وإذ يدعون منصوب بالمقت الأولِ، والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأتون وتمتنعون من الإيمان، قوله ويختارون الكفر فتودوا بأنّ مقت اللّهِ إياكم وهو أشد الغضب وأصله البغض، والمقت والانتقام أكبر من مقتكم أنفسكم.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: 11] قال ابن عباس: أمتنا في أصلاب الآباء فأحياهم في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بدّ منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما إماتتان وإحياءان، لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: 28]. قال البعض: أُميتوا في الدنيا، ثم أُحيوا في القبور للسؤال، ثم أُحيوا في الآخرة للحساب والجزاء على ما في الكتاب. قال القاضي: أمتنا اثنتين بأن خلقتنا أمواتًا أولًا ثم صيرتنا أمواتًا عند انقضاءِ آجالنا، فإنّ الإماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداءً ومصيرًا بلا حركةٍ كالتصغير، ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل، وإن خصّ بالتصبر اختيار الفاعل أحد مقبوليه وصرف عن الآخر، وأحييتنا اثنتين الحياة الأولى في الدنيا أحدهما في الرحم بعد أربعة أشهر وعشر، والثانية في الدنيا بعد الولادةِ، وكذا الموتانِ في الدنيا أحدهما في الأصلاب، وبعض المدة في الرحم، والثانية بعد الولادةِ إذ الموت والحياة قسمان:

أما الموت فموت الجهل، وموت انقضاءِ الأجل، وكذا الحياة حياة العلمِ والمعرفة، وحياة الدنيا، أَوَ مَن كان ميتًا فأحييناه، قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه:

وللجهل قبلَ الموتِ موت لأهله   فأجسادُهم قبلَ القبورِ قبورُ
وإنِ أمرؤٌ لم يَحْيَ بالعلمِ ميتٌ   وليس له حتى النشورِ نشورُ

أو إشارة إلى أن كل مولود إنسي محتو على مولودين إنسي وجني، فإذا كل أحد يكون له موتان، وكذا حياته كما ورد في الحديثِ: «**ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله. . .**». أما الأول فصريح والآخر فضمني وتبعي، أو إشارة إلى أن لكل أحدٍ موتانِ وحياتان إحدهما في كل آن، بل هم في لبس من خلق جديد، أو إلى أن الأعيانِ الجماليةِ وكذا الأكوار الجلاليةِ موتان وحياتان إحداهما في الأدوار الجلالية والثانية في الأكوار الجلالية، فالأعيان والأكوان ما دام في أدوارِ الأطوار أو الأكوار الجلاليةِ الإفرادية فهم لا يؤمنون عن إذاقة كؤوس شراب الموتِ.

الموت كأس وكل الناس شاربه والقبر بابٌ وكلٌّ الناس داخله

قال علي كرم الله وجهه على لسان الحقيقة المحمدية من حيث لسان الجمع والوجود: أنا الذي أُقتل القتلين وأُحيا مرتين وأظهر كيف شئت. وأما من دخل الجنة الجمعية والجمعية الأحدية والواحدية والجمالية والجلالية فيكون حينئذٍ آمنًا عن خوف الموتِ وحزن الفوتِ وعوف شدة الصوتِ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: 62 ـ 64]، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: 56].

وقال أيضًا كرم الله وجهه على لسان الحقيقة المحمدية من حيث لسان الجمع والوجود: أنا الذي إن أمتُ فلم أمت وإن قتلت فلم أقتل، ولا يدخل في هذه الجنةِ إلا من باب آدم الأولياءِ علي المرتضى رضي الله عنه كما قال ﷺ: «**أنا مدينة العلمِ وعلي بابها**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**سدوا الأبواب كلها إلا باب علي**»، وقال كرم الله وجهه على لسان الحقيقة المحمدية من حيث لسان الجمع والوجود: «أنا باب فتح اللّه لعباده من دخله كان آمنًا ومن خرج منه كان كافرًا»، ولا يدخل هذا الباب إلا من تاب وإلى حضرته أناب، وتبع معه ودخل به في ظلمة الفناءِ في اللّهِ، وفي فراغ خلاءِ ما سوى الله، ووصل إلى حياة البقاءِ باللّهِ وشرب من ماءِ هذه الحياة السرمدية من كف حضرة خضر بكمال الجمعية الجمالية فحينئذٍ حيي بحياةٍ سرمدية بلا انقطاع.

واعلم أنّ الأحدية الجمعية ثلاثة: الأحدية الجمعية النورية الجمالية

وصاحبه الخضر، والأحدية الجمعية الجلالية وصاحبها إلياس، وجمعية أحدية هاتين الجمعيتين صاحبها علي المرتضى وإليه الإشارة بقوله: أنا المعنى الذي لا يقع عليه اسم ولا شبه، ولكل من هذه الجمعية ظلمة المكان وجمعية الكل لها ظلمة منطوية على الظلماتِ كلها كما قال عليه السلام: «**أنا قائم في ظلمة خضر حيث لا روح يتحرك ولا نفس يتنفس فيها غيري**» وأصحاب هذه الجمعيات والظلمات آمن من المعيشة وصائن من الهلاكِ والفوتِ.

﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ عند كشف الحجب وارتفاعِ الأغطية واندفاعِ النقب بعد انقضاءِ مدد الأدوارِ وانتهاءِ عدد الأكوار الإفرادية وانقراض الأطوار العينية والشهادية الغيبية ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ هذه الثلاثة والدركة السفلية إلى تلك الدرجة العلية الجمعية والمرتبة العالية الجليلة ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾ [غافر: 11] واضح ودليل صادح الكلية المعية التي من دخلها كان آمنًا من الموتِ ومن وصلها كان آمنًا من الحزنِ والفوتِ ومما قدمت لك من البيان وبينت لديك من البرهانِ أنّ الدليل إلى كل سعادة والسبيل إلى تمام سيادةٍ منحصر على شرع محمدي وطريق عليٍّ علاءَ الحقيقة.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ۝١٢﴾

﴿ذَٰلِكُم﴾ الطريق الذي أنتم عليه عاكفون وذلك الصدق ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ﴾ وذكر وطولب ﴿وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ بِهِ وأنكرتموه وأعرضتم عنه ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ أي جعل له شريك وند ﴿تُؤۡمِنُواْۚ﴾ وتذعنوا له وتصدقوا به تصديقًا جزمًا ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ﴾ على الأعيانِ العاليةِ والسافلة في الأدوار والأكوار في تمام الأطوار ﴿ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غافر: 12] في ذاته وأسمائه وصفاتِه الكبير أفعاله العليم بكيفياتها وكمياتِها وأوقاتِها.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [غافر: 13] في السماءِ من الأوضاع المختلفة

واتصالات الكوكبية الكلية والجزئية من الكسوفاتِ والخسوفاتِ التامة وغير التامةِ والقراناتِ الثنائية والثلاثية والرباعية إلى السباعية في الأرضِ من الزلازلِ والطوفاناتِ المائية والنارية الكلية والجزئية وما يلزمها من الغرق والحرق وغير ذلك، وفيما بينهما من الجنّ من تواني النجوم كالرعد والبرق والسحاب وقوس قزح، والهالة والصواعقِ والنيازك، وذوات الأذناب، وذوي الذويب وسقوط الجبال والأحجار كما وقع في زماننا في ساحل بحر طبرستانِ بين الطواليس والشروان، ووصل إلينا بالخبر والتواتر وغير ذلك ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ مطرًا يظهر به أرزاقكم من النباتاتِ والحيوانات والمعادنِ التي يتوقف عليكم تحصيلها ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ ولا يتعظ ويعتبر بهذه الأحوال ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: 13] ويرجع في جميع الأمور الظاهرة والباطنة من أحوال الدنيا والآخرة إليه إشارة إلى أن الاطلاع على هذه الأحوال والاتعاظ بها لا يكون إلا بالتوفيق الإلهي والتأييد الرباني والتأكيد السبحاني.

﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ تنبيه على شريط الانتاج، وضوابط الاستخراج، وروابط الامتزاج مِن المبادئ العالية والمنادي السالفة التالية ﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي الجزاء إشارة إلى أن النتائج إنما يقتضي منه بمشيئة الله تعالى وإرادته وأن الفياض المطلق والفاعل القادر المحقق ليس إلا الله وإن الإدراكات والأفعال وتمام العلوم والأعمالِ والأحوال الظاهرة والباطنة إنما هي مستندة إلى اللّهِ، وأن ما يجري في ملكه وملكوته إلا بمشيئته وإرادته ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: 14] الساترون طريق الحق السائرون من كمال الجمع نحو مناهج الفرق.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: 15] أي درجات الخلقِ مقاصِد الدين والدنيا وفي ترتيب المبادئ اليقينية وتركب المقدسات الحسية والعقلية والنفسية واستخراج المطالب الحقيقية واستنتاج المآرب الإلٰهية والكونية، أو رفيع درجات جنات

التجليات الذاتية والأسمائية الأفعالية والآثارية ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [غافر: 15] أي صاحب العرش الجمعية العظمى ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى، وهو كما علمت صورة جمعية أعيان كل مرتبة ومعية أحوال أكوان أية رتبة، وهو على عدد المراتب الكلية الحقيقية الأربعة أربعة: عرش اللّهِ في عالم الواحدية، وعرش الرب في عالم الملكوتِ، وعرش الحضور في عالم الملكِ، وعرش الجامِع في عالم الناسوتِ.

فالأفياض إنما تتنزل أولًا في مرتبة كلية مجملًا ثم تتفصل فيما دونه من الأعيان وتتلقى إليها فالعرش الأول الذي يبتدأ إلقاء الوحي فيه وهو العقل الأول الذي يسمى بالمعلولِ والعقل الكلي والحقيقة المحمدية، بأن يلقى الوحي المسمى بالروحِ أولًا فيه ثم يتفصل من الحقيقة المحمدية والعقل الكل إلى أعيان الأنبياءِ وسائر العقول، ويقال لهذا العرش العرش العظيم وعرش الرحمٰن ثم ينزل منه إلى سائر المراتب والعرش.

﴿يُلۡقِى ٱلرُّوحَ﴾ أي الوحي وإنما سمي الوحي هنا الروح بناءً على أنّ الوحي عقلي روحي، كما أن العرش عقلي روحي، وهكذا ينزل على عروش الملكوتِ والملك والناسوت، ويسمى الأول العرش العظيم، والثاني العرش الكريم والثالث العرش المجيد، وقد سمي بعرش الرحمٰن ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ من حكمه وقضائه الذي يشاء وظهر وجلًا وجهر أولًا من العرشِ الإلهي وهو العلم الأعلى إلى أن ينتهي إلى العرش العلي الذي هو مجمع ما في العروش العالية أولًا من آدم المعنوي إلى أن ينتهي إلى خاتم النبيين ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ في جمع الأدوار وأدوار الأدوار إلى أن ينتهي إلى آخر الدور المحمدي ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ وفي تعميمه إشعار بأن كل واحدٍ من أعيان الوجود سيما صاحب الشهود هو آدم له صلاحية النبوة وإلقاء الوحي من المقام المحمود المعهود ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: 15] أي يومًا تتلاقى فيهِ الروح والجسد ويتلاقى العبد والرب المعبود والشاهِد المشهود، وهو يوم القيامة الذي يعاد فيه الأموات على صورة لا بعينها وشخصها كما أشار النبي ﷺ إليه بقوله: «**أهل الجنة كلهم جرد مرد فلو كان جسد الدنيا بعينه لكان ذا لحيةٍ وشعر**».

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ ظاهرون خارجون من قبورهم مثالًا ونظيرًا لما كان في الدنيا بأن جمع الله أجزاء نبتتهم الأصلية التي كانت ثابتةً في البرزخ المعادي على حالة واحدة من غير زيادة ونقصانٍ، فصورها على صورة كانت في الدنيا وهيئة كانت عليها في الدنيا لا بعينها إذ لو كانت معادة بعينها لكانت الدنيا معادة أيضًا على هيئات متخالفة وصفاتٍ متعاندة وهي محال عقلًا ونقلًا ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ﴾ من أحوال الأعيان المعادة وأفعال الأكوان المفادة، وأعمالها المعادة أمر من الأمور، بل الأعيان لجميع أحوالها وتمام حالاتها، والأكوان بعموم هيئاتها حاضرة عند الله لا يخفى ولا يغيب عنها شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] أي يقول الله ذلك اليوم للّه الواحد القهار على الكل ماجِد الوجودِ عن الكل وإعادتهم على ما كانوا عليه من الجلاءِ الأصلي والعدم الأولي اليوم كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه أن النفوس لما تعلقت بالأبدانِ المكتسبة والأجساد المعادةِ كانت هي عليها من صور الأعمال وهيئات الأفعالِ ومقتضيات الأقوالِ ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ﴾ من الأعمالِ الإرادية والأفعال الاختيارية إن كانت حسنة ترد على النفوس الكاسبة بالصور الحسنة والهيئات المستحسنة، وإن كانت قبيحة فبالنفوس الكريهة قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس على صور أعمالهم أو على اثني عشر صورة، فمنهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوتِ**» وقال أيضًا: «**إنما هي أعمالكم ترد عليكم**» فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرًا يره ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب وتضعيف العذاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: 17] إذ لا يشغله شأن عن شأن ولا يتوقف على انتقال عدد إلى عدد، ومن أمد بعد أمد، بل يحضر دونه جميع أفعالهم وتمام

أحوالهم الكائنة في الأدوار والأكوار الكلية والجزئية الإفرادية والجمعية، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرضِ ولا في السماءِ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ﴾ أي القيامة من أزفِ يأزف أزفًا إذا قرب أي قد قربت القيامة وحالاتها، وإنما منيت بها بقربها، ويجوز أن يريد يوم الآزفة وقت الخطة وهي مشارفتهم دخول النارِ ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ جمع الحنجرة، وهي رأس الحلقوم من خارج يعني فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقامها فتلتصق وتصل بقصبات الحلقوم إلى أن تتصل برأس الحلقوم المنتهي إلى غاية الفم ولا تعود حتى تستريح ولا تخرج من الفوتِ حتى تموت وتحصل الراحة ﴿كَٰظِمِينَ ۚ﴾ [غافر: 18] مكروبين مغمومين مملين خوفًا وحزنًا والكظم احتباس النفس ويعبر عن السكوت، يقال كظم الغيظ أي حبسه، فالكظم تردد الخوف والغيظ في الجوفِ والهم والحزن في القلب لدى الخوف مقارنًا بالمكروهِ والعوف حتى تضيق به منصوب على الحاليةِ من أصحاب القلوب، وإنما جمع جمع العقلاء لأنه من أفعال العقلاء كقوله ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4] أو من مفعول أنذرهم ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ مشفق من حم وتسحر وسحق بدائرة كمال المحبة وفرط الشوقِ والمودةِ ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18] فيشفع فيهم، والضماير إن كانت للكفارِ وهو الظاهِر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالةِ على اختصاصِ ذلك بهم وإنه بظلهم.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾

﴿يَعْلَمُ﴾ الحق ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ النظرة الخائنة كالنظر الثابتة إلى غير المحرم واستراق السمعِ والنظر إليهِ أو خيانة للأعين ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: 19] من أحاديث النفس والأحكام الوهمية والصور الخيالية والهيئات العدمية والمدركات

العادية الرسمية قيل: الانشراحِ والإدراكات الخفية والمعقولات الخفية والعلوم والمعارف الإلٰهية والأسرار القلبية والأنوار الغيبية الغير المتناهية بعد الانشراح ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: 22] ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ [الأنعام: 125] الآية.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٢٠﴾

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي﴾ ويحكم بين الأعيانِ الجمالية الوجودية النورية، والأكوان العدمية الظلية الجلية، والأحكام الوهمية، والقضايا العقلية ومقتضياتها ومرتضياتها، وهي النتائج اليقينية والمطالب الضرورية ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ من غير إفراط وتفريط ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ ويطلبون من تلك الأحكام والعلوم والإدراكاتِ ومما يتبعها من الطاعاتِ والعبادات والأحوال والمقامات ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي غير الحق والذاتِ المستجمع لجميع الأسماءِ والصفاتِ من الأصنام الفعلية والأوثان الحالية من مقتضيات الأطوار السبعة القلبية والحالات والمقامات الغيبية مع ما يتبعها من العلوم والإدراكات الحقيقية والمعارف الإلٰهية المتتابعة في الأدوار والأكوار والاعتبارات المتفرعة على الاكتشاف والكشف والشهود والغائبات ﴿لَا يَقۡضُونَ﴾ ولا يحكمون على شيء ﴿بِشَيۡءٍۗ﴾ من الأمور الوجودية والعدمية والأحوال الثبوتية والسلبية لأنهم أي الممكناتِ في نفسها عارية عن الوجود وما يتبعها من الأحكام والأحوال والنعوت والأعمالِ ومبادئها من العقول والنفوس والقوى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [غافر: 20] إنما الذات الواجب وجوده، الممتنع نظيره الممكن سواه وغيره ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ سميع أحاديث النفس ومحاكاتها بالقلب، وإلقاء الشياطين فيه، ولمة إبليس معه، وفيه نجوى أهل النجوى، وكذا يسمع كل همسٍ، وأسرار كل غيب ونفس، ويسمع أيضًا استدعاء تمام القابلياتِ واستدعاء الاستعدادات بأسرها ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: 20] كل الغيوب وعموم الخفايا من الذنوب وتمام الكمال والنقص والعيوب، ويريد جميع خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهذا وعيد للمشركين وتعريض وتوبيخ لهم.

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ سير المعتبرين ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كقوة نوح وعاد وثمود وقوم الصالح وغيرهم، وإنما جيء بالفصل وحقه أن يقع بين معرفتين بناء على أن هذه النكرة مضارع المعرفة في عدم دخول اللام عليها وهي أفعل استعمل بمن ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي مختالًا على الأرض كالقلاعِ والحصونِ والمدائن المسورة والبروج المشيدة فلم يتبعهم في دفع البلية عنهم ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسبب كثرة ذنوبهم وقبح عيوبهم في حضورهم وغيوبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: 21] حافظٍ يحفظهم من حلول العذاب ونزول العقاب.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأخذ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الساطعة والآيات والأمارات القاطعة ﴿فَكَفَرُواْ﴾ باللّهِ وبرسوله وآياته الباهرة ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [غافر: 22] بأنواع العتاب وأصناف العذاب ﴿إِنَّهُۥ قَوِىٌّ﴾ بذاته قدير بصفاتِه على إهلاكهم ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: 22] بصفاته الفعلية.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الظاهرة بصور المعجزات الواضحةِ وغرر البينات الناصحة ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [غافر: 23] وتبيان متين وبرهانٍ واضح مكين والعطف لتغاير التعين وتباين الصفتين أو لتعدد المعجزاتِ وكثرة ما صدقت الآيات الشاهرة كالغطاء والجراد واليد البيضاءِ والدم وشق البحر وغير ذلك من المعجزاتِ التسع المذكورة في الأعراف.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 24] يشير إلى

موسى وفيه تسليته لرسول اللّهِ ﷺ وبيان لسوءِ عاقبة من كان أشد بطشًا وأقربهم زمانًا وعطشانًا على إهراق دم أهل اللّهِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي قصدوا الإيمان والتصديق بهم وبما جاؤوا به من الكتب والمعجزاتِ وتثبتوا عليه من غير أن يقصدوا الارتداد والميل والإلحاد والإعراض عن دينِ موسى ﴿وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ﴾ واستخدموا إياها مع الرجالِ ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: 25] أي سعي الكافرين المعاندين في طريق شفيق الكيد إلا في البغي الذي أضلهم عن الصلاحِ واختيار العناد والإفساد على النصرة والإعانة والإمداد.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لملإه وأشرافه وأعيانه ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ إذ كانوا يكفونه عن قتله قائلين بأنه ليس مما يخاف منه بل هو رجل فقير سحار ولو قتله لظن أنك مع كمال قدرتك ووفور قوتك وأدعائك الربوبية قد عجزت وتحيرت عن معارضته بطريق الحجج والبراهين ورقيق البيناتِ والدلائل والتعاليل، وتعلله بذلك مع كونه سفاكًا في أهون شيء دليل على أنه يتعين أنه نبي مؤيد من عند الله، وذلك بإلقاء اللّهِ تعالى في قلبك، ومن قيل نبيًا لن يفلح أبدًا ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ أي يطلب موسى من ربه إهلاك من خالفه وعانده هذا في الظاهِر، مخافة أن يرتد قومه من دينهِ إلى دينِ موسى كما قال ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ وما أنتم عليه من دين آبائكم ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: 26] بإظهار سحره.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لما توعده وخوفه بالقتلِ فرعون ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ جبار ومتحير متعظم قهار ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: 27].

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ أي لأجل أن يقول هذا القول الحق والمقال الصدق والحال أنه ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الظاهرة والمعجزاتِ الباهرة ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ﴾ وبال ﴿كَذِبُهُۥ﴾ لا يتعدى ولا يتجاوز ويتخطى، وبان كذبه فلا يحتاج في دفع ضره ورفع شره إلى القتل ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾ فالحري به أن لا يكذب ولا ينكره لأنه ﴿يُصِبْكُم﴾ ويرد عليكم خسارة ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ في الدنيا من أنواع العذاب وأصناف الشقاوة والعقاب في الآخرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ متجاوز ومتعد عن الحد والاعتدال ﴿كَذَّابٌ﴾ [غافر: 28] وتخصيص الكذب بالذكرِ إشعار بأنه أقبح القبايح وأفضح الوقائع ينافي جميع الكمالات ويعافي تمام المبرات، عن عبد الله بن عمرو بن عاصٍ قد أخبر بأشد ما صنعه المشركون برسول اللّهِ ﷺ بفناءِ الكعبة إذ أقبل عقبة بن معيط فأخذ بمنكب رسولِ الله ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم، احتجاج ثالث ذات وجهين أحدهما إنه لو كان مسرفًا كذاب لما هداه الله إلى البينات ولم يعضده بتلك المعجزات بأن كل واحد منهما ينافي ذلك، فضلًا عن أن يكونا معًا، والثاني أن من خذله الله وأضله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله، وهو في نفسه هالك لا متصرف ومالك فلا يعبأ به.

﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يَـٰقَوْمِ﴾ بكسر اسم على حذف ياء المتكلم ﴿لَكُمُ ٱلْمُلْكُ﴾ [غافر: 29] أي

ملك أرض مصر وتوابعه ولكم فيهِ قرار وتملك وتمكن ووقار ﴿ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر على بني إسرائيل يعني أن لكم ملك مصر، وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم، ولا تتعرضوا للناس وموجبات عذابه ومعقبات عقابه فإنه لا واقع له أن يحكم ﴿فَمَن يَنصُرُنَا﴾ ويمنعنا ﴿مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ وشدةِ انتقامِه ﴿إِن جَآءَنَا﴾ وتوجه إلينا بقتل النبي بلا موجب ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ في هذه الحالة لقومه في دفع أمر موسى ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي ما أشير عليكم من قتله ولا ما استصوبت لديكم في دفعه إلا ما أرى أي إلا ما أعلم واستقر رأيي عليه وهو قتله ودفعه وبتله(*) ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ﴾ ولا أرشدكم ﴿إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: 29] وطريق الصواب ومنهج الصلاح والسداد، وما أعلمكم وما ألقي إليكم إلا ما أعلمكم، أي ما تقرر عمله لدي وتحقق بين يدي من الصواب، ولا أدخر منه شيئًا، ولا أسرّ عنكم خلاف ما أظهر يعني أن لسانه وقلبه متواضعان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرًا للخوف الشديد من جهة موسى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ﴾ أي الرجل المعهود ﴿ءَامَنَ﴾ بموسى خيفةً من قوم فرعون ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ في تكذيبه والتعريض له بالقتلِ والإهانةِ والاستخفاف والتخويف والإهانة ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [غافر: 30] أي مثل الأيام الماضية وأعوام الملل الخالية بوقوع الوقائع الذاهبة والمضارع العاهية عنهم بأن تداولت البينات في حزب بعد حزب، وقد كان لكل منهم دأب آخر في المعاصي والإشراكِ وتعاقب حلول البلية وترادف الإهلاك.

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ﴾ [غافر: 31] أي كان عادتهم في الإقامة على التكذيب وقبول الرسول والتعصيب حتى أتاهم العذاب وأصابهم

(*) بتل الشيء: قطعه، فصل عن غيره.
البتل: منقطع النظير أو لا عطاء بعده.

شدائد العقاب، نصب مثلَ الثاني لكونه عطف بيان للثاني، إذ لو قلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن عطف بيانٍ لإضافة قوم إلى إعلام فسوى ذلك الحكم إلى الأول ما تناولته الإضافة ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: 31] فلا يعاقبهم تعين سبب موجب ولا ينقص من أجورهم ولا يضاعف العقوبة وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد إرادة لنفي إرادة الظلم فلا ظلم أصلًا لانتفائه بخلاف ذلك إذ انتفاء الخاص لا يستلزم انتفاء العام من حيث الصدق بخلاف ذلك لا الوجود.

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: 32] أي يومًا ينادي بعضهم البعض إما للاستعانة أو يتصارحون فيه بالويل، أو ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، أو بالعكس كما مر في سورة الأعراف، والمراد يوم القيامة وقرئ بالتشديد من التناد وهو القبور.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن الموقف والنارِ أو منصرفين على موقف الحساب إلى معطن النار والعقاب فارين عن النار غير مجاوزين أو غير معجزين، ثم أكد التهديد بقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ﴾ يوم الثاني بدل من الأول نصبه على المفعولية بالظرفية ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ من الفلاح والنجاة ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: 33] ومرشدٍ يرشده إلى الهدايةِ والرشادِ الذي يلجيه إلى النجاح يصير بجناح النجاة إلى قضاء الفلاح.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ﴾ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أقام بينهم عشرين

سنة نبيًّا ﴿مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قيل فرعون موسى فرعون آخر، ونجهم الله تعالى بأن يوسف أيًّا ما كان بعثه الله نبيًّا بينكم بالمعجزات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ يعني ماذا إلى شككم في حقه فلم يؤمنوا به ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ قيل هلك ومات وقبض فحينئذٍ ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ﴾ [غافر: 34] يعني مثل ذلك الإضلال المذكور وقوم يوسف ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ ويخذله ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مجاوز عن حد الاعتدال مشرك مسرف ﴿مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: 34] شاك وفي وادي الهوان صاك(*).

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ تفسير للمسرفين المرتابين ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ وحجةٍ وبرهان ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ الله وأعطاهم ذلك البرهان، يعني أن شكهم وارتيابهم وشركهم ليس بناشئٍ عن البرهانِ لا من الله ولا من تلقاء أنفسهم بل هو محاولة محضةٍ ذكروها لتكون دستورًا وقاعدة في نفي الأنبياء ومنع النبوة وتكذيبهم، فليس المراد من قولهم من يبعث الله بعده رسولًا تصديق رسالة يوسف عليهم السلام، وكيف شكوا فيها وكفروا بها، وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده ﴿كَبُرَ﴾ ذلك الجلاد والعِناد إثمًا ﴿مَقْتًا﴾ إثمًا وبغضًا ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وعند الذين آمنوا وبما جاء منه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ ويختم ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ في نفسه ﴿جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35] متعظم متجبر في مدركاتِ خيره مستبعدٍ عن حضائر قدسه، مستوحشٍ من كمال أنسه، وإنما شبه تلك الحالة بهذه الحالة لإشراكها في كمال الخسارة السرمدية والجسارة الأبدية.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لوزيره والمُتصرف في جملة ملكه ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر: 36] بناءً عاليًا رفيعًا ظاهرًا لا يخفى على الناظرين من بعيد ليدل على كمال عظمة ملكه ومملكته، وذلك إنما يتأتى من طباعِ التجبر والعظمة والتكبر في

(*) صاك به: لصق.

القلب القاسي والنفس القاصي، كما فعله نمرود الكنعاني، فلما تمت عمارته وعمت سلطنته وإمارته، وادعى الربوبية والإلهية في الأرض، وقصد إلى محاربة رب السماءِ ومقاتلته، فأرسل الله إلى ممالكه وهي الأقاليم السبعة لتجيش فامتثل أمره وجمع الخلق إليهِ من جميع الممالِك إلا من أصفهان.

روي عن الشيخ الحافظ إسماعيل رحمه الله بإسنادِه عن ابن إبراهيم بن محمد النحوي قال: خرج قوم من أهل أصفهان إلى ذي الرياستين في حوائج لهم فقال من أين أنتم؟ قالوا من أصفهان قال أنتم من الذين لا يزال فيهم ثلاثون رجلًا استجابوا الدعوة قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إن نمرود لما أراد أن يصعد إلى السماءِ كتب إلى أن يدعونهم إلى محاربة رب العالمين فأجابوا كلهم إلا أهل أصفهان، فحمل ثلاثين رجلًا يستجاب دعائهم من الصرخ والصراخ وهو الصعود الرفيع العالي، مأخوذ من قولهم له صراخ الثكلى. قال في التفسير الكبير: إنّ هامان ما كان موجودًا وقت موسى وفرعون وإنما جاء بعدهما بزمانٍ بعيد ودهر مديد ﴿لَعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾ [غافر: 36].

﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾

﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وهي طرف السماوات وأبوابها وما يتوسل به إليها، ويؤدي به لديها، إن كل ما تأدى إلى شيء آخر فهو سبب له ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ وارتفع إليهِ طلوع الكواكب وارتفاعِها من الأفق إلى سمك السماء ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ منصوب على جواب الترجّي شبهًا للترجي بالتمني ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ وأتوهم موسى ﴿كَٰذِبٗا﴾ فيما يدعي ويقول إنّ له ربًّا غيري ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ﴾ أي زَيَّنَ إبليس ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ﴾ ومنع ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ وكف عن الصراط السوي وسواء السبيل وصد ومنع ورد فرعون الناس عن الصراط المستقيم والصراطِ القويم ﴿وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾ [غافر: 37] أي الخسران والهلاك والبطلان، ولا يأتل في إبطالِ آياتِ اللّهِ وبيناته التي ظهرت بيد موسى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ بالله وبموسى من قوم فرعون ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: 38] طريق الهدى والرفيق الأعلى.

﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ۝٣٩﴾

﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ ومتعة ينتفعون ويتمتعون دونها، ثم يزول سريعًا ويحول حولانًا صريعًا ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: 39] وغار الوقار الثابت بتمام الأطوار في عموم الأدوار وهجوم الأكوار.

﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٤٠﴾

﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ﴾ كمًّا وكيفًا خالصًا وزيفًا ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ ثابت على الإيمان نابت بكمالِ الإيقانِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ جنة النفس التي هي جزاء الأعمالِ الصالحةِ وثمراتِ الأفعالِ الطيبة الفايحة ﴿يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر: 40] لا يحيطها الإحصاء ولا تحيطها الأعضاء ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وإذا كان كذلك خاطب موسى الطور الروحي المستعد بشهود تجلي الأفعال وتوحيدها قوم القوى النفسانية والمبادئ الجسمانية بما نكّر التوبيخ وتكثر التعبير والتصريح بقوله:

﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١﴾

﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ﴾ وأطلب تلقاء وجوهكم وإقبال قلوبكم ووجوهكم وجملة غيوبكم ﴿إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ وإلى ما يوجب الاستصغاء إلى سماء التجليات والاستبعادِ إلى درجات جنات التجليات وأنتم مع عدم قبول النفس اللوامة حكم النفس الأمارة ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: 41] أي نار التحسر والندامةِ.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ﴾ وتجلياته الأسمائية والذاتية ﴿وَأُشْرِكَ بِهِۦ﴾ وأتخذ له شريكًا ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي بحقيقته وكنه ماهيته توبيخ عليهم بأن كفرهم وإشراكهم إنما هو بمحض التقليد وبمجرد العصبية وبفرطِ الجهلِ وبكمالِ الاستبعادِ والتجدد والتحديد ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا نظير له ولا نصير في ربوبيته وفي تدبير ملكه وملكوته ﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [غافر: 42] الذي تجاوز عن السيئات وتبارز لدفع البلياتِ عمن يشاء من عبادِه ويعفو عن الخطيئات بلا طلب عوض وجلب صحةٍ ودفع مرضٍ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿لَا جَرَمَ﴾ [غافر: 43] على مذهب البصريين أن يجعل لا رادًّا على القوم فيما عاد إليهم، وجرم ماض بمعنى حق وإن بما في حيزه فاعله، أي تحقق وثبت دعوة قومِه أو بمعنى كسب نحو قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة: 2] ويجوز أن (لا جرم) نظير لا بدّ، فعل من الجرم وهو القطع، كما أن (بدّ) فعل فاعل من التبديد وهو التفريق، ومثله لا جرم أن لهم النار لو رأى لا انقطاع لك أنهم أبدًا يستحقون النار لا انقطاع لهم منها أبدًا ولا قطع لبطلانِ دعوة الأصنام، أي لا تزال أنها باطلة لا ينقطع ذلك فثقلت حقًّا روي عن العربِ (لا جرم) بضم الجيم وسكون الراء على وزن بد وبعد وقعد يعني كرَشَد ورشُد وقَعَدوا وقعُد ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ إلى عبادةِ الوثنِ ﴿لَيْسَ لَهُۥ﴾ أي الوثنِ ﴿دَعْوَةٌ﴾ وطلب الإجابة وغلب ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أو ليس له ادعاء ولا دعوة يدعو الخلق إلى عبادته لأنه لا يدعي الربوبية ولا يثيب لنفسه الألوهية بالحجة والبرهانِ ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾ أي مكاننا نرد ونرجع إليه ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ والمشركين المترفين ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: 43].

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٤٤﴾

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ أي إذا شاهدتم العذاب في الآخرة وعاينتم وقوع شدته فإذًا يتذكرون عن نصيحتي ويتعظون لقولي وكلمتي فيكم في الدنيا ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ﴾ وأحيل كل مالي وتمام مآلي ﴿إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: 44] وخبير بكل أحوالهم من الصلاحِ والفسادِ إلى يوم التنادِ، فالحري لكل أحد أن يفرض أمره وحاله في الظاهِر والباطِن إليه، ثم بالغ الرجل المؤمن الخافي إيمانه عن فرعونه وآله في الفضيحة وقوع الشك فيهم في ثبوت إيمانه جرفه من بينهم.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥﴾

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ وحفظه من ﴿سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ أي من شرور مكرهم وضرور شرهم ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي أحاط بالقبطي ونزل عليه في الدنيا ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 45] وهو الغرق في الماء والعذاب في الآخرة والعقبى.

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي على طائفة فرعون وقومه وجماعته ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ﴾ وصباحًا ورواحًا أو في البرزخ كما قال: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي القيامة يقال لآل فرعون ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 46] وأحدّ العقاب، عن ابن مسعود أن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين، يغدوا ويروح إلى النارِ ويقال لآل فرعون هذه منازلكم ومأواكم حتى تقوم الساعة، قال قتادة روح كل كافر تعرض على النارِ بكرة وعشيًا ما دامت الدنيا، عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله: إنّ أحدكم إذا مات عرض مقعده عليه بالغداة والعشي إذ كان من أهل الجنةِ فمن أهل الجنةِ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النارِ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ أي يا محمد اذكر لأمتك يومًا يختصمون أهل النار في النارِ ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ من كل قوم وملة مالًا وعلمًا وجاهًا وحكمًا ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم﴾ في هذا اليوم الشديد والوقتِ المديد ﴿مُّغْنُونَ﴾ مانعون عنّا ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ أي شيئًا قليلًا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: 47].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ في جواب الضعفاءِ ﴿إِنَّا كُلٌّ﴾ قد كنا ثابتين كائنين ﴿فِيهَآ﴾ أي في الدنيا متساوية الإقدام في طريق الفعلِ الفارقِ بين الحقِّ والباطِل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: 48] يتبين أصل المراد وتعين الصلاحِ عن الفسادِ وبإنزال الكتب وبعث الرسل وتبليغ الأحكام والخطب بذريعة البعث فإذن ليس لكم رجحان ومزية لنا مزيدًا لاستحقاق شدة العذاب وكثرة استلحاق لحدة العقاب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ من الكفار ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ أي الأملاك الذين وكلوا عليها لإجراءِ العذاب على من كان فيها أو ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 49].

﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟﴾ أي خزنة جهنم لأهلها أنتم مستحقون لهذا العذاب من غير أن يستخف عليكم شيء منه ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟﴾ [غافر: 50] عليه لنفي الاستحقاق لا الاستنكاف لاعترافهم بالتكذيب وإنكار الرسل لقوله:

(بلى) قد جاءنا رسول فكذبنا وقلنا: ما نزل الله من شيء ﴿بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدۡعُواْ﴾ أي لما اعترفوا بإرسالِ الرسُل قالت خزنة جهنم لأهلِها فإذًا ادعوا واطلبوا أنتم من اللّهِ دفع العذاب وتخفيفه منه، فإنا لا نجترئ على ذلك فلا يشفع إلا بشرطين كون المشفوع غير ظالم ومشرك، وأن لا تكون حقوق الناسِ ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في حقهم وفي حق غيرهم ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: 50] باطل وأمر فاسد عاطلٍ.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ في تبليغ الرسالةِ وإمضاء الأحكام وتنفيذ أمور السياسة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ باللّهِ ربهم وبالحجةِ وبالتقوية وبالظفر والنصرة في إجراء الأحكام الدينية وإمضاء الأعلام اليقينية ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ والنشأة الأولى ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: 51] جمع شاهد كأصحاب وصاحب والمراد بهم من يقوم بهم في يوم القيامةِ والأنبياءِ والأولياء والعلماءِ والأمناء والشهداء يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة للأولياءِ بالدعوة إلى اللّهِ وإرشاد العبادِ وتكميلهم للعلماءِ في حفظِ أوضاعِ الشريعةِ وإمضاء أحكامِها وللكفارِ بالتكذيب والإنكار وكذا سائر الأشهادِ من أمةِ محمد يقومون ويشهدون وعلى ما يطلبون الشهادة منهم.

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين والمشركين والعصاة من المؤمنين ﴿مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ والبعد من رحمته وعموم عنايته ونعمته ولها درجات متفاوتة وللعنة دركات متقاربة ومتباعدة ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: 52] وشقاق دار البوار ودرك النهار من الأدوار والأكوار وأنت خبير بأنّ في كل دورة من الأدوار الإلٰهية والأكوار الربانية دنيا وآخرة متغايرة وكذا قابل بهما من السماوات والأرضِ ومن الجنةِ والنارِ وغير ذلك يتغاير وقد فصلنا مرارًا في مواضِع كثيرة.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ الكتاب والألواح التي فيها تفصيل كل شيء وهدًى ورحمةً ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [غافر: 53] المذكور هذا.

﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾﴾

﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾ [غافر: 54] هاديًا ومرشدًا إلى معرفةِ اللّهِ تعالى وظهور تجلياته ومذكرًا لما جرى في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] من العهود والمواثيق والعقوبة وقبول الأحكام والحدود والمعارف النظرية والشهودات الضرورية الحاصلةِ في ضمن الشهود الذاتي الذي ظهر في بداية كل دورة في التجلي الذاتي، المشهود أولًا بعنوانِ الذاتِ على وجوده لا يتناهى وأنحاء لا تعد ولا تحصى، ثانيًا بعنوانِ الوصفِ في مقام قاب قوسين وموطئ أو أدنى، والبرزخ الحائل بين الاثنين بصور الأعيانِ الثابتة والحقائق الإلٰهية والصور العلمية ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [غافر: 54] أي للذين وصلوا إلى لب اللب في طور الغيب الذي هو إسقاطِ قشور الشكوك والريب.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَاصْبِرْ﴾ يا حقيقة المحمدية في جميع الأعيانِ النورية الجمالية على مجاهداتِ شؤوناتِ النشأة الكونية ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ [غافر: 55] الذي وعدك وعهد لك في المعهدِ الأول والموطِن الأزل بأن يظهر دينك أولًا على أعيانِ الأنبياءِ الثابتة في الحضرة الواحدية على أرواحِهم في المرتبة الربوبية ثم على أشياعِهم في البرزخ المبدأ، ثم في مرتبة الناسوتِ صور ذلك الأمر في القلوبِ وأنزله على آدم معنعنًا إلى أن وصل إلى موسى وعيسى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: 81] ﴿حَقٌّ﴾ ثابت في تمام المراتب والأدوار والأكوار صريحًا وضمنًا ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ من الغفلاتِ والالتفاتِ إلى غيره من الممكناتِ ولو لحظة: «**وإني ليغان على قلبي وإني لأستغفر اللّه في كل يوم سبعين مرة أو مائة مرة**» دون استيلاء المولودِ الجلالي واقتضائِه ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ واشكر نعمته بالوصف النوري الجمالي والنعت الظلّي الجلالي ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: 55] في الدورة الظلية الجلالية الضمنية والنورية الجلاليةِ الصريحية في مدة الدورة الوجودية الصريحة إشارة إلى تفاوت درجات العارفين في مقام الحمدِ والشكر،

فمنهم من يحمده ويشكره بالتنزيهِ الذاتي والتقديس الوصفي، ومنهم من يحمده ويشكره بالنسب الوصفي والإسمي، ومنهم من يحمده ويشكره بالنعت الجمعي والوصوف المعي بأن يكونا متساويين أو يكون أحدهما غالبًا والآخر مغلوبًا، وإن كان مجذوبًا سالكًا يكون أغلب، وبالعكسِ إن كان بالعكسِ، فالأول وظيفة الغوثِ الأعظم، والثاني طريقة المجذوب السالِك، والثالث هو السالك المجذوب، فالأول صاحب الحقيقة والثاني صاحب الطريقة والثالث صاحب الشريعة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ ويعاندون في آياتِ اللّهِ ومنع التجليات الإلٰهية الذاتية والأسمائية والأفعالية والإدارية والمعارف الفطرية والعلوم الحقيقية المتفرعة على المشاهداتِ والمغيباتِ ﴿فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ أي هذه جذبة رحمانية وقدرة ربانية سبحانية وتوفيق إلهي صمداني ﴿أَتَىٰهُمۡ﴾ أي أعطاهم الله ذلك السلطان والتوفيق والجذبة والتحقيق صفة السلطانِ إشارة إلى شرطِ صحةِ الأحوال والمقاماتِ وحقية العلوم والإدراكاتِ بل جميع الأفعالِ والأعمالِ والأحوال والأقوال الصادرة عن أعيان الممكناتِ بأسرها وعن أكوان الموجودات بجملتها لا تظهر ولا توجد إلا بإرادته ومشيئته وتوفيقه.

﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ﴾ أي ليس في صدورهم ووجوه قلوبهم التي يجمع فيها ويتصاعد إليها من أحوال أطوار النفس والغالب فيمن صور الأفعال النفسانية والأعمال الجسمانية التي هي مبادئ النتائج العقلية ومرآة في المعارج الروحانية إلى شهود التجليات الربانية والمعاينات الرحمانية ﴿إِلَّا كِبۡرٞ﴾ أي ما في صدورهم بسبب ظهور الكبر والعظمة في النفس وهو أغلظ الحجب وأشد المظلماتِ وأردأُ النقب وإرداء من الرياءِ والعجب؛ قال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه: نهاه عن الكبر، فإنه لا يدخل الجنة أحد يكون في قلبه مثقال خردلة من كبر**».

﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: 56] أي ليس المجادلون في آياتِ اللّهِ بالنفي

والمنعِ أن يبلغوا ويصلوا إلى سلطان الجذبة والتوفيق أو إلى سلطان التجلي وشهوده إذ الكبر هو الشرك الخفي ينافيه أن اللّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ﴾ عن الكبر ومقتضيه وهو الشيطان واقتضاؤه وهو البعد عن الحقِّ والحقائق ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ الذي يسمع عن استعدادات الأعيانِ الثابتة والماهياتِ الممكنة والحقائق الإلٰهية استدعاء الوجودات العينية وما يتبعها من اللوازم الذاتية والوجودية ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: 56] الذي يبصر ويشاهد مقدار القابلياتِ وكيفيات الاستعداداتِ ليعطي كل شيء خلقه ثم يهديه.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ما فيها من المدبرات أعني الملائكة المدبرة والنفوس المديرة وما هو مركوز فيها من الكواكب الثابتة والسيارة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وطبقاتها التي أسكن الله في كل منها نوعًا من المخلوقات التي لا يعلم عددها ولا يدرك مددها إلا الله كما أشار إليها ابن عباس في تفسير هذه الآيةِ ومن الأرضِ مثلهنّ ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ ومخلوقاتهم آجلًا وعاجلًا هذا على تقدير زعمهم وإلا فلا خالق إلا هو ولا خلق للمخلوق أصلًا في الذهنِ ولا في الخارج ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57] من أن الخلق في الآفاقِ أكثر وأبهى وأكبر مما في الأنفس، وإن كان دقيق النظر بالنسبةِ إلى الآفاقِ والأنفس وهي ستراهم في الآفاقِ وفي أنفسهم يحكم عليها فإن الفارق الكامل الكلي المتحقق بالذاتِ بجميع الأسماءِ والصفاتِ توازي خلقه خلق الرحمٰن نعم يمكن أن يقال هذا الخلق هو تخلق الخلق، «**لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافِل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي وبي يبطش وبي ينطق**» حديث قدسي.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الذي ما وصل إلى مقام التحقق بمضمونِ هذا الحديثِ ﴿وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ﴾ [غافر: 58] العاقل المتبصر

والعامل المستنصر الواصل إلى مقام الكلية، والتحقق والذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ ولا المحسن ولا المسيء الذي لا يتذكر إلا تذكرًا ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: 58] قل ما تنسون من أصحاب التقليد الذين في مقام علم اليقينِ وما بلغوا بدرجة عينِ اليقينِ وحق اليقين، فلا بدّ من ميزانٍ يتعرف به على هذه الفرق الأربعة وهو النبوة التعريفية والتشريعية، فبالتشريعية يتعرف بأصحاب التقليد وبالتعريفية التي يستكشف بها أحوال الأطوار السبعة القلبية يتميز بها أرباب حق اليقين عن غيرهم وأحوال بعضهم عن البعض الآخِر، والميزانِ الكلي الكامِل هو الإنسان الفارق الكامل المكمل السائر في كل الأدوار وتمام الأكوار الإفرادية والجمعية.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ الآفاقية التي تظهر لدى انتهاء اقتضاءِ فردارية الدورة العوزية الأربعةِ، فإن في انتهاء كل دورة من الأدوار الأربعةِ النورية الجمالية تقوم قيامة وتحوم ساعة، وهي بروز اقتضاء الكورة الظلية الجلالية التي كانت متضمنة في ضمن الدورة النورية الجمالية مختفية في حيطها وتسمى بالآخرة ويختفي ارتضاء الدورة النورية الجمالية، وكانت في تلك الدورة مسماة بالدنيا، فتصير الدنيا آخرة والآخرة دنيا، ويختفي طور البدنِ في طور البدنِ والنفس، وطور النفس في الجسمِ والبدنِ ﴿لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ إن الدورة لا محالة تنقضي، والكورة لا بدّ وأن يتعرض وتنتهي، وكذا الساعاتِ والقيامات النفسية فإن السالك إذ انتقل من طور إلى طور آخر من الأطوار السبعةِ القلبية يظهر في نفسِه وتقوم قيامته ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ لفرطِ جهلهم بأطوار الأدوار وانقضاء الأكوار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: 59] بظهور الساعةِ وقيام القيامةِ.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾ تعليمًا لعباده وتفهيمًا لساكني بلاده ﴿ٱدْعُونِىٓ﴾ في قضاء الحاجةِ واقتضاء الحوائج والمهماتِ ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي أعبدوني وفي قضاء الحاجاتِ ادعوني قبلت دعاءكم وأجبت دعوتكم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ ويستنكفون عن طاعتي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] متذللين صاغرين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾ وخلقه لكم ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ فتصرحوا عن التعب الحاصِل من اشتغال النهارِ ويحصل فيه استراحة وإنما جعل الليل مظلمًا لتتفقر الحواس عنه وترجع مبادئ الأعمالِ وقوى الأفعالِ من محيطها إلى مراكزِ قواها وهي القلوب وساحة الغيب وراحة المحبوب تستكمل أفاعيلها وتستحصل غاياتها وهي كمال الصحة ولذا استولى عليه النوم واستعرى لديه الإمساك والصوم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ أي يبصر فيه أمور المعاشِ ويفعل فيه ما تنتظم فيه أحوال الانتعاشِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث جعل الليل زمان الاستراحة وتمام هضم العظامِ لكمال الصحةِ ودفعِ أنواع المرضِ وأصناف العلةِ وغير ذلك من المنافِع والمصالِح، والنهار لاكتساب الأفعال التي تتوقف عليها أحوال المعاش وأسباب الانتعاشِ وغير ذلك من مصالِح المعاشِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ لفرطِ الجهالةِ ووفور الكسالةِ والضلالةِ ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [غافر: 61] نعم الله تعالى ومنحه التي لا تعد ولا تحصى لاستغراق أنظارهم في تحصيل اللذاتِ وتعطيل مبادئ العلوم والإدراكاتِ المتعلقة بالمبادئ العالية والإلٰهيات.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢﴾

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ المخصوص الأفعال المذكورة والأعمال المزبورة ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ [غافر: 62] الذي رباكم أولًا في عالم الجبروتِ بالعلوم الفطرية والإدراكات الضرورية والشهوداتِ الذاتية الضمنية الحاصلة في ضمن شهوده الذاتي في معهد العهودِ الدورية، ثم في عالم الملكوتِ بالحياة الطيبة، ثم في عالم الملكِ بالصور الكونية والهيئات العينية، ثم في عالم الناسوتِ بالصور الجمعية والهيئة الكلية ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ في المراتب الأصلية ﴿لَّآ إِلَٰهَ﴾ في الأدوار النورية الجمالية ولا في الأكوار الظلية الجلالية الإفرادية ولا الجمعية ﴿إِلَّا هُوَۖ﴾ [غافر: 62] أي بالذات البحت ومطلق الوجود الذي هو بداية وحقيقة كافية في

جميع الكمالاتِ الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية لا يحتاج إلى عبرة من الموجوداتِ والمعدوماتِ المغايرة لها ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: 62] وكيف تصرفون من عبادته إلى عبادة غيره.

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الانصراف والإيفاك ﴿يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [غافر: 63] وينكرونها ويعرضون عنها.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ مرفوعًا محكمًا وأحسن ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: 64] وأبين دوركم، وعين غرركم بأن أبداكم مستقيم القامةِ قويم الإقامة صريح الاستقامةِ صحيح الإشارة فصيح العبارةِ، صبيح الوجه والوجاهة، أي جعلكم في حسن الخلْقِ وأحسن الخُلُق ظاهرًا وباطنًا صورةً ومعنى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [التين: 4 ـ 5] ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [غافر: 64] كثير المنافع كثير المجامِع ظاهرًا وباطنًا والمراد أنواعها فإن للجسمِ والبدن ولأجزائه نوعًا من الرزق الطيب، وكذا للنفس والقلب والسر والروح والعقل نوع من الرزق والغذاء، فإن غذاء النفس هو الإدراك المتعلق بكيفية العمل والتصرف في البدنِ ورزق القلب وغذائه هو العلم والإدراك بأن كل ما يصدر من النفس وقواها هو من الله، وغذاء السر والفؤاد هو شهود الحق في تلابس الآثار، ورزق الروح شهود الحقِّ فاعلًا ومؤثرًا في الأكوانِ، وغذاء العقلِ ورزقه وشهود الحق بجميع الأسماءِ والصفاتِ، وغذاء غيب الغيوب الذي هو باطن العقلِ هو الفناء الذاتي والبقاءِ باللّهِ والتحقيق بجميع الأسماءِ والصفاتِ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الخالق المصور والرازق هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ تعالى شأنه وتعالى سلطانه ﴿رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [غافر: 64] بكمال التدبير وجمال التصوير وجلال التدوير والتأثير في المراتب لتنويع المآرب وتفريع المطالب.

﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي الذي توحّد بالحياة السرمدية وتفرد بالقدرة الأبدية ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ واطلبوه وتوجّهوا إليهِ ﴿مُخْلِصِينَ﴾ حال كونكم متصفين بكمال الإخلاصِ متخصصين بصفاء العقيدة وضياء الانتصاصِ ﴿لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ مفعول لمخلصين وهو حال من فاعل ادعوا له متعلق بالدينِ أي اطلبوه بالدينِ الخالِص ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [غافر: 65].

﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ﴾ الأوثان ﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أنتم إياهم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ والحجج والبراهين والآياتِ الواضحاتِ وخرق العاداتِ وظهر ﴿مِن رَّبِّى﴾ المعجزاتِ ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [غافر: 66] وأخلص له ديني له مربيًا لجميع المخلوقين.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ خلقة أولية ﴿ثُمَّ﴾ في الخلقةِ الثانية ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ منصبّةٍ في مقعّر الرحم مستحيلة في مدة تدبير زحل أربعين يومًا ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ في تدبير المشتري أربعين في مدة تدبير المريخ أربعين يومًا، وإذا تم أربعة أشهر ومن الأيام عشرًا نفخ الله تعالى في مدة تدبير الشمسِ فيه روحًا حيوانيًّا، فإذا انتقلت التربية إلى الزهرة حصل في الجنين القوة المشهورة، وإذا بلغت نوبة التدبير إلى عطارد أفاض الله تعالى القوة الناطقة، وإذا استكملت القوة بالناطقة وانتقلت إلى تربية القمرِ وعند استكمالِها وهي تسعة أشهر وعشرة أيام تولد الجنين وإليهِ الإشارة بقوله ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: 67] ويدل على ما فصلناه قوله

تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 12 - 14].

وإنما اكتفى ببعض ما ذكره ما أغنى في ربه الخلافة إشعارًا بأنّ الولاية يمكن أن تقع في مدة ستة أشهر، وعاش المولود كما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾ [الأحقاف: 15] فمن الولاية والطفوليةِ إلى مرتبة الشيخوخة مرتبة الغلامية والتزعزع والزهاقِ والبلوغ والشباب والوقوف والكهولة ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ وهو يتناول الشباب والوقوف، أما الشباب فهو من سن البلوغ إلى الوقوف، وهو إما ثمانية وعشرون واثنانِ وثلاثون إلى الأربعين أو إلى خمس وأربعين، والكهولة إلى ستين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ﴾ وهو من ستين إلى آخر العمرِ فكما أجمل الله في الخلقة أجمل في مراتب السن ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ﴾ أي قبل الشيخوخةِ أو قبل بلوغ الأشدِّ هذا مناسب للإجمالينِ ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ من الموتِ الطبيعي أو غيره أو يوم القيامةِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: 67] توحيد ربكم وكمال قدرته وقوته وعموم حكمته وحقيقة شرائعه وحكمه أحكام دينهِ وخصائصِ أركانِ إسلامه ومصالح سائر أعلام أحكامه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ﴾ إشعار إلى إظهار اقتضاءِ النورِ والجمالِ وإشهار لارتضاء سلطان الظل والعدم والجلالِ، فمقتضى الأول الإحياء والثاني الإماتة وإخواء الحياة والإعلام ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ وحكم في العلم بوقوعه وأراد أن يوجد ويحيي ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر: 68] ويوجد بلا مهلةٍ وتراخٍ فالفاء الأول للدلالة على أنّ القول متفرع على الحكمِ والقضاء والعلمِ والوجود العلمي، والثاني دال على أنّ الوجود العيني متفرع على القول.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ﴾ ويعاندون ﴿فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ ومعجزاته وينكرون سطوع بيناتِه ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ [غافر: 69] عن التصديق به والتحقيق له.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ والقرآنِ أو جنس الكتب السماوية ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من الصحف وسائر الكتب والوحي والشرائع ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 70] سوء حال المتكبرين ودناءة مآل الجاحِدين وجزاء تكذيبهم.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ ظرف لتعلمون إذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضي للتشنيع والإشعار بتحقق الوقوع ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: 71] يجرون ويكبون ويحبرون على وجوههم.

﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ أو يصيرون وقودًا للنارِ ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: 72] تحرقون من سجر التنور إذ امتلأ بالنارِ والوقود من التسجير، والمراد تعذيبهم بأنواع من العذاب وأطوار من العقاب وينتقلون من بعض إلى بعض.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ يوم الحشر والدينِ ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [غافر: 73].

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأوثانِ والأصنام وغير ذلك مما عبدوه في الدنيا واستوثقوا بهم واستشفعوا أو جعلوه وسيلة للزلفى ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ﴾ وفقدوا ﴿عَنَّا﴾ وتركونا ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ غير اللّهِ وإنما كذبوا على أنفسهم لفرطِ حيرتهم وغلبة دهشتهم أو لفقدانِ ما أملوا منهم نزلوا إياهم منزلة العدم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلالِهم أنفسهم وتنزيل أعمال نفوسهم لعدم ترتب ما أملوا منهم منزلة العدم ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [غافر: 74] الواغلين في الجهل.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿ذَٰلِكُم﴾ الضلال والإضلال والعذاب الذي نزل بهم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي بسبب كونهم بغير الحقِّ وبكمال فرحِهم الذي يورث وفور الغفلة والجهالة ودرور الغباوة والكسالةِ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: 75] تتوسعون في الفرح وتتمتعون بنقيض الترح، فإنّ اللّه تعالى قد نهى عن الفرح فضلًا عن الترف في الفرح فإنه يميت القلب، ويفوّت عنه فيض الغيب فأحمد المحبةِ للّهِ هي المحبة للفقراء والتقرب إليهم، قال يا رب، ومن الفقراء قال الذين رضوا بالقليل وصبروا على الجوعِ وشكروا على الرخاءِ، ولم يشكوا جوعهم ولا ظمأهم، ولم يكذبوا بألسنتهم، ولم يغضبوا على ربهم ولم يغتموا على ما فاتهم ولم يفرحوا بما آتاهم الحديث القدسي، قال النبي ﷺ: «**إنّ اللّه يحب كل قلب حزين ويبغض كل قلب ساهٍ لاه**» فقيل حينئذٍ:

﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة فكل باب مخصوص بطائفة وشخص مخصوص لا يدخل من هذا الباب غيره، قد فوت التحقق باسم من هذه الأسماءِ أو الصفاتِ السبعةِ الذاتية وهي العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمعِ والبصرِ والكلام بل تخلق بقيضه فصار كل اسم منها في حقِّ تلك الطائفة نارًا حميمًا ودارًا ذميمًا وغارًا أليمًا وعذابًا عظيمًا، فإن كل اسمٍ من هذه الأسماءِ نقض عظيم ونقيض جحيم ونوع من العذاب، مثلًا نقيض الحياةِ ممات وهو نقيض تام ونقيض عام ونقيض العلم جهل ونقيض القدرة عجز ونقيض الإرادة كره وإكراه، ونقيض السمعِ صمم، ونقيض البصر عماء، ونقيض الكلام خرس، فكل من هذه النقائض بعض من النقائص لا تنقضي شقاوته ولا تنقص نكايته وشقاوته يدوم عذابه ويقوم عقابه، فيكون في حق صاحبه نارًا حميمًا ودارًا جحيمًا، وأما الجنة فلا تتحقق إلا بجمعية هذه الأسماءِ السبعة ومعية مقتضيات معانيها ولذا صار أبوابها ثمانية واضحة قليلة في الغاية.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [غافر: 76] حسب بقاء يقتضي ذلك الاسم وكل نفسٍ وروح من حيث إنه روح الله وحصة من الذات البحت ومطلق الوجودِ وأنّ اللّه تعالى

خمّر طينة بني آدم بيده ونفخ فيهِ من روحه يستحق السعادة الوجودية والسيادة الجودية، والسعادية الشهودية إلا من غرض في نشأته ما يخالفها فحينئذٍ يظهر ما يقتضي خلاف ما يرتضيه أصل الوجود والنور، فإذن لا بدّ وأن يسند كل منهما يعني الجنة والنار إلى اسمٍ من الأسماءِ التي فيها معنى الذات البحت ومطلق الوجود وهو الوجود والعدم والنور والظل والجمال والجلال، فالجنة مقتضى النور والجمالِ، والنار مرتضى الظل والعدم والجلال، فالأول معنى الذات والوجود، والثاني مضمون المطلق والبحت، ولمقتضى كل من النور والجمال والوجود مدة مديدة وبرهة بعيدة، فللنور والوجود حكم وفردارية في مدة سلطنته صريحًا وللظل والعدم في هذه المدة أيضًا سلطنة لكنها ضمنية وتبعية، فالوجود والعدم الّذي هو مفهوم البحت والمطلق توأمان يظهران معًا لا ينفكانِ أصلًا كما يشعر مقارنته بالذات بالبحت والمطلق بالوجود إلا أن أحدهما يكون صريحًا والآخر ضمنًا ويتبادلان في الصراحةِ، فإذا كانت سلطنة النور والوجود صريحة تكون سلطنة الظل والجلالِ والعدم ضمنًا، فيكون مقتضاه هو الآخرة خفيًا وضمنًا، ومقتضى النور والوجودِ والجمالِ وهو الدنيا صريحًا وأصالةً، وإذا انتهت فردارية النور والجمالِ ومدة تربيته وهو الدنيا وما فيها من السماواتِ والأرضِ باطنة خفية مستترة آخرة، فتكون الدنيا آخرة والآخرة دنيا والجسد روحًا والروح جسدًا، وتنقلب الجنة نارًا والنار جنة والشقي سعيدًا والسعيد أسعد ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: 106، 107].

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: 76] ومأواهم النار وجهنم إشعار بأن المقتضى لدخول النار إنما هو التكبر المذموم لا الممدوح فإنّ كبر النفس وتكبرها عن الالتفات إلى الأمور الخسيسة والرذائل الخسيسة محمود فالتكبر المذموم يقابل الخضوع والخشوع، والمحمود يباين الحسنة والقيامة التي تستلزم الخفة والميل والهوى إلى الأمور الخسيسة، وأما الكبر المحمود فهو يستلزم الوقار والرزانة والتمكن والقرار الذي ثبت للأرضِ، ولذا استحقت لأن يجتمع فيها تمام أفياضِ جميع الأفلاكِ ما يتعلق بها من العقول والنفوس والأفلاك المدبرة بها ولتمام المكوناتِ البسيطة والمركباتِ، فمن كان على طبيعتها

وخاصتِها فهو من أهلِ النجاة، ومن كان على طبعِ النارِ والهواءِ وعلى خاصيتهما فهو من أصحاب الدركاتِ ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: 6 ـ 9].

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا الحقيقة المحمدية في ظهور الأعيانِ النورية وضمور الأكوان الظلية في الأطوار الإفرادية والأكوار الفردية ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ هو صورة جمعية الكلية التي يتوجه إليها جميع الأعيانِ الكونية الإفرادية في الأدوار والأكوار الفردارية ﴿حَقٌّ﴾ ثابت وكائن في استعداد كل عينٍ من الأعيانِ ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ [غافر: 77] وهو الجمعية النورية الإفرادية أو جمعية الأكوان الظلية الفردارية إشارة إلى أنواعِ الأطوار الجمعية وهي خمسة أربعة منها هي أن يكون بين أعيانِ الذكر وأكوانِ الأكوار بحيث يكون حكم سلطنته لاسم من الأسماءِ الأربعة الذاتية، أعني العلم والحياة والقدرة والإرادة غالبة والواحدة منها هي أن يكون سلطان الذاتِ مع تمام الأسماءِ الأربعةِ الذاتية المذكورةِ على السواءِ على وجه يكون العدل الحقيقي والقسط الذاتي ظاهرًا ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: 3].

أقول: وروح القدس ينفث في نفسي إن وجود الحقِّ من عدد خمس

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [غافر: 77] في أطوار أدوار النشآتِ الكلية بالانتقال من النعت الإلهي إلى الوصفِ الرباني، أو من الإلهي الرباني، أو إلى الكوني أو بالعكسِ عند الترقي، أو من تحقق كلي آخر كالانتقال من التحقق بالعلية إلى الحيثية أو بالعكسِ، أو العددية أو الإرادية أو السمعية أو البصرية أو الكلامية في أدوار المبررات والتنزلاتِ وأطوار البروزات والتنزيلات والترقيات والصعوداتِ، قال آدم الأولياء علي المرتضى: أنا المعنى الذي لا يقع على اسم ولا شبه، أنا الذي آتوني حساب الخلائق أجمعين، أنا الذي عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد محمد غيري، أنا آدم الأول، أنا نوح الأول، أنا الحجر الذي تفجر منه اثنا عشر

عينًا، أنا البعوضة التي ضربها الله مثلًا[*]، وغير ذلك ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر: 77] في الجمعية العظمى والهيئة الكلية الكبرى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ في الأدوار النورية الجمعية الإفرادية ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ من الأكوار الظلية الضمنية التي تظهر بالتبعية، فإنّ أطوار أكوان الظل والجلالِ إنما تتبين صريحًا في أكوار الظلِّ والجلالِ لا في أدوار النور والجمالِ، وكذا أطوار أعيانِ النور والجمالِ في صراحة فردارية الظل والجلالِ لا تظهر ولا تتعين أصالة وصراحة بل تبعًا وضمنًا ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ في الأدوار والأكوار صريحًا كان أو ضمنًا ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ في هذه الدوراتِ في النشآتِ والشؤوناتِ ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وقضائه وحكمه وإمضائه وإرادته ورضائه الذي قدَّره في الدورة الكبرى التي هي اللوح المحفوظ الذي يتنزل ما كان في الدورة العظمى مصورًا في العِلم الأعلى في لوح الاستعداداتِ الذاتية والقابليات الأولية ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ في اقتران الوجود العيني بالوجودِ العلمي وهو الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ في الأدوار الإفرادية ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: 78] المتقلدون بدرجة التقييد والإفراد والتفريد.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ أي الأطوار السافلة وهي القابلية والنفسية والقلبية ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ [غافر: 79] بأن يجعلوا ما يحصل منها من الإدراكاتِ الحسية والمشاعِر النفسية البسيطةِ والمركبة مبادئ بشهود المعارف النظرية والدورات الفكرية والنتائج العقلية بذريعة القوة النظرية ووسيلة القدرة الفكرية ثم بعد استكمالِ القوة النظرية واقترانِها على القوة العملية وتركيبها بجعل المعارف

(*) يتكلم بلسان الجمع أي بلسان الحقيقة المحمدية التي هي بدورها لسان الحق وليس بلسان نفسه من حيث مقام الفرق.

النظرية مطية لشهود التجليات الإلهية بعد مشاهدتها بصور الإدراكاتِ الضرورية والدراياتِ النظرية والمعاني الجزئية والكلية بصور الأعيانِ النورية صريحًا والهيئاتِ الظلية ضمنًا، أما تصور الأعيانِ الفلكية أو العنصرية أو المركباتِ وأشرفها أن تكون بالصورة الإنسانية، ولذا اختصت الجمل بالأعيانِ النورية كما قال النبي ﷺ: «**رأيت ربي في أحسن صورةٍ شاب أمرد قططٍ**»، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [غافر: 79] إشارة إلى القوة العملية التي هي منطقة شهود التجليات، والقوة النظرية هي مظنة العلوم الفطرية، وإنما أضاف الأكل إلى القوة العملية لأن العلم عمل عبث وضلال كما إنك لو علمت العلم ولم تعمل به لا يكون له فائدة.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ إشارة إلى القوة العملية ومنافعها قال النبي ﷺ: «**من عمل بما علم علّمه علم ما لم يعلم**»، ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ نفسية صورة ﴿فِي صُدُورِكُمْ﴾ ومعنوية كالتحمل والحملِ والتزين والجهادِ واليقين ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ والسفينة في البحرِ ﴿تُحْمَلُونَ﴾ [غافر: 80] وإنما قال على الفلكِ ولم يقل في الفلكِ للفرق بين العين والمنفعة.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ وبينات أماراته الدالة على كمال قدرته وعموم حكمته وهجوم إرادته ومشيئته وفرط عنايته ولربط أهوائه ظاهرًا وباطنًا صورةً ومعنى ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ [غافر: 81] آيات الآفاقِ أم آيات الأنفس وكلاهما في غاية الوضوحِ لا حد له أدنى من أن ينكر شيئًا منها.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: 82] يسيروا سير أهل الخبرة وأصحاب

البصيرة وأرباب البصارة ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ نظر العبرة ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾ القوم ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ أموالًا وأولادًا وأطوارًا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ وأشد قدرة ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ما بقي منهم من الرسوم وتأثيراتِ الأيادي والقدوم من المصانعِ والقصور والمعابِد والصوامِع ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ أي ما منع منهم وبان ﴿مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [غافر: 82] من الآثام والمعاصي والسيئات والكفر والخطيئات، فأما الأولى إما ماضية أو استفهامية منصوبة بـ﴿أَغْنَىٰ﴾ والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة به.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزاتِ والآيات الواضحاتِ ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ ورضوا به وتنفعوا بذلك ولم يلتفتوا إلى آياتِ اللّهِ، والمراد بالعلمِ هو عقائدهم الزائفة وقواعدهم الزائغة وشبههم الداحضة وهي الجهالات الطبيعية والتعقلات الخيالية والعبارات الوهمية كقولهم: وما أظن الساعة قائمةً، وإن أوزان الكائناتِ التدريجية وأوزان الكائناتِ الدفعية قد تكونت بتلقاء أنفسهم بلا يكونوا مختارين خارج عن العالم فكل ما أرسل رسلًا استهزءوا بهم ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ خلط بما لديهم وهلكوا وأهلكوا ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ قيل الفرحون هم الرسل فإنهم لما رأوا تمادي الكفار في كمال الجهل وفرط الجهل وكثرة الذهول والزهل والنزل وفرحوا بما أوتوا من العلم والوحي والنبوة والدين والشريعة وبالأحوال والمقاماتِ والعلوم والإدراكاتِ ليشكروا اللّه عليه ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي بالكافرين وأهلكهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: 83] من جراء جهلهم واستهزائهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾

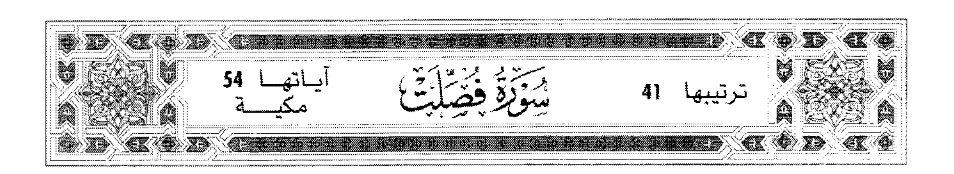
﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ وإقبال شدة عذابنا إليهم وتوجه حدَّة عقابنا لديهم ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ وصدقنا ﴿بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ وبما جاء مؤمن بالشرائع والأحكام ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ﴾ في الدنيا والنشأة الأولى ﴿مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: 84] يعنون به الأصنام وكل

ما كانوا يعبدونه ويقتدوا دونه مما سوى الله.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ﴾ أي لا يكون إيمانهم في ذلك اليوم لهم نافعًا وعن شدة العقاب ووحدة العذاب مانعًا ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ﴾ ومضت من قبل، ونصبها كنصب المصادر المؤكدة وأوزانها وأوزان وعد الله وما أشبهه به من اللّهِ سنة تكون مثل سنة الأمم الماضية على سنن الأزمنة في الأماكن الخالية ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: 85] هناك، هنا الإشارة إلى المكان إلا أنه هنا استعير للزمان أي ظهر خسران هؤلاء في ذلك الوقت والزمانِ. قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (المؤمن) لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي سجدت له الملائكة إجمالًا وتفصيلًا في النشأة البشرية والمرتبة العنصرية، لنشاهد مفصلات آياته، ومجملات بيناته في كتاب وجهه الكريم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي فصّل آيات كتابه بلسان عربي وترجمان عجمي عميم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي جمع آيات الآفاق، وبيِّنات الأنفس في كون جامع عظيم بالاتفاق ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا في يوم جسيم.

﴿حمٓ ①﴾

﴿حمٓ ①﴾ [فُصّلَت: 1] إشارة إلى الدورة الثانية التبعية التركيبية البصرية، إذ حواميم الأربعة الآتية البسيطة، كانت إشارة إلى الأدوار الأربعة النورية الجمالية الوجودية صريحًا، وإلى الأكوان الظليَّة الجلالية الإفرادية فيهما ضمنًا، و(حم عسق) إشارة إلى الأدوار الثلاثة التركيبية التبعية التي ترينا الأسماء الثلاثة الأخيرة من السبعة الذاتية، أعني الكليم، البصير، السميع. فـ(حم عسق) قد أشارت إلى الدورة الأولى المركبة الكلامية و(حم) الثانية إشارة إلى الدورة الثانية المركبة المنسوبة إلى البصر. والثالثة إلى السمع المطلق لا الأدوار الأربعة النورية.

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ②﴾

﴿تَنزِيلٌ﴾ [فُصّلَت: 2] مبتدأ أو خبر، أو الأول خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف، وهذه جملة مستأنفة، أو تنزيل مبتدأ وخبره كتاب والجار

والمجرور صفة المبتدأ ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مظهر النور يعطي الوجود وهو يظهره ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ [فُصّلَت: 2] مظهر الظلّ والجلال.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ﴾ بعد الإجمال فسِّرت وبيِّنت ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾ أعيانه الأصلية وأكوانه الكلية وأحوالها في الأدوار الإفرادية الاستقلالية الأصلية في التركيبية التبعية بالنعوت الوجودية والهيئات النورية، بالأحكام الروحية والأحوال العقلية والأعمال النفسانية والأطوار الجسمية الحسية، بالحالات التركيبية والهيئات التبعية، فإن الأسماء الثلاثة الذاتية الأخيرة من السبعة المذكورة، وهي: الكليم والبصير والسميع تكون سلطنتها وفردانية ترتيبها باشتراك الأسماء الأربعة الأولى، من السبعة الذاتية في التأثير والتصور والتدبير، وأدوار هذه الأسماء الثلاثة التركيبية غير الأدوار الأربعة الأصلية الاستقلالية مادة ومدة، مادة وعدَّة ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على المدح أو الحال، ويحتمل التميز ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فُصّلَت: 3] العربية والعجمية، أو حقيقة الأدوار والأكوار الأصلية الإفرادية والجمعية والتركيبية، والتبعية والتركيبية الاستقلالية، وأنَّ أطوارها دوري وأحكامها كوري.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ للعالمين وللعاملين به، وبأوامره وبأحكامه، وللمعرضين عنه وعن العمل بما فيه من الأحكام ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن التدبر فيه، وعن التفكُّر في حسن فصاحته وكمال بلاغته، وبإعجازه بالإنباء عن الأحوال والحوادث الماضية والحالات الآتية، وعن الخواص والمزايا العجيبة والمعجزات الغريبة المختصة ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فُصّلَت: 4] ولا يقتدرون على سماعه وعلى اقتناء انتفاعه.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ جمع كنٍّ وكنة، وهو ذات خفيَّة ومخفيَّة كأعطنة جمع عطن وعطنة ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فُصّلَت: 5] أي قلوبنا محتجبة من سماع

القرآن، أي لا يصل بداء الأقوال وصداء أحوالها كأن بينها جبل شاهق وبحر زخار فارق ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا﴾ وفي قوة استماعنا ﴿وَقْرٌ﴾ ثقل مانع عن إدراك الأصوات، وهو عبارة عن الطرش والصّمم ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ حائل ونقاب فاصل بنا عن إدراكه واستماع قراءته، وهذه تمثيلات لَبِنَات قلوبهم وكدورة عيونهم، وتخييلات لعدم المناسبة بينها وبين الحق وكلامِه وأسمائه وصفاته ﴿فَٱعْمَلْ﴾ يا محمد في صيانة دينك ووعاية صدقك ووقاية كمال يقينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فُصّلَت: 5] على ديننا وعلى تثبيته وإبطال ما يخالفه وإيطال ما يعائقه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد في تزييف مثالهم وتعريف قبح حالهم وفساد مآلهم وإهلاك مالهم، وزوال أمانهم ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ في لوازم البشرية ولواحق المقتضيات العنصرية، والمرتضيات المعنوية والصورية، لا مزية لي عليكم ولا لكم عليّ ﴿مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي خصصني الله من لدنه بكمال فضله وجزال إفضاله وإحسانه، بأن جعلني مهبط الوحي ومربط النبوة، ولوازم العلم، ونعت الحي ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ وإلٰهنا وإلٰه كل نبي ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له ولا نظير له ولا ند ولا مثل ولا ضد ولا أميرَ له ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ في تحصيل المقاصد الدينية والدنياوية، استعينوا وميلوا لديه، وفي جميع الأحوال توكلوا عليه، وكذا في استحصال التصورات والتصديقات الحكمية في الإلٰهيات والطبيعيات والرياضيات بطريق الفكر والنظر، أو بطريق الكشف والشهود بالبصيرة وعين البصر ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ﴾ مما أنتم عليه في هذه الأطوار فإن كل واحد من أصحاب الفكر والنظر وأرباب المشاهدات والمعاينات بقوة نور البصيرة والبصر لا بد وأن يصعد من المرتبة الأدنى إلى المرتبة الأعلى، وأن يستغفر في كل آن مما كان عليه، إذ الأفياض الإلٰهية لا تنتهي، والغفلات البشرية والوساوس الشيطانية لا تنقضي، فلا بد وأن يطلب الأفضل والأكمل، ولذا أمر الله في الكتاب بالاستغفار مكرّرًا، قال النبي ﷺ: «**وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة**» ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فُصّلَت: 6] المتقيدين بخصوصية كل طور ونصوصية كل دور

وكور، ولم يرتق إلى ما فوقه، ولم ينصرف إلى ما دونه، واستوى يوماه فهو مغبون لقوله ﷺ: «**مَن استوى يوماه فهو مغبون**». فضلًا عن أن يكون مشرك بالله العلي العظيم المتفرِّد في عظمته وجلاله، المتوحِّد بكمال جمعية جماله وجلاله.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ۝٧﴾

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ زكاة نفوذ العلوم الحقيقية وهبوب المعارف الإلٰهية وأجناسها إشارة إلى التعليم والإرشاد، فإنَّ مَن حصَّل العلوم النظرية وكمل شهود التجليّات الإلٰهية، ووصل إلى مقام الاستكمال والتكميل، وبلغ أحوال كمالاته إلى نصاب الكمال والتكميل صفة ومحلًّا سيما العلوم الصفاتية وقبول تدبير الروح، وتنوير النفوس، وتكسير الجسد، وطريق طرح الإكسير على الحجر المكرم بعد الحل والعقد وطريقهما، أعدّهما الله الكريم الجواد العظيم في الدنيا ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي العاملون المتمولون بأجناس العلوم الحقيقية في الأدوار النورية في الآخرة، أو عند انتقال نوبة التدبير من النور والجمال الصريح إلى التدبير الظلّي الجلالي الضمني ﴿هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [فُصّلَت: 7] ساترون الصورة الجمعية المكونة في كل من البدن والروح والنفس وفيه يظهر إلى أن استوت نسبة كل منها في الآخر. والصنعة قسمان: آفاقية ونفسي، أما الآفاقية فهي أن أصحاب الإكسير يتصرفون في الحجر المكرم المكي المشهدي بنظر ما كان فيه من الروح والجسد والنفس، فيسويهن ويمزجهن إلى أن يخرج ويبرز من القوة الإلٰهية الكامنة فيه. وأما النفسي فهو أن يتصرف في الحجر المكرم القلبي ويفعل ما يفعل في الحجر المكرم الآفاقي إلى أن يظهر وتبرز منه القوة الإلٰهية التي تتصرف في النفس بعد التزكية ويطرح إكسير نظره الكامل المكمّل عليه ليفيض من شمس حقيقته صورة ذهب الحقيقة الجمعية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ الأول مقتضى النور والجمال الذي طاعه الظل والجلال للنور والجمال، والثاني طاعة بالثاني، وجعله داخلًا تحت حكم النور والجمال ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ في الدنيا وهو اندراجهم في مدارج المؤمنين وسقوط الجزية والسيف عن رقبتهم، وإليه الإشارة بقوله ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فُصّلَت: 8] أي غير مقطوع.

﴿ ۞قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾

﴿ ۞قُلْ أَئِنَّكُمْ ﴾ مع وجود الكتاب الإلٰهي الذي فيه بيان كل شيء ﴿لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ الاستعدادية والربض القابلية ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ يوم الأحد ويوم الإثنين، أي الجمالي والجلالي ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ﴾ جمع ند وهو المماثل في الذاتيات والعرضيات جميعًا، والمضارع هاهنا بمعنى الاستمرار والتجدد في الأدوار الإفرادية والأكوار الوحدانية ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذات الجامع لجميع الأسماء الذاتية والأفعالية والآثارية ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [فُصّلَت: 9] ومدبِّر العالمينَ العاملين في نوبة تدبير النور والجمال والوجود صريحًا، وأكوان الظل والجلال والعدم ضمنًا.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جمع راسية وهي جبل مرتفع، وذلك إما أولًا: بالذات لما أنَّ الله تعالى خلق الأرض مستديرة وكرة وهيئة ذات استدارة كانت نسبتها إلى جميع ما فيها وإلى خارجها على السواء، فأي قدر من النقل يحصل في طرف ووقع في طرف منها اضطربت وتحرَّكت وتزلزلت فلا تتيسر السكنى والإقامة عليها، فاقتضت الحكمة الإلٰهية وارتضت التدبيرات الربانية أن يخلق جبالًا عريضة طوالًا وراسيات وتلالًا وأجسامًا شاهقات ذات تلال على أطراف أقطار كرة الأرض على وجه تفردّت الأرض واستقرّت ﴿مِن فَوْقِهَا﴾ على سطحها ووجهها الظاهر وبسيطها ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ أي ظهرت الأعيان الكبيرة والأكوان العالية الكثيرة المنافع بهيئة المجامع كالبحور والأنهار والصخور والأشجار والحيوانات العظيمة الجثة كالحوانيت والحيتان والعفاريت وغير ذلك من المعادن والنباتات ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فُصّلَت: 10] يعني أن الله تعالى نسبه إلى خلق الأشياء كميَّة مدّته وأوقاته وإلى كيفيَّة تقديراته جعلًا وإيجادًا، وإلى ما يتقوم به من الأغذية وأقواته ردًّا على مَن جعل له ضدًّا ونظيرًا وندًّا، فأشار أولًا إلى خلق أرض الاستعدادات الذاتية الطارئة على جميع الموجودات الأصلية والظليَّة الفرعية من العلويات والسفليات

والمجرّدات والماديات والبسائط والمركبات. ويومين إشارة إلى النور والظل وإلى الوجود والعدم اللذين يتواردان على ذات الممكن على ما يقتضيه الوجوب الذاتي والعقاب الذاتي، وترتضيه الذات البحت ومطلق الوجود.

﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ إشارة إلى مقتضى الذات بواسطة الأسماء الأربعة الذاتية التي هي مبادئ الأدوار الأربعة النورية والوجودية، وإلى الأكوار المربعة الظليّة العدمية الجلالية ﴿سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فُصّلَت: 10] أي اقتضاء الأربعة، و﴿سَوَآءٗ﴾ أي سائر الاستعدادات واستدعاءاتهم من الوجود وما يتبعه من اللوازم النورية الوجودية على السواء، والتفاوت والتخالف إنما هو في كيفياتها وكمياتها المستندة إلى النسبة الذاتية والإرادة الوضعية، فإنَّ الذات الأحدية قد تجلّت بذاته لذاته بعنوان ذاته لذاته على أنحاء كثيرة ووجوه غفيرة لا يعلم كيفيتها ولا يشهد إنيتها إلا هو، ثم يتجلى بتجلّي وصفها ثابتًا في حضرة الواحدية والمرتبة الجبروتية بتلك الوجوه الذاتية بأن علم ذاته بالعنوان العلمي بتلك العنوانات الذاتية والوجوه الأولية التي عبر بعضها عن بعض بالذات لا بالوصف، وتلك الوجوه الأولية والعنوانات الذاتية أي الشؤونات الذاتية.

وإذا تنزلت من هذه المرتبة الذاتية إلى المرتبة العلمية والرتبة الوصفية، وصارت تلك الوجوه متميزة بعضها عن بعض تميُّزًا عمليًّا كما كانت في تلك المرتبة الأولى مميَّزة تميُّزًا ذاتيًّا، فكلما كانت المرتبة متميزة بالذات تميُّزًا ذاتيًّا وتخصصت الحالات الذاتية بعضها ببعض تخصصها إنما هو المشيئة الذاتية المرتبة على الشهود الذاتي كما أن المخصص في المرتبة الثانية إنما هو الإرادة الوصفية المتفرِّعة على العلم. وإذا تجلّى ثالثًا في عالم الأمر ومرتبة الملكوت بالتجلِّي العقلي قد تميّزت الأعيان بأحوالها الذاتية والوصفية والفعلية المتطابقة.

وإذا تجلّى بالتجلِّي الوجودي دائرة في عالم الملك ومرتبة الشهادة وظهر بصور أعيان الملك بما فيه من الأفلاك الحسيَّة والأفلاك السنيَّة والأرض السبعة المدحوة، وظهر بصور جميع الموجداتِ العالية والنازلة البسيطة والمركبة في كل دورة من الأدوار الأربعة النورية الجمالية، ثم ظهر وتجلى خامسًا في كون جامعٍ في عالم أكوار، ثم أمر الوجود تجلّيه بعدد خمس: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ

﴿وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحَديد: 3]. نظم:

أقولُ ورُوح القدس بعثت في نفسي إنَّ وجود الحق من عدد خمس

ولا مرية في أن هذه التجليات الأربعة متشاكلة متطابقة وأطواره متماثلة متوافقة، وأن الأعلى موجودة في الأدنى، فيكون الأعلى بالنسبة إلى الأدنى حقيقة لها وهي كالصورة، وتلك بهذه كالمعنى، فيكون الأعلى قوامًا ومقومة وقوة وغذاءً للأدنى وأقواتًا لها ولما فيها كالأجناس للأنواع والأنواع للأصناف، فكل من هذه التجليات الأربعة الذاتية والوصفية والعقلية والآثارية يتضمن أدوارًا مربعة مندرجة تحت دورة كلية في مرتبة أصلية، وهي أيضًا أربعة، أعني عظمى وكبرى ووسطى وصغرى، وقد عرفت أن لكل منها مدة معينة وبرهة معينة، وأن لكل منها دنيًا وآخرة وسماوات وأرضًا، ففي بداية كل دورة نورية وكورة ظليّة يتجلى الذات بهذه التجليات الأربعة الذاتية والوصفية والفعلية والآثارية على الترتيب الذي ذكرناه في بداية التجلي الوصفي، ويظهر التجلي بوصف الحياة بصور الماء، والتجلي بعنوان المحبة الذاتية يظهر بصور الهواء كما تقرّر أن العرش على الماء، والماء على الهواء يدلّ على قدرة الله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هُود: 7] الآية.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي توجَّه واستعلى ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وخلقها ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فُصّلَت: 11] أي والحال مادتها وأصلها دخان وبخار، وقد ارتفع من الماء المذكور. قال ثاليس الملطي ومن تابعه: إن مادة العالم من الماء لأنه قابل لكل الصور فحصلت الأرض منها بالتكثيف والانجماد، والنار والهواء بالتلطيف، فإن الماء إذا لطف صار هواء، والنار قد تكوّنت من صفو، والسماء قد تكوّنت من دخان النار، ويقال: إن ثاليس قد أخذه من التوراة لأنه جاء في السفر الأول منها: أن الله خلق جوهرًا ثم نظر إليه بنظر الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماءً ثم ارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماوات فظهر على موضع وجه الأرض كله زبد، فخلق منه الأرض. هذا قريب من الحق وموضع التحقيق لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ

﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30]، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: 7] الآية. وقال النبي ﷺ: «**كان الله ولم يكن معه شيء غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر ـ أي اللوح المحفوظ ـ ثم خلق السماوات والأرض**» الحديث.

فدارت الأفلاك حول الأرض دوران المسبب على سببه بالشوق الحاصل منها إليه، ثم قال: إن المبدأ الأول أبدع العنصر الأول الذي فيه صور الموجودات والمعدومات كلها فانبعث من كل صورة موجودًا في العالم على المثال الذي في العنصر الأول، فحل الصور ويمتنع الموجودات هو ذات العنصر وما منه موجود في العالم العقلي ولا في العالم الحسي إلا في ذات العنصر الأول الذي فيه صور الموجودات، والاسطقتين الأول صورة ومثالًا عنه تعالى، قال ثاليس: وقد تصور العامة أن صور الموجودات والمعدومات في ذات المبدأ الأول لا بل هي في مبدئه الأول لأنه يقال بوحدانيته منزَّه من أن يوصف بما يوصف مبدعه ومعلوله، وفيه بحث فإن المبدأ الأول لو كان خاليًا عن صور الموجودات والمعدومات لحصولها في المبدع الأول إن كان من المبدأ الأول فلا بدّ وأن تكون معلومة له فلا تكون منزَّهة في وحدانيته من الكثرات، وإن لم تكن معلومة يكون جاهلًا في حد ذاته تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأيضًا قد تقرَّر في طور التحقيق أن المعلول هو صورة العلَّة لما تحقق من أن صدور المعلول عن العلةِ ليس على طريق التولد والتوالد ولا على طريق ضم الأجزاء بعضها ببعض، ولا بطريق الكون والفساد كما في الاستحالات، ولا بطريق الكمون والبروز، ولا بطريق الحلول، إذ كل من هذه الصور لا يحصل إلا من التكرر والتكثُّر وبتلك الحضرة واحد وبسيط حقيقي لا تعدد لأكثر أصلًا، فدور الأشياء من تلك الحضرة على وجه لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، فإن علمهم إنما هو علم الله، وليس في هذا الباب اعتماد إلا على كلام أهل الله والذين علموا بالله. وقال الآخرون: كان الأصل أرضًا فحصل الباقي من الأرض بالتلطيف.

وزعم بعضهم أن الهيولات تكوَّنت من لطافة النار والهواء من كثافة الماء والأرض. وقال الآخرون: إنه البخار. وعن انكساغورس: إنه الخليط الذي لا نهاية له، وهو أجسام صغار غير متناهية وفيه من كل جنس أجزاء صغار غير

متلاقية، أجزاء على طبيعة الخبز، وأجزاء على طبيعة الشحم، وأجزاء على طبيعة العصب واللحم، وأجزاء على طبيعة العظم، وأجزاء على طبيعة المخ، وغير ذلك. وإن تلك الأجزاء متفرقة متحركة، وإذا أراد الله أن يكون مخلوق أمر لأن تجتمع تلك الأجزاء في موضع مخصوص على وضع مخصوص اجتمع أصل ذلك المخلوق فتكون، فإن كان إنسانًا بعده فينضح فيه من روحه ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: 72]، وهذا القائل بنى مذهبه على الكون والبروز وأنكر كون العناصر أركان للأجسام ونفى المزاج والاستحالة، هذا ما قاله الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: 10]، ومنهم من زعم أنَّ تلك الأجزاء كانت ساكنة في الأزل، ثم إن الله حكمها ونقلها إلى موضع أراد أن يخلق فيه منها كونًا.

وأما الفرقة الثانية الذين قالوا: إن أصل العالَم ومادته ليس بجسم، فهم فرقتان، فرقة قالوا: القدماء خمسة: الباري تعالى، والعقل، والنفس، والهيولى، والدهر والخلاء قالوا: جلّ عظمته تامّ العلم والحال والإرادة والقدرة ليس له سهو ولا غفلة، ويفيض عنه العقل فيض النور عن الشمس، وهو يعلم الأشياء علمًا تامًّا. وأما النفس فقد تفيض عن العقل فيضان النور عن ضياء الشمس لكنها جاهل لا يعلم الأشياء ما لم يمارسها، وكان الباري تعالى عالِمًا بأن من شأن النفس التعلق بالهيولى وطلب المؤانسة بالجسم وبذاته فأفاض عليها عقلًا وإدراكًا فيه بذكرك عن عالمها بعلمها بأنها ما دامت في العالم الهيولاني ثم تنفك عن الآلام، واشتاقت إلى ذلك العالم وخرجت بعد المفارقة إليه، وبقيت ساكنة فيها أبد الآباد في نهاية البهجة والسعادة.

والفرقة الثانية: فيثاغورث، وهم الذين قالوا: إن مبادئ المركبات هي البسائط، وهي الأعداد المتولدة عن الوحدات، وإن قوام المركبات بالبسائط، وهي أمور كلية وحقائق أصلية تكونت منها الموجودات، وهذه الأمور إما ماهيات وراء كونها وحدات أو لا، فإن كان الأول كانت مركبة لأن هنالك تلك الماهية مع تلك الوحدة وكلاهما في الوحدات والبسائط المركبات، وإن كان الثاني كان مجرد الوحدات لا بد وأن تكون مستقلة بنفسها وإلا كانت مفتقرة إلى الغير، فيكون ذلك الغير أقدم منها، وكلاهما في المبادئ المطلقة.

هذا خلف فإن الوحدات أمور قائمة بأنفسها، فإن عرض الوضع للوحدة صارت نقطةً وجوهرًا فردًا وجزءًا لا يتجزأ، والنقطة إن لم تستقل في الموضع فهي نهاية الخط أو الجسم المخروطي، فتكون عرضًا، وإن استقلت فهي نقطة جوهرية، وإن اجتمعت على وضع الاستقامة حصل الخط، فإن اتصل الخطان وانضم بعضهما لبعض حصل السطح، وإن اجتمعت السطوح حصل الجسم، فإن كانت النقطة عرضية كانت الخطوط والسطوح والأجسام التعليمية كلها عرضًا فحينئذ يحتاج إلى أن يثبت الهيولى والصورة الجسمية الحالة في الهيولى، وكلتاهما جوهران فالمركب منهما هو الجسم الطبيعي حلت فيه المقادير والأبعاد الثلاثة، وهي: الطول والعرض والعمق، والمجموع هو الجسم التعليمي القائم بالجسم الطبيعي المركب من الهيولى والصورة الجسمية.

وأما الصورة النوعية فهي ليست من مقومات الجسم، بل من مقسماتها ومنوعاتها، فإن قلت: إنها جوهر فالخط والسطح والجسم كلها جواهر، فحقيقة الأجسام هي النقطة الجوهرية، وإلى هذا ذهب المعتزلة وسائر المتكلمين ذهبوا إلى أن الأجسام المركبة من الجوهر الفرد لا تتجزأ، وأقل ما يتركب به الجسم جوهران أو ثلاثة أو ثمانية ليتحقق تقاطع الأبعاد الثلاثة على زوايا قائمة، وأصل هذه المذاهب هو مذهب فيثاغورث وهو حكيم فاضل قد استكمل العلوم الرياضية سيما علم التأليف وهو علم الموسيقى وكل ما يودّ نفي الخصوم على الجوهر الذي لا يتجزأ يردّ على مذهب فيثاغورث، والجواب منه هو الجواب منهم.

واعلم أن الحق من هذه المذاهب هو مذهب أهل السنَّة والجماعة من أن العالم وهو ما سوى الله تعالى مركب من الجواهر الفردة والوحدات، وأن مرتبة البسائط والوحدات والجواهر الفردة غير مترتبة المركبات وعالمها وكل ما وردت الثقة على نفي الجواهر الفردية من الدلائل لا يتم ولا يرد لأن مورد الحجج والبراهين وعالمها ومرتبتها غير مرتبة الجواهر الفرد وعالمه.

وأكثر هذا إنما يستند إلى الفكر والنظر، وأن الفكر المجرد عن الوحي والتأييد الإلهي والكشف والشهود الذي هو يثبت بنور الولاية وظهور حكم النبوة والتقيّد بأحكامها وشرائعها، وقد أخبر الله تعالى في كتابه أن العالَم، وهو ما سوى الله، قد خلق في ستة أيام ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54]

وفصل في هذا المقام أن الأرض قد خلقت في يومين وغيرها في أربعة أيام، ففي يوم الأحد من أول نيسان خلق الله الأرض الاستعدادية والقابليات الأصلية بحكم ظاهر الذات، وهو النور والجمال والوجود في مظهر النبوة، وبحكم باطن الذات وهو الظل والجلال والعدم ومظهره الولاية، فيومين إشارة إلى هذا.

ثم خلق الفلك الأعظم والعرش المتحرك بالحركة اليومية الذاتية، وحرك باقي الأفلاك من المشرق إلى المغرب حركة عرضية يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء أمر الله الماء فاجتمع في مكان واحدٍ فصار بحرًا، ثم بعد انصراف منطقة البروج عن انطباق مورد النهار أمر الله تعالى بأن تنكشف الأرض بإمالته الماء إلى السماء الرابعة لانتقال الأوج والحضيض، فإن انتقلت الأوجات سيما أوج الشمس إلى الشمال انكشف الريح الشمالي من الأوج كما أن في زماننا هذا فإن أوج الشمس إنما هو في ثالث سرطان وحضيضه في ثالث الجدي، وكذا أكثر الأوجات شمالي كما تفرد وثبت في الأوجات، وأما إلى الجنوب فأنبت فيها عشبًا وأشجارًا مثمرة وغير مثمرة.

وفي يوم الأربعاء خلق الكواكب الثابتة في الرفيع الثامن والسيارات في الأفلاك الباقية، وإنما تحركت بالحركة اليومية لتفصيل النهار عن الليل وما يتركب منهما، فاستوت سلطة الشمس على النهار وسلطة القمر على الليل، إنما خلى فلك التاسع عن الكواكب لكونها متساوية النسبة إلى الكل فأجمل فيه جميع الحوادث والأوضاع الكلية والجزئية، والاتصالات من الأجرام الكوكبية وقدر فيه جميع الأمور ثم نزلها إلى سائر الأفلاك بالتدريج ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجر: 21]، إلى فلك القمر فجعله درجة لإيصال تلك الأمور وإفاضتها إلى عالم الكون وعالم التركيب ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السَّجدَة: 5].

وفي يوم الخميس خلق التنانين وكل نفس متحركة في الماء، وكل طائر ذي جناح. وفي يوم العروبة والجمعة أمر الله الأرض فأخرجت أنفس حيوانية، بهائم وسباع وحشرات، ثم خاطب ملائكة هلموا بأن يخلق إنسانًا على صورتنا ومثالِنا عازمًا بالخير والشر، فوجد يوم الجمعة بعد العصر آدم وشقّ إحدى أضلاعه اليسرى وخلق منها حواء أمّ البشر وأسكنهما الجنة.

وفي يوم السبت لم يخلق شيئًا على طريقة الملائكة والأنبياء والمرسلين الذين أوحى الله إليهم وأعلمهم وأشهدهم عليه ولم يجعل العقل الذي فوض إليه العلم بكيفية التدبير في البدن وبوجه المعاش وطريق الإنتعاش والأدوية العبودية لما علمت أن النفس موكلة على العمل المجرد بلا علم قال النبي ﷺ: «**العقل لإقامة العبودية لا لإدراك سرّ الربوبية**». نظمه علي المرتضى:

كيفية المرء ليس المرء يدركه ... فكيف كيفية الجبار في القدم

هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعًا ... فكيف يدركه مستحدث النسم

﴿فَقَالَ لَهَا﴾ أي للسماء، والسماء أفضل الأجسام شكلًا وحيّزًا، أما الشكل هو الاستدارة وهي أفضل الأشكال لعدم قبوله طويان العدم والانفصال وحيزها هو ملاء العالم وهو الأعلى، وأما الأرض فهي التي تخالفها، ولذا أطاعت السماء طوعًا وطبعًا والأرض كرهًا ﴿وَلِلْأَرْضِ﴾ بعد تكوُّنهما ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فُصّلَت: 11] إشعار بأن الأشياء والمكونات بأسرها مجبولة على الحركة إلى المبدأ بعد الحركة إلى المبدأ، وهي الحركة الفكرية والنقلة الشهودية كما تقرر في موضعه من أن كل فكر ونظر حضوريًّا شهوديًّا كان أو حصوليًّا خطوريًّا منطوٍ على ثلاث حركات إلى المبدأ، والمطلوب إلى المبادىء والموضوعات التي يقع فيها الحركات الفكرية حضورًا أو خطورًا.

ثم إذا كانت الحركات وعم الانتقال من الأمر العام المستتر إلى الأمر الخاص المنير، وهو الفصل الجوهري والعرضي، ورتب بينهما، وركب أحدهما إلى الآخر، حصل المعرف. والقول الشارح إما بطريق علم اليقين وكمال هذا النظر أن يشاهد بعين اليقين في تمام المظاهر الكونية، أو عين اليقين أو حق اليقين، فحصلت الحركة بنفسه من نفسه على نفسه، والحركة الأولى بالضرورة والكره والباقيتان بالإرادة والطوع، وأرباب النظر من أهل الظاهر يحصرون الفكر والنظر على الأول ولم يقولوا بجريان النظر في عين اليقين وحق اليقين وكمال هذا النظر أن يشاهد الحق بعين اليقين في تمام المظاهر الكونية، وأن المؤثر إنما هو الله في كلّ حال أتى وتطوع له طوعًا حقيقة وطبعًا عند انقياد طور الظل والجبال لطور النور والجمال، والطاعة له إطاعة تستدعي مطاوعة جميع القوى النفسانية والجسمانية للقلب والروح، وإن لم يطاوعه أتى له كرهًا بلا إرادة،

والنظر بنظر حق اليقين إنما يكون عند بقائه في الحق وتحققه وبقائه ببقاء الحق، فحينئذ اتحد الطوع والكره وتحقق أن الكل ليس لأحد منا في حصوله اختيار وإرادة، بل الكل إنما هو بإرادة الله ومشيئته، بل إرادتنا ومشيئتنا إنما هو بإرادة الله ومشيئته ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: 29].

واعلم أن ما ذكرنا من أمر الحق وصفته وكيفيته إنما يتحقق في كل دورة من الأدوار الأربعة النورية والأكوار الظلية، فحق الناظر العارف والدائر في كل الأدوار والأكوار بتمام العلوم وعموم المعارف أن يشاهد في كل دورة وكورة هذه الحالات ويعاين كل منها ويعتبر بإزائها هذه الاعتبارات.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أي حكم على مقتضى الأسماء السبعة الذاتية أن تكون مادة السماوات التي ظهر فيها سرّ الذات بصور الكواكب السيّارة ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ بأمرين في جهة من الشرق والغرب وهو الوجود والعدم والحدوث والقدم والجمال والجلال، والنور والظلال، وهو مدار التعينات والظهورات، ويدور عليها جميع المتقابلات قبل خلق السماوات يوم الخميس والشمس والقمر وسائر النجوم السيّارة، والثابتة الجمعة، وفي الحديث: «**إن الله ابتدأ خلق العالم يوم الأحد، وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر**». ولا خفاء في مناسبة خلق آدم بيوم الجمعة وفي يوم السبت ما خلق الله شيئًا ولذا أخذه اليهود للتعطيل، والمسلمون أخذوا يوم الجمعة يوم تعطيل الشغل، بل أخذوه يوم العبادة والطاعة وللتقوى والعبادة شكرًا لله على عموم نعمه ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾ [فُصّلَت: 12] عن ابن عباس: خلق ما في كل سماء خلقها من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله عزَّ وجل. وقتادة والسدي قالا: إن الله خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها. وقال مقاتل: أوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي وذلك يوم الخميس والجمعة، وذلك إن الله خلق العالم لعرفانه كما قال: «**كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأُعرف**»، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

وأما العلوم الإلٰهية والمعارف النظرية فليس للعقل إليها سبيل وكلّ أهل الأرض يحتاجون إلى التعاليم، والمعلم والعلوم والإدراكات وتحصيل المشاهدات والأحوالات والمقامات وغير ذلك من الحالات، كذلك أهل السماوات في الإدراكات الإلٰهية والمعارف الربانية والعلوم الحقيقية التي تفيض منهم علينا، وتنعكس عنهم إلينا، يحتاجون إلى المعلم والمرشد والملهم وهم الملائكة المرسلة، وهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وهذه الأعيان أيضًا يحتاجون في معرفة الله إلى المعلم وهو الله. قال النبي ﷺ: «**إن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم**».

فأذن الله بوحي الكتاب أولًا إليهم ثم يلقونه إلى الملأ التي تدير الأفلاك والنفوس التي تديرونها وتبين لهم الشرائع المناسبة لحالهم والمتقاربة بمآلهم، وأوحى الله في كل سماء من السماوات المكوكبة أمرها، أي يأمر أهلها بما يناسبهم من الأوامر والنواهي وللإخبار عن الأخبار المتعلقة بأحوالهم المناسبة بأطوارهم وأعمالهم وأحوالهم الظاهرة والباطنة، ويدعونهم إلى الله على مقتضى شأنهم ومرتضى شؤوناتهم لما تحقق أن المراتب بما فيهن من الأعيان وأحوالها من العلوم والإدراكات متطابقة وأظلال وأمثال متوافقة.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهي فلك المآثر والمختار أو هي كرة البخار التي يظهر فيها الصبح والشفق وكائنات الجو من ذوات الأذناب والنيازك والرعد والبرق والصواعق ذوات الذؤابة والصور الهائلة والأعمدة القائلة وغير ذلك من كائنات الجوهر ومنازله وأفلاكه، فرؤية الكواكب كلها والسماوات بأسرها إنما هي في كرة البخار لأنها شفافة لا تقبل الضوء والإضاءة والظلام والإنارة ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي بأجرام مستنيرة وأجسام مستضيئة تتراءى في كرة البخار على شكل الكرة ﴿وَحِفْظًاۚ﴾ وحفظناها حفظًا من الآفات والتغير والتفرقات. قيل: مفعول له على معنى كأنه قال: لأجل الحفظ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التزيين والحفظ ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ القادر الغالب القديم الحكيم ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ [فُصّلَت: 12] العالم في كمال العلم وقوة الحكمة إلى الغاية.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ وخوّفتكم ﴿صَٰعِقَةً﴾ [فُصّلَت: 13] يحدث من النار

السموم وأحذرهم أن تصيبهم عذابًا شديد التأثير كأنه صاعقة ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فُصّلَت: 13] حال من حال عاد وثمود لا صفة لصاعقة أو ظرف لأنذرتكم لفساد المعنى.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [فُصّلَت: 14] أي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار، ومن جهة المستقبل بالتحذير عما يعذّبهم به في الآخرة، وكل من اللفظين يحتمل من قبلهم ومن بعدهم إذ بلغهم خبر المتقدمين وأخبرهم هود وصالح عن المتأخرين من ثمود داعين إلى الإيمان بربّهم أجمعين. ويحتمل أن تكون عبارة عن الكثرة لقوله تعالى: ﴿رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النّحل: 112]. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إما حال من الرسل أي قائلين لهم أن لا تعبدوا إلا الله، أو علة لفعله، أي جئتهم لنهيهم إياهم من عبادة غير الله ﴿قَالُواْ﴾ في جواب الرسل حين دعوهم إلى التوحيد ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ أرسل الرسل علينا لدعوتنا إليه ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ ليدعونا إلى توحيده والإيمان به وبما جاء منه ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ على زعمكم ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [فُصّلَت: 14] لا نؤمن به ولا نصدقه من الشريعة وأحكامه التي جئتم بها، إذ أنتم بشر مثلنا لا مزية ولا رجحان لكم علينا حتى تفضلتم علينا وصرتم آمرين علينا.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾ وقومه فقد ضلوا وأضلّوا، جواب من الأنبياء والمؤمنين للكافرين بأن عادًا وقومه قد عاندوا بأنبيائهم ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ واستكبروا ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فتعظموا فيها واستعلوا على أهلها بلا استحقاق ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وأكثر منعة وقدرة، هذا اعتزاز بشوكتهم ووفور نعمهم وغرور بقدرتهم وكثرة قوتهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصّلَت: 15] وقدرة إذ هو

قوي وقادر بذاته وأن قدرتكم وقوتكم إنما هي منه إذ أنتم ممكنون لا وجود لكم ولا توابع من العلم والحياة والقدرة والقوة، فالكل منه، فإذن الحق أحق بالعبادة ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فُصّلَت: 15] وينكرون إياها أو عطف على (فاستكبروا).

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ فإذن استحقوا بأن يعذبوا في الدنيا عذابًا شديدًا بأن يرسل عليهم ريحًا صرصرًا باردة مهلكة بشدّة بردها وسمّية كيفيتها من الصرر وهو البرد الذي يجمع ما أصابه إما لدفع تلك الكيفية أو لشدة القوة في هبوبها وانتقالها من حال إلى حال من الضر كما وقع في الحديث: «**إني سمعت صرير القلم**» ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ وهي إمساك المطر ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ أي الذلّ والحقارة ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ﴾ أخزى وهي في الأصل صفة العذاب، وإنما وصف به العذاب على الإسناد المجازي للمبالغة ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فُصّلَت: 16] بدفع العذاب عنهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ أي ذلّلنا ورتبنا أسباب الهداية بإنزال الكتب وإرسال الرُّسل ووضع الشريعة ورفع أعلام السبل ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ﴾ وآثروا الضلالة ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ فنبذوا تلك الهدى والأسباب ورفضوا مفاتيح الأبواب ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ أي الظلم، أي استحقوا لأن يحمل عليهم عذاب الصاعقة وينزل لديهم شديد العقاب وأهلكهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [فُصّلَت: 17] أي بسبب كونهم كاسبين بما استوجب لأشد العذاب بهم واستقصدوا لأخذ العقاب.

﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فُصّلَت: 18] من افتراق مبادئ نزول الصاعقة.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩﴾

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ وحضروا بها في يوم القيامة ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فُصِّلَت: 19] قرأ (يُحشر) على بناء الفاعل وفاعله هو الله، وإضافة (الأعداء) مع جمعه يدل على الكثرة وهم أهل النار.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فُصِّلَت: 20] أي بعملهم أو صفاتهم.

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١﴾

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ﴾ أي لجلود أبدانهم ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ﴾ أي كيف شهدتم بما كانوا فينا وعلينا، وهذا سؤال تعجب وتوبيخ، وإنما خصّ السؤال بالجلود لعموم وجودها ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي الجلود، وإنما جمع جمع العقلاء لمجيء الفاعل منهم وهو التكلم ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ على وحدانية ذاته وفردانية فردانيته وكمال ربوبيته وصفاته ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾ هذا دليل آخر على صدق الجلود أول مرة في عالم بلا مادة وأجزاء ومدة ثم في عالم الأمر والروح والملكوت بالوحدات العقلية والنسب المعنوية، ثم في عالم البرزخ في عالم الملك ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بأن دبت الأجزاء البرزخية وهي الجواهر الفردة النهائية وركب الأجزاء العنصرية الملكية فإذا سواها نفخ الله تعالى فيها من روحه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فُصِّلَت: 21] بعد انقطاع تعلق النفس الناطقة به فحينئذ أنطق الله جميع أجزاء البدن فرادىً ومجموعًا.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢﴾

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ تكتمون وتخفون ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُصِّلَت: 22] عن ابن مسعود:

اجتمع عند البيت فتيان قريش وثقيف كثيرة شحوم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُصّلَت: 22] ولذلك أخبرتم على ما فعلتم.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ أن الظن هو فيكم هو ظنكم الذي ﴿ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ أهلككم، أي ظنكم أن الله لا يعلم ما تعلمون هو أرداكم وأهلككم وأوقعكم في الكفر في الدنيا وفي الآخرة في العذاب الشديد ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ وصرتم ﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فُصّلَت: 23].

﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَإِن يَصْبِرُواْ﴾ على أذيتهم واستخفافهم وإهانتهم إياكم، قال أهل التحقيق: إن الظن قسمان: ظنّ حسن وهو بالنسبة إلى الله جائز وهو أن يعتقد به الرحمة والفضل كما قال تعالى: «**أنا عند ظنّ عبدي بي**»، وقال: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله**». وظنّ قبيح بالله فاسد وهو أن يظن بالله أنه يعزب عن علمه بعض الأحوال ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ فلا يمنعهم الصبر الصادر عنهم، أي عن المؤمنين، ولم ينقلبوا به من مثواهم ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فُصّلَت: 24] والاستعتاب وهو أن يطلب من الإنسان أن يذكر عتبته ليعتب، يقال: استعتبت فلانًا ولا هم يستعتبون، يقال لك العتبى وهو إزالة ما لأجله عتب وبينهم أعتوبة أي ما يعاتبون به. يقال: عتبت عتبًا، إذا مشى الى رجل مشي المريض في مرضه يعني لم يعتبوا ولم يعطوا العتبى ولم يخالفوا لها، ونحوه سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لهم من محيص.

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ [فُصّلَت: 25] أي قدّرنا لمشركي مكة إخوانًا من

الشياطين متكافين من المقايضة وهي المعاوضة المماثلة ويقولوا أي القرناء سيقولون يستولون عليهم استيلاء القيض على القيض وهو البشر، قيل: أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمكافأة بالمثل ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قرنًا من الدنيا واتباعًا من الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة والإنكار ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي كلمة العذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي جملة أمم، حال من الضمير ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [فُصّلَت: 25] وقد عملوا وفعلوا في أمر الدين والدنيا ما عملوا فاستحقوا ما استحقوا به.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله وبرسوله وبكتابه ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [فُصّلَت: 26] لأنه يلجئكم إلى ترك ما كان آباؤنا عليه ﴿وَٱلْغَوْا۟﴾ واطرحوا ما فيه من الأقوال والحكايات والتوحيد وسائر الكلمات الحاكية عن الأمم الماضية، وعارضوه بمزخرفات أحوالكم وبمزخرفات مخاطباتكم ﴿فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فُصّلَت: 26] عليه المسلمين لعدم المبالاة والالتفات بهم وبأحوالهم وبالإقحام أو على فرية فينبذوه.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فُصّلَت: 27] يعملون من السيئات لتكون معارضة الفاسد من بالفاسد.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي أسوأ العمل ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾ هو مبتدأ أو خبر فيكون عطف بيان للجزاء أو خبر محذوف ﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ أي في دار النار ودار البوار ﴿دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ [فُصّلَت: 28] لأنها إقامة ودارُ قيامة غير مفارقة عنها لأنها ظلال أعمالهم وأمثال أحوالهم، قد تمثلت وبدت عليهم بالصورة المناسبة والهيئات المتقاربة، أو أعمالهم أي أشكاله أشكال ما قد قدّره في أرض استعدادكم الأولية والقابلية

الأزلية تظهر أولًا بصور الأعضاء والأجزاء والقوى الجسمانية، والمبادئ النفسانية، ثم تصور الأعمال وهيئات الأفعال والأحوال، ثم بعد الظهور بصور الأفعال الاختيارية والأعمال الإرادية تختفي تلك الأعمال ثانية في تلك الأرض الاستعدادية الظاهرة في البزرخ العادي، أي إن كانت الأعمال حسنة بصورة الجنة وإن كانت سيئة بصور سيئة، فبصورة السعير، والدركة للإنسي والجني، وأنت خبير بأن كل مولود إنسي أو جني يولد معه مولود جني وملكي، أما الملكي فيدعوه إلى الخير، والجني إن كان مسلمًا فهو أيضًا يدعوه إلى الخير، وإن كان كافرًا فيدعوه إلى النار كما ورد في الحديث: «**ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه لا يأمرني إلا بالخير**». ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [فُصّلَت: 28] ينكرون الحق.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الظاهر والباطن، في المحشر العظمى، في الموقف الأول والثاني ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا﴾ أي أرنا الأعيان والأشخاص ﴿مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ في النشأة الأولى والموطن الأدنى جمعًا في مولود واحد كما سمعت آنفًا فإن شخصًا واحدًا قد جمع فيه توأمان يلدان مع هذا المولود ويحكمان عليه بالخير والشر والنفع والضرّ، فإن كان ناله الخطاب قد يتوافق ذلك التوأمان في أمر قاله وصدر عنه يكون مضمون ذلك القول مؤثرًا في المخاطب ويقع في حيز القبول عنده ﴿نَجۡعَلۡهُمَا﴾ أي التوأمين ﴿تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾ وتحت تصرفنا وقدومنا ﴿لِيَكُونَا﴾ يتصير التوأمان الجني والإنسي الجمالي والجلالي اللذان كانا متصرفين في ملك البدن أحدهما صريحًا، والآخر ضمنًا ﴿مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [فُصّلَت: 29] مكانًا ومحلًا وذلًّا وحقارة عند الصورة الجمعية والهيئة الإحاطية والتبعة المعية كما جعلونا لدى المبايعة دون المطاوعة عند غلبة حكم فردارية النور والجمال على اقتضاء الظل والجلال تحت تصرفهما حالة الإفراد، وعند تساوي ارتضاء حكمهما في زمان واحد وإن توحد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ من الجن والإنس ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ فهو خالقنا ومدبرنا في الدنيا، وراحمنا ومجيبنا في الآخرة، هذا الاعتراف إنما نشأ من تطابق القرناء وتوافق النوايات والقرناء بالمولود الإنسي ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ في الاعتراف بكمال ربوبيته ووجوب ألوهيته، إشارة إلى أن الاعتراف المذكور لا يتم بالاستقامة في الظاهر والباطن، وتطابق الأطوار وتوافق مقتضى الأدوار، ومرتضى الأكوار، وارتفاع التخالف بين أعيان الأدوار وأكوان الأكوار، فحينئذ ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [فُصّلَت: 30] أي الموكلة في خدمة هذا الاسم الأعظم وتدبره لأعيانه في الدنيا وفي الآخرة أولًا في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة قائلين لهم ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ ولا تنزجروا عن ورود المخالف ونزول الشدائد المعارف ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ بورود المكاره، أن إما مصدرية أو مخففة من الثقيلة مقدرة بالباء أو مفسرة ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ﴾ في الدنيا والنشأة الأولى ﴿تُوعَدُونَ﴾ [فُصّلَت: 30] بها وبنعيمها. واعلم أن الاستقامة بحسب مواردها وهي الأطوار السبعة القلبية لها معانٍ كثيرة وأعيان غفيرة ولكل منها شعب وأصول وأغصان وثمرات.

وأقول: فإن الاستقامة في الطور القالبي هي أن تكون المشاعر الظاهرة والحواس الشاعرة وهي خمسة مع سائر الأعضاء العاملة والأجزاء المتحركة الكاملة كاليد والرجل والوجه واللسان والشفة مؤدية وبالأحكام الشرعية والأعلام العرفية متجلّية مهذبة على وجه صارت هذه الأعضاء مع أفعالها المؤسسة وأعمالها المونوسة معودة للقلب، مؤدية إلى عالم الغيب مقتضاها فلو ترك شيئًا من الطاعات والأعمال الشرعية والآداب العرفية كصلاة من الصلوات المكتوبة أو المتطوعة المنطوية بالاختيار ليشاهد صورة ذلك الترك بما يناسب تلك العبارة كما لو ترك صلاة الظهر يتمثل عنده في المعارج عروجه بموت فرس له أشهب أبيض، ولو كانت صلاة العصر فصورة تمثله موت فرس أشقر أو بين البياض والحمرة، ولو كانت صلاة المغرب فصورته الفرس الكميت، وإن كانت صلاة العشاء فتمثل تركها بموت الفرس الأسود، وصلاة الصبح يتمثل فوتها بموت الفرس الأسود الذي

يضرب إلى الشقرة، وقد تتمثل الصلوات بالعشب والكرم وبما يحصل منه، فلولا رأى أنه يأكل الدبس والعصيدة فهي صورة صلاة قد أداها بالرغبة التامة واللذة العامة، فقد وصلت حلاوتها إلى القلب. والخل صورة شدّة تعبّد وقد وصلت في إرادتها بالقلب، وقد يتمثل استغراق الحاصل عند التوجه إلى ملاحظة معاني القرآن والتسبيح والتكبير والتشهد وغير ذلك بالخمر والشراب.

وقد تتمثل الصورة بالبحار والأنهار والعيون والمياه الصافية، وعلى هذا سائر العبادات والطاعات البدنية التي يتجلى بها البدن وأعضاؤه، ويدل على الاستقامة في الطور الفاني، وإذا استكمل السالك في الطور الفاني واستقامت نفسه في بادئة العبادات وخاصة في استكمال الطور النفسي وترتب منه كرة نار انتقل السالك إلى كرة هواء النفس اللوامة ومنها إلى كرة ماء النفس الملهمة، ومنها إلى كرة أرض النفس المطمئنة، وعرض الوفاء والتمكين، فإنه لك في هذه الحالة يرى أنه ينزل من السماء إلى الأرض، فلو سمع المرشد في السالك مثل هذه الحالة لا بد أن يتأمل في حاله ولم يعبره وتركه بل استحسنه وقال: إنك تنزلت مركز نار النفس الأمارة إلى مقام الاطمئنان والتمكين ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: 6 - 9] الآية. أو دليل الاستقامة في الطور النفسي وهي تقارب الأولى لاتخاذ موردهما وهو الأعضاء والجوارح والأركان هو أن لا يضطرب في دفع المهروب ولا ينزعج في جذب المرغوب، ويستوي عند صاحبها المدح والذم، وذلك عند اعتدال القوة الشهوية والغضبية وتثبتهما والاستقامة فيهما، وأما الاستقامة في الطور القلبي فهي أن يحصل عند تعديل القوى النفسانية ومبادئ أفعالها وهي القوة الشهوية والغضبية والنطقية، فإذا استعملت هذه القوة واعتدلت في أفعالها، وتوكّلت في أحوالها وأعمالها، واستقامت في عدالتها، ظهرت صفات ثلاثة كاملة وهي: العفة والشجاعة والحكمة.

وإذا امتزجت هذه الأعمال وتعادلت آثارها وتكاملت أنوارها ظهرت ملكة كاملة وهيئة فاضلة وهي العدالة، لأن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، فأعمال الأخلاق المرضية والأوصاف الفرضية هي هذه الصفات الكاملة الأربعة، وفي تحت كل منها فروع كثيرة إذ كل

منها يشتمل على طرفين: الإفراط والتفريط، وبينهما حد فاصل وبرزخ حاصل، وهو أحدّ من السيف، وأدق من الشعرة عن الصراط المستقيم الموضوع على متن جهنم الذي يورد عليه جميع الأعيان الإنسانية، فمنهم من يمر عليه ويعبر لديه كالبرق الخاطف، ومنهم من يجوز كالفرس الجواد، وهكذا تتفاوت الأعيان في العبور والجواز إلى أن ينتهي إلى من يسقط في أول القدم، ومنهم من لو وضع قدمه على الصراط لصاحت النار واضطربت ونادت بأن: «**يا مؤمن جز فإن نورك أطفى ناري وأفنى حرارتي ولهبي**» كما ورد في الحديث، وهي العفة والشجاعة والحكمة والعدالة والتثبيت على كل منها هو الاستقامة المفضية إلى الجنة.

ويتولد من حيثيتها صفات ذميمة وهيئات رذيلة تجر صاحبها إلى النار وتسقطه إلى السعير والبوار. وشرِّع في كل من هذه الأصول الأربعة فروع كثيرة تحفظ صاحبها عن السقط وهي: القناعة والصبر والتوكل والرضاء والتسليم والتودد والصدق واليقين وعلو الهمة والسخاوة والجود والكرم والكرامة وغير ذلك من الملكات الفاضلة والأوصاف الحميدة، وكل من هذه الأصول والفروع لا يستقيم ولا يكمل إلا بالاستقامة.

وأما الرذائل المتولدة من الأطراف فأصولها سبعة، وهي: العفة والفجور اللذان يتولدان من طرفي العفة، والجبن والجسارة وهي طرف الشجاعة، والبلاهة والجرأة يتولدان من طرفي القوة النطقية. وأما العدالة فلها طرف واحد وهو الظلم، فكل واحد من هذه الأخلاق الرديئة باب من الأبواب السبعة النيرانية، ولها سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم. والاستقامة في محافظة الأخلاق الرضية والأوصاف المرضية والتثبُّت عليها في غاية الصعوبة، ولذا قال النبي ﷺ: «**شيبتني سورة هود، سئل: كيف يا رسول الله وما هو؟ قال آمرًا:** ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هُود: 112]». وهذه الأخلاق إنما تتكامل وتحصل في الطور القلبي وتظهر في تعيين قوتي النظرية والعملية وتصفية القلب عن الملكات المدنسة وتخليته عنها فحينئذ يتحلى بالأخلاق الحميدة والأوصاف السنية.

فإن استكملت القوة النظرية بقواها الأربعة وهي: العقل الهيولى، والعقل بالملكة، والعقل المستفاد، والعقل بالعقل، واستحصلت قوى القوة النظرية والعملية والتصفية والتخلية والتجلية، واستكملت مرتبة علم اليقين، انتقل علم

الاستقامة والطور السري إلى الفؤاد وإلى ما يلزمه من الشهود والرؤية، فحينئذ يشاهد القلب ما آمن به بالتقليد وبعلم اليقين تجليه وظهوره بعين اليقين أولًا بصورة أعيان الآثار وهي الأفلاك والنجوم والعناصر والمواليد الثلاثة كما شاهده الخليل ﷺ بصورة الكواكب، أخبر عنه بقوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: الآية 78]، وبصورة العنصر الناري موسى عليه السلام بأن ألهمه ربّ العالمين قال: ألقِ عصاك، ومحمد بصورة الإنسان: «**رأيت ربي في أحسن صورة شاب أمرد قطط**»، وغير ذلك.

وإن استقام السرّ في هذا المقام شاهد الإيجاد والتوحيد بصورة الإنسان بكلية عالم الملكِ والشهادة، وإذا استكمل الطور السري انتقل إلى الطور الروحي وشاهد بصورة الأسماء والصفات الذاتية، وإذا استقام في هذا الطور انتقل إلى شهود التجلي الذاتي بعنوان الذات، وإذا استقام العارف في معانيه بالتجليات الأربعة في الأدوار المربعة الإفرادية في السؤال إلى الله ومن الله انتقل إلى شهود التجلي الجمالي الجمعي والظهور والمعنى والسير في ذلك بأن يشاهد التجليات الأربع مقتضيات سائر الأطوار بالهيئة الجمعية والإحاطة الكلية المعينة بحيث لا يحتجب شهود التجليات النورية الجمالية عن معاينة التجليات الظلّية الجلالية وبالعكس، فحينئذ تكون نسبته إلى المراتب والأدوار والأكوار وأعيانها على السواء، فبحسب الاستقامة في هذه الأطوار والأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية تتفاوت تصرفاته في الظهورات والإظهارات، وهي التي تكون أولًا بذريعة الإنسان وصورته في البرزات والبروزات وهي أن يكون بذريعة الإنسان وصورته النوعية والجمعية كما أشار إليه آدم الأولياء علي المرتضى وفي أطوار الظهور والإظهار وأكوار البروزات والبرزات: أنا المنقلب في الصورة، أنا الحجر الذي تفجّر منه اثنا عشر عينًا، أنا البعوضة التي ضرب الله بها مثلًا، وأنا الذي يُملِّكني الله شرق الأرض وغربها بأسرع من طرفة العين ولمح البصر، وغير ذلك.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [فُصِّلَت: 31] هذه صفات الملائكة

التي تلازم هذه الآية وهم يلازمون من يواظب على تلاوة هذه الآية ويداومون على قراءتها في الدنيا والآخرة، ولا يفارقونهم ويبشرونهم ويقولون: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ من الكرامات والمطاعم والمشارب والمشاهدات وشهود التجليات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فُصّلَت: 31] وتطلبون وترجون.

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿نُزُلًا﴾ يحضر وينزل للضيف لدى نزوله وورده ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فُصّلَت: 32] أي مجاوز عن السيئات ومعطي أنواع الكرامات وأصناف الخيرات، هذا طريق إكرام الضيف بأن يقدم له أولًا ما حضر ثم يزداد في الضيافة، قال علي كرَّم الله وجهه:

داري مناخ لمن قد نزل زادي مباح على مَن أكل
أقدّم ما عندنا حاضرًا وإن لم يكن غير خبز وخل

فدرجات أصحاب الأطوار السبعة القلبية في الاستقامة على الصراط المستقيم والعبور عليها متفاوتة، فصاحب الطور يمر ويعبر عليه مثل طرف العين ولمح البصر وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وصاحب الخفي مثل الريح والطير، وصاحب الطور الروحي مثل الفرس الجواد وهم الصدِّيقون والصادقون، والرابع صاحب الطور السري وهم المتّقون، يمرون مثل الراكب، والخامس صاحب الطور القلبي وهم العابدون يمرون مثل سعي الرجل. والسادس صاحب الطور النفسي هم العاملون. والسابع: صاحب الطور القالبي هم المتهتكون من المؤمنين، ولكل منهم نور ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحَديد: 13] وهو نور النبوة ونور الولاية ونور الصدق ونور التقوى ونور العبادة ونور الإيمان والتوحيد.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ورغّب العباد إلى طاعته وإلى ما هو من مرضياته من امتثال الأوامر والانتهاء عما نهى عنه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بنفسه ترغيبًا للعابدين إلى المنجيات وتحريضًا للعالمين إلى المرجيات ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصّلَت: 33] من المنقادين لأمر الله والمتحرزين عمَّا نهى الله، إشارة

إلى شرائط التكميل وروابط الإرشاد والتحصيل، وهو القول اللين الحسن كما أمر الله لموسى وهارون لدعوة فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 44]، والعمل الصالح، فإن الأول يفتح أذن القلب، والثاني عينه.

قال النبي ﷺ: «**للقلب أذنان وعينان إذا أراد الله لعبد خيرًا فتحهما**». قال في السفر الثاني من التوراة في نعت محمد وأمّته: أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء، ولن يقبضه حتى يقيم الملة المعوجة بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتحوا أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا إرشادًا بالحق المرشدين والداعين إلى الله أن لا يرى لنفسه زيادة فضيلة ومزية على سائر الأنفس بل يعدون أنفسهم ناسًا من الناس، بل أنزل وأسفل من أدنى الناس. قال آدم: كن عند الله أحقر الناس وعند نفسك شر الناس وعند الناس ناسًا من الناس.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ﴾ الحسنة ﴿وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ السيئةَ في الجزاء والعوض، إذ الحسنة جزاؤها عشرة، والسيئة جزاؤها واحدة مثلها في الكم والكيف، هذا ما في الظاهر، وأما في السرّ فهو إشارة إلى تغاير مراتب الحسنات إذ الحسنات بحسب الإخلاص وصفاء النية وصيانة أمر الطوية، وبحسب الأزمنة والأمكنة متفاوتة مثلًا فإن الشخص الواحد لو فعل حسنة واحدة في زمانين أو مكانين لا تكون الحسنة الواحدة بعينها في زمان مثل الحسنة الواقعة في زمان آخر لتفاوتهما إخلاصًا وصفاءً «**من أخلَصَ لله تعالى أربعين صباحًا، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**» فلا تكون الأربعينات متحدة في الجزاء والعوض لتفاوت الصفاء والإخلاص.

﴿ٱدْفَعْ﴾ السّيئة العارضة في المرتبة الأدنى ﴿بِٱلَّتِى﴾ أي بالحسنة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فُصّلَت: 34] وأكثر تأثيرًا في القلب، أي الواقعة في المرتبة الأعلى، فإن للحسنة مراتب أربعة وكذا للسيئة، فالحسنة إنما تدفع السيئة إذا وقعت السيئة في المرتبة الأدنى، والحسنة في المرتبة الأعلى، وهي المرتبة الوسطى والكبرى والعظمى، وذلك لأن السيئة القليلة تؤثر في النفس أكثر مما تؤثر الحسنة فيها لأنها مجالسة للنفس دون الحسنة، سيما النفوس الأمارة، وإليه الإشارة بقوله:

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصّلَت: 34] يعني أن الحسنة فاعلها النفس المطمئنة والقلب والروح، والسيئة فاعلها النفس الأمارة بالسوء، فبينهما عداوة ومخالفة كما إن بين أثرهما وفعليهما مخالفة ومباينة، فإنَّ النفس من المخالفة والعداوة إلى الموافقة والصداقة وتبدلها. قال النبي ﷺ: «**اتبع السيئة الحسنة تمحها**».

وإن النفس مجبولة على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، «**الإنسان عبد الإحسان**» الحديث. والخطاب إما للرسول وأصحابه أو لكل من آمن بالله وبما جاء منه، وضميره يرجع إلى الكافر والعداوة بين المؤمن والكافر، والنبي يحب المؤمن ووليه الشقيق، وبه المحبة هو الإسلام والإيمان، ونار المحبة توقد في مجمر قلب المؤمن وتشعل آنًا وآنًا، وتحيا فيه، وتحمي سلطان القلب من عداوة شهود النفس الأمّارة وآثارها، وهي السيئات والآثام والأخلاق الرديئة والأوصاف الدنيئة والحسنة. أما الملكات الفاضلة والهيئات السنية والأخلاق الملكية أو أنوارها وخصائصها الحميدة الصادرة عنها، والتجليات والمعارف الإلٰهية والإدراكات الفطرية والعلوم الحقيقية والمشاهدات العينية، والحلاوات القلبية، والمقامات القلبية، والأعمال الصالحة، والأحوال الفاتحة التي تزيل الأفعال الطالحة والأقوال القبيحة لإقباله على الطاعات والعظات والرياضات ومخالفة النفس بالمجاهدات توصل إلى مقام المشاهدات، أو إلى كظم الغيظ وترك الانتقام، وعلى الاحتمال على المكروه وما يلقاها ولا تقبل به، وذلك الملكات الكاملة الملكيّة ولطائف أنوارها.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [فُصّلَت: 35] وكأنه ولي حميم أي النهي أو كل مؤمن، إنما ذكر من آثار تلك الملكات الفاضلة الصبر إشارة إلى أن الكمالات الصادرة من تلك الملكات والهبات الظاهرة من الأوصاف أنيسة والأوساط الجلية الناتجة عن الكدورات النفسية والشهوات الحسية، وإن استكمال تلك الملكات واستحصال تلك الكمالات لا يكون إلا بالصبر، ولذا صار نصف الإيمان، قال النبي ﷺ: «**الإيمان نصفان: نصف في الصبر، ونصف في**

الشكر». قال النبي ﷺ: «**من يستعف يعفه الله، ومن ينتصر نصره الله، ومن يستعن يعنه الله**» ويعطى عطاء وافرًا واسعًا من الصبر ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصّلَت: 35] من النصف الآخر على الشكر والمحبّة الذاتية التي هي مناط الكل، قيل: هو الجنة أي لا يصل إليها إلا من جعله الله من أهل الجنة.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ وهو دخول في أمر لإفساده، إشارة إلى قرين الحسنة أعني السنة وإلى أن حال العبد دائرة إلى أمرين: الحسنة ومنشؤها ومقيضها هو عناية الله وأهل ولايته، والسيئة وهي مظهر نزغ من الشيطان وإدخاله الذي لا محيص عنه، لا حد ولا مخلص منه الفرد من أفراد الإنسان إلا بالاستعاذة بالله ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ﴾ في تمام الأمور من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [فُصّلَت: 36] الذي يسمع في جميع الأحوال الاستعدادات وإلقاء الشياطين وفي عموم النيّات وكل الأمنيات ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ﴾ [الحَجّ: 52]، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [فُصّلَت: 36] بالكليات والجزئيات من الجهريات والخفيات.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ أي مقتضيات فردارية النور والجمال والظلّ والجلال ﴿وَٱلشَّمْسُ﴾ أي شمس التجلي الذاتي الظاهر في الطور الخفي والعقل الصريح ﴿وَٱلْقَمَرُ ۚ﴾ [فُصّلَت: 37] أي التجلي الوصفي الباهر في الطور الروحي والسري والقلبي، وفي التصريح بعد التضمين يلوّح على أنه قادر على أن يوحّد النهار والليل وتختفي بدون هذه الشمس والقمر، وأن التلازم بينهما ليس بكلّي بل أثري، ووجدان الليل والنهار معهما في هذه الدورة لا يوجب التلازم الكلي الدائمي والاستقصاء والتتبع الناقص لا يفيد اليقين، والتام غير ثابت، وأن الليل

والنهار الدنياوي على تقدير التسليم كذلك لا يوجب أن يكون كذلك في تمام الأدوار والأكوار ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ سجدة عبادة وعبودية وعبودة لأنهما مخلوقان مفتقران في الوجود والعدم إلى مرجح ﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ جميعًا وسائر النجوم والسماوات وباقي الأعيان في الأدوار الأربعة والأكوار المربعة ﴿إِن كُنتُمْ﴾ موحّدين فعليكم أن تكونوا ﴿إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصّلَت: 37] وحده لا شريك له.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ على السجود والعبادة لله فهو لا تضرّه الأعيان المخصوصة من الأغيار ﴿فَٱلَّذِينَ﴾ هم دائمون ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ قائمون على عبادته، ملازمون لصنوف طاعته، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فُصّلَت: 38] ولا يفترون عن التسبيح والعبادة طرفة عين ولا عن عبادته.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ﴾ بما فيها وما عليها ﴿خَـٰشِعَةً﴾ خاضعة طالبةً للماء والمطر، غبراء لا بناء فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا﴾ [فُصّلَت: 39] من سماء أسماء صفاتنا الذاتية والأفعالية إلى أصحاب عالم الملكوت وغمام عالم الأمر والأرواح ثم منها إلى مرتبة برزخ الإثم منه إلى سماء عالم الملكِ والشهادةِ أو العرشِ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هُود: 7]، ومنها إلى جو السماء، إلى كرة الزمهرير، ثم إلى السحاب المتراكم المتصاعد، إلى كرة البخار التي بينه وبين الأرض سبعة عشر فرسخًا منها أنزل إلى الأرض، من ثم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النُّور: 43]، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ والمطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ [فُصّلَت: 39] الأرض وتحرَّكت بما فيها من القوى الطبيعية والمبادئ الأرضية، وهي القوى الغائية

والقادرية والمولودة ﴿وَرَبَتْ﴾ زادت وتزيدت وتخلخلت وتزهدّت ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾ [فُصّلَت: 39] أي القادر الحكيم، القاهر، أنبت ما في الأرض من العشب والزرع والنبات والأزهار والبقول والأشجار ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ التي كانت قبل ذلك أحياء ذات حياة فأماتها الله من بعد ذلك في القيامة والعظمى والمحشر الكبرى، بأن جمع أجزاءها التي كانت في عالم البرزخ على الوجه المخصوص ثم أعاد الروح إليها ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فُصّلَت: 39] من إحياء الموتى وحشر الأجساد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ ويميلون من الحق إلى الباطل ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ ولا يضرُّون بأحوالهم وأعمالهم وأفعالهم التي لا تخفى علينا ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾ أعيان مخصوصة هم أبو جهل وشيبة وأضرابهما، والأعيان المطلقة وهم المشركون والكافرون كافة ﴿أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا﴾ سالمًا غانمًا وهم على قياس ما ترى، إما مخصوصون، قيل: هم عمار وياسر وعثمان وحمزة والمؤمنون بأسرهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ بأسرهم ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فُصّلَت: 40].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ والقرآن المذكور المذكر والمذكر ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ﴾ ونزل عليهم بذريعة جبريل استئناف أو بدل من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾، وخبر (إن) محذوف مثل يعاندون أو هالكون ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فُصّلَت: 41] غريب لا نظير له ولا مثل له.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي لا يتطرق ولا يعرض عليه البطلان من جهة من جهات الدنيا ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ﴾ من جهة الآخرة، ولا من جهة الصورة، ولا من جهة المعنى، ولا من جهة السماء، ولا من جهة الأرض، ولا من جهة الأصدقاء، ولا من الأعداء، ولا من الأكابر، ولا من جهة الأصاغر ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصّلَت: 42] محمود بجميع الألسنة في الأدوار والأكوار.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ يا محمد من الأفعال الحسنة والأوصاف الذميمة والأفعال القبيحة ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ من لدن آدم إلى عهد خاتم الرسل ﷺ، في ذكر كل زمانٍ طائفة كثيرة وفرقة غفيرة كبيرة، فإن كل زمان جاء فيه نبي ورسول دعا أهل ذلك الزمان إلى الله ومعرفته وعبادته وتوحيده، وهم لكمال انغماسهم في الجهل والجهالة والكفر والضلالة قد أنكروا الأنبياء وكذّبوا أقوالهم وخرّبوا أعمالهم وأضرُّوا أحوالهم وأخذوا على قبيح أقوالهم في حقهم، والأنبياء صبروا على ما أوذوا حتى أتاهم نصرنا ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فُصّلَت: 43] قالوا: عذاب عظيم يعذِّب من يشاء ويغفر لمن يشاء، ويرحم من يريد ويعاقب من يريد.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ لقولهم: هل نزل القرآن بلغة العجم، والضمير المذكور ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ أي كلام أعجمي ومخاطب عربي، إنكار للتخصيص، والأعجمي يقال للذين لا يفهمون كلامهم. عن مقاتل: أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحصري وكان يهوديًّا أعجميًّا كني أبا فكيهة، فقال المشركون: إنما يعلم محمدًا يسارٌ، فضربه سيده بشدة وقال: إنك تعلم محمدًا؟ فقال: لا والله هو يعلِّمني، فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ القرآن والذِّكر ﴿هُدًى﴾ [فُصّلَت: 44] من الضلالة والهداية ﴿وَشِفَآءٌ﴾ لما في الصدور من الأغلال والأمراض النفسانية والأعراض الشيطانية، والقساوة في النفوس الإنسانية من أشد الأمراض النفسانية، فإن في كل كلمة وآية وعشر سور من القرآن داء للمنافقين ودواء للمؤمنين المخلصين الموافقين، وقد وقع في الطب النبويّ عن النبي ﷺ معالجات كثيرة صائبة.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ واشتكى من وجع البطن، فأمره بشرب العسل

ففعله ولم ينفعه، ثم جاء بعد اليوم واشتكى أيضًا، فأمره أيضًا بالعسل، ففعله ولم ينفعه، فجاء في اليوم الثالث والرابع واشتكى فقال: «**يا رجل قد كذب بطنك فارجع فاشربه فإنه ينفعك**» فأكله ووجد منه شفاء كاملًا.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله وبكلامه يكون ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ وشدّة ومادة غشاوة وعلّته مادة سادة ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ﴾ أي والقرآن وإن كان من جميع جهاتهم محيطًا فإنهم لكونهم في أنفسهم صمًّا عميًا لا يسمعون القرآن ولا يتوجهون إلى سماعه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فُصّلَت: 44] أي بين قلوبهم والقرآن بون بعيد وصون سديد أبت قلوبهم عن استماع القول وفهمه، فإذا اختلفت فيه الأهواء واعتطفت الآراء فمنهم من قال: هو حق، وبعض توقف، وبعض قال: إنه باطل أو سحر.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكّٖ مِّنْهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ من قبل ﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ﴾ أيضًا بالتصديق والتكذيب وبالتحريف والإغواء والتقريب ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهو العدة بالقيامة والخبر عن وقوعها. وقيل: تقدير الآجال، وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا تأخير القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ﴾ بإهلاكهم واستئصالهم بالكلية ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي اليهود والذين لا يؤمنون أصلًا بالله ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنْهُ مُرِيبٖ﴾ [فُصّلَت: 45] أي في كتاب التوراة أو القرآن شاكون.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾ منافعه وفوائده وترجع إليه نتائجه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾ وعمل عملًا قبيحًا وفعلًا سوءًا ﴿فَعَلَيْهَاۗ﴾ ترجع نتائج ذلك العمل السيئ والفعل القبيح إلى نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلَت: 46] بتنقيص أجورهم ومزيد عقابهم وشديد عذابهم، أو بتضييع استعدادهم وتقبيح أعمالهم وأفعالهم.

والمبالغة إنما هي بالنظر إلى كثرة العباد وكثرة أفعالهم وعموم أعمالهم، إذ أعيان كل دورة وأكوار كل كورة لها أعمال مخصوصة وأعمال منصوصة مغايرة

لأعمال دورة أخرى، مثلًا أعيان الدورة العظمى النورية الجمالية إنما هي من جنس أعمال الملائكة وهي العلوم والإدراكات الحقيقية المتعلقة بذوات الأشياء وحقائقها، ولها أعمار طويلة وأجسام جليلة وأعمال جميلة، وأعمال أعيان الدورة الكبرى إنما هي من جنس العلوم والإدراكات المتعلقة بالأفعال والأعمال كمًّا وكيفًا، الصادرة عن النفوس العاملة والملائكة المدبرة، والجواهر النورية المدبرة، وأعمال أعيان الدورة الوسطى إنما هي علوم وإدراكات تتعلق بنفس الآثار وذوات الأنوار والصور والأطوار، وبكيفيَّة تعلُّق النفوس بالصور المثالية والمثل البرزخية والأجسام الكيفية الملكية الشهادية، وأعمال أعيان الدورة الصغرى إنما هي أفعال بعضها، وبعضها يتعلق بنفس الآثار، والنفوس وبكيفية التعليق والتدبير، وبالظاهر والباطن، وبكيفية ارتباط أحدهما بالآخر. ولا شكَّ أنها أعمّ وجودًا وأتمّ شهودًا. وصيغة المبالغة إنما هي بالنظر إلى جمعية هذه الأفعال.

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾

وأشار إلى جمعية هذه الأمور بقوله: ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ﴾ [فُصّلَت: 47] التي يجمع هذه الأمور فيها، ولهذا صار مجهولًا وقوعها، ولا يشكُّ أحد في هذا العلم لأنه استأثره لنفسه، وهذه الأمور بما اجتمعت عنده، ولذا اختصّ بها، وذكر الساعة إشارة إلى هذه النكتة وإلا جميع العلوم والإدراكات وأحوال تمام الموجودات إنما تختص به تعالى ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ من أية نوع كانت ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ من حجابها وغيبها ونقابها، فمن الأولى تأكيد معنى النفي ولبيان عمومه وشيوعه و(ما) على هذا المعنى نافية، ويحتمل أن تكون موصولة عطفًا على الساعة، ومن على هذا التقدير مبينة للموصول والموصوف ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ من صلة أو بيان لمعنى عموم النفي، أي لا تحمل أنثى كل نوع ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾ وقضائه وحكمه بكيفية حمله وكميته، فإن التصرف في الثمرات الثابتة والمولودات والمحمولات الحيوانية والإنسانية إنما يختص بالله تعالى، ومنوط بعمله وحكمه ووفور حكمته وشمول قدرته وإرادته ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [فُصّلَت: 47]

الله أو الملائكة أو من أنفسهم ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ الذين كنتم في الدنيا والنشأة الأولى تزعمون وتقولون إنهم آلهتنا ﴿قَالُوٓاْ﴾ المشركون ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك وعلّمناك، من الإذن، نقل إلى باب الأفعال مصدره إيذان أي إعلام ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [فُصّلَت: 47] وشاهد يشهد بأن لك شريكًا في الملك والتصرف. وإنما يقولونه عند معاينة العذاب ووقوعه فيتبرؤوا أو استبعدوا مما شاركوا له من الأصنام والأوثان من أي جنس كان.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وفُقِد وغاب ﴿مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾ ويعبدون ويطلبون ويستعينون به في المطالب ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل ظهور الساعة وقيام القيامة ﴿وَظَنُّواْ﴾ في هذه الحالة وتيّقنوا ﴿مَا لَهُم﴾ في هذا اليوم والساعة ﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فُصّلَت: 48] مهرب ومفرّ ومطلب.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [فُصّلَت: 49] ولا يفتر ولا يتنفر ولا يمل، المشرك يشعر بأن الأصل الإنسان لكونه تامًّا ومركبًا وملتحمًا عن الجواهر المخالفة والصور المضادة المتباينة، وهو أن يكون متنفرًا عن شهود الواحد الحقيقي والتوحيد والإيمان والمعرفة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورى: 52] الآية، ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي طلب المال الكثير والغنى والصحة وحسن العاقبة وحصول العافية ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ ولحقه الشدائد والبؤس والضرّ ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فُصّلَت: 49] أي ييأس من روح الله ويقطع رجاءه ويرفع أمله ونجاءه.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ عاجلة ونعمة آجلة ﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ أي بعد نزول شدّة وعناء وحلول بليّة ووباء ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فُصّلَت: 50] وكمال حقي

ومالي ونتائج فعلي وعملي وعلمي وأنا صاحبه وأحق به ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ﴾ وما أتيقن ﴿قَآئِمَةً﴾ فيه القيامة ﴿وَلَئِن﴾ رجعت ﴿رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ بالموت وظهور الهلاك والفوت ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ من الجنة الذاتية على تقدير القيامة ووقوعها كما في الدنيا والنشأة الأولى أحسن حالًا وأبهى وأبين مآلًا ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ونخبرهم ونرد عليهم وبال أمرهم وكفرهم ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الشرك والكفر والبهتان الإفك ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فُصّلَت: 50] في الدارين وعاقبة النشأتين.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ وأولاده ﴿أَعْرَضَ﴾ وانصرف عن الحق بنعمته ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي انحرف عن جانب المنعم أو ذهب بنفسه، والجانب مجاز عن النفس كالجنب وعقوله في جنب الله ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فُصّلَت: 51] أي مبالغ في الإلحاح للإجابة وقبول الدعاء ودفع البلاء والضرر وحوله.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ هذا القرآن النازل والذكر الجازل ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ بلا برهان عقلي وسلطان نقلي، فحينئذ يقول الله: ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ أي أكثر ضلالة وأوفر جهالة ﴿مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فُصّلَت: 52] أي كثرة خوف وشدة خلاف كما قال عليه الصلاة والسلام: «**كثرة الخلاف شقاق كره، والوفاق نفاق منكم، فما أجد أضلّ منكم لتوغلكم في الشقاق وانغماسكم في كثرة النفاق**».

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ وعلاماتنا ﴿فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فُصّلَت: 53] خارج النفوس، فإن كل أحد له آفاق ونفس، يعني أن آياتِ الله وعلامات أنوار حكمته وبيِّنات آثار

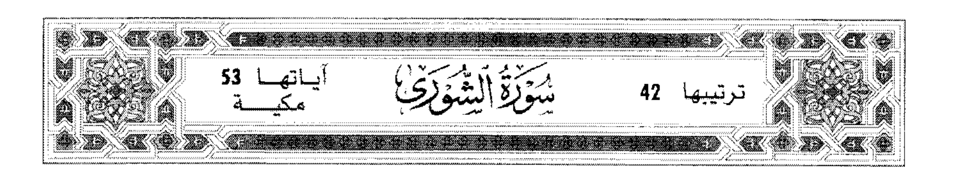
قدرته ظاهرًا أولًا في أعيان الأدوار في مراتب الوجود ومطالب الأكوار على مجالي الإدراكات ومعاني الشهود، ثم بعد التفصيل في المراتب أجملها وجمعها وأظهرها في كون جامع ومظهر كلي دافع وهو الشأن وهي الآفاق ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي عالم الناسوت، فالعوالم الإمكانية والمعالم الكتابية هي الآفاق، وما يكون ويكون في كون جامع ومظهر كامل لا يخرج منه شك من العوالم الكلية والطور الأصلية هو الأنفس وهما متطابقة وأطلال متوافقة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ أي الحق بتمام الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والآثارية قد ظهر بتمام ما له من الأسماء والصفات والكمالات الذاتية والأسمائية في مرآة حاكية عن تمام تلك الكمالات، وهي نفس الحق، أي الثابت في حدّ ذاته وجميع أسمائه وصفاته ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصّلَت: 53] حاضر.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ [فُصّلَت: 54] أي مشاهدة ربهم ومعاينته في الدنيا والآخرة ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72].

قال النبي ﷺ: «**رأيت ربي في أحسن صورة شاب قطط**». قال علي كرم الله وجهه: «رأيته فعرفته ثم عبدته ولم أعبد ربًّا لم أره». ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فُصّلَت: 54] أحاط علمه، والعلم عين الذات العالمة. قال ﷺ: «**مَن قرأ سورة (السجدة) أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات**»، صدق رسول الله ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي كلَّم وليه في الشدائد: يا حم، عسق، يا كهيعص، فجعل في حقه، وبتحقيق نظره وتدقيق سمعه وبصره أسماء أعظم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي شرَّع دينَ الحق وأظهره لأرباب وأصحاب التدقيق، ومنع الخلاف فيه ودفع ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي ألطف بعباده، وأخف على أوليائه مشاق العبادات وأجلى على مشاربهم وعف مذاق شدائد الطاعات.

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشّورى: الآيتان 1، 2] إشارة إلى بداية دورة الفرع والإشراك، وهي ثلاثة منسوبة إلى الثلاثة الأخيرة من الأسماء السبعة الذاتية وهي: الكليم، والسميع، والبصير. لما بيَّن ما دلّ على الأدوار الأربعة النورية الجمالية على الولاء، وبنى الحواميم الأربعة أراد أن يبين ما دلّ على الأدوار المشتركة وهي ثلاثة على الهيئة الجمعية في الاستقلال والاشتراك بأن كل واحدٍ من الأسماء الأربعة الذاتية، أعني العليم والحي والقدير والمريد، بعد استواء أحكام سلطنة كل منها على الأفراد ليشترك في فردارية سلطنته جماليًّا كان أو جلاليًّا، صريحًا أو ضمنًا، مثلًا أن اسم العليم لما استكمل حكم فردارية سلطنته على الاستقلال أخذ في اشتراك كل من السميع والبصير والكليم، وكذا الحي والقدير والمريد، ومدة الاستقلال هي مدة الاشتراك في الأعوام دون الأيام وكثرة الحروف تدل على

الجمعية فهي إما اسم السورة، أو اسم أسماء الإلهية الأعظم كما كان النبي يواظب عليها في الشدائد بقوله: «**يا كهيعص، يا حم، عسق، يا حم أغثني**»، أو قسم وجوابه يوحى أو مبتدأ وخبره ما بعده، أو خبر محذوف الابتداء.

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ﴾ [الشّورى: 3] ويلقى بواسطة الملك الكتاب ﴿إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ من الأنبياء والمرسلين ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ﴾ القوي الغالب القاهر ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الشّورى: 3] الحاكم العالم لجميع المخلوقات وأحوالها وخصائصها ولوازمها الذاتية والوجودية، يعني بحق هذه السور أو الاسم الأعظم قد أوحى الله له بكمال قدرته وعموم مشيئته على الأنبياء أولًا، ثم يوحي إليك ثانيًا لتتبين أحكام ألوهيته وتتعين أعلام ربوبيته، وإيراد المضارع تنبيه على استمرار الوجود وتتابعه واستقراره وعدم انقطاعه إلى الخاتم من أهل العالم.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من النجوم والأملاك المدبرة والأفلاك الصغار وهي التدبيرات والنفوس المدبرة ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ من المعادن والمخلوقات التي أسكن كل طائفة منها في طبقة من طبقاتها السبعة، أو المراد من السماوات الجواهر العالية والفواخر النورية من العقول المجردة والملائكة الكلية والتعيينات الأولية الأصلية، أو المراد من الأولى هي الأدوار النورية الجمالية الأربعة وأعيانها النورية الوجودية، ومن الثانية هي الأدوار والأكوار الظلّية الجلالية وأكوانها الظلّية العدمية الجلالية، أو المراد من الأولى هي الأدوار والأكوار الإفرادية ومن الثانية هي الأدوار والأكوار الجمعية ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ الحاكم العالي الحكيم ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الشّورى: 4] المحيط بتمام الأعيان الإلٰهية والأكوان الربانية المتصرف فيها بالإبداع والخلق والتكوين والاختراع، والتدوين والاصطناع.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [الشّورى: 5] وأعيانها وما فيها ولها انتقال أحكام فردارية

سلطنة ربّ كل دورة من الأدوار الإلٰهية إلى ما عداها ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ ويتشققن بعظمة الله وكمال قهرمانه ووفور حكم سلطانه ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ من القدرة الإلٰهية والقوة الربانية، أو من جانب القوة الفاعلية وطرفها وجهتها كما أن الخلق والتكوين والإبداع والتدوين والاختراع إنما كان من جانب الفاعلية القابلية ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي يعبدون، ويزينه على نعت الصنف وصفة العجز والعطف والوهن والرعف لسبب اتصافه بصفات الكمال وسماتِ أنوار الجمال التي هي مادة الحمد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ يطلبون المغفرة من الله ﴿لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشّورى: 5] من الأموات وأعيان طبقات الأرض من الموجودات وما عليها من الجن والإنس، والمؤمن والكافر، والمطيع والفاجر، فإن المناسب أن يفسر الاستغفار بالسعي فيما ينفعهم من الشفاعة والإلهام والخطاب والإعلام، وأعدادهم والأسماء المقربة للطاعة المهيئة لها، وإلقاء المعاني في روعهم دعوة إلى الله وعبادته ووفور طاعته إشعار بأن الأصل للحصص الوجودية والأعيان النورية والأكوان الظلية هو الإسلام والطاعة والانقياد والإطاعة، وحسن الاعتقاد. وأما الكفر والإشراك والمعصية والاشتراك إنما هو بالعرض يزول وينفك في الآخر ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: 53] لقوله ﷺ: «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه**»، ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشّورى: 5] يؤيد ما ذكرنا ويعاضده.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ وآثروا واختاروا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ الله وغيره وما سواه ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ شركاء وأنداد ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ ورقيب وعاصم لهم، وواقٍ لأحوالهم بين يديهم ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشّورى: 6] توكل بهم، أو موكول من الله بأمرهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الشّورى: 7] إشارة إلى الإيحاء أو إلى معنى

الآية المتقدمة، فإنه كرر في القرآن في موضع (حم) ومربع (عم) فتكون الكاف مفعولًا به وقرآنًا حالًا منه ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ وهي مكة وأهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من العرب وبلاد الحجاز ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ [الشورى: 7] يوم القيامة لاجتماع الخلائق كلهم فيه، أو الأرواح والنفوس والأشباح، أو الأعمال والعمل، والكل والمجموع، وذلك لدى القيامة العظمى في الدورة الأخيرة من الأدوار بعد النفخة الثانية والانتقال من دورة إلى دورة، ومن فردارية اسم إلى اسم، فإنه يظهر في هذه الحالة تمام الأحوال والأعمال والأعيان التي اختزنت في خزائن الدورة المتقدمة واختفت هي فيها بالنفخة الأولى.

واعلم أن لكل دورة من هذه الأدوار النورية الجمالية، لما كان اقتضاء الأبدان يكون حشرها على وجه خاص مثلًا لما كان اقتضاء دنيا والآخرة الدورة العظمى النورية الجمالية أعيان نورية وجواهر عقلية والأبدان يكون حشرها في آخرتها حشرًا عقليًا والمعارف فيها تكون أعيانًا نورية عقلية، وكذا اقتضاء دنيا الدورة الكبرى النورية الجمالية إنما هي أعيان روحية وجواهر عقلية فلا بد وأن يكون حشر هذه الدورة من الأعيان الروحية والجواهر العقلية، وكذا اقتضاء دنيا الدورة الوسطى لما كان أشباحًا نورية وصورًا خيالية مع ما يتقدم من الأعيان النفسية والأرواح القدسية والعقول المجردة والملائكة المدبرة العالية للأبدان يكون حشرها أعيانًا برزخية وأشباحًا نورية مشتملة على أرواح متعلقة بأشباح معلقة وعقولًا وملائكة مدبرة، وكذا مقتضى الدورة النورية الصغيرة لما كان دنياها منطوية على أجسام وأجساد ومحتوية على أشباح برزخية ومثل نورية وصور خيالية وأرواح ونفوس عقلية، فإن الدورة الصغيرة النورية تحتوي أعيانها على مقتضيات الأدوار السابقة، فحشرها في القيامة العظمى إنما يكون بجمع الأجسام والأجساد والأشباح والنفوس والأرواح والعقول والأعمال والعلوم والإدراكات والمقامات صريحة.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ﴾ من الأعيان الجمالية التي استخدمت المولود الجني والشيطاني ووافقها في مطالبها من غير أن يخالفها في اقتضاء النور الجمالي تكون ثابتة ﴿فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ ومربض السعادة والجمال ﴿وَفَرِيقٌ﴾ منهم ﴿فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7] إذا وافقت المولود الجني والمولود الإنسي في فردارية النور

والجمال، كما أشار إليه النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**»، يعني أن الله تعالى إذا جمع الخلائق في الموقف الأول للحساب أولًا يحكم بالتفريق، فالتقدير فريق منهم في الجنة وفريق منهم في السعير.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: خرجَ علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضًا على كفّيه ومعه كتاب فقال: «**أتدرون ما هذا الكتاب؟ فقلنا: لا يا رسول الله، فقال للذي بيده اليمنى: هذا كتاب من ربّ العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدّتهم قبل أن يستقروا نُطَفًا في الأصلاب وقبل أن يستقروا علقة في الأرحام إذ هم في الطينة يجتذبون فليس بزائد منهم ولا ناقص منهم إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة. فقال عبد الله بن عمر: نقيم العمل إذًا؟ فقال ﷺ: اعملوا وسددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عَمِل عَمَل صاحب النار، وإن صاحب النار يُختم له بعمل أهل النار وإن عَمِل عَمَل أهل الجنة. ثم قال:** ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشّورى: 7] **وعد من الله عزَّ وجل**».

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الشّورى: 8] قال ابن عباس: على دينٍ واحد كما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ﴾ [الأنعام: 35]، ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾ أي جنّته ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشّورى: 8] ومعين ولا ظهير في دخول الجنة أو في دفع النار.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟﴾ أي ثم اتخذ الكافرون ﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي دون الله ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ [الشّورى: 9] أي وليّك يا محمد، أو وليّ من اتّبعك واقتفى بأثرك ﴿وَهُوَ يُحْىِ

﴿ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ فيستحق الجنة ويتأهل من الله العناية والكرامة والهداية بحسب المتابعة وتتبع السنّة وكمال المتابعة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ممكن ﴿قَدِيرٌ﴾ [الشّورى: 9] يرجّح وجوده أو عدمه على الآخر.

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾ من أمور الدنيا أو الدين بيان لها ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي يرجع إلى كتاب الله وشريعته ودلائل الدين ومبادئه وحجته، وهي الكتاب والسنَّة والإجماع، والقياس عند البعض، فإنها تميز الحق من الباطل والثابت المحكم من الباطل ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي الذي خصّه الله بأن يكون دليل أحكام الله هو المعيار والقانون والميزان مخالفة لعباده في تعريف الأحوال والأفعال الإرادية والأعمال الاختيارية وغير الاختيارية ﴿رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في مجامِع الأمور وجوامع الحوائج لأهل السفر وأصحاب الحضور وأرباب المسار أرباب السرور ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الشّورى: 10] وأرجع إلى حكمه وكتابه، أو إلى الله إن كان من أهل الكشف والشهود تحصل منه الأحكام والحدود.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ خبر آخر لذلكم إذ ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ ذكرًا أو أنثى كما كان في عهد آدم، ويزوّج آدم أحدهما للآخر ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾ وخلق الأرواح من جنسها أزواجًا، وخلق لكم من الأنعام أصنافًا، أو ذكورًا وإناثًا ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ يكثركم بالتوالد والتوليد من الدّرة، وهو النسب، وفي معناه الدرّ والدّرور، والضمير للناس والأنعام على التغليب ﴿فِيهِۚ﴾ في هذا التدبير، وهو جعل الناس والأنعام أزواجًا أو الذَّرْءُ هو الخلق، والضمير يرجع إلى الرحم والبطن ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ أي ليس مثل مثله شيء. واعلم أن المثلية نسبة مساوية بين الشيئين يتصف بها كل واحدٍ منهما فيصبح أن كلًّا منهما أنه مثل الآخر، فكل منهما مثل المِثل متضمن لنفي المثل نفي مثل المثل تُعاد إلى هذه النكتة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الشّورى: 11] الذي يسمع من كل شيء هذا التسبيح

والتقديس ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: 11] يبصر حقائق الأشياء ولوازمها الذاتية ولواحقها العرضية وأحوالها المشتركة والمخصوصة، وأجزاءها الوجودية والعقلية، والخارجية من الجواهر الفردة والوحدات الجوهرية، وهي حق، أو الجوهر الواحد المتصل في نفسه المتخصص بالحصص الجوهرية، أو العرضية كما ذهب إليه المشائون، يقال للجوهر: الهيولى، وللثاني الصورة الجسمية التي بها يصير ذات وضع مشكّلة بأشكال مختلفة تستتبع صورة أخرى.

تتميز تلك الخصائص عن بعض وعن غيرها وتتنوع بأنواع مختلفة جوهرية أو عرضية به تسمى بالاعتبار الأول صورة نوعية، والمركبة من الهيولى والصور الجسمية تسمى بالجسم الطبيعي، لأنها من الصورة النوعية تسمى بالجسم النوعي، والمقادير المتبدلة والهيئات المتبادرة عليها تسمى بالجسم التعليمي أي الأعراض لبنة لها وتطورها كالشمعة المتطورة استدارة واسطوانة ومخروطة ومضلعةً ومكعبة وغير ذلك من الهيئات والأوضاع. وأما الإشراقيون فقد ذهبوا إلى أن حقيقة الجسم هو المقدار الجوهري والامتداد الطوري والعرضي والعمقي، وما ذهب إليه المليون المسلمون وغيرهم من أن صيغة الجسم هي مركبة من الجواهر الغير المنقسمة وأن ما سوى الله تعالى مركب من أجزاء لا تتجزأ أو وحدات جوهرية كما حققنا في صدر سورة البقرة في عشر ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البَقَرَة: 22]، هذا هو الحق ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصّلَت: 42]، وقد قدمنا الكلام فيه فليُرجع إليه.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وخزائنها وبيده مفاتيح دفائنها ﴿وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشّورى: 12].

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

﴿۞ شَرَعَ لَكُم﴾ وبيّن وعيّن لكم ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ [الشّورى: 13] ونواميسه الإلٰهية

﴿مَا وَصَّىٰ﴾ وأخبر وأنبأ وحكى ﴿بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشّورى: 13] هو أول نبي شرع في بيان أحكام الشريعة وخاض في بيان أعلام الطريقة، وخاض في إشهار الحقيقة، وفاض من بر الطبيعة ورد الحكمة ووضع قانون الدين، ورفع ميزان أهل اليقين عن زمان نوح إلى أوان إبراهيم الخليل، كانت الخلائق على دين نوح، ومن الأنبياء كان هود وصالح على دينه يدعوان الخلق إلى دينه، وكان منحصرًا على تحليل المباحات التي أباح الله بلسان الأنبياء المتقدمين ويحرِّم الحرام الذي نطقوا به وحكموا بالانتهاء عنه، منه تحريم الأمهات والبنات والنساء المزوجة وغير ذلك. عن مجاهد: لم يبعث الله نبيًّا إلا أوصاه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والتقرُّب لله بالطاعات بالتوحيد وتنزيهه عن الشركِ والإشراك، فذلك دينه الذي شرع لكم. وقيل: هو التوحيد والبراءة من الشرك. وقيل: هو قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾، وذلك الدين هو التوحيد وسائر العقائد نظرًا إلى الله وسائر الخلائق وهو ثابت في الدهور والأكوار وكرّ الأعوام والأعصار، وهذه هي النبوة التعريفية.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ التوحيد وبقي الشرك والإشراك، وعظم على الكافرين التقليد والإشراك والشرك ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ﴾ ويكلفون لهم إليه ما كانوا على أثره من الأفعال والأعمال الدينية وترك الشرك والعكوف على التوحيد، والتبري عن الشريك، والتجديد الموصول مع الصلة، فأصل (كبر) أي عظم على المشركين أمرك إياهم بترك الإشراك والفِعال القبيحة والخصال الفصيحة ودعواك إياهم إلى التوحيد ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ﴾ ويصطفي لدينه ويجتلب ويختار لدركه كما لبعثته ﴿إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشّورى: 13] ويُقبل إلى طاعته وتوجهه إلى مطاوعة أوامره والانتهاء عما نهاهم عنه.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ وما يفرقوا الدين ﴿إِلَّا﴾ الّذين أوتوا الكتاب ما أعطوه من الأمم السالفة والفرق الماضية ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ [الشّورى: 14] بأن الفرقة ضلالة

والخرقة حماقة وجهالة ولكنهم فعلوا ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أي للبغي والعداوة، أو طلبًا للدنيا ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عنهم وإمهالهم مدة وإهمالهم مدّة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ هو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقدرة ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ باستئصال المبطلين وإهلاكهم حين افترقوا لعظيم ما اقترفوا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ واختاروا كتاب الله يعني أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ، أو المشركين الذين ورثوا الكتاب والقول حصل بعد أهل الكتاب ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾ أي من كتابهم لا يعلمونه كما هو أو لا يؤمنون به حق الإيمان أو من العذاب أو من محمد أو من مجموعهما ﴿مُرِيبٖ﴾ [الشّورى: 14] ذا مرية وريب.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ﴾ أي لما وصى به الإنسان والأنبياء من التوحيد ونفي الشرك والإشراك، ادع الخلق بأجمعهم إلى الحق على قانون الحكمة وتوحيده وجمعيته من الألوهية والربوبية ومقتضيات الأدوار والأكوار إفرادًا وجمعًا معًا ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾ في تنفيذ أحكام الإرشاد والتكميل وتزكية النفوس وتصفية القلوب، وتأديب المبادئ النفسية، وترتيب أفعال القوى القلبية والإنسية والتعديل ﴿كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ في المبادئ العالية والعوالم الثابتة في الجبروت والملكوت ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ الباطلة وآراءهم العاطلة ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ إلٰهي وخطاب رباني المنزل على الأنبياء ﴿وَأُمِرۡتُ﴾ [الشّورى: 15] في العهد الأزلي والمرصد الأولي في مقام ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ [الأنعام: 172].

﴿لِأَعۡدِلَ﴾ وأقتصد في المسالك، وأعتقد في طريق الانتصاف والقسط والعدالة في منهج المناسك ﴿بَيۡنَكُمُۖ﴾ [الشّورى: 15] في تبليغ أحكام الشرائع في الحكومات ورفع الخصومات، إشارة إلى الفقرة الأولى في الانتهاء عن اتباع الأهواء وابتغاء إفساد الآراء، وإلى تعديل القوى النظرية وتكميل القوة العملية،

فالأمر إشعار إلى التعديل في الأمور الإرشادية والتكميل والنهي بالانتهاء عن الموانع. والأمر الثاني إشارة إلى أن شرط كمال الإرشاد والهداية هو الاقتداء بالأنبياء والأولياء والاتباع بهدايتهم والاستقصاء والتتبع بأحوالهم وحالاتهم لعلَّ يتقيّد الطالبون، ويتقلدوا في مقام وحال نبيكم ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ﴾ نسبتنا ونسبتكم إليه، ونسبته إلينا وإليكم على السواء، إشارة إلى أن كل واحد من الموجودات أو أي فرد من الممكنات له صلاحية واستعداد وقابلية لجميع الكمالات الذاتية والسعادات الإلٰهية، فأحرى بكل طالب أن يقتنع بكل مقام وحال وأي سعادة وكمال يصل إليه، بل يكون طالبًا لما علا من الإشرافات ولا يقف على حال ومقام وسعادة وكمال ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ في الدورة النورية الجمالية، ولكم في الدورة الثانية الجلالية أعمالكم لا نسأل عن أعمالكم ولا منكم من يُسأل عن أعمالنا كلنا مجزيون بالأعمال والأفعال إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ.

﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا﴾ ولا خصومة ﴿وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة، فالحق بنا ظاهر والصبح بتباشير السعادة السرمدية من أفق الأمر باهر ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ﴾ في المحشر العظمى والموقف الكبرى ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشّورى: 15] ولديه يرجع الطويل والعريض والقصير والأعمى والبصير، وليس في الآية ما يدل على مناولة الكفار رأسًا حتى تكون منسوخة بآية القتال.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ في إدحاض دينه وإخفاض أعلام أصحاب يقينه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ﴾ أي بعد استجابة الناس وقبولهم الدين فحينئذ اشتهر حال أهل الله من بين العباد ببركة صفات الاعتقاد إلى يوم التّناد بقدر معرفة البدء والمعاد، فاستقلت كلمة الله واستقلت على الكل حكمة الله شرقًا وغربًا، عجمًا وعربًا ﴿لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ زائلة ونازلة وباطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ﴾ بمعاندتهم وكمال دعواتهم ووفور معاداتهم ﴿غَضَبٞ﴾ وسخط ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾ [الشّورى: 16] وعقاب عتيد لكمال عنادهم ووفور عداوتهم بأهل الله والمؤمنين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ جنس أو كله ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متلبسًا بالعدل والصدق، بعيدًا عن تطرق الفساد وطريان التفرق والكساد ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ والشرع الذي يوازن به الحقوق، ويتميز به الصدق والفسوق، ويتعرف به أهل العناد والشقاق، وفرق الشقوق ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ أي أيُّ شيء يدريك الحق ويجعلك ذا إدراك وعلم بالكتاب وحقيقته، ما: إما موصوفة أو استفهامية، أي يجعل اليوم الموعود مدركًا لك ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الشّورى: 17] مجيئها ووقتها، أو يكون القريب ذات قريب، أي تكون الساعة ذات قرب أو تكون الساعة بمعنى البعث.

﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ ١٨﴾

﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾ ولا يصدقون بوقوعها ومجيئها والاستعجال أشهر ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنۡهَا﴾ مع الاعتبار بها لترجي الثواب بها ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾ الكائن الثابت في نفس الأمر ﴿أَلَآ﴾ تنبيه وإعلام أن الأعيان والأشخاص ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ ويجادلون أو يرتابون من المرية أو من مزيد النافية، أو مستجيب صرعها لشدة الجذب لأن كلًّا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة ﴿فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ﴾ [الشّورى: 18] عن الحق، فإن البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات بمن لم يهتدِ لبحورها، فهو أبعد عن الاهتداء إلى ما وراءه.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشّورى: 19] أي كثير الإحسان بهم، قد يطلق على ما تتصف به الأعيان الجوهرية والمعاني الفرضية وهو ضد الجسم والكثافة، يقال: هذا الجسم لطيف، وهذا العرض لطيف، سواء كانا بسيطين كالماء والهواء

واللون، أو مركبين كالغذاء اللطيف والصورة المركبة اللطيفة، فعلى هذا يكون من صفات الأجسام والأجساد والأعراض القائمة بالجواهر والأجسام والأجرام، فلا يطلق على الله إلا بطريق المجاز والحقيقة، وقد يطلق على ما لا يدرك بالحواس الظاهرة، ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103] فاللطافة بهذا المعنى تطلق على الله وعلى الأعيان اللطيفة الفنائية على ما تقتضيه مراتب اللطافة في المأكولات والملبوسات والمشروبات، أو بحسب مراتب المحسوسات، فإن المسموعات ألطف من المبصرات، والمذوقات والملموسات، فكلما كان مراتب إدراكاته أعلى كان ألطف وفي مدارك الكيفيات أخف وأخفى ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ رزقًا لطيفًا وخفيفًا لوفور كنفه ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشّورى: 19] المنيع لإدراك ذاته القاهرة على أعدائه في تمام ملكه وملكوته وعموم ممالكه وجبروته.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ كالعلوم الحقيقية، والإدراكات اليقينية، والطاعات والعبادات والأحوال والمقامات ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا﴾ من التجارات والزراعات والمعاملات والحِرف وسائر الجهات الظاهرة للمشاعر الشاعرة والحواس الظاهرة ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ لكمال لطفه وعموم إحسانه وكرمه. قال النبي ﷺ: «**الله كريم يستحي أن يردّ السائل صفرًا**»، ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشّورى: 20] الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهي حرامان على أهل الله تعالى، أي «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» الحديث.

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ [الشّورى: 21] أي بدلهم شركاء، وهم شياطينهم ﴿شَرَعُواْ

﴿لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ ولم يرخّص به بوحي أو إعلام وخطاب ووارد وإلهام، وإسناد الشرع إليهم استهزاء بهم لأنهم أسباب الضلالات وأصحاب الجهالات وأرباب الكسالات ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي القضاء السائق والحكم السابق، بتأخّر العذاب وتأجيل العقاب، وإنما سماها بالفصل لأنها تفصل وتقطع ما قدّره في سابق علمه وسابق تقديره وتدبيره ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين المشركين والكافرين، والمؤمنين والمشركين وشركائهم ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المجاوزين عن الحد ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشّورى: 21] في الدنيا بالقتل والسبي والجلاء وضرب الجزية عليهم وإهانتهم بضروب شتّى.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المجاوزين عن الحدّ، المشركين، يوم القيامة يوم الحشر والندامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ وجلين خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ واجتلبوا الآثام بعبادة الأوثان والأصنام ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ أي ما كسبوا، أي المكسوبات تردّ عليهم آجلًا وعاجلًا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ حال كونهم داخلين وخائضين ﴿فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ما تشتهي الأنفس وتلذّ به الأعين ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر الذي يصيبهم الله به ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ﴾ والإحسان والإعطاء ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشّورى: 22] الذي يكرم الله به من يشاء من عباده المخلصين.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الفضل المذكور والجزل المزبور هو ﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾ في الدنيا بوقوعه ﴿عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وثبتوا عند الآخرة ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على إيصال تلك البشارة وإفضالها، أو على الإيمان والتوفيق عليه ﴿أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ﴾ والمحبة ﴿فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشّورى: 23] وهي أهل بيت رسول الله ﷺ، وهم:

فاطمة، وعلي، والحسن، والحسين، وما يتولد منهم، وقد أنزل: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]، صرَّح به الإمام الرازي في تفسير هذه الآية.

ونقل عن صاحب الكشاف هذا الحديث: «**مَن مات على حب آل محمد مات شهيدًا، ألا ومَن مات على حب آل محمد مات مغفورًا له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبًا، ألا ومَن مات على حب آل محمد يزفّ إلى الجنة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومَن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومَن مات على حب آل محمد مات على السنَّة والجماعة، ألا ومَن مات على بغض آل محمد لم يذق رائحة الجنة، ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرًا**».

أقول: ألا إن آل محمد هم الذين يولى أمرهم إليهم، فكل ما كان مآل أمرهم إليه أشد وأكمل وأسدّ وأفضل كان اسم الدال إليه بالنسبة أتم وأشمل. ولا شكَّ أن فاطمة وعليًّا والحسن والحسين كان التعلُّق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشدّ التعلُّقات.

وأيضًا: اختلف الناس في الآل، قيل: هم الأقارب، وقيل: أمته، وقيل: هم الأتقياء لقوله ﷺ: «**كل تقي ونقي آلي**». فعلى كل حال هم أشد آلًا وأسدّ مآلًا.

قال صاحب الكشاف: لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله مَن قرابتك؟ قال: «**هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم، علي وفاطمة وابناهما**» فثبت أن هؤلاء الأربعة هم أقارب النبي ﷺ، وإذا ثبت هؤلاء وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23] وإذا ثبت ذلك وجب أن يجب على كل الأمة مثله لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]، ولقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦ﴾ [النور: 63]، ولقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]، وقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21].

قال الشافعي:

إن كان رفضًا حبّ آل محمد فليشهد الثّقلان أنّي رافضي

لإن كان ذنبي حبّ آل محمد فذلك ذنبٌ لستُ عنه أتوب
همو شفعائي يوم حشري وموقفي إذا ما بدت للناظرين خطوبُ

والقربى مصدر كالزلفى والحسنى والبُشرى بمعنى القرابة أي لا أسأل عنكم من الأعمال والأحوال والأفعال إلا محبة أقربائي ومودّتهم، وأهل بيت رسول الله ﷺ وعترته لقول النبي ﷺ: «**إني تاركٌ فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي**». وعن زيد بن الأرقم أنهم آل علي، وآل عقيل أخ علي، وآل جعفر، وآل عباس رضي الله عنهم. وقيل: هم الذين حرِّمت عليهم الصدقة من أقاربهم، وقسم فيهم الحسين وهم بنو هاشم، وبنو المطلب الذين لم يتفرقوا في جاهلية ولا في إسلام. قيل: الاستثناء منقطع أي لا أسألكم أجرًا قطّ ولكن أسألكم المودة في القربى. روي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله مَن قرابتك من هؤلاء؟ قال ﷺ: «**علي وفاطمة وابناهما**»، قيل: هي التقرُّب إلى الله.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ وهي مزيد محبة أهل بيت رسول الله ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ﴾ جزاءً حسنًا وثوابًا مضاعفًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ بمبغضي أهل بيت الرسول ﷺ وأعدائهم، وخصمائهم إذا تولّوا عمّا كانوا عليه إلى المحبة ﴿شَكُورٌ﴾ [الشّورى: 23] يقبل شكر هذه النِّعم الجليلة والمِنَح الجزيلة، أو يوفِّق للشكر، فمن أطاعه بتوفيقه للثواب والتفضُّل عليه بالزيادة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ﴾ أي افترى محمد على الله كذبًا بدعوى النبوة وإنزال الوحي والقرآن ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾ وأراد ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ﴾ أي فإن أراد الله صدور الافتراء منك يختم ويطبع على حقيقة قلبك استبعاد عن الافتراء ومظان الاجتراء على الكذب والاجتراء عليه شعار بأن الافتراء على الله تعالى إنما يكون ممن كان مختوم القلب مكتوب الغيب معلوم الشّكّ والرَّيب، وأما من كان ذا بصيرة كاملة وسريرة فاضلة شاملة فلا يخطر بباله الافتراء فضلًا عن الاجتراء على ما يخالف فاعله العقل الصريح والنقل الصحيح، وقد جرت سنَّة الله على أن يمحق المخالف العاطل ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ﴾ [الشّورى: 24] الدين ﴿ٱلْبَٰطِلَ

﴿وَيُحِقُّ﴾ ويثبت الدين القويم ﴿ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ وأسمائه وصفاته القاهرة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشّورى: 24] استئناف لنفي الافتراء ومنع الاجتراء.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾ والرجوع والإنابة إلى الحق وإلى حب أهل بيت رسول الله ﷺ ﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ الذين بغضوا أهل بيت الرسول ﷺ في الجاهلية ثم رجعوا وتابوا عنه ثم استقاموا على حبهم بالتجاوز عن سيئاتهم والعفو عن خطيئاتهم كما قال ﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الماضية ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشّورى: 25] إذ لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ﴾ وإحسانه ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشّورى: 26] أي المبغضون الذين كانوا على بغض الآل أو المطلق.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ والله يرزق من يشاء رزقًا صوريًّا: وهو الغذاء والقوت الذي يتقوم به البدن ومعنويًّا: وهو ما تقوم به النفس والقلب والسرّ والروح والعقل الخفي من الإدراكات والعلوم التي تتقوم النفس بها، وتتكوّن أفعالها البهيمة والسبعية والقلب من العلوم النظرية، والإدراكات النفسية المكتسبة، والضرورية والمعارف المتعلقة بالأخلاق الإلٰهية والملكات الكاملة. وأما رزق السرّ فهو شهود التجليات الإرادية، وأما رزق الروح فهو التجلي الفعلي، وأما رزق العقل الصريح فهو شهود التجلي الاسمي والوصفي، ورزق الطور الخفي هو شهود التجلي الذاتي والفناء في الله والبقاء بالله، والتحقق جامعًا بالله وصفاته وذاته لعباده ﴿لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشّورى: 27] في مسالكهم وطغوا في مداركهم،

أما الفرق تقيدوا في تدبير البدن سرّه قط لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العَلق: 6، 7].

وأما النفس فإنها توغلت في إدراكات أفاعيلها وتمردت واعترضت عن إطاعة القلب، وأما القلب فلو تعمق في اكتساب الإدراكات النظرية احتجب عن المشاهدات وشهود التجليات الآثارية، وأضلّه الله على علم، وختم على سمعه وبصره، وهكذا احتجبت كل من الأطوار عن مشاهدة ما فوقها ﴿وَلَٰكِن﴾ الله بكل حكمته ووفور قدرته وإرادته ﴿يُنَزِّلُ﴾ الأوراق من سماء خزائنه وفضائل دفائنه ﴿بِقَدَرٍ﴾ معلوم وتقدير مرسوم ﴿مَّا يَشَآءُ﴾ أي بما تقتضيه المشيئة ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21]، ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ﴾ وبأحوالهم وبعموم أعمالهم ﴿خَبِيرٌۢ﴾ عالم بالأحوال وتمام الحالات والمقامات ظاهرًا وباطنًا ﴿بَصِيرٌ﴾ [الشّورى: 27] يبصر ويرى ما كان أولًا وآخرًا، باطنًا وظاهرًا، وبما سيكون من الأجزاء، وبما كان ويكون في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٨﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ المطر الغزير والماء الكبير الأزيز الذي يغنيهم من الجدب ويخلصهم من البليات وآفات الكيد المفقر والمجدب ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ وتيأسوا من الحياة الظاهرة والباطنة، فإن الله تعالى حبس المطر عن أهل مكة ظاهرًا وباطنًا، صورة ومعنًى، سبع سنين لعدم تعرفهم ذات الله وصفاته السبع الذاتية حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله نفسه ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ الحافظ الناظر لأوليائه وأحبائه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشّورى: 28] المحمود بألسنة العباد في عموم الأمكنة وجميع البلاد إلى يوم التناد. قال تعالى: «**من أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الحر، وما يتقرّب إليّ عبدي المؤمن بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وما تردّدت في شيء أنا فاعله تردُّدِي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بدّ منه، وإن من عبادي المؤمنين من سألني بابًا من العبادة فأكفه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده ذلك، وإن**

من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالفقر فلو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصح إيمانه إلا السقم ولو صححته لأفسده ذلك» .

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشّورى: 29 - 30] أي فبسبب اكتساب أيديكم من المعاصي والذنوب ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشّورى: 30] قال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده هو الله عزَّ وجلَّ أكرم من أن يثني عليهم بالعقوبة في الآخرة وما عفى الله عنه في الدنيا فالله أحكم من أن يعود عن عفوه**». قال عكرمة: ما من بلية أصابت عبدًا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر إلا بها أو درجة لم يكن يبلغها إلا بها.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بما سنّ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي لا تعجزونني من تعذيبكم ومن إجراء العقوبة عليكم حيث ما كنتم ولا تتعبونني ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في الدنيا وما فيها، وفي الآخرة وما لها من الحساب والصراط والنيران والثواب وما ضاهاها ﴿مِن وَلِىٍّ﴾ ومنيع وحافظ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشّورى: 31] في إدراك حسن الجزاء والثواب.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾ جمع جارية وهي السارية ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ والسائحة في البر تُرى فيهما ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الشّورى: 32] جمع علم، هو الذي يعلم به الأشخاص والأعيان، ومنه العلم وذلك كالجبال التي تراءى في البحار والبر، يعني بها السفن والفلك.

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿إِن يَشَأْ﴾ الله ويريد، أي تظهر منه المشيئة وتحصل منه الإرادة ﴿يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ التي خلقها لمنافع العباد ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ أي يصيِّر الجواري والسفن ﴿رَوَاكِدَ﴾ سواكن من الركد والركود وهو السكون والثبوت ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ أي ظهر البحر ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ أي في جريان الجواري والفلك في البحر لعلامات ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشّورى: 33] أي كثير الصبر غفير الشكر، أي لكل مؤمن كامل الإيمان، فاضل الإيقان، شامل الاتقان في الإفضال والإحسان، فإن حال المؤمن دائرة بين الصبر والشكر. قال النبي ﷺ: «**الإيمان نصفان نصف في الصبر، ونصف في الشكر**».

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ ويهلكهن بإرسال الريح العاصفة المبدِّدة المفرِّقة ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي بسبب كسب الأعمال القبيحة والأفعال الغير الفصيحة ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشّورى: 34] أي يعفو الريح العاصفة كثيرًا من الخلق ويعذِّبهم ويهلكهم بشآمة فِعَالِهم وشآمة خصالهم، وإسناد الفعل إلى (الريح) يجوز ومجاز مرسل من باب إسناد الفعل إلى السبب أو للإضمار أي ويعفو خالقها ومرسلها.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ وينكرونها على سبيل المكابرة، عطف على علة مقدرة أي لينتقم منهم ويعلم على تقدير النصب والرفع على الاستئناف والجزم على معنى إن يشأ يجمع من ثلاثة أمور: هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير قوم، أي وليعلم الله الذين يجادلون على وجه التكذيب في آياتنا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [الشّورى: 35] لا مخلص لهم إذا وقفت السفينة، وإذا عصفت الرياح يصير ذلك سببًا لإغراقهم فليس الإله النافع للإهلاك الواقع الرافع إلا الله المعبود الحق. لما ذكر دلائل التوحيد أردفها تحقير الدنيا وتوبيخ من آثرها على الآخرة ونعيمها الباقية الشريفة وتعيير بأن آثروا الدنيا الدنية الفانية الحقيرة على الآخرة الشريفة الباقية العظيمة القدر.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ أي أعطيتم ورزقتم من أمر حقير من رياش الدنيا وحطامها ومعاشها ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي ما يتبع فيها من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح التي هي في مطرح الزوال ومسرح الفصال والانفصال وزينتها وما يتحلى وما يتزين بها وما يتفاخر بها، وليس من زاد الآخرة ولا من مقدماته ومصالحه فلا يكون لها بقاء ودوام وثبات ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الأمور التي قدمها وأودعها عند الله من الخيرات الجارية، والحسنات السارية، إلى يوم القيامة، والطاعات والعبادات، والعلوم والمعارف، والإدراكات والأحوال والمقامات والمجاهدات المقتضية إلى المعاينة، والمشاهدات من التجليات، ودرجات الجنان ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشّورى: 36] في أمور الدنيا وأحوال الآخرة ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: 20] الآية، وإنما دخلت الفاء في حيز الجملة الأولى لتضمن مبتدئها معنى الشرط دون الثانية.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ أي الصغار والكبار، والمعصية الظاهرة والباطنة، أو الشرك والكفر ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ﴾ من حقوق الناس والأموال والدماء والعرض، عطف على (يجتنبون)، أي والذين ﴿يَغۡفِرُونَ﴾ [الشّورى: 37] ويتجاوزون وقت غضبهم، ويعفون ويتسامحون كالذين يتصرفون في ما لهم من الأموال والعرض والدية.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ نزل في الأنصار حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان وقبول أحكام الإسلام فاستجابوا وقبلوا هذه الدعوة وآمنوا بالله ورسوله وبما جاء به منه ودخلوا في الإسلام وقبلوا منه أحكامه ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وأقدموا على كل ما أُمروا به في ذلك الوقت ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشّورى: 38] أي أمورهم دائرة بينهم

بالمشاورة من غير أن يستقل أحد منهم بشغل من الأشغال الدينية، وأن يستقل بفعل من الأفعال الدنياوية، وبعد ذلك يتوكلون على الله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشّورى: 38] على المستحقين من الفقراء واليتامى والمساكين وأبناء السبيل.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ والظلم والعدوان والخروج على الوالي وأولي العهد ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشّورى: 39] على ما جعله لهم كراهة التذليل وهو وصفهم بالشجاعة بأن جعلهم منتقمين من ظالميهم بأن لا يتعدوا ويتجاوزوا عن الحدِّ، فإنَّ الله جعل المؤمنين صنفين: صنف يعفون عن ظالميهم كما مرّ ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشّورى: 37]، وصنف ينتصرون يجرون على ظالمهم إذا ظفروا عليهم ويأخذون حقوقهم والعوض منهم مثل ما أجروا عليهم المساءة من غير زيادة حتى لا يكونوا ظالمين مجاوزين عن الحد ولا نقصان ليكونوا من المتظلمين، فإن الظلم والإنظلام مذمومان والمساوي هو العدل، وبالعدل قامت السماوات والأرض والأقضية، وإليه الإشارة بقوله:

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ في الكم والكيف ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ هذا هو ما اختص به المحمديون. عن كعب الأحبار قال في التوراة في السفر الأول: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر. مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام. قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى منادي: مَن كان له على الله أجر فليقم ولا يقوم إلا من عفا ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشّورى: 40] هم الذين بدأوا وبادروا بالظلم.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ﴾ أي طلب النصرة من الغير في دفع الظلم عن نفسه ﴿بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ بعد ظلم الظالم عليه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المنتصرون ﴿مَا عَلَيْهِم﴾ ممن أجرى عليه منهم العقوبة ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشّورى: 41] بعفو أو ومؤاخذة لأن ما صدر كان حقًّا لا ظلمًا.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ وابتدأوا من غير سبق فعل منهم، ولذا قيل: البادي أظلم ﴿وَيَبْغُونَ﴾ ويسعون ويبتغون ﴿فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ﴾ ويعملون فيها بالمعاصي والعدوان ويحدثون الخلق ويدعونهم إليها بالتواصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: 42] جزاية الظلم.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ على الأذية وتحمَّل ما وصل إليه من الظلم والتعدية ﴿وَغَفَرَ﴾ وعفى فلم يبادر إلى الانتقام، ولم ينتصر على مَن ظلم من الغير ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والعفو ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43] التي أمر الله بها بالعزم وبالتوصية إليه بالجزم، فالصابر على ما يؤذيه فيفضي إلى ما يجزيه يرى ويعاين بصره الثواب أتم ثم أعزم وأحكم وأهم.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ﴾ ومعين في ذلك الإضلال ﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ﴾ أي بعد ظهور الإضلال وعرض الأعمال عند الله، وإجماع الخلائق بجميع العلائق، وتمام العوائق من المغارب والمشارق، في المحشر العظمى والطامّة الكبرى ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من الجُهَّال والعالمين ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ﴾ حين معاينة العذاب ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: 44] أي إلى مرجع ومكانٍ يرد إليه ويعاد إليه من سبيل يوصلنا إليه لعله يتخلص من ذلك العذاب، ويتخصص بحسن الجزاء وجزيل الثواب.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ [الشورى: 45] الكفار والظالمين، الفجّار والمشركين، المغدار

الغرار، الغير الكرَّار ﴿يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ أي يطرحون على النار ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ خاضعين في الغلّ، ناظرين إليه البرايا من الجزء والكل ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ﴾ أي من نظر ﴿خَفِيّٖ﴾ [الشّورى: 45] يعني يخفون النظر إلى العذاب خوفًا منه، أو لكمال المذلّة في أنفسهم لا يستطيعون رفع النظر لانتكاسهم ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [السَّجدَة: 12] كالعبد الذي أسلم نفسه لسيده وهو ينظر إليه نظرًا خفيًا، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ لتضييعهم إياها بأن صرفوها إلى أمور تكون وبالًا وذلًّا وشقاوةً ونكالًا ﴿وَأَهۡلِيهِمۡ﴾ لدعوتهم إياهم إلى ما كانوا عليهم أثر الضلالة والطغيان، والجهالة والخسران، وآثار الخسارة، وآثار الشقاوة والضرارة إنما تكون ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ ويظهر عليه ضرار الذلّة ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ﴾ [الشّورى: 45] ثابت دائم محلّه لازم في عقاب عظيم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ٤٦﴾

﴿وَمَا كَانَ لَهُم﴾ في ذلك اليوم ﴿مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ وأنصار وأعوان وأخلاء ﴿يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [الشّورى: 46] إلى الهداية، ولا برهان ودليل إلى مدار الهداية المفضية إلى دار السعادة.

﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧﴾

﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ أي رادّ لذلك اليوم، أي يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على ما قدّر الله في ذلك اليوم، أي يوم القيامة، أو يوم الموت من العذاب وسكرات الموت، لا بالدفع بالكليَّة ولا بالنقص ولا بالتقديم ﴿مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن﴾ يقع به التخلّص من الله تعالى والنجاء والأمان من العذاب ﴿مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾ [الشّورى: 47] في ذلك اليوم منكر ومانع ومغيّر، لأنه ما قدّره الله في دفاتر أعمالكم.

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ٤٨﴾

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ أي الكفار عن اتباعك أو عن طاعتك ومطاوعتك ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ﴾ رقيبًا تحفظهم عن الإعراض وتمنعهم عن الإضراب ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ أي ليس عليك إلا تبليغ الرسالة وإيصال الأحكام والدعوة ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا﴾ وأشربنا ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾ وأنزل عليهم نعمة ﴿فَرِحَ بِهَاۖ﴾ إذ الإنسان عبد الإحسان ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي تتصل بهم بسبب اكتساب الأعمال الصالحة واجتلاب الأفعال الكالحة سيئة وحالة دنيّة توجب العذاب الأليم والعقاب العظيم ﴿فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ [الشّورى: 48] كثير الكفر، كبير الكبر، ينسى النعمة، ويخشى الرحمة، ويمنع التأمّل في المصنوعات، ويدفع التفكر في المبدعات، هذا الحكم وإن اختص بالمجرمين إلا أنه جاز إشارة إلى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه في تصدير الشرطية الأولى بإذا، والثانية بإنْ، إشعار بأن إذاقة النعمة وإزاحتها أمر محقق من حيث إنها عامة عادة، بخلاف إصابة البليّة نحو: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف: 131] والآية، وإقامة الجزاء مقام الشرط، ووضع الظاهر مقام الضمير في الثانية دلالة على هذا الجنس، أعني نوع الإنسان موسوم بكفران النعمة.

﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩﴾

﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا﴾ ويريد ويختار في أي وقت ينفق ويوجد بأمره من غير إلزام وإيجاب، والتزام ومقام إعراض ومحل نقص وانتقاصٍ ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشّورى: 49] فلا يكون لا الذكور ولا الإناث لأحدٍ إلا بإرادته ومشيئته، فيكون في نفسه منزّهًا عن الولد والتولد والتوليد وأحوال العباد من التوليد والإيلاد وإنما يكون بإرادته ومشيئته.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ ويولد لبعضهم ذكورًا ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ كنبيّنا محمد ﷺ تولد له صنفان، ولإبراهيم تولد له ذكور ولا إناث، ولوط تولَّد له الإناث فقط، وذلك بإرادته ومشيئته ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ كعيسى عليه السلام ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحقائق الأشياء وأحوالها ولوازمها الذاتية والعرضية الوجودية ﴿قَدِيرٌ﴾ [الشّورى: 50] على إيجادها وخلقها وإبداعها واختراعها.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ أي ما يصح لإنسان كونه جامع عنصري ﴿أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ بواسطة ملك، جبرائيل وميكائيل، الأولى مبدأ لظهور الأحكام الإلٰهية والأعلام النبوية والربوبية، والثانية لأحوالها كالأرزاق وما يتفرّع عليها ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ البشرية ونقاب العنصرية ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ من جنس البشر إلى أشخاصهم ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ﴾ ويخبر هذا الرسول ﴿مَا يَشَاءُ﴾ [الشّورى: 51] لمن يشاء، للإنس والجن، والتجلي الكلامي، وهو يكلم الحق بالخلق بالكلام الإلٰهي، وموسى الكليم قد اختص به، وأما محمد ﷺ قد تجلى الله له بجميع أنواع التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية ولأمته، وقد أخبر عن جميع التجليات بلفظ عام يعم الكل بقوله ﷺ: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**». وأخبر عن شهود خصوصية التجلي الآثاري بقوله: «**رأيت ربِّي في أحسن صورة شاب أمرد قطط**»، وقال أيضًا: «**رأيت ربي في أحسن صورة شاب قطط فقال لي: فيم يختصم الملأ الأعلى، فقلت: أنت تعلم أي ربي، هكذا إلى ثلاثة مرات، فقال لي: انظر، فنظرت في ملكوت السماوات والأرض فقلت هذه الآية:** ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75]».

ربما يتجلى الحق ويتكلم لواحد من فقراء أمة محمد ﷺ في ساعة واحدة بل في أقصر ساعةٍ، بل في آن واحد بتجليات غير متناهية، ويتكلم بكلمات إلٰهية من غير لفظ وحرف، وليس الخبر كالمعاينة.

مبحث بيعة المصنِّف للشيخ السيد محمد نور بخش

لمَّا وفَّقني الله لخدمة شيخي وسيدي وسندي، سيد محمد الملقب بنور بخش ـ قدّس الله سرّه العزيز ـ فأمرني أولًا بالخدمة، ثم أجلسني بالخلوة وأمرني بالذكر الخفي، فلما بلغ خمسة أيام في الخلوة قد تجلَّى الله لي على نحو لا يعلمه إلا الله فقال في حق حسام بدليسي: لا شبه له بكشف حالاته الكاملة، تجلى عليه العلي العظيم ألوفًا ألوفًا، آدم يا كريم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عالي وفائق ومستعلي على عروش قلوب العارفين بأطوار شتى، وعلى هيئات أنوار لا تعدّ ولا تحصى ﴿حَكِيمٌ﴾ [الشّورى: 51] حاكم على الطور السري بقبول التجليات الآثارية، وعلى الطور الروحي بشهود التجلي النوري والظهور العقلي والحضور التكويني، ومعاينة أنواع الخلق وأصناف الإيجاد والإبداع، وعلى الطور الخفي بظهور التجلي الإلٰهي والشهود الوصفي، وبمشاهدة الإدراكات الحضورية والصور العلمية الغير المتناهية، وعلى الطور الخفي وغيب الغيوب بالفناء في الله والاستهلاك الكلي والجزئي، وللكليات والجزئيات، ثم شرف العبد الفناء بتشريف خلقه بقاء، وبالتحقيق بذاته وبأسمائه في صفاته في الأدوار والأكوار الإفرادية الجمعية.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ﴾ أي مثل أن أوحينا في الأدوار النورية والأكوار الظليّة الإفرادية، أوحينا في الأدوار والأكوار الجمعية وجمعية الجمعية الأصلية والفرعية ﴿إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ [الشّورى: 52] أي نورًا جمعيًّا وكمالًا نوعيًّا أصليًّا وفرعيًّا، وتجليًا كلاميًّا متنوعًا مختلفًا بحسب المراتب في فردارية جمعية جمعية الأدوار النورية، وفي جمعية جمعية الأكوار الظلّية.

واعلم أن التجليات الأسمائية والصفاتية بحسب المراتب في فردارية جمعية الجمعية الأدوار النورية لها أطوار مختلفة وأنواع متطورة، فإن التجلي العلمي في المرتبة الواحدية والجبروت إنما يكون بالعلم الشهودي الحضوري في مرتبة الملكوت، وعالم الأمر والروح يكون بالعلم الروحي والعقلي، أو في عالم

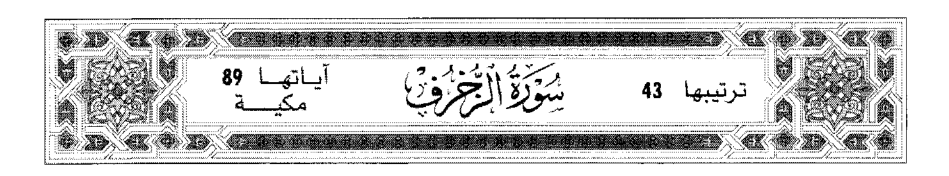
البرزخ بالعلم الجناني، وفي العالم الشهادي ومرتبة الملك إنما يكون بالعلم الحسي في مرتبة الناسوت هي الصورة الجمعية والهيئة الكليَّة المعيّة، وكذا سائر الصفات سيما التجلي الكلامي، فإنه في مرتبة الواحدية. والجبروت إنما يكون من جنس الكلام النفسي الإلهي، كذا حروف عاليات لم يقل متنقلات في ذرى أعلى النقل، أنا أنت، ونحن أنت، وأنت هو، والكل هو، قل عمن وصل، وكذا في كل مرتبة يكون الكلام والحروف من جنس مقتضى تلك المرتبة إلى أن يصل إلى الناسوت، فإن الكلام الإلٰهي في هذه المرتبة إنما يسمع من جميع الجهات كما كان موسى عليه السلام يسمع من كل الجهات.

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ في الأدوار النورية الإفرادية صريحًا ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي التجلي الكلامي الجمعي الإلٰهي الظاهر في الأدوار الجمعية النورية ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي التجلي العلمي الكلي الذي نزل على المراتب إلى أن وصل إلى المرتبة الأخيرة التي انطبقت على المرتبة الأولى الكلية ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ في المرتبة الأخيرة في نهاية الدورة الجمعية ﴿نُورًا﴾ جامعًا وظهورًا لا معاينة المعية ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ الواصلين إلى المرتبة الجامعة بين الإلٰهية والكونية الربوبية والعبودية ﴿وَإِنَّكَ﴾ [الشورى: 52] في الدورة الجمعية النورية ﴿لَتَهْدِىٓ﴾ الأعيان النورية التي قد تطابقت المواليد الجنية الشيطانية بالمواليد الرحمانية الملكية، كما أشار إليه النبي ﷺ: «**إن شيطاني قد أسلم بيدي لا يأمرني إلا بالخير**»، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52] ومناط قويم جامع لتمام الدورات الإلٰهية ومقتضاها.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي الأدوار النورية الجمالية ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي الأكوار الظلية، والمراد من السماوات هي الأدوار والأكوار الإفرادية، ومن الأرض هي جمعية الجمعية للأدوار والأكوار ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الذات الجامعة لتمام الأسماء والصفات ومقتضيات الدورات ﴿تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53] الدنياوية والأخروية في جميع الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية، قال رسول الله ﷺ: «**مَن قرأ سورة حمعسق كان يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل زخرف القول غرورًا لانتظام أمور الدنيا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي قسم رحمته الامتنانية مطابقة لما جرى في الفطرة الأولى والدورة العظمى من المعايش الظاهرة والباطنة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي حفظ أخلّاءه الصادقين وأولياءه الواثقين من محبة الدنيا والإقبال إليها والتوجُّه لديها، وهم الذين ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يُونس: 62].

﴿حمٓ ۝١﴾

﴿حمٓ ۝١﴾ [الزّخرُف: 1] إشارة إلى الدورة العظمى النورية الجمالية.

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ الحكيم الحاكم ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ [الزّخرُف: 2] أي ظاهر الحكم وبيِّن الحكمة والعلم، إشعار بأن دنيانا تغاير دنيا سائر الأدوار، وأن أعيانها إنما هي الأعيان النورية العلمية الحكمية، وأن صورة الروح والنفس والجسم مختفية في اليقين العلمي ونعت القضاء والوصف الحكمي، ولذا وصف الكتاب بالحكيم، وكذا آخرتها تغاير سائر الأدوار وأن حشرها إنما هو حشر نوري ونشر حكمي.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾

﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ﴾ في الحضرة العلمية والنشأة الحكمية ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزّخرُف: 3]

إشارة إلى هذه الدورة والمرتبة جامعة لصور علمية شاملة لجميع الموجودات الجوهرية والعرضية، الفعلية والقولية، الجسمية والنفسية، والروحية والعقلية ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزّخرُف: 3] وتدركون على طريق التعقل الصريح بما ذكر إجمالًا، يعني أن شرط إدراك هذه الدورة إمّا هو العقل الصريح، وحقيقة الشهود الصحيح بالعقل الجزئي الجريح جمعية المولود الإنسي والمولود الجني النفسي أي لكي يدركوا ويفهموا هذه الدورة النورية الصريحة ولمقتضياتها الصريحة ومرتضياتها الجريحة، وأسرارها وخصائصها، وعجائب أطوارها، وغرائب أنوارها، وعظموت تعيناتها، وجبروت تكوناتها الصريحة، وهي الأنوار الظاهرة، والجواهر النورية والفواخر العقلية، والملائكة العالية، والأكوان الضمنية السافلة التي تولّدت معها وتواست بها، فكل عين من الأعيان النورية له توائم تولد معه دفعةً واحدة فتوأمات تمام الأنوار القاهرة العالية تسمى أهرمنياتٍ، والأنوار المتوسطة المديرة للأعيان السماوية توأمات مسميات بالأعيان، يظهر معها في الدورة الكبرى في فردارية اسم الحق كلما كانت تظهر الأعيان العالية بتوأماتها في توأماتها في فردارية تدبر اسم العليم، وكذا يتعين في الدورة الوسطى الأعيان المتوسطة البرزخية، والملائكة المدبرة، والنفوس المدبرة للأفلاك البرزخية، وكذا يظهر في فردارية اسم المريد الأفلاك الجسمية الجرمية، والعناصر الظلمانية، والمواليد الثلاثة الجسمية، وقبل ظهورها خلق الله الملائكة والعقول والنفوس وخلق الألسنة والجانَّ والجنَّ والإنس وكل مولود إنسي تولد معه مولود من الجن، قال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل عليه قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أنَّ الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بخير**» الحديث.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي اللوح المحفوظ، والنفس الكلية، والعقل الكلي، فإنه أصل الكتب السماوية ﴿لَدَيْنَا﴾ محفوظًا عندنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾ أي رفيع وعالي الشأن.

واعلم أن بداية الأدوار الأربعة العظمى النورية والكبرى والوسطى،

والصغرى النورية الجمالية الوجودية الصريحة في كل منها هي الحقيقة المحمدية صريحًا وأصالةً، والماهية العلوية ضمنًا وتبعًا، لأنهما متحدان حقيقة ومغايرتان اعتبارًا، كما أشار إليه بقوله في خطبة البيان رواية عن النبي ﷺ: «**إن أول ما خلق الله نوري، وأنا وعلي من نور واحد**». وقال أيضًا: «**أنا محمد المصطفى، وأنا علي المرتضى**»، كما قال النبي ﷺ: «**علي مني وأنا منه**»، فإذا يجوز أن يعود ضمير (وإنه) إلى القرآن كما روي أنه قال: «**أنا القرآن الناطق وهذا قرآن صامت**» في واقعة معاوية.

﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا﴾ أي إن القرآن عندنا لعليٍّ وولايته ضمنًا خفيًّا في فردارية الدورة النورية الجمالية إذا كانت صريحة، وإذا انتقلت الدورة من النور إلى الظلّ ومن الجمال إلى الجلال الضمني انعكس الأمر وأصبح الظاهر باطنًا والباطن ظاهرًا، والدنيا آخرةً والآخرة دنيا، والولاية نبوّة والنبوة ولاية، وانعكس حكم علي وأنا منه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الزّخرُف: 4] يحتمل أن يكون بمعنى ذي حكمة بالغةٍ وعلم ودراية وهداية كاملة وولاية شاملة ونبوة فاضلة، فيكون صفة للولاية إن كان بمعنى الأول، ووصفًا للنبوة إن كان بمعنى الثاني.

﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾

﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ الفاء للعطف على محذوف، أي أهملكم وأمهلكم فيضرب أي يعرض عنكم القرآن ونصرفه عنكم إعراضًا فيكون مفعولًا مطلقًا من غير لفظ أو مفعول له، وحال بمعنى صافحين معرضين. قيل: إنه بمعنى الجانب، فيكون طرفًا وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيفًا صفح جمع صفوح بمعنى صافحين، والمراد إنكار أن يكون الأمر على خلاف ما ذكرنا من إنزال كتاب على لغتهم ليفهموه ﴿أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ﴾ [الزّخرُف: 5] أي لأن كنتم مسرفين مشركين وهو علة مقتضية لترك الإعراض.

﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦﴾

﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا﴾ للتكثير ﴿مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الزّخرُف: 6] والأمم المتقدمين في الأزمنة المتقدمة والأدوار الماضية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧﴾

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزّخرُف: 7] أي شأن هذه الطائفة وشيمهم مخالفة أمر الله وإنكار الرسل المبعوثة إليهم في الزمان السابق والآن الخالف تسلية لرسول الله ﷺ في مخالفة قومه واستهزائهم به.

﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

﴿فَأَهْلَكْنَآ﴾ قومًا أو أممًا كانوا في القرون السابقة والأزمنة الفائقة ﴿أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ وأقوى مؤاخذة ومخالفة من قوم رسول الله ﷺ في مخالفة قومه واستهزائهم به فأهلكناهم ومضى وتقدم ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ﴾ القوم ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزّخرُف: 8] وحكايتهم وقصتهم عقوبةً وحلول بليتهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي سألت يا محمد قومك ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وما فيهما وعليهما من المخلوقات ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ﴾ القادر القاهر ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على كل العالم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزّخرُف: 9] بكل الموجودات والمعدومات بأحوالهما وأطوارهما إشعار بكمال عنادهم ووفور جهلهم وظهور مكابرتهم، وإنما ذكروا الله باسم العزيز العليم لكونهم في أنفسهم متفردين لدى ظنهم وزعمهم متعظمين فادّعوا لأنفسهم العلم والدراية والإدراك والحكمة والاستدراك.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أو متكأً ومستندًا ليستقروا فيها ويناموا عليها نوم الأطفال في المهد صفةً ثالثة لله ترتبيَّة على أهل الدنيا هم أطفال عالم الطبيعة، وأنهم رغباء سفهاء وخيلاء يشتغلون بما لا يعني، يلعبون فيها لعب الأطفال الحمقى ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ وبيَّن لكم طرقًا، وجعل لكم في سلوككم فيها فرقًا، ونصب عليها دلائل ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ كي ﴿تَهْتَدُونَ﴾ [الزّخرُف: 10] إلى

مقاصدكم الدنياوية وإلى معالمكم الدينية ومقاصدكم الأخروية بالنظر فيها وبذل المجهود لديها .

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ﴾ بمقدار معين وكم متعدد لا يزيد ولا ينقص ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ﴾ وأحيينا بالماء ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي ما مات فيها من أصناف النبات والزرع والأشجار والأزهار والأثمار، وجعلنا منافعها منشورة منتشرة في أقطار البلاد وأطراف سكان العباد ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الانتشار ﴿تُخْرَجُونَ﴾ [الزّخرُف: 11] أنتم يوم القيامة من الأرض منتشرة متفرقة منتثرة، فالقادر القاهر الحكيم الحاكم .

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأزواج والأصناف المزدوجة ﴿كُلَّهَا﴾ [الزّخرُف: 12] من كل نوع وصنف كما قال: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم﴾ [يس: 42] الآية، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ الجارية في البحر ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في البر ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزّخرُف: 12] أي لركوبكم عليها، على تقدير (ما) مصدرية، أو لتركبوها فيهما على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره، إذ يقال: ركبت الدابة وركبت في السفينة، أو المخلوق للركوب على المصنوع له، أو الغالب على الشاذ، وكذلك .

﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿لِتَسْتَوُۥا۟﴾ وتستقروا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أي ظهور مراكبكم، وإنما أفرد الضمير لكونه عائدًا إلى ما وهو مفرد لفظًا وجمعه للمعنى ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ ظاهرة وباطنة ﴿إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ﴾ وتسلطتم واستعليتم ﴿عَلَيْهِ﴾ على المركوب بتسخير مراكبكم في البر والبحر، وتقولوا عند ركوب الدواب: ﴿وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ المركوب ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزّخرُف: 13] مطيقين، من أقرن الشيء إذا أطاقه وحده قرينه إذ الصعب لا يكون قرين الضعيف رقيق الرعب، والقلب

والبدن النحيف بالتشديد، والمعنى واحد وعنه ﷺ: «**أنه إذا كان رجله في الركاب قال: بسم الله، وإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال،** ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزّخرُف: 13]».

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ أي فإنّا بعد الموت الاختياري والفوت الإرادي، أو الموت الطبيعي في القيامة الصغرى «**من مات فقد قامت قيامته**»، أو في القيامة العظمى ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزّخرُف: 14] منصرفون، وهذه متصلة بالآية السابقة لأن الركوب أعم من الركوب على المركب البدني الدنيوي والأخروي، أو البرزخي، فالراكب على أي وجه كان سيما على المركب الدنياوي لاستعلاء بدنه والتعظيم في نفسه الذي يورث الركوب في النار ولا بدّ لا يغفل عن الله، ولذا قيل: من ركب الدابة فقد نجا ومن تعدّى عليها فقد هلك.

واعلم أن الله عيَّن لكل ركوب ذكرًا، فلركوب السفينة عيَّن: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: 41]، ولركوب الأنعام: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزّخرُف: 13].

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ١٥﴾

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزّخرُف: 15] متصل بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ﴾ [الزّخرُف: 9] أي جعلوا له بعد ذلك الاعتراف جزاءً من عباده، ولذا قالوا: هو جزاء للرجل كما قالوا الملائكة بنات الله، ولعله سماه كما سماه بعضًا لأنه بضعة تلد بعد استحالته في مدارج الاستحالات دالة على كمال قدرة الفاعل الكامل في ذاته المستجمع بجميع أسمائه وصفاته ومَن شأنه هذا منزّه عن الولد والتوالد لاستلزامه الدور والتسلسل والمحال ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله ووفور حكمه وعموم إرادته وهجوم مشيئته ظاهرًا وباطنًا، صورة ومعنى، قال النبي ﷺ: «**ابن آدم أنا خلقته فيعبد غيري، وأنا أرزقه فيشكر غيري**» ﴿مُّبِينٌ﴾ [الزّخرُف: 15] ظاهر الكفران ومن ذلك قيل نسبة الولد إلى الله تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ١٦﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم﴾ وآثركم واختاركم ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾ [الزّخرُف: 16] تشنيع وتوبيخ عليهم وإنكار لهم على ما قالوا:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

بأنه ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ بالأنثى اشتدَّ غمّه وامتد حزنه وهمّه ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ وكان ﴿ظَلَّ﴾ وصار ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ وسوادًا في الغاية وقلبه ممتلأ من الحزن ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزّخرُف: 17] صاحب غيظ وألم أطيطٍ ويتشاءمون بها ويتطيرون بقدومها.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟﴾ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين أي يكبر وينبت ويكثر ﴿فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ أي الزينة في طلب النساء ومقتضى طينتهن ومرتضى طبيعتهن الزينة واتخاذ الحلي لنقصان عقولهن وقصورهن في الفهم والإدراك، وفي من يليه وجوه الرفع على الابتداء أو على الخبرية للمبتدأ المحذوف والخفض ردًّا على قوله على الموصول في مما يخلق أو بما ضرب الرحمٰن مثلًا أي إذا أخبر أحدكم ببشارة بما ضرب مثلًا وبين وأظهر للرحمٰن الولد أنثى أي لجنس الأنثى والحال أن الولد لا بد وأن يكون مثل الوالد والوالدة في الصورة والشكل والصفة، والله منزَّه عن الشكل والصورة، فكيف يكون له ولد. وأما نصبه فعلى المدح ﴿وَهُوَ﴾ عائد إلى الموصول ولذا ذكر من ينشأ وتكرير الحلية ﴿فِى ٱلْخِصَامِ﴾ والخصومة والمكابرة والمجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزّخرُف: 18] مظهر للحجة والبرهان على دعواه لنقصان عقولهن وطغيان نفوسهن، فكيف يختار القادر الحكيم الإناث وأنتم لا ترضون بهنَّ.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وأشرفهم وأعرفهم وأعلمهم ﴿إِنَٰثًا﴾ ناقصات العقل والدين، سخيفة الرأي والإيمان واليقين ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الزّخرُف: 19] استفهام للإنكار، أي أنتم كنتم عند الله حاضرين حين الخلق وأشهدكم الله وأعلمكم وعلّمكم مراتب المخلوقات ودرجات فضائل المكونات،

وشرف الممكنات، فتشهدون على ما اختاره الله لنفسه البنات ولكم البنين ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ التي أشهدكم في بداية خلقه على ما أراد في بدء الفطرة وابتداء الخلقة وكيفية الصنعة، وهم ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزّخرُف: 19] يوم القيامة في المحشر العظمى عن أداء الشهادة وكيفيتها.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ﴾ عدم عبادتنا الملائكة ما عبدناهم طرفة عين، فاستدلوا على امتناع النهي عن عبادة الملائكة بنفي مشيئة عدم العبادة وذلك بطلان المشيئة هي ترجيح بعض الممكنات على بعض في الوقوع في بعض الأوقات المخصوصة ببعض الأحوال مأمورًا كان أو غير مأمور منها لا العدم ولذلك جهلهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ الترجيح والتخصيص، نفى مطلق العلم عنهم بقوله: ﴿مِنْ عِلْمٍ ۖ﴾ (من) للاستغراق أي ليس لهم بذلك علم أصلًا لا ظاهرًا ولا باطنًا ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزّخرُف: 20] يتمحلون تمحلًا باطلًا، أو ما هم إلا كاذبين كذبًا صريحًا ومفترين افتراءً صحيحًا في قولهم بأن الله رضي منا بعبادتنا إياهم، وقيل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ في قولهم: إن الملائكة إناث بنات الله.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ [الزّخرُف: 20] أي قبل نزول القرآن بأن يعبدوا غير الله، فإن قيل: والحال على ما قالوا لأن أفعال الأنام والمخلوقين من عباد الله المؤمنين والمشركين، بل ضمائرهم ومشيئتهم إنما هي بخلق الله ومشيئته وقضائه وإرادته ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّافات: 96]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسَان: 30] الآية، بل علمهم بالأفعال والأعمال وبتمام الأفعال إنما هو بتعليم الله وإعلامه كما تقرر من أن الله تعالى عقيب أعمال الحواس الظاهرة والباطنة وترتيب مقدمات القياس، وتركيب موارد المعرفات ومبادئ القول الشارح بخلق الله تعالى الإحساسات والإدراكات الحسية والدرايات النفسية إما وجوبًا كما ذهب إليه الحكماء المتألهون أو عادة كما اختاره الملوك سيما

السماوات أو توليدًا كما صرَّح به أهل الاعتراف ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزّخرُف: 21] قلت: نعم الحال على ما ذكروا إلا أنهم قالوا ذلك على سبيل التقليد لا التحقيق والتأييد، وهم قد ادعوا في هذا المقام التحقيق، فقد كذبوا في دعواهم التحقيق والتحقق بأن قالوا: قد جاءنا كتاب ونحن به مستمسكون في مطلبها وهم كاذبون في تلك الدعوى.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢)﴾

﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ إضراب وذكر فإنهم كالمتحير المتردد والغريق المتشبث بكل حسيس متبدِّد ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزّخرُف: 22] وإلى مصانعهم وآثارهم مقتدون تسلية لرسول الله ﷺ على أن التعليل في نحو ذلك ضلال قديم ووبال عميم، وأن مقدمهم ومقتداهم أيضًا ضالون لم يكن لهم سند ولا سيد لهم إليه مستند، فإذن لا حجة لهم على ذلك لا عقلية ولا نقلية، بل احتجاجهم فيه ليس إلا التقليد المحض والتقييد الصرف.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل القوم الذين اقتديتم بهم ولم يكن فيهم رسول الله فإذا جاءهم أنكروه ﴿مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن﴾ نبي مرسل ﴿نَّذِيرٍ﴾ مخوّف بعذاب القبر والقيامة ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ متنعميها من أشرافهم وأغنيائهم ورؤسائهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ وطريقة وملة أو على طريق طائفة من المتقدمين ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزّخرُف: 23] الأولى عبارة عن الدورة النورية العظمى العلمية التي بها العلم، والثانية الدورة الكبرى النورية إشارة إلى أن مقتضيات الأدوار متطابقة ومرتضياتها متوافقة، وأن اقتضاء الدورة العلمية إنما هو الهداية والصواب والدراية وتتبع سائر الأدوار.

﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٢٤)﴾

﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ﴾ [الزّخرُف: 24] بدين وطريق اعتقاد حق وكمال

يقين بأن يقتضيه سلطان فردارية العلم، فأعيان الأدوار الباقية إن كانت على مقتضى فردارية العلم واقتدوا به كانوا على هداية وصواب وصدق ودراية، وإن كانوا على غير ذلك ﴿مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ من مقتضيات العلم ومرتضياته ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [الزّخرُف: 24] لعدم مطابقة اقتضاء المولود الجني الظلي الجلالي بارتضاء المقتضى الإنسي النوري الجمالي كما أشار إليه النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله تعالى أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير**».

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ وعاقبناهم عقوبة شديدة ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزّخرُف: 25] وعقوبة القوم المعاندين والرهط المكابرين.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ ذكر زمان قوله ﴿لِأَبِيهِ﴾ [الزّخرُف: 26] آزر ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾ [الزّخرُف: 26] الذي أرسله الله إليهم وعدم التفاته إلى ما كانوا عليه من التقليد الفاسد والتقييد بالمنهج الباطل الكاسد، بل تمسك بما قاله الله من تمهيد دين الحق وتشييد بناء الطريق الواضح، الحنيفية البيضاء والملّة المستحكمة الغراء بيَّنها إلى أن طريق العقلاء هو الاقتداء بالنواميس الإلٰهية المؤيدة بالمعجزات الباهرة وخرق العادات الظاهرة كما ظهرت منه لدى التحري بالتحدي والمعارضة، كما فعل به نمرود، والاقتداء بقانون العقل الصريح بالاستدلال بالدليل الصحيح والبرهان الفصيح كما ظهر منه وصدر عنه في بداية الحال، حكى الله عنه وأشهده ملكوت السماوات والأرض، وأيّده بطريق النظر والكشف ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 78-80]، و﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: 9]، وقال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزّخرُف: 26] من المعبودات الباطلة والمحدودات العاطلة والموروثات الباطلة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزّخرُف: 27] والخالق القادر الذي خلقني، استثناء منقطع

أو متصل على أن يعم ذوي العلم والإدراك وغيرهم من أولي الإنعراك، أو إنهم يعبدون الآلهة ويتخذون الأوثان إلٰهًا أو صفة على أن (ما) موصولة، أي إنني براء من آلهةٍ تعبدونها إلا الذي فطرني وخلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزّخرُف: 27] ويرشدني.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً﴾ أي إبراهيم ملكة الهداية الثابتة والدراية الثانية، ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً﴾ شافية في القلوب حتى يبقى أثرها من الدهور والأكوار وكرّ الشموس والبدور ﴿فِي عَقِبِهِۦ﴾ وذريته وأحفاده من الأنبياء والأولياء والحكماء والأمراء والعرفاء والفقهاء، فتكون تلك الهداية في الملَّة البيضاء، والنحلة الغراء، باقية تشفي القلوب بماء حياة التوحيد، ويصفي أسماع سرّ الغيوب بزلال التفريد ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزّخرُف: 28] من غياهب الظلمات والتقليد وغرائب كدورات التقييد إلى نور الحق وظهور أمر الدين للخلق.

﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ٢٩﴾

﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ﴾ المعاصرين للرسول، القاصرين في قبول الحق وإظهاره لجمهور الخلق ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ [الزّخرُف: 29] ظاهر النبوة، باهر الرسالة، شاهِر الولاية، أو تبين من التوحيد وتعين الأحكام والتجديد بالحجج الواضحة واللجج الموضحة.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ بالكتاب الفصيح عن الحكم الثابت ﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ الرسول أو الكتاب ﴿سِحۡرٞ﴾ يجعل الباطل حقًّا والعمل حتمًا، والمماطل المظلم ضياء وبرقًا ﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزّخرُف: 30] ومنكرون وجاحدون.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ﴾ يعني الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي ﴿مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ﴾ وأحد الموضعين مكة والطائف ﴿عَظِيمٍ﴾ [الزّخرُف: 31] بالجاه والمال والبنين، والجاه والمنازل، فإن الرسالة أعظم المناصب وأكرم المناقب لا يليق ولا يجري ولا يليق به إلا من هو ذو نفس كاملة وشريفة فاضلة،

وصاحب مشاهدات غير متناهية.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ أي النبوة الذاتية التشريفية والتعريفية، إنكار فيه تجهيل وتعجيب وتقبيح في حكمهم الباطل وجرمهم العاطل ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ حسبما يقتضيه القضاء الأزلي والحكم الأولي ظهورها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والنشأة الأدنى، وإنما غير أسلوب الكلام بينهما على أن عقولهم وأرواحهم بمعزل عن الأول لانغماسهم في ظلمات الطبيعة وأنهم لكونهم عاجزين عن تدبير المعاش وتقديره نفى جميع التصرفات عنهم وأضافهما إلى نفسه ونزّلهم منزلة البهائم بل الجماد ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في استيفاء الرزق وكميته وكيفيته وسهولة تحصيله وحلاله وحرامه وغير ذلك من الأحوال، وكذا في غيره من الأمور الظاهرة والباطنة ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ مسخرة، أو يستخدمهم في الحوائج وتحصيل الحوائج ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ من حطام الدنيا التي خلقها لمعاشكم وانتظم أحوال انتعاشكم من الأغذية والأشربة والأدوية والألبسة والأمكنة والأهوية وغير ذلك مما ينظِّم أحوال المبدأ والمعاد والمعاش ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزّخرُف: 32] ويدخرون بلا إنفاقٍ منه.

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ولولا كراهية أن يجتمعوا على ملة واحدة وهو الكفر، وينطبعوا عليه ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا﴾، ﴿بِالرَّحْمَٰنِ﴾ متعلق بـ﴿يَكْفُرُ﴾، و﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدل من لـ﴿يَكْفُرُ﴾ بدل اشتمال، أي لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عند الله للكفار بيوتًا ذات سقفٍ مرفوعة وسرر موضوعة ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ وذهب وجعلنا لهم زخرفًا ﴿وَمَعَارِجَ﴾ وممارق ومصاعد ﴿عَلَيْهَا﴾ أي موضوعة على البيوت ﴿يَظْهَرُونَ﴾ [الزّخرُف: 33] يستعلون عليها.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا﴾ أي فيها أرائك ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾ [الزّخرُف: 34].

﴿وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَزُخْرُفًا﴾ وزينة وحلية، عطف على سقف أو على محل من فضة ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الحطام وما يتبعها من الزخرف ﴿لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ومبتغاها ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ وما فيها من النِّعم وشهود اللقاء، ومشاهدة التجلي بأنواعه، وهو الذاتي والصفاتي والأفعالي والآثاري ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ لتقدسها عن الكدورات وبقائها وشرفها، ونقائها عن ألواثِ الطبيعة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزّخرُف: 35] منخفضين بحدسهم عن مخالفة مراد الله ومرتضاه، وفيه دلالة على أنَّ التعظيم والكرامة والتكريم إنما هو في الآخرة لا في الدنيا لأنه يفضي إلى العصيان والفسق والكفران والجور والطغيان المؤدي إلى كمال المذلَّة والخسران يوم القيامة عن الجنة والرضوان.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَمَن يَعْشُ﴾ ويعرض ويبعد ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الزّخرُف: 36] وشهوده ناشئًا عن التوغل في أمور المعاش والانغماس في أمور الانتعاش ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: 124] الآية، ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ﴾ من القيض وهو الظهور، وهو جمع متكلم من التفعيل، أي يظهر من انغمس في أمور الدنيا من المال والجاه والمناسك والأولاد غاية الامتثال ﴿شَيْطَٰنًا﴾ ويجعل له صاحبًا فأغشاه وشغله عن ذكر الله ﴿فَهُوَ﴾ أي الشيطان ﴿لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزّخرُف: 36] حين الولادة إذ كل مولود إنسي يولد معه قرين من الجن كما قال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكّل به قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**»، وفي رواية: «**فهو قرين وقريب لا يفارقه أصلًا**». روي أن الكافر إذا بُعث يوم القيامة من قبره أخذه شيطانه بيده ولم يفارقه حتى يدخله إلى النار.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي الشياطين يمنعون ابن آدم عن طريق الحق والإسلام ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ أي بنو آدم ﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزّخرُف: 37].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ العبد، وحينئذ ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزّخرُف: 38] أنت يا شيطان. عن أبي سعيد الخدري: إذا بعث الكافر راح واقترن بقرينه من الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار. هذا بيان تحقيقه مصيره الدنيا وحبها وحبّ ما فيها من الأموال والمناصب والجاه وجهاتها تجعل للعبد بعدًا وتعميه عن شهود الحق وتجلِّيه.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ الخطاب للإنسان وقرينه الشيطان، يعني لا ينفع لكم في يوم القيامة الندامة ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ لأنكم ظلمتم في الدنيا على أنفسكم وعلى غيركم ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزّخرُف: 39] لأنكم قد ظلمتم أنفسكم. وإذا قرئ بفتح الألف يكون فاعلًا لينفع، أي لا ينفع الاشتراك في تخفيف العذاب لابن آدم ولا الشيطان، وإن قرئ بالكسر تكون إذ ظرفًا لقوله: ﴿يَنفَعَكُمُ﴾، وإن لعدم النفع يعني إن اشتراككم في العذاب يمنع النفع في تخفيف العذاب لأنهما لكونهما ظالمين استحقوا العذاب، فتخفيف العذاب عن أحدهما دون الآخر ترجيح بلا مرجح، وفيهما انجلت الحكمة إذ الغرض من تعذيب العباد إصلاحهم وتركيبهم من الأوصاف الرذيلة والهيئات الدنية كما كانوا في بدء الفطرة في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأنعام: 172] متقدمين عن الملكات الرديئة والصفات الذميمة ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعَام: الآية 94] فعلى هذا التقدير فاعل لن ينفعكم.

أما معنى: ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ [الزّخرُف: 39] هو الوقت والزمان والمقدر كما أشرنا إليه، أو مضمون ينفع على تضمنه معنى الوقوع والظهور أي لا يقع ولا

يظهر لكم النفع في ذلك اليوم، وهذا نظير: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 94] أي ظهر ووقع التقطع والانقطاع.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ [الزخرف: 40] والطُّرْش الذي فطرهم الله عليه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الرُّوم: 30]، ﴿أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ [الزّخرُف: 40] الفطري ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [الرُّوم: الآية 52] الآية، ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزّخرُف: 40] عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين، فيه إشعار بأن الموجب للعُمي تمكنهم في ضلال لا يخفى.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ وقبضناك قبل نصرك وظفرك على الأعداء (ما) مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استخلاف النون المؤكدة ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ [الزّخرُف: 41] بعدك في الدنيا والآخرة بنصرة خلفائك كما فعلت بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فإن بعد وفاة النبي ﷺ قد خرج اثنا عشر رجلًا على المسلمين فتبينوا منهم مسيلمة الكذاب وأسود العنسي وادّعوا النبوة، فنصر الله تعالى أبا بكر وأهلكهم بيده، وفتح ملك مصر، وبعض العرب، وظفر عمر بعده فسخر ملك الروم والعجم وأهلك ملوك العجم وفتح ملكهم إلى نهر آمو، وبعد قتله نصر عثمان وفتح ملك ما وراء النهر إلى كاشغر، وإذا انتهى إلى فتح البلاد وقتل الخوارج وأهل العناد، وهكذا أعزَّ الله الإسلام ورفع أعلام الدين.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ أي أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب في الدنيا من القتل والسبي والإجلاء عن الوطن وغير ذلك ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزّخرُف: 42] إكمال لتسلية الرسول ﷺ بأنه تعالى يقتدر على انتقامهم وإمضاء الأحكام الدينية وإعلاء الأعلام الإسلامية.

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ﴾ من القرآن وأحكام الغفران واعمل بها، وأمر بالعمل ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزّخرُف: 43] وعلى دين قويم، فكل من استمسك به واستسلكه فاز بالسعادة الأخروية وجاءته الدولة الدنياوية.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ وشرف خاص بك ﴿وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾ ولمن تبعك ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ عن القرآن وكيفية العمل به والذكر الجميل الذي يحصل من العمل والعلم به، فإنه قائم مقام الحياة الشريفة بل أشرف وأفضل منه إذ آثاره الجميلة باقية في الدنيا والآخرة، ولذا سأل إبراهيم بقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 84] واجعلني من ورثة الجنة والنعيم.

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ من إبراهيم وصحفه، وموسى والتوراة، وداوود والزبور، وعيسى والإنجيل ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزّخرُف: 45] استفهام على سبيل الإنكار، يعني هل جعلنا وحكمنا في الملة السابقة والأمة السابقة بعبادة الأوثان وعبادة الأصنام وأهملنا التوحيد وأمهلنا التوعد والزجر والتهديد في وقت من الأوقات وزمان من الأزمان في عهد نبي من الأنبياء وولي من الأولياء، إشارة إلى أن عبادة الأوثان وطاعة الأصنام ليست إلا من شيم الجُهَّال الذين لا عقل لهم ولا نقل لهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي المعجزات السبع والتوراة، ومنها العصا والدم والطوفان والجراد والقمل ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ وأشرافه وأعيانه وأركان دولته ﴿فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزّخرُف: 46] الغرض من هذا الاقتصاص

تسليته الرسول ومناقضة أقوالهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31]، والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد بأنواعه، وهي التوحيد الذاتي والصفاتي والأفعالي والآثاري.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزّخرُف: 47].

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من آياته العظمى وبيناته الكبرى ﴿إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ أي الباقية منها، إشعار بأن الآيات الإلٰهية وإن كان معادنها واحدة إلا أنها بحسب التأثير ومن حيث التصريف والتأثير متفاوتة الدرجة، فإن (آية) تكون بالنسبة إلى عموم الخلق كفلق البحر وغرق الكل أعظم درجة وأكبر نتيجةً من اليد البيضاء وصيرورة العصا ثعبانًا، وعلى هذا القياس ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ كالدم والجراد والضفادع ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزّخرُف: 48] من الكفر والمعصية والشرك إلى الإيمان والطاعة وكمال الإيقان.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ تسمية موسى ساحر إما بناء على المتعارف المشهور من تسمية العالِم النحرير والماهر التدبير ساحرًا، قال النبي ﷺ: «**إن من البيان لسحرًا**»، أو لكمال وفور الحماقة أو بناء على زعمهم الفاسد واعتقادهم الكاسد ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزّخرُف: 49] نظرًا إلى الوجه الأول بأن يكشف عنا العذاب.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ في الدنيا ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الزّخرُف: 50] وينقضون العهد وينقضون الوعد بالاقتداء والمتابعة والاقتفاء.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ بنفسه وبمتابعة الغير وترجمانه ونيابته ﴿فِي قَوْمِهِۦ﴾ وأشياعه وأشرافه وملإه بعد كشف العذاب المعدود والعقاب الموعود مخافة أن يؤمنوا كلهم أو بعضهم بموسى ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ يعني الأنهار التي فصلوها وفرزوها من النيل وأعظمها أربعة: نهر الملك، ونهر طولوط، ونهر حباط، ونهر يلبس، كانت هذه الأربعة من الأنهار التي تجري من تحت قصره ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: 51] هذه الأنهار الجارية تحت قصري فتعظِّموا سلطاني، فتلك هي حجتي وبرهاني ويجلو حالي وشأني.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ بهذه الحالات الشريفة والكمالات الأنيفة، والملكية اللفيفة، والبسيطة الكثيفة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ الرجل ﴿ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير لا شيء معه حتى إنه عاجز في جميع الأمور سيما ما هو ملاك المقاصد وإكمال المراصد، يعني الكلام إن فرعون قد أهان موسى وحقّره بأنه لا يليق بمصر وأنا أحق منه، (أم) إما منقطعة والهمزة فيها للتقرير، أو متصلة على إقامة المسبب مقام السبب. والمعنى أفلا يتعرَّفون أحوالي وكمال حكمتي وتمام بسطتي إني خير وأليق من موسى لمُلك مصر وولايته، والحال أنه ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزّخرُف: 52] أي لا يقدر أن يبين ويظهر عن المطالب الظاهرة والباطنة، ولذا سأل الله تعالى بقوله: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾ [طه: الآيات 23 - 28] الآية.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ إذ عادة القوم قد جرت بأنهم إذا جعلوا واحدًا منهم رئيسًا أو واحدًا فيهم مقدمًا وأسيسًا سوّروه مسوّرًا بسوارين من ذهب وفضة، وكذا طوقوه بطوق من ذهب، فإذًا فرعون قد طلب هذه الحالة قياسًا للنبوة على الإمارة والسلطنة والإيالة ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزّخرُف: 53]

ومقارنين معه في الوجود ليصدقوه ويقاتلوا الخلق على صحة دعواه النبوة.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ أي طلب منه الخفة والسهولة في أمر الدعوة والإطاعة ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما أمرهم به من الأحكام الإلٰهية والأعلام الدينية، والحال إن القوم قد تخلفوا عنه واختلفوا فيه ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا﴾ وطائفة ﴿فَٰسِقِينَ﴾ [الزّخرُف: 54] من شأنهم الفسق والخروج عن طاعة الله ومطاوعة أمره وإطاعة حكمه.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ اغتضبونا بالإفراد في العصيان والعناد منقول من أسف إذا اشتد غضبه وامتد تعصبه وعصبه ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ وأجرينا الانتقام والعذاب عليهم ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزّخرُف: 55] في اليم.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزّخرُف: 56] جمع سالف من سلف إذا تقدم وضده خلف. وقرئ بضم السين جمع سليف كرغُف جمع رغيف.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ عيسى عزة وخلقًا ﴿مَثَلًا﴾ [الزّخرُف: 57] أي ضرب الله ابن مريم وبيَّنه مثلًا وقصةً وحكاية لسرِّ الألوهية والتوحيد بأن الألوهية والربوبية لا تليق إلا بالذات الواحدة المنزهة عن نعوت الأجسام ونعوت الأجرام من الولد والتوالد، وبقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبيَاء: 98]، وقد عبدت النصارى عيسى زاعمين بأنه ابن الله، والحال إن الملائكة لتجردهم عن الصفات البشرية والهيئات العنصرية أحق بذلك، وأن الحقيقة المحمدية لكونها أقدم وأتم وأعمّ أليق بالعبودية ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ﴾ أي قريش من هذا المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ [الزّخرُف: 57] إذا كان الحال كذلك فإن قومك من هذا المثل والقصة يفرحون فرحًا ويضحكون ضحكًا لظنهم أن الرسول ﷺ صار ملتزمًا به بأن يعبد كما عُبِد عيسى، يصدّون من الصدود وهو الامتناع والإعراض.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ أي آلهتنا خير عندك أم عيسى، فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه أو آلهتنا والملائكة، فإذا جاز أن يعبُدَ ويكون ابن الله في النار كانت آلهتنا أولى بذلك، وآلهتنا خير من محمد لنعبده وندع آلهتنا ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ ما ضربوا هذا المثل إلا لأجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزّخرُف: 58] شدادون في الخصومة، سدادون باب النعومة.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩﴾

﴿إِنۡ هُوَ﴾ أي محمد وعيسى ﴿إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الزّخرُف: 59] بِنِعَم الوجود كسائر العباد حيث جعلناه كآدم آيةً بأن خلقناه من غير سبب فآدم أعجب منه لوجوده بلا سبب من أم وأب.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ٦٠﴾

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ﴾ أمورًا عجيبة وطورًا غريبة ﴿لَجَعَلۡنَا مِنكُم﴾ لولدنا منكم وأظهرنا أشخاصًا كثيرة وأفرادًا غفيرة بلا أب كخلق عيسى بلا أب وأم، فإن من اقتدر على خلق فرد بلا سبب اقتدر على أسباب، أو نجعلُ ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾ بدلكم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾ [الزّخرُف: 60] ويحكمون على وجه الأرض بل في السماوات والأرض كما تحقق من أن الله تعالى خلق في فردارية الدورة العظمى النورية الوجودية الجمالية أعيانًا عظيمةً وأكوانًا جسيمة لا يعلم عظمها وعجائبها إلا الله وهي الملائكة، وكذا خلق من نوبة فردارية الكورة العظمى مخلوقاتٍ عظيمة وأكوانًا عجيبة لا يعلم كميتها ولا كيفيتها إلا الله وهي الإهرمينات التي هي غيب الملائكة وباطنها يزينها باطن العلم وغيبه، وهكذا يخلق الله في الدورة الكبرى والوسطى النورية والوجودية، وفي الكورة الكبرى والوسطى الظلّيّة الجلالية العدمية الإفرادية، مخلوقات لا يعلم كنه حقائقها كمًّا وكيفًا، وعجائب وغرائب إلا عالم الغيب والشهادة، وبداية كل دورة وكورة ونهايتها هي آدم عليه السلام.

قال النبي ﷺ: «**إن الله خلق آدم في سبعة آماد، والأمد هو الدهر الطويل لا**

يعلمها إلا الله ونحن في الأمد الأخير».

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي عيسى ونزوله وظهوره علامة وأمارة وولاية على ظهور الساعة، وفيه القيامة يدل على قدرة الله وحكمته ووفور مشيئته وكمال إرادته. قيل: الضمير للقرآن، قال النبي ﷺ: «**يُنزل الله عيسى على أرض مقدسة يقال لها أفيق، وبيده حربة وبها يقتل الدجال، ويأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام فيتقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويحرق البِيَع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن**». ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ فلا تشُكُّوا بها، هذا من مَقال عيسى ﴿وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزّخرُف: 61] أي اتبعوني فيما أُمرتم به من تكميل دين محمد ﷺ، فإن هذا الدين صراط قويم وسبيل مستقيم لا عوج فيه.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ولا يمنعنكم عن متابعته ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الزّخرُف: 62] ظاهر العداوة وشديد الخصومة بأنه أخرجكم من الجنة وأوقعكم في الظلمة والغفلة.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ في البعثة الأولى بالمعجزات وخرق العادات أو بالآيات الإنجيلية والشرايع الواضحات الملية ﴿قَالَ﴾ عيسى ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ البينة والنحلة المبينة من الصفات الإلٰهية والأسماء الذاتية والأفعالية وتجلياتها ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزّخرُف: 63] في أمر الدين الذي يتعلق بكيفيات الأعمال التي هي مطية الآخرة، يعني أن قوم موسى كانوا قد اختلفوا في أشياء من أحكام الشريعة وأعلام الطريقة واتفقوا على شيء من الحكميات الإلٰهية وهي ذات الله وصفاته وأسمائه وأفعاله، فجاء عيسى ليبين لهم الحق في تلك المسائل الخلافية، يعني أن أصول الدين محكمة لا يتطرق إليها الاختلاف لقوله

تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشّورى: 13]. وأما فروعه فهي التي تتعلق بالأعمال والأفعال التي يتعلق بها ظاهر الأحكام الإلٰهية. وإنما لم يبين بعض الذي اختلفوا فيه لأنه لا يجدي نفعًا ولا طائل لا في الدين ولا في الدنيا، قال النبي ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»، وقال ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الكفر وفي ما لا ينبغي لقوله ﷺ: «**من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه**»، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الزّخرُف: 63] فيما أمرتكم به من الأصول والفروع التي يبنى عليها الوصول إلى ما توجهت إليه ذوات العقول.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ بيان للأصول والفروع ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزّخرُف: 64] إشارة إلى الدين الذي يبين الأصول والفروع.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ والفرق التي تتخالف وتفترق ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ [الزّخرُف: 65] النصارى واليهود والمسلمين في الأحكام الدينية والفروع الإسلامية ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ من المتجبرين والفرق المتشيعين ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزّخرُف: 65] بيان للموئل أو للتبعيض.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي الظالمون أو قريش ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ ويوم القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ بيان للساعة أو بدل منها ﴿بَغْتَةً﴾ فجأةً دفعةً واحدة، وذلك لأن الساعة إنما تظهر دون انتقال الدورة ونوبة البرية من اسم إلى اسم آخر وهو وقفي لا يعلمه إلا الله ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزّخرُف: 66] مجيء الساعة وقيام القيامة.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ الأحباء ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾ [الزّخرُف: 67] أي يوم القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

﴿عَدُوٌّ﴾ يتعادون ويظهرون العداوة بينهم لانقطاعهم عن العلاقة وارتفاع المحبة والمودة من بينهم لاشتغال كل منهم بنفسه، وإظهار العداوة زعمًا منهم أن يخلصهم من عذاب هذا اليوم، وذلك لأنهم كانوا يتحابون في الدنيا لأغراض الدنيا، فتبدلت المحبة بالعداوة، والمودة بالبغضة والندامة ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزّخرُف: 67] فإن محبتهم كانت في الله فكانت نتائجها وثمراتها أبد الآباد باقية وخمور بهجتها للمتحابين في الله ساقية.

﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الزّخرُف: الآيتان 68، 69] صفة للمنادى، والواو حالية.

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ والآمر هو الله والملائكة ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ نساؤكم المؤمنات المتوافقات ﴿تُحْبَرُونَ﴾ [الزّخرُف: 70] تسرُّون سرورًا يظهر نضارة آثارها في وجوهكم، أو تزينون أو تكرمون إكرامًا مبالغًا من الحبرة وهي المبالغة فيما وصف بالجميل.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ وهي التي يُطعم فيها ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب وهو كوز لا عروة فيها، الأولى إشارة إلى الطعام والمطعوم، والثانية إلى المشروب ﴿وَفِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ من المطعومات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ في الجميع إذ للعين لذّة وراء لذّة النفس ربما تكون ألذّ، وقد قيل: إن الأذن تعشق قبل العين، إشعار بأن لذَّة النفس إنما هي مقصودة بالذات دون السمع ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [الزّخرُف: 71] هذا أتمّ اللذّات إذ فناء اللذّة وزوالها ينقص اللذّات وينقص السعادات والمشتهيات.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزّخرُف: 72] تلك إشارة إلى الجنة المذكورة مبتدأ، والجنة خبره، والجنة صفة تلك التي صفتها، والمجموع مبتدأ خبرها محذوف.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزّخرُف: 73] لكثرتها ودوامها.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكاملين في الإجرام وهم المشركون والكافرون لأنه جعل قسيم المؤمنين وحكى عنهم ما يخصهم من الكفار ﴿فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [الزّخرُف: 74] خبر (إنَّ) والظرف مقدم على (خالدون) للتخصيص.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ لا يخفَّف من الفتر والفتور وهو الضعف والخفة ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾ أي العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ [الزّخرُف: 75] آيسون من النجاة والخلاص.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزّخرُف: 76] في أنفسهم على أنفسهم وعلى غيرهم بأن صدوهم عن الإيمان بالحق.

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ واطلب ربّك ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ويحكم لنا بخفة العذاب ﴿قَالَ﴾ قال مالك في جوابهم ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزّخرُف: 77] في العذاب قدر ما يبقى من آثار الظلم.

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ من تتمة الجواب أي بالكتاب الذي أنزل بالحق ونطق بالحق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزّخرُف: 78] للصواب والصدق.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزّخرُف: 79] أي بالغوا وتشددوا في تكذيب الحق وإنكاره ورده فإنا مبرون في مجازاتهم بالعذاب الشديد والعقاب العتيد.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ حديث أنفسهم بذلك الأمر ﴿وَنَجْوَىٰهُم ۚ﴾ أي حديث خفي ﴿بَلَىٰ﴾ نسمعها ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلة على حفظ أعمالهم وضبط أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزّخرُف: 80] ذلك العمل والعقل والقول الصادر عنهم في صحائف الأعمال.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزّخرُف: 81] له وأولى به، فإنَّ النبي يكون أعلم بالله وبما يصح لديه وبما لا يصح، وأحق بتعظيم من يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد لتعظيم الولد.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزّخرُف: 82] فإن هذه الأجسام لكونها أصول الأجسام المتولدة تتنزَّه عما يتّصف به سائر الأجسام المتولِّدة من التوالد وتوليد المِثل، فما ظنك بمبدعها وخالقها.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في أباطيلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الزّخرُف: 83] أي القيامة. هذا الكلام يدل على أن قولهم جهل مركب هو رداء أمراض النفوس واتباع هوى النفس، وإنهم مطبوعة قلوبهم عن ذكر ربهم ومعرفته، ومعذبون في الآخرة على مقتضى شركهم وكفرهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾ مستحق لأن يُعبد فيهما ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الزّخرُف: 84] الحاكم في ملكه على مقتضى الحكم الإلٰهية في الواحدية والجبروت

ومرتضى الربوبية في الملكوت والخليفة على ما يليق بكمال قدرته وإرادته في عالم الملك والشهادة والبرزخ الحائل بينهما ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزّخرُف: 84] بما كان في الأدوار الأربعة النورية الجمالية الإفرادية، وفي الأكوار الظلّيّة الجلالية الفردارية وفي جمعيتهما.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الزّخرُف: 85] من الكائنات والحوادثات والهواء وما يتكون، وطبقات العناصر، فإن في كل من كرات النار والهواء والماء والأرض متولدات من الخلق والشياطين والأبالسة والحيتان، وفي طبقات الأرض، فإن في كل طبقة منها نوعًا من المخلوقات كما صرَّح ابن عباس في تفسير: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطّلَاق: 12]، ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزّخرُف: 85] جميع المخلوقات دفعة أو تدريجًا.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ويعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾ الله من الأوثان والأصنام ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزّخرُف: 86] كما زعموا أنهم شفعاؤهم يوم القيامة عند الله إلا من شهد بالحق وهم يعملون بالحق والحقائق والتوحيد، وأصنافه من الذاتي والصفاتي والأفعالي والآثاري والجمعي بصورة الإنسان الكامل. والاستثناء متصل إن أريد بالموصول كل ما عُبِد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح والكواكب وغير ذلك، ومنفصل إن اختص بالأوثان والأصنام.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزّخرُف: 87] يصرفون من عبادته إلى عبادة غيره.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ يعني قول الرسول ﷺ، نصبه للعطف على الساعة أو لإضمار فعل، أي وقالَ قيلَ وجرُّه، وحمزة قرأ بالرفع على أنه خبر مبتدأ أو عطف على علم الساعة ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الزّخرُف: 88] بتقدير مضاف. قيل: هو قسم منصوب بحذف الجار أو مجرور بإضمار أو مرفوع بتقدير: وقيل: يا رب قسمي، وإن هؤلاء: جوابه.

﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾

﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي أعرض عنهم ودعوتهم آيسًا عن إيمانهم ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ على من اتَّبع الهدى ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزّخرُف: 89] وفي التفسير الكبير للرازي هذا منسوخ بالسيف.

وعندي التزام النسخ في أمثال هذه المواضع مشكل لأن الأمر لا يفيد إلا مرة واحدة فإذا أتى به مرة واحدة فقد سقط دلالة اللفظ، فأي حاجة إلى التزام الفسخ والنسخ، وأيضًا فمسألة يمين النذر مشهورة عند الفقهاء وهي دلالة على أن اللفظ المطلق قد يتقيد بحسب قرينته، وإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة إلى التزام النسخ.

قال رحمة الله عليه: تمَّ تفسير هذه السورة يوم الأحد من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعمائة والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

تمَّ تفسير هذه السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل دخان نائرة محبته الذاتية وهو مقامات النفس ومجاهدتها شاهدةً على وقودها في مجمرة الفؤاد ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي بطش بيد قهرمان قدرته الجلالية أعيان أدوار النور في تربية الجمال دون انتقال دورة الدولة الوجودية، وارتحال السلطنة الشهودية إلى سلطان الظل والعدم وقهرمان الجلال ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أمات المحبين بموت الاختيار وأدخلهم في جنات التجليات الذاتية التي لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى في الدورة الأولى والآخرة.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الدّخان: 1، 2] القرآن والفرقان، عطف على ﴿حمٓ﴾ إن كان مقسمًا به وإلا فللقسم والجواب.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ في ليلة القدر أو البراءة منتصف شعبان مبتدأ، وفيها إنزاله أو أنزله فيها جملة إلى السماء من اللوح ثم أنزل إلى الرسول ﷺ نجومًا وتركبها لذلك فإن نزول القرآن سبب المنافع الدينية والدنياوية أو لما فيها من الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وإصابة الرحمة ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدّخان: 3] استئناف يبيِّن المقتضى للإنزال.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾

وكذلك قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ أي في تلك الليلة يفرق ويميز كل من الأمور الدنيوية والأخروية والدينية، حكيم محكوم عليه بالثبات والسعادة، وبالتغير والزوال، أو المنبسط بالحكمة والمصلحة التي يعلم بها حقائق الأشياء أو خواصها ولوازمها على وجه نطق به القرآن وحقق لها مضمون الكتاب والفرقان. ويجوز أن يكون الظرف صفة لليلة، كقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: 4].

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾

حال كون الأمر ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ أعني بهذا الأمر أمرًا من عندنا على مقتضى حكمتنا ومرتضى مشيئتنا وقدرتنا وإرادتنا، ويجوز أن يكون المراد به مقابل النهي، ويجوز أن يكون حال على ثلاثة أوجه من أحد الضميرين في أنزلناه، وإما من ضمير الفاعل أي إنا أنزلنا آمرينَ أمرًا أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرًا من عندنا بما يجب أن يعقل وأن يكون من كل أمر حكيم ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدّخَان: 5] بدل من ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدّخَان: 3].

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾

﴿مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الدّخَان: 5 ـ 6] أي أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل الرحمة عليهم، وإنزال النعمة لديهم، وضع المظهر موضع المضمر للإشعار بأن الربوبية تقتضي ذلك، وأنه أعظم أنواع التربية. ويجوز أن يكون علة للتفرق أو لأمر أو رحمة مفعول به أي يجعل فيها كل أمرين من قسمة الأرزاق والالتفات من التكلم إلى الغيبة، وأنه عند كونه متكلمًا هو من عند غيبته وبالعكس ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ أقوال العباد جهرًا كان أو خفيًا، علانية أو سرًّا، حالًا أو مآلًا، نطقًا أو جمعًا أو فرقًا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الدّخَان: 6] بتمام الأعيان وعموم الأكوان في جميع الأدوار والأكوار وكل الأكوار وأحوالها إنه يعلم السر وأخفى.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي الأدوار النورية الجمالية الوجودية وأعيانها، والأكوار الظلية الجلالية والعدمية وأكوانها الإفرادية ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ من الأكوار والأدوار الجمعية، بيان وتفصيل لما أجمل بدل من ربك أو استئناف وإن قرأ بالضم أو صفة لربك ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الدّخان: 7] أي صرتم من أهل الكمال والإيمان والقبول والإذعان في العلوم والاتقان والاستحكام في الاعتقاد واليقين.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الدّخان: 8] لا يقال: ظاهر الآية لا يدل على أنه ربّ الكل لعدم انحصار العالم على المذكورة لأنا نقول: تنحصر الموجودات عليهما.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ [الدّخان: 9] يعني أن إقرارهم ليس عن يقين بل هو مشوب بهزاء وبعد إضراب مما سبق.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدّخان: 10] يعني انتظر يا محمد عذابهم، ويوم مفعوله، إن النبي ﷺ دعا بمكة لما كذّبوه: «**اللهمَّ ارفع القطر، وخرِّب الأرض بقطع الغيث ومنع المطر، واجعل عليهم سني يوسف**» الحديث. فانقطع المطر ووقع القحط واشتدت المجاعة حتى أكلوا الجيف والعِظام والكلأ فكان الرجل من شدة الجوع يرى بينه وبين السماء دخانًا لارتفاع بخار قدر المعدة من غليانه بنار الجوع، أو لقلة المطر وشدة حرارة الشمس وانعكاس شعاعها واحتراق ما على الأرض يرتفع من الأرض دخان، فهذا الأمر عام يشمل الكل ويظهر لجميع الناس. والأول يختص بفرد فرد، أو المراد دخان يكون من أشراط الساعة كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الآيات: الدخان، ونزول عيسى عليه السلام، ونار تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلى المحشر. قال حذيفة: وما الدخان؟ قال ﷺ: التي تملأ ما بين المشرق والمغرب، تمكث أربعين يومًا**

وليلة. أما المؤمن يصيبه كهيئة الزكام، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخره وأذنيه ودبره».

هذا موافق لما قد تقرر لدى أرباب التنجيم من أن طالِع العالم وهو السرطان إذا انتهى إلى كوكب ثابت ناري وهو في الأسد يقال له قلب الأسد، فحينئذ يظهر طوفان النار ويهلك أكثر أهل العالم، بل الكل إلا من شاء الله، وذلك عند استكمال الدورة الوسطى من آخر أدوار الدورة الصغرى. عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «إنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة ويدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ، ويعري المؤمن كهيئة ويكون كلها كبيت أوقد فيه وليس فيه خصاص». قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ الآية وقال: «**تملأ ما بين المشرق والمغرب، تمكث أربعين يومًا وليلة، أما المؤمن فتصيبه كهيئة الزّكام، وأما الكافر فهو كهيئة السكران، يخرج من منخره وأذنيه ودبره**».

عن ابن مسعود رضي الله عنه: خمس قد مضت: الروم، والدخان، والقمر، والبطشة، واللوازم. روي أنه قيل لابن مسعود: إن قاضيًا عند أبواب كندة يقول: إنه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق، فقال: من عَلِمَ عِلْمًا فليقل به، ومن لم يَعْلم فليقل الله أعلم، فإن من عِلْم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه: الله أعلم.

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَۖ﴾ ويشملهم ويلبسهم وهو في محل الجرّ صفة الدخان ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدّخَان: 11] مؤلم موجع في الغاية.

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدّخَان: 12] أي عذاب الدخان.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي كيف يذكرون ويتعظون ويوفون بما عاهدوه من الإيمان بالله وبما جاء منه ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدّخَان: 13] أي قد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الإذكار ولزوم الاتعاظ من كشف الدخان وهو ما ظهر على

رسول الله ﷺ من الآيات البينات من الكتاب المعجز والخطاب المحرز من الدعاء عليهم بحلول العذاب إليهم ونزول العقاب لديهم فلم يذكروا ولم يتذكروا.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ وأعرضوا عن موعدته ودعوته إلى الله ﴿وَقَالُوا﴾ [الدّخَان: 14] في مقام الإجابة وقبول الدعوة: إن محمدًا ليس رسول الله بل هو ﴿مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ [الدّخَان: 14] بأن لا يتعقّل ما يقول افتراء عليه وهو تعلم من غلام عجمي.

﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ أي عذاب الدخان الحاصل من المجاعة بدعاء محمد، فإنهم طلبوا وسألوا منه الدعاء لارتفاع القحط وإنزال القطر ونزول الغيث والمطر ﴿قَلِيلًا ۚ﴾ كشفًا قليلًا أو زمانًا قليلًا وهو ما بقي من أعمارهم، فإن أكثرهم قد قتلوا في بدر ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدّخَان: 15] إلى الكفر والشك، فإنهم وعدوا محمد لو كشف العذاب عنا إنا مؤمنون، فإذا كشف ارتدوا ونقضوا العهد ورفضوا الشرط والوعدَ.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدّخَان: 16] أي ننتقم يوم القيامة أو يوم بدر، منصوب بفعل يدل عليه (منتقمون). وقرئ: (نبطش)، بضم ونصب النون وكسر الطاء أي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم، أو يحمل الملائكة على بطشهم. وقيل: البطشة الكبرى يوم بدر.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ وأوقعناهم في الفتنة والامتحان في الإمهال وطول الأعمار وتوسيع الرزق وتوقيع الترفه والرفق ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدّخَان: 17] أي موسى الذي هو معظَّم ومكرَّم عند الله وعند المؤمنين، بل عندهم أو في أنفسهم لشرف نسبه وشرف حسبه.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨﴾

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾ وأدلوا عليّ ﴿عِبَادَ ٱللَّهِۖ﴾ (أنْ)، هي المفسرة، أو المخففة لأن مجيء الرسول وبعثته وورثته وهم الأولياء والعلماء بالله إنما هو لدعوة الخلق وتأديتهم إلى الحق، قال آدم الأولياء علي المرتضى: أنا الذي أحصي هذا الخلق وإن كثروا حتى أؤديهم إلى الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ [الدّخان: 18].

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٩﴾

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي لا تستكبروا عليه بالاستفهام وبرسوله ووحيه، أو لا تستكبروا على رسول الله أو بيّنته ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [الدّخان: 19] علّة للنهي، أي لا تعلوا على الله ورسوله لأني آتيكم بالحجة الواضحة والمحجة الساطعة، فاتبعوا أمري إليه واقتدوا بي تهتدوا إلى الحق الصريح أي الأحق الصحيح.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ٢٠﴾

﴿وَإِنِّي عُذْتُ﴾ والتجأت واعتصمت ﴿بِرَبِّي﴾ وكّلت أمري إليه ﴿وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدّخان: 20] من الرجم وهو الأذية والإيذاء بالضرب والقتل والإهانة والاستخفاف.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ٢١﴾

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ٢١﴾ [الدّخان: 21] أي كونوا بمعزل، يعني لا تعلوا عليّ ولا تتعرضوا إليّ بسوء، فإنه ليس جزاء لمن دعاكم إلى الحق والسعادة وإلى الأحق والسيادة.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٞ مُّجْرِمُونَ ٢٢﴾

﴿فَدَعَا﴾ موسى وتضرع وابتهل ﴿رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بأن هؤلاء الذين كذبوني وهم فرعون وملأه ﴿قَوْمٞ مُّجْرِمُونَ﴾ [الدّخان: 22] وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء، قرئ بالكسر على إضمار القول.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣﴾

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣﴾ [الدّخان: 23] من أسرى أصلها سرى،

وفيه وجهان: إضمار، فقال: أسرِ بعبادي، ويجوز أن يكون جواب شرطٍ محذوف كأنه قيل: إن كان الأمر كما تقول فأسرِ بعبادي، يعني فأسرِ ببني إسرائيل فقد دبر الله أن يتقدموا نبيكم فرعون وجنوده فينجي الله المتقدمين ويفرِّق الآخرين المردفين المتبعين.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدّخان: 24] مفتوحًا ذا فتحٍ وفتوحٍ وفتوحة واسعة، أو ما كنا على هيئةٍ بعدما جاوز به أن موسى لما جاوز البحر بقومه ثم أردفهم فرعون وأشياعه وهامان وأتباعه.

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدّخان: 25] في مصر من منازل حسنة ومحافل بهية مشتملة على أسحار رفيعة وأنهار منيعة.

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَزُرُوعٍ﴾ بديعة ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدّخان: 26] ومقام نعيم.

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ وتنعُّم عميم ﴿كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ﴾ [الدّخان: 27] مترفين.

﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ ۖ﴾ مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها ﴿وَأَوْرَثْنَـٰهَا﴾ أي أعطينا تلك الجنة والعيون والمقامات ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدّخان: 28] على طريقة الإرث ليس بينهم من القرابة ولا الولاء ولا العصابة، وهم بنو إسرائيل كانوا مستسخرين مستعبدين ومستضعفين فأهلكهم على أيديهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأمكنة لم يطأوها.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدّخان: 29] مجاز عن عدم الالتفات

بهلاكهم وانتفاء الاعتداد بوجودهم ولانتفاء الاعتناء بشأنهم وشهودهم، وعلى خلافة ما روي في الأخبار أن المؤمن لتبكي السماء على مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه. قيل: تقديره فما بكت عليهم أهل السماء والأرض. قالت العرب في تعظيم مهلكه: بكت عليه السماء والأرض، قال جرير: يبكي نجوم الليل والقمر، وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجريح والبكاء عليه والفزع ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدّخان: 29] ممهلين إلى وقت آخر، يعني لما جاء وقت الهلاك لم ينظروا ولم يؤخروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا إلى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ أي عذاب ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ وملإه لبني إسرائيل بأن أهانوهم بأن استحيوا نساءهم واسترقّوا أولادهم واستعبدوا رجالهم ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدّخان: 30 ـ 31].

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي حال كوني على علم وخبر بحالهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدّخان: 32] من أهل زمانهم لا جميع الأزمنة.

﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ﴾ والمعجزات كفلق البحر والنجوم وتقليل الغمام وإنزال المن والسلوى ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ [الدّخان: 33] نعمة ظاهرة وعطية باهرة متضمنة للبلاء العظيم والآلاء العميم لأنها كانت على سبيل الاستدراج والمكر والاستخراج.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ الكفار من قريش، إذ الكلام كان منساقًا إليهم ووقعت حكاية موسى وفرعون معترضة في البين ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [الدّخان: 34].

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿إِنْ هِىَ﴾ أي الموتة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدّخَان: 35] المزيلة المضادة للحياة الدنياوية، يعني ما الموتة التي من شأنها أن يعقبها حياة إلا موتتنا الأولى دون الموتة الثانية، وما هذه الصفة التي يصفون بها الموتة من تعقيب الحياة إلا الموتة الأولى خاصة، فلا فرق إذن بين هذا وبين قوله: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الجَاثيَة: الآية 24] في المصر، فإذًا ليس المقصود إثبات الموتة الثانية إذ الغرض من الصفة هي الصفة الكاشفة الموضحة لا الاحترازية كما قيل: حج زيد الحجة الأولى ومات ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدّخَان: 35] مبعوثين بعد الموتة الأولى.

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ خطاب لما وعدهم بالنشور من الرسول ﷺ والمؤمنين، أي جيئوا بالآباء الذين تقدموا ليخبروكم ويخبرونا ليكونوا لكم شهداء ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الدّخَان: 36] فيما وعدتمونا.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ قوم القوة والشدة والمنعة من دونهم ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدّخَان: 37] استفهام على سبيل الإنكار، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان تبعًا رجلًا صالحًا قال أبو عبيدة: كان في ملوك اليمن وإن كل واحد منهم يسمى تُبَّعًا لأن أهل الدنيا كانوا يتبعونهم وموضع في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام وهم أعاظم ملوك العرب. عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: كان نبيًّا، وعن النبي ﷺ: «**ما أدري إن كان نبيًّا أو غير نبي**». وقال: «**لا تسبوا تبَّعًا**». قيل: بنى بلدة سمرقند. وقيل: كان كافرًا فهدمها. سمعت من أستاذي سعد الدين الخشني أنه قال: لما سلط على الأقاليم ووصل مكة وأهل مكة فما استقبلوه ولا عظّموه ونوى وقصد أن يهدم الكعبة وكان في خدمته أربعة آلاف من الحكماء، فإذا امترض بمرض صعب شديد عام ووجع تام بجميع بدنه ونتن خاص لا يقدر أحد أن يتقرب منه، فجمع الحكماء وكان رئيسهم ورأسهم عمارسًا وعرض عليهم مرضه فعجزوا عن تشخيصه فقال عمارسا: يا ملك إن مرضك سببه سماوي إلٰهي لا أرضي فنحن

عن معالجته عاجزين غير رضيّ ومرضيّ هل قصدت أن تهدم هذا البيت وتقتل أهله؟ قال: فغيِّر نيَّتك وحسِّن أمنيتك وأخلص سريرتك لعل الله يُحدث بعدَ ذلك صحة. فصحَّ واندفع مرضه وارتفع عرضه، فقال لتبّع عمارسا: يا ملك إن الله قد أنزل في كتبه وحكى رسله أن محمدًا بن عبد الله بن عبد المطلب سيظهر في هذه الأرض ويُظهر الهداية، ويجد أهل الأرض والسماء منه أنوار النبوة وأسرار الولاية وأزهار الحكمة وأطوار الدراية، وأنا أريد أن أسكن في هذه الأرض لعل الله يهديني بأنوار هدايته. وهو يهجِّر من هذه الأرض إلى أرض طيبة في مدينته، فأجاز الملك تبع وقال: إني أبني له بيتًا في المدينة وأجعلك متوليًا له فتكتب له صكًّا وكتب فيه: هذا ما أنشأ تبع بيتًا لمحمد، أعني نبينا خاتم الأنبياء، وجعل عمارسًا متوليًا عليه نسلًا بعد نسلٍ وبطنًا بعد بطن، وقد تبعه أربعمائة رجل من تلك الحكماء والأنصار كلهم من نسل هذه الحكماء، وأبو أيوب الأنصاري من أولاد عمارسا، وكان تلك القبالة والصك عند أبي أيوب الأنصاري وقد وصل إليه بطنًا بعد بطن، ولذا صارت الأنصار ناصرين للرسول محبين له لقوله ﷺ: «**الحبّ يتوارث، والبغض يتوارث**».

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة تنازعت الأنصار في أن الرسول ﷺ ينزل إلى أيّ بيوتهم، فجاء بعضهم وقال: يا محمد، أرسل عنان مركبك ففي أيّ موضع ينزل ويجلس فهو بيتك ومنزلك، فبرَك لدى باب أبي أيوب الأنصاري، فلما نزل رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب الأنصاري فجاء أبو أيوب إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أنت نزلت في بيتك، وحكى له حكاية تبع وبناء البيت وأشار إلى ركن بيته وقال له: يا نبي الله إن في تلك الركن قبالةً هذا البيت، وأشار النبي ﷺ إلى إخراجها فوجد فيه ما قال أبو أيوب الأنصاري.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ كعاد وثمود وأحوال قوم الخليل ونمرود وغيرهم من آل فرعون وموسى وداوود ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْۖ﴾ استئناف لقوم تبع الذين من قبلهم، أو حال بإضمار قد، أو خبر من الموصول فيكون مستأنفًا ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ﴾ قومًا وطائفة كاذبين ومكذبين ﴿مُجْرِمِينَ﴾ [الدّخان: 37] بيان للجامع المقتضي للإهلاك.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السّبع ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ بالطبقات السبع [الدّخان: 38] ﴿وَمَا

﴿بَيۡنَهُمَا﴾ من الكواكب والملائكة والنفوس المطبقة والقوى العاملة والطبيعة والأدواح النباتية والصور النوعية المعدنية والحيوانية، والإنسان وأفرادها الصنفية، والآحاد الشخصية، والأعراض المكتنفة المشخصة من كائنات الجو من السحاب والرعد والبرق والصاعقة والنيازك وذي الذؤابة وذي الذنب والقوس القزح وغير ذلك من كرة البخار والكرة الزمهريرية وما يتولد منهما من الجبال والحيوانات قد نزل في زماننا هذا في تاريخ سنة ثمانمائة وثمانين وثمانمائة بين الشيروان والطوالس جبل عظيم طوله قريب من ميلين أو أكثر، وقد كتب الإمام جعفر كتابًا اسمه «ملحمة» مرتبًا على اثني عشر بابًا على عدد الشهور الشمسية، وعلى ثمانية وعشرين فصلًا مبنيًّا على المنازل القمرية، منقول من دانيال النبي عليه السلام بأنه لو نزل تراب أحمر وبرق والمن والسلوى وغير ذلك يدل على كذا وكذا، ولو سمعت أمرًا غريبًا أو شيئًا عجيبًا لا تنكر، فإن غرائب صنع الله وعجائب حكمته وكمال قدرته مما لا يكاد يحصى ﴿لَٰعِبِينَ﴾ [الدّخَان: 38] حال كوننا مباشرين للّعب ومزاولين للعبث واللهو والطرب، إذ الحكمة الكاملة تنافيها، وتكرار الخلق إشعار إلى تعدد مقتضى طلق في الظاهر والباطن لما تقرر من أن مقتضى فردارية كل دورة نورية عظمى وكبرى، وكذا فردارية اقتضاء الكورات الأربعة المذكورة الظلية لكل منها خلق يغاير خلق الآخر، هذا إذا كانت الأدوار والأكوار إفرادية، وأما إذا كانت جمعية فكذلك يكون خلقها مغايرًا لخلق الأدوار والأكوار الإفرادية.

﴿مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ أي أكثر العقلاء وأكبر العرفاء والفضلاء الذين يتقيدون بدرجة مقتضى دورة ومرتضى كورة وما ساروا في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الدّخَان: 39] نشأة جميع الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية، وفي المعنى علّة لما ذكرنا من أن علم الإنسان بالأشياء من المبدعات الإلهية والمخترعات الغير المتناهية قليل جدًّا، فإذا سمعت أمرًا من الأمور الغريبة لا بد وأن لا تنكر سيما من أمور الآخرة والأسرار الغيبية من مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار، والأحوط أن تتلقى إليه وترتقي لديه بالعقول. قال آدم الأولياء علي المرتضى:

قال الحكيم والمنجِّم كلاهما لا يُحشر الأجساد قلت إليهما

فإنْ صحَّ قولكما فلستُ بخاسِر وإنْ صحَّ قولي فالخِسار عليكما

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ الذي يفصل بين دورتين، وهو يوم القيامة الذي كان في ضمن أيام تلك الأدوار وأعوامها وصار عند انقضاء دورة صريحة وانتقال إلى الدورة الخفية الضمنية وهو اقتضاء ظهور مرض الجدل الضمني صريحًا فصار مقتضى دورة النور والجمال باطنًا ضمنًا ﴿مِيقَـٰتُهُمْ﴾ ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل، يعني وقت موعد أعيان تلك الدورة بأن يوصل صور أعمالهم وثمرات أفعالهم ونتائج أقوالهم وأحوالهم التي كانت مثبتة في صفائح ديوان مرتضى الظل والجلال الضمني خفية من أعينهم وأبصارهم بهم وتعرض عليهم كما قال النبي ﷺ: «**إنما هي أعمالكم تردُّ إليكم**»، ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الدّخَان: 40] إن مع الاسم والخبر مفعول لا يعلمون، أي لا يفوت في يوم القيامة شيء عن علمه ولا يفلت شيء عن حكمه أصلًا لا ظاهرًا ولا باطنًا ولا صورة ولا معنى، ولا صريحًا ولا ضمنًا.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى﴾ بدل من يوم الفصل، وصفة لميقاتهم، أو ظرف لما دل عليه الفصل لأنه للفصل ﴿عَن مَّوْلًى﴾ أي أيّ مولى كان، أي لا يعبد ولا يمنع غني عن غني ﴿شَيْـًٔا﴾ من الأغنياء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدّخَان: 41] أي المولى الأول وجمع الضمير باعتبار المعنى لأنه عام.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه، ومحل الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القاهر القوي ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدّخَان: 42] لمن أراد وفي حقّ مَن شاء من عباده.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾ [الدّخَان: 43] أي الثمر المرّ في الغابة يحصل منه شجرة صغيرة.

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدّخَان: 44] الفاجر المدَّعي، المفاخر الكثير الآثام، الكبير الأصنام. عن أبي الدرداء: أنه كان يقرئ رجلًا وكان يقول: طعام اليتيم، فقال: قل طعام الفاجر يا هذا.

وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناه، ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهو أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم شيئًا منها.

قالوا: وهذه الشريطة شهد أنها إجازة لأن في كلام العرب خصوصًا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرائب نظمه وعجائب أساليب كلمه وغرائب مساقه في حكمه وخالفه صاحباه. روي عنه مثل قول صاحبيه من إنكار القراءة بالفارسية إذ ربما يكون نظمه في العربية في غاية الحسن والبلاغة وإذا غُيِّر إلى الفارسية انقلب الحسن بالقبح والفصاحة بالفظاظة.

﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥﴾

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [الدّخَان: 45] بضم الميم وفتحها، وهو متجمّد الزيت يدل عليه: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعَارج: 8]، أو ما يهمل في النار حتى يذوب ويسيل ﴿يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ [الدّخَان: 45] ذلك المأكول، أو الزقوم لا المهل.

﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦﴾

﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدّخَان: 46] أي الماء الحار، أخذوه على تقدير القول يقال للزبانية.

﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧﴾

﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ في الغلّ والقيد، أي جرّوه وقيدوه واحبسوه وقودوه بعنوة وغلظة، وهو أن يوجد بقلب الرجل فيجر إلى الحبس والاعتلال. وقيل: ومنه العتل، وهو الغليظ الجافي ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدّخَان: 47] أي وسطها أو معظمها.

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ﴾ والأصل يصب منه فوق رؤوسهم بماء الحميم، فقيل يصب ﴿مِنْ﴾ فوق رؤوسهم ﴿عَذَابِ﴾ هو ﴿ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدّخَان: 48] أي كالحارّ من الماء، وفيه مبالغة كما حرارة السعير وإحراقها قد صبت على رؤوسهم من جميع الجهات ثم أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف وزيد منه لتبيين يناسب المقام. قيل: إنها للتبعيض تنبيهًا على أن بعض من هذا النوع منه العذاب.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدّخَان: 49] استهزاء وسخرية وتفريعًا على ما كان يزعمه ويستخفّ به، وإنما حذف مفعول ذق لئلا يتوهم أن العذاب منحصر على ما ذكر بل ينتقل إلى كل ما يطلق عليه اسم العذاب.

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ [الدّخَان: 50] وتشكون فيه.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدّخَان: 51] عن الشرك الإيقاعي والنفسي وعن مخالفة أمر الله ونهيه.

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ في تجليات ذاتية وأسمائية وأفعالية وآثارية ﴿وَعُيُونٍ﴾ معارف فطرية وعلوم نظرية وفكرية، والفكر عند أرباب الكشف والشهود هو الانتقال من الباطل إلى الحق، ومن الكثرة إلى الوحدة، وعلى وجه تكون الكثرة مرآة للوحدة والوحدة مرآة الكثرة، بحيث يشاهد العارف الوحدة عين الكثرة، والكثرة عين الوحدة، وكلاهما عين الحق، والحق عينهما، أو عين هوية العارف وإنيته أو بالعكس ﴿فِى مَقَامٍ﴾ [الدّخَان: 51] موضع إقامته ومحل قيام ومكان استكانته ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الدّخَان: 52] كائنين على أمنٍ وأمان عن الإفاقة والانتقال.

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣﴾

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾ هو ما رقّ من حرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه وهو معرب استبطر أو مشتق من البراقة ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدّخان: 53] في الحضائر والغرف أو في مجلس واحد ليستأنس بعضهم ببعض ليتمكنوا من كمال المشاهدة.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمر المذكور كذلك مثل ذلك أو منصوب على معنى أعطيناهم مثل ذلك ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدّخان: 54] أي قرناهم أو وصلنا بينهم وبين حور عينٍ ولذلك عدى بالباء، والحور جمع حوراء وعين جمع عيناء وهي التي تكون عظيمة العين من النساء. واختلفوا في حور العين، قال الحسن: هي عجائزكم. قال أبو هريرة: إنهن لسن من نساء الدنيا بل هن التي خلقهن الله تعالى في الجنة على مقتضيات كيفيات الأعمال والأحوال والأقوال، قال النبي ﷺ: «**إنما هي أعمالكم ترد عليكم**».

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه ولا يتخصص شيء منها لمكان ولا زمان ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الدّخان: 55] متحصنين من الضرّ والبلاء والفتن والشرّ والعناء.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦﴾

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدّخان: 56] والاستثناء منقطع أو متصل، والضمير للآخرة والجنة، والمؤمن إنما يدخل فيها وينشّأ لديها بالموت ويشاهدها فكأنه يتذوق الموت فيها، أو الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الاستثناء فكأنه قال: لا يذوقون فيها إلا ذكرى ذوق الموتة الأولى في المستقبل، يعني لا يذوقون فيها الموت ألبتة، فوضع قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ موضع ذلك لأنّ الموتة الأولى الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو ثابت التعليق بالمحل كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في

المستقبل فإنهم يذوقونها كناية عن تحقيق وقوعها ألبتة.

هذا وأقول وبالله التوفيق: قال النبي ﷺ: «**موتوا قبل أن تموتوا، ومن مات فقد قامت قيامته**». وقال الحكيم: مت بالإرادة تحيَ بالطبيعة. فالعارف إذا مات بالموتة الاختيارية اتصل بالآخرة ودخل في الجنة وهو في الدنيا، بل استوت دنياه بالآخرة فهو في الدنيا في الآخرة، وفي الآخرة في الدنيا، فإذا طرأ عليه الموت الطبيعي ويعتريه الفوت الوضعي وهو في هذه الحالة في الآخرة وفي الجنة، فإذًا يصدق أن يقال: إنه ذاق الموت في الجنة لأنه متصل بالآخرة داخل في الجنة وهو لا يموت بل ينتقل من دار إلى دار.

قال النبي ﷺ: «**المؤمنون لا يموتون بل ينتقلون من دار إلى دار** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 169]» الآية.

قال علي كرم الله وجهه: لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقينًا.

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدّخَان: 56] لأنهم في الجنة ومن دخلها كان آمنًا لأنها دار الخلد.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ يعني هذه الحالة، وهي الوقاية التي هي عبارة عن الخلود في الجنة، هي الفضل والإحسان من الله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ﴾ أي الخير العميم والعدل ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدّخَان: 57] هو الفوز العظيم.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

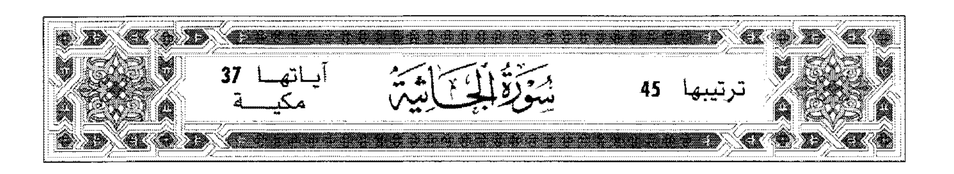
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أي سهّلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ حيث أنزلناه وجعلناه فذلكة السورة ونتيجتها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدّخَان: 58] يتعظون به ويتفقهون، فلما لم يتذكروا به ولم ينتفعوا به

﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ ما قدّره الله عليهم في الدنيا من أنواع العبر ونزول المحن ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ [الدّخَان: 59] ما سولت لهم أنفسهم من التخييلات الفاسدة والتمحلات الكاسدة من أنكم ستغلبون وتحلّ عليكم المصائب وأنواع النوائب.

عن النبي ﷺ: «**مَن قرأ (حَم) الدخان ليلة جمعةٍ أصبح مغفورًا له**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل المنافقين جاثية وفرقه مجتمعة على حبّ الكفر والنفاق، وأظهر الإسلام والوفاق، لما فهم من جمعيّة اقتضاء النور والجمال، وارتضاء الظل والجلال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي أوضح طريق الحق بهداية حبيبه محمد ﷺ وبكتابه الذي ينطق بالحق ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي بيَّن الطريق المستقيم والمنهج القويم للخلق ليتبين أهل الحق وصاحب الجمع من الفرق الذي قال في حقه: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: 23].

﴿حمٓ ۝١﴾

﴿حمٓ ۝١﴾ [الجَاثيَة: 1] إشارة إلى الدورة الوسطى وأعيانها، كما أن (حم) الدخان و(حم) الزخرف يشير إلى الدورة الكبرى والدورة العظمى النورية، وهذه الأدوار الأربعة: النورية والجمالية الوجودية منسوبة إلى الأسماء الأربعة الأولى الذاتية وهي: العليم والحي والقدير والمريد. والحواميم الثلاثة الباقية إشارة إلى الأسماء الثلاثة الباقية، وهي: السميع والبصير والمتكلم. وليس لهذه الأسماء الثلاثة المركبة الأخيرة التي هي بمنزلة المواليد الثلاثة فردارية مستقلة بل تشرك الأربعة الأولى البسيطة وإليها الإشارة بقوله: ﴿حمٓ﴾، ﴿عٓسٓقٓ﴾. ﴿حمٓ﴾ أي بحق الدورة الوسطى وربّها القدير وأعيانها النورية الجمالية، وهي المثل النورية والأشباح البرزخية.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في عالم المبدأ البرزخي ثابت من الله، متعلق بتنزيل وإن جعلها تعديدًا للحروف كان ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيل مبتدأ والظرف خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ [الجَاثيَة: 2] الغالب في إجراء أحكام الجمال وإعلام ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجَاثيَة: 2] الجلال.

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ويحتمل أن يحمل على ظاهره وعلى الحذف كما أشرت إليه ﴿وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجَاثيَة: 3] وأن يكون المراد من السماوات هو المجردات والعقول والملائكة المقربة أو الأدوار النورية، ومن الأرض الأجسام السفلية والأجرام العلوية والملائكة المدبرة والنفوس العاملة أو الأكوار الظليّة.

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ ابتداءً وانتهاءً، أو دنيا وآخرة ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ أي وفي خلق يتفرق وينتشر في الأرض من جنس ما يتحرك حركة نقلية، عطف على المضاف بأحد الاحتمالين، والعطف على الضمير المجرور بدون الفصل المؤكد قبيح نحو: مررت بك وزيد إلى إعادة الجارِ، ونحو: أبوك وعمرو وكذا إن أكدته وكرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجَاثيَة: 4] بالرفع والنصب فمنه العطف على عاملين مختلفين على نحو قولك: إن زيدًا في الدار وعمرًا في السوق، محمول على محمل إن واسمها.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي مرتضى فردارية دورة الظل والجلال ومقتضى فردارية نوبة تربية النور والجمال ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي سماء الأسماء الإلٰهية والربوبية ﴿مِن رِّزْقٍ﴾ [الجَاثيَة: 5] من مطر هو سبب ظاهري لوجود النباتات الغذائية وغيرها والحيوانات التي تتقوَّم بالنباتات من باب المجاز المرسل تسمية للسبب باسم المسبب إشعارًا بأن أصل الرزق ومادته هو الماء، وأن أصل الأشياء

ومادتها هو أن يكون رزقًا للإنسان، وأن الغرض الأصلي من السماوات والنجوم وحركاتها وما يتفرع عليها من الليل والنهار وتعاقبهما هو الإنسان، وما يتقوم به من الرزق لكونه علة غايته ومقصوده من خلق السماوات والأرض ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي أنبت الله بالماء الذي نزل من السماء إلى الأرض والنبات في الربيع ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وأماتها في الشتاء عند اتصال شعاع الشمس بالأرض على غير زوايا قائمة وحادّة فلا يتوفر الشعاع على سطح الأرض ولا تتراكم عليها بخلاف فصل الربيع والصيف، فإنه لقرب الشمس سمت رأس البلد فينعكس على زوايا قائمة أو حادة ليؤثر بأمر الله بل أمر الله وإرادته يتعلق بالأرض عند توفر الشعاع فينبت ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [الجَاثِيَة: 5] فإن شعاع الشمس وسائر النجوم يوصل ما ينزل من عالم الملكوت والجبروت وعالم الذات واللاهوت إلى عالم البرزخ وعالم الملك والشهادة في الفلك الأطلسي والعرش، ومنه إلى الفلك الثامن الكرسي، ومنه إلى سائر الأفلاك، ومنها ينزل بواسطة أشعة الكواكب إلى العناصر إلى الأرض ثم يرجع ويعود بواسطة أشعة السماوية وتصريف الرياح ونفوذها في منافذ الأرض والمعادن والنباتات فتكون المعدنيات وتنبت النباتات ﴿ءَايَٰتٌ﴾ أي هذه التكوينات والتكونات آيات سائحات وعلامات بيِّنات واضحات دالات على كمال قدرته وتمام حكمته حكومة خاصة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجَاثِيَة: 5] ويتفكرون.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

﴿تِلْكَ﴾ الدلالات والبينات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ ونرتب ونركب إياها لديك ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متلبسين بالحق وملتصقين بالصواب والصدق ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ﴾ وكلام ﴿بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾ أي بعد إلقائه عليك والتقائه لديك وإظهار آياته وإشهار بيِّناته بين يديك ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الجَاثِيَة: 6] وهي إما القرآن أو المعجزات، كسف القمر وحديث الضب وشهادته بصدق رسول الله ﷺ في دعوى نبوته:

إنك صادق فنورك يهدي ومدحه هاديًا ... شرعت لنا دين الحنيفة بعد
عبدنا كأمثال الحمير الطواغيا ... فيا خير مدعًا ويا خير مرسل
إلى الجن والإنس لبيك داعيًا ... أثبت ببرهان من الله واضح
فأصبحت دينًا صادق القول داعيًا ... فبوركت في الأحوال حيًّا وميّتًا
وبوركت مولودًا وبوركت ناشيًا

فقال الأعرابي الذي صاده بيده وقاده بقيده: وا عجبًا ضبٌّ أصيده من البرية ثم أتيت به يكلم محمدًا ويشهد بهذه الشهادة، فأسلم الأعرابي بيده.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ونهاب قلاب ﴿أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: 7] كثير الإثم كبير الجرم.

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ﴾ وتقرأ ﴿عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ أي يصير مصرًّا ومؤلفًا على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ على الإيمان بالآيات ومظهر عطفه ثم يستفاد منه الإصرار على الكفر والتكذيب بعد سماع الآيات والإصغاء للبينات ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي كأنه مخفف وحذف ضمير الشأن، والجملة في موقع الحال أي حال كونه غير سامعٍ ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: 8] على إصراره وتهكمه واستهزائه.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩﴾

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: 9] قليلًا فكيف أن يكون كثيرًا وعظيمًا ﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ سخرية من غير أن يرى فيها شيئًا مما يوجبه، والضمير للآيات، وفائدته الإشعار بأنه إذا سمع كلامًا وعلم أنه من الآيات بادر وتسارع إلى الاستهزاء بالآيات كلها، ولم يقتصر على ما سمعه أو بشيء إنه بمعنى الآية ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾ أي المستهزئون المستخفّون ثابت لهم ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجاثية: 9].

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي قدامهم كونهم متوجهون ويستقبلون لديها، أو من خلفهم لأنه بعد آجالهم وإنهاء آمالهم ﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم﴾ ما يمنعهم من العذاب عنهم وهو ﴿مَّا كَسَبُوا۟﴾ من الأموال ﴿شَيْـًٔا﴾ من عذاب الله في الدنيا ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام أو الأعيان من الأملاك، أو دوران الأفلاك ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وأخذوها معبودًا من الأوثان ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: 10].

﴿هَٰذَا هُدًىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ١١﴾

﴿هَٰذَا﴾ أي القرآن والإتيان به، أو العمل به أو الرسول ﴿هُدًىۖ﴾ هادي إلى الله وداعٍ ونادٍ إلى امتثال أوامره ومنادي إلى مشاهدة تجلياته ومعاينة أنوار أسمائه وأسرار صفاته وتطورات أطوار مقتضيات فردارية دوراته ومرتضيات فردارية كوراته الأربعة الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ التي ظهرت في تلك الأدوار والأكوار ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ﴾ أشد العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ [الجَاثِيَة: 11] مؤلم في الغاية، موجع فوق الغاية مقطع في النهاية.

﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾

﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ﴾ جمع يفرق بينه وواحدة بقرينة تأنيث الفعل وهو يجري وذلك لمنافع الدنيا ومجامع الآخرة يدل عليه قوله: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ وهو إخراج لآلئ المعارف الفطرية ومرجان العلوم النظرية والإدراكات الكسبية، يعني أن الله سخَّر لكم البحر لأمرين دنياوي وأخروي، أما الأول وهو إجراء الفلك والسفينة في البحر وللتجارة والتنقل من بلد إلى بلدٍ، ينقل الأمتعة من قطر إلى قطر ومن طرف إلى طرف. وأما الثاني فهو ابتغاء فضل الله وطيب مرضاته في اقتناص المعارف الإلٰهية واقتباس أنوار العلوم الحقيقية من مشكاة النبوة، وفي الجهاد الأصغر والأكبر، وفي الحج، وزيارة أهل الله لاستكمال النفوس وغير ذلك من شرب شراب التجليات من تلك الكأسين ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الجَاثِيَة: 12] هذه النعم المذكورة والمنح المزبورة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من أعيان طبقاتها السبعة وما عليها من النباتات والحيوانات، وإنما ذكر ما في الأرض دون ما عليها تنبيهًا على أن ما في بطونها ﴿جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجَاثِيَة: 13] الأرض وطبقاتها ينقلون على التدريج إلى ظاهرها لتصل إلى مفاصل جميع المكونات ونماويتها وهو الإنسان، وبديهيّة

يصل إلى الله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ واضحات وعلامات دالات على كمال قدرته ووفور مشيئته الذاتية وإرادته الأولية ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجَاثِيَة: 13] يعني أن ذلك الانتقال والاستدلال قد اختص بقوم من أهل الاستدلال وأرباب الشهود وأصحاب الاتصال، والتفكر على ضربين: حصولي وحضوري، أما الأول فهو الانتقال من المصنوع إلى الصانع بخطوات الفكر وإقدام النظر ويقال له: البرهان الآني. وأما الثاني: فهو الانتقال من الصانع المصنوع بأقدام المعاينات وخطوات الشهود والشاهدة، وهو ضربان: أن يكون الحق مشهودًا أولًا ثم الخلق ثانيًا، فإن كان بطريق العيان والشهود دون البيان وطور البرهان والحد ويسمى تفكُّرًا حضوريًا شهوديًا، وإن كان بطريق الحصول والخطور لا المشاهدة والحضور يسمى تفكُّرًا خطوريًا حدوديًا برهانيًا.

﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله وبرسوله وبما جاء: اغفروا وارحموا ﴿يَغْفِرُوا﴾ [الجَاثِيَة: 14] حذف المفعول لدلالة الجواب عليه، قل للمؤمنين اغفروا التي وقتها وعينها لنصر الله في الدنيا وظفرهم على أعدائهم. والمراد بالمؤمنين هو عمر وبعض المؤمنين اختلفوا في نزوله قال ابن عباس رضي الله عنه: نزل في عمر وعبد الله بن أُبي حيث أرسل غلامًا لسقي الماء فأبطأ عليه، فلما أتاه قال: ما حبسك يا غلام؟ قال: عمر، فقال عبد الله متلبسًا: ومثل هؤلاء إلا كما قيل من سمن كلبك يأكلك. فبلغ قوله عمر، فاستلّ سيفه من غمده ليقتله فنزلت الآية. قال مقاتل: شتم رجل من كفار قريش عمر بمكة فهمَّ أن يبطش به فأمره الله بالعفو. وذهب البعض إلى أنه لما نزل: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: 245] قال يهودي: احتاج ربّ محمد، فسمعه عمر، فاستلّ سيفه وخرج بسيفه في طلبه ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ وهم الكفار، وأيام الله أيام عذابه ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ خالفوا الحق وعارضوه ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجَاثِيَة: 14] علّة للأمر، وهم المؤمنون، ونكره للتعظيم كأنه قيل قوم وأي قوم من شأنهم الصفح والعفو عند المقدرة. قال النبي ﷺ: «**بُنِيَ الإسلام على خمس: التواضع عند الله، والعفو عند المقدرة،**

والسخاء عند القلّة، والعطية بغير منّة، والنصيحة عند العامة».

عن كعب الأحبار قال: في التوراة في السفر الأول: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخَّاب في الأسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام. ويجوز أن يكون المراد المؤمنين والكفار، والمراد بالكسب إما الإيمان والمغفرة وكمال الإيقان والإساءة والعصيان والمخالفة والغفران وما يعمهما الإسناد ليجزي إما إلى الله أو إلى القوم إن قُرئ مجهولًا.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ يعني ثوابه وجزاؤه الحسنة يرجع إلى نفسه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾ يعني وبال الإساءة عائدة، ونكال السوء والمعصية قائدة للعذاب إليها ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثِيَة: 15] فيجازيكم على أعمالكم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة والإنجيل والزبور ﴿وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ والحكمة النظرية والعلمية التي تنطوي على الأمور السياسية والأحكام المنزلية، ونظام الأحوال المدنية، والأفعال النفسانية من العبادات وأقسام الطاعات وأنواع الخيرات وأصناف الحسنات، وقطع الخصومات، ورفع الواقعات، ودفع المخالفات في أحكام النبوات التي هي الإخبار عن انتظام أحوال الدنيا، واكتساب شعارات الآخرة، واستكمال النفس الناطقة، واستحصال الولد، الأطوار السبعة، واستحضار الحقائق الكونية، والتجليات الإلٰهية، والأسرار الغريبة الغيبية ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي الأرزاق الظاهرة الطاهرة التي تتقوَّم بها الأبدان، والباطنة التي تتقوم بها النفس الناطقة المطمئنة والقلب والسرّ والروح والعقل، وهي العلوم الحقيقية والإدراكات اليقينية، والتجليات الآثارية والأفعالية والصفاتية والذاتية ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثِيَة: 16] يعني لما أعطينا بني

إسرائيل النفس المنتقلة من الطور الأمّاري إلى الطور اللّوامي والملهمي والمطمئني توراة الشريعة بنور الطريقة وإنجيل الحقيقة، استحقوا لأن نفضِّلهم على أهل عالم الطور القلبي والنفسي الأمّاري حيث أعطيناهم من طيبات الأرزاق الظاهرة التي بها تتقوَّم الأجزاء الجسمانية والأعضاء الجرمانية والأرزاق الروحانية والأقوات المعنوية التي تتقوَّم بها الأجزاء الباطنة والقوى النفسانية، والمبادئ الروحانية، والأطوار السبعة القلبية الجنانية، وهي الأفعال النفسانية والإدراكات والعلوم الحسيَّة، والمعارف الإلٰهية. والتجليات الغير المتناهية كليّاتها أربعة: ذاتية وصفاتية أسمائية وأفعالية وآثارية.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي العلوم الحقيقية والمعارف الفطرية والأحكام الإلٰهية والقضايا الغير المتناهية الناشئة من عالم الأمر والملكوت، المتعلقة بالتجليات والأفعال والأحوال والحالات والمقامات، والكشف والمشاهدات، وبخرق العادات، وبالكشف والكرامات وبغير ذلك من العلوم المتعلقة بالعوالم الظاهرة من الشهادة والملك وأعيانها الفلكية والعنصرية والمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية وبأحوالها ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟﴾ أي الأعيان ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ النظري الخطوري الحاصل بطريق العقل المجرد الخالي عن الوحي، المتشبِّث بأذيال الوهم الذي هو منشأ البغي ومنار الحقد والحسد، وسوء السعي ومدار الاختلاف والعداوة ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي عداوة وحسدًا وجهلًا ناشئًا من اختلاف آراء العقل، ولذا قيل: طريق العقل واحد والعلم نقطة أكثرها الجهلاء ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: 17] برفع الاختلاف فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بحكم النظر العقلي فنجازيهم ثوابًا وعقوبةً وعذابًا.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ أي على طريقة ومنهاج من أمر الدين أي بعد ظهور الأحكام النظرية وبلوغها إلى غايتها لما قرّر الله السنة الإلٰهية من أن كل شيء جاوز حدّه انعكس ضده، فحكم العقل إنما يرتفع بالشرع فلما بلغ الشرع وأحكامه إلى غايته عاد ثانيًا حكم الحكمة الطبيعية وغلب على الحكمة الإلٰهية، ثم تنعكس، فإن أمر النبوة التشريعية والحكمة الإلٰهية التقريبيّة قد تتبدل فتارة تغلب النبوة التشريعية على الحكمة الفعلية والنبوة التفريعيّة أعني الولاية، وأخرى تنعكس. كان في زمان أفلاطون حكم الشريعة شائعة وحكم الحكمة خفية ضائعة، لما أراد الله ظهور الحكمة الإلٰهية أحلّ في ذلك الزمان طاعونًا عامًّا ووباءً وبلاءً تامًّا فاستغاث أهل ذلك الزمان إلى أنبياء ذلك الزمان ليدعوا الله لاندفاع ذلك البلاء، فجاء الوحي بأنَّ في الموضع الخاص بالوعة فلتضعفوها لتندفع تلك البلية، فكانت تلك البالوعة مسدسة فجعلوا بالوعةً في جنبها مسدسة فتضاعفت تلك البلية وازدادت نكاية تلك البلية، فرجعوا ثانيًا إلى الأنبياء، فلما دعوا جاء الوحي بأن يضعفوا المسدسة ليس كما فعلتم أنتم وذلك التضعيف لا يحصل إلا بطريق الحكم فارجعوا إلى أفلاطون ليضاعفها، فقال أفلاطون: قد ابتلاكم ببالوعة حتى تكونوا محيي الحكومة. فأمر أفلاطون تلميذه أرسطو ليخرج خطًّا مستقيمًا بين خطين مستقيمين وهو من معضلات الحكمة، فأخرج الخط المستقيم بين الخطين المستقيمين وضاعف البالوعة المسدسة فاندفعت البلية.

﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا﴾ وأطع أحكامها وامتثل أوامرها، وانتهِ عن نواهيها، واقتدِ بالحكمة، تضمنها تلك الشريعة إذ الحكمة هي التي اقتبست من مشكاة النبوة، فعليك أن تجعلها تابعة للشريعة التي هي مأخذها ومشكاة لأنوار معرفتها ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجَاثيَة: 18] تلك الشريعة التي هي مأخذ تلك الحكمة ومنبعها ولا يتعبدون بها ولا يتقلدون بأحكامها كحكماء الطبيعية الذين أسندوا الإيجاد والتأثير إلى الطبيعة ولم يعترفوا بصانعٍ آخر، وإذا توجه إليكم من البلاء وشدة وعناء.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي الحكماء الجاهلون والعقلاء المقلدون الذين سلكوا مسالك العقل المتشبث بأذيال الوهم والحس وظاهر الفهم ﴿لَن يُغْنُواْ﴾ ولم يدفعوا بحكمهم الطبيعية وحكومتهم المموهة ولا يمنعوا ﴿عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ من العذاب وأمرًا من العقاب ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لنفسهم ولغيرهم من الأعيان النورية الجمالية والأكوان الظلية الجلالية في فردارية النور والجمال ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ وأصدقائهم ينحاشون في الصورة النوعية والنعوت الأصلية والفرعية والمناسبة الكلية، وجهة الوحدة الذاتية بالجمعية ذاتًا وصفةً وفعلًا وحالًا، وهي التي تكون علّة انضمام بعضها إلى بعض. قال النبي ﷺ: «**إن لله تعالى ملكًا يسوق الأهل إلى الأهل**»، ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجَاثيَة: 19] وناصر المؤمنين الذين اتقوا عن المعاصي وأقبلوا الوجوه إليه بالنواصي.

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ أي الفوز والعلاء ببصيرة واستبصار من ربهم ﴿وَهُدًى﴾ [الجَاثيَة: 20] ورشاد واستصواب وسداد من الضلالة والإضلال والإغواء والغواية ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وعطية ونعمة منه ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجَاثيَة: 20] ويتكلون ويستقيمون على كمال الإيقان ووفور الإتقان.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ اكتسبوا واجترحوا المعاصي والذنوب، أم وضعت للاستفهام معطوفًا على شيء آخر مظهرًا كان أو مضمرًا أي أعلم المشركون هذا أم حسبوا أن يتولاهم كما يتولى المتقين والله أعلم والهمزة لإنكار الجواب ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مثل الذين استقاموا على الإيمان وثبتوا ورسخوا على الإذعان والإيقان ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي الطاعات المقبولة عند الله والعبادات اللائقة لحضرته ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجَاثيَة: 21] أي سواء حالهم في محياهم

ومماتهم، يعني ليس حال العاصين والمسيئين والمطيعين والمحسنين مستوية.

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في علي وحمزة وعبد الله بن الحارث وفي ثلاثة من المشركين: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قالوا للمؤمنين: والله ما أنتم على شيءٍ وإن كان ما يقولون حقًّا لكان حالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما كان حالنا أفضل من حالكم في الدنيا. وأنزل الله عليهم هذا الكلام وبيَّن أنه لا يمكن أن يكون حال المؤمنين المطيعين مساويًا لحال الكافرين العاصين في درجة الثواب وفي مراتب السعادة والصدق والصواب، وفي حسن الإجابة والجواب، حسب يستدعي المفعولين أحدهما (أن نجعلهم)، والثاني الجار والمجرور، والمعنى: أحسب هؤلاء المجرمون أن نجعلهم أمثال الذين آمنوا، ونظيره: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السَّجدَة: 18] وكقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القَلَم: الآية 35]، ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصَّافات: 154]، يعني محياهم ومماتهم سيان على معنى أن محيا المسيئين وممات المجرمين في درجة السواء، يعني كل يموت على حسب ما عاش عليه فعلى هذا يكون بدلًا من الذين قال النبي ﷺ: «**كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تحشرون**»، يعني محياهم ومماتهم سيّان في المسرَّة والبهجة والكرامة كما هو حال المؤمنين.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: 21] أي ساء حكمهم هذا أو بئس شيئًا حكموا به.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي سماوات عقول الأعيان النورية في فردارية الدورة الوسطى الجمالية، وأرض أجسام الأعيان الوجودية في هذه الدورة، أي السماوات البرزخية الخيالية متلبسة وملتصقة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الجَاثيَة: 22] والعدل والقسط والصدق، فكأنه دليل وبرهان جلي جليل على حكمه السابق من حيث إن خلق ذلك إنما هو بالحق المقتضي للعدل والاقتصار الذي يستدعي انتصار المظلوم من الظالم، وتطابق مقتضى الجمال والنور، عرضي الجلال والغمور،

وتوافق البطون والظهور، وامتياز الخلق من مرتضى اختيار الصدق والحق ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عطف على بالحق لأنه في معنى العلّة، أو على علّة محذوفة مثل ليدل بها على كمال قدرته وجلال حكمته، أو لأجل إظهار الحق (لتُجزى) يعني وخلق الله السماوات والأرض ليدل على كمال قدرته وجلال حكمته ولإظهار الحق وغير ذلك، ولتجزى كل نفس بسبب اكتساب النفوس ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجَاثيَة: 22] ببعض الثواب وتضاعف العذاب، وتسمية ذلك ظلمًا لأنه لو فعله غيره لكان ظلمًا كالابتلاء والاختبار.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ مهويه أو ما يهوى ويميل إليه فكأنه يعبده ويعتكف على عبادته، قُرئ (آلهته هواه) أحبه ومال إليه لأنه كان أحدهم يستحسن حجرًا فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي عالمًا بأن تلك الآلهة لا تجديه نفعًا لانتقال ميله إلى أحسن منه، أو لأن فطرته السليمة قد نقلته وحركته منه إلى ما هو كان عائدًا له في الفقرة الأولى فحينئذ يحصل له علم بأن من كان في عبادة هذه الآلهة يكون ضالًّا مضلًّا، إلا أنه كما كان هذا العلم مرجوحًا للهوى ما غلب حكمه وغلب سلطنته الهوى ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ وإنما قدم السمع لأنه أقرب إلى القلب من البصر ولذلك كانت النغمات الطيبة الملائمة أشد تأثيرًا من الصور الحسية، وربما ينقطع تعلق الروح بالبدن لما يجد أنه إلى ما هو أصل السماع تتوقف عليه الأحكام الشرعية والأعلام الأصلية والفرعية، وأن الدلائل الإسلامية وهي الكتاب والسنَّة والإجماع تتوقف عليهما، وأما البصر فلا يتوقف عليه إلا ما يغنيك السمع به عن البصر ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ فلا ينظر بعين الاستبصار ويظهر الاعتبار نظرًا يفيد الاستدلال ويفيد الانتقال من المصنوع إلى الصانع ﴿فَمَن يَهْدِيهِ﴾ إلى معرفة الله وكمال قدرته وجلال عظمته ووفور حكمته ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي بعد ضلاله وإغوائه وجعله متحيرًا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجَاثيَة: 23] فإن الهادي والمضلّ والمرشد والمخيّر هو الله لا غير.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟﴾ لفرط حيرتهم ووفور جهالتهم بالحق والحقائق ﴿مَا هِىَ﴾ أي الحياة والحال والثانية هي نفس الأمر ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ التي كنا فيها متقلّبين في لذّاتها، ومتمتعين في خصوماتها، ومتوسّعين في شهواتها ﴿نَمُوتُ﴾ أي كنا نموت في الدنيا في مراتب استحالات النطفة علقة ومضغة ﴿وَنَحْيَا﴾ بعد ذلك التغير والاستحالات في الرحم أو في أصلاب الآباء ورحم الأمهات، أو نموت بأنفسنا بعد استيفاء أطوار حياة الدنيا في أنفسنا ونحيا بأولادنا واستمرار حياة أحفادنا، أو يموت بعضنا ويحيى بعضنا، أو يصيبنا في الدنيا الموت والحياة وليس وراء ذلك موطن حياة ومعطن ممات، ويحتمل أن يكون إشارة إلى أطوار النتائج ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾ والزمان الطويل، وكذا الغداة من العشيات ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ﴾ أي ليس على هذا الاعتقاد لهم من علم أو من دليل وبرهان يفيد العلم بشيء ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجَاثيَة: 24] أي ليس لهم في هذه إلا اعتقادات فاسدة ويعتقدون اعتقادًا كاسدًا ناشئًا من فرط الجهل المركب الذي هو أردأ أمراض النفوس.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾ واضحات الدلالات على ما يخالف عقائدهم ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ بعد إفحامهم وإسكاتهم ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ ليشهدوا لكم ويصدقوكم في دعواكم ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الجَاثيَة: 25] في ادعائكم ودعوتكم.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ وآباءكم وإحياؤكم وإحياؤهم ليس إلا ممن هو كامل القدرة وفاضل الحكمة وشامل الإرادة والقوة ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الجَاثيَة: 26] في الدنيا ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ في الآخرة أو في القبر ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الجَاثيَة: 26] لا يليق الارتياب في يوم القيامة وأمر الإحياء والجمع والحساب وإعطاء الجزاء

وحسن الثواب، فمن هو عاقل فطن فاضل في طور كمال التَّفطن والتعقل فضلًا عمن هو كامل في طور الكشف وكمال الشهود ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ الذين مقيدون بدرجة التقليد ومرتبة التقلُّد والتقييد ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الجَاثيَة: 26] هذا الأمر الدقيق والسرّ الحقيق.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٢٧﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٢٧﴾ [الجَاثيَة: 27] يومئذ متعلق بخبر مقدم عليه لإفادة حصر الخبر، يعني إذا قامت وظهرت الساعة ظهر خسران أهل الإبطال والإمطال.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ﴾ مجتمعة من الجيوث وهي الجمع والاجتماع، أو باركة من البركة والبروك، وهي الجمع أيضًا، قرئ جارية حالة على أطراف أصابع الرجل ﴿كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي تُدعى وتُطلب ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ﴾ ظرف الفعل الذي قدم عليه ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجَاثيَة: 28] قبل إجزاء أعمالكم. قالوا:

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾

﴿هَٰذَا﴾ الذي عرض علينا وفيه أعمالنا ﴿كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم﴾ بلسان الحال أو ببيان البيان، ويتكلم القول الحق والكلام الصدق ﴿بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا﴾ في عرضية الدنيا والموطن الأدنى ﴿كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجَاثيَة: 29] فيها بالأعضاء والجوارح. هذا كلام الملائكة على حفظ الأعمال وضبط الأفعال.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فيها ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ ورياض جنّته، وحياض نعمته ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإدخال أو الإيمان والعمل الصالح ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الجَاثيَة: 30] والظفر المتين، أو التوفيق المحض والتحقيق الصرف.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ في الدنيا جواب (أما) محذوف، أراد أما الذين كفروا فيقال لهم ﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ﴾ رسلنا وتكنْ ﴿ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ عن الإيمان بها والعمل بما يقتضي، وكنتم في النشأة الأولى والمرتبة الأدنى ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ [الجَاثيَة: 31] عادتهم الإجرام وارتكاب المعاصي والتوجه إلى اقترافها بالوجه الكامل والنواصي.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لهم في معرض الموعظة وموطن النصيحة ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ [الجَاثيَة: 32] أي الموعود والمصدر ﴿حَقّٞ﴾ ثابت وصدق ثابت، أو متعلقه، وهو الأمر المعدود والحكم المعهود ﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا﴾ إفراد المقصود عطف على اسم إنَّ إذ ﴿قُلۡتُم﴾ في الجواب حالة الخطاب ﴿مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي شيء الساعة، استغراب لها ﴿إِن نَّظُنُّ﴾ أي يظهر منا الظن ولا نصدر ولا نمنع معًا ﴿إِلَّا ظَنّٗا﴾ بأمر الآخرة وهو أنها بحيث لا تطابق نفس الأمر ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾ [الجَاثيَة: 32] أي طالبين لليقين، إن القوم كانوا في هذه المسألة على حالين، منهم من كان قاطعًا بنفي البعث والقيامة وأحوال الآخرة فهم الذين ذكرهم الله في الآية المتقدمة حيث قالوا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: 37]، ومنهم من كان شاكًّا متحيِّرًا فيه وبلغ مبلغ الظنّ، وذلك لكثرة إيراد الرسول ﷺ دلائل صحة الآخرة ووقوع الساعة وقيام القيامة إلا أنهم ما بلغوا حد اليقين كما قالوا: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾ [الجَاثيَة: 32] لإمكانه فضلًا عن وقوعه.

﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٣﴾

﴿وَبَدَا لَهُمۡ﴾ وظهر لهم ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ [الجَاثيَة: 33] أي قبح أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة إما بشهادة آثار قبائحها أو بإدراك قباحتها أو بسماعها أو بمطالعة الكتب السماوية الواردة في حقية الآخرة وأحوالها، إلا أنهم ما عملوا

على ما علموا إلا لضعف عقائدهم ووهن اعتقادهم بقلّة تدبيرهم وبله تفكيرهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الجَاثِيَة: 33] بأن أحاط بهم جزاء استهزائهم ووبال إنكارهم وأهلكتهم قبائح سيئاتهم على وجه الإحاطة.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ﴾ الذي أنكرتموه واستهزأتم به ﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ أي نعاملكم هذا اليوم معاملة التناسي ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ أنتم في النشأة الأولى ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ والتقاءكم به، أو ننزلكم في العذاب الأبدي والعقاب السرمدي، هكذا إضافة اللقاء إضافة المصدر إلى ظرفه الذي هو في المعنى فاعله على المجاز المرسل ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم﴾ وميعادكم جزاء لأعمالكم وإجراء على معاملة أفعالكم، وما لكم في هذا اليوم والساعة ﴿مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الجَاثِيَة: 34] من تعين العذاب الغليظ والعقاب المغلظ.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب المخلد والعقاب المؤبد ﴿بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ﴾ أي بسبب اتخاذكم ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وكتابه أو معجزاته ﴿هُزُوًا﴾ استخفافًا واستهتارًا ولهوًا ولعبًا ولم تتفكروا فيها تفكُّر المتدبرين ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ وخدعتكم وحسبتم أن لا حياة سواها ولا سعادة إلا في الدنيا ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ في ذلك اليوم لا تخرجون من النار وعقوبتها ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجَاثِيَة: 35] أي يطلب منهم أن يعتبوا ربهم، أي يرضوه ويجاهدوا لاكتساب السعادة فإن الآخرة ليست دار الاكتساب بل دار الاستراحة.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ﴾ أي ربّ الأدوار النورية الجمالية وأعيانها وربّ الأكوار الظليّة الجلالية وأكوانها ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجَاثِيَة: 36] وأعيانها الداخلة تحت حيطة تربية الأدوار والأكوار.

والعالم بكليته نوعان: صوري ومعنوي، أما الصوري فقسمان: فلكي وشهادي، وهو عالم الأجسام فلكي وعنصري، وما يتركب من العناصر وهو المعادن والنبات والحيوان، وأما ذو الإدراك مكلف بالعبادة والطاعة وهو إنسان وجن ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، أو غير إدراك، ومكلف وبرزخي مثالي وهو حد فاصل بين الأجسام والأرواح، وهو نوعان: مبدئي وهو الذي يلي عالمَ الأرواح والنفوس المجرّدة العاقلة في عالم الصورة اللطيفة، وهي التي تقبل الإشراقات الإلٰهية النازلة من شموس السماوات، وعالم العقول والأملاك المقرّبين. ومعادي: وهو الوجه الذي يلي عالمَ الملكِ والشهادة الذي تتحقق فيه أحوال الآخرة من الجنة والنار والصراط، وأطوار النبوة وأسرار الولاية من الوحي والمعجزات والكرامات والمشاهدات، وشهود التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، والمنامات والرؤيا الصالحة والتعبيرات.

ويتمثل الملك والجن بالصور المختلفة، والأشكال المتطورة وغير ذلك من عجائب عالم الآخرة وغرائب أسرار عالم المعاني والصورة، وسؤال المنكر والنكير، وعذاب القبر ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100]، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: 133]. وأما عالم المعاني وهو عالم الأمر والأرواح والنفوس وعالم العقول وعالم الجبروت والواحدية، فالعالمان اللذان يدخلان تحت التربية صوري والآخر معنوي، فالعالم الذي يقبل التربية والتدبير وهو أربعة، ومدبره أربعة، وهو: العليم والحي والقدير والمريد، وقد مرت الإشارة إلى تفصيلها في صدر السورة.

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ والعظمة، وهي رداء الألوهية وإزار الربوبية، قال الله تبارك وتعالى: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما أدخلته النار**»، ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي الأدوار النورية والأكوار الظلية الإفرادية، والمراد من السماوات هي الأدوار والأكوار الإفرادية، ومن الأرض هو الأدوار والأكوار الجمعية وجمعية الجمعية ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجَاثيَة: 37] القاهر الغالب

القادر على خلق السماوات والأرض، الحاكم على الأشياء على ما تقتضيه حكمته البالغة وقدرته الكاملة. ومن تحقَّق بمثل هذه الكمالات فحقّه أن يكبِّر الله حقّ الكبرياء ويعظِّمه حقّ التعظيم. عن رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكَّن روعته يوم القيامة**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي دور سرّ خليفة آدم في مراتب استكمال النشآت في أصلاب الآباء العاليات في الأدوار الأربعة الفرعية التي تتضمنها كل دورة من الأدوار الأربعة الأصلية النورية الوجودية الجمالية التي أشار إليها الله تعالى بقوله: «**خمَّرْتُ طينة آدم بيدي أربعين صباحًا**»، في فردارية الأسماء الذاتية الأربعة الأولية، أعني العليم والحيّ والقدير والمريد ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي دبرها في طهور رحم أرض الاستعداد الذاتي وعرض القابليات الأولى في الأطوار الثلاثة في شهر النطفة النطفية العلقية والمضغية بعد تنزلها من موطن بسائط العقول العشرة في المراتب الأربعة المحققة بالجبروت والملكوت والبرزخ والملك، التي تضمنت نهاية مرتبتها، وهي العشرة، تلك عشرة كاملة (عـ 10123) إلى مراتب التركيب الثلاثة في المبادي الأولى، وهي الثلاثة الأخيرة من السبعة الذاتية، وهي السميع والبصير والكليم، وفي المبادي الآخرى أعني المعادن والنبات والحيوان، وفي النفوس الثلاثة وهي: السبعية والبهيمية والإنسانية ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي أجاب دواعي المؤمنين، وأصاب سهامًا في قلوب العارفين إلى صدق موالاتهم وصدق دور مؤملاتهم مشروطًا بالصبر، ومربوطًا بالتوفيق والنصر والفوز والظفر، إلى أن بلغوا مبلغ الرسالة والنبوة وكمال الجزم ووفور العزم.

﴿حمٓ ﴿١﴾﴾

﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ [الأحقاف: 1] قال ابن عباس: الحاء حرف المؤمن مع نفسه

بلغه بترك الدنيا ورفض زينة الهوى وردود فعله على بسائط المولى. والميم ملك العارف على ثلاث: على الدنيا بالزهد، وعلى النفس بالجنة، وعلى الهوى بنور المعرفة. وأقسم بأن الكتاب كتاب الفرد الشريف من اعتزّ به صار عزيزًا على سرير ملكه بما أنذره الله عن غيره وآواه في كرمه وإحسانه.

قال الصادق: الحاء حبّ الحبيب بمحبة مولاه، والملك العارف بمعرفة مولاه. قال الله تعالى: (خلقهما بالحق وجعل لهم أجلًا) فأجل العارف برّه، وأجل المحب إحضاره، وكرامة العارف بمعرفة مولاه لا تنزل إلا عند اللقاء والرؤية.

واعلم أن حواميم السبع إشارة إلى الأدوار السبعة النورية الوجودية الجمالية، أربابها هي الأسماء السبعة الذاتية، الأربعة الأولى وهي: العليم والحي والقدير والمريد لقسطه. والأدوار الأربعة الأولى المزبورة بهذه الأسماء المنسوبة إليها إنما هي إفرادية مستقلة، والثلاثة الأخيرة إنما ينسب إليها بالاشتراك لا بالاستقلال، وهي: السميع والبصير والمتكلِّم. ومدة أدوار تدبير هذه الأسماء هي مدة أدوار تلك الأسماء الأربعة الأولى، وبداية مدة الأدوار الاستقلالية والاشتراكية واحدة بالنوع مختلفة بالشخص، ولذا عبّر عنها بالكتاب الذي هو كناية عن النقل الأول بعبارات متغايرة، فإن لكل دورة من هذه الأدوار بداية ومفتتحه.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الأحقاف: 2] أي تنزيل الحق من سماء الواحدية واسم الأحدية الجمعية، كتاب التعين الأول العقل لكل إشارة إلى الدورة الصغرى التي ربّها ومدبرها ومربيها المريد. وتتضمن الأدوار الأربعة المنسوبة إلى الأسماء الأربعة الذاتية الظاهرة آثار أنوار كل واحد منها في مرتبة من المراتب الأربعة المحققة فيكم، فإن العليم يظهر آثاره في مرتبة العلم والعقل والجبروت، والحي في مرتبة الملكوت، والقدير في مرتبة البرزخ والمثال، والمريد في مرتبة الملك والشهادة.

وإن لكل اسم من هذه الأسماء الذاتية ثلاث اعتبارات، أحدها إلى الذات الأحدية، والثانية إلى الكثرات الواحدية، والثالث إلى الأحدية الذاتية. وإذًا نسبة

لكل واحد من هذه الأسماء الأربعة بهذه الاعتبارات الثلاثة إلى سماء كل مرتبة من هذه المراتب الأربعة ظهرت في كل سماء من سماوات هذه المراتب الأربعة اثنتا عشرة نسبة كليّة وهي البروج الاثنا عشر المشهورة، تحصل في كل مرتبة اثنا عشر برجًا مجموعها ثمانية وأربعون، وإن الحوادث الظاهرة في عالم الشهادة إنما هي من جنس مقتضى فرد الكونين العلويين، أعني زحل ومشتري في المثلثات الأربعة النارية والهوائية والمائية والترابية، فهما عبارتان عن باطن العلم وظاهره وهما غيب الولاية والنبوة الذاتية والعرضية، يظهر بأن الحقيقة المحمدية والماهية المرتضوية «**يا علي كنت مع الأنبياء سرًّا وضربت معي جهرًا**».

وفي كل مثلث يقاربان اثنا عشر مرة، وإلى هذا أشار بقوله رحمه الله. وأيضًا إن الأدوار والأكوار متداخلة مندمجة بعضها في بعض اندماج الليل في النهار وبالعكس، وإذا ضربنا الأربعة في الأربعة حصل ستة عشر، وقد عرفت أن لكل واحدة من الأرباب الأربعة المدبرة لها ثلاثة نسبة أحدية إلى الأحدية الذاتية، والثانية إلى واحدية الكثرة، والثالثة إلى خصوصية إنيتها وصورة جمعيتها الإلٰهية ومعيتها الربوبية. وإذا اعتبرت الأدوار الستة عشر مع أربابها بالأحوال الثلاثة في المراتب الأربعة ظهرت ثمانية وأربعون دورة كلية، لكل دورة اقتضاء خاص ودنيا وآخرة، ولذلك الاقتضاء مدة معينة، فإذا اقتضى اقتضاءً ظاهرًا تلك المدة دامت قيامته وظهرت ساعته، وانتقلت فردارية تلك الدورة من ظاهر الدنيا إلى اقتضاء الباطن وهي الآخرة، وهو البطون والخفاء، فتصير الدنيا آخرة والآخرة دنيا كانقلاب طور النهار إلى طور الليل وبالعكس إذ الدنيا والآخرة في الحقيقة يوم وليلة ربانية، أو كانت الدورة دورته الصغرى الإرادية الظاهرة في مرتبة الملك والشهادة، والدورة الوسطى التي تظهر سلطنتها في المرتبة البرزخية بتدبير القدير، ويوم ليلته إلٰهية إذا كانت بالدورة الكبرى، يجري آثار اقتضائها بسلطان الحي في مرتبة الملكوت وعالم الأرواح، ويوم وليلة ألوهية سرمدية إذا كانت الدورة العظمى التي سرى سلطنة فردانيته في مرتبة الواحدية وعالم الجبروت بتدبير السلطان العليم.

ومقدار هذه الأيام متفاوتة، فإن مقدار يوم الألوهية السرمدية ثلاثمائة وستون سنة، كل سنة مقدارها ثلاثمائة وستون يومًا، ومقدار كل يوم من أيام

الدورة العظمى ثلاثمائة وستون، وكل يوم من أيام هذه السنة خمسون ألف سنة من سني ما دونها، وهي الدورة الكبرى ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعَارج: 4 -5].

ومدة الدورة الكبرى ثلاثمائة وستون سنة، وكل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، وكل يوم مقداره ألف سنة من سني الدورة الوسطى ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47]. والدورة الوسطى عبارة عن ثلاثمائة وستين ألف سنة، وكل سنة مقدارها ثلاثمائة وستون يومًا، وكل يوم من أيامها عبارة عن مائة سنة ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ [البَقَرَة: 259].

ومدة الدورة الصغرى عبارة عن ثلاثمائة وستين ألف سنة، وكل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، وكل يوم أربعة وعشرون ساعة. وهذه الدورة منطوية على أربعة أدوار أسماؤها أسماء الأدوار الكلية الأصلية، وهي: العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، إلا أنها بعد الإضافة إليها بأن نقل إليها العظمى والصغرى أو عظمى الدورة الصغرى الفرعية، ومقدار مدتها قد عرفتها بأن كل يوم من أيام هذه الدورة مقدار الألف سنة، ومقدار يوم الدورة الكبرى مائة سنة، ويوم الدورة الوسطى ثلاثة آلاف وستمائة، والكبرى ستة آلاف وثلاثون ألف سنة، والعظمى ثلاثمائة آلاف وستون ألف سنة، وعلى هذا القياس سائر الأدوار، فيكون مجموعها من ضرب الأربعة في الأربعة ستَّ عشرة دورة.

فإذا اعتبرنا أربابها وهي الأسماء الأربعة الذاتية، أعني العليم والحي والقدير والمريد، بما فيها من النسب الثلاث التي اعتبر نسبتها إلى الأحدية الذاتية والواحدية الأسمائية، والنسبة الأحديّة الجمعية، والوحدة الآتية من حيث هي هي في المراتب الأربعة، ترتقي كلها بهذا الاعتبار إلى ثمانية وأربعين دورة. وإليه الإشارة بقوله: ﴿حمٓ﴾، ففي بداية كل دورة من هذه الأدوار الأصلية ينتقل الحكم من فردارية دورة إلى دورة أخرى فحينئذ تظهر الساعة وتقوم القيامة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، وينتقل طور الدنيا إلى طور الآخرة، وطور الآخرة إلى طور الدنيا، وتتبدّل السماوات والأرض ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48]، ويظهر الطوفان الكلية الترابية والمائية والهوائية والنارية والسماوية والطبيعية والنفسية والعقلية والربانية

والإلٰهية، بأن يحيط في عالم العناصر ويقلب سلطنة كل من العناصر على الباقية بأن ينقلب جميع العناصر وينتقل إلى ذلك العنصر ويصير صورًا لكل صورة ذلك العنصر لاشتراك الهيولى في الكل، مثلًا إذا كان طوفان النار يحيل صورة الكل إلى صورتها ويحيط بجميعها بأن لا يظهر منها إلا صورة النار إما بالفساد والكورة وبالتخلخل والتكاثف أو بالاختفاء والكمون، وكذا باقي العناصر.

وعلى هذا القياس الأفلاك والسماوات، فإن الهيولى الذاتية ما اشتركت بين الكل يمكن أن تتخلخل صورة فلك القمر وتحيط بجميع صور الأفلاك وذلك عند انتقال السلطنة إلى اسم المريد واقتضائه سلطان فردانيته واستيلائه على الكل، واختفاء سائر الأسماء في اسم المريد، واستعلاء الوحدة الذاتية واستيلاء الأحدية الذاتية على سلطان اقتضاء المريد واختفائها في اسم المريد، واقتضائه. وقس على هذا سائر الطوافانات.

وأما الدورة الجزئية المنطوية تحت هذه الأدوار، ففي كل منها تظهر أعيان مخصوصة وأكوان منصوصة مناسبة لتلك الدورة، وتبعث إليه في كل منها أنبياءً ورسلًا، وينزل فيها عليهم كتبًا على وِفْق اقتضاء كل دورة كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ القوي الغالب على إنزال الكتب وإرسال الرُّسل لإظهار الحقائق المخفية والدقائق البحت الجنية ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ [الأحقاف: 2] الحاكم على الموجودات باتباعهم العالم بتفاريع أحكام النبوة الذاتية والعرضية، وأعلام الحكمة النظرية العملية المنزلية والمدنية والسياسية. وأما الحكمية النظرية فأصولها أربعة: الموسيقى والهندسة والحساب والهيئة وعلم النجوم وفروعها كثيرة.

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الأدوار الإلٰهية ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ أي الأدوار الكونية ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الأحقاف: 3] من الأدوار الجزئية والحوادث الزمانية، والأعيان النورية الإلٰهية من الملائكة المقرّبة، والمجردات العقلية، والنفوس والملائكة العاملة المدبرة، والأكوان الظلية الكونية الجلالية من الأبالسة والشياطين وغير ذلك من

كائنات الجو كالنيازك والشهب وذوات الأذناب، والخيال من البرد والمكونات النارية والهوائية والمائية والأرضية، ومن الأرض مثلهن، وتنزيل الأمر بينهن ليعلموا أن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف: 3] أي خلقًا متلبسًا بالعدل والقسط والتسوية الإلهية على ما تقتضيه الحكمة الإلهية البالغة.

واعلم أنه قد يتكوَّن في جو السماء ما بين السماء والأرض مكوّنات كثيرة وكائنات عجيبة صغيرة وكبيرة من الحيوانات والأحجار والجبال وغير ذلك، قد نزل في زماننا سنة ثمانٍ وسبعين وثمانمائة تقريبًا جبل من جو السماء طوله قريب من فرسخين وقريب منه في موضع من الشيروان والطوالش قريب من تبريز في ساحل بحر يقال له قلزم، وقد كان في هذا الجبل شيء يشبه برقشنا الذهبي وقد تواتر الخبر بسقوطه.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو منتهى آجال الكل، وهو يوم القيامة الذي ينتهي إليه آجال أعيان الدورة المنسوبة إليها ذلك اليوم، يعني أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما وقدّر لأعيان هذه الدورة فرادًا فرادًا على اليقين ومجموعًا عند انقضاء هذه المدة، وهو يوم القيامة الذي هو نهاية مدة هذه الدورة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: 3] المجرور متعلق بما بعده، أي معرضون عن إنذار ذلك اليوم والإخبار عنه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ومن داخل تحت حيطة حكمه من الأمة والاتباع من الصحابة والأتباع ﴿أَرَءَيْتُم﴾ أي أخبروني عن آجال آلهتكم بعد كمال التأمُّل في حقيقتها والتحمُّل في تصور إدراكها وغرور دراياتها ودور تعرفاتها، هل حورتم أن يكون لها دخل في خلق جزء من أجزاء العالم وتكون عضو من أعضاء بني آدم لتستحق بها أن تعبد وتشرك في خلق جزء السماوات فضلًا عن كلّها ﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام والأوثان ﴿أَرُونِى﴾ [الأحقاف: 4] أمر من باب الإفعال من يراؤون، حُذفت الهمزة على خلاف القياس، ثم الياء بعد نقل حركتها إلى ما قبلها، فإذا حذفت التاء

والياء لالتقاء الساكنين عادت الهمزة التي كانت مفتوحة صارت أرِ أريًا أروا، والنون نون الوقاية، والياء ياء المتكلم ﴿مَاذَا﴾ أي شيءٍ ﴿خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بالاستقلال بلا مشاركة الغير ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ ومشاركة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وخلقها وتكوينها ﴿ٱئْتُونِى﴾ وأعطوني ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ يكون ويحدِّث ﴿مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ الكتاب المحمدي والخطاب الأحمدي لينطق بالتوحيد وكمال القدرة والإرادة ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي ما فيه من آثار علم من علوم الأولين من الأنبياء المرسلين والحكماء المتألهين من قولهم: سمنت الناقة على أثارة من شحم أي بقية من شحم كان بها من شحم ذائب فرئي أثره، بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء المثلثة، والإثرة بالكسرة بمعنى الأثر، وأما الأثرة فهي المرة من مصدر أثر الحديث إذا رواه. وأما الأثر بالضم فهو اسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به، أي انظروا في آثار الأولين وأطوار الآخرين هل يحصل لكم علم بأن لها ما يستحق به العباد ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: 4] في دعواكم الشرك والإشراك.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالًا من عبادة الأوثان الذين هم المشركون ﴿مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حيث تركوا عبادة الموجود الواجب الوجود، السميع البصير المجيب، القادر الخبير، إلى عبادة من لا يستجيب لهم وانتفى عنه السمع والبصر والقدرة، والعلم والخبرة، والإدراك والحكمة، فلا يقضي لهم حاجة لأنه جماد محض، فكيف يجوز لمن له أدنى مسكة أن يعبد ويشرك بواجب الوجود المتصف بكل الكمالات وهذا النقص منه مستمر إلى يوم القيامة ﴿وَهُمْ﴾ أي المعهودات من الموجودات الجامدة ﴿عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: 5] جاهلون لانتفاء العِلم والإدراك عنهم، وفي إرجاع الضمير المخصوص بذوي العقول لإشعار بأن المعبود أعم من الحال لأن منهم من عبد الملائكة والكواكب والشمس وعيسى وهم في حد ذاتهم معدومون خالون عن العلم والإدراك.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ يوم القيامة العظمى والمحشر الكبرى ﴿كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ [الأحقاف: 6] أي أظهرت الأصنام للناس العابدين لهم عداوة ومخالفة إما بلسان الحال أو بلسان النطق والمقال ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: 6] إشارة إلى أنواع الأصنام وأصناف المعبودات الباطلة، فإن منهم جمادًا بالفعل، ومنهم له علم وقدرة إلا أن العلم والقدرة وغيرهما ليست أصلية ذاتية لهم بل هي من الله، فكانوا في حد ذواتهم جامدين كالأصنام المنحوتة، عالية في العلم كالملائكة وأشخاص الإنسان كعيسى وأمه عليهما السلام كما قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14]، كما قال تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [المائدة: 116] الآية.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾ واضحاتٍ في أنفسهم أو بينات وموضحاتٍ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله وتوحيده وبرسوله وكتابه ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أي لأجل الحق كما قال الذين آمنوا أي لأجل الأعيان الذين آمنوا، والمراد بالحق هي الآيات والكتاب، وبالذين كفروا المتلو عليهم، فوضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر للمتلو إضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحرًا إلى ذكر ما هو أشنع وأقبح وإنكار له وتعجيب ﴿هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 7] أي القرآن ومحمد سحر ظاهر.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ وزعمتم ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي إن عاجلني الله بالعقوبة على ما صدر عني من الجرائم والمعصية ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ﴾ [الأحقاف: 8] فلا تعتذرون على دفع شيء منها فكيف أجترئ عليه وأتجاسر لديه وأنا جازم له من فعلَهُ وأقدمَ لديه وجب عقوبته وبرئ خصومته من الله تعالى

عبد الله بن سلام، وقيل هو عيسى عليه السلام أخبر بما وجد في التوراة والإنجيل، أو في التابوت أو بالوحي أو بطريق آخر إن أمكن ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي مثل القرآن وهو التوراة والإنجيل والمعاني المصدقة للعنوان المطابقة لها، أو مثل ذلك وهو كونه من عند الله ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهد بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابق للحق ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان بمحمد وبالقرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 10] استئناف مشعر بأن كفرهم لضلالتهم المسببة عن ظلمهم على أنفسهم وعلى غيرهم بصدودهم عن سبيل الله، أو دليل على الجواب المحذوف مثل الشيعة الظالمين تقديره أن يقال: إن كان هذا الكتاب من عند الله ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على حقيقته وكمال صحته ثم استكبرتم فكنتم من الخاسرين، ثم حذف هذا الجواب، نظيره: إن أحسنت إليك أو أسأت أو أعرضت عني فقد ظلمتني.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي لأجلهم لو كان الإيمان والتصديق بالقرآن أو بمحمد وبما جاء به خير في الأولى والآخرة ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ﴾ أي ما تقدمونا إليه وما تسارعونا لديه، وهو كلام كفار مكة، قالوا: قد أسلم عامة الفقراء الذين كانوا حقراء في نظرهم، فقراء في بصرهم كعمار وصهيب ومقداد وابن مسعود، وبلال وسلمان، ومعاذ بن جبل وأشباههم.

قيل: لما أسلمت جهينة ومزينة وغفار قال بنو غطفان وأسد والسجع: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ﴾ إنكارًا عليهم. وقيل: لما أسلمت أمة عمر وكان عمر يضربها ويقول هذا، أو اليهود قالوا حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ (إذ) ظرف لمحذوف مثل ظهرت عبادتهم ولم يهتدوا ﴿فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ﴾ أي القرآن هو ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: 11] أي القرآن قد قدم وثبت في الزمان القديم كقولهم: هو أساطير الأولين.

وأعرض نفسي والطعن في آياته ووحيه وتسميته سحرًا وكهانة أخرى ﴿كَفَىٰ بِهِۦ﴾ أي حسبي الله ﴿شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ أي يشهد لي بالصدق وعليكم بالكذب والجحود، وذكر العلم والشهادة وعيد بالجزاء ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ يتجاوز عما فعلوا وتجاوزوا عن الحدِّ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: 8] يعطي الرحمة لمن تاب ورجع إليه وأناب، إشعار بكمال حلم الله لهم والتجاوز عنهم مع عظم جرمهم ووفور معصيتهم وجهالتهم.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ صفة المشبهة بمعنى البدع لما طعنوا في القرآن بأنه من مخترعات الرسول ومقترحات نفسه، فأمره الله بأن قال: ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا﴾ ومبدعًا منفردًا بهذا الأمر من بين الرسل، بأن افتريت على الله بانتساب كلامي ومخترعات نفسي إلى الله. قال ابن عباس: لما اشتدَّ البلاء على الصحابة بمكة واشتكوا إلى رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض طيبة ذات نخل، استبشروا بذلك وفرحوا لأنه استخلاص من أذى المشركين. ثم إنهم مكثوا برهة من الدهر وما رأوا أثرًا من ذلك، فقالوا: يا رسول الله رأينا الذي قلت وهي تهاجر إلى الأرض التي رأيتها في المنام، فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ وقال: هي شيء في المنام وأنا: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ فلا أتجاوزه، وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عما يلوح له من الغيوب أو استعجال المسلمين أن يتخلّصوا من أيادي المشركين وأذى الكافرين ومنادي المنافقين ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ومخوف ومخبر عن عذاب الله وشديد عقابه ﴿مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 9] يبيِّن الإنذار بالشواهد المبينة والقواعد المثبتة والمعجزات المصدقة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أي أخبروني وآتوني ﴿إِن كَانَ﴾ القرآن وكتاب الله ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ يجوز أن تكون عاطفة على الشرط وكذا ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأحقاف: 10] إلا أنها تعطفه بما عطف عليه على ما حمله ما قبله، والشاهد هو

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي قبل كتاب محمد كتاب موسى التوراة حال كونه ﴿إِمَامًا﴾ لبني إسرائيل وأهل زمان دين موسى ﴿وَرَحْمَةً﴾ من الله ونعمة لمن آمن به منهم وعمل بما فيه ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ ومثبِّت لما قبله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال كونه نزل على لسان العرب ولغته وهي لغة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وهو مفعول لمصدق ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ علّة الصدق ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: 12] عطف على محل ينذر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ في هذا القول جمع التوحيد الذي هو خلاصة العلم وصفوته، والاستقامة التي هي نهاية العلم وغايته، وثم للدلالة على تأخير رتبة العلم عن العمل المتعلق بالتوحيد، ويتوقف على التوحيد ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13] أي لحوق المكروه عن فوات أمر محبوب أو شيء مرغوب.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين آمنوا عن الخوف والحزن ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: 14] من اكتساب الفضائل العلمية والخصائل العملية (جزاء) حال من المكتسب أو مفعول مطلق حذف عامله نحو جزوا جزاء أو مفعول له أي خالدين لأجل الجزاء.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي حكمنا على أفراد الإنسان وآحاده ﴿بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ

أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ ذات كره، وأكثر الحمل تسعة شهور وعشر ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي بالمشقة والتعب، ومدة ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ وهو الفصام، وهو القطع عن الرضاع ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15] إشارة إلى أن أقلّ مدة الحمل ستة أشهر، وأكثر الرضاع حولان، فمجموعه ثلاثون شهرًا. قال الأطباء وأهل التنجيم بأن الله تعالى دبر عالم الكون والفساد بالعالم العلوي وهو الأفلاك والنجوم، قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السَّجدَة: 5]، فابتداء تربية الجنين من زحل وفعله وتأثيره، وهو إحالة النقطة من صورتها وتعفنها في مدة شهر ثم ينتقل التدبير منه إلى المشتري فتقعد النقطة ويصلحها في شهر واحد ويجعلها، ثم ينتقل إلى المريخ فيجعل العلقة مضغة بأمر الله وتقديره، ويجعلها حصصًا ويجعل كل حصة مادة كل جزءٍ من الأجزاء وأصل كل عضو من الأعضاء، فإذا انتقل التدبير إلى الشمس صور تلك الأجزاء كلًّا منها مما يليق به في مدة شهر وعشرًا، فإذا تمَّ هذا التدبير في أربعة أشهر وعشرًا نفخ الله تعالى الروح الحيواني الذي هو مبدأ الحركة الإرادية في الجنين كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 12 - 14]. وفي الحديث: «**إن الله يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين نطفة، ثم أربعين علقة، ثم أربعين مضغةً، ثم يبعث ملكًا بأربع كلماتٍ. . .**» إلى آخره.

ثم تنتقل التربية والتدبير إلى الزهرة، فيعقد القوة الشهوية التي هي مبدأ النشوء والنماء ويتم أمرها في شهر، ثم ينتقل إلى العطارد فيظهر في فردارية تدبيره القوة العاقلة التي هي مبدأ الإدراكات التي تتوقف عليها الأمور الإرادية والحركات الاختيارية، ثم ينتقل التدبير إلى القمر الذي يستكمل البدن من الرأس إلى العظم، ومن الظهر والبطن وما فيه من الأحشاء من الرية والطحال والأمعاء وغير ذلك من الأجزاء والجوارح والأعضاء، فيمكن التولد في هذه المدة وهي سبعة أشهر وفي السنة أيضًا.

فإذا تولّد الجنين في هذين الوقتين يعيش ويبقى، وأما إذا انتقل التدبير مرة أخرى إلى زحل في ثمانية أشهر، وهي بيت الموتِ والنكتة، فإذا تولد لا يعيش بل

يموت لأنه نحس أكبر لا يفيض الحياة والسعادة. وفائدة إسقاط الموانع وارتفاع القواسِر واندفاع النجوم من الطوالع، ثم تتحول التربية والتدبير إلى المشتري الذي هو السعد الأكبر في تسعة أشهر، وهي عدد آدم لانطوائه عليه (هـ/ 123547) ومجموعه (65) وهو آدم (65) فيتولد المولود في تسعة أشهر وعشر، فاستكمال المولود من حيث الصورة والظاهر والأجزاء والأعضاء في ثلاثين شهرًا، أو من حيث المعنى والباطن وقوة المبادئ والقوى ثلاثون سنة وهي نهاية الشباب كما أشار إليه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأحقاف: 15] وهو غاية قوة القوة ووسط مرتبة النبوة، وبداية الوقوف إلى أن بلغ أربعين سنة، وهو نهاية الوقوف وبداية الكهولة، ونزول سلطان النواميس الإلٰهية، وحلول نور برهان النبوة الذاتية والوحي، فإن الوحي على الأنبياء إنما يكون في أربعين، وهو أتم الأعداد وأعم العشرات والآحاد، فإنَّ عقود عشراته هي أربعة أشرف أعداد الآحاد لاحتوائه على كمال مرتبة وهو العشر ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البَقَرَة: 196] (1236) والمجموع (10) ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعرَاف: 142] ميقات ربّه أربعين ليلة وبه استكملت مرتبة خلقة آدم في الظاهر، خمّرت طينة آدم أربعين صباحًا وبه يتكمّل صورة ومعنى، وظاهرًا وباطنًا «**مَن أخلص لله أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**»، ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعرَاف: 142] إلخ.

﴿قَالَ﴾ الإنسان وفرده ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ أعلمني وألهمني وعلّمني أو لقني من أودعته بكذا إذ ألقيته ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: 15] ظاهرًا وباطنًا كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمَان: الآية 20]، ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [الأحقاف: 15] نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه لأنه لم يكن أحد أسلم إلا هو في هذا الوقت، وأبوه أبو قحافة وأمه أم الخير. وفي تفسير الإمام الرازي معلوم أن المراد ليس كل إنسان يقول هذا القول فوجب أن يكون المراد من هذه الآية إنسان معين قال هذا القول. وأما أبو بكر فقد قال هذا القول في قريب هذه السن والنبي ﷺ بعث عند الأربعين، وكان أبو بكر قريبًا من الأربعين، وهو قد صدق النبي ﷺ وآمن به. فثبت بما ذكرنا أن هذه الآيات صالحة لأن يكون المراد منها أبو بكر. فإذا ثبت القول بهذه الصلاحية فبقول ادعى أنه المراد من هذه الآية، ويدل عليه قوله تعالى: قال في آخر الآية:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: 16]، وهذا يدل على أن المراد من هذه الآية أفضل الخلق لأن الذي يتقبل الله عنه أحسن أعماله ويتجاوز عن كل سيئاته وسوء أحواله يجب أن يكون من أفاضل الخلق وأكابرهم. واجتمعت الأمة على أن أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعلى أنه لا يجوز أن يكون المراد من هذه الآية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأن هذه الآية إنما تليق بأبي بكر، وعلي بن أبي طالب ما كان كذلك، أي يكون بالغًا وبلغ أربعين. هذا وأقول: إنَّ النبوة إنما تنزل بعد الأربعين لشرف هذه المرتبة وكمال هذا العدد وشرفه، إذ كمال الإنسان ظاهرًا وباطنًا إنما يظهر فيها، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»، وكانت الرؤية ستة أشهر وزمان النبوة ثلاثة وعشرون مدة حياة النبي ﷺ ثلاثًا وستين، ومدة النبوة ثلاثة وعشرون كما أشار إليه الرسول ﷺ: «**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»، ومدتها ستة أشهر ليلًا، وستة أشهر نهارًا، فالمجموع ستة وأربعون.

﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ نكارته للتعظيم أو للتنويع الذي يستجلب رضى الله عنه ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾ أي اجعل الصلاح ساريًا في تمام ذريتي ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ ورجعت وأنبت لديك عما لا ترضاه ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15] والمخلصين لك.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ﴾ أي الله ﴿أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ وهي الطاعات المقرونة بالإخلاص والعبادات الخالصة عن الرياء ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ ومعاصيهم الصغيرة والكبيرة مقرونة بالتوبة، داخلين ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ واصلين في عدادهم، حاصلين في حدادهم. قال صاحب الكشاف: معنى هذا الكلام مثل قولك: أكرمني الأمير في ناس من أصحابه، يريد أكرمني الأمير في جملة من أكرم منهم، وتطمئن في عدادهم حال على معنى كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين منهم ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: 16] وعد مصدر مضاف إلى صفة مؤكدة

لنفسها أي ويتقبل ويتجاوز عن الذين كانوا يوعدون في الدنيا والنشأة الأولى والأخرى.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ الأب والأم ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ أولئك الذين حق خبره، والمراد الجنس، وإن صح نزولها في عبد الرحمٰن بن أبي بكر كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى وهو ويقول: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾. فإنه لما كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس يزيد قال عبد الرحمٰن: أتبايعون لأبنائكم؟ فقال: يا أيها الناس هو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾، فلما سمعت عائشة هذا القول غضبت عليه، فإنها قد أنكرت نزول الآية فيه، إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر، واللام للبيان والاختصاص أي هذا التأفيف والتضجُّر خاص لكما فلا يملكه غيركما ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ﴾ بالنونين أو بالإدغام أو بأحد النونين ﴿أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ أي أن أبعث وأخرج في الأرض، ويجوز أن لا يكون المراد منه شخصًا معينًا، بل المراد منه كل مَن كان موصوفًا بهذه الصفة وهو كل من دعاه إلى الدين الحق، وهو الصحيح. ولا شك أن عبد الرحمٰن قد آمن وأسلم وحسن إسلامه وكان من سادات المسلمين ﴿وَهُمَا﴾ أي الوالدان ﴿يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ بأن يقولا: الغياث بالله منك ومن قولك، وهو استعظام لقوله بأن يغيثه للإيمان ﴿وَيْلَكَ﴾ دعاء عليه بالثبور في ترك الإيمان به بالحث والترغيب على الإيمان والإغراء على الإيقان والتحريض على التثبيت عليه ﴿ءَامِنْ﴾ أي صدق الوعد والبعث أي ذا أمن وأمان من عذاب الله وسخطه وعقابه ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بأي يجزي كل أحد بثواب أو عقاب ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ القرآن والكتاب والقائل إما عبد الرحمٰن في بدء الحال أو الذي حق عليه كلمة العذاب، أو الشخص المنكور الغير المذكور ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: 17] أي الأباطيل التي سولوها في أنفسهم وليس لها حقيقة وثباتًا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ وهو كلمة العذاب ﴿فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ﴾ وسلفت وتقدَّمت قبلهم ﴿مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأحقاف: 18] بيان الأمم وتعليل للحكم المتقدم على الاستئناف قد تقدم الكلام فيه قبيل هذا ولكن لما ذكر الله الولد البار ثم أردفه بالعاق قال: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ﴾ تفصيل لهما، أي لكل من البار والعاق، والباطل والحاق، واليسر والشاق درجات ﴿مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ من البر والعقوق ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ وليعطيهم الله جزاء أعمالهم وافيًا كافيًا ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأحقاف: 19] بنقص ثواب وزيادة عقاب.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ متعلق بيعرض أي عذبوا بالعرض على النار من قولهم: عرض له فلان إذا التقوا به كما يقال: عرضت الناقة على الحوض ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾ أي قيل أزلتم، وضيعتم طيباتكم وحالاتكم من الأطعمة اللذيذة والألبسة النعيمة، والثمرات، بالاستعمال في المواضع المجرباتِ ﴿فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ أي تلذذتم بها في الحياة الدنيا ﴿فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ ظرف مقدم على عامله، الهونِ والهوانِ الجفاء والاستهانة ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ [الأحقاف: 20] وتعظون وتتعظمون وتتخيرون في مراتب النفوس بالأعمال البدنية والنفسانية والجنانية والروحانية طاعة والعمل بما أمرتم به ونهيتم عنه.

﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١﴾

﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾ [الأحقاف: 21] أي هود وحكاية دعوته قوم أخيه إلى الله ﴿إِذۡ

أَنذَرَ﴾ عن طول العذاب ونزول العقاب ﴿قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ جمع حقف وهي دخان طويل ودهر مديد جليل أي خوف قومه بعذاب يقع في الأحقاب والأدوار والأكوار، والمراد رمل مستطيل مرتفع فيه الخناء محقوف الشيء ذا عوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشجر، يعني شط البحر من بلاد اليمن ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي مضت الرُّسل ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ أي من قبله ومن بعده، يعني أن الرسل قبله كنوح وإدريس وشيث وآدم والذين بعده كصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى إلى محمد ﷺ وعليهم، وغاية كلهم ينذرون ويخوفون الخلق إلى الحق إلى يوم القيامة ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أن للبيان، يعني أن الغرض من بعثتهم هو الدعوة إلى الله والطاعة لمرضاة الله ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ أن يجعلهم من هنا لأمر ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: 21] في الآجل والعاجل، وإن السبب الكلي والغرض الأصلي ليس إلا لمعرفته المتضمنة للإيصال والاتحاد لا الزندقة والإلحاد.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي قوم هود ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ بأن تصرفنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ أي عبادتها التي وجدنا عليها آباءنا التي مضت عليها من كان من قبلنا من الأجداد ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب وشدَّة العقاب ﴿إِن كُنتَ﴾ في الإنذار والتخويف والإخبار ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: 22].

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قَالَ﴾ هود في جواب قومه: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ بحلول العذاب ونزول شدة العقاب ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا يعلم وقته ولا يدري ولا يحكم بمعرفته ولا بكميته وكيفيته إلا الله فيأتيكم في وقته ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: 23] من الأحكام الإلٰهية والنواميس الربوبية ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [النُّور: 54]، ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف: 23] أي يظهر فيكم الجهل ويصدر بينكم الحماقة وأسرار الجهل.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ أي سحابًا عزمًا طرأ في أفق ماطرة من السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ أي توجه إليهم من الأودية، والإضافة لفظية، فإذًا ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا﴾ السحاب نشأ ﴿هَٰذَا عَارِضٌ﴾ ظاهر في الأرض ﴿مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ﴾ أي يظهر المطر لنا، بل هو أي قال هود: ليس هذا مطر بل هذا ﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ﴾ من العذاب الإلٰهي ﴿فِيهَا﴾ في الدنيا من القوي ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: 24] بيانها وصفاتها.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿تُدَمِّرُ﴾ وتهلك ﴿كُلَّ شَىْءٍۭ﴾ أصابته من نفوسهم وأموالهم ومساكنهم ومنازلهم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: 25] وقوته وكمال قدرته، فإن الله قد أسكن الريح في طبقة من طبقات الأرض فإذا أراد إهلاك قوم أمر تلك الريح ليخرج شيء منها، وهبَّ على ذلك القوم كما أهلك قوم عاد وصالح. قد ورد في الخبر: إن الله أخرج مقدار ثقبة خاتم من الريح التي أسكنها في طبقة من الأرض ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ مواضع سكونهم وأراضي ركوبهم، أي أصبحوا وظلوا بحيث لو حضرتَ بلادهم لا ترى إلا أرضًا كانت مساكنهم. روي أن الريح حمل الفسطاط والطبقة فرفعها في الجو حتى ترى كأنها حرازة. قيل: أول من أخبر بالعذاب امرأة منهم قالت: رأيت ريحًا فيها كشهب النار. وروي أن أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم ورعائهم من أمامهم يطير بهم الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلّقوا أبوابها فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأنزل الله عليهم الأحقاب، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم، ثم سكنت الريح عنهم فأجمعتهم وطرحتهم في البحر. روي أن هود لما أحسّ بالريح خطّ على نفسه وعلى المؤمنين خطًّا إلى حيث عين تنبع.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: 25] عن ابن عباس: اعتزل هود ومن معه من المؤمنين وهم أربعة آلاف من الذكور والإناث في حظيرة ما يصيبهم من

الريح إلا ما يلين به الجلود وتلذّ الأنفس وتستطيب كأنها ريح صبا تهبّ في غاية الحر، وإنها لتمر من عاد وقومه بالطعن بالسماء والأرض، وتدمغهم بالحجارة. عن النبي ﷺ: كان إذا رأى هبوب الريح فزع وقال: «**اللهمَّ إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت بها، وأعوذ بك من شرّها ومن شرّ ما أرسلت بها**». وإذا رأى مخيلة وسحابة قام وقعد وجاء وذهب وتغيَّر، فيقول الناس: يا رسول الله إنك ما تخاف؟ فيقول: «**إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا:** ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: 24]».

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ﴾ أي جعلناهم متمكنين ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ (إن) بالكسر نافية، أي فيما أمكناكم فيه، الأحسن في اللفظ لما في مجامعة (ما) مع مثلها من التكرير المستتبع، ومثيله محبب: ألا ترى أن الأصل في مهما ماما، فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاءً، ويأول بأنَّا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه أو بالعكس، والوجه هو الأول ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ أغنى من الإغناء وهو الدليل أي ما منعهم لا بصر ولا سمع ولا أفئدتهم من شيء من العذاب اللاحق الذي استحقوه بسوء فعالهم وبؤس خصالهم وذلك ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ علَّة لما أغنى، وهو ظرف آخر جرى التعليل من حيث إن الحكم مرتّب على ما أضيف إليه، وكذلك ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: 26] أي العذاب اللاحق الذي أحاط بهم من جميع الجهات فأهلكهم.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ بحجر ثمود وقرى قوم لوط وغير ذلك ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ وغيرناها بتكريرها بإيتاء بعض وإذهاب بعض ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: 27] غيّرا كفرهم إلى الإيمان ويعودون من عصيانهم إلى الإحسان.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ [الأحقاف: 28] أي فهلّا منعهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقرَّبون بهم إلى الله حيث قالوا: ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: 18] والمفعول المحذوف راجع إلى الموصول، وثانيهما قربانًا وآلهةً بدل عنه، أو عطف بيان آلهة أو قربانًا، أو مفعول به بمعنى التقرُّب ﴿بَلْ ضَلُّواْ﴾ وبما يؤول ﴿عَنْهُمْۚ﴾ نصرهم فلم يقوموا بنصرتهم وامتنعوا أن يستمدوا بهم امتناع الاستمداد أيضًا، وذلك الاتحاد المذكور إفكهم وكذبهم الذي عمدوا إليه وصرفهم عن الحق ﴿وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: 28] عطف على إفكهم، أي ذلك الاتحاد الذي هذا أثره وقد صرفهم عن الحق وصاروا مبشرين.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾ وعرّفنا لك ﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وهو دون العشرة وجمعه أنفار. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: لو كان لنا هاهنا من أنفارنا ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: 29] حال محمول على المعنى ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي القرآن أو المحل الذي يُتلى فيه القرآن ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي قال بعضهم لبعضٍ ﴿أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29] أو أسكنوا سبعين. روي أن الجنّ كانت تسترق السمع ورجموا بالشهب قالوا: ما هذا إلا نبأ عظيم قد حدث، فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف الجن من نصيبين فضربوا وساروا حتى لقوا تهامة، ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافوا رسول الله ﷺ وهو قائم في جوف الليل يصلي، أو في صلاة الفجر، فاستمعوا لقرآنه، وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاءهم. ويروي سعيد بن جبير رحمه الله أنه ما قرأ رسول الله ﷺ على الجنّ ولا رآهم، وإذا كان يتلو في صلاته قرأوا فوقعوا مستمعين وهو لا يشعر، فأنبأه الله بسماعهم. وقيل: بل أمر الله رسوله أن ينذر الجنّ ويقرأ عليهم، فعرف وأمال إليهم بقراءته جمعهم له فقال:

«إني أُمرت أن أقرأ على الجنّ الليلة فمن يتبعني؟ قالها ثلاثًا، فأطرقوا إلى عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: لم يحضر ليلة الجن غيري أحد، فانطلقنا حتى أدركناه على أكمة في شعب فخطّ لي خطًّا وقال: لا تخرج منه حتى أعود إليك. ثم افتتح القرآن وسمعت لغطًا شديدًا حتى خِفْتُ على رسول الله ﷺ وغَشِيَتْهُ أسودة كثيرة حالت بينه وبيني حتى ما أسمع صوته، ثم انقطعوا قطع السحاب فقال لي رسول الله ﷺ: رأيت؟ قلت: نعم رجالًا سودًا، فقال: أولئك جن نصيبين» وكانوا اثنا عشر ألفًا والسورة التي قرأها عليهم ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العَلَق: الآية 1]، فلما فرغ عن قراءته ﷺ عند منصرفه من الطائف قرأ في تهجده

﴿قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يهودًا وما سبقونا عيسى عليه السلام ولم يكونوا بأمر عيسى ولذا قالوا من بعد موسى ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المتقدمة ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ لمطابقته في الأحكام ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ﴾ أو دين الحق والاعتقاد المطابق للحق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: 30] والدين القويم.

﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ﴾ بداعي الله وأمره وحكمه ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ التي هي حقوق الله لا حقوق الناس لأنه لا يغفر إلا بالإيمان ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: 31] وبهذا ما يشعر بأن الجنّ يكلفون بما يكلف بني آدم. قال الإمام الرازي في «التفسير الكبير» نقلًا عن «تفسير القاضي»: إن الجنّ يكونون يهوديًا ونصرانيًا ومجوسيًا ووثنيًا وعبدة أصنام، وإن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن ويكلفهم بالإيمان بالله وبرسوله وبما جاء به.

سئل ابن عباس: إنّ للجن ثوابًا وعقابًا؟ قال: نعم، لهم ثواب وعقاب.

واعلم أن ثواب الجن بالنسبة إلى ثواب الإنسان قليل كمًّا وكيفًا، وعقابهم ونقمهم وعذابهم كثير وشديد وكبير والتشدُّد الذي قد وقع في عذاب أهل النار أكثره بالنسبة لهم هو بالحق.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ الداعي ثلاثة: محبة الله، ورسوله، وكتابه. فالكتاب يدعو إلى الخدمة، والرسول يدعو إلى الضيافة، والله يدعو إلى اللقاء والمشاهدة، فمن أجاب الرسول صار سنيًّا، ومن أجاب الكتاب صار شريفًا أنيسًا في حظائر القدس، ومن أجاب المولى صار عزيزًا ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أن يذلّله ويجعله شقيًّا، ولا ينجو من العذاب الأليم ومن العقاب العميم ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي ليس لمن يجيب من الجن والإنس من دون الله ﴿أَوْلِيَآءُۚ﴾ يمنعونه من ذلك العقاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: 32] أي جهل ظاهر وعصيان باهر حيث أعرضوا عن إجابة داعي الله وامتثال أمره.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي الأكوار النورية والجمالية الوجودية وأعيانها الثابتة وما بها من الحكمة والحقائق الإلٰهية دبّرها الله تعالى في الدورة العظمى النورية باعتبار الوجود والنور بظاهر العلم الذي هو ظاهر الذات والأعيان الروحية، والدورة الكبرى، والمثل النورية في الدورة الوسطى النورية والأكوان الشهادية الملكية في الدورة النورية ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأحقاف: 33] هي الأكوار الظلية الجلالية العدمية وأكوانها الجلالية العدمية، أي عدم الأعيان الثابتة وحقائق الماهية النورية والجواهر الأهرمانية أدوارها الذات والبحت ومطلق الوجود باعتبار العدم الذي هو مفهوم المطلق والبحت الذي هو جزاء مفهوم الذات الواجب الوجود، وهو امتناع العدم، والربّ هو الذات البحت باعتبار تقيض العلم وهو الجهل الذي هو اختفاء من العلم وباطنه. قال الشيخ

ابن العربي: الحمد لله الذي خلق الوجود كما خلق العدم. نظم:

بـكــزرز وجــود بــاعــدم ســاز زيــراكــه عــدم عــدم بــنــامــســت

مـيـدان بـيـقـيـن كـز عـدم خـواسـت مـرجـاكـه وجـود وانـظـامـسـت

وقس على هذا سائر الأكوان أي الكبرى التي تختصّ بالممات الذي هو ضد الحياة، والروح خلق الموت والحياة، وكذا في الأكوار الوسطى والصغرى التي هي مربوبة للذات البحت باعتبار تدبير العدم الذي هو مفهوم البحت والأطوار بذريعة ضد القدرة والإرادة.

﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: 33] أي لا يفتر ولا يضعف ولا يعجز، فإن قدرته تامة متكاملة ليست بغرض ينتهي ولا يجاذب حتى يضعف، ولا ينقص بكثرة الإيجاد وقوة الفعل أبد الآباد ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ والباء صلة يدل عليه قراءة يعقوب بقدر ذلك لتأكيد النفي ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فإنه مشتمل على (أن) و(ما) في حيزها ولذلك أجاب عنه ﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: 33] تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود، كأنه لما صدّر السورة بتحقق المبدأ أراد ختمها بأسباب المعاد.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يحكى قول مضمر يكون ناصب الظرف ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ العذاب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الثابت ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ﴾ من قال أليس بالحق ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [الأحقاف: 34] الذي جحدتموه وأنكرتموه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف: 34] بالله وبتوحيده وبما جاء منه من الوحي والكتاب.

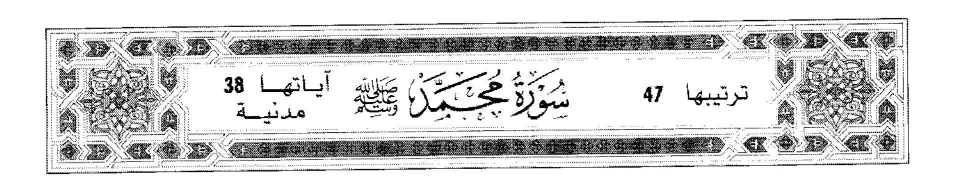
﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على إيذائهم واستهزائهم ﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35] العزم: الجد والاهتمام والثبات والصبر وهو الجزم في النية،

والجزم في الهمَّة والأمنية، بحيث لا يتزلزل في نيّته ويتقلقل في أمنيته بحلول الشدائد والمحن ونزول النوائب والفتن. وأصحاب العزم سبعة: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وداوود، وعيسى، ومحمد ﷺ وعليهم. ويجوز أن يكون (من) للتبعيض، ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء، قيل: هم صبروا على أذى قومهم وكانوا يصبرون حتى لقوا الله عليه وآجرهم على الإلقاء في النار والذبح، وإسماعيل وإسحاق على الذبح، ويعقوب على فقدِ ولده وذهاب بصره، ويوسف على الجبّ، وأيوب على الصبر وأنواع البلاء، وموسى على ما قال قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: 61 - 62]، وداوود يبكي على خطيئته أربعين سنة، وعيسى على صدّ قومه له وعدم التفاته للدنيا وانتفائه وبقائه ما عمر بيننا ولم يضع لبنةً على لبنةٍ ولا حجرًا على حجر، وغير ذلك من الأنبياء الذين آتاهم الله. قال النبي ﷺ: «**إنّ أشدّ البلاء على الأنبياء ثم على الأولياء ثم على الأمثل فالأمثل**».

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ استقصروا من طول مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة. وإنما قيل: ﴿مِّن نَّهَارٍ﴾ لأنها مكشوفة دون ساعات الليل ﴿بَلَٰغٌ﴾ أي هذا بلاغ، أي هذا الذي وعظتم به كفاية في النصيحة والموعظة، أو هذا تبليغ من الرسول ﴿فَهَلْ﴾ مبتدأ ﴿يُهْلَكُ﴾ خبره ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35] الخارجون عن زمرة المطيعين والعمل هو جهته ومقتضى ما فيه. عن رسول الله ﷺ: «**مَن قرأ سورة (الأحقاف) كتب له عشر حسناتٍ بعدد كل رملة في الدنيا**»، صدق رسول الله ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل الحقيقة المحمدية في المعنى واسطةً في إبداع المجرّدات في الأدوار الإلٰهية وفي الصورة رابطةً في إيصال الحقائق الألوهية بالشقائق الكونية أولًا في بداية الدورة الكبرى النورية بذريعة حقيقة الحياة والروح الأعظم بتعلُّق النفس الكليَّة بالجسم الأقدم والفلك الأكرم في مرتبة الأمر وعالم الملكوت الأعظم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أجرى في رياض عالم البرزخ ورياض حدائق الطبيعة في الدورة الوسطى الجمالية أنهار أنوار التجليات الأربعة: نهر ماء التجلي الآثاري، ونهر لبن التجلي العقلي، ونهر عسل التجلي الأسمائي والصفاتي، ونهر خمر التجلي الذاتي بذريعة القدرة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي دوَّر بإرادته الوصفية أفلاك عالم الملكِ، ودبَّر بمشيئته الذاتية أملاكه المفوضة لتدوير أجرام عالم الشهادة وتدبير أجسام العاليات والسافلات في الدورة الصغرى النورية الوجودية ليظهر مراد الذاتية الكامنة في سرادقات الجلال التي تضمنتها الدورات النورية الجمالية الوجودية في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله وبتوحيده الذاتي والأسمائي والأفعالي والآثاري الإفرادي والجمعي ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وطريقه وسلوكه واستطراقه، وهم شياطين الإنس والجن ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: 1] أبطلها الله وأحبطها وضيّعها وجعلها ضائعة، من

ضلّ الماء في اللبن، وأصلها إذا اختفى فيها وأخفاه وأبطل ما عملوا في طريق الدين، وأبطل الله أعمالهم من الكيد والحيلة، وتحريك الأعداء من الأعراب على رسول الله ﷺ وغير ذلك بنصرته عليهم وإظهار دينه على الأديان كلها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [محمد: 2] يعم المهاجرين والأنصار والذين من أهل الكتاب والمشركين ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ يخصص المنزل عليه بما يجب الإيمان به تعظيمًا له وتفخيمًا لشأنه وإشعارًا بأن الإيمان لا يتم إلا به، وبأنه الأصل في حقيقة الإيمان لأنه من شأنه «**لولاك لما خلقت الأفلاك**»، ولذلك أكده بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ أي محمد والمنزل ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وهو جملة معترضة أو رددها للتأكيد تعظيمًا لشأنه وتكريمًا لحكم برهانه وحقيقته إنما يكون ناسخًا غير منسوخ، وراسخًا غير مرسوخ ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ بسبب الإيمان به وبما أنزل والعمل الصالح ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: 2] وأنجح آمالهم وأفلح أحوالهم في الدارين بإسعادهم في الدارين. والبال هو القلب باعتبار الميل ووفور النيل. قال عيسى عليه السلام: «**ضعوا آمالكم حيث بالكم، واجعلوا في السماء الذين كفروا**». أما الأكوان العدمية الضمنية الظليّة الجلالية التي تولّدت ضمنًا مع الأعيان الوجودية الصريحة النورية الجمالية، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «**ما من مولود إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**».

فالكافر إنما يكون كافرًا إذا كان هذا المولود الجني الضمني كافرًا فحينئذ يصدّ المولود الإنسي الصريح عن سبيل الله والدين الحق، وأضلّ أعمالهم أي أخفاها عن الأبصار كما قيل: ضلَّ الماء في الدين وأضلّه إذا خفي واختفى فيه، وأتمها في صحيفة الأعمال وديوانها هذا في طور الآفاق، وإما في طور الأنفس والذين كفروا هم النفوس الأمّارة التي هي إما نفس ذلك المولود الجني، أو مظهره، فإنها تكفر أولًا ثم تتبع سائر النفوس وقواها، أعني القوة الشهوية

والغضبية والحواس الظاهرة والباطنة، فتصدّها عن سواء السبيل ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: الآية 36].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي والأعيان النورية الوجودية آمنوا صريحًا، والأكوان الظليّة العدمية ضمنًا ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إشارة إلى إيمان القوى والأجزاء والأعضاء، فإنَّ إيمان القلب إنما يظهر في الأجزاء والأعضاء والقوى النفسانية بالأعمال الظاهرة والأفعال الباطنة. والأحوال الباطنة قوله: ﴿نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ في النشأتين بالنبوة الذاتية في الدورة العظمى النورية، وبالنبوة العرضية المتضمنة لذاته اللازمة لكمال الجمعية في الدورة الجمعية في السر في الله ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي الكتاب الجامع الرافع للدرجات، البادع للتجليّات أو صاحبها الظاهرة ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: 2] بداية ونهاية، كما قال ﷺ: «**نحن الآمرون السابقون**»، ذلك الإضلال والتكفر والإصلاح والتدبير.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي إن ضلالهم بسبب كفرهم بالله وبما جاء به من عنده ﴿ٱتَّبَعُواْ﴾ الأمر ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾ والحكم الفاسد العاطل ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الفطرة الأولى ﴿ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ﴾ والدين والشريعة الحنيفة البيضاء المحققة ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: 3] جملة معترضة أوردها لتأكيده تعظيمًا لشأنه وتكريمًا وتعميمًا لحكم برهانه وحقيقته إنما يكون إذا كان باستخدام غير منسوخ كفر عنهم سيئاتهم وستر خطيئاتهم وأصلح بالهم بحسن الأخلاق والإخلاص في عبادة الخلاق. والحاصل أن الأعيان والكفر إنما يبقون أولًا في الأعيان والأكوان الجنية ثم ينتقلون ثانيًا إلى المولود الإنسي، فمن كان مولوده الجني كافرًا والمولود الإنسي مؤمنًا كان أو منافقًا، ومن كان بالعكس فهو مؤمن عند الله، كافر عند الناس، فأكثر الناس منافق وأغلبهم كافر، وأما المؤمن الحق الذي أسلما معًا وتحققا بالأعيان جميعًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: 4]، وأما الكافر فبالعكس، أي غير متناهية كما أشار إليه النبي ﷺ.

فأما الذين آمنوا ظاهرًا وباطنًا، صورة ومعنى، فاتبعوا الدين والقول والمذهب والاعتقاد الحق الثابت الذي يطابق الواقع أو يقابله الباطل، بمعنى أنه ارتفع الحكم الذي يطابقه الواقع عن هذه المواقع من ربّهم حال تلك المطابقة ثابتة من الله الذي يراهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الضرب والبيان ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [محمد: 3] أي أمثال الفريقين وأحوالهما وأحوال الناس جميعًا، أو يضرب ويبين أمثالهم وأحوالهم بأمثالهم وأحوالهم بأن جعل اتباع الباطل مثلًا وبيانًا لعمل الكفار، والإضلال مثلًا لخيبتهم، واتباع مثلًا للمؤمنين، ويكفر السيئات مثلًا لنورهم بطريق الحق وبيانًا لفوزهم واتباعهم السبيل الواضح.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ظاهرًا وباطنًا صورةً ومعنى ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أي اضربوا رقابهم ضربًا شديدًا، فحذف الفاعل على سبيل الجواز ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أي غلبتموهم وأكثرتم قتلهم من الثخن وهو الغليظ المتين والكثيف المبين ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ فأسروهم واجعلوهم أسرى بفتح الثاء المثلثة والكسر اسم الموثوق به ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ أي فتمنون منًّا وتفدون فداء، وإنما وجب حذف العامِل إذ المصدر هاهنا قد وقع تفصيلًا لأثر مضمون جملة متقدمة وهي (شدوا الوثاق)، والمراد التخيير بين الأمرين بعد الأسر بين أن تمنوا عليهم فتطلقوهم، وبين أن تفادوهم وهو ثابت عندنا، وأما عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد الأمرين، إما قتلهم واسترقاقهم أيهما رأى الإمام وثبت لدى رأيه، ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ المذكورين في الآية، نزلت في بدر ثم نسخت ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ هي الانتهاء وأثقالها وأدواتها كالسلاح والكِراع أو الرماح الطوال والخيول الفحول، (حتى) متعلق إما بالضرب والشدّ أو بالمن والفداء. قيل: هذا إنما يكون عند نزول عيسى وظهور المهدي وانتفى الظلم والجور وتفشى العدل والقسط بين الناس في تمام الدور ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر الذي ذكرنا من النصر والفتح ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾ انتقم منهم وأهلكهم ﴿لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [محمد: 4] لانتقم منهم والحدّ منهم الحيف واستأصلهم وأهلكهم جميعًا ﴿وَلَٰكِن

﴿لِّيَبۡلُوَاْ﴾ ويمتحن ﴿بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ أسباب الهلكى من خسف أو رجعة وما ضرب أو غرق أو موت أو حارق وغير ذلك ولكن أمركم بالقتل والمقاتلة والجهاد ليظهر صدقكم ويشهد رفقكم وكمال جدكم في الدين والإسلام ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جاهدوا في أمور الدين ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: 4] ولا يبطل أفعالهم.

﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥﴾

﴿سَيَهۡدِيهِمۡ﴾ إلى طريق الحق، ويوصلهم إلى دقيق الصواب والصدق ﴿وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ [محمَّد: 5] باستعلاء أطوار أنواره البهيّة واستيلاء الأخلاق المرضية والصفات الملكية والنعوت الإلٰهية. قال النبي ﷺ: «**تخلقوا بأخلاق الله إن لله تسعًا وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**».

﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦﴾

﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [محمَّد: 6] جنَّة الجنات الذاتية والأسمائية والأفعالية والإشارية، أو الجنة النورية الجمالية الوجودية في الأدوار الشهودية وأطوار التجليات العبودية في المرتبة الجمعية النورية الأربعيّة، فإن في كل دور من الأدوار الأربعة الجمالية دنيا وآخرة، وفي كل آخرة جنة ونار مناسبة لها، ولكل دورة عند انتهاء مدّتها وانقضاء دورتها وانتقال فردارية التوبة من دورة إلى دورة أخرى جمالية قيام، وظهور ساعة، فإذا انقضت مقتضيات الأدوار الأربعة النوريّة الإفرادية انتقلت الدورة وفردانيتها بالأمر ذاته إلى فردارية جمعيّها، وانتقلت أعيان المراتب من بعضها إلى بعض، مثلًا انتقلت عند انقضاء الدورة العظمى الوجودية النورية للنوريّات الذاتية من مرتبة الوحدة الذاتية والأحدية الجمعيّة التي هي نهاية اللاهوت وبداية الجبروت إلى وسط الجبروت، وتعينت بصور الأعيان الثابتة والماهيات الكونية والحقائق الإلٰهية، وتصور الجواهر النورية والعقول المجرّدة في الملائكة العالية التي وُكِّلَت بها، أي إسرافيل وميكائيل وعزرائيل، تصور أعيانها، وتصور سائر العقول المدبرة والعالم الملكوت وأعيانها، واستقلت الأعيان الثانية من مرتبة عالم الملكوت إلى عالم الأمر والملكوت، وتعينت الجواهر العقلية والأعيان الثابتة والصور العلمية تصور النفوس المدبرة والأرواح المجرّدة والأرواح القدسية، ثم انتقل من هذا العالم إلى عالم البرزخ وتمثّل بالمثل النورية والأعيان

البرزخية والأكوان الخيالية والصور المثالية، وهذه الصور تنتقل إلى مرتبة الملك والشهادة، وتتمثل بصور الأفلاك وصفات الأملاك والأفلاك، تنتقل من هذا العالم إلى عالم الناسوت، وتصور بصور الإنسان والكون الجامع لجميع الأعيان الواصلة إليه وصولًا عينيًّا، تنتقل بانتقاله إلى عالم اللاهوت وتتحقق بالألوهية والعبودية «**لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبي مرسل**»، يا عبدي، المعنى أمثلك مثلي وليس لي مثل هذا عند استعمال الأدوار الأربعة النورية الجمالية الوجودية الإفرادية، وتتخمس بصورة جمعية الكل، ثم تنتقل من الأدوار الخمسة الوجودية.

أقول: وروح القدس ألقت في نفس وجود الحق من عدد خمس إلى الإفراد والعبد بين الظلة الجلالية المربعة الإفرادية وصون جمعيتها الخاصة التي هي عند الأدوار النورية وباطنها وسرّها، فتكون منطبقة عليها موافقة لها في جميع ما كان بها من الدنياويات والأخرويات والأراضي والسماوات، والسعرات والجنّات، وشهود التجليات، وغير ذلك من مراتب الجزئيات والكليّات، فأكوارها الكلية خمسة، أربعة منها إفرادية، والواحدة منها هي الجمعية الكلية مجموعها عشر أفلاك، عشر كاملية قد تعتبر الجمعية من هاتين الجمعيتين، أي جمعة الأدوار النورية الجمالية وجمعة الأكوار الظلية الجلالية بما يكون بالإضافة كمال جمعية جمعية الدورة النورية الجمالية، وجمعية الجمعية الظليّة الجلالية، وهذه الدورة إنما هي الدورة الإلٰهية وسماؤها هي الأحدية الذاتية.

والأدوار التي تنتج منها نورية جمالية بروج سماوية، والأكوار الظلية الجلالية هي ستة بروج جنوبية، فمجموعها اثنا عشر وجهًا من السماء الإلٰهية، فشمس التجلي الذاتي تتبدل نسبتها إلى هذه الأدوار والأكوار التي هي كالبروج لسماء الدورة الإلٰهية، ويحصل منها يوم وليلة إلٰهية، فاليوم عبارة عن الأدوار الستة الإلٰهية النورية، والليلة هي الأكوار الستة الظليّة، ومدة الأدوار والأكوار لا يعلمها إلا الله تعالى.

﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محَمَّد: 6] بالتعريف الإلٰهي في الدورة العظمى، وبالتعريف الرباني في الدورة الكبرى وبالبرزخ في الدورة الوسطى، وبالملك الشهادي في الدورة الصغرى، وبالتعريف الجمعي في الدورة الجمعية في المرتبة الناسوتية.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ بنصر أوليائه وإعانة أخلائه ﴿وَيُثَبِّتْ﴾ على عدوكم ظاهرًا وباطنًا، وهو النفس. قال النبي ﷺ: «**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**». ﴿أَقْدَامَكُمْ﴾ [محَمَّد: 7] في الدنيا لدى مقاتلة الأعداء ومحاربة الخصماء، وفي الآخرة على الصراط والمحاسبة والسؤال.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٨﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ أي عثورًا وانحطاطًا وتزلقًا واحتباطًا، منصوب بمضمر هو خبر الموصول المتضمن للشرط ولذا أدخلت الفاء في الخبر، يعني أن الذين كفروا فتعسهم الله وأزلقهم تعسًا شديدًا وإزلاقًا سديدًا ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [محَمَّد: 8] عطف على الفعل المضمر وهو في الدنيا التزلزل والتزلق والتقلقل.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٩﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ التعس والتزلزل ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [محَمَّد: 9] أي بسبب كراهتهم الكتاب المنزل وما تستنبط منه من الأحكام الإلٰهية والشرائع النبوية.

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ۝١٠﴾

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ سير اعتبار وسفر استبصار ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ نظرة عبرة إلى أعيان العالم وأحوالها ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ﴾ واستأصل وضيّق ﴿عَلَيْهِمْ ۖ﴾ بما اختص بهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم وأموالهم ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا﴾ [محَمَّد: 10] أي يحصل ويثبت للكافرين تلك العاقبة السيئة وارتفاع حسن العاقبة وشدة المؤاخذة وحِدّة العقوبة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ المتقدم من العقوبة وهي العاقبة ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي بسبب كون الله ﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ منهم وناظرهم وحافظهم ﴿وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محَمَّد: 11] في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي الأعمال التي تصلح لأن تكون مقبولة لله ستقع في حيز القبول، والآخرة لظهور آثار القبول فيها، أما في الدنيا فالنصر على الأعداء وفتح القلاع والسور، وأما في الآخرة ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الأربعة التي هي مظاهر التجليات الأربعة الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية، المنسوبة إلى الأدوار الأربعة التي تظهر أحكام فردارية كل منها في العالم على أعيانها كل مرتبة من المراتب الأربعة على مقتضى رب تلك الدورة، فإن ربّ الدورة العظمى في مرتبة الجبروت وعالم الواحدية هو العليم، وربّ الدورة الكبرى في مرتبة الملكوت وعالم الأمر والأرواح هو الضمني، وفي مرتبة البرزخ هو الخبير، وفي الملك وعالم الشهادة هو المريد، وفي مرتبة الناسوت وعالم الكون الجامع في المرتبة الجامعة هو الله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله وبرسوله ﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ ويتنعمون باللذات النفسانية والشهوات الحيوانية ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ والبهائم، حريصين على التمتعات البدنية والشهوات النفسانية، غافلين عن السعادة الأخروية والنعم السرمدية واللذات الدائمة الأبدية، وجنات التجليات، وشهود اللقاء، ورفيع الدرجات، والنار التي هي ثمرات الشهوات ومقتضيات النفس الأمّارة بالسوء التي تجر صاحبها إلى ما يجانسها وهي نار القطيعة وأنوار السعيرة وغار عار الندامة وهاوية الحسرات، فتكون ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محَمَّد: 12] ومأوى ومكان.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي وكثير من أهل قرية ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾ وأكثر أهلًا ومالًا وأوفر زراعة وعمارة ومنالًا ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ أعيانها ومكانها منها ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بأنواع العذاب ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محَمَّد: 13] يدفع عنهم العذاب ويرفع شدّة العقاب وحدة النكبات.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ وجهة وبرهان دليل وثبت ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ من القرآن والمعجزات وأمور هي خرق العادات ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ﴾ أي مثل مَن ليس له من ربّه حجة ولا برهان وبيِّنة، بل لا يكون له دليل أصلًا وفصلًا عن أن يكون قرآنًا وحجة وبرهانًا، وإنما زيّن له ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ كالشرك والمعاصي والإفك يجر صاحبه على الوجوه والنواصي إلى النار من الأداني والأقاصي ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ في مدارك الإدراك ومسالك الثبور والهلاك ﴿أَهْوَآءَهُم﴾ [محَمَّد: 14] الفاسدة وآراءهم الكاسدة التي أدتهم إلى النار وأهوتهم إلى دار البوار، وأنت خبير بأن طريق الحق لا يهتدى إليه بمجرد العقل ومفرد النقل عن الأهواء الفاسدة والأهواء الكاسدة، بل لا بد له من إمام كامل ومرشد فاضل يرشد الطالب إليه ويهدي السالك الراغب لديه.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ هذا الكلام في صورة الإثبات في معنى النفي والإنكار لانطوائه تحت حكم كلام معبر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ وكأنه قيل: إن مثل الجنة وأهلها كمثل النار وأصحابها، يعني جزاء أهل الجنة كجزاء أهل النار الذين هم خالدون فيها ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ في حكم الدليل على عدم التماثل بين أهل الجنة وأهل النار التي هم فيها خالدون ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ استئناف شرح المثل، أو حال من العائد المحذوف أو خبر مثل الآسن هو التغير والنقص، أو تغير في الطعم واللون ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ لم يصر رخوًا أو خاثرًا ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لا فيها مرار ولا قبض ولا حراقة ولا عفونة ولا حرافة ولا حموضة كما هي من شأن خمر الدنيا ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محَمَّد: 15] من الشمع والكدورة والصمغ وفضلات النحل.

واعلم أن أرباب الأدوار ومبادئ الأكوار الإفرادية أربعة لا بد أن تكون مقتضى التربيع ومرتضى الأصل والتنويع ساريًا في أعيان الأدوار وأكوان الأكوار، وإذا كانت المثليات تجليات الأكوار المفردة أربعة كانت مظاهر صورتها في الظاهر والباطن أيضًا أربعة، فيظهر الماء مظهر التجلي الآثاري ونهر اللبن مظهر التجلي الأفعالي، ويظهر نهر العسل مظهر صورة التجلي الأسمائي، ونهر الخمر مظهر صورة التجلي الذاتي، والنهر المائي هو الإرادة، وربّ النهر اللبني هو القدرة، وربّ النهر العسلي هو الحياة، وربّ النهر الخمري هو العلم.

وإن في كل دورة من الأدوار الأربعة النورية، وكذا في كل كورة المربعة الظلية الإفرادية، دنيا وآخرةً، وسماءً وأرضًا، وأن في الآخرة كل منها جنة ونارًا، وفي كل جنة من جنات الأدوار أنهار أربعة، وكذا في جنات الأكوار هذه الأنهار الأربعة جارية، وهذه الأنهار متحدة بالنوع وبالشخص، وإنما وصف الأنهار الثلاثة دون الخمر بالأوصاف الفردية تنبيهًا على أن الشيطان قد يدخل في التجليات المستوية بها، وتروي نفسها بالنعوت الإلٰهية للسالك، ويتجلى له إلا أنه لا يخلو عن العيوب والنقائص، أو لم يوافق الجلال والجمال. وأما إذا وافقت في الأمور كلها طابقه وحينئذ لم يخالف كما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «**فلا يأمرني إلا بالخير**».

وأما الخمر الذي هو مظهر الجنة الذاتية والذات نسبت إلى الكل على السواء فلا سلطان له فيه وعلته ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحِجر: الآية 42]. رأيت يومًا أن حقيقة الخمر وهي المحبة الذاتية قد اشتكت إلى الله من الرسول ﷺ بأن جرم مظهري هو الخمر مع أنه يتبع عبادك ظاهرًا، وهو ظاهرًا وباطنًا، فإن بعض النفوس تسلّط عليه عقل المعاش وتبعده عن حصنك لكثرة الأفكار الفاسدة عليه والأنظار الكاسدة، والخمر يزيل ذلك العقل ويقرِّب العبد إليك، قال الله في جوابها: «أنت قريب إلي وجعلتك نفسي وذاتي ولذلك بعدت مظهرك عن عبادي».

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ التي هي نتائج الأعمال الظاهرة والباطنة، قال النبي ﷺ: «**إنما هي أعمالكم تُرد عليكم**» الحديث ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محَمَّد: 15] عطف على محل من ربكم، فإنه في المعنى إما مبتدأ قُدِّم خبره و(من) لإفادة الاستغراق أو فاعل الظرف وهي عبارة عن نعمة من نعم الله التي لا عين رأت ولا

أذن سمعت ولا خطر ببال بشر قط ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي فأصحاب الجنة في الجنة مخلّدون مثل أصحاب النار وهم خالدون في النار، والتشبيه حال أصحاب الجنة بحال أصحاب النار في الثبات والخلود ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا﴾ كما سقي أهل الجنة من الأنهار الأربعة المذكورة ﴿فَقَطَّعَ﴾ الماء الحميم ﴿أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محَمَّد: 15] لفرط سميته وحرارته وحرقته.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ﴾ وهم المنافقون قالوا بعد أن خرجوا من مجلس الرسول ﷺ واستماع كلامه ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أي علماء الصحابة كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهم ﴿مَاذَا قَالَ﴾ الرسول ﴿ءَانِفًاۚ﴾ أي الساعة يسأله استهزاءً واستخفافًا من قولهم: أنف الشيء لما تقدم منه مستفاد من الممازحة ومن أسايف وهو ظرف بمعنى وقتًا مؤقتًا أو حال من الضمير في قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وختم عليها ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محَمَّد: 16] الفاسدة.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾ وجدوا الهداية وصادفوا المعرفة والدراية بتوفيق الله تعالى وكمال إلهامه ﴿زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ﴾ الله بكمال لطفه وعموم رحمته ووفور رأفته بمقالة الرسول وحسن إرشاده إياهم ﴿تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محَمَّد: 17] أي بيَّن لهم طريق اكتساب التقوى واجتلاب معنى الورع والزهد والهدى، وأعطاهم إياه جزاء لكمال إيمانهم وإتقان إيقانهم.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ وينتظرون ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ أي غير الساعة ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ﴾ في تأويل المصدر بدل من الساعة بدل اشتمال أو بيان لكيفية ظهور الساعة ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾ [محَمَّد: 18] أي إذا جاءتهم الساعة بغتة وفجأةً وأشراط الساعة وبعثة محمد ﷺ كما قال ﷺ: «**بُعِثتُ أنا والساعة كهاتين**». والأشراط هي العلامات

والأمارات، وهي التي سألها جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ حيث قال: «**أخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: صدقت يا رسول الله**»، ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محَمَّد: 18] أي فكيف ينفع لهم ذكراهم واتعاظهم وتذكُّرهم يوم يتذكر الإنسان، وأنى له الذكرى؟ يعني إذا ظهرت أشراط الساعة وعلاماتها تعقبها الساعة، وذلك عند انتقال الفردارية من دورة إلى الدورة الأولى، والانتقال رفعي فلا ينفع النيَّة والتوبة والاتعاظ والرجوع والإنابة إلى الله، ومنها الدجال وخروج اليأجوج والمأجوج. وبالجملة إن بعثة الرسول ﷺ أول الأشراط، وكلما ظهر في أيام دورة أمر فيه من الغرائب والعجائب فهو من أشراط الساعة.

مطلب الذّكر الخفي

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن أن وظيفة المؤمن أن لا يغفل عن ذكر الله سيما ذكر ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ إذ لا يعلم أن الساعة متى تجيء، وكيف تظهر القيامة، سيما القيامة الصغرى التي هي الموت. قال النبي ﷺ: «**مَن مات فقد قامت قيامته**»، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محَمَّد: 19] إشارة إلى أن الهداية إلى الله تعالى وإلى أن الطريق إلى الهداية وإلى الله ومعرفته وشهوده ومشاهدته إنما هو كلمة التوحيد تكون على هذه الصيغة والترتيب والمواظبة عليها والاستغفار، سيما في آخر الليل وبالأسحار، وتكون خفية كما يقول تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعرَاف: الآية 205] وهو ألا يرفع الصوت.

والجهر في الذكر يغفل القلب ويشغله عن الله ومشاهدته والتوجه إليه لأنه من الشواغل الحسيَّة والغوائل النفسية، وملاك الأمر وأصله في الجهاد الأكبر والأصغر إنما هو التوجه إلى الله ونفي الخواطر مطلقًا سواء رحمانية أو شيطانية، إذ المراد من الذكر والطاعة والفكر إنما هو معرفة الله وشهوده ومشاهدته والتحقق بالله وأسمائه وصفاته ومعانيه وتجلياته، فكل ما هو غير هذا فهو حجاب بطريق

الذكر، ووظيفته وهو أن هذا الذكر مشتمل على الدائرة الحاصلة من قوسين، قوس الترقي وهو كلمة النفي، وقوس التنزُّل وهي كلمة الإثبات. وفي قوس الترقي إلى بدوه أن يبتدئ من مركز القلب المسامت لمركز الأرض ومركز العالم والترقي في ألفين من مراتبه من مرتبة إلى أخرى أي من العناصر إلى الأفلاك واحدًا بعد واحد، إجمالًا وتفصيلًا، إلى أن ينتهي إلى العرش، وفلك أفلاك شخوصه في عالم الجبال ومرتبة المنال المطلق، ويرتقي منه إلى عالم الملكوت والأرواح ومنه إلى عالم الجبروت والمرتبة الواحدية إلى أن ينتهي إلى الوحدة الذاتية والأحدية الجمعية ومقام قاب قوسين.

فينبغي كلما وقع في مسيرة في قوس الترقي والتلقي من الأعيان الملكية والأكوان الملكية والصور البرزخية والمثل النورية والنفوس العالمية والأرواح القدسية والعقول المجردة إلى أن ينتهي في مدارك نفسه إلى الوجود المطلق في مد النفي وانتهائه لم يزل من الوجوه الذاتية التي هي نهاية القدس والترقي والغنى وبداية القوس أثر وإثبات شأنه فحينئذ يشاهد الحق والوجود المطلق ويعاينه متنزلًا من هذه المرتبة واحدها بعد واحدها، ومتجليًا باسم بعد اسم وصفة بعد صفة في عالم الأمر والملكوت والمنال والملك والشهادة إلى أن ينتهي إلى عالم الناسوت ومركز القلب، فحينئذ يرى الحق بجميع الأسماء والصفات في مرآة قلبه دائرة الذكر بقوسها ماثلة وأشباهها. فوظيفة السائر الذاكر الدائر أن يكون ذكر على هذا الخط، وأن يسلك في كل ذكر هذا المسلك. هذا هو ذكر الخواص.

وأما ذكر أخص الخواص من العارفين هو أن يسعى في القوس الأول ويعبر إلى جمع الأدوار الأربعة: النورية وما فيها من أعيان النورية، والظلّيّة صريحًا وضمنًا، ظاهرًا وباطنًا ومعنى، وفي القوس الثاني والإثبات يشاهد الحق بتمام تعيُّنات أعيان الأدوار الأنوارية بصورة جمعه الكلّي بأن لا يعزب عن نظره من هذه التعينات شيء منها، هذا في طور الأدوار النورية الوجودية الجمالية. وأما في طور الأكوار الأربعة الظلية العدمية الجلالية التي هي عكس أطوار الأدوار الإفرادية، فالذكر منها بعكس ذكر الأدوار الوجودية الجمالية، وكذا الطاعات والعبادات في الأدوار النورية الجمالية يخالف الطاعات والعبادات والأذكار والأنظار والأفكار العدمية الجلالية، فإن النفي عند أعيان الأدوار النورية إثبات

عند أكوان الأكوار الظلية، وإيمانهم كفر عندهم، وكفرهم إيمان عندهم، وكذا الطاعات والعبادات عندهم معصية، ومعاصيهم عندنا طاعة وعبادة. فالتوحيد عندهم هو الكثرة، والكثرة توحيد، وإن الدنيا عندهم آخرة والآخرة عندهم دنيا، وأن عالَم الملكِ والشهادة عندهم معقول، وعالم البرزخ وما فيه محسوس، وإنَّ النور عندهم ظلمة والظلمة نور، والتنزيه عندهم والتقديس دونهم تشبيه والتشبيه تقديس وتنزيه، والظاهر عندهم باطن والباطن ظاهر، والولاية عندهم نبوة والنبوة ولاية، والسماوات عندهم منخفضة وإلا رفيعة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48] فتحين القيامة والساعة التي تكون في الأدوار النورية، وكذا الجنة والنار، وكذا جميع الحالات تتعاكس، وعلى هذا قياس سائر الأحوال.

فالسائر العارف هو الذي يدور ويسير في الأدوار وأعيانها ومراتب تعيناتها، ومدارج تنزلاتها، ومعارج ترقياتها، ومخارج بروزاتها وكموناتها، وغير ذلك من حالاتها. كذلك لا بد وأن تدور في أكوان الأكوار الظليّة الأربعة الإفرادية وأحديتها الجمعية، وكذا تدور في جمعية جمعيتهما ويشاهد التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية والجمعية الأحدية وغير ذلك من الحالات والأحوال والمقامات في مظاهر النور والجمال، ومظاهر الظل والجلال، إفرادًا وجمعًا، لتتحقق خلافته ظاهرًا وباطنًا، صورة ومعنى.

وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ وانقلابكم في الأدوار الإفرادية والأكوار الفردارية ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محَمَّد: 19] في الجمعية وجمعية الجمعية، فإنَّ في كل دورة نورية وجمالية وجودية من البداية إلى النهاية لك تطورات وتقلبات في أصلاب إما الأعيان النورية الجمالية الصريحة، أو في بطن الأكوار الظليّة التي تعمل معًا من المبدأ الأول إلى المنتهى المأول الذي عبر عنه بالمثوى، أو المراد هو التقلب في الذكر عند العروج والترقي والنزول والتدني إلى أن ينتهي إلى مركز جمعية القلب وشهود تجلياته بالأسماء والصفات الإلٰهية والكونية. أو المراد هو التقلب في الأطوار السبعة النورية مبدأ من النور الأخضر إلى النور السابع ونور الأنوار الذي ينتهي إليه الكل. أو المراد هو التقلب في أطوار البروزات وأدوار البرزات.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله وبرسوله وبكل ما جاء به في تمام الأدوار والأكوار ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ هلا أنزلت سورة محكمة من سور القرآن في أمر الجهاد والمجاهدة، وهي محكمة دالة على المقصود قطعًا لا تحتمل معنى آخر ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي الأمر به ثابت إلى يوم القيامة بلا نسخ وفسخ وتبديل ومسخ في الجهاد الأكبر والأصغر ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [محَمَّد: 20] جهل بسيط أو مركب، وهو أردأ أمراض النفوس واعتقاد ضعيف فاسد أو الأخلاق الرديئة والأوصاف المردية والهيئات الدنية كالحقد والحسد والبخل والجبن والظلم والغضب وغير ذلك، فإن هذه الصفات إذا كانت حالة حادثة تكون مرضًا، فإذا استحكم ورسخت صارت ملكةً، وكان كل منها كالموت للقلب. قال أمير المؤمنين علي كرَّم الله وجهه:

والجهل قبل الموت موت لأهله وأجسادهم قبل القبور قبور
وإن امرأً لم يحيَ بالعلم ميّتٌ وليس له حتى النشور نشور

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعَام: الآية 122]، فـ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ نظرًا يكون مثل ﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ﴾ حال كون ذلك الغشي حاصلًا وثابتًا ﴿مِنَ ٱلْمَوْتِۖ﴾ [محَمَّد: 20] الذي تشخص به أبصارهم، وهو صفة المنافقين ومآلهم كما قال: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البَقَرَة: 10]، ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محَمَّد: 20].

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

﴿طَاعَةٌ﴾ من الولي وهو القرب، وعيد ودعاء عليهم بأن يقرب بهم ويل ومكروه ﴿وَقَوْلٌ﴾ [محَمَّد: 21] وهو خبر محذوف الابتداء يدل عليه ما سبق وهو الموت لأن الله تعالى لما قال: نظر المغشي عليه من الموت، قال: فالموت

أولى لهم من الحياة لأن الحياة إذا لم تكن في طاعة الله ورسوله فالموت خير له من تلك الحياة. ويجوز أن يكون المعنى: فأولى لهم طاعة ﴿مَّعۡرُوفٞۚ﴾ أي طاعة لهم وخير، وقول معروف لهم كلام مستأنف مبتدأ محذوف الخبر تقديره وطاعة خالصة وقول معروف خير لهم وأحسن وأمثل ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [محَمَّد: 21] وقصده على الحزم والجزم وإنما أسند الفعل بالأمر مجازًا لملابسته بالأمر ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشّورى: 43]، وذلك تنبيه على أن الأمر لا بد وأن يكون عزمه بالغًا إلى مرتبة الجزم، وهو كمال التوجه والنيَّة، أو المقصود بحيث تكون جميع الأعضاء وتمام القوى والأجزاء موافقة له في التوجه إلى ذلك الأمر ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ [محَمَّد: 21] فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان بالله لو طابقت قلوبهم فيه ألسنتهم لكان ذلك الصدق خيرًا.

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ متوقع ومرتجى منكم ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ وتحفظتم أو تكلفتم حفظ أمور الناس وتأمرتم عليه أو أعرضتم وتوليتم ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محَمَّد: 22] فكأنهم لحرصهم على الحكومة والولاية واتخاذهما، أو رجوعًا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من المقابلة بكمال محبة الدنيا مع الأقارب، يعني لضعفهم في الدين ومخالفتهم في الإيمان وأمر اليقين أحق بأن يتوقع منهم ذلك من عرف حالهم ويشعر ما في قلبهم وبالهم ويقول لهم: عسيتم ويتوقع منهم الفساد في الأرض وقطع الأرحام، هذا على لغة أهل الحجاز بإلحاق الضمير وجمعه، وأما بنو تميم فيقولون: عسى أن يفعل وأن تفعلوا بلا إلحاق الضمير في عسى بل يضمر معموله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الأعيان المذكورون ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [محَمَّد: 23] لإفسادهم وقطع الأرحام لأجل الدنيا ومحبتها ﴿فَأَصَمَّهُمۡ﴾ عن استماع الحق وإصغاء كلام الصدق ﴿وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محَمَّد: 23] عن رؤية آياته ومشاهدة بيناته لانتفاء ما يوجبه من الإدراك السمعي والإحساس البصري.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ولا يتأملون فيه حق التأمل من المواعظ الحية والزواجر حتى يجترئوا على المعاصي ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [مُحَمَّد: 24] فحينئذ يستحيل عليهم التدبر والافتكار والتفكر، وتتكثر القلوب وتتكدر النفوس فلا يصل إليها ذكر ولا يحصل عندها فكر ونظر، فلا ينكشف لها أمر من الأمور الدينية لتعقلها الكفر والشرك لكمال قساوتها ووفور صلابتها وفرط جهالتها. قيل: (أم) منقطعة، ومعنى الهمزة فيها التكرير، وتنكير القلوب لأن المراد بعض القلوب أو للإشعار بأنها مبهم أمرها في القساوة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ إلى ما كانوا عليه من الكفر ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ بالدلائل الواضحة والمعجزات الصالحة ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ ويشهد عندهم اقتراف الكبائر من السوال وهو التمني ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: 25] أي أمد لهم من الإملاء وهو الإمداد أو الإمهال دون الإعجال، إما حال أو استئناف.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر الذي ذكرنا ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أن اليهود ﴿قَالُواْ﴾ أي كفروا بالنبي بعدما تبيَّن وتيقن لهم نعته وصفته في التوراة ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي للمنافقين أو العكس أو أحد الفريقين قالوا ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي أمر الجهاد ومعاداة الكفار والمشركين ومقاتلتهم بأنهم قعدوا عن الجهاد ولم يخرجوا مع المؤمنين إلى قتالهم وأسروا المخالفة والمعاداة بالمؤمنين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: 26] الخفيّة وهي التخلف عن المؤمنين.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [مُحَمَّد: 27] أي قبضهم أرواحهم بعد ذلك

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ [محَمَّد: 27] عند قبض أرواحهم وتوفتهم أشباحهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٢٨﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ القبض والتوفي الموصوف ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محَمَّد: 28] من الكفر وكتمان نعت رسول الله ﷺ وعصيان أمر الله بالإيمان به وبما جاء عنه ﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ ورضاه بالإيمان والجهاد في سبيل الله وغير ذلك من الطاعات البدنية والعبادات النفسانية ﴿فَأَحْبَطَ﴾ [محَمَّد: 28] الله ﴿أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [محَمَّد: 28] وضيعها ولم تقع في حيز القبول.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ۝٢٩﴾

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ﴾ وظنَّ الأشخاص الذين ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ونفاق وكثرة العداوة والشقاق ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ﴾ [محَمَّد: 29] أجسادهم وأحقادهم.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ۝٣٠﴾

﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾ إفشاء ما في صدورهم من الحقد والحسد ﴿لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾ أي جعلنا أحوالهم مسومة لك ومبصرة عندك وجعلناك مطلعًا على أسرارهم وعالمًا بما في ضمائرهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾ أي جعلناك عارفًا بهم وبأحوالهم ﴿بِسِيمَـٰهُمْ ۚ﴾ [محَمَّد: 30] بعلاماتهم التي تظهر في وجوههم وجباههم. عن أنس رضي الله عنه: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية شرّ من المنافقين وأحوالهم، كان يعرفهم بسيماهم، ولقد كنا في بعض الغزوات فيها تسعة من المنافقين، فناموا ذات ليلة وأصبحوا على وجه كل منهم مكتوب: هذا منافق. اللام الأولى جواب كما في ﴿لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾، وأما الثانية فهي مع النون ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ جواب قسم محذوف، ﴿فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ عن ابن عباس: هو قولهم: ما لنا إن أطعنا من الثواب، ويقولون: ما علينا إن عصينا من العقاب؟. قيل: اللحن هو أن يلحن ويميل بكلامه إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبه كالتعريض والتورية ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محَمَّد: 30] فيجازيكم على حسب قصدكم إذ الأعمال بالنيات.

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ بالأمر بالجهاد وسائر الأعمال الشاقة ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾ ليظهر علمنا بالمجاهدين منكم ولا يلزم أن يكون علم الله حادثًا، أو لنعامل بكم معاملة الاختبار والابتلاء والاعتبار ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على مشاقها وشدائدها ﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محَمَّد: 31] ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبحها واختبارها في إعانتهم وموالاتهم المؤمنين في صدقهم وكذبهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وخالفوه بالغين إلى حدّ الشقاق وشدائد النفاق ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ وهم قريظة والنضير والمطعون يوم بدر ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ أي رسول الله، حذفه للتعظيم ﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محَمَّد: 32] ثواب حسنات أعمالهم بذلك أو مكائدهم التي يصيبونها في مشاقته فلا يصلون بها إلى مقاصدهم فيما أصابهم من القتل والجلاء من الأوطان والجلاء عن الأقارب والإخوان.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محَمَّد: 33] أي ما أبطل كفر هؤلاء ولا النفاق ولا الرياء والعجب والمن والأذى حسنات أعمالهم، دليل على عدم إحباط الطاعات بالكبائر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [محَمَّد: 34] عام في كل من مات على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القليب، ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه.

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ ولا تضعفوا، من الوهن وهو الضعف ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أي لا تدعوا إلى الصلح والسلامة جوازًا وتذللًا، ويجوز نصبه بإضمار أن ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ والأعلون في كل الأمور ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ ويضيعكم ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محَمَّد: 35] من وترت الرجل إذا فتلت منقلبًا، أو من قريب أو حميم وصديق فأرددته عنه.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي لا ثبات ولا انتفاع ولا خلود ولا إثبات لها ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ ثواب إيمانكم وجزاء أعمالكم وعوض إيقانكم ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [محَمَّد: 36] أي لا يطلب جميع مالكم بل يقتصر على جزء يسير.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ فيجهد ويطلب الكل من الإحفاء والإلحاق وهو المبالغة والبلوغ في إنعامه. يقال: أحفى الشيء إذا استأصل البخل ﴿تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ [محَمَّد: 37] ومعنى أنت لو طلبت جزءًا قليلًا من المال يبخل ولا يعطي لك شيئًا يسيرًا فكيف جميع المال وكله.

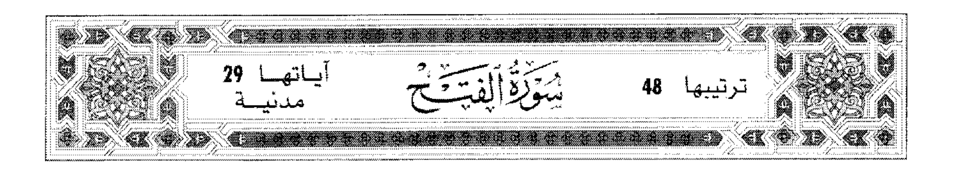
﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ﴾ أي أنتم مخاطبون هؤلاء الموصوفون ﴿لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ استئناف مقرر لذلك، أو صلة هؤلاء على أنه موصول بمعنى الذي هو يعم النفقة والزكاة وغيرهما ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ [محَمَّد: 38] أي ناس يبخلون،

وهو كالدليل على الآية المتقدمة ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ فإن نفع الإنفاق ومضرّة البخل عائدان إليه، والبخل يُصدى بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدِّي فإنه إمساك عن مستحق ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ فيما له من الكمالات الذاتية والأسمائية والأفعالية والأثارية عن غيره ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ في هذه الأمور كلها وفيما تتوقف هي عليه من الوجود والماهية ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يخلق قومًا سواكم على خلاف صفاتكم راغبين في الإيمان والتقوى ويقوم مكانكم قومًا آخرين ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محَمَّد: 38] في التولي والاستخلاف وفي الزهد والورع.

قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (محمد) ﷺ كان على الله حقًّا أن يسقيه من أنهار الجنة**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي فتح مدائن أقاليم الوجود لأرباب الكشف وأصحاب الشهود، ومنح خزائن مواهب الكرم ومناصب الجود ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي نصر أعيان أدوار أطوار الجمال والجود إذ كانت صريحة على أكوار أكوان الجلال والعدم الضمني بالنفوذ الغير المحدود ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين لدى حضور صورة التجليات ورهب عساكر الواردات وغارات الجذبات.

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١﴾

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١﴾ [الفتح: 1] ونصرناك بالمؤمنين على أهل مكة الوجود وأصحاب مكة الشهود في الأدوار النورية الصريحة، وجعلنا أكوان أكوار الظلية الجلالية موافقة لأعيان أدوار الجمال ليحصل الكمال الجمعي والجمع الكمالي الأصلي والفرعي، ووعد في بداية الدورة العظمى النوريّة بفتح مكة الكمال الجمعي والجمع الكمالي الأصلي والفرعي للحقيقة المحمدية والوحدة الذاتية النورية الجمالية في كل دورة من الأدوار النورية الوجودية الكبرى والوسطى والصغرى النورية الوجودية في النشأة الناسوتية لأنَّ الحقيقة المحمدية لها في كل دورة من الأدوار النورية اقتضاء مخصوصًا وارتضاء منصوصًا من التعينات والظهورات النورية صريحًا والظلية ضمنًا، وفي الأكوار الظلية الجلالية الأربعة تكون السلطنة لباطن الحقيقة المحمدية كما قال ﷺ: «**خلقت أنا وعلي**

من نور واحد»(*). وقال أيضًا: «**أول ما خلق الله نوري أنا وعلي من نور واحد**» وغير ذلك من الأخبار الدالة على اتحادهما حقيقة ومعنى.

فإذا كان حكم الفردارية للحقيقة المحمدية صريحًا بكون النبوة ظاهرة صريحة وحكم الولاية خفيّة ضمنية، وإذا انتقلت الفردارية إلى الماهية المرتضوية عند انتقال الفردارية من الأدوار النورية إلى الأكوار الظلية فحينئذ يصير الظاهر باطنًا والباطن ظاهرًا، والدنيا آخرة والآخرة دنيا، والجسم روحًا والروح جسمًا، والنبوة ولاية والولاية نبوة، والأرض سماءً والسماء أرضًا، وكذا تتبدل الأدوار ومقتضياتها بالأكوار وخصائصها.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ [الفَتْح: 2] أي التقصيرات والتي كانت في

(*) هذا من حيث مقام الجمع الباطن وأما من حيث الظاهر فكل شيء مخلوق من النور المحمدي، فكل عين من حيث الظاهر لها خصوصيتها يعني لها استعدادها وقابليتها، ومن حيث الباطن هي منطوية ومتلاشية في الحقيقة الكلية المحمدية وهي مستهلكة في الحقيقة الإطلاقية الإلهية.
الرد على السؤال الأول: الأسماء والصفات الإلٰهية تكون منطوية في التوحيد المطلق ولا اعتبار لها من حيث الظهور أي تكون كامنة أو ساكنة، وهذا يسمى العماء من وجه، وتجلي الأحدية من وجه، والهوية الذاتية أو الصرافة الذاتية من وجه، أو الذات الساذج، أو الكنز المخفي، أو الوجود المطلق المنزه عن الأسماء والصفات الحقية والخلقية.
الرد على السؤال الثاني: الأغيار إذا كان يراها السالك قائمة بنفسها فليس لها قدرة على إعطاء شيء يعني أنها من حيث هي أغيار هي عدم وخيال ووهم وباطل ومن حيث هي قائمة بالله تعالى تستمد الفعل والصفة والذات من فعله وصفته وذاته تعالى هي حقيقة، قال الشيء الأكبر.

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة
كل من يعرف هذا حاز أسرار الطريقة

لذلك يقول الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية: الله تعالى يوجد المسَبَّب عند السبب وبالسبب إذا اعتبرنا السبب غيره من حيث قيامه بنفسه وبالسبب إذا اعتبرناه عينه أي قائمًا بذاته تعالى يستمد منه الفعل والصفة والذات تعالى، فإذا اعتبرناها أغيارًا تعطي الغم، وإذا اعتبرناها أعيانًا تعطي الفرح والسرور قال الشيخ النابلسي:

وما عذابي إلا حجابي وما نعيمي إلا وصالي

الأدوار الإفرادية الصريحة النورية من الكلمات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية من الكمالات الجمعية وحالات جمعية الجمعية ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ في الأكوار الظلية الضمنية التي تولدتا معًا من حقيقة الحقائق والمبدأ الفائق والنور البارق من الجمال والجلال والوجود الظلي والعدم الأصلي، والنور والظلمة هما توأمان ساريان في المراتب متداخلان في تمام المآرب، تداخل النهار في الليل والليل في النهار، والنور في النار والنار في النور، والآخرة في الدنيا والدنيا في الآخرة ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ أي نعمة الكمال الجمعي والجمع الكمالي بين النبوة والولاية إلى صاحب الزمان المعهود، والمظهر الكامل الغير المحدود ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفَتْح: 2] أولًا وآخرًا، باطنًا وظاهرًا نحن الأولون السابقون.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفَتْح: 3] في النشأة الأخيرة والجمعيتين، جمعية الجمالية والجلالية وجمعية جمعيّتهما.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة والوقار والتمكين والقرار في الطور الجمعي و﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الجامعين أطوار أدوار أسرار الأكوار ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟﴾ في مراتب الظهور ومآرب البروزات على ما تقتضيه الجمعية ويرتضيه جلال المعية ﴿إِيمَٰنًا﴾ تغليبًا كشفيًّا وإيقانًا رضيًّا ﴿مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفَتْح: 4] أي مزايدًا في كمال اليقين شيئًا بعد شيء إلى غير النهاية في النشأتين في ميدان البروزات ومضمار البرزات واليقين هو الله لقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، وقد يطلق على تطوره وتنوع ظهوره، قال النبي ﷺ: «**الإيمان ثابت في القلب واليقين خطرات**»، وهو على كلا المعنين غير متناه نتيجة العبادة الكاملة ولذا أمره بها ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحِجر: 99]، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفَتْح: 4] أي أنواع أعيان الأدوار وأشخاصها، وأكوان الأكوار وأجناسها وأصنافها، يدبر أمرهم ويقرر نسبة بعضهم إلى بعض، ويوقع فيما بينهم من السِلم والاتفاق، وبالصلح والصلاح أو المباينة

والخلاف والفلاح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفَتْح: 4] عالمًا بالمصالح الدينية والإنجاح، والمناهج الدنياوية وبحقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، وحاكمًا عليهم بالأعمال الإرادية وبأعمال تلك المصالح واستعمال تلك الأحكام ليستحق بحصول السعادات الدنياوية والأخروية.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾

وإليه الإشارة بقوله: ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ أي ليسعدوا بتلك الأعمال الإرادية والأفعال الاختيارية لأن ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي من تحت الأشجار والقصور والأثمار الأنهار الأربعة المذكورة التي هي تجري في الدنيا وتتصل هذه الأجناس الظاهرة بتلك الأنهار وتستمدّ منها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الفَتْح: 5] إذ ليس هناك شيء ليكون سببًا لخروجهم منها، وتلك أنهار تخرج من تحت العرش الإلٰهي وتجري أولًا في عرش الرحمة وهو الفلك الأعظم للدورة الكبرى، ومنه إلى عرش المجيد والفلك الكلي للدورة الوسطى منه إلى العرش الكريم ومنه تجري إلى السماوات ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هُود: 7] وتجري في الجنة ويسري منها في الدنيا وجنة عرضها عرض السماوات والأرض، وكل نهر من أنهار الدنيا وهي أربعة مشهورة وهي: سيحون وجيحون والنيل والفرات، وكل نهر يستمد من دورة من الأدوار الأربعة المذكورة ومن ريّها ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ﴾ أي يمحو الله سيئات المؤمنين والمؤمنات ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الغفر والإدخال ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفَتْح: 5] فضلًا ومنة وإحسانًا ونعمة ورأفةً تامةً ورحمةً عامةً.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ [الفَتْح: 6] أي الأعيان النورية والأكوان الظلية التي لم تستكمل في الأدوار النورية الإفرادية والأكوان الفردارية، ولم تتطابق المولودات الإنسية والمتولدات الجنية، ولم تتوافق توافقًا تامًّا ولا تطابقًا عامًّا،

وقد انتقلوا إلى الدورة الجمعية النورية للاستكمال في الأدوار والأكوار الإفرادية ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الفَتْح: 6] أي الأكوار الظلية الإفرادية التي قد رسخت المباينة وثبتت العداوة المخالفة بين المولود الإنسي والجني سواء كان في الدورة النورية الصريحة أو الكورة الظلية الصريحة، والمولود الإنسي في الدورة النورية الصريحة إذا خالفه المولود الجني، وكذا إذا كانت الدورة الظلية صريحة وكان المولود الإنسي ضمنيًّا والجني صريحًا مخالفًا له كان المولود الإنسي مخالفًا للمولود الجني موافقًا له في المواصفات، يتناول في الأدوار والأكوار إذ حكم الفردارية والسلطنة الربانية إذا كانت للأدوار النورية للبدن أن يتبع المولود الجني الإنسي، وإذا كانت الأدوار الظلية يكون المولود الإنسي تابعًا للمولود الجني، فالنفاق إنما يكون من جانب المولود الإنسي، وكذا الكفر والشرك إنما يكون للمولود الإنسي إذ السلطنة والألوهية قد انتقلت من الجمال إلى الجلال ومن الوجود إلى العدم ومن النور إلى الظل ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ بأن الله لا ينصر رسوله ولا يعلمون أن الفردارية والسلطنة والألوهية إنما تكون صريحًا لسلطان النور والجمال والوجود الظلي إنما يتبعه الكمال والنقص والمتابعة، والنقص إنما يكون للجلال والعدم والظلال ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي على الأكوان الظلية وعلى المولود الجني كما في فردارية الجلال لسلطنة الأكوان الظلية والمولود الجني ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحديد: الآية 6]، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الرُّوم: الآية 19] إشارة إلى الدورة العظمى ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إلى الدورة الكبرى ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ إلى الدورة الوسطى ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ إلى الدورة الصغرى وهذه المبالغة والحِدّة ووفور القهر والشدة إنما تكون على المنافقين والمنافقات لا المشركين ولا المشركات لكون المنافقين في الدرك الأسفل من مراتب النقص وفقدان الكمال ﴿وَسَآءَتْ﴾ جهنم وصارت دار سوء ﴿مَصِيرًا﴾ [الفَتْح: 6] مرجعًا ومثوى.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تكراره إشارة إلى أن جنود أعيان الأدوار تغاير جنود أكوان الأدوار ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ قاهرًا غالبًا قادرًا ﴿حَكِيمًا﴾ [الفتح: 7] وإنما

زاد في الأدوار النورية ﴿عَلِيمًا﴾ إشعارًا بأن علم جنود الأدوار ظاهر صريح، وعلم جنود الأكوار ضمني، والحكم والحكمة فيهما صريحان ظاهران.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨﴾

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ في الأدوار النورية الوجودية الجمالية على الأعيان الوجودية والنورية المشهودية وعلى الأكوان الظلية فرادًا وجمعًا ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ للمؤمنين المخلصين من الأعيان النورية والأكوان الظلية أي المولود الإنسي والجني اللذين أطاع أحدهما الآخر في الفردارية الصريحة، فإذا كانت السلطنة للنور والجمال فالواجب على المولود الجني أن يدخل في حكم المولود الإنسي فيكون سعيدًا، وإلى السماء الربوبية مترقبًا صعيدًا، وفي سلطنة المولود الجني إذا كان حكم الفردارية للظل والجلال لا بد وأن يطيع المولود الإنسي للمولود الجني الذي هو مربوب سلطان الجلال ﴿وَنَذِيرٗا﴾ [الفَتْح: 8] للكافرين والمنافقين من الأعيان النورية الجمالية والأكوان الظلية الجلالية.

﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٩﴾

﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ متعلق بنذيرًا، أي الحقيقة المحمدية السارية في جميع الأعيان الوجودية والجمالية الصريحة، وفي الأكوان الظلية العدمية الجلالية الضمنية، يُنذِر ويُخوِّف المولود الجني ويدعوه إلى طاعة المولود الإنسي كما أشار إليه بقوله ﷺ: «**ما من مولود إنسي إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم على يدي فلا يأمرني إلا بالخير**»، ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ وبما جاء منه ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ وتؤيدوه وتعينوه بالنصر والظفر ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وتبجلوه وتعظموه آجلًا وعاجلًا ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفَتْح: 9] غداةً وعشيًّا أو مستمرًا دائمًا بلا تخلُّف وفِتْرَة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝١٠﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفَتْح: 10] ويتابعونك في الدورة الوجودية أو في

الدورة العظمى ثم في الدورة الكبرى ثم في الدورة الوسطى، ثم في الدورة الوجودية، أو في الدورة العظمى، ثم في الدورة الصغرى في كل من هذه الصور الأربعة بمناسبها كما مرت الإشارة إليها ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ إذ الحقيقة المحمدية التي هي التجلي الذاتي بعنوان الذات لها وجهان: وجه إلى الذات البحت ومطلق الوجود بل هو عينها، ووجه إلى أمن حقيقتها من حيث إنها منطوية على نسب وصفيّة وهي الأعيان الذاتية والصور العلمية، أما الوجه الأول فهو تجلي ذاتي بعنوان ذاتي، وفي هذا المشهد للمعارف الباقي بالشهودات، أما أول شهود تجلي الذات بعنوان الذات الثاني وشهود الذات بعنوان الذات الساذج، الثالث شهود الذات بعنوان مطلق الذات، الرابع: شهود الذات بعنوان المطلق. الخامس: شهود الذات بعنوان الذات المقيّد. السادس: شهود الذات بعنوان الذات المقيد والمطلق معًا. السابع: شهود الذات بعنوان الذات المطلق على وجه ينطوي على أنحاء غير متناهية ونسب ذاتية وإضافات غير محصورة على وجه لا يعلمه إلا الله والعارفون الباقون بالله، وهذه النسب والأنحاء والوجوه هي الشؤونات الذاتية.

وأما الوجه الثاني، وهو التجلي الذاتي بعنوان وصفي لهذه الوجوه السبعة يسري في الأمر الذاتي على ما لا يخفى، وأنت خبير بأن الحقيقة المحمدية بهذه الوجوه وبهذه الخصلة هي بعينها هي التجلي الذاتي، بل الذات بعينها إذ اليقين والتجلي الذاتي هو الأمر الاعتباري، فالحقيقة المحمدية والأحدية الجمعية ليست إلا الذات الأحدية والذات البحت ومطلق الوجود والمولود الإنسي الذي هو النور والجمال، والوجود والظل والجلال، والعدم، فالمولود الإنسي وهو مظهر النور والوجود والجمال، والمولود الجني هو مظهر البحت والمطلق الذي هو مفهوم العدم والجلال والجمال. وكذا الوجود والعدم، والنور والظل، توأمان قد تولدا معًا فإذن لا بد أن يتوافق المولودان ويطابقا المربوبين، وذلك إنما يتطابق في الأدوار والأكوار، ويتحدا في الصورة الجمعية والهيئة الكلية المعية الإلٰهية والكونية وهما متحدان حقيقة ومعنى، ومتغايران اعتبارًا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ في الصورة الظاهرة ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ في الحقيقة والمعنى، كما قال النبي ﷺ: «**من رآني فقد رآني، والشيطان لا يتمثل بي**»، ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ أي يد الرسول إذ العبد الفاني حالًا واعتبارًا وما في يده وتحت تصرفه لمولاه ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10] عند

المبايعة ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ العهد ونقضه ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ ويرجع وبال النكث على نفسه وهو أن يجد الديار بلاقع ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفَتْح: 10] جزاءً حسنًا وعوضًا جسيمًا كريمًا وهو شهود لقاء الله والتحقُّق ببقاء الله وحق كلياته وشهود أنوار أسمائه وصفاته.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ عن الجهاد والمقاتلة بالكفار والتشدد والشداد ﴿مِنَ﴾ بعض ﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾ في مقام الاعتذار ﴿شَغَلَتْنَآ﴾ وغفلتنا ﴿أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ من الأولاد والنساء والأحفاد ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ من الله على التخلف عن رسول الله ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ في مقام الاعتذار والاستغفار ﴿مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من المعذرة والاعتذار ﴿قُلْ﴾ يا محمد في الرد عليهم ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي من ينفع لكم برد العذاب من الله وشديد العقاب ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ لعاد إليكم شرًّا ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفَتْح: 11] في التقديم حصر والخبرة على النيّة بالأعمال الإرادية ظاهرًا وباطنًا، صورة ومعنى.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾ إضراب للترقي من التخلف إلى أشد ضررًا وهو أن ﴿أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾ وينصرف من الجهاد إلى المدينة والبلاد ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ (أن) للتفسير وهو عدم الانقلاب والمراجعة إلى الأهل والمسكن والبيت ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ﴾ الظن الفاسد والتخيُّل الباطل الكاسد ﴿فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وفؤادكم وسرّكم وغيبكم، والمزين هو الله والشيطان، أو بعضهم لبعض وهم شياطين الإنس ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ أي الظن المذكور الذي سجل عليه بالسوء أو هو سائر الظنون بالله ورسوله من الأمور السابقة ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفَتْح: 12] هالكين عند الله.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ﴾ وكفر ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: 13] وضع المظهر موضع المضمر والعام موضع الخاص إيذان بأن من كفر بالله وبما جاء من الله فقد سجل عليه بأن السعير أحق به وهو أوفق وأليق.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي سماوات الأدوار الأربعة النورية، والأكوار الظلية المربعة وأراضيهما وما يسكن فيها من الملائكة والجان، وما تعلق بها من الجواهر النورية والمفاخر القلبيّة والنفوس العاملة والملائكة والقواهر الظلية ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ من عباد الله المجرمين الملحقين بالاختيار لا الوجوب والاضطرار ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: 14] لمن تخلّف عن رسول الله واعتذر، رحيمًا لمن عجز عن الخير، فإن المغفرة والعفو والرحمة من حيث إنه خير وصلاح إنما يكون مراداته بذريعة أسمائه وصفاته، وأما التعذيب والعقوبة والتأديب فهو وإن كان من ذاته إلا أنه بواسطة أسمائه وصفاته القهرية التنزيهية التي هي تظهر وتثبت في المرتبة الثانية إذ التنزيه فرع التشبيه الذي يظهر في المرتبة الثانية كما قال الله تعالى: «**سبقت رحمتي غضبي**».

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ﴾ وسعيتم ﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ أي مغانم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾ أي تكسبوها وتغادروها إذ الرسول ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست أقام بالمدينة، قيل: كل الحرم ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ﴾ [الفتح: 15] ويغيروا موعد الله إلى أهل الحديبية، وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا فعلوا ورجعوا مواعدين لا يصيبون شيئًا، يعني أن غنيمة خيبر لمغانم لمن شهد الحديبية

منهم ﴿ٱللَّهِۚ﴾ وقيل: هو قول علي: «لن يحزنوا معي أبدًا»، والظاهر أنه في تبوك، والكلام اسم للمتكلم على الجملة المقيدة ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ بمعنى النهي ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ تعالى ﴿مِن قَبْلُۖ﴾ أي قبل تهيُّئهم للخروج إلى خيبر ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ﴾ إذا تشاركتم في الغنائم ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ولا يعلمون على ما يكون عليه هو ظاهرًا أو باطنًا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفَتْح: 15] أي فهمًا قليلًا أو زمانًا يسيرًا، أو هو نصر لأمر الدنيا والدين كقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الرُّوم: 7] والإضراب الأول ومنهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوه وثبات الحسد الثاني رد من الله ذلك وإضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أكثر وأعظم وأكبر وأتمّ منه وهو الجهل وقلّة النفع.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ كرَّر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم بالخلف، وإشعارًا بشفاعة التخلُّف، وإشارة إلى تحرُّر هذا الأمر وتصوره عنهم ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعني هي حقيقة قوم مسيلمة الكذاب وغيرهم من الأعراب من أهل الردة الذين حاربهم وغزاهم أبو بكر الصديق أوثان من مشركي العرب المرتدين ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ﴾ [الفَتْح: 16] أي لا يقبل منهم إلا الإسلام أو الصمصام، وأما من عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس فيقبل منهم الجزية.

وعند الشافعي: لا تقبل الجزية من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العرب والعجم، وذلك لأن الله غني عن العالمين وإسلامهم وكفرهم وإيمانهم كما قال الله تبارك وتعالى: «**يا بني آدم لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كان على قلب عبد فاجر لما نقص من ملكي شيء، ولو كان أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم على قلب عبد بار لما زاد في ملكي شيء**». «**رأيت ربي في يوم اكتسبت هذا المقام فقلت: يا رب إن العباد الغاصبة الفاجرة كلهم ملكك**».

فإذا غير متناه وإن كفر العبيد إنما كانت مقتضيات استعدادهم وكذا الإيمان

والطاعة إنما كانت مكتوبة في قابلياتهم فإذا ظهرت كانت في تلك الأحوال والكمالات ما كانت حاصلة في ملكي من الخارج شيء بل كانت داخلة في ملكي مختفية عن البعض لارتفاع شرط الظهور بالنسبة إلى ذلك البعض، فلو حصل الشرط ظهرت تلك الحقيقة بالنسبة إلى البعض المذكور، وأما بالنسبة إلى السواء فالكل ظاهر بل الجميع عندي حاضر أزلًا وأبدًا ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يُونس: 61].

هذا فلنرجع إلى القصة في سنة ست استنفر رسول الله ﷺ وأصحابه إلى العمرة، فأسرعوا وخرجوا واستخلف ابن أم مكتوم، ولم يخرجوا إلا بالسيوف، فبلغ خروج المسلمين المشركين، فأجمعوا وتجيشوا فسار المسلمون وتوجهوا حتى نزلوا على غدير الأنمار من الحديبية وهو قليل الماء، فوضع فيها سهمًا من كنانته فحصل لهم الرواء، فجاء بديل بن ود، وقال: جئناك من قومك يا رسول الله قد استنفروا لك الجيوش قد أقسموا بالله لا يخلون بينك وبين البيت، فقال رسول الله ﷺ: «**لم نأت لقتال أحد إنما جئنا لنطوف البيت، فمن صدّنا عنه قاتلناه**». فرجع بديل وأخبر قريشًا فبعثوا عروة بن مسعود بنحو ذلك، فأخبر قريشًا فقالوا: نرده عن البيت في عامنا هذا ويرجع قابل فيدخل ويطوف. فأرسل عثمان ابن عفان إلى أهل مكة، فأخبر أن رسول الله قد بايعه الناس بيعة الرضوان تحت الشجرة، فأجمعوا على الصلح، فكتبوا: هذا ما صالح محمد بن عبد الله وسهيل ابن عمرو، واصطلحا على وضع الحرب عشر سنين، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فليفعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فليفعل، فإن محمد يرجع عامه هذا بأصحابه ويدخل علينا قابلًا في أصحابه يقيم به ثلاثًا لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر السيف. فشهد أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمٰن وكتب علي وكان هذا الكتاب عند رسول الله ﷺ، فلما رجعوا إلى المدينة خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر فلما وصل دخل المسلمون حصونهم وقاتلوهم فقتل منهم ثلاثة وتسعون رجلًا واستشهد من المسلمين خمسة عشر، ففتحها المسلمون حصنًا حصنًا وخرج مرحب فقتله علي كرّم الله وجهه وكان الفتح على يديه.

﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ في كل ما تؤمروا فحينئذ ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ﴾ وهو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة ولقاء الله وتجلياته ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ وتعرضوا عما ذكر ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ [الفَتْح: 16] عن الحديبية وجهادها حيث صالحوا ورجعوا ﴿يُعَذِّبْكُمْ

عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفَتْح: 16] في الدنيا بغلبة الكفار وقتلهم إياكم وسبي نسائكم وغنيمة أموالكم، وفي الآخرة بأنواع العذاب وأصناف العقاب.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في التخلف عن الجهاد، استثناء عن الوعيد الذي أوعد به المتخلفون وهذا الاستثناء دليل ثان بأن المراد من الآية السابقة هم المؤمنون المتخلفون، وإنما كرَّر إشعارًا بأن منه العلل المذكورة مستقلة في الحرج ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأوامر والنواهي ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تكرار الجنة والنار وغير ذلك في الكتاب إشارة إلى تكرار الأدوار والأكوار، وإلى أن كل دورة محتوية على كل ما ذكر في الكتاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفَتْح: 17].

﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الصادقين المخلصين الثابتين على الإيمان ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ روي أنه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث ابن أمية الخزاعي إلى أهل مكة، فلما وصل همُّوا وقصدوا أن يقتلوه فمنعه أناس، فلما رجع دعاه عمر ليبلغه فقال: إني أخاف على نفسي، لما عرف من عداوتي إياهم وما بمكة من معين، فدعا عثمان فنفذ فأخبرهم أنه لم يأتِ لحرب وإنما جاء زائرًا لهذا البيت تعظيمًا لحرمته، فواقروه وقالوا: إن تطوف بالبيت فافعل، فقال: ما كنت لأطوف حتى يطوف الرسول، فاحتبس عندهم فأرجف بأنهم قد يقتلوه فقال رسول الله ﷺ: «**لا تبرح حتى نأتمر القوم**»، ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانوا ألفًا وثلاثمائة أو أربعة وخمسمائة على أن يقاتلوا قريشًا ولا تفروا عنهم وبايعوه على الموت ﴿فَعَلِمَ﴾ الله أو الرسول ﴿مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الإخلاص وصدق النية ووفور الهمة وصفاء الطوية ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَتْح: 18] أي كمال الطمأنينة والثبات

﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18] فتح خيبر عند انصرافهم من مكة.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 19] أي غنائم خيبر وكانت أرضًا ذات عقار وأموال قسمها الرسول ﷺ عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم بذلك.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وهي ما يغني المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ المغانم الخيبرية ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان، أي أيدي قريش بالصلح ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أمارة وعلامة تدل على أن النصر والظفر آية للمؤمنين، أو على صدق الرسول ﷺ في وعدهم فتح خيبر حين رجوعه عن الحديبية، أو وعد الغنائم وأخذ الغنائم، أو فتح مكة عطف على محذوف وعلة للكف، أو ليأخذوا أو لعلّة محذوف ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: 20] أي يزيدكم نصرة وثباتًا في دين الله وبفضل الله وكرمه ووفور عنايته وكثرة عاطفته.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَأُخْرَىٰ﴾ أي ومغانم أخرى، عطف على هذه، أي فعجل هذه المغانم ومغانم أخرى أتم وأكثر وأجدى منها ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ ولم تستطيعوا ولم تقدروا على اقتنائها واكتسابها ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: 21] التساوي نسبة إلى الكل وكون الجميع في حيز الإمكان في درجة السواء.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الفتح: 22] أي لو عمدوا لقتالكم وقصدوا حربكم

وعداءكم ولم يصالحوا ﴿لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾ وانهزموا أو رجعوا القهقرى وفروا فرارًا شديدًا ولم يكروا كرارًا عتيدًا ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا﴾ خليلًا جليلًا يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ [الفَتْح: 22] ومانعًا يمنع منهم الخزي ولا يدفع عنهم النكبة والخزي، ولا يرجع عنهم القتل والسبي.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ﴾ قبل هذا الزمان ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الفَتْح: 23] ونعمة الله رافعة تحويلًا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٢٤﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾ أي أيدي كفار مكة حين عمد بموتهم وحبسوا رسولكم ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم﴾ [الفَتْح: 24] وأصلح بينهم وبينكم ليظهر العدالة بين اسم الهادي والمضل ومقتضاهما إذ الكافر والمؤمن كلاهما ملك الله والله مالك الملك والإيمان والكفر أيضًا ملكه وماله ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ﴾ [آل عِمرَان: 26].. إلى آخر الآية، ولئلا يفوت منكم فتح خيبر وغنائمهم ﴿بِبَطۡنِ﴾ داخل ﴿مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ وجعلكم منصورين ومظفرين وإياهم مخزيين أو مكسورين، وذلك أن عكرمة بن أبي جهل في خمسمائة نفر في الحديبية أقبلت من رسول الله ﷺ، خالد بن الوليد على رأسهم حتى أدخلهم حيطان مكة وأظهر الله المسلمين بالحجارة حتى أدخلوا البيوت ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بأعمالهم من القتال والإطاعة والحيلة والمكر برسوله وبأصحابه وبقوله إذ همُّوا بكم ﴿بَصِيرًا﴾ [الفَتْح: 24] شاهدًا لها، أي حاضرة عنده وهو ناظرها بحيث لا يغيب عنه شيء منها.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥﴾

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ﴾ [الفَتْح: 25] أي الأعيان المخصوصون من قريش أو من العرب

أو المطلق، الذين ﴿كَفَرُواْ﴾ بالله وبرسوله وبما جاء به من الكتاب والنواميس الإلٰهية والشرائع الإلٰهية ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ ومنعوكم ﴿عَنِ﴾ طواف ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وزيارة البيت المعمور، فيكون المراد منهم هم الأشخاص المخصوصون من قريش وهم عكرمة ومن تبعه ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ يجوز التشديد والتخفيف وهو ما يهدي إلى الكعبة بالنصب عطفًا على الضمير المنصوب في (صدوكم) بالجر عطفًا على (المسجد) يعني منعوكم عن نحر الهدي ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوسًا عن ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أي الهدي وما يهدى ويؤتى ويعطى إلى الكعبة من البدنة والبقرة والكبش فينحر ويصل إلى محله ومكانه فيكون في حيز القبول.

فإن قيل: كيف حلّ رسول الله ﷺ ومن معه من الأصحاب وإنما نحرت بدنهم بالحديبية؟ نجيب: بأن الحديبية من الحرم.

روي أن مضارب رسول الله ﷺ ومحل ضرب خيامه والعساكر كان بالحديبية وهو في الحرم، والمراد من المحل هو المحل المعهود وهو منى ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي لم تعرفونهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ وتوقعوهم غير عالمين بهم، والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة والإهلاك، يعني أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطين بالمشركين غير متميزين ولا معروفي الأماكن.

فقيل: لولا كراهة أن تهلكوا أناسًا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم ﴿فَتُصِيبَكُم﴾ بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كفّ أيديكم عنهم ﴿مِّنْهُم﴾ من جهتهم ﴿مَّعَرَّةٌۢ﴾ مكروه كوجوب الدية والكفارة والمؤاخذة بالتنصير في البحث عنهم مفعلة من عرّ يَعِرُّ إذا كره ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بـ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أي تطؤونهم غير عالمين بحالهم جواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه، والمعنى: لولا كراهية أن تهلكوا ناسًا مؤمنين بين أظهر الكفار جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كفّ أيديكم عنهم ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ علّة لما دلّ عليه كفّ الأيدي عن أهل مكة صونًا ووقاية لما فيها من المؤمنين، أي كان ذلك ليدخل الله في رحمته ﴿مَن يَشَآءُ﴾ [الفَتْح: 25] أو في توبته لزيادة الخير والإسلام

﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ أي تعرّفوا إلى بعضهم ببعضهم عن بعض ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ بالقتل والسبي ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 25] مؤلمًا في الغاية وموجعًا بلا نهاية.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ منصوب باذكر، أو ظرف لعذبنا أو لصدوكم ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ العار والأنفة والعجب والناموس ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ المانعة للدعاء الحق وقبوله، المقتضية للإصرار على الكفر والاستكبار والضلالة والاستنكار ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ ثباته واطمئنانه وهي الوقار والتمكن في الدين والقرار في كمال اليقين، لما روي أنه عليه السلام لما همَّ قتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزّى وبكر بن حفص ليسألوه أن يرجع من عامه على أن تخلي له قريش مكة من القابلة ثلاثة أيام، فأجابهم، وكتب بعضهم كتابًا فقال ﷺ لعلي كرَّم الله وجهه: «**اكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فقال سهيل وأصحابه: ما نعرف هذا، فقال ﷺ: ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة، فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك عليه ولكن اكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله أهل مكة، فقال ﷺ: اكتب ما يريدون: فأنا أشهد أني رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، فهم المسلمون إن يأتوا ذلك ويتشمروا منه**» ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فتوفروا ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمٰن الرحيم محمد رسول الله، اختارها لهم والثبات والوقار والطمأنينة إضافة الكلمة إلى التقوى، أي كلمة تقتضي التقوى وتكون سببًا وأساسًا وأصلًا له ﴿وَكَانُوٓاْ﴾ أي المؤمنون الكاملون في التقوى ﴿أَحَقَّ﴾ وأولى وأليق ﴿بِهَا﴾ من غيرهم ﴿وَأَهْلَهَا﴾ والمستأهلين لها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: 26] من الأعيان النورية الوجودية والأكوان الظلية والعدمية وأحوالها ولوازمها وخصائصها ولواحقها الوجودية والعدمية الإيجابية والسلبية التشبيهية والتنزيهية.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ أي جعل الله ما رآه الرسول قبل خروجه إلى الحديبية مكان أصحابه في مكة بأن يدخلوا المسجد الحرام ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ فقصّ تلك الرؤيا لأصحابه ففرحوا وجزموا بأنهم داخلون فيها من عامهم هذه، فلما تأخر قال بعضهم لبعض: والله ما خلقنا ولا قصرنا وما رأينا التعب، فنزلت ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي متلبسًا بالصدق والثبات والصواب والجمع بغير الفرق في الوقت المقدر له من غير الفتق والرتق ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ من الأدوار الخفية والأحوال المكتوبة الحبيبية من الحكمة في تأخر ما رآه ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ [الفتح: 27] الذي رآه وتأخر ظهوره ليبتلي عقائد المؤمنين ومعاقد المسلمين ومراتب ثباتهم في أمر الدين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [الحج: الآية 11] الآية إلخ، ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27] فتح خيبر وغيره من بلاد العرب والعجم والروم وفارس والهند والسند وغير ذلك.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ متلبسًا ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ أو لأجله ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ أي دين الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ ويغلبه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ بنسخه الأديان كلها حقًّا كانت أو باطلًا بإظهار فساد ما كان باطلًا أو بتسلط المسلمين على أهله إذ ما من ملة من الملل إلا وقد قهر أهلها المسلمين كما قهر أبو بكر في زمن خلافته اثني عشر متنبيًّا منهم مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وفيه تأكيد لما وعده من الفتح ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: 28] على أن وعده كائن، أو على صدق نبيه، وصفة ثبوته بإظهار المعجزات وإشهاد خرق العادات.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ جملة مبنية للمشهود به، ويجوز أن يكون رسول الله صفة أو مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر محذوف ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ عطف عليه وخبرهما ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ جمع شديد، ورحماء جمع رحيم، يعني أنهم يغلطون على غيرهم من أرباب الأباطيل لكمال حق بينهم ويتراحمون فيما بينهم رحماء على المؤمنين أعزّة على الكافرين ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا﴾ ويرضون ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ورضاءً ﴿وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ أي علامتهم، والمراد التي تحدث في جباه السجّاد من كثرة السجود والصادرة من العباد ومن أعيان الزُّهاد ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف المذكور أو إشارة إلى مبهم مفسرة كزرع أي وصفهم المذكور كان ﴿مَثَلُهُمۡ﴾ كائنًا وثابتًا ﴿فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ [الفتح: 29] عن كعب الأحبار قال في التوراة في السفر الأول: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، لا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام. وفي السفر الثاني: محمد رسول الله أمته الحمَّادون يحمدون الله في السرَّاء والضراء، يحمدون الله في كل منزلة ويكثرونه في كل شرف رعاة الإبل، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة، ويتّزرون على أوساطهم يتوصون أطرافهم وأصواتهم بالليل كدوي النحل في جو السماء.

عن النبي ﷺ: «**لما نزلت التوراة على موسى وقرأها وجد هذه الأمة، قال: يا رب إني لأجد أمة خير أمة أُخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلال حتى يقاتلوا الأعور الدجال، قال: فقال موسى: يا رب اجعلهم أمتي، قال: هم أمة**

محمد. وقال أيضًا: إني لأجد في الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم الآخر، فيقتلون قرن الضلالة المسيح الدجال، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة محمد. وقال أيضًا: إني أجد في التوراة أمة مضاجعهم في صدورهم يصفون في صفوفهم كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار منهم إلا من يرى من الحسنات مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر. وقال موسى: اجعلهم أمتي، قال: هم أمة أحمد».

وأمثال هذه الأخبار في حق هذه الأمة الأخيار والزمرة الأحرار كثيرة في التوراة، فلما عجز موسى عليه السلام من الخير الذي أعطى الله محمدًا وأمته قال: ليتني من أصحاب محمد.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفَتْح: 29] عطف على مثلهم في التوراة، وأوصاف هذه الأمة في هذين الكتابين وفي غيرهما من الصحف كثيرة ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: 6] الآية، ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ﴾ تمثيل مستأنف أو تفسير أو مبتدأ وكزرع خبره ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾ فراخه، يقال: أشطأ الزرع إذا أفرخ واعشوشب وبقل ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ من المؤازرة وهي الإعانة والتقوية والمعاونة ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ يدرج من الدقة إلى الغلظة ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ استقام على قصبته جمع ساق كدور ودار وسود وساد، وهو ما يقوم ويستقيم عليه الشجر والنبات والإنسان، هذا مثل، وقصة ضربها الله للإسلام وبدوة ترقيه وازدياده يومًا فيومًا إلى أن يتكامل ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفَتْح: 29] الزرع المذكور لكثافته وقوته واستكماله، أي توقدت نار الغيظ في قلوبهم فاحترق الكفار بغيظهم، فموتوا بغيظكم باستشراف المؤمنين وعلو حالهم.

لما تجهز رسول الله ﷺ بغزاة الفتح أخفى أمره وقال: «**اللهمَّ خذ على أبصارهم**» إلى من حوله من العرب وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم، وكان المسلمون عشرة آلاف، واستخلف على المدينة ابن أمِّ مكتوم وخرج يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من رمضان، وعقد الألوية والرايات بعد بدر ولم يبلغ قريشًا مسيره، فبعثوا أبا سفيان ليجيء بالأخبار وقالوا: إن لقيت محمدًا فخذ لنا منه أمانًا. فخرج أبو سفيان وحكيم بن حرام وبديل بن ورقاء، فلما رأوا العسكر فزعوا، فسمع العباس صوت أبي سفيان فقال: يا أبا حنظلة، قال: لبيك، قال:

هذا محمد رسول الله في عشرة آلاف مسلم، فأجازه ودخل به وبصاحبيه على رسول الله فأسلموا وجعل لأبي سفيان أن من دخل داره فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن، فقال أبو سفيان للعباس: لقد أصبح مُلك ابن أخيك عظيمًا، فقال: ويحك يا حنظلة فإنه ليس بمُلك ولكنها نبوّة.

ونهى رسول الله ﷺ عن القتال جيرانه وقصدوهم بقتل ستة نفر وأربع نسوة، عكرمة بن أبي جهل، وهرب ثم استأمنت له امرأته أم حكيم بنت الحارث فآمنه رسول الله ﷺ، ومعاذ بن الأسود وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح فاستأمن له عثمان، فكان أخاه من الرضاعة، ومقيس بن ضبابة قتله غيلة ابن عبد الله بن هلال بن حنظلة، أو قتله أبو برزة، وهند بنت عتبة فأسلمت ويسار مولاة عمرو ابن هاشم قتلت وقريبه قتلت قريبة أو أمنت حتى آمنت في خلافة عثمان. وكل جنود رسول الله ﷺ لم يلقوا جمعًا غير خالد، فإنه لقيه صفوان بن أمية، وسهيل ابن عمرو، وعكرمة في جمع من قريش بالخندق يمنعونه من الدخول وشهروا السلاح ورموا بالنبل، فصاح خالد في أصحابه، فقاتلهم فقتل أربعة وعشرين من قريش، وأربعة من هذيل. فلما ظهر رسول الله ﷺ قال: «**ألم أنهِ عن القتال؟**» فقتل خالد مقتل وضربوا لرسول الله خيمته بالحجون ودخل مكة عنوة فأسلموا طائعين وكارهين.

وطاف بالبيت على راحلته وحول مكة والكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا فجعل كلما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسرَاء: 81] فيقع الصنم لوجهه، وكان أعظمها هبل وهو وجاه الكعبة فجاء إلى المقام وصلى خلفه ركعتين ثم جلس ناحيته وأرسل بلالًا إلى عثمان بن أبي طلحة فدفع إليه المفتاح وقال: خذوها يا بني أبي طلحة، ودفع السقاية إلى العباس، وصلى رسول الله ﷺ الضحى يومئذ ثماني ركعاتٍ، فأذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة وكُسِرت الأصنام وخطب رسول الله ﷺ على الصفا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حين سار إلى مكة صعد الصفا فخطب الناس فقال الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأخذ به الرأفة بقومه، فأنزل عزَّ وجل الوحي بما قالت الأنصار فقال: يا معشر الأنصار تقولون: أما الرجل فقد أدركته رأفة بقومه ورهبة في قربته، فمن أنا؟ كلا والله إني

عبد الله ورسوله، الحياة محياكم والممات مماتكم، قالوا: والله يا رسول الله ما قلنا ذلك إلا مخافة أن تفارقنا، قال: أنتم صادقون عند الله وعند الرسول، قال: فوالله ما منهم إلا مزيد يجره بالدموع. قلت: لما جلس رسول الله ﷺ على الصفا بايع الناس على الإسلام وبايع النساء، وكان يوم الجمعة لعشر من رمضان، وأقام بها خمس عشر ليلة، وخرج واستعمل على مكة عباب بن أسد يصلي بهم، ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29]، قال النبي ﷺ: «**مَن قرأ سورة (الفتح) فكأنما كان شاهدًا مع محمد في فتح مكة كما فتح مكة**»، أتت أشراف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض فجاؤوا بأموالهم ونسائهم وإمائهم حتى نزلوا أوطاس، وجعلت الأمداد بأنهم خرجوا ودريد بن الصمة وهو أعمى ابن مائة وسبعين سنة، فخرج رسول الله ﷺ من مكة في اثني عشر ألفًا، فلما وصل إلى حنين صفَّ أصحابه صفوفًا وركب بغلته الدلدل ولبس درعين ومغفرة والبيضة فاستقبلتهم هوازن وحملت حملة واحدة فانهزمت الجيوش، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**يا أنصار الله وأنصار رسول الله**»، فرجع رسول الله ﷺ إلى المعسكر وثبت أبو بكر وعمر وعلي والعباس والفضل وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأسامة.

قال ابن مسعود: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولي عنه وثبت معه ثمانون رجلًا من المهاجرين والأنصار فانقلبنا على أدبارنا والرسول على بغلته فمال عن السراج فقلت: ارتفع رفعك الله، فقال: «**ناولني كفًّا من تراب**» فضرب بها وجوههم وامتلأت أعينهم ترابًا، فقال: «**أين المهاجرون والأنصار؟**» قلت: تولوا، قال: «**اهتف بهم**»، فجاؤوا بسيوفهم ورماحهم كأنها الشهب، وولى المشركون أدبارهم.

قال العباس: شهدت مع رسول الله ﷺ وما معه إلا أنا وأبو سفيان، فلزمنا رسول الله ﷺ فلم نفارقه، فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين وظنوا رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، وقال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته وأبو سفيان آخذ بمقود رسول الله ﷺ فقال: «**يا عباس نادِ أصحابي**»، قال: كان رجلًا جهيرًا فقلت بأعلى صوت: أين أصحاب الله ورسوله؟ فوالله لكان

عطفهم حين سمعوا صوتي عطف البقرة على أولادها فقالوا: يا لبيك، وأقبل المسلمون واقتتلوا هم والكفار فنظر رسول الله ﷺ إلى قتالهم فقال: هذا حمى الوطيس. ثم أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار فقال: انهزموا وربّ الكعبة. فما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى خدمهم كليلًا وأهرمهم مدبرًا حتى هزمهم الله وكنت أنظر إلى رسول الله ﷺ يركض خلفهم على بغلته فلم يبق منهم أحد إلا امتلأت عيناه وفمه ترابًا وسمعنا صلصلة من السماء والأرض كإمرار الحديد على الطشت الحديد.

عن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بمقود النبي ﷺ وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أدَّب المؤمنين بأن لا يأتوا الحضرة الختمية من وراء الحجرات وأكثرهم لا يعقلون ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أحيا المولود الإنسي بالمولود الجني، فأصلحوا بين إخوانكم فاتقوا الله لعلكم تفلحون، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي دبر كلا الطائفتين المولود الإنسي النوري والمولود الجني الظلي بخصائص الوجود ونصائص العدم ونقائص العلم ونقائص الشهود، ثم دبرها بالجمعية والهيئة الكلية والمعية ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحُجرَات: 9] الجمعي والكمالي، والجمع الكمالي وأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسوله في فردارية النور والجمال وفردارية الظل والجلال ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ أمرًا من أمور الدنيا والآخرة ﴿بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلا ما يليق بهما وأمرًا يستحق أن يعرض لديهما ويصلح لأن يعرض إليهما، ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ متعدي أجري مجرى اللازم وأسند ما يتضمنه إلى مصدره، أي لا بد أن يقع منكم التقدم أصلًا إلى ما يرضي الله ورسوله وذلك مثل يحيي ويميت أي يقع منه الإحياء والإماتة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم وندائكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الحُجرَات: 1] بأحوالكم الظاهرة والباطنة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ وأقوالكم ﴿فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ وكلامه بحيث لا يفهم كلامه وأقواله ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ مخافة ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحُجرَات: 2] وكراهية أن يحط ويحبط أقوالكم، فهو علّة للنهي إذ في رفع الصوت استحق من أن يرفع عليه وعدم امتثال بما يجهر لديه. روي أن ثابت بن قيس كان رجلًا وقورًا ذا أدب إلا أنه كان رفيع الصوت، فلما نزلت هذه الآية وعرف ما أُنزل على النبي وتخلّف عنه، فتفقده الرسول ﷺ ودعاه فقال: يا رسول الله قد نزلت هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط، فقال ﷺ: «**إنك تعيش بخير وتموت وأنت من أهل الجنة**».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ ويحفظونها عن الجهر والارتفاع رعاية لحسن الأدب وإتيانًا لأفضل الأدب ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي يعمل لهم عمل الامتحان والاختبار ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي لتقوى القلوب وحفظها عن الخسارة وآثار سوء الأدب، وهي الإقدام على المعصية والإبرام عليها ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي حسن الأدب بالله لهم، أي في حقهم من الله مغفرة ومتجاوزة عن الذنوب وماحية للعيوب ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحُجرَات: 3] وثواب عميم وجزاء كريم في الآخرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحُجرَات: 4] من خارجها وخلفها وقدامها من ابتدائيّة، وإن المناداة نشأت من جهة الوراء وفيه دلالة إلى أن المنادى داخل الحجرة بفتح الجيم وسكونها جمع حجرة، وهي القطعة، والمراد حجرات نساء النبي ﷺ، وفيه كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها إمّا أنهم أتوها حجرة حجرة فنادوا من ورائها وهو في غاية سوء الأدب، أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين فأسند فعل بعضهم إلى الكل. قيل: إن الذي ناداه

عيينة بن حصين والأقرع بن حابس وقت الظهر: يا محمد اخرج إلينا، وإنما أسند إلى الكل لأنهم رضوا بذلك وأمروا به وهم سبعون رجلًا من بني تميم ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحُجرَات: 4] أي انتفى عنهم العقل أو مناط حسن الفعال والأدب، بل الأفعال كلها هو العقل.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ يا محمد من الحجرات ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ إشعار بأن الصبر مفتاح الفرج وحتّى يستتبع كل الخير، ولذا حصل نصف الأعيان. قال النبي ﷺ: «**الإيمان شطران: صبر وشكر**»، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجرَات: 5].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ خارج عن الإنصاف وعن الاتصاف بالانتصاف ﴿بِنَبَإٍ﴾ أي خبر بنبأ عن الفساد والإفساد ﴿فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا﴾ تأملوا فيه وتفحصوا عن حاله وتفحصوا عن مآله ولم يتخامروا على إعماله وإفضاء حكمه واقتضائه وتقبله وإمضائه. روي أنه ﷺ بعث وليد بن عتبة مصدقًا إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم أحنّة وكدورة فلما شارف ديارهم ركب أهل هذه الديار لاستقباله، فحسبهم أنهم سيقاتلونه فرجع وقال لرسول الله ﷺ: قد ارتدوا وامتنعوا عن الزكاة، فجاؤوا وقالوا: نعوذ بالله، فغضب رسول الله ﷺ، فنزلت. وهو أخو عثمان، فلما أتى الكوفة وكان سعد بن أبي وقاص واليًا فيها فولاه فيها فكان يصلي بالناس وهو سكران، فكان يومًا يصلي صلاة الفجر وهو سكران، فإذا فرغ قال للناس: هل أزيدكم؟ قالوا: لا، فعزله عثمان عنهم ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ أي كراهية إصابتهم قومًا بجهالتهم ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحُجرَات: 6] أي تصيروا آخذين في أفعالكم، نادمين هامين محزونين غامين دائمًا، إن الندامة هي الهمّ الدائم والغم الثابت القائم والأخذ والشروع في الوصف والتوصيف، واستدل على المبالغة في الصيرورة في الوصف وأضحى التوسيط في الضرورة في التوصيف.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ (أن) بما في خبرها سادٌّ مسدَّ مفعولي اعلم ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾ ويوافقكم ويشايعكم في أموركم الدنياوية ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ لدفعتم في العنت والمشقة الجده والمحنة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ ومعرفة الحق وطاعته ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ﴾ التكريه هو إظهار الكره والكراهية ﴿ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ﴾ جعل الله الفسوق والكفر مكروهًا إليكم بحيث لو أكره على أحد منكم الكفر حتى بينه وبين الموت لاختار الموت على الإيمان كما اختار صاحب أبي ذر الغفاري القتل على الإيمان، وكذا الكفر هو ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحُجرَات: 7] الواصلون إلى الهداية.

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إشعار بأن ثبوت الرشد والاهتداء ليس لهم بثبوت محبة الإيمان وكره الكفر والعصيان، بل هو فضل الله ورحمة عامة ونعمة تامة ﴿وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحقيقة الكفر والإيمان والمعصية والطغيان ﴿حَكِيمٞ﴾ [الحُجرَات: 8] عالم بحقائق الأشياء على ما هي في نفس الأمر وبأحوالها ولوازمها وخصائصها وخواصها الظاهرة والباطنة وأحكامها.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ الأمر وهي عرض جلي بل الأمر دنياوي وعرض نفساني ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ بأن تخرج عن إطاعة الوالي والإمام بالحق العالي وحيطة حكمه ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي﴾ الطائفة ﴿تَبۡغِي﴾ على الطائفة التي فيها الإمام ﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾ وترجع ﴿إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحُجرَات: 9] وحكمه

﴿فَإِن فَآءَتۡ﴾ ورجعت عن مخالفة الإمام ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ متخافتين عن الحيف والميل ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحُجرَات: 9] المظهرين العدل والقسط.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ في الدين والشرع ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ وضع المظهر موضع المضمر إشعارًا بأن الإصلاح بين الأخوين من أنفع أمور الدين وأنجح أمر الدنيا، فإن العاقبة وحسن العافية والصلاح وكمال الفلاح إنما هو منوط بالصلاح والصلح ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مخالفة حكمه وترك الصلح والإصلاح ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحُجرَات: 10] وتجزون على التقوى بالرحمة التامة والنعمة العامة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ﴾ ولا يستخف ولا يستحقر قوم، من السخرية أي الاستخفاف والاستهزاء ﴿مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحُجرَات: 11] المراد من القوم هم الرجال خاصة لأنهم قوّامون بأمور النساء والأطفال ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [النساء: 34]. وقال النبي ﷺ: «**النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه**».

والقوم في الأصل جمع قوم كصوم وزور جمع صائم وزائر، وأما قوم هود وصالح وقوم فرعون وقوم موسى فهم الذكر والأنثى، والظاهر أن القوم إذا استعمل مفردًا بلا إضافة فالمراد منه هم الرجال، وبالإضافة أعم من الرجال والنساء، إن الله تعالى نهى عن السخرية والهزء والتمسخر والاستهزاء والمزاح لأنها في الأكثر تؤدي إلى العداوة والخصومة، وأن المسخر والمهزول مما يكون خيرًا من المتسخر والهازل والمستهزئ كما قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ يعني إن هذا الحكم لا يختص بالرجال بل يعم النساء ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحُجرَات: 11] ولا تعيبوا أنفسكم، أي لا يعب

بعضكم بعضًا ولا يغتب أحدكم أيضًا الآخر، يعني أن البشر لا يخلو عن النقص والعيب ولا يجوز لأحدكم أن يظهر عيب أخيه المؤمن لا في الحضور ولا في الغيبة، ولا تلمزوا: إظهار العيب وإفشاء النقص فإنه يؤدي إلى الفساد ويفضي إلى العداوة والإفساد. إن العدو والصديق المتأذي إنما يسند الإلماز إلى النفس إشعارًا بأن النفس المدبرة البدن ناقصة مكدرة بالكدورة أي الطبيعية تأوي إلى الشر وتهوى إلى البغض والضرّ ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ أي لا تخاطبوا بعضكم بعضًا بألقاب السوء والذم إذ النبز هو اللقب السوء والذم ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ المراد بالإثم هنا الذكر من قولهم: طارَ الاسم بين الناس أي الذكر بالكرام أو اللئام أي ليس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجريمة أن يذكروا بالفسق. وفي قوله: ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ﴾ ثلاثة أوجه، أحدها: استقباح الجمع بين الإيمان وبين الفسق. الثاني: إنه كان شيطانهم يقول لمن أسلم من اليهود يا يهودي، يا فاسق، فنهوا عنه وقيل لهم: بئس الذكر أن يذكر الرجل الفسق واليهودية بعد الإيمان. والجملة على هذا التقدير متعلقة بالنهي من التنابز. والثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن كما يقول للمحول عن التجارة إلى الفلاحة: بئس الحرفة الفلاحة بعد التجارة، وبالعكس في المدح نحو: نِعْمَ التجارة بعد الفلاحة ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ من هذه الأمور ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحُجرَات: 11] الواضعون الأمور في غير موضعها والمتجاوزون عن الحد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ﴾ وابتعدوا واحترزوا ﴿كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحُجرَات: 12] وعصيان وفسق وهو الذي يستحق صاحبه العذاب من الله والعقاب، ومنه قيل: يعقوبية إلهام، فقال: منه كالنكال، والعذاب والوبال والظنون بما يجب أن يجتنب منها من غير شين لذلك ولا يتعين لئلا يتجرئ أحد على ظنّ إلا بعد نظر صادق وفكر ثاقب وتأمل فائق، والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم يعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر من وجوه صريحة كان

حرامًا واجب اجتنابه، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأرست منه الأمانة في الظاهر فظن الفساد، وكما أن الله تعالى حرَّم على المسلم عرضه وماله حرَّم أن يُظنّ به ظنّ السوء، وأن الفاسق إذا ظهر فسقه وهتك ستره وإذا أسفر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب، وأن الإثم كما يكسر الأعمال ويحبطها بكسر العوض وتضييع الأموال ويؤدي إلى هلاك النفس وبورها ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجرَات: 12] ولا تفحصوا من الجسس وهو الإدراك والشعور والحس، ولذا يقال لمشاعر الإنسان: الحواس الخمس الظاهرة والباطنة الحساس ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: 4 ـ 6].

والغرض من النهي المنع عن تتبع عورات المسلمين والاطلاع على عيوبها ومعايبهم ظاهرًا وباطنًا. قال النبي ﷺ: «**سلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم**»، والمنع عن الاستكساب عما سرُّوه عن مجاهد رضي الله عنه: «خذوا ما أظهره الله ودعوا ما ستره الله». قال النبي ﷺ: «**والسرائر، وكان الخطاب فرفع صوته حتى أسمع العوائق في خدورهن قال: اتقوا من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، ومن تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته**». وأما الذين يتجسسوا على الناس فليس لهم أن يتجسسوا، فإن هذا النهي عام في حق المسلمين كلهم. وقيل: إن عمر رضي الله عنه كان يدور في الليل فوصل إلى بيت قد ظهر منه أصوات منكرة فقصد أن يدخله وكان بابه مسدودًا مغلقًا فصعد إلى سقفه وهبط إلى البيت ودخل فيه وكانوا يشربون الخمر، وكان صاحبه من أعيان الصحابة، فلما رأى عمر قال: يا عمر إني وإن فعلت منكرًا إلا أنت قد فعلت ثلاث منكرات، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجرَات: 12]، وقال: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾ [البَقَرَة: 189]، وقال أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ [النور: 27]، فسلّم عمر له واعترف به واعتذر وقال: إني عفوتك وبعد اليوم لا أحكم عليك، فقال صاحب البيت: يا عمر أنت عفوتني فالله أرحم منك وأحكم، إني تبت إلى الله.

فالمحتسبون في أهل الزمان قد بالغوا في الاحتساب والتجسس في حد قد خرج من حد الشرع ودخل في المنكر الذي هو أنكر المنكرات، ولو اعتقدوا أنَّ

هذا حق ليس ببعيد أن يدخل تحت الكفر. هذا ما ذكر على المثاني سند علي الهمداني قدّس سرّه في كتابه «خيرة الملوك في باب الاحتساب» ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ يقال: غابه واغتابه كاله واكتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهو ذكر مساوئ الشخص في غيبته. سئل رسول الله ﷺ عن الغيبة، قال: «**هي أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته**» عن ابن عباس: الغيبة إدام كلاب الناس ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ حال من لحم أخيه، تمثيل وتصوير لما يتناوله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأقبح طور وأفحشه، وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام التي معناه التقرير، ومنها ما جعل ما في ألقابه من الكراهة موصولًا بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدًا منهم لا يحب ذلك، ومنها إن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخًا واللحم ميتًا ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي جعلتم ذلك على كراهة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قابل للتوبة من الغيبة ومن العدول من الطاعة إلى الإثم، وصيغة المبالغة تدل على أن الله تعالى يقبل التوبة وإن كثيرًا في يوم واحد من شخص واحد إلى سبعين مرة ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12] لمن يشاء من التوابين.

واعلم أن الغيبة هي إنما تكون إذا ذكر معائب الناس على وجه يكون ويوجد في المغتاب وهو يتأذى من أن يطلع عليه أحد، أما إذا كان لا يتأذى عنها ولم يخفيها عن الناس كالمدمن على شرب الخمر ظاهرًا ولم ينل منه، فإنه ليس بغيبة كما ورد في الحديث: «**لا غيبة للفاسق**».

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ من نفس واحدة ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحُجرَات: 13] من آدم وحواء، وخلقنا كل واحد منهم من أب وأم في المرتبة الثانية، فاستوى الكل في ذلك، فلا وجه بالنسب لهذا الوجه، وأما إذا كان الأبوان فاضلين بفضائل علمية وعملية، فلو تفاخر أحد بهذا الوجه فله وجه وجيه، وهذا هو الحسب. وأما مجرد النسب المتخيلة بالإمارة والسيادة فلا وجه للتفاخر فيها إذ لا ينتفع

منهما لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولنا العلم والعمل، فهما مما يصل منه إليه في الدنيا والآخرة كما قال الخضر عليه السلام: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: 82]، وقد كان أبوهما السابع صالحًا. وقال النبي ﷺ: «**يموت ابن آدم وينقطع عمله إلا عن ثلاثة: عن ولد صالح يدعو له، والعلم النافع، والخيرات الجارية**».

ويجوز أن يكون الاستفهام تقرير للآخرة المانعة عن الاغتياب في الحقيقة لكونهم متحدين في الإيمان يكونان كنفس واحدة لاشتراكهما في الجهة الواحدة العرضية ويمكن أن يقال في الجهة الواحدة الذاتية إذ الكمالات العلمية تكون النفس كالروح، فكأنه ندم لنفسه، وليس هذا من شعار العقلاء ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شعب، وهي الصفة الأولى من الصفات الستة التي عليها العرب هي الشعب ﴿وَقَبَآئِلَ﴾ جمع قبيلة، قيل: الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ ليعرف بعضكم بعضًا لا للتفاخر والتقاتل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فالحق للتفاخر هو التقوى إذ به تتكامل النفوس وبه يحصل التفاضل والأمثال والتماثل، فمن أراد شرفًا فليلتمس منه، قال النبي ﷺ: «**فمن سرَّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله**»، وقال: «**أيها الناس، إنما الناس المتقي هو العالم بالله المواظب به رجل مؤمن تقي كريم على الله، وفاجر سفيه معين على الله**». ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بأحوال العباد ﴿خَبِيرٌ﴾ [الحُجرَات: 13] يعلم سرائرهم وعلانيتهم.

﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ نزلت في مؤمن بني أسد قد قدموا المدينة في ستة مدن وأظهروا السيادتين وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأنفال ولم نقاتل كما قاتلك هؤلاء ويريدون الصدقة ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن﴾ إذ الإيمان تصديق قلبي وإذعان وقبول مع ثقة وطمأنينة، ولم يحصل لكم الإيمان وإلا لما مننتم على رسول الله ﷺ، وترك المقاتلة كما يدل عليه آخر السورة ﴿قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجرَات: 14] فإن الإسلام انقياد ودخول من السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة وعمل بالأركان كما قال النبي ﷺ في جواب جبريل عليه السلام: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ**

محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلًا»، وقال: «الإيمان آمنتُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه من الله». وكان نظم الكلام أن يقول: لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا! أوَ لم يؤمنوا ولكن أسلموا، فعدل منه إلى هذا النظم ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ لا يقال هذا القول مع قوله سابقًا: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ توهم بالتكرار لأن هذا القول هو تكذيب دعواهم الأول وتوقيت لما أمروا به أن يقولوا مكانه: ﴿أَسْلَمْنَا﴾ حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لأسبابكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في ﴿قُولُوٓاْ﴾ وما في لما فيها معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإخلاص وصفاء الطوية بلا شائبة النفاق ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ لا ينقصكم ﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ قليلًا حقيرًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ متجاوز عن سيئاتكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 14] فضلًا وإحسانًا.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالإخلاص الكامل وتصميم القلب ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ ولم يشكُّوا، من ارتاب مطاوع رأيه وقع في الشك وطاوعه في الريب، وإلى المرية في الريب مع التهمة. والمعنى اتهم بالإخلاص ثم لم يقع في قلوبهم شكّ فيما آمنوا به ولا إيهام لمن صدقوه واعترفوا بأنه الحق. ثم الإشعار بأن أشراط الارتياب في اعتبار الإيمان فقط وما يستقبل فهو كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وطاعته، وكمال مطاوعته والجهاد في الأموال والأنفس يصلح للعبادات المالية والبدنية بأمره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحُجرَات: 15] في ادعاء الإيمان بأنه من صميم القلب وكمال الصدق ووفور الرفق.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ﴾ [الحُجرَات: 16] وتخبرونه بقوله بإيمانكم تجعلون الله

محيطًا ﴿بِدِينِكُمْ﴾ فيعلم ظاهرًا وباطنًا وتفصيله وفوائده ونتائجه تجهيل لهم لإشعاره بأن الله كان عالمًا به، قد كان عالمًا بأخبارهم وأعلامهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ومن جملته بيوتهم وما هم عليه، فيكون برهانًا على تجهيلهم إشارة إلى الدورة العظمى النورية ومقتضاها ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحُجرَات: 16] قد يرى كيد بما ذكر ردًّا عليهم.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ المنَّة أي النعمة التي لا تشتهى ولا تطلب الثواب من مبدئها ومفصلها من المن الذي هو القطع، أي بها تنقطع حاجته من غير أن يروم مثوبة إن أسلموا أي مبدون إسلامهم عليك من غير طلب أمر آخر ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ أي بإسلامكم فيكون نصبه بنزع الخافض أو للتضمن من الأعداد ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾ أي يعدَّ هذه النعمة عليكم وهي الهداية ﴿لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي يحصي نعمة الهداية علي ومعكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحُجرَات: 17] في ادعاء الإيمان ودعوى الامتثال والإذعان إن صدقتم في هذه الدعوى، فالمنة لله عليكم لأن اقتداره عليكم وإظهار قدرتكم لديه إنما هو من الله، وكذا التوفيق وهو أسباب الخير أيضًا، إنما هو منه، فليس لكم ومنكم إلا القبول والاستعداد والقابلية، وهو أيضًا من قبضة الأقدس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحُجرَات: 18] وهو ملكوتها العلوية والسفلية والمتوسطة، وكيفية تأثيرهما في السماوات العالية النورية، والسماوات البرزخية الخيالية وجبروتها.

والغيب يتناول الجبروت والجواهر النورية والقواهر الأهرمانية والفواخر الربانية والعقول والنفوس المجردة، والملائكة العالية والمدبرة في السماوات الجسمانية والروحانية والربانية والإلٰهية في الأدوار الأربعة الوجودية النورية الجمالية وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، وكذا في الأكوار العدمية

الظلية الجلالية المربعة الأرضية ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحجرات: 18] في الأدوار النورية والأكوار الظلية بما عمل الأعيان النورية والأكوار الكونية فيها ظاهرًا وباطنًا، صورة ومعنى. قال النبي ﷺ: «**مَن قرأ سورة (الحجرات) أعطى الله له من الأجر بعدد من أطاع الله أو عصى**».

تمَّ في ثامن صفر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جبل قاف قدرته علّة لإظهار المكوّنات كما جعل قاف قلمه الأعلى سببًا ليتصور نفوس الشؤونات الذاتية على ألواح القابليات من ذوات الاستعدادات الأولية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرَّحمٰن: 1 ـ 4]، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أزلف الجنة وقلبها إلى المؤمنين وبعدهم من نار توقد على الأفئدة جزاء لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: 1] هي عبارة عن قاف التي قدرت مظاهرها في تصوير صور الكائنات وبواطنها وهي البطن الأولى من بطونها السبعة الظاهرة في الدورة الصغرى النورية، فلا يجوز أن يراد به ما ذكر في ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: 1] والإلزام التكرار والإعادة بلا إفادة، ولا يرضى به العباد فضلًا من أن يرضى به خالق الخلق لظهور الفساد في كل البلاد، والمجيد هو الشريف.

أما صفة القرآن لشرفه على سائر الكتب السماوية، إما في نفسه أو لشرف محله وهو خاتم الأنبياء الذي هو أشرف الأنبياء وأمجدهم، أو صفة موصوف محذوف، أي بحق القاف القادر القيوم القوي القادر المجيد، ولذا ذكره في صدر السورة وآخرها وختمها إشعارًا بأن أوله يطابق آخره في عدم طريان التغير والانحراف بخلاف سائر الكتب التي انخرقت في الآخر، وقاف اسم جبل يحيط العالم وهو

قسم وطرق القسم في الكتاب كثيرة بعضها بالأداة نحو: والفجر والسماء، وبعضها بتركب الأداة وهو إما حرف واحد نحو (ص) و(ق) و(ن) وبعضها بحرفين نحو (طس) أو بثلاثة نحو (طسم) وبعضها زائدة من ذلك إلى خمسة أحرف نحو (كهيعص) ولا يكون أزيد منه أو كلمة واحدة معهم نحو (والذاريات) (والعاديات) و(طٰ) (والصافات) تنبيهًا على أن الله تعالى قد استأثر علم هذه الكلمات بنفسه لنفسه لا يطلع عليها إلا الله والراسخون في العلم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عِمرَان: 7] الآية. والدليل على أن (ق) قسم عطف، (والقرآن المجيد) بالجر، والمجيد هو العظيم كثير الكرم، فالقرآن كريم إذ كل من يجري منه مقصوده وجد، فالمجيد هو الكريم البالغ في الكرم.

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ عطف على مقدر هو جواب القسم، يعني بحق قاف قدرة الله وقلمه الأعلى إنّا أرسلنا محمدًا لأهل العالم وإرشاده لهم وهدايتهم وهم الكورة، بل عجبوا وقالوا: هذا شيء عجيب ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ تفسير للمتعجب به والحال إنه ليس مقام التعجب إذ إرسال الرسل وإنزال الكتب وإنذارهم أمر ممكن مستمر من زمان آدم إلى زمان محمد لا يمتنع ليكون أمرًا عجيبًا ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لعدم تدبرهم في الأمور ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: 2] إرسال محمد واختياره لأمر الرسالة شيء عجيب وشأن غريب حكاية عن تعجبهم يجوز أن يكون عطفًا على عجبوا بإلقاء الشعر بالغلبة وتنزيل المظهر موضع المضمر تسجيلًا عليهم بالكفر وبكمال الفاقة ووفور الجهالة والشفاعة حيث تعجبوا بما ليس فيه تعجب إصلاح أنهم ما تعجبوا من خلق قاف جبل عالم الأجسام والأرواح والأنفس وعالم الطبيعة والعناصر والمواليد الثلاثة والأبدان الإنسانية والكمالات الجسمانية وغير ذلك من الأنوار والظلمات والبهتان والطمأنينة.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ أي متنا وتفرّقت أجزائنا وبليت وصرنا ترابًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الرجوع ولا حياة ولا إعادة ﴿رَجْعٌۢ﴾ ورجوع ﴿بَعِيدٌ﴾ [ق: 3] وإرجاع ممتنع عتيد عن قبول العقل المستقيم والتلقي إليه امتناعًا عقليًّا من مقالات المنكرين للبعث.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ وتأكل منهم الأجسام البالية والأجرام التالية منهم جواب القسم على وجه يكون جوابًا لإنكار البعث وقد حذفت اللام لطول الكلام ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق: 4] حافظ لتفاصيل الأشياء وتفاصيل أحوالها عن وجه تكون كلها حاضرة عنده أو محفوظ عن النقصان والتغير والفساد. والمراد إما تمثيل إحاطة عمله بالأشياء أو تفاصيل أحوالها وتفاضل أفعال بعضها على بعض، أو كتاب محفوظ فيها صور الأشياء، أو كيفية أجزائها وتركيب أعضائها وكميات أجزائها الأصلية وبسائطها الأولية على وجه تكون باقية لا يتطرق عليها التغير والفساد ولا النقصان والبعاد، أو تأكيد لعلمه بها أو لثبوتها في اللوح المحفوظ، فمن كان عمله بهذه الصفات وقدرته وقوته مناسبة لكمال علمه وحكمته لا يصعب عليه ولا يمتنع له شيء إلا من الإبداء والخلق ولا من الإعادة والجمع والفرق، بل هذا أهون.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي القول الثابت في ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ العين أو الكتاب أو الرسول الصادق في إخباره عن الحق وصفاته وأسمائه وأفعاله الموصوف بالصواب وكمال الصدق وظهور الحق وحسن الثواب إضراب المترقي في الإنكار لمحبتهم بما هو أقطع وأقبح وأشنع من تعجبهم لإثبات ما ادعاه من النبوة بأظهر المعجزات وأشهر خرق العادات لمن له عقل سليم وطبع مستقيم لا يرتاب في حقية دعواه ﴿فَهُمْ﴾ في إنكارهم وإعراضهم وإضرابهم عن الحق الواضح ﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: 5] مضطرب من مرج الخاتم في أصبعه إذا اضطرب وتحرك وسقط وذلك قولهم في شأن محمد تارة: هو شاعر، وأخرى: هو مجنون وساحر وغير ذلك.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ ورفعناها بلا إعانة وظهير وإمداد ونصير، وأوجدناها بلا شريكٍ بصير بلا عمد وأوتاد وسط ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالذراري والكواكب والنجوم الثواقب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: 6] من داخل وخروج ولا من

فاصل ودارج ودروج، إشارة إلى أن السماء البسيطة متساوية الأجزاء متشابهة المقادير والأعضاء، ولذا كانت مستديرة تجديدًا وشعرًا من جملة الدليل على قوته قادرًا فاعلًا مختارًا، فمن كان قادرًا على خلق هذه الأجرام البسيطة والأجسام الغير الخليطة على هذا النمط البديع والنظام المستحكم الرفيع، قادر على إحياء الموتى والبعث على وجه نطق به الكتاب وحققه ذو الألباب.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ [ق: 7] بسطناها ودحوناها، وإنما قدم بناء السماء على هذه الأرض ودحيها والمد في مقابلة البناء إذا كمل وضع البناء ورفع إشارة إلى دورة النور والجمال وحيث تقدم الأرض على السماء كما في قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البَقَرَة: 22] إشارة إلى كورة الظل والجلال وكيفية تدبيرها، فإن تدبير النور والجمال يخالف تدبير الظل والجلال في جميع الأحوال ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي أطرحنا على كرة الأرض وأطرافها ليسكن ويتمكن في وسط الأرض الكل بحيث ينطبق مركزها على مركز العالم ويكون نسبة أجزائها إلى أجزاء عالم السماوي على السواء، فالأرض إلى السماء، والسماء إلى الأرض، نسبتان إحداهما التجاذب والثانية التدافع من جميع الجهات على السوية، فيثبت الأمر أن أحدهما كونها في الوسط الحقيقي، والثاني اللزوم واللازم الترجيح بلا مرجح، فالرواسي هو التجاذب والتدافع عند من قال بالإيجاب والجبال والشامخات عند المسلمين القائلين بالاختيار ﴿وَأَنۢبَتْنَا﴾ وأخرجنا ﴿فِيهَا﴾ [ق: 7] في جوف الأرض وباطنها إشعار بأن المركبات أولًا تمتزج وتتكوّن في باطن الأرض كالمعادن ومواد النباتات وأصله وعروقه، وكذا الحيوانات فإن أصلها ومبدأها إنما يتكون أولًا في الأرض كالخراطين والديدان والحيّات.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ [ق: 8] ثم يخرج على وجه الأرض ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: 7] أي من كل صنف وكل نوع من كل جنس بهيج ويسر كل من الزوجين وصاحبه، والبهيج ما يسر أو يحسن ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ والسرور ليتبصر ويتذكر ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: 8] أي يتعظ ويتنبه كل عبد رجّاع يرجع إلى ربّه ويرفع إلى

نصب عينيه متفكرًا في بدائع صنعه ومتدبرًا في غرائب مصنوعه، متذكرًا في عجائب موضوعه.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ مطرًا كثير المنافع كبير المصانع ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ وبساتين كثيرة الأشجار وفيرة الثمرات، بيان المبارك ومضمون معناه ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق: 9] أي الزرع الذي من شأنه أن يحصد ويزرع للاقتيات من الحنطة والأرز والشعير والجاورس والبر وغير ذلك.

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠﴾

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ عاليات مرتفعات طويلات إلى السماء ﴿لَّهَا طَلْعٌ﴾ زهر ونور أو عنقود ﴿نَّضِيدٌ﴾ [ق: 10] منضود، مضموم بعضها فوق بعض. فالمراد إما كثرة الطلع وتراكمه، أو كثرة ما فيها من الثمرات.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾

﴿رِّزْقًا﴾ أي مخلوقًا لها حصل منه لأجل ﴿لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ﴾ أي عمَّرنا موضعًا حال كونه خرابًا بالماء النازل من السماء، أو البناء والزرع وغرس الأشجار وثمراتها وإظهار بني آدم وخلقهم ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: 11] أي كما أحيا هذه البلدة الميتة وخلق فيها أشخاص نوع آدم فلما ماتوا ودفنوا في الأرض كذلك تخرجون منها في المحشر العظمى، أو المكان بمعنى الميل مبتدأ (الخروج) خبره أي مثل الإحياء الخروج والعرض والتمثيل والتأكيد لقوله رجع بعيد.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣﴾

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣﴾ [ق: الآيتان 12، 13].

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ﴾ [ق: 14] قد مر بيان الكل، وإنما نزلت بالفعل

المتعدي موضع اللازم إذ الغرض الإخبار عن وقوع الكذب والتكذيب من هؤلاء القوم عن طريقة اللوم والتحقيق نحو هو يحيي ويميت، وقع الإحياء والإماتة ﴿كُلٌّ﴾ من هؤلاء الأقوام ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ يجوز أن يكون الكل إفراديًّا أو مجموعًا، فتوحيد الضمير وتذكيره بناء على اللفظ دون المعنى ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: 14] أي ثبت ووقع الموعود، وهو كلمة تدل على العذاب الشديد وسوء العقاب، وفيه تسلية للرسول ﷺ وتهديد للكفار.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿أَفَعَيِينَا﴾ فعل ماض جمع المؤنث الغائب ﴿بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ﴾ من الخلق وهو عدم الاقتداء بوجه العمل من قولهم: عيي بالأمر إذ لم يهتد بوجه عمله أي أعجزنا هذه الأقوام عن الخلق الأول ليعجز عن الخلق الثاني، والإعادة والهمزة كذلك إشارة إلى أن المخلوق الأول هو الإنسان على ما ذهب إليه الملّيون الحكماء الإلٰهيون، قال النبي عليه السلام: «**أول ما خلق الله نوري**». قال الحكيم الآخر: أول ما خلق آدم ولذا كان باب الأبواب، وأن نفوس الأفلاك مستنسخات نفوس الأفراد الإنسانية وهو بداية الأدوار والأكوار، قال النبي ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون**»، ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] بل للترقي، أي كيف ينكرون الخلق الثاني ولهم في كل زمان في آن من خلق جديد وحشرًا ونشرًا نفسي فإن الممكن من حيث إنه ممكن يحتاج إلى المؤثر ليخرج مادة الوجود على العدم الآخروي أي العدمي على الوجود آنًا فآنًا. قيل: المراد باللبس لبس الشيطان فإن الكل من الرحمان، والشيطان بالنسبة إلى أفراد الإنسان وآحاده الأعيان نسبه ولم يدعو إلى الخير والشر ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52] وذلك في كل زمان وآن. وهذه الآية دليل آخر على صحة البعث والإيجاد، يعني من قدر على إنشاء الممكنات بعضها بلا مادة ومدة وبعضها بالمادة كالفلك الأعظم والباقي بهما كسائر الأفلاك والعناصر والمركبات في الدنيا، قادر على إعادتها بعد الممات والهلاك في العقبى بل هو أقدر عليها.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ والوسوسة هو الصوت الخفي ووسوسة نفس الإنسان ما يخطر بباله فحينئذ كان النفس فاعلًا ومفعولًا لأنهم يقولون: رجل حدث نفسه بكذا و(ما) يجوز أن تكون موصولة أو مصدرية ﴿وَنَحْنُ﴾ هذا إما من تتمة الدليل المذكور أو دليل آخر ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى الإنسان ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] لأنه تعالى روحه وحقيقته كما قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص: الآية 72] وحبل الوريد هو العرق الحامل للروح الحيواني ولا شك أن الروح الإنساني هو أقرب إليه من الروح الحيواني فضلًا من حامله.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: 17] يعني يمين العبد وعن شماله ملك قاعد عنده، والمتلقيان على هذا الوجه هما الملكان اللذان يأخذان روح العبد الصالح من ملك الملك وينقلانه إلى السور إلى يوم الحشر، والأخذ بأخذ أرواح الصالحين ونقلها إلى الويل والثبور إلى يوم الحشر من القبور. قال النبي ﷺ: «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران**». وللعبد أيضًا ملكان أحدهما يكتب حسناته والآخر يكتب سيئاته، عن النبي ﷺ: «**إن مقعد مليكك على ثنيتك ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيهما لا بعينك، لا تستحي من الله ولا منهما، فقال قوم: أي وقت خلقهما وسؤالهما من العبد في القبر، أنه من أي القبيلتين فإن يكون عند الرجل قعيد**» أي ملك قاعد عن يمين العبد، وقعيد عن الشمال، يعني أن الملكين ينزلان عن العبد وعنده ملكان آخران يكتبان أعماله ويسألانه من أي القبيلتين، فإن كان من الصالحين يأخذ روحه ملك السرور ويرجع الملك الآخر الذي كان يكتب سيئاته محرومًا مأنوسًا حيث لم يكن ممن يأخذه ويؤيده ما ذكرناه من قوله تعالى: ﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21] فالسائق هو العبد المتلقي يتلقاه والآخذ روحه من ملك الموت، فتشوقه إلى منزلته في الحشر والإعادة، فالقعيد بمعنى القاعد كالجليس يعني الجالس يكون عن يمينه وعن شماله فترك أحدهما لدلالة الآخر عليه.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾

﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ العبد ويتكلم ﴿مِن قَوْلٍ﴾ صادق أو كاذب ﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾ أو عند اللفظ واللافظ أو التلفظ ﴿رَقِيبٌ﴾ [ق: 18] ملك موكل على العبد يرقب قوله ويحفظه. قال الله تعالى: «**قد وكل على العبد أملاكًا يكتب كل منهم ما وكِّل عليه**»، كملك الأرزاق والأنفاس والماء وأفعال الأعضاء والجوارح والنفس والفؤاد وغير ذلك ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36]، ﴿عَتِيدٌ﴾ [ق: 18] حاضر، فالرقيب الحافظ هما الملكان الموكلان يكتبان كل شيء من الفعل والعمل والقول حتى أنين المريض في مرضه، فلا يكتبان إلا ما يؤجر عليه ويثاب أو يؤزر به يدل عليه قوله ﷺ: «**كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يساره، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرة وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبِّح ويستغفر**». قيل: إن الملائكة تجتنب الإنسان عند غائطه وعند جماعه.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ شدّته الذاهبة بالفعل ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: 19] الباء للتعدية، يعني وأحضرت الموت حقيقة الأمر الذي أنطق به كتبته وبعث به رسله أو حقيقة الأمر الدائر وحقيقة الحال الحاضر من سعادة صاحب السكرة وشقاوته. وقيل: الحق الذي خلق الإنسان ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: 185] أي جاءت متلبسة بالحق وحقيقة الأمر أو بالحكم الثابتة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الموت الثابت والحق الثابت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19] وهو من حاد يحيد حيدًا إذا ضرب وفلت ونفر، والخطاب للإنسان.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠﴾

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ والناقور ﴿ذَٰلِكَ﴾ النفخ والوقت نفخ فيه الصور ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: 20] عطف على جاءت، فالمراد إما النفخة الأولى فيكون بيانًا لما يكون عند مجيء السكرة أو الثانية وهي أظهر بقرينة يوم الوعيد، فسكرة الموت إشارة إلى

الإماتة التي هي قيامة لصاحب الموت خاصة لقوله عليه السلام: «**من مات فقد قامت قيامته**». فنفخ في الصور إشارة إلى المعاد الأولى والثانية وفي الكشاف ذلك إشارة إلى مصدر نفخ أي النفخ وهو ضمير ما فيه من الإضمار، فالأولى ما ذكرنا من أنه إشارة إلى الوقت الذي أعم.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١﴾

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ إنسانية محشورة مسوقة إلى الموقف ومنه إلى مقعد إما في النعيم أو النار والجحيم ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ أي ملك يسوقه إما إلى الجنة أو إلى السعير ﴿وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21] أي ملك حاضر عنده يكتب أعماله وهو القعيد.

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ﴾ وجهالةٍ ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ الأمر الذي يشاهده في هذا الوقت، والقائل هو الله، والملك والخطاب عام للكافر والمؤمن الذي أغفلته هول القيامة وحالاته الهائلة ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ﴾ وأنزلنا ورفعنا عنك ﴿غِطَآءَكَ﴾ غفلتك وغطائك البشرية ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: 22] أي في الدنيا كانت كليلة أو يوم الآخرة لشدة الأهوال. قيل: الخطاب للرسول ﷺ والمعنى: كنت في غفلة من أمر الدين والنبوة ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وإلقاء الأعيان والنبوة والقرآن، فبصرك اليوم حديد نافع لا مانع لإدراكها ولا دافع لإحساسها.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ۝٢٣﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي الملك الموكل والمولود الجني كما أشار إليه ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي ولا يأمرني إلا بالخير**» ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ﴾ أي أمرها الذي تحيله في هذا اليوم ما لدي أي أمر مكتوب لديّ ﴿عَتِيدٌ﴾ [ق: 23] حاضر بين يدي من الثواب في الدرجات وشدة العذاب وحدّة العقاب والدركات، يحتمل ملك الثواب وملك العذاب والعقاب والقرين الحق

المذكور، فـ(ما) إن جعلت موصوفة، فعتيد مرفوع صفتها وإن جعلت موصولة فهي بدل أو خبر مبتدأ محذوف أو خبر بعد خبر.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ أمرًا إلى الملكين السابق والشهيد، أو الملكين من خزنة النار ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: 24] والمتابعة إما باعتبار الكيفية أو الكمية، أي كثير الكفر وسديده إما من الكفران وهو إنكار نعم الله، أو من الكفر والشرك أو جحوده، وعتيد إما بمعنى الفاعل أي المعاند برسوله.

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ والكلام فيه كالكلام في الكفار أي كل المنع لمطلق الخير والإسلام هو أيضًا كل الخير ﴿مُعْتَدٍ﴾ معتدٍ متجاوز عن الحد ﴿مُرِيبٍ﴾ [ق: 25] شاكٍّ ذا ريب وشكّ في الله وفي دينه.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ [ق: 26] صفة لكل كفار ولكمال تخصيصه بالصفات العديدة بلغ طريق المعرفة نظيره: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: 2] إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: 5]، (فألقياه) أمر للمقربين والفاء جزاء الشرط المحذوف، أي قيل في جراب كل كفار شأنه كذا وكذا ألقياه ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ [ق: 26] والعطف بلا تراخي الذي هو أحد العذاب وأشد العقاب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النِّساء: 48].

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطان في جواب دعوى الكافر حيث قال: هو أضلني وأطغاني ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ وإنما عطف في الأول دون الثاني لأنه واجب في الأول للدلالة على الجميع بين في الحصول، عنى حق كل نفس مع الملكين وقول قرينه ﴿وَلَٰكِنْ كَانَ﴾ في نفسه ونهايته، إنما قضى عليه في الفطرة الأولى ﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: 27] وكفر وشرك شديد، المعنى بضربه وأعنته لا إن الشيطان الذي هو قرينه الجني وتوأمه الذي ولد معه وكان معه ضمنًا كالجلال مع الجمال في صراحة فردارية

النور والجمال أو بالعكس، إنما كان يضل ويغوي من كان مختل الرأي والنظر ومعتلّ العقل والبصر ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: 22].

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾

قال الله تعالى في هذه الحالة والوقت بعد طول المناظرة وكثرة المظاهرة بين الشياطين والكفار والعاصين في موقف الحساب: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ ولا تخاصموا بين يدي لعدم إفادتها النفع بل ينظر لسوء الأدب ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ﴾ على ألسنة الرسل وترجمان الأنبياء على كثرة السبل ﴿إِلَيْكُم﴾ وأنزلت عليكم ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: 28] والنذير والنذر الشديد، أي حال فيه تعليل للنهي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحُجرَات: 1] أي لا تتقدموا ولا تتخاصموا عالمين بأين أوعد بكم، والباء مزيدة أو للتعدية على أن قدم بمعنى تقدم يجوز أن تكون بالوعيد حالًا والفعل واقعًا على قوله:

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ تقرير للمنع من الاختصام وتصوير لعدم فائدة الانتقام، كأنه يقول: قد قلت لكم بأنكم إن تبعتم الشيطان تدخلون النار، وقد وقع عليكم الاتباع وارتفع عنكم الاتباع. ويجوز أن يكون مفعول قدمت محذوفًا فتكون الباء للمصاحبة أي قدمت إليكم ما يجب عليكم مع الإنذار والوعيد، ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ تعليل للمحذوف أي ما وجب عليكم وصرحته لديكم ثابت غير متغير لأنه ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: 29] نفي المبالغة في الظلم في الجملة لأنه عادل من جميع الوجوه متصرف في ملكه وملكوته فلا يتصور منه الظلم إذ لا غير في ملكه لأنه لا موجود سواه، ولا شاهد ولا مشهود ما عداه، فلا يعذب، الأمر له استحقاق العذاب فلا ينعم إلا من هو أهل له ويتأمل به ولا يضيع سعي أحد بلا مجازات، ولا يلزم من نفي المبالغة في شيء ثبوت ذلك الشيء كما تقرر من أن الكلام المنفي إذا اشتمل على قدر توجه النفخة إلى ذلك العبد إذ المبالغة إنما تتعلق إلى مورد ذلك الشيء ومتعلقه إلى ذلك الشيء يلزم منه نفي القيد بثبوت القيد، يعني أنه ليس بظالمٍ أصلًا حتى إنه لو كان ظالمًا فظلمه بالنسبة إلينا وعرضنا لا بالنسبة

إليه لما أنه واحد حقيقي بداية وبأسمائه وصفاته، فكل وصف ونعت يعتبر فيه فهو غير ذاته كافية في كل الكمالات الذاتية والأسمائية التي هي في الحقيقة غير ذاته، فلا ظلم بالنسبة إلى ذاته من ذاته هو ظاهر، ولا بالنسبة إلى عينه لامتناعه فلا ظلم إلا بالنسبة إلينا وعرضنا وأحوالنا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الرُّوم: الآية 9] إذ لو ظلمنا كليًّا يخالف الحكمة والمصلحة، ولو ظلم بعضها لزم التحكم بالنسبة إلى رأينا وإعراضنا لا بالنسبة إليه تعالى لتصرفه في ملكه على أي وجه يريد وعلى أي طور في أي جود، ولا ينقص ولا يزيد، ويقول إن المبالغة تشعر بكثرة الأفاعيل الممكنة. يدل عليه قوله للعبيد:

﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ۝٣٠﴾

﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ﴾ انتصابه إما بظلام أو بمضمر نحو: اذكر، وخوف، وأنذر، ويجوز أن ينتصب بينفخ أي ينفخ في الصور يوم يقول لجهنم ويسأل عنها من باب التبجيل والتمثيل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتشبيهه في القوة المتخيلة والخيال، وعلى هذا الوصف رفع المحذور إذ الظلم والعدل إنما يتصوران ويعتبران في يوم الجزاء، وفيه معنيان أحدهما: إنما يمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لم يسعها شيء ولا يراد على امتلائها من السعة بحيث لا يدخلها من أراد أن يدخلها وقتها موضع للمزيد، وقالت: ﴿وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ [ق: 30] استكثارًا للداخلين واستشعارًا بأنها امتلأت، إلا أنها لكمال اتساعها لا تمتلئ بحيث لا يبقى فيها موضع للداخل، وهذا طلب للزيادة غيظًا للكفار وزيادة ونقصًا بعذاب العصاة والفجار.

﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ۝٣١﴾

﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ﴾ وقرِّبت ودُنيت للمتقين ﴿لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: 31] أي ما بقيت محلة في الجنة ترى بعيدًا لكل من كان فيها، فإن كل واحد من أهل الجنة يرى ويشاهد جميع المواضع لا يخفى عليه موضع من مواضعها لأن بصره في ذلك اليوم حديد إشارة إلى القرب والبعد أي هو من خصائص الدنيا لا الآخرة لأن الدنيا تخالف الآخرة في جميع الخصائص ولذا أكد القريب بغير بعيد يجوز أن يكون حالًا ويذكره لكونه على زنة المصدر كالمزيد والقليل، والمصادر يستوي فيها

المذكر والمؤنث، أو على حذف الموصوف أي شيئًا غير بعيد.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ٣٢﴾

﴿هَٰذَا﴾ الثواب والجزاء أو النفي ﴿مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ ورجَّاع منيب إلى الله وعوَّاد إليه ﴿حَفِيظٍ﴾ [ق: 32] وحافظ حدود الله وأحكام شريعته وأعلام طريقته من الحلال والحرام، والمباح والمندوب والمكروه لذوي أرباب الصلاح.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ٣٣﴾

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ وخاف من شدَّة عذابه وحدّة عقابه ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: 33] حال من الفاعل أو المفعول، أي حال كونه أو كوني متلبسًا بالغيب الناشئ من أحوالنا لا منه لأن الغيبة والخطاب والتكلم بالنظر إليه على التسوية لتواردها في آن واحد باعتبار واحد توارد الظهور والبطون عليه في زمان واحد وآن متوحِّد، باعتبار واحد، إذ ذاته باعتبار كونه ظاهرًا هو باطن، وباطن باعتبار كونه ظاهرًا، إذ الظاهر والباطن في آن واحد هو ذاته، وكذا الموجود في الاعتبارين هو ذاته، فباعتبار كونه ظاهرًا هو بعينه باطن وبالعكس ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحَديد: 3] فغيبته إنما تكون بالنسبة إلينا وبأحوالنا لا بالنسبة إليه لأنه حاضر وغائب، لا حاضر ولا غائب ﴿وَجَآءَ﴾ الخائف الخاشع ليوم الوعد والوعيد ﴿بِقَلْبٍ﴾ سليم مما لا يليق بحضرته ولا يفتق إلى غيب هويته ﴿مُّنِيبٍ﴾ [ق: 33] إلى الله، راجع إلى مطالعة وجه الله وملاحظة أنوار جماله وأسرار جلاله في ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: 88، 89] وغيب كريم.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ٣٥﴾

﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ أي جنة الذات والصفات والأفعال، أو جنة الآثار التي هي مطرح أكثر العابدين ومسرح أكبر أعيان الزاهدين ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ مستصحبًا بالسلامة عن الأوصاف الرذيلة والأخلاق البديلة، أو مسلِّمًا عليكم بسلام بهدية واصلة من الله والملائكة إليكم، والمسلِّم إما بعد أن كان العبد الداخل من أهل الله صاحب التجليات وصاحب المشاهدات وكاسب أنوار الرياضات وأسرار المجاهدات وإلا فالملائكة لم تكن كذلك ﴿ذَٰلِكَ﴾ [ق: 34] التشريف أو الاستشراف والدخول

أو السلام التكريم والإكرام ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق: 34] في الجنة بعد الدخول ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: 35] بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر ببال بشر قط من مشاهدة لقاء الله ومطالعة أنوار جلاله، وملاحظة أسرار جماله في فردارية أدوار النور والجمال الإفرادية والأكوار الظلية الجلالية الوحدانية، هذا لخواص الأعيان المتوحدين في الدورة النورية الوجودية ولصعاليك أكوان الأكوار الظلية المنفردين بالعدمية فإنهم مشاهدون للتجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية بعنوان الوجود، وفي فردارية الأدوار.

وأما صعاليك الأكوار فإنهم يعاينون ملك التجليات بعنوان العدم، فإن الوجود والعدم يقعان للذات الأحدية، يظهران في الذات البحت ومطلق الوجود، يتعاقبان في الوجود المطلق، والوحدة الذاتية. وأما المحققون المتحققون تبعث جمعيتها في جمعية مقتضيات الأدوار أو معية مرتضيات الأكوار فردًا وجمعًا وأصالة وتبعًا لأنهم يشاهدون ويعاينون في الجنة العليا، وهي الجمعية العظمى الإفرادية، تلك التجليات الذاتية بعنوان الجمعية الإفرادية، فإن للذات في مقتضيات كل دورة له تجلي خاص على مقتضى خصوص الاقتضاء وعلى مقتضى جمعية الأدوار تجلي خاص ذاتي يغاير تلك التجليات الذاتية الإفرادية، وكذا الحال في التجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية في الأدوار كإفرادية الجمعية، وكذا في الأكوار العدمية الإفرادية والجمعية لا يدرك أسرار هذا المقام إلا من خصه الله تعالى بكمال توفيقه الميسر والذوات وفي هذه الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية والتحقيق بهذه التجليات وبمقتضيات الظهورات وبمبدئها.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي قرن أعيان ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق: 36].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: 37] الأدوار وأكوار الفردارية

والجمعية وجمعية الجمعية هم أشد منهم أي أعيان الدورة المتقدمة أشد نعتًا من أعيان الدورة المتأخرة على الترتيب إلى أن يصل إلى الدورة الأخيرة، ونحن فيها فبقوا في البلاد أي حفروا وبعثوا في بلاد كل دورة وفطرة من البعث وهو النقم والتصرف فيه أو الجولان والدور والحولان، فالفاء على الأول سبب، وعلى الثاني لمجرد التعقيب، هل لهم مختص من مفر ومخلص من الله ومن الموت.

قيل: الضمير في بعثوا لأهل مكة أي ساروا وسافروا أو داروا في بلاد كل دورة حتى تعبت أقدامهم أو أخفاف مراكبهم أراضي كل بلدة، فلم يجدوا من صدمة قهرمان دين الله وضربة [ديوسة] الإسلام معزولًا لإقامة حكمه [مقرأن] حتى هلكوا بغيظهم وما ملكوا لإمضاء أغراضهم الفاسدة مكر الإهلاك وعدم التملك والإملاك لذكرى تذكرة وموعظة ونصيحة وغيرة لمن كان له قلب سليم وعقل مستقيم داعٍ للحقائق وداعٍ للأنوار الإلٰهية والدقائق.

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ وإصغاء الاستماع للحق والانتفاع به ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] حاضر بكليته وناظر إلى وجه الله وأنوار جماله الجبلية لا يشغله شأن عن شأن، فلا يفوت من إدراكه شيء إشعار بأن حق القلب ووظائف الأعضاء والجوارح هو الاطلاع والإدراك مطاوعة لسلطان القلب ومطيعة لحكام الغيب. ثم الاتفاق بتصاعد الإدراكات وبالانطباق يتباعد حضيض دركات الكثرات إلى أوج حضرات القرب من شهود التجليات.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي الأدوار النورية والجمالية ﴿وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: 38] أي الأكوار الظلية والجلالية والجمعية وجمعية الجمعية وما بينهما من الدورات والكورات الإفرادية في ثلاثة أيام وهي المراتب إليه كما أشار إليه بقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، وسبب اختيار هذا العدد أنه كامل لانطباق أجزائه وكورة كليّته ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: 38] إعياء وتعب في خلقها، وذلك لأن الإعياء والتعب من خواص الأجسام المركبة من الطباع المتضادة لتعارضها بطبيعة حقيقة الجسم المركب وتخالفها لها

قد وقع في التوراة والحديث وسائر الكتب السماوية، إن الله تعالى خلق السماوات وما فيها وما في جوفها من الأرض يوم الأحد وفرغ منه في آخر يوم الجمعة بعد العصر، واستراح يوم السبت، ووقع التعطيل، واستعلى على العرش، ولذا عظَّم المليُّون وأرباب الدين هذه الأيام، المسلمون عظَّموا الجمعة، واليهود السبت، والنصارى الأحد، ونظر المسلمين أتم وأدقّ.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق: 39] المشركون من إنكار البعث، فرد عليهم بأن قدر على قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [ق: 38] المذكورة من المخلوقات التي لا يعلم عدّها ولا حدّها إلا الله تعالى، وهو قادر على البعث والإعادة والخلق ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ونزِّهه وقدِّسه مما شبَّهوا ونسبوا إليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ أي العصر والفجر، كما قال: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 9].

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾ [ق: 40] أي بعضه أولًا وآخرًا إشارة إلى أوقات الصلاة المكتوبة وقبل طلوع الشمس عبارة عن وقت صلاة الفجر وما هو بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، ومن طلوع الشمس إلى الغروب وقت الظهر والعصر، وتعين المظهر من قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ إلى غسق الليل وقبل الغروب عبارة عن آخر وقت العصر وأوله مبهم، وأول الظهر متعين وآخره مبهم إشعار بأن وقت الظهر والعصر موصول كما ذهب إليه مالك، وأول مغرب معلوم بالالتزام بطريق المفهوم المخالف، وآخر وقت العشاء والعتمة أيضًا، معلوم بالالتزام بقوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: 78]، وكذا إيهام وقت المغرب والعشاء إشعار بأن وقتهما موصول ووقت صلاة التهجد الذي كان واجبًا على النبي ﷺ وأتباعه من الصحابة والتابعين من الأولياء والعلماء الربانيين الذين أوجبوا على أنفسهم صلاة التهجد، وكان قدامهم وقت التهجد إشعار بأن إحياء الله أمر محبوب عند أرباب التحقيق ومرغوب.

﴿فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: 40] أي أعقاب الصلاة، مجاز مرسل من باب ذكر الحق، وإرادة الكل إشارة إلى الأدوار التي تقرأ بعد الصلاة.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ أي جبريل وإسرافيل مناديان يوم القيامة بالأموات وإجزائها فيقولان: يا أيها العظام البالية والأعصاب الرابطة التالية للأعضاء والغضروف الحاملة بين العظام واللحوم والعروق، الحاملة للأرواح الحيوانية الفانية من مقر الكبد إلى القلب، وسمي بالسريان الوريدي أو من محدب الكبد الحاملة للدم إلى سائر الأعضاء، وسمي بالأرواح النباتية، وهذه العروق الثابتة من القلب الحاملة للروحاني إلى الأعضاء سمي بالشرايين والذي يتصل بالكبد سمي بأسمائها وتأمر بأمر الله كلها ليتحقق، وظهر البدن منها لا يعنيه وإلا ظهرت يومًا بخصائصها ولوازمها لأنها من جملة شرائط البدن المعين بل مثله، فيتعلق بنفسه، وبهذا يتحقق البعث والحشر فلا يحتاج إلى إعادة المعدوم بعينه، وهذا الأمر عطف على سبِّح، والمخاطب هو النبي ﷺ وكل من له أهلية هذا الخطاب، أي سبِّح واستمع ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41] إشارة إلى ما مر من ارتفاع العقد بين الأعيان من خصائص يوم القيامة، وأن جبريل وإسرافيل قريب من الكل فيكون عين الأعيان قريبًا بالكل إذ اليوم من خصائص المسافة الدنياوية.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ والنفخة الثانية التي بها تحيا الأموات وتجتمع أجزاؤها الأولية وهي الجواهر الفردة، والثانية وهي العناصر، والمركبات وهي النباتية والحيوانية، والثالثة وهي الأعضاء والجوارح، فهذه الأجزاء كلها تسمع الصيحة والنفخة الثانية إذ لها قوة استماع كما لها قوة التكلم والشهادة على صاحبها ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النُور: الآية 24]، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بالصيحة، والمراد به البعث والحشر ﴿ذَٰلِكَ﴾ البعث والإحياء يكون ويظهر ويثبت ﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ أي يوم القيامة، فإنه اسم من أسمائه وسماع الأجزاء والأعضاء والأبدان البالية في القبور إنما هو بخلق الله كما كانت شهادة الأعضاء على صاحبها بخلق الله وأمره، فقال الله تبارك وتعالى لعباده ﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: 42].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ في الدنيا والنشأة الأولى ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [ق: 43] والرجوع في الآخرة والنشأة الأخرى.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ اذكر يوم يقع انشقاق الأرض الحسية والنفسية، وهي أرض الاستعداد والقابلية للجزاء ﴿سِرَاعًا﴾ مسرعين إلى الداعي، متسارعين إلى النادي المنادي، إجابة للأمر الإلٰهي وإطاعة لما قدر لهم من الجزاء والثواب والعذاب وشدة العقاب الغير المتناهي ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾ الإحياء والخلق الثاني والإعادة ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: 44] متعلق بالمتأخر، أي ذلك الإحياء الأخروي أمر يسير علينا لا عسير لدينا، وذلك للتخصيص، يعني يسير مثل ذلك الأمر العظيم على القادر الحكيم والقاهر العليم الذي لا يشغله شاغل عن شأن كما قال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: 28].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في حقي وفي حقك يا محمد وبما يعقلون سرًّا وجهرًا، تهديد لهم وتسلية لرسوله ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ وقهار متغلِّب ليجبرهم ويقهر عليهم ويتسلط عليهم بالإيمان، بل إنما أنت عليهم داعٍ ومنذر وباعث ﴿فَذَكِّرْ﴾ وعِظ وادعُ إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴿بِٱلْقُرْءَانِ﴾ بما فيه من الأحكام والموعظة والنصيحة ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45] بكسر الدال لحذف ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة مفعول ليجازي. عن النبي ﷺ: «**مَن قرأ سورة (ق) هوَّن الله عليه أمارات الموت وسكراته**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل امتداد نفسه الرحمانية مادة للرياح الذاريات وجادة لثبوت اللقاح الحاملات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي جعل السماوات والأفلاك ذوات الحبك والطرق الطوارق الأملاك المقسمات الأرزاق بذريعة الرياح والأمطار في حدود الأملاك ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي قسم الأرزاق روحانية وصفاتية وجعل الروحانية ذريعة لشهود التجليات والجسمانية وسيلة للدخول في درجات الجنات.

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ أي الرياح التي تذرو التراب وتنسفها، والذري اسم لما ذرته الريح، يقال: ذروته أي طرف منه ولم يتكامل، ويقال: فلان يذرو ذروًا أي يمر مرًّا سريعًا، وذرت الريح التراب وغيرته وتذروه وذرته ﴿ذَرۡوٗا﴾ [الذّاريَات: 1] وذريًا أي سفته، منه قوله: تذروه، ومنه ذرى حبًّا وأذريته إذ ألقيته يزرع ذروًا مفعول مطلق.

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ [الذّاريَات: 2] أي السحب الحاملة للأمطار والرياح الحاملة للسحاب، والنساء الحوامل والوقور هو الثقل المحمول. عن علي رضي الله عنه: «إن الذاريات هي الحاملات السحاب».

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣﴾

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣﴾ [الذّاريَات: 3] أي السفن الجارية في البحر سهلًا لينًا هينًا،

أو الرياح الجارية في مهابها، والكواكب التي تجري في مفازتها على الاستقامة، فإن لكل كوكب منزلًا خاصًا وحركة مختلفة تارة راجعة فيها أو بطيئة أو مستقيمة، وقد يرى معتمًا لا تدركه حركة، وأفضل حالاته وأسهله وأيسره أن يكون مستقيمًا.

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ [الذاريات: 4] أي الملائكة التي تقسم الأمطار والأرزاق والأنفاس وغيرها من الحالات الواردة على الإنسان. قال النبي ﷺ: «**جاءني ملك الأمطار وملك الأشجار وملك الأرزاق**». والمقسمات هي التي تفرق الأمطار على الأرجاء والأقطار، ويحتمل أن يقال: هذه أمور أربعة بها يتمنى الإعادة ويبين كيفيتها لأن الأجزاء ترقّت في أقطار الأرض وأطراف الأملاك وطبقات العناصر، فبعضها في نجوم الأرضين، وبعضها في قعور البحار، وبعضها في كرة النار والعناصر قد تفرّقت ورجعت إلى أصولها فمن قدر على جمع هذه الأجزاء المتنامية الأخبار والمتخالفة المراكز والاختيار، ونفخ الروح فيه بأمر الله فهو قادر على أجزائها وعده.

فقوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ هي الجامعة للذاريات والتفرقات من الأرض على الدائرة وهي التي تذرو التراب من وجه الأرض. وقوله: ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرًا﴾ إشارة إلى الملائكة التي تجمع الأجزاء المائية. وقوله: ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرًا﴾ إشارة إلى الموكولات على الهواء تجمعها في جو الهواء وتحفظها، و﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ [الذاريات: 4] إشارة إلى التي وكّلها الله على النار وتحفظ الأجزاء النارية في حيزها فلكل واحد من الأشخاص الإنسانية أملاك موكلة على أجزائها العنصرية لتحفظها من الاختلاط كما كان قد وكّل على كل عضو من الأعضاء ملكًا يحفظه من الآفات، بل قد وكّل الله على كل جزء العنصرية وهي الجواهر الفردة التي قد تركبت العناصر منها، ففي كل جزء من الأجزاء العنصرية التي هي مادة الأبدان جواهر فردة تحفظها الأملاك الموكلة عليها، فإذا أراد الله حشر الأبدان أمر أملاك الأجزاء العنصرية، وكذا أمر الأملاك الموكلة على جواهر فردة كل عنصر من عناصر كل بدن ليجمع تلك الأجزاء الأولية والثانية، فلو كان كل جزء من الجواهر الفردة في المشرق والآخر في المغرب لسعى مجتمع مدقق البدن ويترتب

ويتركب ويظهر بها البدن، فينفخ فيه الروح، فلا يختلجن في قلبك أن هذا محال لأن كل شيء قليل وكثير، صغير وكبير له يرجع، وكل ذات ملكي وبرزخي وكوني وجبروتي ولاهوتي، فالملك عبارة عن ملكوته وروحه وأمره، ألا لله الخلق والأمر، سبحان الله بيده ملكوت كل شيء.

فالملكوت علوي وسفلي، أما العلوي فهو روحه وأمره. وأما السفلي فهو الموكل على حفظ البدن وأجزائه القريبة كاليد والرجل والبصر والسمع وغير ذلك، والمتوسط كالعناصر، والبعيدة كالأجزاء التي لا تتجزأ والجواهر الفردة والوحدات الإلٰهية وهي الأعيان الثابتة والنسب الإلٰهية والشؤونات الذاتية والحصص الوجودية الذاتية قربى، وهذه إما مجرورات على القسمة وإما منصوبات على المصدرية، وقرئ منصوب على أنه مفعول به، ويسرًا منصوب على أنه صفة مصدر يعني جريان اليسر، وكذا مفعول الأبعاض أي قسم أمر الرزق أو مأموره، وإنما وحّد وقرًا لأن الحاملات على ما ذكرنا صفة الرياح وهو يتوارد على وقرًا واحد فإن ريحها تهب وتسوق السحاب عنه، ويسرًا لسبب اختلاف السحاب وكذا الكلام في المقسمات أمرًا والفاء للترتيب في المقسم كأنه يقول: أقسم بالرياح الذاريات، ثم بالسحب الحاملات، ثم بالسفن الجاريات، ثم بالملائكة المقسمات.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾﴾ [الذّاريَات: 5] جواب القسم، أي بحق الذاريات والمعطوفات عليها أن الذي وعدكم الله به من الجنة ونعيمها الصادق حكم مطابق وأمر موافق لما في النفس والأمر.

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذّاريَات: 6] أي يوم الجزاء الثابت، استدل باقتداره على هذه الأشياء المتقنة والأمور العجيبة المتبينة على وقوع الوعد والوعيد والبعث ذي اليوم الشديد وما يحتمل المصدرية والموصول.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾ [الذّاريَات: 7] أي الطريقة والممر للكواكب والسماء

إما حسية أو نفسية أو روحية أو عقلية، ولكل منها دورة خاصة ومدة ماضية، ولكل منها دنيا وآخرة، وفي كل دنيا سماوات وكواكب وأرض، ولكل منها حركات، ولحركاتها مقدار، وللمقدار امتداد، فإن كانت الأفلاك حسيَّة كانت الحركة حسيَّة، وامتدادها هو الدخان يكون هو موجودًا حسيًّا أو لوازمها حسيَّة، وإن كانت الأفلاك حسيَّة كانت الحركة نفسية وامتدادها وهو المسمى بالعنصر سمي نفسيًّا وإذا كانت الأفلاك والسماوات روحانية كانت الحركة روحانية وامتدادها وهو الدهر يكون روحانيًّا والمرتبة الربوبية لا تسبوا الدهر فأنا الدهر يقول: أنا إليَّ الليل والنهار يقول: أنا أُجِدُّه وأبليه وأذهب بملوك وآتي بملوك. وإذا كانت الأفلاك عقلية فالحركة عقلية وهي الانتقالات الفكرية والانتقالات الفكرية هي الحركات العقلية، وامتدادها عقلي وهو الوقت الذي تقع فيه الحركة الإبداعية والنقلة التكوينية، ولكل من هذه المدة مقدار معين إذا انتهى هذا المقدار انقضت مدة دنيا تلك المرتبة فحينئذ يقوم ما يناسب تلك المرتبة فيسمى قيامه المرتبة الواحدة القيامة العظمى، وقيامة المرتبة الثانية من الكثرات العينية هي القيامة الكبرى، وقيامة المرتبة الثالثة وهي البرزخ، سمي بالقيامة الوسطى، وقيامة المرتبة الرابعة وهي الأجسام وعالم الملك والشهادة سمي بالقيامة الصغرى.

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾ [الذّاريَات: 8] في حق الرسول كالشاعر والساحر والمجنون والكاهن، أو في القرآن إنه شعر أو سحر وأساطير الأولين، وأن كلام محمد مفترى، أو يوم القيامة أو أمر الديانة، ولعلَّ المنكبة في هذا القسم فيشبه أقوالهم في اختلافها ونبه في إعراضها في طريق السماوات وتباعدها واختلاف غاياتها.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾

﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن الرسول أو القرآن أو الإيمان بهما، أي تؤفك وتصرف عنه ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ [الذّاريَات: 9] وصرف عنه الصرف الذي لا صرف أشد منه كقوله: «لا يهلك على الله إلا الهالك» حتى تصرف عنه في سابق علمه، أي علمه فيما لم يزل ولا يزال، ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون، أو للذين أقسم

بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق، ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف وقوعه، فمنهم شاكٌّ، ومنهم جاحد ومناقض، أما في الحشر ما قالوا: لا حشر ولا حياة بعد الممات، ودليلهم التقليد بأن قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزّخرُف: 23]، ثم قال: يؤفك بالاقتدار بأمر القيامة من هو المأفوك، ووجه آخر وهو أن يرجع إلى قوله يختلف، وعن مثله في قوله: ينهون عن أكل وعن شرب، أي يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب، أي تصدر تناهيهم في السمن عنهما، وكذا يصدر إفكهم عن القول المختلف وعن ارتداد من على يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه، وعنه أيضًا يأفك عنه أي أفك أي يصرف الفاعل عنه من هو آفك كذاب من الإفك وهو الكذب.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الذّاريَات: 10] الكذابون من أصحاب القول المختلف، دعاء عليهم بالقتل والهلاك، فيكون إنشاء أي اللهم اقتلهم وأهلكهم، أجرى اللعن أي لعن الله عليهم وبعدهم من رحمته بعد قتلهم.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ أي منغمسون في جهل تغمر منهم وتراهم ﴿سَاهُونَ﴾ [الذّاريَات: 11] غافلون عن الله وأحكامه التي قد أمروا بها.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ عن محمد ونعته وحكمه وبما جاء به، فقد كذبوه وكل ما أخبر عنه من أحوال القيامة بحال ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الذّاريَات: 12] ويوم البعث والقيامة، أي متى يقع يوم الجزاء.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذّاريَات: 13] يحترقون، جواب القسم، أي يقع لهم يومهم في ذلك اليوم يفتنون يقومون بالإشراف على النار، نصب اليوم بفعل مضمر يدل عليه السؤال أي يقع ويجوز أن يكون مفتوحًا لإضافته إلى غير متمكن وهو الجملة منصوبًا بالمحل المضمر ومرفوعه: يوم هم فيه على الناس يفتنون.

﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ على القول المضمر ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذّاريات: 14] هذا اليوم وعذابه ويجوز أن يكون بدلًا من فتنتكم.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذّاريات: 15] تعريض وتزعيم لهم وترغيب للمؤمنين ﴿ءَاخِذِينَ﴾ قابلين ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أعطاهم راضين به، مرضيين عند ربهم، فتلقوا له بحسن القبول ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ القبول والتلقي والإعطاء ﴿مُحْسِنِينَ﴾ [الذّاريات: 16] قد أحسنوا، وما صلة أو موصولة أو مصدرية. أما على الأول فلأنهم ﴿كَانُواْ﴾ في الدنيا ينامون ﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ وبعضًا منه يقومون الليل، وعلى الثاني والثالث كان هجوعهم في قليل من الليل أو كان ﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذّاريات: 17] فيه من الليل قليلًا، ولا يجوز أن تكون نافية لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها، وفيه إشارة ودليل على قلّة منامهم وقلّة كلامهم، وندرة طعامهم، وعلى الذكر بدوامهم وعلى الصلاة بقيامهم، وعلى الصيام بإقدامهم، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذّاريات: 18] أي والحال أنهم مع قلة تهجعهم يستكثرون في الأسحار الطاعات ويستغفرون الله بخلوص النيّات وخصوص الأمنيات ونصوص الطويات، فإنهم إذا دخلوا في الأسحار والأجزاء الأخيرة من الليل القريبة بالأنهار بعد الأفجار يشتغلون بعد كثرة الأذكار بالابتهال وبالاستغفار في حضرته لدى أداء لطائف مقتضيات الأطوار في الأدوار والأكوار، وإنما مدحهم بقلة الهجوع دون كثرة السهر تنبيهًا على أن نومهم أيضًا عبادة وصدقة.

قال النبي ﷺ لأبي ذر: «**يا أبا ذر الفقراء ضحكهم عبادة، ومزاجهم تسبيح، ونومهم صدقة، ينظر الله تعالى إليهم كل يوم ثلاث مرات**».

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ من المأكولات والمشروبات والملبوسات وغير ذلك مما يحتاج إليه الإنسان في حفظ الحياة وصيانة الصحة ودفع المضارّ ودفع البليات ﴿حَقٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذّاريَات: 19] المتردّد بالأبواب الذي لا نطق له في الطلب والسؤال أو الكلاب والهرّات، أو المراد بالمحروم الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربًا في الأرض، ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ [البَقَرَة: 273].

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وعليها ﴿ءَايَٰتٞ﴾ وعلامات ودلائل وأمارات بقيد ﴿لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ [الذّاريَات: 20] أي لأهل الأعيان وأرباب اليقين للاستدلال على الصانع وعلى كمال قدرته ووفور حكمته، أي في تبدل أحوال الأرض من النشوء والنماء وفي صفائها وقوتها أو ضعفها بأن بعضها مسخ وبعضها حجر وبعضها طين ومغرق في الماء، وبعضها ينبت الزعفران والزنجبيل والفلفل وسائر البقائل، وبعضها معدن لأنواع الجواهر الشريفة كالذهب والفضة، وبعضها مؤمن وبعضها كافر وعاصٍ، وبعضها معدن للأنبياء ومدفن لهم ومسكن للأولياء والعلماء والحكماء وغير ذلك. ومن المعين أن هذا الاختلاف ليس من نفس الأرض لأنها بسيطة، والبسيطة لا يختلف اقتضاؤها بل كل ما يظهر فيه ومنه لا بد أن يكون على نهج واحد فلا بد وأن يستند إلى الفاعل المختار كما هو قانون الحكمية الإسلامية لا الفلاسفة الأولى والثانية، هذا ما في الآفاق.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾

وأما في الأنفس ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ [الذّاريَات: 21] ما في العالم الآدمي والربوبي والكوني ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [فُصّلَت: 53] الآية، فإن الإنسان لكونه مرآةً للحق لا بد وأن ينعكس ويوجد ما في الحضرة الإلٰهية والربوبية والكونية من الكمالات الذاتية والأسمائية والأفعالية، وفي الإنسان كمالات أخرى تابعة لكمال ماهيته وهي ظهور الذات بتمام الأسماء والصفات فيه

«**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أطعني يا عبدي أجعلك مثلي، وليس لي مثلي**»، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذّاريَات: 21] الحق فيكم بتمام أسمائه وصفاته وأفعاله وآثاره إفرادًا وجمعًا ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزَاب: 72].

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي سماء الذات وسماء الأسماء وذلك الصفات ﴿رِزْقُكُمْ﴾ عقلًا وروحًا ونفسًا وبدنًا، والرزق ما يتقوّم بالمرزوق ويقوم به ظاهرًا وباطنًا، صورة ومعنى، لما بين أرض القابليات وما لها من الحالات وتمام الكمالات من العلوم والإدراكات والأحوال والمقامات إشارة إلى سبب ظهورها مما كانت هي كائنة فيها وهي الذات بالأسماء والصفات، ويمكن أن يكون المراد بالسماء سحاب الأسماء الذاتية والأفعالية، ومن الرزق هو أمطار العلوم التي تظهر في كل مرتبة بيقين خاص وكونها كما تقرر أن صور الأشياء هي العلوم والإدراكات الإلٰهية والنسب الربانية، هذه هي الأرزاق الدنياوية ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذّاريَات: 22] وهي الجنة التي هي على نهر السماء السابعة تحت العرش، أو المراد بالسماء هي سماء الدنيا التي نزل منها إلى الدنيا بسبب خفي ومؤكد إلى وقت معلوم.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ أي ما توعدون به في الآخرة ثابت في علم الله وكتابه المبين وفي نفس الأمر إنه لحق جواب القسم ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذّاريَات: 23] يعني أن ما ذكرته من الآيات والرزق الظاهر والباطن وما وعدتم به من نعيم القيامة ولذاتها ثابت ومتحقق تحققًا يكون مثل تحقق نطقكم وتكلمكم، فإنهم غير شاكّين في تحقق نطقكم وكلامكم فلا بد أن لا تشكوا في وقوع يوم الوعيد وما يقع فيه من الجنة الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الذّاريَات: 24] في الأصل مصدر يطلق على

الواحد والكثير. قيل: كانوا إثنا عشر مَلَكًا أو ثلاثة إسرائيل وميكائيل وإسرافيل، وإنما سموا به لأنهم كانوا على صورة الضيف ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذّاريَات: 24] عند الله أو عند إبراهيم أو عندهما لأنه خدمهم بنفسه وبزوجته.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ ظرف لحديث أو لضيف ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ﴾ نسلِّم سلامًا ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ أي سلامي ثابت عليكم (قوم) أي أنتم ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذّاريَات: 25] مجهولون من النكارة وهي الشيوع والانتشار الغير المعين لأنهم ما كانوا من المعارف أو من نوع الإنسان وأصنافه، أو رأى وشاهد منهم حالًا وهيئة وشكلًا خلاف شكل الإنسان فقال لهم: عرِّفوني مَن أنتم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَرَاغَ﴾ إبراهيم ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ وذهب إليهم خفية من الضيف، أو منه، وأبى الضيف أن يخفي أمره ويبادر إلى القرى والضيافة من غير أن يعرف به الضيف لئلا يجفه ويعذره وقد كان عامة، قال إبراهيم الخليل في ذلك اليوم ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذّاريَات: 26] مشوي.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ ووضعه بين أيديهم وهم غير ملتفتين إليه ولم يمدوا يدًا إليه ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذّاريَات: 27] والهمزة للعرض والحث على الأكل على طريقة الأدب.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَأَوْجَسَ﴾ إبراهيم ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ﴾ أي أحسّ وشعر من الضيوف خوفًا فقالوا ردًّا ومنعًا للخوف ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ﴾ منا ومن حالنا فإنّا رسول الله. قيل: مسح جبريل العجل بجناحيه فقام فعرف جبريل وصاحبيه فأمن منهم ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ﴾ هو إسحاق ﴿عَلِيمٍ﴾ [الذّاريَات: 28] قد كمل علمه شيئًا فشيئًا إلى أن بلغ.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ [الذّاريَات: 29] إشارة، وقيل: هو إسماعيل وامرأته هاجر

﴿فِى صَرَّةٍ﴾ في صيحة في ريح صرصر منصوب المحل على الحال أو المفعول الأول لأقبلت ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي لطمت بأطراف الأصابع وجهها من الحياء. قيل: وجدت حرارة دم الحيض فضربت وجهها تعجُّبًا وحياء ﴿وَقَالَتْ﴾ امرأة إبراهيم والحالة هذه ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذّاريَات: 29] عاقر فكيف يكون لي ولد.

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قَالُوا۟﴾ أي الملائكة للمرأة: أنت ﴿كَذَٰلِكِ﴾ أي مثل الولد الذي بشّرناك به ﴿قَالَ رَبُّكِ ۖ﴾ يا امرأة إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ ما قال الله وما يقول فهو واقع وثابت لأنه حكيم يعلم الأشياء على ما هي في نفس الأمر ويعقل على ما ينبغي لما ينبغي ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الذّاريَات: 30] بحقائق الأشياء وأحوالها ولوازمها وخصائصها وأوقات تحققها وشرائطها، ورفع ما هو يعرف، فيكون قوله حقًّا وحكمةً وعدلًا وصدقًا.

﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿۞ قَالَ﴾ إبراهيم للملائكة المرسلة ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ وشأنكم وأمركم وبغيكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الذّاريَات: 31] لما علم إبراهيم أنهم ملائكة مرسلة أرسلهم الله لحكمة عظيمة ومصلحة عميمة كليَّة جسيمة، وما أنزلهم الله جميعًا إلا لأمر خطير وشأن كبير.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الذّاريَات: 32] يعملون عملًا قبيحًا وفعلًا مكروهًا وقبحًا صريحًا، يعنون قوم لوطٍ.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ يكون أصلها ومادتها ﴿مِّن طِينٍ﴾ [الذّاريَات: 33] قد صلُب ومتُن وتحجّر يعني السجيل فإنه طين مدحرج متحجِّر صلب متصلِّد.

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ [الذّاريَات: 34] معلَّمة من السومة وهي العلامة التي وُضِعَت على كل واحد منها وكتب عليها اسم ملك من ملائكة العذاب، أو علِّمت بأنها من

حجارة العذاب. وقيل: بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذّاريَات: 34] المجاوزين الحدّ في الفجور في الطور العرضي.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ في قرية لوطٍ ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذّاريَات: 35] وهم لوط ومن آمن به من قومه.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذّاريَات: 36] استدل به على اتحادهما ولكنه ضعيف لأن ذلك يقتضي صدق المفهوم الموافق والمخالف على دأب واحدة.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ وعلامة دالَّة على كمال قدرته وشدّة سخطه وقوة غضبه ونعمته، أو على نزول البلية وهو العذاب والفتنة الجلية حال كونها مخصوصة ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الذّاريَات: 37] وهم المؤمنون المعترفون بوحدانيته وكمال قدرته وعموم إرادته ومشيئته.

مطلب نزول الجبل في زمان المصنِّف

واعلم أنها قد دلت الشواهد النقلية والقواعد العقلية على جواز الأمور المذكورة، فقد كتب الإمام الصادق قدّس سرّه العزيز كتابًا مشتملًا على ثمان وعشرين بابًا في بيان الحوادث اليومية كنزول الأحجار والضفدعة وغير ذلك من السماء، وقد نزل وهبط في زماننا هذا في تاريخ سنة (878) جبل بين الطوالش وشيروان وكنت في ذلك الزمان في بلدة الشارابية بتبريز وتواترت الأخبار بوقوعه بأصوله وفروعه.

رأيت شخصًا صديقًا طالبًا للمصنف أخبرني بأني وصلت إلى هذا الجبل ووجدت فيه جوهر يشبه الزرنيخ المصعد في المرتبة الثانية والمرنشيشا، فأرانيه فرأيته كما أخبر عنه. وأما الذي قد دلت القاعدة الحكيمة على صحته أن الأجزاء الماهية والهوائية إذا اختلطت وارتفعت في الجو صارت سحابًا، فلما [صارت]

إلى كرة البحار والزمهرير ثقلت الأجزاء الهوائية المخلوطة بالأجزاء الواشمة المائية وانقلبت ماء مخصصة منشئة، ولما كانت الإجزاء المجتمعة في كل حصة متشابهة متساوية الطبيعة والقوة، ومالت إلى أحيازها الطبيعية ومركز العالم وتحرَّكت، حصلت لكل واحدة منها هيئة مستديرة وصورة كرية وأصابها البرد وصارت بَرَدَة ونزلت، وإذا أصابها البرد قبل الاجتماع صارت ثلجًا، وإذا لم يصبها البرد وكانت على تفرقها وتشتتها وتراكمت من غير اجتماع نزلت ضبابًا، ولو اجتمعت ثم نزلت صارت مطرًا، ولو اجتمعت الأجزاء الدخانية المختلطة بالأجزاء النارية والهوائية والترابية وتصاعدت إلى الجو فلما وصلت إلى الهواء المسخنة وتفرقت الأجزاء النارية والهوائية منها وبقيت الأجزاء المائية والترابية واختلطا اختلاطًا كاملًا نظمت منه لما كانت متساوية الاقتضاء ومتشابهة الأجزاء، عرضت لها هيئة مستديرة وصورة كرية، فلما تكامل مكثها في الجو تحجرت، وإذا أراد الله بقوم سوءًا وهلاكًا أمطرها عليهم حجارة، وقد يرد على القاعدة الحكمية أن الأجزاء الطبيعية كيف تقف وتسكن في الجو وقد بطلت الحركة إلى المركز.

وأما على القاعدة النقلية الإسلامية فقد تقرر أن الله قد وكّل بكل جزء من الأجزاء العنصرية وكذلك الفلكية ملكًا يضبطها ويحفظها، قال النبي ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطت وحق لها أن تئط وليس فيها موضع إصبع إلا وفيها ملك واضع جبهته ساجد لله عزَّ وجلَّ**» الحديث إلخ. وكذا بكل شيء من الأشياء وكَّل الله وسلَّط عليه ملكًا، وهو كما علمت من ملكوت الأشياء، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 83]. وقال النبي ﷺ: «**جائني ملك الأشجار وملك الأنهار وملك الأمطار**»، وقد مر بيان أن كل حجر قد كتب عليه اسم ملك من ملائكة العذاب.

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ﴾ [الذّاريَات: 38] عطف على وفي الأرض أو على ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ [الذّاريَات: 37] إذ أرسلنا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ظرف لجعلنا المقدر، يعني وتركنا فيها وجعلنا في موسى أنه وقت إرسالنا ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الذّاريَات: 38] وبرهان ظاهر متين وهو معجزاته كالعصا والطوفان والجراد والضفادع والقمل وغير ذلك.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أي أعرض الفرعون عن الإيمان، كفر ونأى بجانبه أو تقوى مما كان يتقوى به ﴿وَقَالَ﴾ هو ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذّاريَات: 39] كأنه جعل ما ظهر من موسى عليه السلام من الخوارق منسوبًا إلى الجِنة والسحر ثم تردَّد في أنه حمل ذلك باختياره وسعته أو بغيرهما.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾ وأطرحناهم وألقينا بهم بأجمعهم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ فأغرقناهم في البحر، وهو نيل مصر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذّاريَات: 40] لومه ويغطيه الإيلام وتسلط عليه وجنوده وأتباعه بما يلائمه من الكفر والعناد، والجملة حالية من مضمر فأخذناه.

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا﴾ عطف على (وفي موسى) ﴿عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذّاريَات: 41] سماها عقيمًا لأنه أهلكهم وقطع دابرهم، أو لأنها لم تتضمن معرفة وسوق وسجية لأنها تهب من مصاقِع العرب وهو الدبور، ومقاطع الجنوب وهي تخالف الحياة الحقيقية وهي العلوم الحقيقية والمعارف الإلٰهية.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿مَا تَذَرُ﴾ وتترك ﴿مِن شَىْءٍ﴾ من الأشياء ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ ومرت وهفت وعزت لديه ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذّاريَات: 42] بيان حال هذه الريح التي هبت من تهادي النفس ومغارب عالم الحس، فإنها تصير مزارع العلوم الروحانية وأثمار الجواهر النورية، منه رم يرم إذا بلي وتفتت من البدن وأجزائه وأعضائه من اللحوم والعظام والشحوم والعروق والأعصاب والأيدي والأقدام وغير ذلك من الأشجار والنبات والأحجار وصارت كالرماد.

﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَفِى ثَمُودَ﴾ أي قوم ثمود ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ [الذّاريَات: 43] أولها بل هو الله

والملائكة التي وكَّلهم الله عليه ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ أو تغشوا واستمعوا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الذّاريَات: 43] أي وقت معيَّن وهو ثلاثة أيام.

﴿فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَعَتَوْاْ﴾ وعصوا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ واستكبروا عن امتثال أمر الله واستنكفوا واستنكروا الانتهاء عن المناهي ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ والعذاب بعد الموعد وهو الثلاث ﴿وَهُمْ﴾ بعد هذا الزمان والوقت ﴿يَنظُرُونَ﴾ [الذّاريَات: 44] إليها لأنها جاءتهم بالنهار معاينة.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ ولا اقتدروا ﴿مِن قِيَامٍ﴾ ليفروا منها ويأووا إلى مؤمن متين وحصن حصين عنها ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ [الذّاريَات: 45] ممتنعين.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي أهلكنا قوم نوح أو ذكر خبر إهلاكهم وكيفية إغراقهم، ويجوز أن يكون عظيمًا على محل في عاد، ويؤيده قراءة عمرو وحمزة والكسائي بالضم لأن محله مرفوع لعطفه على وفي الأرض له وهو مرفوع الفعل ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي قبل هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الذّاريَات: 46] خارجين عن حد الاستقامة بالكفر والطغيان وترك الطاعات والإيمان.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ وكمال قدرة ووفور قوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذّاريَات: 47] قادرون، من الوسع وهو القوة والطاقة الكاملة على بناء السماء وخلقها، وتكرار بناء السماء إما إشارة إلى الأدوار وكثرة اقتضائها وهو خلق السماوات لما مر من أن لكل دورة اقتضاء خاصًا وهو بناء السماوات.

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ مهدناها وبسطناها لتستقروا عليها ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذّاريَات: 48] نحن، ماهدون فاعله، والمخصوص بالمدح محذوف.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذّاريَات: 49] ظاهرين من اسمين متقابلين هما توأمين لفسادهما وهما الجمال والجلال وهما مظهران لمفهوم مطلق الوجود والذات البحت، فالجمال مظهر الوجود والذات، والجلال مظهر المطلق والبحت المترادفين، ومفهومهما العدم والجمال والجلال يقتضيان في الآفاق أن يكون مظهرًا هما أشياء مزوجة مما قال: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النَّبَإِ: 8] وفي الأنفس بأجناد وهو أن يكون مظهر أحدهما ظاهرًا ومظهر الآخر باطنًا كما إذا كانت الفردارية للجمال كمون مظهره ظاهرًا ومظهر الجلال سرًّا وباطنًا. وإذا كانت الفردارية للجلال لكان الأمر بالعكس، كما ورد في الحديث: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي لا يأمرني إلا بالإيمان**»، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذّاريَات: 49] تتعظون وتتفطنون في خلقتكم بأنكم حظًّا من الجمال والجلال ظاهرًا وباطنًا وسرًّا وعلانية مزوجة في الآفاق والأنفس، وأن الله تعالى منزَّه عن الازدواج والتركيب والامتزاج.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ في جميع الأحوال وعموم الأدوار وكل الأطوار من عقابه وشدّة عقابه إلى كمال ثوابه وحسن جوابه بالإيمان وتمام الإتقان في الأعمال والإيقان، وفي التوحيد الذاتي والأسمائي والأفعالي والآثاري والجمالي والجلالي الإفرادي والجمعي على سعة طاعته في أطوار الأدوار والأكوار ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذّاريَات: 50] من عقابه وشدة عذابه.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ﴾ أي الذات الجامعة لجميع الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والآثارية في الأدوار والأكوار في كل الأطوار ﴿إِلَٰهًا آخَرَ﴾ [الذّاريَات: 51] مطلقًا لا بتلك الجامعية ولا بغيرها لامتناعه في حد ذاته كما دلت عليه الشواهد العقلية والمعاقد النقلية والكثيف الصحيح والشهود الصريح في جميع

الأدوار النورية والأكوار الظلية ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ﴾ أي حصل لي من الله لأجلكم ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذّاريَات: 51].

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ما قالوا، أكد بانتساب الجنة والسحر إليك ﴿مَآ أَتَى﴾ أي ما جاء القوم ﴿ٱلَّذِينَ﴾ كانوا ﴿مِن قَبْلِهِم﴾ أي من قبل قوم محمد ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ فاعل أتى، و(من) لتأكيد النفي والاستغراق أي ما جاء القوم الذين تقدموا على قومك رسول أصلًا ﴿إِلَّا قَالُواْ﴾ في نفيهم أنهم ليسوا برسول ولا نبي بل هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذّاريَات: 52].

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ أي أوصى بعضهم بعضًا بهذا القول حتى قالوا ما قالوا من نفي الأنبياء قاطبة ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذّاريَات: 53] ضالون مضلون من جملة مقالات الكفار والأضراب للترقي من التواصي إشعار بأنهم بأسرهم مشركون في أمر الكفر والإشراك.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ الرسول وأعرض أي الأنبياء عن مجادلتهم وعبادتهم وسوء مقالتهم بعد أن كرر عليهم الدعوة إلى الله فأبوا وانشقوا من قبولها وما ظهر منهم من الإضراب والعتاب، ويحتمل أن يكون تواردًا من يتولى ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذّاريَات: 54] ومطعون ومذموم على إعراضهم بعدما بذلت جهدك واستفرغت قوتك في دعوتهم.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَذَكِّرْ﴾ وعظ على هؤلاء بلا فترة وانقطاع ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذّاريَات: 55] بالله وبما جاء منه، فإن الإيمان يمدهم ويعينهم على قبول الذكر والنصيحة والموعظة فازدادوا إيمانًا وهداية وثباتًا واستقامة.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ﴾ [الذّاريَات: 56] في الأدوار والأكوار، والمراد

بالجن ما عدا الإنس يشمل جميع المخلوقات إذ الغرض من خلق الجميع هو المعرفة الناشئة من العبودية «**وكنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لأُعرف**»، ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: 56] أي يعرفوني في تمام الأدوار والأكوار بطريق العبودية بالوجوه المختلفة والطرق المتغايرة، إذ المعرفة الكاملة والمشاهدة الشاملة العاملة لا تتأتى إلا بالعبادة العامة والطاعة التامة، فإن بينهما تلازم كلي وتلاطم أصلي وتراكم أزلي كما يشعر به اتحاد العلم والعمل في جو من الخوف.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧﴾

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٍ﴾ في الدورة النورية ﴿وَمَآ أُرِيدُ﴾ في الكورة الجلالية ﴿أَن يُطۡعِمُونِ﴾ [الذّاريَات: 57] بكسر النون فيهما دلالة على أن الباء في الموضعين محذوف إشارة إلى أن أصل المعرفة والعبادة في الدورتين مخفي لا يطلع عليهما أحد إلا الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ أعيان الأدوار كلها ظاهرًا وباطنًا وأكوان الأكوار ﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ﴾ الكاملة في الأدوار ﴿ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذّاريَات: 58] في الأكوار في الأول يرزق الوجود بالإضافات وما يتبعه من الجواهر النورية والفواخر البرزخية والمثل الشبحية بالعلوم والإدراكات والشعور بالمشاعر الغيبية والأعيان الشهادية فما كان مبادئ الإدراكات الحسية فبالشعور والإحساسات، وما لم يكن كذلك كالأجسام الفانية فبالشؤونات الواردة المتبدلة الأشكال والإضافات المتجددة بالأمثال، الممتدة بتواتر الأحوال. والبعض قد ذهب بأنه دور اختص بالأعراض ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾ [الفُرقَان: 45]، ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرَّحمٰن: 29]، ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [ق: 15]، ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: 115] هذا في البسائط.

وأما رزق المركبات فالذي قريب العهد بالبسائط فرزقه وغذاؤه ليس رزق البسائط بل هو بشيء آخر، وهكذا يتزايد العبد في الترزق إلى أن يبلغ إلى النهاية وهو رزق بدن الظاهر. هذا هو بيان الرزق الإلٰهي للممكنات، وأما إذا كانت الممكنات بأسرها غذاءً ورزقًا للوجود المطلق فهو رجوعها وعودها إلى ما كانت

هي عليه من الإطلاق ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السَّجدَة 5].

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ٥٩﴾

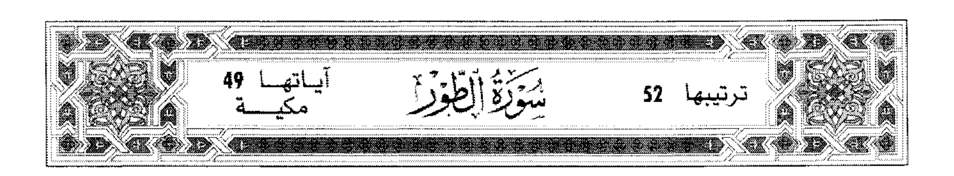
﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ الرسل بالتكذيب والإهانة ومنعهم الذين أرادوا إجابة دعوتهم ذنوبًا وعصيانًا ﴿ذَنُوبٗا﴾ تكون ﴿مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ﴾ في الكمية والكيفية لاتباعهم واقتدائهم بهم وهم الرؤساء والأصول ﴿فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ [الذّاريَات: 59] جواب ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: 48].

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠﴾

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالبعث والحشر والنشر في يوم القيامة وما يظهر فيها من الجنة والنار ﴿مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذّاريَات: 60] يعني من يوم القيامة أو يوم بدر، وإنما أضافه إليهم لأن أحوالهم إنما تظهر فيه وهذه الإضافة لتحقيق أمرهم وتقبيح أحوالهم وتغييرهم.

عن النبي ﷺ: «**مَن قرأ سورة (والذاريات) أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل طور السر والفؤاد مجلى التجليات الآثارية ومحلًّا لظهور أنوار الأسرار الإلهية ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي طوَّر أنوار طور الطور العلي، وصيَّر صور حقائق الكيفيات الدورية مسطورة في الرق الغيبي المنشور ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي عين البيت المعمور، والذي هو اللطيفة الإلٰهية والحقيقة الربانية مهبط أملاك المعارف الأزلية والعلوم الأولية.

﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾

﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ [الطُّور: 1] وهو جبل كان موسى عليه يرتقي ويتصعد إليه للمناجاة بالله لإنجاح الحوائج.

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [الطُّور: 2] في اللوح المحفوظ أو كتاب النورية الذي نزل على موسى في الطور وهو طور سنيّ، وبيِّن أو كتاب كتب الله فيه أعمال الخلق والفرقان المنزل على محمد ﷺ.

﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾

﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ [الطُّور: 3] متعلق بمسطور إشارة إلى الوجود العيني الكتابي وما بينهما إشارة إلى الوجود اللفظي والذهني ونفس الأمر.

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ [الطُّور: 4] هو بيت في السماء العليا عند العرش يطوف به جم غفير من الملائكة، أو بيت الله المعمور الذي هو معمور بالحجاج والطائفين به العاكفين دونه.

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ [الطُّور: 5] هو السماء الذي بناها الله ورفع سمكها وسواها في الأدوار في كل دورة بهية ونعت تناسبها.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [الطُّور: 6] هو المملوء والموقد نارًا، يقال: سجر التنور إذا أوقد نارًا. قيل: هو البحر المملوء ماءً مملوحًا وهو بحر معروف يسمى بحر الحيوان، ولشرف هذه الأماكن الثلاثة أقسم الله بها.

أما البيت المعمور فهو موقف محمد ﷺ في المعراج حيث خاطبه الله تعالى بقوله: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

أما طور فهو موقف موسى عليه السلام ومحل كلامه بالله ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعرَاف: 155].

أما البحر المسجور فهو مسكن يونس عليه السلام حيث نادى الله: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: 87] وتنكير الكتاب وتعريف حاشيته للإشعار بأن لكل نبي كتابًا، وهذه الأماكن معيَّنة والكتاب نكرة مشتركة، هذا في طور الآفاق.

وأما في طور الأنفس فالطور عبارة عن الطور السري الذي هو مرقى موسى الطور الروحي مرتبة الطور النفسي بشهود التجلي الفعلي وتوحيده، والكتاب هو الطور الجمعي بين كل الأطوار السبعة التي يتصاعد إليها صور الأعمال ومعاني الأقوال وحقائق الأحوال ودقائق الأفعال وشقائق العلوم والإدراكات والمعارف الإلٰهية وأنوار المقامات القلبية وأسرار الوظائف الغيبية من أرض الاستعدادات

الذاتية ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: 10].

ثم نزلت تلك المعاني من سماء الأحدية الجمعية والوحدة الذاتية التي هي مرجع وموضع تعانق الأطراف ومجمع تمام البرازخ والأعراف، وتمام السبل إلى مجمع مجرى الغيب والشهادة، وهو طور كمال جمعية الناسوت التي تعانقت واجتمعت فيها تمام الأطراف من التفصيل والإجمال ومقتضيات الجمال والوجود ومرتضيات العدم والجلال بكمال المشاهدة والشهود، وهي أحدية الجمعية الناسوتية.

ثم تنتقل تلك المعاني إلى حريم اللاهوت والأحدية الذاتية إن استكملت واستعدت في حد ذاتها وتجردت عن القيود وعن تمام الجهات والحدود، ثم ينزل منها اللاهوت إلى الجبروت ومنه إلى الملكوت، ومنه إلى عالم البرزخ إلى الملك والناسوت، ويتصاعد منه أسفل سافل الناسوت إلى الأطوار واحد بعد واحد إلى أن ينتهي إلى غيب الغيوب، وأنت خبير بأن الأول من مقتضيات جمعية الأدوار وجمعية الأكوار، والثانية من أدوار العارفين في طور السر إلى الله ومن الله، والأولى إنما تكون في أمر في الله، قال الصادق عليه السلام: «**الطور كلام الله، والكتاب خليل الله، والمسطور أنبياء الله، ورق منشور عيسى عليه السلام، والبيت المعمور فاطمة الزهراء، والسقف المرفوع علي المرتضى، والبحر المسجور محمد المصطفى عليه وعليهم السلام، المستناب بك عن أمتك، ما له دافع من الله لو توجه إليهم ويرجع إليك**». وقال الصادق: «**ليس في القرآن آية بهذه الأمة من هذه الأمة**».

قال محمد الباقر عليه السلام: «الطور أبو بكر الصديق، وكتاب مسطور عمر الفاروق، ورقّ منشور عثمان بن عفان، والبيت المعمور علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين عمره بخرابه على الامتداد، والسقف المرفوع الحسن، والبحر المسجور الحسين، أقسم الله بجميع الصحابة وأهل بيت المصطفى ﷺ بأن عذاب الشقاوة واقع عن أمتك ومدرك لأهل القطيعة منهم».

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطُّور: الآيتان 7، 8] هذه النار

التي كنتم بها تكذبون، وهم الذين يقولون إن المصطفى ﷺ ساحر، فيقول لهم يوم القيامة: أسحرٌ هذا أم لا تبصرون هو جزاؤكم بما كنتم تعملون. ويقال: مثل الكافر مع المصطفى ﷺ كمثل الأعمى يسمع صوتًا ولا ينظر شيئًا.

انظر يا أيها المنصف المتصف بكمال العدل والإنصاف إن اعتقاد معظم أهل بيت رسول الله ﷺ في حق أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم هكذا، وأن الطائفة المبتدعة التي هي الروافض ـ أصلح الله شأنهم ـ يسبونهم وينسبونهم إلى ما لا يليق بأدنى أحد من المؤمنين، ويجعلونهم مادة الفتنة والطعن والتكفير زمانهم الوهن في الدين وطعنًا ولومًا على أرباب اليقين ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 7]، هذا ما نقلت من كتاب تأويلات منسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأمثال هذا الكلام في حق الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كثير.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾﴾

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطُّور: 9] أي تضطرب اضطرابًا من المور وهو التردد كاضطراب في المشي للتكدي وطلب المعاش.

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطُّور: 10] عن وجه الأرض فتصير هباء منثورًا وذلك لدى انتقال فردارية حكم الله والتربية من دورة إلى دورة أخرى ومن مرتبة إلى مرتبة أخرى فحينئذ ترجع وتعود أعيان الدورة السابقة لانقطاع المدد الوجودي والفيض الجودي بارتفاع اقتضاء الرب الجمالي المخصوص، فإظهار ارتضاء الجلالي إلى أصولهم وهي الجواهر الفردة السماوية والجواهر الهيامة الأرضية بتبدل السماوات والأرض سماء جلالية وأرض ظلية عدمية بعكس السماوات والأرض النورية الجمالية الوجودية ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48]، فإن سماء الدورة النورية الجمالية ترى فوق الأرض تحتًا، وأما سماء الدورة الظلية الجلالية بالعكس، يعني ترى السماء فيها تحتًا والأرض فوقًا كما في الإناء المملوء والأحواض، فإن السماء وما فيها من الكواكب والأرض وما عليها يشاهد بالعكس، فترى السماء والكواكب منتكسة والأرض وما عليها من

الأشجار وما يتصل بها من الأصول، فالأولى ترى منكسة والثانية مستعلية.

﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾

﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الطُّور: 11] يوم القيامة وما فيه من البعث والحشر والنشر والجنة والنار.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ١٢﴾

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ﴾ في أمر باطل وشيء عاطل ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ [الطُّور: 12] يشغلون بما لا يعني وأمر لا ينبغي ولا ينفي ففات منه ما ينبغي وينقى من اشتغل بما لا يعنيه، فإنه ما يعينه.

﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣﴾

﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطُّور: 13] أي تدفعون إليها وتطرحون فيها بعنف وغاية خوف، وذلك بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم بأقدامهم فيدفعون إلى النار، فيقال لهم في هذه الحالة:

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطُّور: 14] في دار الدنيا.

﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥﴾

﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾ [الطُّور: 15] أي كنتم تقولون الوحي هذا، فهذا المصداق أيضًا سحر وتقديم الخبر لأن المقصود الإنكار والتوبيخ والتغيير ﴿أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الطُّور: 15] أي ممتنع منكم الرؤية والإبصار ليتحقق منكم الأمر إلا من يرى معكم شيئًا ولا يكون الأمر على ما يراه، وذلك يكون لأجل أحد الأمرين: إما إلى المرئي، وإما إلى الرائي، والاستفهام للإنكار أي هذا ليس بسحر بل هو وحي حق جاء بالحق من الحق إلا أنكم لا ترون الحق لأنكم معاندون.

﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦﴾

﴿ٱصۡلَوۡهَا﴾ [الطُّور: 16] فجزاؤكم في إنكار الحق أن تؤمروا بدخول النار، أي

قيل لكم: ادخلوا في النار جزاء لكم فإنكم تشاهدون انشقاق القمر وغيره من المعجزات وتنكرونها وتقولون: هذا سحر أم قد سحرت أبصارنا ﴿فَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ في هذا اليوم يا معاشر الكفار ﴿أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾ أي استوى هوان الأمران في هذا اليوم إذ لا مختص في هذا اليوم ولا مخلص عنها أبدًا ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ الأمران المذكوران في عدم النفع ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الطُّور: 16] تعليل الاستواء، فإنه لما كان الجزاء واجب الوقوع فالصبر وعدمه في منعه سيان وفي دفعه شيء واحد لا شيئان.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧﴾

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ﴾ [الطُّور: 17] أية جنة وأي نعيم مخصوصين بهم يصيبه الحمل على طريق التفصيل.

﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨﴾

﴿فَٰكِهِينَ﴾ قرئ بالنصب والرفع، أما النصب فعلى الفاعلية من فاعل الظرف وجعل الظرف مستقر، وعلى الثاني خبر والظرف أي ملتذين ومتنعمين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ متعلق بفاكهين على التقديرين ﴿وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الطُّور: 18] عطف على ما آتاهم أي جعل (ما) مصدرية أو على جنات أو حال على تقدير قدمه المستكن في الظرف أو من فاعل (أتى).

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩﴾

فيقال لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ أكلًا وشربًا ﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾ سهل الانحدار بلا تنغيص ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الطُّور: 19] أي بسبب خلوص عملكم وحسن فعلكم.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠﴾

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ﴾ جمع سرير وهو الغرفة والعرش والأريكة مما يرفع من الأرض ﴿مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ مصطفة ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ [الطُّور: 20] عطف على حور أي قرنّاهم بِحورٍ وبالذين آمنوا أي بالرفقاء الملائكة والجلساء الموافقة المطبوعة التي شرب نفوسهم بلقائهم فيتمتعون وينتفعون تارة بلقاء الإخوان والأحباء المؤمنين وتارة بمعاشرة الحور والولدان.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ فاعل الفعل ﴿بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بسبب الإيمان الذي يقتضي رفعة الدرجة وعلو المرتبة وتؤثر فيهم وتصحح نسبتهم بهم ولذا سقط الكافر من درجته وحرموا على الإرث إشارة إلى شفقة الأبوة كما هي متوفرة كذلك في الآخرة، ولهذا طيب الله تعالى قلب عباده ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم﴾ وما نقصناهم من ثواب عملهم وجزاء حسن فعلهم وقولهم ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ قليل ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطُّور: 21] كل عامل بما اكتسب من الأعمال مرهون عند الله، فإن عمل عملًا صالحًا فلها وإلا أهلكها.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ وزدناهم وأضعفناهم ﴿بِفَٰكِهَةٍ﴾ متنوعة وأثمار متفرقة ﴿وَلَحْمٍ﴾ طير ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطُّور: 22] وقتًا بعد وقتٍ بلا انقطاع.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ أي يتقاتلون، ويمكن أن يقال: التنازع التحادث، فتحادثهم بحادث ملاطفة وملاعبة، وفيه نوع لذة، فيتعاطفون ويتعاورون جلساءهم من أقربائهم وأبنائهم وإخوانهم ﴿كَأْسًا﴾ فيه خمر من شأنها لا لغو فيه ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي كلام لا معنى له كما هو شأن أهل الشرب في الدنيا فإنهم يتحدثون بحديث لا طائل تحته ويعربدون عربدة قبيحة ويتكلّمون بكلمات وقيحة ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطُّور: 23] إثم ومعصية.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ وتدور لديهم ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ أي ولدان هم مماليكهم مخصوصون بهم. وقيل: هم أولادهم يسقوهم كما قيل إن الحور العين هن نساؤكم العجزة، وليس هذا مانعة الجمع بل مانعة الخلق ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطُّور: 24] مستور ومكمون في الصدف من بياضهم وصفاتهم. قيل لعبادة هذا الخادم: كيف المخدوم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن فضل**

المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الطُّور: 25] يسأل بعضهم بعضًا عن أحواله وأعماله وأفعاله.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ هذه الحالات في الدنيا في أهلنا وأولادنا وأقاربنا ﴿فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطُّور: 26] أرقاء القلوب مترفقين، أصفياء القلوب مترفعين عن النقايص والعيوب من خشية الله وكمال المودة الكائنة بين المحب والمحبوب.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ وأنعمنا بكمال نعمته ووفور رحمته ورأفته علينا ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطُّور: 27] عذاب النار التي تتحد في العروق وأقاصي البدن وأعماقها والشقوق، كما شأن ريح السموم السارية في جميع أجزاء البدن على الخصوص والعموم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي قبل لقاء الله والمصير إليه في الدنيا والنشأة الأولى ﴿نَدْعُوهُۖ﴾ ونعبده بكمال العبادة بحسن توفيقه ونحن مع كثرة المعاصي والذنوب محور رحمته وإحسانه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطُّور: 28] أي المحسن كثير الرحمة كبير النعمة.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾ وتوعظ وتنصح وتثبت على الفكرة في التذكر وقبول النصيحة والموعظة الحسنة، ولا يثبطك ويمنعك قولهم وطعنهم فيك بأنك كاهن وساحر ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ وبكمال عنايته وحسن توفيقه ﴿بِكَاهِنٍ﴾ من شأنه الكهانة ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطُّور: 29] لا يعرف النعمة ولا المنعم، ويجري في أحواله وأموره كالبهائم، فإن الكاهن يحتاج في كهانته إلى فطنة وبذل حدس ودقة نظر وحدّة

بصر بحيث يغفل عن النعمة والمنعم، والمجنون مغطى في عقله على غفلة وجهالةٍ واختفاء نور العقل واحتياط فهم واختلاط خيال ووهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أن محمدًا ليس نبي ولا رسول بل هو ﴿شَاعِرٌ﴾ ومثبت وساحر ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطُّور: 30] أي ننتظر أمر محمد بأن نظن ونرتاب بل نجزم بأنه سينقطع ويهلك من حوادث الزمان وحوادث الدوران، فإن ريب المنون هو الموت أو المنون هو مفعول بحق منا إذا انقطع. قيل: هو الموت قبل الموت هو الدهر والريب وحوادثه.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ وانتظروا نكبتنا وانهلاكنا ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطُّور: 31] أتربص وأنتظر هلاكهم كما تنتظرون هلاكي.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ بالجزم بوقوع هذا الأمر ﴿أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم، مجاز مرسل من باب ذكر السبب والدليل وإرادة السبب والمدلول وقريش كانوا يدّعون أن نفوسهم صاحبة الحكم والنهي وكمال الفضل وحسن تدبيره في إدراك حقائق الأشياء ﴿بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ﴾ قريش وأعيانهم ﴿قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطُّور: 32] قد جاوزوا حد النهي، كل شيء جاوز حده انعكس ضده، أو القول في العباد وتهييج التعيين والعناد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الطُّور: 33] بالله وبما جاء من عند الله من الكتاب والوحي والرسول فيرجون عنده الطاعة بكفرهم وعيبهم وعنادهم والإدلال إلى كتمان الحق وإظهار الفساد ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ﴾ اختلقه واستخرجه من تلقاء نفسه ومن غيب طبيعته وجيب حسّه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطُّور: 34] أي مثل القرآن، يعني إن كان طعنكم

وجحدكم بأن محمدًا اختلق القرآن واخترعه من قريحته ونفسه وغيب طبيعته وجيب حسه إثم فما لقي به أحواله وأطواره سميه ومثله، فليأتوا بمثل ما أتى به في الطبيعة النوعية لو اقتضت أمرًا نوعيًّا في فرد لا بد وأن يقتضي ذلك الأمر في جميع الأفراد وإلا لزم التحكم والترجيح من غير مرجح ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطُّور: 34] في دعواهم ومقالاتهم.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ لما تحقق عجزهم بالأشياء وبالمثل تحقق أنه ليس من مختلقات النبي، فلو لم يكن من الله تعالى يجب أن يكون مخلوقًا من غير شيء مع أنه ممكن لا بد وأن يكون بخلقهم علة وسبب ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطُّور: 35] قد خلقوا القرآن واخترعوه لما تحقق من الوحدة المحققة من أن كل ممكن لا بد من خالق.

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الطُّور: 36] أم منقطعة بمعنى بل في البعض وهي قرينة الهمزة للإنكار للبعث والحشر والتوحيد، وذكر الإنكار أمور بعضها ضروري القبول وهو خلقهم من التراب أولًا، ثم من النطفة والعلقة والمضغة واللحم والعظام وغير ذلك من الأعصاب والغضروف والعروق والرباطات وغير ذلك، فهذه أمور حادثة لها محدث خالق مرتب، ورابطة مركب بعضها ببعضها، وإنكار هذا مكابرة وعناد لا بد أن يسقط من درجة الاعتبار قائله. وأما خلق القرآن فليس بضروري استدل على نفيه بقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطُّور: 34].

وأما خلق السماوات والأرض فخلقهم يحتاج في إثباته إلى دلائل قاطعة ووسائل ساطعة ولهذا ذهبت طائفة من الملحدين الجاهلين بحقائق الأشياء، فإن خلقهما اتفاقي لا عن سبب وعلة، فرد الله عليهم بظهور التعريض والتوبيخ بأنهما ممكنان بالذات، وكل ممكن لا يوجد إلا بعلة وسبب وإلا لَزِم الترجيح والتحكم، فلو لم يكن لخلقهما سبب وعلة أفأنتم خلقتموها، وإذا ثبتت الخالقية لا بد وأن تثبت في جميع أحوال الدنيا والآخرة، بل الخلق في الآخرة أهون لوجود مادة الخلق وهي الأجزاء الأصلية المخصصة التي وضع الله منهم التماثل والجنية،

والتماثل حتى لو كان بعضها في كرة النار وبعضها في كرة الأرض إذا أراد الله أن يجمعها شاعت وتسارعت كل منها إلى ما يلازمه كما علمت في سورة (ق).

﴿بَل﴾ أصررتم، يعني أنهم نفوا الخالقية إلى أن لو أوردت عليهم دلائل قاطعة وبراهين واضحة ﴿لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطُّور: 36] لا يؤمنون ولا يظهر منهم يقينهم اليقين التام والاعتقاد العام.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ رحمة ﴿رَبِّكَ﴾ حتى يعطوا النبوة إلى داود، أو عندهم خزائن علمه حتى علموا أن الأحق بالنبوة اختيارًا واتهامًا وحكمةً ومصلحةً ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطُّور: 37] الأرباب الغالبون في التدبير حتى تدبروا أمر الربوبية واتبعوا الأمور على مقتضى إرادتهم ومرتضى اختيارهم ومشيئتهم.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ ودرجة منصوبة إلى السماء حتى صعدوا إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ وسمعوا كلام الملائكة ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ ما سمعوا من ملائكة السماء ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾ بوجه الدليل وبرهان على ما ادعيتم ﴿مُّبِينٍ﴾ [الطُّور: 38] واضح وظاهر.

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۝٣٩﴾

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ﴾ وهذا تشنيع وتوبيخ، قالوا إن الملائكة بنات الله ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطُّور: 39] تشبيههم وتجهيلهم وتنبيه على أن من هذا رأيه ونظره وفكره لا يعدم أولي النهى وصاحب الإدراك والعلم فضلًا أن يرقى إلى السماء وعالم الملائكة فيطلع على المغيبات.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠﴾

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ وعوضًا على تبليغ الرسالة ليستنكفوا عن قبولها ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطُّور: 40] ليحصل لهم من التزام الغريم ثقل وكلالة وكدورة وملالة.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١﴾

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ [الطُّور: 41] الحاصل الثابت في اللوح المحفوظ من

الأحكام الغائبة والأحوال المختفية من المشاعر الظاهرة ﴿فَهُمْ﴾ أي الكفار الجاحدون للحق ﴿يَكْتُبُونَ﴾ [الطُّور: 41] فيهم تلك المغتاب ويجتمعون فيه لينعكس منه فيهم ما هو مسطور فيه.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ حين اجتمعوا في دار النبوة صناديد قريش ليقصدوا رسول الله ﷺ ويكيدوا كيدًا إما بالإخراج أو بالإهلاك أو بالحبس والانهماك وغير ذلك ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يحتمل الخصوص والعموم، فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل على كفرهم والدلالة على أنه الموجب للحكم عليهم ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [الطُّور: 42] أي الذين يحيق بهم الكيد وآثاره ويعود عليهم وبال كيدهم ومكرهم ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطِر: 43] وهو قتلهم يومًا فإنه عاد عليهم ولحق بهم ما قد قدروه للنبي في دار الندوة.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يقيهم ويحرسهم ويحميهم عن عذابه ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطُّور: 43] عن إشراكهم أو عمل ما يشركون به.

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا﴾ قطعة ﴿مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ لخلوها عن حفظ المقتضى ووقاية الإكمال المقتضي واستغنائه وانتقال التربية والوقاية والمحافظة من اسم إلى اسم آخر، فتنقطع تربيتها وترتفع محافظتها، فتنقطع سماوات فردارية اسم الأول وينحل إلى الأجزاء الفردة والجواهر الهايمة التي كانت في الفطرة الأولى السابقة، ويشاهد بصورة السحاب ﴿يَقُولُوا﴾ هذه السماء التي كانت شاهدة ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطُّور: 44] يتراكم بعضها على بعض، هذا جواب لقولهم: فأسقط علينا كسفًا من السماء، وإن ذكر في موضع آخر إلا أن كلام الله كلام واحد قائم بذات الله تعالى.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَذَرْهُمْ﴾ يا محمد واتركهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطُّور: 45] وهو عند النفخة الأولى وانتقال الفردارية من اسم إلى اسم.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾ ولا ينفع ولا يدفع ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطُّور: 46] بدفع العذاب عنهم.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ العام والخاص ﴿عَذَابًا﴾ في الدنيا بالقتل والسبي وإجزاء الجزية ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ العذاب الذي أعدّه الله لهم في الآخرة أوله عذاب القبر ثم عذاب يوم القيامة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطُّور: 47] ذلك العذاب قبل الوقوع.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم وإهمالهم واتقانهم في عنادك وذلك لا يضرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ أي محفوظ ومنظور بالحضور عنده وإن كنت تتكلم لهم ويسمعون كلامك ويشاهدون بينهم مقامك، ويرون في الظاهر مرامك، فلا تحزن ولا تخف إذ لا يخفى علينا من أحوالك شيء قط لا ظاهرًا ولا باطنًا، وجمع العين وإن كان جمع قلة قد يطلق على العشرة وما دونها بلا قرينة، وعلى ما فوقها بقرينة إلا أن أعين الناس وأبصاره لكونها غير متناهية قد نزلت عنا منزلة جمع الكثرة التي أطلقت على العشرة وما دونها بالقرينة وعلى ما فوقها بلا قرينة، وإشعار بأن النبي ﷺ منظور الله من جميع الجهات كما أن الله تعالى قد يتجلى على العارف عن تمام الجهات، وكذا يسمع كلامه من جميع الأطراف كما كان حال موسى على هذا النمط ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطُّور: 48] أي نزِّه الله وقدِّسه من كل ما يدرك العقول عند ثنائك عليه بالنعوت التشبيهية، أو إشارة إلى أن التسبيح والتنزيه في الحقيقة هو الحمد والتشبيه لأنه إثبات وحكم على الذات وإن كان بأمر في عدمي.

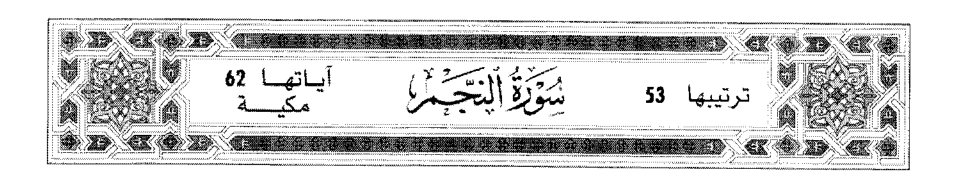
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ أي بعض الليل ﴿فَسَبِّحْهُ﴾ [الطُّور: 49] وإنما خصَّ الليل بالذكر إذ الطاعات والعبادات في الليل من حيث إنه ماحي الكفارات التي يعرف القلب،

ومن حيث إنه زمان الاستراحة يكون فيها أشقّ على النفس وأشدّ على الطبيعة ﴿وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطُّور: 49] أي إذا أدبر النجوم في آخر الليل.

قال النبي ﷺ: «**مَن قرأ سورة (الطور) كان حقًّا على الله أن يؤمنه من عذابه وينعِّمه من جنّته**».

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي تجلَّى نجم تجلِّيه الآثاري للطور السري الذي هو الفؤاد الذي هو غيب الصدور ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي أوحى إلى عبده ما أوحى ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجم: 11]، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي رقى إلى الأفق الأعلى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ [النّجم: 8، 9].

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾

﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ [النّجم: 1] أي بحق النجم الآثاري الذي أشهده خليله أولًا بصورة الكواكب حيث قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: 76]، ثم كلَّمه بصورة شجرة العين فلما جاءها نور من شاطئ الوادي الأيمن ﴿فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أن ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القَصَص: 30] رب العالمين، وحيته الصورة الكاملة والهيئة البشرية «**رأيت ربي في أحسن صورة، شاب أمرد قطط**» ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ [النّجم: 1] فنزل من سماء الأحدية الذاتية إلى الواحدية الأسمائية، إلى عالم الملك والناسوت لدى قيام القيامة الأنفسية دون الموت الاختياري حيث قال ﷺ: «**مَن مات فقد قامت قيامته**».

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾ [النّجم: 2] في مشاهدة نجم التجلي الآثاري بصورة آدم،

وإنما عبر عن محمد بالصاحب إشعارًا بأن الحقيقة المحمدية السارية بالنكاح الساري في جميع الذراري بعموم سريانها تستصحب جميع الأشياء وتمام الذراري ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ [النّجْم: 2] إشارة إلى عموم سريانه في المدارك العلمية والعملية والمسالك النظرية والمعارك الفكرية والعلوم الحضورية والإدراكات الشهودية والإحساسية البصرية، ففي النفي الأول إشارة إلى شجرة الطريقة العلمية التي ثمرتها هي الوصول إلى مقام قوسين الوجوب الذاتي والإمكان الذاتي، أو العروج والنزول، أو الولاية والنبوة والتحقيق بالجمعية الذاتية الأسمائية التي هي عبارة عن مقام هو أدنى، وفي الثاني إلى كمال القوة النظرية والفكرية التي ينتجها قبول الوحي وبيان الحكم الإلٰهي والنواميس الإلٰهية.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾

﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ بأحكام النبوة الذاتية التي الولاية أحكامها هي الفناء في مدد البقاء بالله والمظهرية والكلية والتحقيق بالذات والأسماء والصفات وشهود التجليات الذاتية والأسمائية، وهي معاينة الآثارية والصورة الجمعية واستكمال الأطوار السبعة القلبية التي تتبع الأنوار السبعة وهي مظاهر صفات السبعة الذاتية ومقتضياتها، وهي جبروت هذه الأنوار بأحكام النبوة العرضية التي هي صورة تلك الأحكام ومظاهر آثار أنوارها هي الشواهد الطريفة ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النّجْم: 3] أي بمجرد النظر العقلي بلا تأييد إلٰهي وتوفيق رباني وتأكيد سبحاني.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ﴾ أي ليس القرآن وما فيه وما استنبط منه من الأحكام المذكورة إلا وحي وعلم إلٰهي ﴿يُوحَىٰ﴾ [النّجْم: 4] الله يهيئه ويعلمه بطريق الفيض لا الكسب ولا الاجتهاد، والبعض هو الجهد والقوة في القرآن لاستنباط الأحكام الإلٰهية، والقرآن إنما يظهر بمجرد الفيض والوحي والإيحاء والتعليم الإلٰهي بذريعة الملك.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النّجْم: 5] شديد قواه، وهو جبريل، فإنه واسطة في

إبداء الخارق. روي أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وكذا صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين، كيف وأن الدنيا بما فيها في حسب عظمة جبرائيل وقوته كنسبة خردلة في كف أحد منا، بل لا نسبة بينهما أصلًا إلا أن هذا التصوير لكمال خاصة قوته وتمكنه في تصرفه كما ورد في وصف ذلك أحد من الملائكة الأربعة.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾

﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النّجم: 6] أي صاحب شدّة في جسمه، وإنما وصف جسمه بالشدة لا بالكبر والعظمة إشارة إلى أن جسمه ليس من جنس أجسادنا وأجساد العالم غاسق مظلم، وجسمه نور مضيء يؤثر في العالم الروحاني والجسماني بخلاف باقي الأجسام فلكية كانت أو عنصرية، فإنها ليست بمؤثرة أصلًا، والمؤثر هو النفوس لا الجسم، بخلاف جسم جبريل فإن تأثيره أشد وأقوى من تأثير نفوس الأفلاك كما سمعت آنفًا.

وذكر أوصاف النبي ﷺ وحقيقة جسمه هي الوحدات الربانية التي مظاهرها الجواهر الفردية والأجزاء التي لا تتجزأ، وعدم انقسامها ليس بصغرها كما لزمه الظاهريون، بل هو وجه علمي لا يشاركه وجهًا آخر أصلًا، فإن الله تعالى يعلم ذاته بوجوه ذاتية ووجوه وصفية كل وجه في حد ذاته غير منقسم لعدم اشتراكه فيه، فالوجوه الذاتية هي حقيقة ومادة للجسم الجبرائيلي، والوجوه الوصفية هي مادة وهيولى للجواهر الأخرى، وهذا سر لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم الذين تحققوا بعلم الله وسائر صفاته كما قال تبارك وتعالى: «**كنت سمعه وبصره فبي يسمع وبي يبصر**» إلى آخر الحديث. وقال أيضًا: «**يا عبدي أطعني أجعلك مثلي وليس لي مثل**»، ولذا ما رأى جبرئيل أحد من الأنبياء سوى محمد ﷺ، قال: «يراه مرة على صورته في السماء، ومرة في الأرض»، يعني أن السماء والأرض تكونان طرفين لرؤيته بمعنى أنه أراه نفسه بنفس التعلق تارة وأخرى بصيغة السفل. وقيل: استوى لقوته على ما جعل له من الأمر وفي سائر الأوقات كان يتمثل بصورة كانت تناسبه، وفي أكثر الأوقات كان يتمثل بصورته الروحية فإنه كان أحب الناس على النبي ﷺ.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾

﴿وَهُوَ﴾ أي وجبريل كان ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّجم: 7] والأفق عبارة عن دائرة عظيمة تتصل بما ترى وما لا ترى من الفلك حسيًّا كان أو نفسيًّا أو روحيًّا أو قدسيًّا أو عقليًّا أنسيًّا، أما الحسي فهي دائرة عظيمة تمر على وجه الأرض، وأما الأفق الحقيقي فهي دائرة عظيمة تمر على مركز العالم، وتتصل كرة الأرض بنصفين متساويين توازي الأفق الحسي والبعد بينهما نصف قطر الأرض، وسمي أعلى لأنه فوق الأرض ويكون قريبًا من المعدّل، وقطباهما القطب الرأس والقدم والرسول نظر إلى جبرائيل وهو على الأفق الأعلى وهو الحسي لِشاهد جميع أجزائه، فلو كان على الأفق الحقيقي لا يرى بجميع أجزائه إذ نصف الأرض حائل فلا يكون قريبًا بجميع أجزائه، هذا هو الأفق الصوري.

وأما الأفق المعنوي الأعلى فهو عبارة عن الحد الفاصل بين عالم الملك وعالم الملكوت الأدنى، وهو عالم النفس والبرزخ بين الملكوت الأعلى والأدنى، وهو الأفق النفسي. وأما الأفق الروحي فهو برزخ فاصل وحد حائل بين عالم الملكوت وعالم الجبروت، وهو عالم العقل. وأما الأفق العقلي فهو حد فاصل وبرزخ حائل بين عالم الجبروت واللاهوت، هذا هو الأفق الأعلى وبرزخ البرازخ. وقد يطلق الأفق الأعلى على اللوح الحفوظ وهو عبارة عن النفس الكلية الحائلة بين العقل الكل والجسم الكل، وهو العرش الكريم. هذا هو المراد بالأفق الأعلى. وأما الأفق الأعلى الذي هو برزخ البرازخ وهو الحقيقة المحمدية والوحدة الذاتية فجبرائيل لا يصل إليه كما قال النبي ﷺ: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**». وقال جبريل عليه السلام: «لو دنوت أنملة لاحترقت».

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ محمد وقرب في مدة هذه المرتبة إلى التجلي الذاتي وهو شهود الذات بعنوان الذات على وجوه لا تتناهى وأنحاء لا تعد ولا تحصى، ويقال لها الشؤونات الذاتية ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ [النّجم: 8] بالذات وبالتجلي الذاتي.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾

﴿فَكَانَ﴾ قبل هذا ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النّجْم: 9] في الأفق الأعلى أي وصل فيه واجتمع قوسا الوجوب الذاتي والإمكان الذاتي، وقوسا الولاية والنبوة أو الظهور والبطون والأول والآخر.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾

﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ وأنهى علم الله ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النّجم: 10] في الأفق الأعلى بلا واسطة جبرائيل أو بواسطة جبرائيل، إذ المراد بالأفق الأعلى اللوح المحفوظ.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجْم: 11] وهو الوجه القلبي الذي يلي الروح وهو الطور السري أو التجليات التي تشاهد وتصور أعيان علم عالم الملك وهو غيب القلب والصدر وهو الوجه الذي يلي النفس وهو صورة القلب تنطبع فيه المعاني النفسية فمن ﴿يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعَام: 125] الآية. قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النّجْم: 1] النجم حبيب الله إذا عمد بنوره إلى السماء ليلة الخلق مع المولى فاستقرّه الله بالأفق ورفع الأستار، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النّجم: 8] حتى كان ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النّجْم: 9] يعني فأدنى فتناجى مع الله ما ناجاه ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجم: 11].

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ أتجادلونه وتخاصمونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النّجم: 12] في مشاهدة شهوده ومعارج عروجه ومراجع رجوعه في السير إلى الله ليلة الإسراء من الغرائب وعموم العجائب من شهود التجليات ووجود المشاهدات وورود الأسرار الغائبات، يعني ليس هذا المقام مقام المجادلة والمخاصمة إذ هو مقام المجاهدة ومحل الشهود والمشاهدة، وليس هذا باكتساب القيد واختلائه بإرادته واختياره بل هو محض هداية الله وكمال عنايته يعطي من يشاء مِن عباده.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ وشاهد الحق ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النّجم: 13] أي مرة أخرى، عند النزول من ذلك المقام والحال إلى عالم الكثرة ومقام البشرية للاستكمال، أما الغير إذا تكلمت وحقيقته أو لنفسه وأطوار شهوده وأدوار وجوده إما على طريقة الجزئية في نشآت العنصرية أو على طريقة الكلية وهي في الأدوار النورية والأكوار الظلية ثم تعود ثانيًا وثالثًا إلى الانتهاء.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النّجم: 14] وهي نهاية العروج والرجوع، أما نهاية الرجوع وهي الأحدية الجمعية الإلٰهية، وأما نهاية النزول والرجوع وهي جمعية الذات والأسماء والصفات في كون جامع ومظهر كامل، وهذه الجمعية هي منتهى التنزلات، فتكون سدرة المنتهى للرجوع والنزول كما كانت الجمعية الأولى سدرة المنتهى للعروج والترقي، وهذه الجمعية تطابق تلك الجمعية.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النّجم: 15] أي جنة تأوي إليها أرواح الكاملين وأشباح الواصلين وتنتهي إليها قلوب العارفين المحققين وتنطبق إليها انطباق المراكز على مركز العالم.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ﴾ ويسترها ﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ [النّجم: 16] إشارة إلى البناء الكلي لجميع الأعيان التي هي نسب أسمائية تعتبر في الحقيقة المحمدية، فإن نسبة تلك النسب إلى الذات تسمى نسبًا وشؤونات ذاتية، فباعتبار الأول إذا عرجت الحقيقة المحمدية إلى الأحدية الجمعية والمرتبة الجامعية الأحدية والواحدية ومنها إلى الذات من حيث هي التي تظهر وتنكشف بذاتها لذاتها بعنوان الذات بوجوه لا تتناهى استبقت تمام الأعيان المندرجة في حيطتها استتباعًا طبيعيًا ونفسيًا لما فيها من الأعيان عند سدرة منتهاها، فتغشى تلك الأعيان وتفنى الحقيقة المحمدية، فإن لم يكن شعور بهذه الحالة ويستكملون باستكمالها استكمالًا ذاتيًا ولا تكون

بهم بهذا الاستكمال أيضًا شعور وعلم، وذلك كاستكمال الإنسان لجميع ما فيه من الأجزاء المعدنية والنباتية والحيوانية والإنسانية، فإنها لكل منها ليس شعور بكماله المخصوص بخلاف الكل، فإن له شعورًا بكمال ذاته وبكمالاتها الخاصة، بل تقع كل النفس منها مرآتًا لشهود كمالات الكل من حيث الكل ومن حيث خصوصه بالكل، وفي هذا المشهد شهودات يتعذر تفاصيلها.

قيل: سدرة المنتهى هي شجرة النبوة في السماء السابعة عن يمين العرش، ثمرها كتلال، وورقها كآذان الفيول، ينبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها. والمنتهى موضع الانتهاء والنهاية، كأنها في منتهى الجنة وآخرها. قيل: لم يجاوزها أحد، إليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم، لا حد لما وراءها. *وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء.*

واعلم أن لكل ممكن ينتهي إلى الله والله غير متناه وإلا لكان ممكنًا بالإمكان الخاص، وهو محال وإلا لزم تعطيل الصانع وهو ظاهر الاستحالة.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ ما مال بصر رسول الله ﷺ عما رآه ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ [النّجم: 17] وما جاوره بل ثبته على ما رآه نوعًا لا شخصًا. قال السلف: أي غير متناه حدًّا ولا نوع لتجلياته عدًّا كما قال المحققون: إن الله لا يتجلى في صورة مرتين ولا في صورة اثنين فلا ينتهي حدًّا ولا عدًّا، إذا قد ثبت على شهود تجلياته وداوم على مشاهدات تطوراتها أدوارًا وأكوارًا بلا عدولٍ عن رؤية العجائب ولا أفول عن رؤية الغرائب التي أمر بشهودها بلا انصراف منها أو انعطاف عن مشاهدتها، وقد عرفت أن جميع الأعيان الكونية من حيث إنها نسب أسمائية داخلة تحت الحقيقة المحمدية تابعة سابقًا جميع الكمالات الذاتية والأسمائية وتحصل لها ضمنًا وتبعًا تلك الكمالات في الأدوار النورية، إلا أن تلك الحقيقة لانطوائها على مقتضيات الجمال ومرتضيات الجلال، ومما يكون حكم مقتضيات النور والجمال غالبًا بتلك الكمالات ظاهرة ومرتضيات الجلال متعلق به، وتلك الكمالات في الأدوار النورية مختفية باطنة صريحةً في صراحة فردارية(*) النور والجمال ونقائص نقائصها

(*) فرداريّة: كلمة مشتقة من كلمة يونانية معناها [الفترة الكوكبية].

=

تكون ظاهرة، فالمؤمن والكافر من أمة تلك الحقيقة تبين مقتضياتها وتعين مرتضياتها اللتين هما توأمتان قد تولدتا معًا، فتلك الحقيقة بالأعيان النورية الجمالية والأكوان الظلية الجلالية لا تزال تكون دائرة وسالكة، سائرة إلى الذات الجامعة بتمام الأسماء والصفات، فكل من كان من تلك الأعيان والأكوان يكون أكثر مناسبة وأقوى ملائمة لتلك الحقيقة، تظهر كمالاتها وتشتهر مقاماتها، وتزداد شيئًا فشيئًا حالاتها، ولذا أمر الله تعالى بالصلاة وغيرها.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ محمد ﷺ في الأدوار النورية الجمالية الإفرادية والجمعية ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النّجم: 18] أي التجليات الذاتية المتضمنة لسائر التجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية والكمالات الجمعية والجمعية الكمالية. فإن للحقيقة المحمدية المتضمنة للماهية العلوية كما قال عليه السلام: «**أول ما خلق الله نوري، وأنا وعلي من نور واحد**». وكذا النبوة الذاتية المنطوية على سر الولاية بروزات وكمونات وتطورات في الظهور وتنوعات في البروز، ففي الأدوار النورية تكون النبوة وصاحبها ـ أعني محمدًا ﷺ ـ صريحة، والولاية وصاحبها ـ أعني عليًّا ـ ضمنية، وفي الكورة الظلية الجلالية يكون الأمر بالعكس، أي تكون الولاية صريحة والنبوة ضمنية على ما كانت مع الأنبياء سرًّا وضرب معي جهرًا، وربما تكون النبوة والولاية صريحة كما ظهر في صاحب الزمان المهدي، وهي الآية الكبرى في دورة الجمعية العظمى، فإن الآية الكبرى والجمعية العظمة مكونة في أحايين الأدوار والأكوار الإفرادية تكون الجمعية الإلهية والكونية في الأفراد الإنسانية «**أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري**».

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النّجم: 19، 20] هذه أصنام كانوا يعبدونها، فاللات كانت لثقيف بالطائف، ولقريش نحل مأخوذة من لوى لأنهم كانوا يلون عليها ويعتكفون للعبادة، وقرئ بالتشديد على أنه سمي به إذ

=

وهذه الكلمة فرداريّة وردت في الأصل المخطوط (فردازنة) وارتأينا تصحيحها بكلمة فرداريّة.

هو صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم، والعزّى شجرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن وليد فقطعها تأنيث الأعز. ومناة كانت لهذيل وخذاعة ولثقيف، وهي فعلة من مناة فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين، والثالثة الأخرى للتأكيد كقوله: يطير بجناحيه، أو لأخرى من التأخير في الرتبة وهي في شجرة الطور النفسي من النفوس الثلاثة الأمارة واللَّوامة والملهمة، فإن من يعتد بها ويقلد بحكمها وانصرف من الحكم القلبي إليها فقد عبدها.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النّجم: 21] إنكار لقوله: الملائكة بنات الله وهذه الأصنام أيضًا بنات الله، وكانوا يعبدونها مع أنوثتها.

﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾

﴿تِلۡكَ إِذٗا﴾ القسمة والحكم والحكومة ﴿قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ [النّجم: 22] جائرة ذات خبث حيف جعلتم له ما تستنكفون منه وهو فعلى من الضيز وهو الجور والحيف لكنه أكثر قساوة لتسلم الياء كما فعل في بعض قراءة ابن كثير بالهمزة من ضأزة إذا ظلمه على أنه مصدر. ألكم البنين ولله البنات؟ قسمة غير عادلة مكروهة، وتجعلون لله ما تكرهون، وإذا بالتنوين مقطوع الإضافة للظرف، يقول: آتيك إذا طلعت الشمس، فهي مضافة إلى طلعت، أي وقت طلوع الشمس. فإذا قائل آتيك فتقول له إذًا أكرمك، فهي إذًا جواب وجزاء، وضيزى قراء، وغير الهمزة، فعلى الأول مصدر وصف كرجل عدل أي قسمة ضائزة غير عادلة مكروهة. وعلى الثانية هي فعلى كان أصله ضوزى فكسر الفاء وقلبت الواو ياء، فعلى هذا ضيزى للمبالغة من ضائزة، تقول: ضايزة وضوز وضوزة، وعلى هذا أضيز من ضايز وضيزى من ضايزة وتكون مثل أسود وسود وبيض وأبيض.

﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ﴾ أي ليس الأصنام إلا أسماء، أي مجرد ألفاظ ﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ [النّجم: 23] وما فيها ألوهية أو صفات تدل عليها، وتجعلون بها

آلهةً وشفيعًا ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة ودليل وبرهان ليتمسكوا ويشهدوا بها على مقاصدهم ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الفاسد والوهم الكاسد والتقليد الحاسد ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي الذي يشبه ويريد أنفسهم، والموصول مع الصلة عطف على الظن ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ والواو حالية ﴿مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النّجم: 23] الرسول والكتاب الذي يهدي إلى الحق فتركوه بالتقليد المحض والتخيل الصرف.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ (أم) منقطعة، ومعنى الهمزة فيها للإنكار، والمراد نفي طمعهم في شفاعة الألوهية ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ [النّجم: 24] أي حاصل الإنسان ما تمنى وطلبه وهو مستعد إلى الشفاعة، أو قولهم: إن لي عنده الحسنى أو الولد والمال، أو الدرجة الرفيعة وهي النبوة.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَلِلَّهِ﴾ وما فيها من الدرجات الرفيعة والجنات الينيعة والنعيم الوسيعة ﴿ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [النّجم: 25] أي الدنيا وما فيها، أي السماوات وما فيها، والأرض وما فيها وما عليها فيعطي منها ما يشاء لمن يريد ويشاء ولا يجري في ملكه إلا ما يشاء، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ أي كثير من الملائكة التي يكونون ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وهي ملكوتها يدبر أحكامها ﴿لَا تُغْنِى﴾ لا تغني ولا ترد ولا تمنع ﴿شَفَٰعَتُهُمْ﴾ ودعائهم ﴿شَيْـًٔا﴾ [النّجم: 26] من العذاب وذكر الكبر مع أن جميع من كان في السماوات لا يملك الشفاعة، وإنما ذكر الكثر ولم يقل: ما منهم من أحد يملك الشفاعة لأنه أقرب إلى المنازعة مع المقصود وحاصل به إذ الغرض الرد عليهم في قولهم: هذه الأصنام تشفع لنا، فهذا الرد يحصل بنفي الشفاعة في الجملة إذ الموجبة الكلية تنتفي وترتفع بالسابقة الجزئية، والمراد من نفي الشفاعة هو الشفاعة المقبلة، وهي شفاعة من غير إذن كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 255]، ولا

يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشية ربهم مشفقون ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ في القيامة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ إما من الملائكة أو من الناس، أي يشفع له ﴿وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النّجم: 26] ويراد أهلًا لذلك، فكيف تشفع الأصنام الجمد والأوثان الكمد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي كل واحد منهم ﴿تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النّجم: 27] بأن سمُّوه بنتاً.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ أي بما يقولون وقرئ بها، أي ما الملائكة وحقيقتها وخصائصها ولوازمها الذاتية ﴿مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ من الاستغراق، أي ليس لهم بما يقولون وبالملائكة علم أصلًا ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النّجم: 28] أي لا يتبعون في الأدوار والأكوار الظلية التي هي الأعيان والأكوان وأحوالها إلا الظن بل الوهم لأنهم بمعزل عن العلم.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ [النّجم: 29، 30] في الأدوار والأكوار ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [النّجم: 30] فيهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي في الأدوار النورية الوجودية ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النّجم: 31] أي الأكوار الظلية العدمية، أو المراد سماوات القوة الفاعلية وأرض القابليات وعرض الاستعدادات ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ أي بسبب عمل الأعيان في الأدوار وفعل الأكوان في الأكوار على ما يقتصر باطنهما وسرهما ضمنًا ﴿وَيَجۡزِيَ

﴿ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النّجم: 31] على ما يقتضي ظاهرهما صريحًا بالمثوبة الحسنى وهما الجنة الحاصلة الظاهرة في ارتضاء اقتضاء مدة الدورة الجمالية والكورة الجلالية، متعلق بالحسنى أو بأحسن أعمالهم أو بسبب أعمال الحسنى.

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ أي الآثام الكبيرة والذنوب الكثيرة ﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ ما ظهر من الكبائر على سبيل الإباحة ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ أي أقل وأصغر، فإنه منفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع، أو محل (الذين) النصب على الصفة أو المدح أو الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ لأهل الكبائر والصغائر وله أن يغفر ما يشاء من الكبائر، وإنما عقب به وعد المحسنين ووعيد المسيئين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من غير الاجتناب من رحمته الواسعة ورأفته البارعة ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ﴾ وبأحوالكم الخفيفة وأعمالكم الخبيثة المستورة على ما يسألكم والمشبه لاستعداداتكم وقابلياتكم في الأدوار أو الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿إِذۡ أَنشَأَكُم﴾ وأبدعكم ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ الاستعدادية والربض لاستدعائه تارة بنعت النور ووصف الوجود وكمال الظهور، وصفه بالشهود في الدورة العظمى أو الكبرى والوسطى أو الصغرى، وأخرى بالطور الظلي والطور العلي في الكورة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى الجلالية ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ﴾ جمع جنين، وهو ما صفى من الرحم حال كونكم ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾ في الشؤونات الدورية والنشآت الكورية ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي لا تدعوا تزكية أنفسكم عن الهيئات الدنية والملكات الردية وتطهرها عن الأفعال القبيحة والأقوال الوقيحة، أو مما يكون مطابقًا لنفس الأمر فضلًا أن لا يكون مطابقًا له، أو حسن الظن بجعلها أعلم عن عيوبها لقوله عليه السلام: «**حبك الشيء يعمي ويصم**»، وقال بطليموس: المحبة والمبغضة لولا أن الفكر عن الإصابة. وقال أيضًا ﷺ: «**المسيء من ظن أنه محسن، والمحسن من ظن أنه مسيء**»، ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النّجم: 32] نفسه عن الآثام والمعاصي في عموم

الآثام ورؤية معايب الأنام إذ لا يخفى عليه شيء في أرض ولا في سماء.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ [النّجْم: 33] وأعرض عن اتباع الحق وأعرض نفسه عن مسالمته وحسه عن إضاعته.

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من المال في سبيل الله ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ [النّجْم: 34] وقطع ذلك الإعطاء، أو منع منه فذلك أكدى الحافر إذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة، ومعنى تولى: ترك المركز يوم أُحد فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأعمل، والأكثر على أنها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله ﷺ فعيّره بعض المشركين فقال: تركت دين الأشياخ ومللهم، فقال: حسبي عذاب الله. فترك المبايعة وارتدّ وحل بالباقي. وفي الكشاف روي أن عثمان رضي الله عنه كان يعطي مالًا في الخير، فقال أخوه عبد الله: أعطني أنت ناقتك برحلها وأنا أحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاها وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت.

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النّجْم: 35] ويعلم أن ما قال أخوه الرضاعي من احتمال أوزاره حق.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ ولم يخبر ولم يعلم على طريق الإنباء في الخبر ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ [النّجْم: 36] وكتابه، وهو التوراة.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النّجْم: 37] مخففًا ومضعفًا، وفي التضعيف مبالغة في الوفاء بالعهد مع الله، أو بمعنى وَفَيَ وأتم كعدّ وأتمهنّ من التوفّي والتوفية إن كان من الوفاء وهو التمام. يقال: وفاه أي أعطاه تامًّا أو يقال: وفا بالتشديد أي أتمهن وإطلاقه يتناول كل وفاءٍ وتوفية من ذلك تبليغ بالإتمام واستقلاله بقاء النبوة والصبر

على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه بحق أمر الضيافة والأضياف بالإصغاء بنفسه وأهله بالإخلاص وأنه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخًا ليجد الأضياف ليضيفه ويكرمه ويرافقه في أكل الطعام، وإن كان صائمًا ينوي الصوم وربما وصله يومين وثلاثة، وما أمره الله بشيء إلا وفّى. وكان بين نوح وإبراهيم الخليل عليهما السلام يوجد الرسل تحريره وغيره ويقبل بابنه وابن عمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده، وأول ما خالفهم إبراهيم عليه السلام وأنه عهد أن لا يسأل أحدًا، فلما قذف في النار قال له جبرائيل وميكائيل: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا.

وعن النبي ﷺ: «**وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار**»، وهي صلاة الضحى. روي أن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بسمي الله خليله ربي، كان يقول إذا أصبح وأمسى**: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الرُّوم: 17] **إلى حين الظهر، أو في سهام الإسلام**» وهي ثلاثون عشرة في التوراة، وعشرة في الأحزاب أن المسلمين إلخ، وعشرة في (قد أفلح) من أولها.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أن هي المخففة من المثقلة، وهي بما بعدها في محل الجر بدل بما في صحف موسى، أو الرفع في جواب من قال: ما في ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: 19]. قيل: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النّجم: 38] أي ما تقرر فيما تقدم في بني إسرائيل: ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المَائدة: 32]، قال النبي ﷺ: «**من سنَّ سنَّة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**».

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النّجم: 39] أي إلا سعيه، فإن كان في الخير والصلاح فهو الخير والصلاح، وإن كان بالعكس فبالعكس، ولا يثاب ولا يعاقب أحد بفعل الآخر. وأما ما وقع في الخبر: «**الصدقة عن الميت والحجّ عنه فيشفعان له**» وقال الأحناف: فيه وجهان، أحدهما: أنه يسعى غيره لما كان نيّة الغير والقصد له كأنه يفعل بنفسه، إنما الأعمال بالنيات. الثاني: أنه كان في

ذلك الفعل كالوكيل والنائب منابة القائم مقامه، وذلك بحكم الشرع.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النّجم: 40] في الدنيا وفعله وعمله في النشأة الأخرى، فجزاؤه ثوابًا وعقابًا وعوضًا ومقابلًا له في النشأة الأخرى سوف يرى في النشأة الأولى أيضًا.

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النّجم: 41] تعدّى بمفعولين وجزاؤهم بما صبروا جنة وحريرًا، أو قال: جزاك الله خيرًا. هذه الآية بيان وتفصيل للآية السابقة، يعني أن الإنسان يجزى لسعيه وعمله في النشأتين، إلا أن جزاء النشأة الأخرى هي أتم وأوفى وأعم وأخفى. قال: جزى الله العبد بعمله وجزاه على عمله، فيكون نصبه على نزع الخافض يجوز أن يكون الضمير ليجزي للجزاء الأول والجزاء الأوفى بدل منه أو تفسير له.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النّجم: 42] معنى ينتهي إلى الله الخلق كلهم، وإليه يرجع وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده. (المنتهى) مصدر ميمي بمعنى الانتهاء.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ أي الرسول ﷺ ﴿أَضْحَكَ﴾ من عجائب صنع ربه وربّ السماوات ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ [النّجم: 43] من خوف النار واللظى، والضمير يصير أي الله أضحك وأبكى بمعنى خلق الضحك والبكاء في عبده، والضحك هو المسرّة والبهجة في الخلق والسعادة، والبكاء عن خلق السآمة والكآبة عبارة عن ذروة الجمال وإظهارها النكتة والمخافة والخوف، وفي الحديث: «**إن الله ضحك حتى رأيت نواجذه**».

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النّجم: 44] في الدورة الجمالية والكورة الجلالية.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥﴾

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥﴾ [النّجم: 45] والتوأمين من المولود الجمالي والجلالي، إما بدلان أو تفسيران لهما.

﴿مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ٤٦﴾

﴿مِن نُّطۡفَةٍ﴾ في المرتبة الثانية ﴿إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ [النّجم: 46] مضارع مجهول، وبضم التاء من منى يمني إذا جامع وأدفق المني، يدفق المني في الرحم على التلذذ أو بخلق أو بقدر.

﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ٤٧﴾

﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ٤٧﴾ [النّجم: 47] في الآخرة وانتقال الفردارية من دورة إلى دورة بالإحياء والإماتة.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ٤٨﴾

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ٤٨﴾ [النّجم: 48] أي أعطى الغنية والمال ما نلت وعزمت أن لا تخرجه من يدك.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ٤٩﴾

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ٤٩﴾ [النّجم: 49] كوكب كبير دري في آخر السرطان، والشعرى كوكبان يقال لأحدهما: الشعرى الشامية، وللأخرى اليمانية. ويقال لأحدهما: العبور، والآخر العميصا. قد عبدها أبو كبشة وعظّمها وهو من أجداد الرسول ﷺ قد خالف قريشًا في عبدة الأوثان ولذلك سمي الرسول ابن كبيشة.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠﴾

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠﴾ [النّجم: 50] قوم هود وعاد الأخرى إرم.

﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ٥١﴾

﴿وَثَمُودَاْ﴾ قوم صالح ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ [النّجم: 51] الله الفريقين المذكورين.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢﴾

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ كانوا ﴿مِّن قَبْلُ﴾ قوم عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النّجْم: 52] من هذين الفريقين ولذلك استؤصلوا وأهلكوا رأسًا.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣﴾

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ هي قرى قوم لوط ﴿أَهْوَىٰ﴾ [النّجْم: 53] رفعها إلى السماء على جناح جبرائيل ثم رماها وأسقطها إلى الأرض وقلبها وغشاها.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ [النّجْم: 54] تهويل وتعظيم لما صبّ عليها وعلى أهلها من شدّة العذاب وأمطر عليهم من الصخر المنضود والحجر المدر والممدور.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ [النّجْم: 55] ترتاب وتسلك، والخطاب لرسول الله ﷺ وللإنسان في جميع الأفراد، وقد عدّد أنواع نعمائه وآفاته ونقمائه وسمى الكل آلاءً ونعمًا.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ [النّجْم: 56] أي بعضها، والكتب السماوية النازلة على الأنبياء السابقة وهي مائة وأربعة عشر، أربعة منها كبيرة والباقية صحف منشرة.

﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧﴾

﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧﴾ [النّجْم: 57] مثل وقعت الواقعة، أي قريبٌ القيامة وشدائدها ووقائعها، أو قريب الموصوفة أو قربت الموصوفة بالقرب في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القَمَر: 1].

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ [النّجْم: 58] رافعة أي من لتأكيد النفي، أي

ليس للمقيمة نفس قادرة على كشف الساعة وشدائدها.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩﴾

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ والقرآن النازل لصلاح دنياكم وفلاح عقباكم ﴿تَعْجَبُونَ﴾ [النّجْم: 59] إنكارًا.

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾

﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً وسخريةً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النّجْم: 60] تحزُّنًا وتحسرًا وندامةً على ما فاتكم من عبادة الله وطاعته، وعلى ما فرطتم في جنب الله من كمال قساوة القلب وظلمة الغيب.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾ [النّجْم: 61] سابحون مترطمون، وقيل: لاهون ولاعنون وساهون ومفتخرون ومباهون.

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢﴾

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ وتواضعوا وتخشعوا ﴿وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النّجْم: 62] أي خصّصوني بالعبادة ولا تشركوا في عبادتي أحدًا.

قال النبي ﷺ: «**من قرأ (والنجم) أعطاه الله عشر حسناتٍ بعدد من صدّق بمحمد وصحبه بمكة**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل انشقاق القمر في الآفاق وعالم المُلك والشهادة بالاتفاق دليلًا لقرب القيامة الآفاقية، وسبيلًا لاقتراب ظهور الساعة الإشراقية ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي قدّر للساعة ساعة وللقيامة مدة لا يعلمها إلا الله ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي صير اقتران ختم النبوة ببداءة ظهور سلطان الولاية مقرونة بالقيام وظهور الساعة كما أشار إليها ﷺ: «**بُعِثت أنا والساعة كهاتين**» وأشار إلى اقتران الوسطى بالسبابة، أي الولاية والنبوة.

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القَمَر: 1] أول السورة مناسب لآخر ما قبلها، وهو قوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [النّجْم: 57] فكأنه أعاده مع دليله. قد طابق المفسرون قاطبةً ووافق المحققون قاطعة على انشقاق القمر، واختلفوا في مدته ووقوع كيفيته تأويلًا وتنزيلًا، قال المفسرون: المراد أن القمر قد انشق وحصل فيه الانشقاق. وقد دلت الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة على صحة حديث الانشقاق بعينه معجزة. والشق في الصحيحين خبر مشهور وورد في صحته رواة جمع من الصحابة وقالوا: سئل ﷺ أن يرى الانشقاق؟ فسأل ربّه فشقه. ولو كان مستحيلًا لما سأل ربّه، وكان ربّه يمنعه عن السؤال، ومن جوده لا يحتاج إلى

التأويل إلا من أراد التطابق بين الآفاق والأنفس، أما البغاة الذين نفوه وردوه من الفلاسفة الذين قالوا بامتناع الخرق والالتيام على الأفلاك وطريقهم عن طريقة أرباب الملل والدين والنِّحل، فقولهم الذي يكون على طريقة قاعدة العقل وطوره لا يكون حجة على أصحاب النبوة والولاية الذين بنوا مقاصدهم على التأكيد الإلٰهي والتوحيد الرباني وجعلوا الفعل بمعزل عن إدراك الحقائق الإلٰهية والدقائق الربانية. قال النبي ﷺ: «**العقل لإقامة العبودية لا لإدراك سرّ الربوبية**». نظمه آدم الأولياء علي كرَّم الله وجهه:

كيفيَّة المرء ليس المرء يدركه فكيف كيفيَّة الجبَّار في القِدَمِ
هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعًا فكيف يدركه مُستحدث النَّسم

فكل ما وصل إلينا من المعجزات وخرق العادات التي ظهرت من الأنبياء السابقة فهو مما يأباه العقل ويمتنع منه الفهم، فليس هذا أول قارورة كسرت في الإسلام. وأيضًا أن الأدوار الإلٰهية النورية والأكوار اللطيفة الربانية لكل منها اقتضاء خاص من الدنيا وما فيها من السماوات والأرض والآخرة وما فيها من الجنة والنار والنعيم ودار البوار وغير ذلك من كثرة الأطوار، ولكل دورة منها، وكذا لكل كورة مدة معينة وبرهة مبينة يجري فيها فردارية سلطنة اقتضاء أرب كل منها ومن الأسماء الأربعة الذاتية وهي: العلم والحياة والقدرة والإرادة، فإذا انقضت مدة فردارية كل منها انقضى وانقرض طور الدنيا وانتقل إلى طور الآخرة، وطور الآخرة إلى طور الدنيا، فصارت الدنيا آخرة والآخرة دنيا. وقد استوفينا الكلام في هذا المقام في صدر الكتاب.

قال الإمام الجعفر: واعلم أن من أمارات اقتراب الساعة أشياء منها: ذهاب العلم والقرآن عن القلوب، وذهاب الركن والمقام عن الحرم، وذهاب المساجد والصلاة من بين الخلق، وانفتاق القمر، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، وخروج الكفرة الدجال ويأجوج ومأجوج، وكان ذاك اليوم حشر يجب على المؤمن خمسة أشياء: أن لا يخالط مع الناس، ولا يشتغل بالمعاصي، وأن يقرب من الله على نفسه، وأن يخرج الغيوب لأن كل غيب بمنزلة يأجوج ومأجوج ودابة الأرض بمنزلة عقل العقلاء، والهواء بمنزلة الدجال، فلا يجب دعوته وتحول عنه واخشع واخفض بصر قلبك قبل أن يدعوك إلى الفراق ويغروك عن

الوصال، وكن مع الله في جميع الأحوال، وأن لا تطع قمر الشقاوة عن نفسك ولا قمر الغيضة عن قلبك، وهي الإخسار والافتخار، والتجئ إلى ربك كما التجأ نوح النبي عليه السلام فدعا ربه: ربي إني بلمة الهواء، فنظره الله بقدرته وفتح باب العقوبة على أعدائه وأبواب السعادة على أوليائه.

﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾

﴿وَإِن يَرَوْاْ﴾ أصحاب أطوار العقول السميعة الذين حصروا المقاصد الإلٰهية في الظاهر على مدركات العقول وردوا ما عداها ﴿ءَايَةً﴾ دالةً وأمارة هالّة على كمال قدرة الله ووفور حكمته البالغة، وعلى أن العقل لا يهتدي مجردًا عن التأكيد الإلٰهي إلى إدراك الأنوار الربوبية والأسرار الإلٰهية ﴿يُعْرِضُواْ﴾ عنها وعن اعتبارها والإيمان بصحتها والإذعان بحقيقتها ﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ﴾ هذا الكلام الإلٰهي والرسول المؤيد ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القَمَر: 2] ممتد مستقر غير متبدل ومتغير ومتحول في كل زمان غير منقطع فإنَّ الرسول معجز.

﴿وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾

﴿وَكَذَّبُواْ﴾ كل ما جاء من عند الله من الكتاب والرسل وما يدل على صحته وحقيقته من الآيات البينات وخرق العادات وكل ما أخبر الله عنه من ظهور الساعات، وقيام القيامات، والبعث والحشر والنشر ﴿وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْۚ﴾ [القَمَر: 3] الناشئة عن طبيعتهم الناشية وتفرعوا عن عقولهم الخاشمة وآرائهم الغاشية وهي التي زينها لهم الشيطان ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ [فَاطِر: 8] وإنما عبر بالماضي إشعارًا بأنهما من عادتهم القديمة المستمرة ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من أمور الدنيا والآخرة ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القَمَر: 3] ومثبت، فإن كان الأول فله غاية ونهاية، وإن كان الثاني فله غاية ونهاية في الأدوار، فإن كل دورة وما فيها من الدنيا والآخرة فلها مدة معينة. وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك، وأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك، أما في العقول فإن كل آت فهو آت، أو في نفس الأمر، فإن من توجه إلى مقصد وبينهما ألف فرسخ فالتوجه إلى ذلك المقصد أقرب إليه، والمقصد يكون أقرب إلى

المقاصد من الساكن، فإن قيل: فرق بين الساعة أو يوم القيامة، قلت: نعم، فإن الساعة أمر غريب وشيء نجيب يترتب عند اقتراب انقضاء مدة فردارية الدورة كالصيحة الظاهرة من اصطكاك أجرام السماوات بعضها ببعض والزلزلة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحجّ: 1].

ويوم القيامة إنما يظهر لدى انتقال التدبير من اسم إلى اسم آخر، فإن ذلك يوجب تبديل السماوات والأرض ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48]. وللساعة أشراط كطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال واليأجوج والمأجوج وغير ذلك.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤﴾

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤﴾ [القَمَر: 4] أي قرآن فيه مزدجر، أي تهديد وزجر وتعذيب، وتجويز اسم مفعول من الزجر من باب الافتعال.

﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾

﴿حِكۡمَةُۢ﴾ علم بحقائق الأشياء على ما هي في نفسها، والأمر بقدر الطاقة البشرية والعمل بما فيها ﴿بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمَر: 5] نفي واستفهام للإنكار، أي إغناء يغني. النذر جمع نذير بمعنى النذر أو النذر عنه أو مصدر بمعنى الإنذار.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ﴾ [القمَر: 6] أي أعرض يا أيها الرسول المبلغ عن الكفار إذ ليس على الرسول إلا البلاغ والتبليغ لا الإغناء والحفظ والإهداء، فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظًا فتولى أمر من يتولى. هذه هي الحكمة البالغة ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: 125]، ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ والداعي هو إسرافيل فاعل يدعو، يوم منصوب بيخرجون أو باذكر ﴿إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ [القمَر: 6] فظيع مكروه ينكر ويكره النفوس لأنها لم تعهد مثله وهو هول القيامة ودهشته.

﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧﴾

﴿خُشَّعًا﴾ جمع خاشعة خائف ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ﴾ [القمَر: 7] أي يخرجون

يوم دعوة الداعي من قبورهم أذلاء خائفة أبصارهم وغير قادرة على أحوال القيامة وأهواله ﴿ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾ [القمر: 7] أي أهل القيامة يشبه الجراد المنتشرة في الكثرة والانتشار والضعف.

﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ۝٨﴾

﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾ مسرعين مادين أعناقهم إليه، ناظرين إليه ﴿يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾ [القمر: 8] صعب شديد.

﴿۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ۝٩﴾

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ﴾ قبل كفار مكة وصناديدهم ﴿قَوۡمُ نُوحٖ﴾ وجماعتهم الرسل الذي جاءهم فكذبوا نوحًا، تفصيل لما أجمل. قيل: معناه كذبوا ﴿فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا﴾ أي كذبوا تكذيبًا بعد تكذيب كلما مضى منهم قرن يكذب تبعه قرن آخر مكذب، وكان دأب قوم نوح وعادتهم أن يوصي الآباء أبناءهم بتكذيب نوح ويزرعون في أراضي قلوبهم بروز عداوة نوح إلى أن أغرقهم الله، أو كذبت قوم نوح الرسل، فكذبوا عبدنا أي التكذيب من شيمهم وخصائصهم ومن عادتهم القبيحة ﴿وَقَالُواْ﴾ أن نوحًا ﴿مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ﴾ [القمر: 9] وسدد وخوف ومنع عن التبليغ بأنواع الأذية من الضرب والتغريب والإخراج من بينهم وغير ذلك.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠﴾

﴿فَدَعَا﴾ نوح ﴿رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ﴾ بغلبة قومي عليَّ ﴿فَٱنتَصِرۡ﴾ [القمر: 10] فانتقم منهم وقني منهم بعذاب تبعثه عليهم، وإنما دعا بذلك بعدما طمَّ عليه الأمر وبلغ السيل الزّبىٰ. روي أن واحدًا من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيًّا عليه فيفيق وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١﴾

﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ [القمر: 11] منصب، وذلك أن السماء بأسرها على الماء الذي خلقه الله قبل السماوات والعناصر ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء: 30]، وقال أيضًا: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: 7]. عن ابن عباس رضي الله عنه: لما خلق الله العرش خلق بعده بحرًا عظيمًا من الماء يقال له

المسجور، بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هُود: 7]. وفي التوراة: أن الله خلق ياقوتة حمراء ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد، ثم خلق الريح فخلق على متنها، ثم خلق ثم وضع المؤمن على الماء على طور الوحي والكشف وهو وراء ظهور العقل وهو مقدم وأصل جميع العلوم الحكمية كلها لأنها مقتبسة أنوارها من مشكاة النبوة، ثم بعد ذلك حال الفعل فيها حولًا بأن تفرد في الإدراكات عن أنوار الوحي واشتغل برأسه، فقد خبط خبط عشواء وقال ما هو يقول وافتراء وكلام منه براء.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ لأنها في الوضع الطبيعي في جوف الماء والماء في أجزاء الأرض ولذا لوجوب الأرض خرجت منها الماء عيونًا، نصبه على التمييز فصارت الأرض كلها كأنها عيون منفجرة ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القَمَر: 12] أي ماء السماء وماء الأرض قدّره القدير في الكتاب الأول من غير تفاوت وحال، قدِّرت وسوِّيت وهي تكون ما أنزل على قدر ما أخرجه أو على أمر قدّره وعيَّنه على أهل كل قوم نوح على وجه لا يزيد عليه ولا ينقص منه في الطوفان، أو على أمر قدّره في اللوح المحفوظ قدر ازدياد الماء وسمكها وبسطها وعدد أفراد القوم وغير ذلك.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [القَمَر: 13] أي أخشاب عريضة، المراد منها السفينة وكيفية صنعتها. ودسر جمع دسار وهو حبل من ليف تشدّ به ألواح السفينة.

﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾

﴿تَجْرِى﴾ السفينة والفلك في الماء ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا أي محفوظ عندنا أو بحفظنا ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القَمَر: 14] نوح لأنه مكفور حاله ومستور مآله، ولأن النبي ﷺ في الحقيقة من البدء رحمة لعباده ونعمة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: 107]، فكان نوح نعمة مكفورة ومن هذا يحكى أن رجلًا قال لهارون

الرشيد: الحمد لله عليك، فقال: ما معنى هذا الكلام؟ قال: أنت رحمة الله، فحمدت الله على نعمه ورحمته وقرأ: ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القَمَر: 14] أي للكافرين.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ أي السفينة أو الفعلة، أي جعلناها ﴿ءَايَةً﴾ يُعتبر بها أو شاع خبرها واستمر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القَمَر: 15] أي متعظ ومعتبر لأن الله تعالى قد نزَّلها في أرض جزيرة أو جبل فيها يقال لها الجودي لتبقى دهرًا طويلًا وتكون عبرة للناظرين وموعظة للذاكرين ونعمة للشاكرين، وهو اسم فاعل من الذكر من باب الافتعال.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ﴾ ووقع وثبت ﴿عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القَمَر: 16] يحتمل المصدر والجمع، الاستفهام للتعظيم والوعيد إما عام أو خاص بقوم نوح.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سهَّلناه وبيَّناه وأنزلناه للذكر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي قائل ومعدٍّ للاتعاظ ومعتبر. روي: إن كنت من أهل الإيمان كالتوراة والزبور والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى وغير ذلك لا يتلوها إلا نظرًا ولا يحفظها حفظًا كما هو أهل القرآن﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القَمَر: 17].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾ [القَمَر: 18] والتكرار يُشعر بالأدوار والأكوار.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ شديدًا ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القَمَر: 19] ممتد دائم حتى أهلكهم جميعًا، ولم يبين فيه أحدًا ابتداء من الإبقاء في آخر الشهر.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ [القَمَر: 20] ينزع ويقلعهم عن أماكنهم آخذين بعضهم بأيدي

بعض ويدخلون السعاير ويحفرون الحفر فيتذكرون فيها حفظًا فينزعهم ويكبهم ويدق رقابهم ويصرعهم موتى ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أصول أشجار نخل وعروقهم ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ [القَمَر: 20] عن مداسه، ساقط على الأرض. قيل: شبهوا بالأعجاز لأن الريح ضرب برأسهم وطرحت أجسادهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾ [القَمَر: 21] وتكرار العذاب يُشعر بأن الإنسان منشؤُه الغفلة والنسيان.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ وأنزلناه للاتعاظ والعبرة ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القَمَر: 22] وشخص متذكر قد يذكر من العهود الأزلية والعقود الأولية والحدود الأصلية.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾ [القَمَر: 23] والإنذار والمنذرين.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ هذا من باب إضمار العامل على شرائط التفسير، فالرفع بالابتدائية والنصب مختار بعد حرف النهي والاستفهام واحدًا صفة (بشرًا) على تقدير النصب، أي قال قوم ثمود: نتبع بشرًا واحدًا يكون من جملتنا وبعضًا منا. فاتباع البعض الكل يخالف العقل والعرف فإذا هو ضلال بعيد دون العكس ﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القَمَر: 24] أي جنون في طور الدنيا أو في نار وسعير في طور الآخرة والعقبى، وهو جمع سعير، وجمعيتها باعتبار كثرة الدركات أو الأبواب أو باعتبار كثرة الحالات وشدائدها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النِّساء: 56] ليذوق العذاب أو لكمال سعتها.

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ وأنزل الوحي أو الكتاب وعلم النبوة ﴿عَلَيْهِ﴾ أي على البشر الواحد، وهو النبي، أعني صالح ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [القَمَر: 25] هذا إنكار آخر بأن إنزال

الوحي وعلم النبوة علينا أولى ونحن به أليق وأحق منه، كما قال تعالى في حق طالوت وقومه: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة: 247]، ولم يؤت سعة من المال، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247]، ﴿بَلْ هُوَ﴾ صالح ﴿كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القَمَر: 25] للإضراب وللترقي في النفي والمبالغة، أما في المبالغة ففي الكمية، أو في الكيفية، أي كثير الكذب أو شديده، أي كذب لا يقبله العقل لقباحته وكثرة فضيحته.

وقوله: ﴿أَشِرٌ﴾ إشارة إلى أنه كذب لا للضرورة وخاصة إلى الخلاص كما يكذب الضعيف ربما يكذب بطرًا أو أشرًا طلبًا للرياسة عليكم وداعيًا لاتباعكم له.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ [القَمَر: 26] منا ومنكم يوم القيامة أو في الدنيا حين حلول العذاب ونزول شدائد العقاب بعد إرسال الناقة وعقرها، وإنما بالغوا في تعاطي الكذب أو الأشر لا لحاجة وضرورة.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ إما بمعنى الماضي أو المستقبل بيان لقوله: سيعلمون غدًا ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ وانتظرهم، خطاب لصالح عليه السلام وأمر لانتظار هلاكتهم واستئصالهم وأمر بالصبر ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ [القَمَر: 27] لأن الصبر على الأذية وحسن النفس عليهما يوجب كمال توجههما إلى الله بالتذلل والخشوع وإصابة سهام الدعاء إلى هداف الإجابة.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿أَنَّ ٱلْمَآءَ﴾ المعهود ﴿قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ مقسومة بين قوم صالح، يوم لهم ويوم لنا فيه ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ أي ماء مشروب ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾ [القَمَر: 28] يحضره صاحبه في نوبته ويحضره عنه غيره. قيل: يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها.

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ [القَمَر: 29] ومقدمهم قدارين سالف بن أصيمير بن ثمود

﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ أقدم وأخبر وتجاسر على ارتكاب الأمر الخطير ﴿فَعَقَرَ﴾ [القَمَر: 29] الناقة وقصد إهلاكها وتعاطى السالف فقتلها.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠﴾ [القَمَر: 30] وإنذاري وتخويفي، وإنما ذكر هذه الآية في ثلاثة مواضع إشارة إلى أن الأدوار وما فيها من الأعيان والأكوان متطابقة، وأن كليات الأدوار والأكوان الإفرادية والجمعية ثلاثة: دورة جمالية مفردة، وكورة جلالية مفردة، وصورة جمعيتهما على وجه يتساوى اقتضاء الجمال والجلال.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۝٣١﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صيحة جبرائيل، فنفذت الصيحة في أحشاء كل واحد منهم من الأعيان والأكوان وأثرت فيها ﴿فَكَانُوا۟﴾ وصاروا وأصبحوا ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القَمَر: 31] أي كالشجرة اليابسة المهشمة المنكسرة، والمحتظر من يعمل الحظيرة ويحتظره بنفس طول الزمان ويطريه ويتوطأ البهائم فيتحطم ويتهشم ويتشبت.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٣٢﴾

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ وتكرارها في ثلاثة مواضع إشارة إلى عدد مظاهره، وهي ثلاثة أحدها: ذات الله، والثاني: اللوح المحفوظ، والثالث: سماء الدنيا، وهي فلك القمر وهو من أن أجزاء أسماء الله السبعة الذاتية تناسب السماء السابعة ومن الأطوار السبعية القلبية ثلاثة تكون مخلاها أحدها: الطور السري المسمى بالذات بالفؤاد، والثانية: الطور الروحي، والثالثة: الطور الخفي ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القَمَر: 32] قائل للتذكر والموعظة، وإنما ذكره في خمس مواضع إشعارًا بأن الأطوار القابلة للتذكر من العهود الأزلية والمواثيق الأولية خمس: الطور النفسي، والطور القلبي، والطور السري، والطور الروحي، والطور الخفي.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٣﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٣﴾ [القَمَر: 33] بالنبي المنذر، وإنما عقب كل إنذار مبين بينها على أن كل قوم قد أهلكهم الله قد عقبهم نبي قد دعاهم إلى الله وهم

لكمال غيهم ووفور جهلهم وعنادهم قد تخلفوا عن إجابته واختلفوا في قبول دعوته، فصار ذلك سببًا لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 15، 16].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحًا عظيمًا يحمل الأحجار والحصباء ويمطر عليهم بحجارةٍ، ومن الريح ما يهبّ من ثقبة كثقبة الخاتم فإذا أراد الله أن يهلك قومًا أو بقاعًا أو أرضًا أرسل من ذلك الثقب ريحًا كما أرسل على قوم عاد وقوم لوط ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ وأهله ومن تبعه إلا امرأته ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القَمَر: 34] في سحر وهو آخر أجزاء الليل والعتمة.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ إنعامًا ونعمةً من عندنا ومنة من لدنا وهو علّة (نجينا) ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ [القَمَر: 35] نعطي جزاء نعمتنا بالإيمان وكمال العرفان ووفور إتقان الإيقان والتجافي عن الفسق والظلم والطغيان للاستنكاف عن الجود وكثرة العصيان.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ أي مؤاخذتنا وشدّة نقمتنا ﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ [القَمَر: 36] قوم لوط.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ﴾ [القَمَر: 37] راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء، ومنه الرائد لأن المطالبة تستعمل في الأعيان والمراودة لا تستعمل إلا في العمل. والضمير في راوده إن كان عائد إلى لفظهم فضمير أعينهم أيضًا عائد إليهم، فيكون قد طمست بأعينهم إذا دخلوا دار لوط، فإن جبرائيل ضرب بعض جناحه على وجوههم فأعماهم في آخر الليل وهم متقهون فما جاءهم بأشياء إلا أن قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 5]، ﴿عَن ضَيْفِهِۦ﴾ شكوا وارتابوا من المرية وهما الشك والريب متشاكين فيه بالنذر ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ فمسخنا أعينهم وأبصارهم وجعلناها مسطحة

كسائر أجزاء الوجه لا يرى لها من شق لما عالجوا باب بيت لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلفهم: لا يدخلوه إنَّا رسل ربك نحرسك ونحو ذلك: لن يصلوا إليك، فصعقهم جبرائيل صعقة فتركهم يترددون ولا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القَمَر: 37] ونقلنا لهم ذوقًا على ألسنة الملائكة.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ أول النهار ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القَمَر: 38] ثابت قد استقر عليهم إلى أن يمضي بهم إلى عذاب الآخرة.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ [القَمَر: الآيات 39 - 41] موسى وهارون ومن وجدوهما.

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ ومعجزاتنا الظاهرة بأيديهم كالعصا وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع ﴿كُلِّهَا﴾ أي التسع ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ قوي شديد قهَّار غير مندفع ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ [القَمَر: 42] وقدرة كاملة وقوة شاملة.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ يا معشر العرب أو يا أهل مكة من الكفار المعدودين قوة وعدّة وآلةً ومكانة في الدنيا، هم قوم نوح وهود وصالح ولوط وقوم إبراهيم وموسى عليه السلام، يعني أن كفاركم مثل أولئك بل هم أشرّ منهم ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [القَمَر: 43] أي أنزلت عليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة من كفر منكم وكذّب الرسل كان آمنًا من عذاب الله فآمنتم بتلك البراءة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [القَمَر: 44] ممتنع من عذاب الله لا يرام ولا يضام. وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال: نحن

منتصرون اليوم من محمد وأصحابه، فنزلت:

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ أي الجماعة المعهودة ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القَمَر: 45] أي الإدبار رجع القهقرى. عن عمر رضي الله عنه قال: لم أعلم ما هي، فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يلبس الدرع ويقول: سيُهزم الجمع، فعلمه.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ أي موعد عذابهم الأصلي وما يحيق بهم في الدنيا وأن ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أعظم وأشد وأقطع. والداهية الأمر العظيم المنكر الذي لا إليه ﴿وَأَمَرُّ﴾ [القَمَر: 46] من الهزيمة والقتل والأسر.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [القَمَر: 47] ونيران في الدنيا، أو في نيران وسعير في الآخرة.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ومناخرهم ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القَمَر: 48].

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القَمَر: 49] منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرار بالرفع والنصب أولى أي خلقنا كل شيء مقدرًا أو مقدارًا محكمًا مرتبًا على حسب ما اقتضته الحكمة، أو مقدرًا ثابتًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ، معلومًا قبل كونه، قد علمنا حاله وزمانه.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ وحكمنا ﴿إِلَّا﴾ فعلة ﴿وَٰحِدَةٌ﴾ بلا معالجة ومباشرة آلة، ومباشرة أداةً، أو كلمة واحدة ﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القَمَر: 50] أي حركة العين في

السرعة واليسر واليسرة.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١﴾

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر والضلالة والشرك والبطالة والقساوة والعطالة من قبلكم ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القَمَر: 51] متعظ ومعتبر.

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ [القَمَر: 52] في صحائف دواوين الحفظة.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال وقليل وكثير من الأحوال والأعيان والأقوال ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ [القَمَر: 53] في اللوح المحفوظ.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الفائزين بكمال الإيمان واليقين ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القَمَر: 54] وأنهار، اكتفى باسم الجنس وهو السعة وأيضًا من النهار. وقرئ بسكون الهاء وبضمتين جمع نهر كأسد وأسد وفَلَك وفُلُك.

﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾

﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القَمَر: 55] مبهم أمر في الملك والاقتدار فلا شيء إلا وهو يجب، وملكه وقدرته، فأي منزل ومنزلة أكرم من تلك المنزلة أو جمع للقبط كلها والسعادة بأسرها.

عن رسول الله ﷺ: **«مَن قرأ سورة (القمر) في كل غب بعثه الله يوم القيامة وجهه مثل القمر ليلة البدر»**.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي خلق الإنسان في الفطرة الأولى وعلمه وحكم عليه بالإيمان، وجزم لديه بالكفر والعصيان ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي بيَّن أسرار قرآنه، وعيَّن أنوار فرقانه، ورتَّب قلبه بأطوار بيانه وأنهار تبيانه، ومكَّن في حجته وبرهانه طريق شهوده وعيانه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي جعل شمس الروح وقمر القلب وبدر الصدور محل البيان ومجلى الكشف ومجلى العرفان ومظهر ظهور العيان.

﴿ ۞ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ ﴾

﴿ ۞ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ ﴾ [الرَّحمٰن: 1] لما كانت السعادة السرمدية والسيادة الأبدية منوطة بتعداد النعم الدنيوية ومربوطة برشاد الحكم الدينية، صدَّر السورة بما يدوم به منافع النشأتين، ويقوم فيه مجامع الدارين، وهو الرحمٰن، ثم أشار بخلق ما هو أفضل الكونين وهو الإنسان.

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرَّحمٰن: الآيتان 2، 3] أولًا في الفطرة لأن النشأة العليا في المرتبة القصوى ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [النّحل: 4] صوَّره بصورته. قال ﷺ: «**خلق الله آدم على صورة الرحمٰن**». قال بعض العارفين: بالصورة النوعية الإنسانية في مقام البسملة. قال الحكيم الفاضل الإلٰهي: أول ما خلق الله آدم وأن النفوس السماوية هي النفس الإنسانية المستنسخة وأنها باب الأبواب.

﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾

﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: 4] أي بيان الحكمة الإلٰهية والنبوة الذاتية التعريفية والتشريعية أي الولاية والنبوة الدائرة في الأدوار النورية الوجودية والأكوار الظلية العدمية، تارة تكون النبوة ظاهرة صريحة، والولاية حقيقته ضمنية، والأخرى تكون بالعكس، فقوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرَّحمٰن: 2] إشارة إلى أن القرآن قائم بالروح الإلٰهي المنفوخ في البدن، المسوى الإنساني المخمر باليد الرحماني ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر: 29، 30] وتنزل باستصحابه على المراتب الجبروتية والملكوتية والبرزخية والملكية الشهادية إلى المرتبة الناسوتية فخلق الإنسانية وعلمه البيان.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمٰن: 5] وهما آفاقي وأنفسي، أما الآفاقي فهما للحسبان وهو الحساب يَعْتَوِر عليها نظام الدين في الدنيا، أما الأنفسي فشمس الروح وهو محل إشراقات الأنوارية وقمر القلب الذي هو مجمع أنوار الربانية ومرتع الأطوار المختلفة الكتابية تتداول عليه التكاليف الإلٰهية الشرعية والتعاريف الفرعية ويعلم بحلولهما في البروج وبنزولهما في المنازل في الهبوط والعروج، حساب الأوقات وكتاب المعاملات ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يُونس: 5].

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ﴾ [الرَّحمٰن: 6] النفس النباتية التي نزلت من عالم المجردات إلى عالم الماديات تثبت أولًا بالصورة المعدنية ثم بالهيئة النباتية، وخرجت من جنب الأرض، وغيب امتداد الطول والعرض على وجه الأرض فتنكس رأسها ولم ينفصل عن غيب الأرض، وملكوتها هو عرقها وأصلها ورجلها وهو أغصانها قد تفصل، إلا أن بعضًا منها لم يقو التعلق به فلم يرتفع عن الأرض كثيرًا، وبعض منها يكون كثير التعلق قوي التحقيق فيرتفع بقدر التعلق، وهكذا دائرة القوة والتعلق والارتفاع إلى أن يصل إلى الحد الفاصل والبرزخ الحائل بين النبات والحيوان وهو

النخل. قال النبي ﷺ: «**أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من بقية طين آدم**». كما أن المرجان فاصل بين المعدن والنبات، وإذا أردت القوة النباتية وارتفعت تخمر نفسها من أفق عالم الحيوان فحينئذ ينفصل رأسه عن أرض أفق عالم الحيوان كالجنات والخراطين، وهكذا تزداد النفس الحيوانية ارتفاعًا إلى أن تستوي قامتها ويحصل منها استعداد لأن ترتفع عن عالم الحس والبشرية والناسوت إلى عالم النفس وعالم الربوبية ومنها إلى عالم الإنسان الكبير وهي الجمعية العظمى، ومنها إلى عالم اللاهوت. فالنجم أي النبات الذاتي الذي لا ساق له، والشجر الذي له الساق من حيث إنَّ رأسهما يتصلان بالأرض ﴿يَسْجُدَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 6] أبدًا لأن السجدة عبارة عن وضع الرأس على الأرض. ويحتمل أن يراد بالنجم الكوكب الثابت، فإن السماء الثانية مملوءة من الكواكب الثابتة، وبالشجر الكواكب السيارة السبعة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطت وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجدًا لله عزَّ وجلَّ**»، وهذا يناسب السابق واللاحق.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ [الرَّحمٰن: 7] خلقها مرفوعة محلًّا ومرتبة، فإنها جعلت محل أحكامها ومحل أعلامه ومصدر قضاياه ومجمع تدبيرات ربوبيته، ومرتع تقديرات ألوهيته ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السَّجدَة: 5]، ومسكن ملائكته الذين يهبطون إلى الأرض بالوحي على أنبيائه وبإنزال فيضه في عالم العناصر والمركبات، ونبّه بذلك على كبر شأنه وعظم سلطانه وسطوع برهانه. وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرَّحمٰن: 7] والقسط والعدل. قال النبي ﷺ: «**بالعدل قامت السماوات والأرضون**» إشارة إلى أن كل ما ينزل من سماء الربوبية إنما يكون بالوزن والقسط لا بالانخراق والتخمين، فعليكم أن تفعلوا الأمور بالوزن والعدل.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨﴾

وعليكم ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨﴾ [الرَّحمٰن: 8] (ألا) مفسرة، وقرئ بألا على إرادة القول أي عدلوا الميزان واعملوا الاستقامة في الأمور حذرًا عن الطغيان،

ووفوا لكل مستحق حقّه، ووفوا كل ذي حق ما هو أحقه، فيه انتظم أمر العالم واستقام كما مر من قوله ﷺ: «**بالعدل قامت السماوات**». أو ما يعرف به أحوال القلب وأطوار الغيب، والنفس الناطقة والعقل في الإفراط والتفريط والضلالة والتغليظ، واتحاض الحق، نجانا عن اتحاض الباطل والتخليط، وغير ذلك مما يتفرع من الأخلاق الحميدة والذميمة والملكات الفاضلة والهيئات النازلة العاضلة.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ﴾ بيان لما أجمل وتفصيل وتوضيح لما أعضل ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرَّحمٰن: 9] والاقتصاد والوسط ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البَقَرَة: 143] خير الأمور أوسطها ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرَّحمٰن: 9] وضع المضمر مكان المظهر إشارة إلى تنوعه وتعدد أصوله وتفرعه وتكثُّر موارده وتكثير مشاربه من المعاملات البدنية والمقالات الضلالية، والرياسات المنزلية، والسياسات المدنية، والهيئات النفسانية، والملكات الروحانية، والحالات الجسمانية، والمقالات الجنانية، والانتقالات من القوة إلى العاقلة، وإشارة إلى تعادل مقتضيات الأطوار والأدوار بمرتضيات الأكوان الإفرادية وتكافؤ البسائط الفردارية والوسائط الوحدانية، والجمعية المعدلة، فإنه لو اقتصدت وتولدت مقتضيات النور بمرتضيات الظل والحرور في الأعيان الشخصية والأكوان النوعية والجنسية لظهور العدالة الحقيقية وبهرة السعادة المريدية، وجهرة السيادة الأبدية الديمومية.

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾

﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ الاستعدادية والعرض القابلية ﴿وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرَّحمٰن: 10] أي الأعيان النورية الجمالية والتعينات الوجودية البينية والنسبية البرزخية والشهادية.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١﴾

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ من المعارف النظرية والإدراكات النظرية والضرورية ﴿وَٱلنَّخْلُ﴾ أي نخل العلوم الحالية والمشاهدات الغيبية والمعاينات الشاهدية والمكاشفات الذوقية الحاصلة في الدورة النورية الجمالية الصريحة ﴿ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ [الرَّحمٰن: 11] أي الحجب النورية والنقب الظلمية.

﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢﴾

﴿وَٱلۡحَبُّ﴾ أي العلوم الشرعية والإدراكات الفرعية، والعلوم الإلٰهية، والحكمة العملية اللازم للصورة النوعية والهيئة الجمعية ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ [الرَّحمٰن: 12] أي ورق الألفاظ والعبارات، وريحان الذوق وحسن الفهم، وروح الحدود والإضافات والتعريفات أو الرسوم والانتقالات.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرَّحمٰن: 13] الخطاب للأعيان النورية الجمالية والأكوان الظلية الجلالية، والآلاء هي النعم الظاهرة والمنح الباطنة من القوة النظرية والعملية، والأحوال المعنوية والمقامات القلبية، والحالات الغيبية، والتحقق بالكمالات الذاتية والأسمائية، والتجليات الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية، والنشأة المتطورة والشؤونات المتنوعة، والبرزات المتقنة المتذكرة وغير المتذكرة، وغير ذلك من الكمالات الأنسية والحالات الأنسية. وللثقلين في الدورتين، وإنما قدم من الآلاء المعهود العدالة واستواء الوزن والاستقامة لشرفها وعموم عرفها كما تقدمت الإشارة في الكلام الختمي.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤﴾

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ﴾ أي الطين اليابس الذي له صلصلة وصوت لدى الاصطكاك ﴿كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [الرَّحمٰن: 14] الطين المسخن المطبوخ، وهو الخرق.

واعلم أنه اختلف الكلام في هذا المقام في خلق الإنسان المتضمن لخلق سائر الأعيان صريحًا في الأكوان ضمنًا بعبارات مختلفة ومقالات متقاربة نحو: ﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: 26]، ﴿مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصَّافات: 11]، ﴿مِن تُرَابٖ﴾ [آل عِمرَان: 59]، والكل في المآل واحد إلا أنه خلق الله تعالى آدم من أنواع أربعة: من التراب الأسود والأبيض والأحمر والأدهم، فالعبارات المذكورة إشارة إلى الاختلافات، ويجوز أن تكون إشارة إلى أن مادة تكوينه تختلف بحسب اقتضاء خصوصية كل دورة من الأدوار الأربعة النورية وحقيقة الكل وأصله هو التراب.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ [الرَّحمٰن: 15] أي الجن، أو أبا الجن. وقيل: هو إبليس.

اعلم أن الله تعالى خلق النار السموم وهو النار الخالص الصافي من الدخان، وخلق منها خلقًا عظيمًا يقال له مارج، وما كان على صورة ذئب ثم خلق منه زوجته على هيئة الأسد وسماها مارِجًا، وخلق منها الجان كما قال، وخلق إلخ ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرَّحمٰن: 15] ثم تولد من الجان الجن، فمنه تفرعت قبائل الجن والشيطان، ومنه إبليس واسمه عبد الحارث، وتولد منه الجان والجن والشياطين الذكر والأنثى توأمين وهذا الطور سارٍ في جميع الكائنات وتمام المكونات، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14].

وهذا التوالد قد استمر إلى أن صار المواليد سبعين ألفًا من الذكر والأنثى، ثم تكثروا إلى أن صاروا كورد الأمطار وأقطار البحار وعدد الرمال وأوراق الأشجار لا يحصيها إلا الله، وتزوج إبليس بامرأة من الجان فتولدت بلقيس وفطونة في بطن واحدٍ، وتكثروا إلى أن لا يعلم عددهم إلا الله، وكانوا يسكنون المفاوز والقفار والغياض والآجام والبطحاء والبراري وكرة البحار وغير ذلك، قد بعث الله فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب ويدعوهم إلى الله وإلى عبادته، ووضع بينهم الشريعة وقانون الحكمة الإلٰهية والطبيعية والرياضية.

واعلم أن الله عزَّ وجلَّ خلق باقتضاء أسمائه الأربعة الذاتية من السبعة: العلم والحياة والقدرة والإرادة العوالم الأربعة من الجبروت والملكوت والبرزخ والملك، وخلق في كل منها أعيانًا وجودية وأكوانًا شهودية، أعني العقول والأرواح والنفوس والأجسام، ثم خلق الاسطوانات الأربعة العناصر المرتبة على حسب ما تقتضيه العوالم المذكورة، فخلق من جنس عالم العقول العنصر الناري، ومن جنس الأرواح الهواء، ومن جنس النفوس الماء، ومن جنس الأجسام التراب، وعيَّن لكل دورة مناسبة لتلك المرتبة والعالم، وأمضى ونفذ وأجرى في كل دورة أحكامًا، وعيَّن لأعيانهما أحوالًا وأعلامًا، فدورة عالم العقل تسمى بالدورة العظمى، وربّ هذه الدورة هو ظاهر العلم، ودورة عالم الأرواح تسمى بالدورة الكبرى وربّه هو الحيّ، ودورة عالم البرزخ تسمى بالدورة الوسطى وربّه هو

القدير، ودورة عالم الملك تسمى بالدورة الصغرى وربّها هو الإرادة.

وفي كل مرتبة وعالم من هذه المراتب والعوالم الأربعة أفلاك وسماوات وأرض ودنيا وآخرة، فسماوات عالم الجبروت وأفلاكها عقلية، وسماوات عالم الأمر والملكوت روحية، وسماوات البرزخ خيالية ونفسية، وسماوات عالم الملك جسمانية حسيَّة.

ولكل فلك وسماءٍ من هذه الأفلاك والسماوات حركات مناسبة لتلك المرتبة والعالم، فحركة مرتبة الجبروت عقلية، والملكوت روحية، والبرزخ خيالية، والملك جسمية شهادية. ولكل حركة مقدار معين وامتداد مبين هو مدة تلك المرتبة، وفي كل مرتبة عالية يندمج فيها ويندرج لديها سائر المراتب لما فيها من الأعيان والأكوان وأحوالها ولوازمها، وكل مرتبة ودورة سافلة تنطوي على المراتب العالية، وعلى ما فيها من الأدوار وما فيها، ولكل ربّ من أرباب هذه المراتب اقتضاء مخصوص وارتضاء منصوص، ولذلك الاقتضاء فردارية معينة ومدة مبينة، وإذا انقضت تلك المدة وانتهت تلك الفردارية ونوبة من مرتبة، ونوبة تربية من اسم إلى اسم آخر تبدل طور الدنيا إلى طور الآخرة، وطور الآخرة إلى طور الدنيا، فقامت القيامة وظهرت الساعة، وتبدّلت السماوات والأرض، فكما أن كل مرتبة ودورة تنطوي على أفلاك وحركات مناسبة لا بد وأن تحتوي على عناصر مناسبة، وعلى ما يتركب منها من أنواع المركبات الأهرمانية والقولية والشيطانية والجنية، وفردارية الجمال إذا كانت صريحة، وفردارية النور والجمال ضمنًا أو سلطان الجمال والجلال توأمان، وكذا مقتضاهما من الملائكة والأعوان والسلاطين وكماليته والعقول والنفوس والأرواح والأجساد والإنس والجن، والنور والسماء والأرض، والوجود والعدم، والظهور والبطون، وغير ذلك.

فالدورة العظمى النورية تنطوي على ضرورة العناصر الأربعة، والكبرى على ملكوتها، والوسطى على طبيعتها البرزخية، والصغرى على جسمها وملكها، فمن جبروت النار خلق الله الأمر من الأكبر، ومن ملكوت الهواء يخلق الأحوال، ومن طبقة الماء وملكوتها يخلق الشياطين، وصورة الأرض ومملكتها وملكوتها الأدنى يخلق الجنّ، ومن جمعية الكل آدم ابتداءً وانتهاءً، ومن جنس كل مرتبة وعالم يخلق الله تعالى ملكًا ملكيًّا وهو جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل، وخلق الله لكل

منهم أعوانًا لا تتناهى، وفرض تدبير العوالم كلها وتربية أعوانها إليهم.

ويتجلى مطلق الوجود والذات البحت أولًا بذاته لذاته بنعت جمالي معًا، وفرض تدبير هذه العوالم وأعيانها صريحًا وجهرًا بالنور والجمال والوجود، وبالظل والجلال والعدم ضمنًا، وهو المطلق والبحت. والأول مقتضى الوجود والذات فما من موجود من الملائكة ولا مؤمن والأغوال والشياطين والجن والإنس إلا وللجمال والجلال وللنور والظلمة وللوجود والعدم تأثير في مدخل في وجوده وظهوره، وما من مولود إنسي إلا وقد يوجد معه مولود جني، بل ينطوي على جميع الموجود لقوله عليه السلام: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكِّل عليه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي ولا يأمرني إلا بالخير**».

وقد علمت لكل من النور والجمال والظل والجلال أدوارًا أربعة، ولكل دورة اقتضاء مخصوص وارتضاء منصوص، ويقع في كل دورة من الأدوار طوافانات فلكية وعنصرية، كلية وجزئية، تامة وناقصة، وقد استوفينا الكلام في هذا المقام في تفصيل هذا المرام في صدر الكتاب في التأويل والتنزيل.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦﴾ [الرَّحمٰن: 16] الخطاب للجن والإنس والآلاء، وقد مر ذكرها وتوثيقها وتفصيلها وتفريعها، ومنه في مارج للبيان والتكرار إشارة إلى تكثار الآلاء وتكرارها في الأدوار بالنوع لا بالشخص، ويشعر بأن أعيان كل دورة مركبة من العناصر الأربعة، وأن العناصر لها وجودات في المراتب الأربعة المذكورة، وأن امتياز الأعيان إنما هي بغلبة كل عنصرٍ من العناصر كمًّا وكيفًا، وإنما تنبت تلك الأعيان إلى ذلك العنصر تكوُّنًا وتحيزًا وتمكنًا لمكان الجان وحيزها هو كرة النار، ومكان الأغوال هو الهواء، ومكان الشياطين والأبالسة والجن هو الماء، ومكان الإنس وحيزه هو الأرض، فلتعارض مقتضيات العناصر وبنائها اختلفت أحوال أعيان مركبة منها، فيصدر من كل منها في كل آنٍ وزمان تطورات متغايرة ومشكلات متكاثرة، وحالات متناقضة، وتناكير وإنكارات لتلك النعم الظاهرة والمتجددة والملح الباطنة المتحددة.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: 17] أي مشرق النجوم النورية الجمالية، ومشرق الكواكب الظلية الجلالية، أو مشرق الجنوب ومشرق الشمال على وجه كل طريقٍ، ولما كانت مقتضيات النور والجمال مخالفة لمرتضيات الظل والجلال لا بد وأن يكون مغرب الجمال مشرق الجلال وبالعكس كما في الحدث في أشراط الساعة من أن الشمس تطلع من المغرب.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: 18] أي النعم الظاهرة تظهر من تعدد المشارقِ والمغارب إذ لكل منها خاصية تظهر آثارها وتجهر أنوارها في الآفاق وفي الأنفس وفي الشهادة والحس، أما في الآفاق فلأن كل أفقٍ من الآفاق الاستوائية والمائلة خاصةً واقتضاءً لا تظهر بالأوضاع المخصوصة بالنجوم طلوعًا وغروبًا، استواءً وأقوالًا، ومسائمة لرؤوس سكانها ومباعدة عنها، وأن للشمس المتحركة على مدار هو في سطح دائرة منقطة البروج شمالية من معدلاتها والنصف الآخر خبرتي شمالًا وجنوبًا في كل يوم مشرق ومغرب، وكذا سائر الكواكب السيارة بل الثابتات الواقعة على منطقة البروج في كل يوم، بل في كل آنٍ مشرق ومغرب، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعَارج: 40]، فقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ و﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرَّحمٰن: 17] إشارة إلى تنوع المشارق والمغارب الكليتين. وقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعَارج: 40] إشارة إلى المشارق والمغارب الشخصية الجزئية. قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعَرَاء: 28] إشارة إلى وحدة المشرق والمغرب الثابتة الغير المتبدل، وهي المشرق الاعتدالي الربيعي والخريفي في تمام الآفاق الاستوائية.

والمائلة مختلف إذ مقداره في خط الاستواء محصور بين مطلع الاعتدال الربيعي ومطلع النقطة الصيفية والشتوية وهو ثمانية وأربعون جزءًا، ومفاعيل هذه الأجزاء هو المغارب. وأما مشارق الاعتدال فواحد لا يتبدل أبدًا إلا في الآفاق الاستوائية ولا في المائلة.

وأما مقدار القوس الشرقي بالنسبة إلى الآفاقي المائل بالنظر إلى العرض

فمختلف إذ كلما ازداد العرض ازدادت سعة المشرق، وكلما ازدادت سعة المشرق ازدادت المطالع والمشارق حتى إنه لو بلغ العرض إلى مقدار يساوي تمام الكل وهويته صارت سعة المشرق ربع الدور، وكذا المشرق صار ربع الدور. وهكذا يزداد المشرق إذا ازداد العرض إلى أن يبلغ ربع الدور وانطبقت منطقة البروج على الأفق حين انطباق قطبي البرج على شمس الرأس والقدم، فحينئذ يكون الدور المشرق والنصف الآخر المغرب بأن يطلع نصف الدور وهو البروج الستة دفعة واحدة ويعرف النصف الآخر بعينه وقت انصراف قطبي الروح عن الطباق اسمي الرأس والقدم، وإذا انتهى العرض إلى ربع الدور وانطبق قطبا معدل النهار على قطبي الأفق معدل النهار على الأفق الحسي.

فإذا وصلت الشمس إلى إحدى نقطتي الاعتدال فإن كانت نقطة الاعتدال الربيعي طلعت الشمس وكان الدور بتمامه مشرقًا لها فترى الشمس في هذا اليوم على علم الأفق حركة رخوية ويرتفع يومًا فيومًا فوق الأرض إلى ثلاثة أشهر إلى أن بلغت الانقلاب الصيفي، ثم بعد ذلك تنحط إلى أن بلغت نقطة الاعتدال الخريفي فحينئذ يغرب ويصير في هذا اليوم مغربها تمام الدور ويندرج في الانحطاطي ويختفي إلى أن يصل إلى الانقلاب الشتوي، ثم يصعد شيئًا فشيئًا إلى أن يصل مرة أخرى إلى الاعتدال الربيعي، ويتم دورتها بحركتها الخاصة في يوم وليلة، يومها ستة أشهر، وكذا ليلها ستة أشهر، فتمام السنة في هذا العرض المسمى بالعرض التشبيهي يوم وليلة نصف السنة نهار، والنصف الآخر ليل.

وأما العرضي الذي يساوي المثل الكلي فأطول نهاره أربع وعشرون ساعة، وهكذا يزداد النهار طولًا والليل قصرًا، ففي عرض السبعين يصير أطول نهاره أربعة أيام، وهكذا يزداد النهار إلى أن يبلغ العرض تسعين ربع الدور، فإذا انتقلت الشمس إلى النصف الجنوبي من منطقة البروج انعكس الحكم ويزداد طول الليل وينقص النهار مقيسًا على النصف الشمالي، فالنهار يندرج ويندمج ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ﴾ [الحديد: 6] الآية.

﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠﴾

﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمٰن: الآيتان 19، 20]

بحر الروح والجسد وبحر الدورة النورية الجمالية، وبحر الكورة الظلية الجلالية، أو بحري المشرق والمغرب، وبحري النهار والليل لدى اندراج أحدهما في الآخر طردًا أو عكسًا، أو بحر الوجوب والإمكان، أو الوحدة والكثرة، أو بحري الوجود والعدم والحدوث والقدم، وغير ذلك من المفهومات المتقابلة صار شيئًا واحدًا بالاجتماع بأن أحاط بهما صورة جمعية ومعية وأحاط كلية ووحدة إحاطية وهي كمال جمعي ووصال معي.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾ [الرَّحمٰن: 21] ونعمائكما الإفرادية والجمعية تكذبان وتنكران مع كمال وضوحهما ووفور خصائصهما.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ﴾ والدرّ الأبيض الشفاف، وهو ليس بمعدني ولا نباتي ولا حيواني، وقد جمع خصائصها من حفظ صورة النوعية كتركيب النار والتوليد وهو صورة الوحدة الجمعية الذاتية بين الواحدية والأحدية، وهي برزخ البرازخ والبرزخ الأعلى وصورة علم التوحيد فيه ومظهر المعارف الإلٰهية، ولذا تغير بالمعارف الإلٰهية الحقيقية والحقائق الكلية إذا رأى السالك في مسالك سلوكه ومدارك إدراكه.

﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحمٰن: 22] وهو الخرز الأحمر المثقوب والمنظوم والدرّ نوع منه غير منضود وهو حد فاصل وبرزخ حائل بين المعدن والنبات. قيل: الدرّ هو كبار الدرّة والمرجان هو صغاره.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ [الرَّحمٰن: 23، 24] ولله الجواري جمع جارية موصوفها محذوف، أي السفن الجارية، قرئ بحذف الياء ورفع الياء بأنه مبتدأ وخبر ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ [الرَّحمٰن: 24] المرفوعات من نشأة السحاب إذا ارتفعت، وأنشأه الله إذا رفعه، أو المحدثات الموجودات من إنشاء الله أي خلق الله، فيكون أكثر بيانًا وأكبر تبيانًا للقدرة إذ السفن كالجبال والجبال لا تجري إلا بقدرة الله

وكمال حكمته ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾ متعلق بمنشآت أو الجارية ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الرَّحمٰن: 24] جمع علم وهو الجبل الطويل الثابت على الأرض.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرَّحمٰن: 25] المجرورة بالفعل المتأخرة من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيب أجزائها وترتيب ألواحها وأجزائها في البحر بأسباب خفية وأمور خبيئة لا يقدر على خلقها ولا يقوى على إجرائها إلا الله.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي على كرة الأرض وبسيطها، وإن لم يتقدم أي كل ما يمكن على الأرض واستقر بها من المعادن والنباتات والحيوانات ﴿فَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 26] هالك، أو في حد ذاتها مستهلك، والمراد من الأرض ما عدا السماء من العناصر الباقية، أي كلما ثبت في جوء السماء من طبيعة الماء وكرة الهواء والبخار وهي موطن السحاب ومعطن الرعد والبرق وغير ذلك من ثوان النجوم وكائنات بحور الشياطين والجان وكرة النار وما يتكون فيها فانٍ وهالك.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحمٰن: 27] القائم به. واعلم أن لتمام الموجودات الممكنة ثلاثة أوجه: وجه إلى الذات، ووجه إلى ما عداه من الممكنات، ووجه إلى نفسها. فالوجه الأول من حيث هو قائم بالحق وقيوم للخلق باقٍ وغير هالك. والوجهان الآخران كل منها فانٍ هالك، والمستغني هو الوجه الأول فإنه من حيث هو قائم بالحق باقٍ أزلًا وأبدًا سرمدًا. والوجه الأحسن أن يعتني بالأرض الاستعدادية والقابليات الاستدعائية، وفي المعنى الحقيقية هي الإمكان الذاتي الذي هو برزخ بين الوجود والعدم وبين الحدوث والقدم، والصور والتعينات الوجودية التي هي نسب عدمية وإضافات أولية أو وهمية وتعينات رسمية تفنى وتنعدم وتتبدل بحسب مقتضيات فردارية النور والجمال صريحًا، وتتحول مرتضيات الظل والجلال ضمنًا وخفيًا، آنًا فآنًا دفعة واحدة أو تدريجيًا

كليًّا أو جزئيًّا اختياريًّا واضطراريًّا آفاقيًّا أو نفسيًّا جسميًّا أو نفسيًّا أو قلبيًّا أو سرّيًّا أو روحيًّا أو عقليًّا أو خاليًا، أو رحمًا إنسيًّا وجنيًّا أغوالًا وشياطين وأبالسة وأملاكًا يغطيهم وأفلاكًا بكثرة حركاتها بأطوارها، وكواكب بكثرتها، وعناصرها وما يتركب منها، وأدوارًا وأكوارًا وأعيانًا وأكوانها إفرادًا وجمعًا، فهذه الأمور الوجودية والعدمية المستقرة والثابتة المستمرة في حد ذاتها فانية مستهلكة غير ثابتة في زمان، فإن كل واحد وزانها وزان الأعراض الغير القائمة بأنفسهم، المتبدلة لحظة بعد لحظة، المتجددة تجدد الأمثال ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النَّمل: 88] الآية. ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: 27] أي الباقي هو الوجه الأول الجمالي والجلالي إشارة إلى دوام التجلي الذاتي بعنوان النور والجمال، وتبعه الظل والجلال وإلى دوام مقتضياتها في الأدوار والأكوار.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: 28] يعني نعمة الوجود والبقاء وما يتفرع عليهما من المنح العملية والمواهب الإلٰهية، والعطايا النسبية الغير المتناهية من الحالات القلبية والمقامات اللاريبية.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي يطلب أهل السماوات والأرض الحسيَّة والروحية والنفسية والعقلية وأعيان سماوات الأرض الأدوار النورية والجمالية وأكوان أرض الأكوار الظلية والجلالية وأسماء العلة الفاعلية، وأرض العلة القابلية، والقوة الإمكانية الاستعدادية، نعمة الوجودات الغيبية والظهورات العينية وما يتبعها من الكمالات الذاتية والأسمائية والحالات القلبية، والمقامات الغيبية بلسان الحال وترجمان المقال، تسأل أهل السماوات والأرض والملائكة المعروفة وأهل الرزق والمغفرة، وأهل السماء الإيصال عليهم الرزق والمغفرة.

والمراد من الرزق هو رزق الحياة والوجود والإدراكات والعلوم الحقيقية الحضورية والشهودية، والتكرار بتجدد النعم المذكورة صورة معنى، ظهرًا وبطنًا إلى سبعة أبطن ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: 29] تفصيل لما أجمل وتحليل لما أحمل وأعضل، والمراد من اليوم هو النفس الإنساني الذي يتم دورته بالانقباض

والانبساط ويطابق النفس الرحماني الدائر على مركز القلب، وهو النقطة السويدائية التي هي نهاية الجسم التصويري المخروطي، وبحركته الانقباضية والانبساطية يعني جميع العوالم الإمكانية متوجهًا بجميع أجزائها وأعيانها الملكية وتعيناتها الفلكية وهيئات الجواهر النورية المثالية والروحية والعقلية والنفسية، وأكوانها الحسية إلى غيب الغيوب في آن، وفي آن آخر توجد ويبقى نفي كل نفس من الأنفاس الإنسانية يعني العوالم الممكنة، وتعدم وتوجد وتكون وتلبس لباس الوجود مرة وتخلع أخرى ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15].

والعجب أن يوم النفس للإنسان الصغير تنطبق على نفس الإنسان الكبير المشتمل على الانبساط وهو مدة الأدوار الأربعة وامتدادها، وعلى الانقباض وهو عبارة عن امتداد مدة الأكوار المربعة الظلية والجلالية إلى مركز تقلب الإنسان الكبير وهو غيب الأحدية الذاتية وجيب الهوية الغيبية. ولا ارتياب أن مدة أيام الأدوار الأربعة النورية الجمالية الإفرادية، ومدة الدورة الجمعية النهارية مساوية لمدة أيام الأكوار الظلية الإفرادية ومدة جمعيتها الليلية.

وهاهنا جمعيتان أخر بأن الجمعية النورية الجمالية، والجمعية الظلية الجلالية وبالعكس، إثنتا عشر دورة إلٰهيةً بمنزلة إثنا عشر برجًا بشمس الأحدية الذاتية في عرض تسعين «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»، فستَّة منها للنهار الإلٰهي، وستَّة أخرى لليل الإلٰهي، فاليوم الإلٰهي بالثلاثة هي مدة الأدوار التي لا يعلم عدد أيامها وسنتها إلا الله والراسخون في العلم المتحققون بالله وبأسمائه الذاتية، الدائرون بالله في الأدوار الإلٰهية والأكوار الغير المتناهية، منطق ومساوٍ وموافق لليوم النفسي الإنساني كمًّا وكيفًا تساوي الدائرة العظيمة الحادثة على مجرد الفلك الأعظم، وعلى محدث السماء الأقدم، الموازنة للدوائر الصغيرة المرسومة في سطحها إلى أن حدثت على مركز العالم ومبدأ الدائرة عبارة عن سبع نقاطٍ كما حققه أرشمندس من أن كل دائرة عبارة عن ثلاثة أمثال قطرها وسبعها فشأن الحق وأمره أن يعطي في اليوم النفسي وزمان النفس نسبة لأهل العوالم الكلي ولأعيان الأدوار الإلٰهية وأكوان الأكوار المتناهية، سيما لأن للكل بل لجزء من أجزاء العالم شيئًا يساوي جميع ما أعطاهم في الأدوار والأكوار الغير المتناهية من النعم الظاهرة والمنح الباطنة، هذا مما

استشعر به من ليس له رؤية في هذا الفن.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠﴾ [الرَّحمٰن: 30] نزلت في نفر من اليهود حيث قالوا: إن الله لا يقضي في يوم السبت شيئًا. قال المفسرون: إن الله تعالى من شأنه أن يفعل ما شاء وما يشاء أو ما يريد من الإحياء والإماتة والتخليق والإبداء والترزيق والجمع والتفريق، ويعزّ مَن يشاء، ويذلّ مَن يشاء، ويعطي الملك من أراد، ويزيد وينزع المُلك ممن أراد ويزيد، ويشفي ويفك عائنًا، ويفرج مكروبًا، ويسرح مسجونًا ومغلوبًا، ويجيب داعيًا، ويثيب ساعيًا، ويصيب راغبًا، ويغفر ذنبًا، ويعذب من لم يكن تائبًا.

عن ابن عباس رضي الله عنه: خلق الله لوحًا من درة بيضاء وحاملًا ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر الله كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء، وذلك قوله تعالى عزَّ وجلَّ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: 29].

قال سفيان بن عيينة: الدهر كله عند الله يومان، أحدهما: مدة أيام الدنيا، والآخر: الآخرة يوم القيامة. ففي يوم الدنيا شأنه الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع، وشأن الآخرة بالجزاء والحساب من الثواب والعقاب. قيل: شأنه عزَّ وجلَّ أن يخرج ويرسل كل يوم وليلة ثلاثة عساكر: عسكرًا من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، وعسكرًا من الأرحام إلى الدنيا، وعسكرًا من الدنيا إلى القبور، ويرتحلون جميعًا إلى الله، منه بدأ وإليه يعود، هذا معنى ما قدمناه في خلاصة مبناها ما أقدمنا إليه من الأعيان الوجودية والأكوان العدمية الجودية، يتعلق بها من الدورة العظمى إلى الدورة الكبرى ومنها إلى الوسطى، ومنها إلى الصغرى الإفرادية، ومنها إلى جمعيتهما، ثم ينتقلون من الأدوار إلى الأكوار الأربعة الإفرادية، ومنها إلى جمعيتها، ومن جمعيتها الإفرادية إلى جمعية الجمعية في مرتبة كلية الناسوت، ومنها إلى كمال جمعية اللاهوت، ثم ينزل منها إلى الجبروت ويستأنف الدورة العظمى في الجبروت، ومرتبة الواحدية، وينتهي الكل إليها بعد انتقال ما في الناسوت إلى اللاهوت وما في اللاهوت إلى الجبروت

والواحدية، وتصير لاهوتية مجرّدة عن جميع المفهومات والاعتبارات، وينتقل ما في الجبروت والواحدية من الأعيان الثابتة والحروق العالية للمائيات الكونية والحقائق الإلٰهية إلى عالم الملكوت والأمر، ومن شأن الشؤونات النيرة أن تنتقل إلى الأعيان الثابتة وتصير صورًا علمية، والصور العلمية شأنها أن تصير عقولًا مجردة، والعقول المجردة تنزل من عالم الواحدية والجبروت إلى عالم الملكوت، وتصير أرواحًا قابلية من اسم الحي آثار الحياة والأرواح، تنتقل من الملكوت إلى عالم البرزخ وعالم المثال تصير نفوسًا وطبيعة قابلة لآثار كمال الفطرة وأشباحًا ظلية ومثلًا نورية وصور جسدية وضعية جسمية خيالية مثقلة بصور الأعمال الجسمية والأفعال النفسية، تتعاطاها التعبيرات وتتصاعد إليها الهيئات الخيالية والحالات الغيبية المثالية والمقامات القلبية وشأن الأشباح البرزخية والمثل النورية والصور الخيالية تنزل إلى عالم الملك والشهادة، وتكون أجرامًا فلكية وأجسامًا عنصرية، ومن شأن الأجرام السماوية وما فيها من الكواكب والطبيعة والنفوس والأشباح والملائكة والعقول والأرواح وما لها من الصباح أي صباح إلى الناسوت، وكانت أشخاصًا كاملةً وأفرادًا فاصلةً، مرآة مشاهداتها الذات بتمام الأسماء والصفات، لما تقرر من أن حركات الأفلاك للتشوق والوصول بمقام الإنسان وحصول الاستعداد ليتحقق بما قد تحقق به الأشخاص والأعيان، هذه لكمال جامعيتهم وعموم كليتهم ووفور رأفتهم يتحلون من الناسوت إلى اللاهوت، بل يتحققون بالفناء في الله وفي اللذات، وبالبقاء بالله وبذات الله البحت وبمطلق الوجود، هذا هو شأن ظاهر التجلي الذاتي.

وفي الأدوار النورية الوجودية الإفرادية تبعه سلطان الجمال، وكذا في الأكوار الظلية العدمية بوصف شأن باطنه قهرمان الجلال، إفرادية أو جمعية، وكذا في شأن جمعية الجمعية النورية الجمالية بالجمعية الظلية الجلالية طردًا وعكسًا، وهذه الشؤونات التي هي إثنا عشر رفيعة ذاتية منيعة أسمائية لا يشاهدها على ما هي عليها إلا من خصه الله بشأن رفيع ووجه حسن بديع، وأراه تمام الأدوار والأكوار الإفرادية الجمعية وجمعية الجمعية، وأشهده تمام هذه الشؤونات على وجه أظهرها لذاته بذاته في ذاته بتمام أسمائه وصفاته فحينئذ يشاهد من العجائب والغرائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 30] خطاب بالأعيان النورية الوجودية الجمالية، وبالأكوان الظلية العدمية الجلالية، والمراد بالآلاء هي النِّعم الوجودية الظاهرة والمنح العدمية الباطنة التي هي وسيلة لإظهار النِّعم الوجودية الظاهرة في نفسها المبنية في الوصول بالمحل والحصول بطريق التفصيل والمجمل على العدمية بأن تكون شرطًا أو وسطًا أو ارتفاعًا للموانع والقواسر، فإن كانت من الفضائل العلمية والفواضل العملية فشرطها هي تزكية النفس، وتزكية القوة المدركة عن العبادة وتتابع النفس وإن كانت من الأحوال والمقامات والكشف والمشاهدات والمعاينات وإظهار الكرامات فشرطها هي التجنب عن المعاصي والسيئات.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مستعار من قول الرجل لمن يهدده: سأفرغ لك، يريد سأتجرد، وارتفع المانع عن الإيقاع بك عن كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه. والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه، ويجوز أن يراد سنجردكم لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة لدى شؤونات الخلائق من أمور الدنيا إلى أمر الآخرة، وتوال إلى شأنٍ واحدٍ وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغًا لهم على طريق المثل من النعم السابقة لدينا إلى المنح اللاحقة الأخروية، وليس فراغًا من شغل إلى شغلٍ آخر لأن الله لا يشغله شأن عن شأنٍ، بل هو وعيد ووعد قريب لا بعيد من الله تعالى للعاصين وللمطيعين بالتبع مقرونًا بالوعد ضمنًا لئلا يفتروا بعملهم ولا ييأسوا من فضل ربّهم ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 31] الإنس والجن وأعيان الجمال وأكوان الجلال، فيتناول المخلوقات المكلفة بمعرفة الله وعبادته من الملائكة والأهرمانية والأغوال والشياطين والأبالسة والجن وغير ذلك مما لا يحيط بعلمه إلا الله. والمراد ما يزيد على أصل الاستعداد الذاتي والقابل الأولي الذي أفاده الذات بفيضه الأقدس، والتجلي الذاتي، أو التركيب إذ الخفة تلائم البسيط والوحدة والشغل تلازم التركيب، وما سوى الوحدة الذاتية مركب من تكرارها وتعقلها وإدراكها مرة بعد مرة. وإلى هذا ذهب فيثاغورس الحكيم والملِّيُّون إلى أن ما سوى الله وهو العالم الإمكاني مركب من الوحدات من الجواهر الفردة وأجزاء لا تتجزأ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرَّحمٰن: 32] والنعماء التي أفاضها عليكم ظاهرًا وباطنًا، وصورة ومعنًى، تكذبان وتنكران عنادًا ومكابرة.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ وجماعتهما، وإنما قدم الجن لكونه مقدمًا في الخلقة لتقدم مادته وهي النار كما تقدم ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ وتمكنتم واقتدرتم ﴿أَن تَنفُذُواْ﴾ أن تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرَّحمٰن: 33] وجوانبها وأطرافها وأقطارها وأكنافها هاربين من غضب الله وسلطان قهرمان حكمه ﴿فَٱنفُذُواْۚ﴾ واخرجوا على أي وجه كان وتمكن ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ بل لا يمكن لكم النفوذ أصلًا لاندراجه في حيز الامتناع العادي، بل العقلي، لاستلزامه المحال والعرض إما بالفرار من الموت والاطلاع على المغيبات وعلى أحوال أهل السماوات وسكانها من الأعيان الجواهرية النورية كالملائكة أو النارية كالجان والشياطين، أو الظلمة والظلمانية. والحال أن النفوذ لا يكون ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرَّحمٰن: 33] أي بسلطان القوة الإلٰهية والقدرة الربانية كما وقع للأنبياء والأولياء والحكماء.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: 34] أي نعمة غريزة القوة العاقلة التي تفرق بين الحق والباطل والممكن ليتعدّى بالحق ويهتدي إلى الأفق الأليق، ويتجنب عن الباطل ويبطل الممكن ويتحيز عن الممتنع.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ وينزل إليكما ﴿شُوَاظٌ﴾ شهب فيه سواد وظلمة، أو الأخضر المرتفع من النار والشعب المنقطع ﴿مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ دخانٍ أو صفر مذاب يصب على رؤوسهم ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 35] ولا يمنعان من العذاب، ولا يرتفعان عن العذاب في النشأتين.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦﴾ [الرَّحمٰن: 36] فإن عدم امتناعهما عن العذاب نعمة جليلة وعطية جميلة من حيث متضمن لظهور نعمة الإسلام الفطري والإيمان الضروري الذي أودعه الله تعالى في كل نفس، وأبدعه في كل ذي إدراك وحس رحمة كلية، ورحمته أصلية وعطية أزلية، إذ النار من شأنها أن تجمع المتماثلات وتفرِّق المتخالفات، فالإيمان والمعرفة والأمر فإن للنفوس ذاتي والكفر والعصيان عرضي، وما بالذات لا يزول بالعرض ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: 53].

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ وانفرجت وانفتحت فيها أبواب تتنزل الملائكة منها ﴿فَكَانَتْ﴾ السماء وصارت ﴿وَرْدَةً﴾ حمراء كالورد الأحمر، هذا أمر ممكن للسماء، فانفتاح الأبواب فيها وانشقاقها دال على استيلاء كمال قهرمانه واستعلاء مقتضى غضبه وسخطه ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 37] وهو اسم لما يدهن به كالحرام، أو جمع دهن وهو الأديم الأحمر، يعني ترى السماوات يوم القيامة، أو يوم الساعة، حمراء كالورد الأحمر أو كلون الزيت أو كالزيت أو الأديم الأحمر.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨﴾ [الرَّحمٰن: 38] بما كان قبل الانشقاق وبعده.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ﴾ أي يوم الانشقاق لا يسأل إنس ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرَّحمٰن: 39] عن ذنب كل منهما لأنهم يعرفون بسيماهم حين خروجهم ونشرهم عن القبور وحشرهم لأن ذلك الوقت ليس وقت السؤال والحساب إذ وقتهما الموقف الثاني للحساب والسؤال، وأن لكل مقام مقال، وما منهما إلا له مقام معلوم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾ [الرَّحمٰن: 40] أي ترك السؤال في هذا المقام نعمة من نعم الله لاستيلاء الدهشة وكمال الحيرة فيها كما هو دأب الملوك والسلاطين، فمحل السؤال والحساب هو المجمع والموقف بعد قيامهم في المحشر مدة أربعين سنة حيارى.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ في المجمع والموقف وكذا المطيعون ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ بما يظهر في وجوههم ونواصيهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود لظهور آثار ظلمة الكفر في وجوههم أو أنوار الإيمان في بشرتهم وجباههم ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرَّحمٰن: 41] فردًا فردًا أو مجموعًا في سلسلة واحدة وذلك لكمال قهره ووفور غضبه عليهما بحيث لا يتمكنون بالحركة، إذ جميع الأعضاء والأجزاء داخل في حكم هذين الجزأين.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرَّحمٰن: 42] به حفظكم الله من هذه الحالات والشدائد والمعاقبات والخجالات والانفعالات.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿هَٰذِهِۦ﴾ النار التي يشاهدها المؤمنون والكافرون والعواصي والمطيعون ﴿جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الرَّحمٰن: 43] من الكفار الجاحدين والعصاة المعاندين.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿يَطُوفُونَ﴾ يترددون ويتحركون ﴿بَيْنَهَا﴾ أي النار التي بلغت في الحرارة إلى الغاية في الشدة وإلى النهاية فيغلب عليهم العطش والكرب فيحتاجون إلى الماء ويستغاثون إلى التبري ويعرضون على الماء الحميم كما قال: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 44] وإن يستغيثوا يغاثوا، الماء كالمهل يشوي ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ [الكهف: 29] الآية، إن

اسم فاعل من أنى يأنى أي أنيني في الحرارة وبلغ في الشدة والإحراق في الغاية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 45] وهذا النوع من العذاب لكونه معدًّا لظهور كائنه ومنحة كاملة كامنة في أفراد الإنسان وأشخاص الجن والشياطين والأغوال والأهرمينات وهي المعرفة الكاملة والمعاينة والمشاهدة التامة والمكاشفة العامة الفاضلة، والعبادة الصامتة الحاصلة، وإن كانت صورته عذابًا لكن هو نعمة جليلة وسعادة جليلة إذ كل أمرٍ وإن كان ظاهره صورة شرّ لكونه مقدمة لإظهار السعادات ووسيلة لإجهاز الخيرات فهو حيز محض ونعمة حض. لا يقال: إن الآخرة ليست دار العبادة والكسب إذ بحال أن العبادة الدنياوية المناسبة لطور ظاهر الدنيا قد انتفت في دار الآخرة، لا مطلق العبادة أو انتفاء الخاص لا يستلزم انتفاء العام.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ [الرَّحمٰن: 45] أي انقلاب هذه النار نورًا، وهذه البوار حورًا، والهموم سرورًا، وصيرورة العذاب عذبًا.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي مقامه عند ربّه للحساب، إشارة إلى مقام الإحسان، وهو «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، وأن من جعل قلبه حاضرًا بين يدي الله بحيث لم يشغله شاغل عن ملاحظة قهرمان سلطانه فصار من شدة الخوف حاضرًا بنفسه لكمال عبوديته ووفور عبادته بعد استقامته في مقام العبادة ﴿جَنَّتَانِ﴾ جنة عدن وجنة النعيم، أو جنة الخوف وجنة ترك الهوى ورفض الشهوات ودعة المشتهيات ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعَات: 40، 41]، أو لمن خاف رأفة الله سرًّا وعلانية. قال النبي ﷺ: «**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا أن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**».
عن أبي الدرداء: أنه سمع رسول الله ﷺ بعض على المنبر وهو يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 46]، قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الثانية والثالثة، فقلت ما قلت فقال: على رغم أنف أبي الدرداء وإن زنى وإن سرق**».

المراد جنة النور والجمال وجنة الظل والجلال، أو الجنة الصورية وهي جنة جسمانية بعضها من جنس نعيم الحيوانات كالحور والأنهار والبساتين والقصور والولدان والأشجار والخمور وغير ذلك، والجنة المعنوية هي جنة النفس ونعيمها من جنس نعيم الأفعال كالقهر على الأعداء أو البذل والسخاء، والإفاضة والاستعلاء، كالملاطفة مع الحياة هو من الأصدقاء وغير ذلك من الأفعال الحميدة والأعمال السنية، كما تقرَّر أن الحمد العقلي أتم من الحمد الفعلي، أو المراد جنة التجلي الآثاري والتجلي الأفعالي والتجلي الأسمائي والتجلي الذاتي، أو المظهرية والتحقيق بالأسماء والذات والصفات والفناء في الله والبقاء في الله، والسير إلى الله ومن الله، واستكمال القوة النظرية والعملية، وتكميل الفعل المستفاد والعقل بالفعل، أو جنة الصور ووجوه الانشراح والهناء والاستعداد لأن يتحقق بكمال جمعية القلب وهو اكتساب المبادئ النظرية واجتلاب المقدمات الفكرية، واستفاضة المعاني عن غيب الطور السري وفيضان النتائج العقلية من المبادئ العالية، أو تزكية النفس عن الهيئات الردية الشيطنة والصفات البهيمة والسبعية وتصفية القلب وتجلِّيه بالملكات الفاضلة والصفات الكاملة الملكية، وهي العفة والشجاعة والسخاوة، قال ﷺ: «**يا علي كن غيورًا فإن الله يحب الغيور، وكن سخيًّا فإن الله يحب السخي، وكن شجاعًا فإن الله يحب الشجاع**» الحديث. ومن يأتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا والعدالة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾ [الرَّحمٰن: 47] وهي هذه النعم الجليلة والمنح الجميلة، والمواهب الجزيلة.

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝٤٨﴾

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝٤٨﴾ [الرَّحمٰن: 48] تثنية ذات بمعنى صاحبتان، أفنان جمع فنن وهو الغصن الطويل المستقيم. والمراد الأشجار من باب المجاز المرسل، ذكر الجزء وأراد الكل أي في تينك الجنتين فنون وأنواع من الأشجار، وفنون وأطوار

من الأثمار والأشجار المتنوعة والأثمار المتفرعة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾ [الرَّحمٰن: 49] من أشجار التجليات وثمرات المعارف الكونية والمسائل الطبيعية، والرسائل الرياضية من إلٰهية وأرسماطيقي والهندسة والحساب.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرَّحمٰن: 50] حيث تساوي الأعالي والأسافل، وهما عينا النور والجمال، والظل والجلال، أو عينا التجلي الذاتي والأسمائي، أو عينا العلوم النظرية والعملية، أو عينا الولاية والنبوة، والنبوة الذاتية والعرضية، أو الألوان المطلقة، أو الحكمة النظرية العملية، أو مقتضى النفس الذاتية والوجوب الذاتي الظاهر الأحكام، الأول في حقيقة الولاية، وأعلام الثاني في صورة النبوة ويستمد من غيب الأول اسم الله الأعظم (كهيعص)، ويستعد لاستفاضة الأنوار من حينه. والثاني الاسم الأعظم الآخر أعني (حمعسق).

مبحث الاسم الأعظم

وفي ليلة أربع وعشرين من ربيع الأول سنة (898) هجرية كنت أكتب هذا المقام، رأيت ذا الحضرة وخاطبني وأمرني على المواظبة على قراءة هذين الاسمين وقال: إن هذين الاسمين من أسماء الله العظمى، فمن أراد أن يعظمه الله في الدنيا والآخرة فعليه أن يصلي على النبي ﷺ ثم يداوم على قراءة هذين الاسمين ما استطاع. فاشتغلت به فشاهدت في الحال والساعة تأثيرهما، ثم قال: والأمرية في أن هذين الاسمين مما يواظب عليه صاحب الزمان المظهر الموعود مهدي آخر الزمان (اخ وزم ١١٤١٥٠٠٩).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾ [الرَّحمٰن: 51] خاصية اسم الله الأعظم أم كمال قدرته وتأثير قوته.

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ [الرَّحمٰن: 52] أي في الجنتين المذكورتين، ثابتة في كل فاكهة صنفان ونوعان، أحدهما مقتضى النور والجمال، والثاني مرتضى الظل والجلال، أو من خصائص الولاية والنبوة، فخصائص الولاية هي التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، وخصائص ثمرات شجرة النبوة هي أقسام العلوم الحكمية وأصولها وفنونها وفروعها من الشرائع العلمية وهي العقائد العلمية الدينية والقواعد الإسلامية والعملية، وهي الأعلام البدنية أعني الشريعة والطريقة اللتين هما طريقة الحقيقة ومسلكها، وهي دين الحق ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: 19]، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ [الشّورى: 13].

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣﴾

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣﴾ [الرَّحمٰن: 53] من النعم الدينية والمنح الملية الفرعية والأصلية.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤﴾

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾ وبساطٍ ﴿بَطَآئِنُهَا﴾ أي الوجوه الباطنة جمع بطانة وهي الوجه الباطني من الثوب وغيره ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ﴾ وهو عجمي من استبطرٍ ومن ديباج سخين. ولما كانت حال البطانة هذه فما ظنك بالظهير ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 54] اسم فاعل من دنى يدنو دنوًّا إذا قرب، أي يتعاطى من أثمار الجنتين ويتناولها القاعد والمضطجع والقائم والمفترش والنائم، وجنى مصدر مضاف إلى مفعول فيكون بمعنى المفعول أي مجني أثمار أشجارهما قريب من كل قاعد ومضطجع ونائم، إشارة إلى أن دار الآخرة دار السلام، سكانها سالمون من التعب والعناء، جنى بي حال الأكل والوطء.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥﴾

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥﴾ [الرَّحمٰن: 55] فإن سهولة تعاطي ثمار دار

الآخرة أيضًا نعمة إذا أينعت، والعنا ينغص العيش وينقض اللذة والذوق والتلذذ والشوق ويزيد الطيش.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي زوجات قد قصرت وانحصرت أبصارهن على أزواجهنَّ لا يلتفتن إلى غيرهم ليشوش خاطرهم ويتفرق ضمائرهم ويتخرق سرائرهم ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ ويمسسهن ولا يصيبهن ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرَّحمٰن: 56].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧﴾ [الرَّحمٰن: 57] هذه النعم والمنح الظاهرة لا تحتاج إلى البيان.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرَّحمٰن: 58] صفات النساء المذكورة، أي بشرتهن كالياقوت الأبيض ووجوههن وشفاههن في الحمرة كالمرجان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩﴾ [الرَّحمٰن: 59] في كمال حسنهن.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرَّحمٰن: 60] أي ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان الصادر عن المحسن إلا الإحسان الأحسن، والجزاء الأجهر الأبين ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النِّساء: 86].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١﴾ [الرَّحمٰن: 61] وحكم الآية عام للخالق والمخلوق.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآيتان 62، 63] لما ذكر الجزاء ذكر بعده مثله وهو جنتان أخريان كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: 26]، والمراد من دونهما أي هاتان الجنتان دون تلك الجنتين في الشرف، هاتان الجنتان لمن هو دون الخالفين المقربين من أصحاب اليمين. قال أبو موسى الأشعري: جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين. وقال بعضهم: هنا أربع جنات، جنتان للمؤمنين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان من فضة للخالفين من أصحاب اليمين، والجنتان الأوليان من ذهب والأخريان من ياقوتة.

إشارة وتأويل

واعلم أن الذات من حيث إنه ذات ظاهرة بعنوان الذات لا بعنوان الأسماء والصفات بأغيار النور والجمال والظل والجلال الذاتي لا الوصفي جنتين، ومن أنها ظاهرة بعنوان الأسماء والصفات الذاتية جمالًا وجلالًا أيضًا جنتين، ومن أنها ظاهرة بتجلية الأسماء الآثارية بوصف النور والجلال أيضًا جنتين، ، ولا شك أن الجنة الذاتية أعلى وأشرف وأبهى وألطف من جنة الأسماء الذاتية، وأعلى وأرفع من جنة الأسماء الأفعالية، وجنة الأفعالية أرفع من الجنة الآثارية. فقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ إشارة إلى الجنتين اللتين هما غير جنتي الذات وأدنى الجميع من الجنة الآثارية والخوف كالقرب والسنن متفاوت بالقلة والكثرة والشدة والضعف والثبات والدوام والزوال.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾

﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: 64] من هذه الجنتان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾ [الرَّحمٰن: 65] من هذه الجنات. اسم فاعل من ادهام يدهام ادهمامًا اخضرارًا في غاية الخضرة يضرب إلى السواد.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: 66]. فوارتان بالماء وظاهرتان على طريق النبع والانفجار، وهو أيضًا أقل مما وصف به إلا أنهما لا ينقطعان من النضح والغليان والازدياد والفوران. قال ابن عباس: ينفجران بالخير والبركة على أهل الجنة أو ينضحان وينفرجان نفح المسك والكافور على أولياء الله وينضحان بالمسك والعنبر في ديار أهل الجنة.

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: 68] قال بعضهم: النخل والرمان ليسا من الفاكهة، والحق أنهما من الفاكهة، ذكرهما للتعظيم وإشعار بعموم المعنى وكثرة احتياج الناس إليهما غذاءً وتداويًا. وذهب أبو حنيفة على الأول وقال من خلفه: أنه لم يأكل فاكهة فأكل رطبًا أو رمانًا لم يحنث.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾ [الرَّحمٰن: 69] في عدّها من الفاكهة.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرَّحمٰن: 70] أي في الجنات الأربع المذكورة نِعَم كثيرة ومنافع غفيرة وفوائد كبيرة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾﴾ [الرَّحمٰن: 71] من الآلاء المذكورة والنعماء المسطورة فيها.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرَّحمٰن: 72] أي قصرهن في خدورهن. يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة إذا كانت مقصورة محتجبة، ومقصورات الطرف والأبصار على أزواجهن متمكنين ومتمكنات في الخيام، يدل على كمال اللطف والعناية وهو أن المؤمن في الجنة في غاية التنعم حتى إذا أراد شيئًا

واشتهى أمرًا لا يتحرك إليه بل المراد والمشتهى يميل إليه ويتحرك بالطوع لله، فإن الحور في بيوتٍ، والمؤمن في قصور، فالحور ينتقل من الخيام أو البيوت إلى المؤمنين إذا أرادوا واشتهوا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾ [الرَّحمٰن: 73] تنكران مع كثرتها وجلالتها.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: 74] وإنما كرر إشارة إلى ما في الجنتين من الحور وأحوالهن من كونهن غير مطموسة في الجنات وأنهن محفوظات إلى أن يصل المؤمنون، أي لم يتصرف فيهن أحد من الإنس والجن قبل المؤمنين.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: 75، 76] نصب على الاختصاص والتذكير على التغليب ﴿رَفْرَفٍ﴾ جمع رفرفة وهي السرير أو رياض الجنة ﴿خُضْرٍ﴾ بضم الخاء وسكون الضاد جمع خضر بضمتين ﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ اسم بلدة من بلاد الجن في عالم البرزخ والخيال ينسبون إليه كل شيء عجيب ﴿حِسَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: 76] جمع حسن محمول على المعنى.

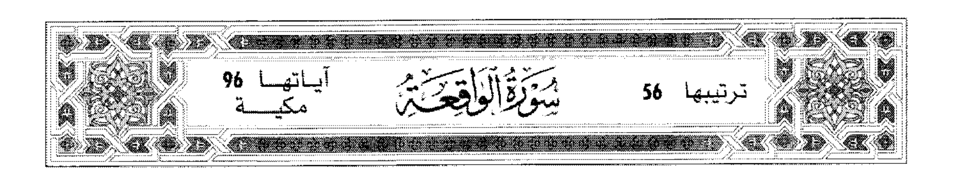
﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: 77] من النعم الإنسية والجنية والغرائب المستحسنة والعجائب المستغربة.

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿تَبَٰرَكَ﴾ وتعالى وتعظَّم ﴿ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ وهو عين المسمى ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ صاحب النعم الجلالية ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: 78] والمنح الجمالية. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الرحمٰن) شكرًا أنعم الله عليه**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي عين عند انقضاء كل دورة وانتهاء كل كورة ووقوع واقعةٍ، وقيام قيامة ساطعةٍ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي ميز أصحاب اليمين عن أصحاب الشمال ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي ميز السابقين بقصبات السبق بالتحقيق بحق اليقين.

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ ﴾

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ ﴾ [الواقِعَة: 1] وحدثت القيامة وظهرت الساعة ودامت، وإنما سماها واقعة لتحقق وقوعها، وإذا منصوبة بمحذوف مثل اذكر أي إن وقتًا تظهر فيه ساعة وتقوم قيامة فإذا وقعت كان كيت وكيت.

﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾

فإذًا ﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا﴾ ووقوعها ومجيئها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ [الواقِعَة: 2] كذب أو نفس كاذبة أي لا تكون في وقت تقع فيه وتظهر فيه نفس تكذب على الله لأن كل نفس حنيفة مؤمنة صادقة، يعني إذا وقعت القيامة الواقعة والزلزلة الواقعة الدافعة يعترف بها كل أحد إن رأى وكان موجودًا ولا يتمكن أحد من إنكارها ولا يبطل عناد المعاندين، ولا يزعجه ولا يرتفقه لجاج المنافقين واحتجاج الكافرين واستشاح الملحدين الجاحدين، فينخفض الكافرون في دركات النار ويرتفع المؤمنون الموحدون في درجات الجنات والمحققون في جنات التجليات،

ويتردد الملحدون الموحدون في البرزخ بين الدركات والجنات. فإذا غلب حكم السلطان التوحيد جذبه إلى الجنة، وإذا غلب حكم الإلحاد جذبه إلى النار ومنعه التوحيد لقوله عليه السلام: «**لا يدخل النار أحد يقول لا إله إلا الله**» إلا يكون مع الإلحاد كبر لقوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة كبر**».

فإذا وقعت الواقعة تزلزل الناس فينخفض المرتفع، ويرتفع المنخفض، فيجعل الأرض عالية، والسماء سافلة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 48] ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48] والعامل إذا ليس جزاء الشرط.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾

﴿خَافِضَةٌ﴾ تقوم في الدرك الأسفل ﴿رَّافِعَةٌ﴾ [الواقِعَة: 3] تقوم في أعلى عليين لأن الواقعات العِظام من الطوافانات التمام والحادثات من شأنها رفع أقوام ورفع خواص وعوام، كما أن الانتقال من دورة إلى دورة تبدل الأرض غير الأرض وتنزل السماء في الطول والعمق والعرض، وتحول العذاب عذبًا، والعذب عذابًا، والنار جنة، والجنة نارًا، والنبوة ولاية، والولاية والربوبية عبودية، والعبودية ربوبية، والظاهر باطنًا، والباطن ظاهرًا، والجسد روحًا، والروح جسدًا، والبر بحرًا، والبحر برًّا، وكذا أحوال الأعيان من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان وغير ذلك من الأكوار.

والطوفان مثل إذا انتقل حكم النور والجمال وسلطنة فردانيته إلى الظل والجلال صارت الدنيا آخرةً والآخرة دنيا، وكانت السماوات أرضًا والأرض سماءً، والجنة نارًا، والنار جنة، والنبوة ولاية والولاية نبوة، وانتقلت نعوت اللاهوت جبروتية، والجبروت ملكوتًا، والملكوت برزخًا، والبرزخ ملكوتًا، والملك ناسوتًا، والناسوت لاهوتًا، والمتبدل ما في المراتب من الشؤونات الذاتية والأعيان الثابتة والجواهر النورية والأنوار القاهرة والنفوس العاملة المجردة، والأرواح المقدسة والأشباح المدنسة والأملاك العالية والسافلة، والأفلاك النورية والغاشية، والعناصر والمواليد الثلاثة، وهذه الإشكالات كلها تنتهي إلى مرتبة الناسوت ومنها ترتقي وتتصاعد إلى أعلى المراتب، وهو غيب الغيوب والأحدية واليقين النوري الجمالي الوجودي أو الظلي الجلالي العدمي الإفرادي.

ثم بعد ذلك إلى الكمال الجمعي والوصال المفرد، وذلك إما بعد مضي الأدوار الأربعة والأكوار المربعة الإفرادية والأطوار الجمعية المعية، وإما بالنسبة إلى تمام المراتب وما فيها من الأعيان والأكوان، أو بالنسبة إلى الأعيان المنفية والأشخاص الفاصلة المبينة إما في زمان معدود أو في زمان مجدود بالنسبة إلى فرد فاصل واحد كامل والذي هو عابد ومعبود وهو يسع الكل ولا يسعه موجود «**ولا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن، لا يسعني شيء ووسعني قلب عبدي المؤمن**»، هو ثبت توحيدي وموضع سري «**الذي أودعته تسعة وتسعين رحمة**» الحديث. فإن تمام المراتب وما فيها وجميع الأدوار والأكوار وما يشتمل عليها من الآزال والآباد وأزل الأزال وأبد الآباد كائن وحاضر في الوقت الحاضر الذي هو مظهر الآن الدائم الذي هو مجمع الأزل والأبد وأحايينه وعين مطلق الوقت الذي هو طرف التكوين الأول والإبداع والخلق والاختراع، وذلك الفرد هو صاحب هذا الوقت حاكم عليه، فإذا هو طاوٍ على الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية كلها، حاوٍ على المراتب وما فيها من الأعيان والأكوان، وما لها من الأحوال جلّها وقلها، فإن كل ما رفع في أزل الدورة العظمى، وأزل الدورة الكبرى والوسطى والصغرى، فهو حاضر لدى أمد الفرد الكامل، وكذا كل ما ظهر في دنيا كل دورة وكورة، وكذا كل ما خفي وجهر في آخرتها، فهو حاضر عنده ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يُونس: 61] الآية. وهذا الحكم وإن كان عامًّا نظرًا إلى الكل إلا أنه ليس لصاحب هذا الأمر شعور بهذه الكلية، والمراد هو هذا الشعور.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ [الواقِعَة: 4] أي تحركت الأرض الاستعدادية التي هي خزينة الدورة النورية الجمالية التي كانت أعمال أعيان كل دورة من هذه الأدوار وأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم كاملة فيها، كامنة لديها قبل تعيناتهم، فإذا ظهرت فيهم شيئًا بعد شيء وتفصلت بعد الإجمال، وازدادت وتفصلت بالأحوال، على ما كانت عليها من الاتصال والانفصال وعادت إلى ما كانت عليه، وصارت فيها ثابتة، فإذا انتهت فردارية حكم النور والجمال وانتقلت

الفردارية إلى دورة أخرى تبدلت سماوات تلك الدورة وأرضها، وقامت منسوبة إليها، ووقعت الواقعة التي اقتضتها هذه الدورة الثانية.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ [الواقِعَة: 5] أي تفتت وتفرقت أجزاؤها.

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾

﴿فَكَانَتْ﴾ الجبال أو الأوتاد والأغوال والتلال ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقِعَة: 6] متفرقة ورجعت الأجسام إلى أصولها وهي الجواهر الفردة والوحدات الأولية والنسب الذاتية والإضافات الأولية فحينئذ نزلت الأرض الاستعدادية التي كانت للدورة الأولى خزنة، قد ثبت أعمال أعيانها فيها ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزّلزَلة: 1 - 8].

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾

﴿وَكُنتُمْ﴾ في فردارية سلطنة ربّ تلك الدورة ﴿أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقِعَة: 7] أصناف مثلثة لما تقرر من أن كل شخص أحواله ثلاثة واعتبار مثلثة أحدها إلى نفسه، والثاني إلى ما فوقه، والثالث إلى ما دونه، وهي أحوال تسمى التساوي في الإلٰهيات والكونيات أحدها ثلاثة، وكذلك كل نسبة، وأصنافه حاوية على هذه الوجوه الثلاثة.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾ [الواقِعَة: 8] وهي الجهة الأقوى، أعني اليمنى. قال النبي ﷺ: «**إن الله يحب المتيامن**»، وأهل هذه هم السوداء كما روي أن النبي ﷺ رأى آدم عليه السلام على يمينه السوداء من أولاده وعلى يساره الأشقياء منهم.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾ [الواقِعَة: 9] بيان الوجوه الثلاثة الأقوى والأعلى، وهو مكان الكبد وموضع الروح النباتي، والأصغر والأدنى وهو مكان الطحال الذي لا قوة فيه، والوسط وهو مقام القلب الذي هو منبع الروح الحيواني الذي يتصاعد إلى الجهة الحقيقة التي لا تتبدل أصلًا وهي الفوق ويقابلها التحت، وهذه الوجوه الثلاثة وهي التثليث الذي هو أصل السعادات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المَائدة: 73].

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الواقِعَة: 10] القاصدون الجهة الحقيقية، وهي جهة العليا والفوق، المتصرفون من جهة السفلية التي يتوجهون إليها، الأجسام الكثيفة والنفوس الخبيثة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقِعَة: 11] إلى الله العلي العالي، المسبقون المنصرفون عن الجهة السفلية وعالم الطبيعة التي هي المشأمة والشؤم والشآمة.

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾

أسكنهم ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقِعَة: 12] أي جنات يكون نعيمها من جنس نعيم الدنيا من المآكل والمشارب والمناكح.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [الواقِعَة: 13] فرقة من أصحاب اليمين الذين أسلم فريقهم، الذين هم توأمان على أيديهم، ولا يأمرونهم إلا بخير. والحاصل أن المعلول الأول والتعين الأول والعقل الكل الأول ثلاثة أوجه: وجه إلٰهي يلي الإلٰه، ووجه كوني هو النظر إلى نفسه، ووجه إمكاني نظر إلى ما دونه، فظهر الوجه الأول الذي هو أشرف الوجوه الموجودة ذو الجوهر الأشرف وهو العقل الثاني، وعن الوجه الثاني هو الأوسط النفس الكلية وهي اللوح المحفوظ، وعن

الوجه الأحسن وهو الإمكانية الموجودة والجوهر الأحسن وهو الجسم، وهذه الوجوه الثلاثة سارية في جميع الموجودات الممكنة الشريفة والخسيسة هي الأرواح الثلاثة التي تظهر في كل فرد من الحيوانات بصورة الدماغ والقلب والكبد والجسم، وكذا كل من هذه الأعضاء والأجزاء الثلاث حاوٍ على الوجوه، وجه إلى ربه، وبهذا الوجه يستفيض، ووجه إلى ما دونه، فهذا الوجه يفيض عليه، ووجه يقبل من الأعلى وهو ربّه. والوجه الأول هو القائم بالله وبالرب وهو الوجه الإلٰهي الذي هو باقٍ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: 88]، «**أن الله هو ثالث ثلاثة وما من إلٰه إلا إلٰه واحد**»، وأيضًا كل مولود إنسي يولد معه مولود جني، فإن وافقه في الأحوال والأعمال كان هذا المولود من أصحاب اليمين وهم السابقين، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الواقِعَة: 13].

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقِعَة: 14] إشارة إلى من خالفه المولود الجني وهم فرقتان: فرقة يخالفهم المولود الجني في بعض الأعمال وتوافقهم في بعض، وهم الفساق. ومنهم من يخالفهم في تمام الأحوال والأعمال فهم الكفرة والمشركون، وهذه الفرقة من أصحاب الشمال. ومنهم من قال: إن السابق هو الذي نشأ من أول العمر إلى آخره على الطاعة والعبادة بالإخلاص، ومنهم من خالف أمر الله وانصرف إلى المعصية ثم تاب ورجع إلى الله، وهم أصحاب اليمين، ومنهم من نشأ من أول العمر على المعصية والكفر فهم من أصحاب الشمال.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جمع سريرة وهي ما ارتفع عن الأرض ويُجلس عليها ترفهًا وتنعُّمًا ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقِعَة: 15] منسوجة من الذهب كما يوضب حلق الدرع في الدرر والياقوت فيها صفة لسرر من خبر آخر.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾ حال من ضمير موضونة أو من على سرر أي يستقرون عليها حال كونهم متكئين عليها ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الواقِعَة: 16] أي حالة المقابلة والتقابل حال

من فاعل متكئين، والمقابلة خير من المقاربة والمواجهة ألذ وأولى من المجانبة.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ للخدمة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقِعَة: 17] باقون ثابتون على هيئة الولدان ونعت الغلمان بلا تغير وتبدل إذ الآخرة دار الخلد والبقاء مع ما فيها من النعيم.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ بأقداح مستديرة ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ جمع إبريقٍ وهو كوز لها عروة وخرطوم ﴿وَكَأْسٍ﴾ قدح مملوء ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقِعَة: 18] خمر من خمور الدنيا.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ صداع الخمر أي لا خمار له كما هو شأن خمور الدنيا ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقِعَة: 19] أي لا تزول عقولهم.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَفَاكِهَةٍ﴾ وثمار رطبٍ ﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقِعَة: 20] ويختارون بطيب أنفسهم ومثل خواطرهم.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقِعَة: 21] ويريدون بالاختيار واستطابة القلب.

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقِعَة: الآيتان 22، 23] عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أو فاعل الظرف المحذوف، أي منها حور.

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الواقِعَة: 24] أي لأجل جزاء أعمالهم ومعمولاتهم.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ مهملًا لا طائل تحته وباطلًا لا فائدة له ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقِعَة: 25] أي أمرًا يودي به إلى الإثم، أو إلى أمر يقال له إثم.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِلَّا قِيلًا﴾ ومآلًا ومقالًا وقالًا، والقيل والقال مصدر قال ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقِعَة: 26] بدل من قيلًا، أي لا يسمعون فيها لغوًا إلا سلامًا، وتكراره يُشعر بأن المسلم والمسلم له متعدد.

لما علمت أن كل مولود إنسي محتوٍ على مولود جني وبالعكس إذ الإنسان باب الأبواب، ولكون الإنسان بداية الكائنات ونهاية المكونات لأكوان حال منها كما قال: «**لولاك ما خلقت الأفلاك**»، و«**أول ما خلق الله نوري**»، «نحن الآخرون السابقون».

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الواقِعَة: 27] وفي هذا الاستفهام بإيراد الموصول للإبهام تفخيم وتبجيل وتعظيم وتعميم مع أنه بيان وتفصيل لما تقدم، فيه مبالغة من الفرق التي غلب عليهم مقتضى الوجود الذاتي والوجه الإلٰهي الذي اقتضى انقياد المولود الجني للمولود الإنسي في الوجه الإنسي.

﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾﴾ [الواقِعَة: 28] أي شجرة النبق بالفارسية كنار أي التي لا شوك فيها من خضده إذا قطعه أو ثنى أغصانه من كثرة حمله من خضد بالعضد إذا تناقره وقطعه، سدر مخضود أي مقطوع الشوك.

﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَطَلۡحٖ﴾ شجرة موز وغيلان وله أنوار كثيرة وأزهار كبيرة طيبة الرائحة ﴿مَّنضُودٖ﴾ [الواقِعَة: 29] متراكم من نفث السحاب إذا تراكم استعير من طلح يقدمونه أنضاد القوم جماعتهم، ونضد الرجل إذا تقوى نحو أشبه أقاربه من الأعمام والأخوال.

﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقِعَة: 30] منبسط ممتد لا ينقص ولا يتفاوت.

﴿وَمَآءٍ مَّسۡكُوبٍ ۝٣١﴾

﴿وَمَآءٍ مَّسۡكُوبٍ ۝٣١﴾ [الواقِعَة: 31] ومناض منصوب أي يصيب لهم ماء كيف شاء وأين شاء وكما شاء بلا تعب لما شبه السابقين الذين غلب عليهم الوجه الإلٰهي والوجوب الذاتي، وقلَّ أحكام الإمكان بحيث غلب حكم المولود الإنسي على المولود الجني بأن هاجم سلطان النور والجمال على الظل والجلال.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢﴾

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢﴾ [الواقِعَة: 32] الأجناس والأنواع.

﴿لَّا مَقۡطُوعَةٍ وَلَا مَمۡنُوعَةٍ ۝٣٣﴾

﴿لَّا مَقۡطُوعَةٍ﴾ مطروحة على الأرض لتقل الرغبة بها ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٍ﴾ [الواقِعَة: 33] تناولها ولا ممتنع تعاطيها وجنسها بأن تكون على الأشجار الرفيعة على المواضع الشاهقة وغير ذلك من المواضع والقواسر.

﴿وَفُرُشٍ مَّرۡفُوعَةٍ ۝٣٤﴾

﴿وَفُرُشٍ مَّرۡفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ [الواقِعَة: 34] القدر أو منضدة مرتفعة. وقيل: المراد هن النساء وارتفاعها على أنها على الأماثل والأعاظم أو هي يكنى بها بالفرش المرفوعة على الآرائك لقوله تعالى: ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ [يس: 56].

﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝٣٥﴾

﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝٣٥﴾ أبدانًا وخلقنا منهن ابتداءً جديدًا من غير توالد أم وأب في بداية كل دورة وأول كل كورة. عن رسول الله ﷺ حين سألت أم سلمة عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ [الواقِعَة: 35] قال: «**يا أم سلمة هنّ اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطًا عمشًا رمصًا، جعلهن الله بعد الكبر أترابًا على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهنَّ**».

﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦﴾

﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦﴾ [الواقِعَة: 36] قال رسول الله ﷺ: «**سمعت عائشة ذلك فقالت: وأزواجنا؟ قال: ليس هناك رجع لأنه دار السلام والسلامة، فقالت**

لرسول الله: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: إن الجنة لا يدخلها العجائز. فولّت وهي تبكي، فقال ﷺ: أخبروها أنها ليست يومئذ عجوز» وقرأ الآية.

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقِعَة: 37] جمع عروب وهو العاشق، أي هن عواشق متحببات إلى أزواجهن. قيل: غنجات أو حسنات الكلام مستويات في السن. قال النبي ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة جُردًا مُردًا بيضًا جعادًا مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوله ستون ذراعًا في سبعة أذرع أهل الجنة، لكل واحد ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة، وينصب له فيه من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، وإن أدنى لؤلؤ يضيء ما بين المشرق والمغرب يكون عليها سبعون ثوبًا لا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقهنَّ من وراء ذلك**».

﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [الواقِعَة: 38] متعلق بأنشأهنَّ أو صفة لأبكارًا.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الواقِعَة: 39] قليلة من أعيان دورة الجمال.

﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقِعَة: 40] أي من أكوان كورة الجلال التي استقرت مقتضيات النور والجلال بمرتضيات الظل والجلال، فإن كانت الموافقة من جانب المولود الجني يصير صاحبه مجذوبًا، وإن كان بالعكس يصير سالكًا.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ أي الغالب عليه الأحكام الإمكانية. واختلف الحكم بين المولودين، وغلب حكم الظل والجلال ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقِعَة: 41] في الدورة الكبرى والوسطى والصغرى.

﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فِى سَمُومٍ﴾ على ما يقتضي المولود الجني الضمني في الدورة الكبرى، وهو

كيفية متممة نافذة تخرق أي موضع يصل إليه من الأعضاء والأجزاء ﴿وَحَمِيمٍ﴾ [الواقِعَة: 42] ماء حار يقطع الأحشاء في الدورة الوسطى.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقِعَة: 43] أي دخان شديد السواد. يقال: أسود يحموم إذا كان شديد السواد يهلك بشدة سواده هولًا وتخفيفًا بهذه الدورة الصغرى.

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقِعَة: 44] أي لا بارد النظر والمنزل. روي عن عبد الله بن عمر قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قبة فقال: «**أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ فقلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**»، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأحمر. وذهب جماعة إلى أن الثلثين من هذه تامة، وجماعة أخرى إلى أن ثلة من الأولين من سابقي هذه الأمة، وثلة من الآخرين من هذه كرامة في آخر الزمان وهي المطهر الموعود وأتباعه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ الأمر المذكور الأخروي وهو الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ [الواقِعَة: 45] متنعمين منعمين في أجزاء اللذّات النفسانية.

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ يبالغون ويقيمون ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقِعَة: 46] الذنب الكبير والعصيان الكثير وهو الشرك، أو اليمين الغموس، فذلك أنهم يخلقون ولا يمنعون.

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ﴾ في البعث والحشر ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ بالية وأجزاء هبائية متفرقة بعضها في كرة النار وبعضها في طبقة الهواء، وبعضها في مرتبة المادة، وبعضها في قعر البحر ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقِعَة: 47] تجتمع أجزاؤنا

المتفرقة على المنهج المذكور والنهج المزبور، وتتكوَّن أبداننا. وتكرار الهمزة الإنكارية للمبالغة في الإنكار.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الواقِعَة: 48] وإنما أفردوا بالذكر لشدة استحالته.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من الآباء والأمهات في الأدوار السابقة والأكوار السايقة ﴿وَٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الواقِعَة: 49] الذين يأتون من بعد.

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ يوم البعث والحشر ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقِعَة: 50] ووقت معين معلوم، وهو الجمعية العظمى والكلية الكبرى التي يجتمع فيها الأولون والأعيان النورية في الأدوار النورية الوجودية والأكوار الظلية العدمية الأولية والأخروية، إشارة إلى أن القيامة نوعان: جزئية، وهي قيامة الدورة المخصوصة والكورة المنصوصة الإفرادية. وكليَّة، وهي قيامة الجمعية في الأدوار والجمعية في الأكوار الإفرادية وجمعية جمعيتهما، ومر أيضًا أربعة، فأصل القيامات إثنا عشر، أربعة للأدوار النورية، وأربعة للأكوار الظلية الإفرادية، وأربعة لجمعيتهما وذلك عند انتهاء فردارية كل دورة منها تظهر الساعة وشرائطها.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿ثُمَّ﴾ عند انتقال الفردارية تقوم القيامة وتدوم الندامة بعد تبدل السماوات وانشقاقها وانصكاكها وانفطارها وإثبات النجوم وانفكاكها ﴿إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ [الواقِعَة: 51] أي الأعيان النورية التي غلبت مقتضيات الصفة الإمكانية والصفة الجلالية والهيئة الظلية تكذبون القيامة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى لانتفاء شرط التصديق بها، وهو علية حكم الوجوب الذاتي وموافقة المولود الجني المولود الأنسي.

﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾

﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الواقِعَة: 52] أي تأكلون من شجرة تكذيب

القيامة ثمرة الزقوم الإنكار، والزقوم تجتمع فيه الجهات المهلكة تدركها الحواس الخمس الظاهرة وهي الحرارة المهلكة المفرطة السمية والرائحة الكريهة المنتنة، والحرارة المحرقة المهلكة، والصورة الهائلة الموحشة، والأسود في الغاية حتى بلغ مبلغ الإهلاك وله كيفية مقطعة الأحشاء والكبد والأمعاء، وتحرق الأرواح والنفوس والأشباح.

﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الواقِعَة: 53] فمن الأولى الابتدائية الثانية للبيان والثالثة للتبعيض.

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي على أكل الزقوم وامتلاء البطون منه عند غلبة العطش ﴿مِنَ﴾ الماء الحار في الغاية وهو ﴿ٱلْحَمِيمِ﴾ [الواقِعَة: 54] البالغ حرارته إلى حد يحرق ويفتت ويقطع ما يصل به.

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَشَٰرِبُونَ﴾ تلك الماء الحارة القطاعة شربًا يكون مثل ﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [الواقِعَة: 55] أي مثل شرب الإبل التي لديها داء. يقال: الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء، وهو جمع الهيم. وقيل: الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي يتماسك. والمعنى أنه يسلط عليهم الجوع بحيث لا يملكون أنفسهم بأن يمسكوا بها عن أكل الزقوم كما لا يمسك بعض الرمال بعضًا وهو كدردي الزيت الحار في الغاية قد اكتسبها من نار جهنم لا من نار الدنيا التي هي أنزل سبعين مرتبة من نار الآخرة ولا يعلم حدّة حرارتها ولا شدة حرارتها إلا الله، فإذا ملأ بطونهم من الزقوم غلب الكبريت والعلق وشدّة العطش، واضطروا إلى شرب الحميم الذي يقطع أحشاءهم أي تقطعت أبدانهم وأمعاؤهم فيشربون شرب الهيم الماء بأن لا ينتفي بنفي كيفيتها في الرمل، فإن يشربون الحميم كما يشربون بعد الحميم في أحشائهم وأمعائهم ويحرقها ويقطعها يكفيه عن عينه يختفي فيها ويكتفي. قال النبي ﷺ: «**لو أن قطعة قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم**»،

فكيف عمن يكون طعامهم من هذا القدر الذي أكلوا من الزقوم.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ وما حضر منه لهم حال نزولهم ضيافة لهم، فكيف عن أدوارهم ونصيبهم ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقِعَة: 56] يوم الجزاء الذي يجازون فيه بأعمالهم.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئًا وأنتم تعلمون ذلك ومع هذا تشركون بالله ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ [الواقِعَة: 57] تحضيض على التصديق إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنهم لما كانوا ندبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم يكذبون به، وإما بالبعث ولأن من خلق أولًا مادة وإن كان لم يمتنع عليه ثانيًا وثالثًا ورابعًا في الأدوار والأكوار عند انقضاء فردارية الدورة وانتقالها إلى فردارية دورة أخرى إفرادية كانت أو جمعية.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الواقِعَة: 58] رد على المشركين الطبيعيين، فإنه تعالى قال: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [الواقِعَة: 57]، قالوا: نحن موجودون في النطف، فكل أحد منا نطفة أحد آبائنا، فقال ردًّا عليهم: هل رأيتم ما تمنون، (ما) مصدرية أي حاصل للمصدر يعني منيكم هذا وأنتم جئتم من حقير، والمني ما أبين يحملهن غير قادر على الازدياد والنشور والمعاينة والتصوير من الكدة والتربيع والتثليث والاستدارة والتكييف، والمخروطة والاسطوانة والتضلع والتجويف والتصحيف وغير ذلك من الأشكال أو الأطوار. وكذا نبات لا روح فيها ولا حس ولا حركة، ولا إدراك ولا الأفعال المختلفة والأعمال المتقطعة، ومن البيِّن أن النقطة لا تقدر على شيء في نفسها من هذه الأمور بل لا بد فيها من فاعل ومؤثر آخر يكون واجب الوجود عينًا بذاته غير الجهات والمجهود لا يحتاج إلى شيء أصلًا لا في التكوين والإدراك والإحساس والشهود، بل يكون في ذاته كاملًا بذاته، كافيًا في كمالاته.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ [الواقِعَة: 59] أي المني آلة الأمر في الظاهر في المرتبة الثانية

مادة أبدانكم وتنصرفون فيه لتبليغ غاية كماله ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقِعَة: 59] المني أولًا في أصلاب الآباء، ثم ننزله في رحم الأمهات ونقرّه فيها ونقلبه من طور إلى طور، ومن حالة إلى حالة إلى أن بلغ الغاية ووصل النهاية، وإذا انتهى بطوراته وانتهت استحالاته في تدبير ثلاثين يومًا، وكذا في تدبير المشتري والمريخ أربعين يومًا، فلما بلغ التسبب والتسبيب في أربعة أشهر وعشرًا إلى تدبير الشمس وهي منبع الحياة، نفخ الله تعالى في الجنين في شمس واحديته وجبروته وأمره وملكوته روحًا إليها وفرحًا وروحًا زمانيًّا، وهذا ينصرف ويتدبر فيه بإعطاء الشهوة التي هي مبدأ حفظ الشخص وإبقاء النوع بتوليد المني الذي هو سبب الظاهر لتوليد المثل، ثم إذا انتهى التدبير الإلٰهي إلى عطارد واسم البصير الذي هو مدارك تنزل الحياة والعلم والإدراك وتمَّ عليهم التدبير الرباني في ستة أشهر أمكن أن يلد المولود كاملًا مدركًا ويعيش كما أشار إليه بقوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، وقال: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البَقَرَة: 233] مدة الإرضاع، فيبقى الحمل والفصال ست أشهر لمنزلة أدنى مسكة من الإدراك. ومن تأمل في هذه التدبيرات والتصرفات وبكل حقيقة هذه المعارف والإدراكات يحكم بالضرورة بوجود خالق واجب الوجود، غني بذاته عن غيره في كمالاته في الجهات الست وتمام الحدود.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠﴾

فإذًا ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ والحياة، رد على المنجمين الذين يسندون التأثيرات والخلق والتدبيرات إلى الكواكب والنجوم وأوضاعها واتصالاتها الكلية والجزئية، وكذا ينسبون الموت والحياة إلى الأنظار التي تقع بينها وإن كان بخارًا انتهى يسير الطالع إلى كوكب أو موضع نحس قاطع فيقطع عن صاحبه، وإن كان بالعكس فبالعكس ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقِعَة: 60] بمغلوبين في القسمة والتدبيرات إشارة إلى من رد إسناد الخير إلى الله تعالى والشر إلى أمر من الشياطين وهم المجوسيون الذين وضعوا هذه العقيدة في العالم أربعة آلاف سنة إلى أن جاء الإسلاميون فدخل الله بهم فلم يبق منهم إلا شرذمة قليلة منهم، وعلى أهل القدر حيث قالوا: إن العباد خالقو أفعالهم وهم المعتزلة التي هي مجوس

هذه الأمة. قال النبي ﷺ: «**القدري مجوس هذه الأمة**». فبقي أهل الحق من أهل السنَّة والجماعة من أرباب الكشف والشهود والصوفيين المتحققين والحكماء المتألهين.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦١﴾

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ﴾ جمع مثل، أي على أن نبدل أشباهكم ونظائركم من الخلق، أي لسنا بعاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم وأشباهكم ﴿وَنُنشِئَكُمۡ﴾ فيها ﴿فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الواقِعَة: 61] أي في صور لم تكونوا تعلمونها، صور القردة والخنازير والذئاب، وصور سائر السباع والحيات، وهيئات باقي الحيوانات من الطيور والدواب، وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا من أمثالكم ما فرضنا في الكتاب من شيء، يعني خلقناكم في الأدوار النورية في شؤونات متعددة وشؤونات متبددة، وبهيئات متجددة، فإن في كل دورة من الأدوار الأربعة النورية، وكذا في الكورة العظمى الظلية ينعتون بتعينات مختلفة غريبة، وتظهر الهيئات متعاطفة عجيبة، تارة بالنعوت الملكية، وأخرى بالتكوينات الأهرمانية، وأخرى بصور ظهورية كالسيمرغ والعنقاء والرخ والقفش والنثر والدال والميران والشامباز، أو بالصور السبوعية كالهرِّ والأسد والنمر وغير ذلك كما قدمت في مفتتح سورة ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ﴾ [الإسرَاء: 1] في السماء بتصرف، وكذا في الدورة الكبرى النورية الوجودية والوسطى النورية لكم نشآت شتى وشؤونات لا تعد ولا تحصى بصور متناسبة وهيئات متقاربة لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم في الشؤونات والناسوت في تطور الشؤونات وتنوع البرزات.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [الواقِعَة: 62] تحضيض في التذكر وتحريض على الاعتبار والعبرة في ما تقدم من الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية، فمن العارفين من له نشأة في أدوار كثيرة وتطورات غفيرة في أكوار كبيرة وبروزات متطورة وسرورات غير متكررة على وجوه وجهه وشكره بهجة.

مطلب
حكاية ردّ المؤلف ـ نفعنا الله بأنفاسه القدسية ـ على الخضر ـ عليه السلام وقدّس سرّه ـ

واعلم أني رأيت حضرة الخضر عليه السلام وعلى رأسه تاج بصورة تاج درة عمر عليه الرحمة، فسألت عنه: ما هذا التاج؟ قال: منذ وضعته في رأسي عشرون ألف دورة من الأدوار الإلٰهية، قال لي: أردت أن أضع في رأسك تاجًا ساذجًا مشتملًا على أربعة وصلةٍ وترك وليكن أرفع خضر وقد أخبرته بتسعون ألف دورة كل دورة عبارة عن ثلاثمائة وستين ألف سنة، وكل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، ومقدار كل يوم خمسة آلاف سنة، فإذا بعد ساعة رأيت درة عمر فسألت عن هذه النشآت وما لها من الحالات والمقامات والشؤونات، فقال: لي من هذه الدورات ومما بها من الأحوال والمشاهدات، فذكرته وجعلته متذكرًا منها، فقال: نعم تذكرت بعضًا منها. ثم قال لي الخضر: أتعرف هذه النشآت؟ قلت: نعم، فقال لي: سر ودُر معي. فأخذت في السير فسرت على هذه الأدوار أولًا وثانيًا فرأيت في كل دورة من الأدوار وفي كل كورة من الأكوار من عجائب قدرته وغرائب حكمته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الرُّوم: 17، 18].

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الواقِعَة: 63] تبذرونه وتنشرونه بالبزر.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقِعَة: 64] المنبتون.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ هشيمًا تذروه الرياح ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أصله فظللتم فحذفت إحدى اللامين أي لصرتم ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقِعَة: 65] تعجبون مما نزل بكم في روعكم، أو تندمون مما قدمتم بأيديكم من المعصية والتفكّه والتنقل بصنوف الفواكه، وقد يستعير للتنفل بالحديث.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الواقِعَة: 66] لملزمون والملتزمون غرامته، أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ﴾ [الواقِعَة: 67] حرمنا رزقنا أو مهدودون أي حرمنا عما نطلبه من الزرع وتحصيل المنافع والربح.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الواقِعَة: 68] وتمتعون به وتنتفعون به.

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب الممطر ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقِعَة: 69] أي ثبت لنا الإنزال من السحاب.

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ مالحًا جدًّا أو مرًّا في الغاية بالغة في الكيفيتين في النهاية ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقِعَة: 70] تحضيض وترغيب وتحريض على الشكر.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الواقِعَة: 71] تقدمون وتستخرجون النار من الزند والعرب تقدح بعودين بحك أحدهما واصطكاك واحد منهما على الآخر ويسمّون الأعلى الزند والأسفل الزندة وسهومهما بالحك والطروقة.

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ التي منها الزند ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقِعَة: 72].

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ [الواقِعَة: 73] أي صيرنا النار من الزناد أو الشجرة التي منها

الزناد ﴿تَذْكِرَةً﴾ للنار الكبرى إذا رأى النار الناظر ذكر نار جهنم وخاف منها، قال بعضهم: جعلها موعظةً للمؤمن يتعظ بها ويعتبر منها. قال النبي ﷺ: «**نار بني آدم التي توقد من جزء إلى سبعين جزء من نار جهنم، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فإنها فضلت عليها تسعة وتسعين**»، ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقِعَة: 73] أي بلغة ومنفعة للمسافرين ينتقلون بها إلى شعابهم، وللحاضرين والمسافرين يستضيئون بها في الظُلَم ويصطلون بها من البرد، وينتفعون بها في الطبخ والاستنجاء المقوي وهو النازل في الأرض قيل للمقرين المقيمون بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين في جميع المنافع.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقِعَة: 74] الدالة على التنزيه عن التشبيه الجمالي النوري.

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ [الواقِعَة: 75] بمنافعها ومنازلها أي فلا يكون الأمر على ما أنتم عليه يا معاشر الكفار، أقسم على صحة ما ذكرنا.

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقِعَة: 76] اعتراض وإعراض لأنه اعترض بين القسم والمقسم عليه.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقِعَة: 77] واعترض لو تعلمون بين الموصوف وصفته وهو عظيم. وقيل: مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن ونزولها إذ أوقات نزولها ولها شرف وكرامة على غيرها عند الحق والخلق لأنه يخبر عن خالق الأشياء وأحوالها وخصائصها ولوازمها، وعن أوقات حدوثها ووقوعها بأن للقرآن وآياتها بل لكلماتها وحروفها دلالات على حوادث غير متناهية دلالة مطابقية وتضمنية والتزامية بطريق الرمز والإشارات والإيماء والبلوغ والكفايات والتعليم وغير ذلك كما دل قوله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ

بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الرُّوم: 1 ـ 4] على خروج بحور وحسن بك غلبة الروم وحسن بك وكذا ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعرَاف: 1]، وقوله: (ص وق وان دي الك رب ل ال ذي بكف رواق س ع زه وش قاف) سيطلع الليل من النور مشرق بمطلع اعتراف قسيمه، يختبر ال م ص سيما ال م ص ٨٧١ سنون في هذا التاريخ مفصلًا ببضع (ح س ن) وفي نهاية بضع (٨٧١) قد صار مغلوبًا بغلبة سلطان محمد رومي والقوال مستحون بأمثال هذه الرموز والدلالات.

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقِعَة: 78] محفوظ مصون بتمام أجزائه بما دل عليه من الإشارات والدلالات ثابت في اللوح المحفوظ.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقِعَة: 79] أي لا يطلع على اللوح من كتاب الله ولا يصل إلى اللوح المحفوظ إلا من تطهر من روث العلائق البدنية ولوث العوائق المدنية والنخاس الشيطانية والرجائس النفسانية.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقِعَة: 80] صفة ثالثة أو رابعة للقرآن وقوانينه بلا منصوب بمقدر.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١﴾

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ والقول الفاصل بين الطيب والخبيث أنتم يا معشر الكفار ﴿أَنتُم﴾ لها ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقِعَة: 81] ومدهنون كما يدهن في الأمر أي يمهل حابيه ولا يتصلب ولا يسعى فيه تهاونًا وتكاملًا.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي شكر رزقكم ونعمته الظاهرة والباطنة انقسام الرزق بينهما ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقِعَة: 82] لو وضعتم الكذب المتعمد موضع الشكر كما وضعتم نعمة شكر كتاب موضع تكذيبه والشرك، يعني جعلتم نصيبكم من القرآن تذليلكم.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الواقِعَة: الآيتان 83، 84] في هذه الحالة حالكم لخطاب: لو جعل المحتضر كائن وإلى حالاته ناظر، والواو للحال.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي إلى المحتضر منكم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقِعَة: 85] لا تدركون كنه حال تجرى عليه، وإني أقرب من أهل المحتضر إليه.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الواقِعَة: 86] مملوكين أو مجانبين أو غير محرومين أو غير مقيمين في مدن من قولهم: إذا تدين إذا أقام في مدن، وهو حينئذ فعل. ومنه المدنية وجمعها المدائن بلا تاءٍ، وعلى هذا الوجه معناه غير مقيمين في العذاب الدائم إذ منهم من شكره دائم. قالوا: لن تمسسنا النار إلا أيامًا معدودة.

﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

فحينئذ يقال لهم: إن كان كذلك: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي فلم لا ترجع إلى الدنيا إن لم تكن الآخرة دار الإقامة. والحاصل أن هذه الآية جواب ورد على المكذبين، منهم من كذّب العذاب، ومنهم قال بالتعطيل وأحال الأمر إلى الإتفاقيات ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقِعَة: 87] ومنهم من قال بالاختيار ومنع الحساب والعذاب مطلقًا. فمن قال بالاتفاقيات قيل في ردهم: إن كان كذلك ولم يكن محيي ومميت وقابض الأرواح، فإذا بلغت النفس والروح إلى الحلقوم فليرجعوا روحهم ونفسهم البالغة إلى الحلقوم إلى بدنهم، رد عليه وإن كان كذلك لا بد وأن يكون رجوعكم وعودكم إلى الدنيا والاختيار ومن قال بالاختيار، وقس عليه سائر النوع والردود، فإذا أبطلت هذه الأقوال صدق الله وصدق رسول الله وكتابه.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الواقِعَة: 88] من السابقين من الأزواج الثلاثة.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ أي استراحة واستطابة ورزق طيب ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقِعَة: 89] ذات نعم ونعمة كاملة، يعني من كان قد تقرب إلى الله صار ذا قرب وتجليات ذاتية وأسمائية وأفعالية وآثارية كل منها إلى ما يناسبها.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾ [الواقِعَة: 90] أي السالكين الغير المحدودين، وهم الزهاد من العباد من غير أن يصلوا إلى مقام التجليات في الطور السري.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقِعَة: 91] خطاب للنبي ﷺ بأن أصحاب اليمين سلامتهم حاصلة بأمر صادق به عليك فإنهم في أعلى عليين، هذا كما يقال لرجل قلبه تعلق بولده الغائب عنه فحينئذ أنت تقول له: كن فارغًا من جانب ولدك فإنه في روح وراحةٍ، ويحتمل أن يكون المراد من الكلام النبي ﷺ وأحواله ليكون تسلية لقلبه، فإنهم ادعوا بأنهم لا يحتاجون إلى شفاعته ولا إلى شيء من أحكام النبوة، فسلام وسلامة لك يا محمد منهم فلا يعبأ بهم ولا بتمردهم عنك وعن دعوتك إلى الحق، فالمدعو إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك حاصل من جانب جانبهم، فاللام هنا على هذا المعنى للأجل أي السلام والسلامة حاصل لأجلك من جانب أصحاب اليمين التابعين لك، فإن الله سلمهم وجعلهم سالمين من الكفار ومن دخله كان آمنًا.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ المدعو ﴿مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الواقِعَة: 92] وهم من أصحاب الشمال الذين قد يقتدوا بدرجة التقليد وبمرتبة التقلد والتجريد، وأنكروا المواعيد الشرعية وجحدوا التجليات الإلٰهية شهودها ومشاهدتها.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ [الواقِعَة: 93] إذا اطلعت على أفئدتهم نار الندامة والتحسر

وفقدان شهود تلك التجليات وقد قدت شرارة تهبب نار الحرمان عن مشاهدتها.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ [الواقِعَة: 94] أي الدخول فيها، إن هذا الأمر المذكور في بيان أصحاب اليمين وحالاتهم وشهود تجليات الله وصفاته وأفعاله وآثارها ومعاينة أنوارها والاطلاع على أسرارها.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقِعَة: 95] واعلم أن للعلم ثلاثة مراتب: علم اليقين سواء أفاده الاستدلال والدليل والبرهان والضرورة، وعين اليقين وهو الذي أفادته المشاهدة، وحق اليقين وهو التحقيق بها علم وبالعلم إن شاهد بغير اليقين أبان وجوده وعلمه وسمعه وبصره ولسانه وظاهره وباطنه وهو وجود الحق وعلمه علم الحق، وسمعه وبصره ولسانه وظاهره وباطنه هو الحق، كما قال: «**كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه**» الحديث، مثلًا أن السالك علم أولًا بأن الله علم وجوده حي عليم قدير مريد سميع بصير متكلِّم أول وآخر وظاهر وباطن، محيط بالكل سواء علم بالسماع والتقليد أو بالبرهان والدليل والتعليم، فإذا استحكم علمه وبلغ درجة اليقين، وارتفع حجاب العلم الحضوري، ونقاب الحكم الضروري، انتقل إلى العلم الحضوري الشهودي بأن صار المعلوم والمحكوم عليه مشاهدًا حاضرًا عنده، ويكون ناظرًا له بلا حجاب، وإن ارتفع الحجاب اليقيني والنقاب الشهودي بارتفاع الإثنينية واندفاع الهوية الغيبية والماهية العينية، اتحد الشاهد بالمشهود، والواجد بالموجود، والموجود بالوجود، فإذا تحقق العارف بالمعروف وصار في نفس الكل الظاهر والباطن، الآخر والأول ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحَديد: 3].

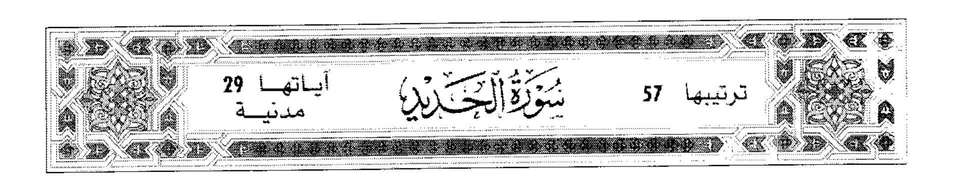
﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾

﴿فَسَبِّحْ﴾ وبعده ونزِّه الذات المستجمع لجميع الأسماء والصفات عن التشبيه النوري الجمالي ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ الجلالي ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقِعَة: 96] في فردارية الجمال وفي فردارية الجلال الصريح، قدِّس وسبِّح الذات المستجمع للأسماء والصفات

الجلالية ومن باطن الأسماء الجلالية وعينها على التشبيه الحاصل غير التسبيح والتقديس الجلالي، هذا في السير إلى الله ومن الله.

وأما في السير في الله فسبِّح وقدِّس للذات عن خصوصية الأسماء والصفات الجلالية، وهي باطن هذه الأسماء، فتسبيح الذات في السير في الله هو التشبيه في غير التنزيه، وتنزيه في غير التشبيه، فلا تشبيه ولا تنزيه لأنه في هذه الحالة عين التشبيه والتنزيه بوجه وغيرهما بوجه، والغيبة والغيرية كلاهما في نظر العارف حاضر، وهو في هذه الحالة قد تشاهد نفسه عين الكل والكل عينه إفرادًا وجمعًا فرادًا ومعًا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي حديد السياسة من سماء قهره وقضاء قضائه وإمضاء قدره في عموم البلاد لحفظ نظام أحوال العباد إلى يوم التناد ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي بيده الملك والملكوت يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي استوى على العرش الإلهي، وهو الجمعية العظمى والكلية الكبرى بإحاطة علمه بما يلج في الأرض الاستعدادية وبما يعرج إلى سماء الأحدية والقضاء الواحدية، وهو الكل ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وما في ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: 1] والسماوات النورية الجمالية في الدورة الوجودية هي من الأعيان الكونية والأكوان الربوبية الظاهرة في الأدوار الجمالية تصريحًا من الملائكة المقربة والعالية، والأرواح القومية والنفوس العالية والطبائع القابلة والأجسام العالية الفلكية والكونية، والكواكب السيارة والثابتة في الفردارية الأربعة العظمى الكبرى والوسطى والصغرى.

خص الله تعالى كلًّا من هذه الأعيان بأمر من الإدراكات والتأثيرات والأفعال والتأثر والقبول كما سيأتي، مسبحين عدا تسبيح أهل السماوات والأرض الأربعة المذكورة، أعني سماء الدورة الإلهية والربوبية والبرزخية والملكية الشهادية والأرضية، ومن الأكوار الأربعة الظلية الجلالية التي كانت في

ضمن الأدوار النورية الجمالية إذا كانت فردارية الأدوار صريحة إفرادية وجمعية، ففتح أعيان الأدوار باعتبار انطوائها على الأكوان الجلالية وهي الموالاة الجنية والشيطانية التي أطاعت المولودات الإنسية، فإن كل مولود إنسي ينطوي على مولودات الأدوار الأربعة النورية وهي الشؤونات الذاتية والأعيان الثابتة والجواهر النورية والقواهر العقلية والأشباح العينية والأرواح البرزخية والأجساد المثالية والأجرام السماوية والأجسام العنصرية بالمواليد الثلاثة.

كذلك تنطوي على نقائص هذه الأعيان وهي غيب الشؤونات الذاتية وحسيب الصور العلمية والأعيان الثابتة ونقائص الخواطر النورية، وهو القواطر العقلية أعني الأهرمانية المنسوبة إلى الكورة العظمى، ويقبض الروح وهو القول، ويفيض الأشباح وهو الشياطين للفيض الجسد والجسم هو الجن. فالأعوان هي مرتضيات الأكوار الكبرى، والشياطين مرتضيات الكورة الصغرى، ولكل من هذه الأكوار نوع عبادة وطاعة، وهي تقتضي العبادة المنسوبة إلى الأعيان النورية الجمالية، فغاية الأعيان العقلية هي الفكر الصحيح ونقيضه هو مقتضى الأهرمي الذي هو باطن الفعل والجهل والفكر الفاسد، وعبارة الروح والنفسي من أفعال النفسانية والتصرف في الطبيعة المنسوبة إلى الكورة الوسطى، وهي قبول الأعمال الروحية والأفعال النفسية على وجه أمرها العقل وسلطان القلب وعبادة الجسم والبدن، وهي الأفعال المخصوصة بالأعمال المعلومة المنصوصة على وجه حكم بها للصدر.

وإذا انقادت نفائس هذه الأعيان بأصواتها ظهرت عبادات هذه الأعيان والأصول على وجه أمر بها الرب، وإن خالفتها وغلبت عليها ظهرت نقائصها مثلًا إن سلطان الوهم والخيالات رجلًا تحت سلطان القلب ووافق وزير الحق الصريح صارت تمام أحكامه مقرونة بالصدق والصواب، وإن خالفه في أكثر أحكامه. وكذا في سائر الأحوال، فإن الوهم قد استعمله المولود الجني ويخالف المولود الأنسي، ويصير شيطانًا مغبونًا، قال النبي ﷺ: «**ما منكم إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**».

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القوي القادر على اتحاد السماوات والأرض، القاهر على الأغيار والمواقع لسلطان قهرمان عزِّه وجلاله ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحَديد: 1] الحاكم على

الأعيان النورية الجمالية الوجودية والظهور على الأكوان الظلية والجلالية بالعدم والخفاء والإخفاء.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وهو مقتضى النور والجمال بالاتحاد والإظهار ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وهي مرتضى الظل والجلال بالظلمة والخفاء والإخفاء وما فيها من الأكوان العدمية الضمنية في ضمن الأعيان النورية والجمال، وهي المولودات الجنية الخارجة عن أحكام المشاعر الظاهرة، وهي الخارجة وكذا حكم الحكيم بأنها ليست بموجودة في الخارج أي ليست محسوسة بالحواس الظاهرة ﴿يُحْىِۦ﴾ بالنور والجمال ﴿وَيُمِيتُ﴾ [الحَديد: 2] بالظل والجلال في الأدوار النورية الجمالية الوجودية، فمقتضى الدورة العظمى النورية هي الطبائع البرزخية والأشباح المثالية والمثل النورية، ومقتضى الدورة الصغرى النورية هي الأجرام السماوية والكواكب السيارة والثابتة والأفلاك الدائرة والدراري الدوارة، والتعبير عن جميع الأعيان النورية والأدوار الأربعة الجمالية الوجودية الصريحة بالشؤونات وعن الأكوان الظلية والأكوار الأربعة الجلالية العدمية المتضمنة بالأرض إشعار بأن الأدوار والأكوار كل منها مشتمل على أفلاك متناسبة وسماوات متقاربة، وكذا لكل دورة منها أرض ضمنية، وأيضًا لكل منها دنيا وآخرة، ولكل دورة مدة معينة وبرهة مبرهنة كما تقدمت، ولكل سماء فلك مدة معينة مخصوصة، ولكل حركةٍ امتداد معين ومقدار متبين، في أفلاك الدورة العظمى النورية العقلية وكذا حركتها أيضًا عقلية، وامتدادها ومقدارها يسمى بالوقت المنصرف المقيد، وغيبه وباطنه هو الوقت المطلق، ولأن الدائم الذي هو ظرف للتكوين والإبداع «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**» الحديث.

يندرج فيه الأزل والأبد والوقت الحاضر محضره، والحال الظاهر مظهره، وأعيان هذه الدورة الصريحة هي العقول والضمنية هي الدهرية، ورب الأولى ومربيها ومدبرها هو ظاهر العلم وهو الجمال، ورب الأعيان الثابتة الضمنية هو غيب العلم وباطنه، وكذا رب الدورة العظمى النورية الجمالية هو العلم، وسماء الدورة الكبرى النورية حسية ونفسية، وكذا حركتها روحية، ومقدارها هو الذي

هو ظرف التكوين الثاني والاختراع، ورب هذه الدورة هو الحي، وأعيانها هي الأرواح والنفوس العاملة: «**لا تسبوا الدهر**»، قال الله عزَّ وجل: «**أنا الدهر، لي الليل والنهار، أنا أجدده وأبنيه وأذهب بملوك، وآتي بملوك**».

وسماء الدورة الوسطى طبيعية نوعية شخصية خيالية، وحركتها خيالية برزخية، وامتدادها ومقدارها تخييلية حاصلة ثابتة في حضرة الخيال، سمي ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العَصر: 1، 2]، وهي ظرف الحركات الخيالية والقوة الخيالية وأعيانها هي المثل النورية والطبائع النوعية، وأرباب الأنواع وربها هو القدير، وسماء الدورة الصغرى النورية هي الأفلاك المحسوسة وحركاتها الحسية، ومقدارها وامتدادها محسوس، سمي بالزمان وهو ظرف الحوادث الزمانية وأعيانها هي المحسوسات، وربها هو المريد.

أما عالم الناسوت وهو عالم الإنسان الصغير صعدةً والكبير معنى، فربّه هو الذات لجميع الأسماء والصفات، وسماؤه هو فلك كمال الجمعية العظمى والمعية الكبرى في الدورة الأولى والأخرى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ موجود ومعدوم وجود وعدم، حدوث وقدم، إحياء وإماتة، فرح وندامة ﴿قَدِيرٌ﴾ [الحَديد: 2] محيط علمه وقضائه وحكمه.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحَديد: 3] في الظهور والإظهار، والصدور والإصدار والإحضار. قال البعض: إنه أول لأنه قبل كل شيء، والآخر لأنه بعد كل شيء، وأنه ظاهر بحسب الدلائل إذ الدليل أظهر من المدلول، والباطن لأنه باطن الحواس الظاهرة والباطنة، أو أنه ظاهر الدلائل وباطن عن الأبصار، محتجب عن الأنظار.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الحَديد: 4] العقلية والروحية والنفسية والجسمية

الحسية النورية الجمالية ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ الاستعدادية الظلية الجلالية وهي تطابق العقلية والروحية والنفسية والجسمية من الأعيان والأكوان الظاهرة في فردارية الأكوار والأدوار ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا وهي معروفة على ما هو ثابت في علم الله وفي قضائه وفراغ حكمه وخلاء غيبه يجوز أن تكون أيام الآخرة وأن يكون المراد المراتب الستة وهي: اللاهوت والجبروت والملكوت والبرزخ والملك والناسوت، وهو صورة جمعية الكل، وإيثار الستة لكونه عددًا كاملًا إشعارًا بأن فعله تعالى كاملًا لا ينقص فيه أصلًا لا حالًا ولا مستقبلًا ومآلًا ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي عرش إلٰهية الجمعية والصورة الكلية الحاصلة من جمعية الكل المذكور، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وسماوات الأرض والأدوار والأكوار ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ما ينزل من ظاهر سماء الإلٰهية إلى عالم الربوبية وعالم الأمر والملكوت ومنه إلى عالم البرزخ والطبيعية الجسمية، ومنه إلى عالم الملك في الأرض أي أرض مرتبة الأجسام، وعرض مادة الأجسام وهيولياتها، وأرض عالم العناصر والمواليد إلى الناسوت مما يقتضيه سلطان فردارية النور والجمال من ظاهر الكمالات الذاتية والأسمائية صريحًا ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي من أرض عالم الناسوت الذي هو نهاية الولوجات وغايتها، عطف على (يلج) على تقدير الحذف، أي يعلم ما ينزل من سماء الألوهية ويندرج في الأرض أو على منزل المقدر ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ﴾ أي باطن سماء الألوهية إلى عالم الربوبية على الترتيب المذكور، وإلى الناسوت مما يرتضيه سلطان فردارية الظل والجلال من غيب الكمالات الذاتية والأسمائية، باطنًا ضمنًا وتبعًا إذا كانت فردارية اقتضاء النور والجمال صريحًا، وفردارية فردارية الظل والجلال ضمنًا وتبعًا، وإذا كان بالعكس انعكس الأمر ﴿ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4] أي في السماء بعد استكمال التنزلات واجتماعها في غاية التعينات، أعني الناسوت إشارة إلى تنوع الوالج والنازل والعارج وتطورهما. ويحتمل أن يكون احتمالًا راجحًا.

الفقرة الأولى إشارة إلى ارتضاء الظل والجلال نزولًا وعروجًا، والثانية إلى اقتضاء النور والجمال ولوجًا وعروجًا.

قال آدم الأولياء في قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ [الحديد: 3]:

الذي لم يسبق له حال حالًا فيكون أولًا قبل أن يكون آخرًا، ويكون ظاهرًا قبل أن يكون باطنًا، كل مسمى بالوحدة غيره قليل، وكل عزيز غيره ذليل، وكل قوي غيره ضعيف، وكل مالك غيره مملوك، وكل عالم غيره متعلِّم، وكل قادر غيره لا يقدر ويعجز، وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات، وكل ظاهر غيره باطن، وكل باطن غيره ظاهر، فعلى هذا يكون الحق لا ظاهرًا ولا باطنًا، يعني هو ظاهر في غيب البطون، وباطن في غيب الظهور، وأول في عين الآخر، وآخر في عين الأول.

قال النبي ﷺ: «**إذا أراد أحد أن ينام فعليه أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: اللهمَّ ربّ السماوات وربّ الأرض وربّ العرش ربّنا وربّ كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرّ ما أنت آخذ بناصيته، اللهمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنَّا الدين وأغننا من الفقر والشين، هو في الأول والآخر والباطن معكم أين ما كنتم**»، لأنه روحكم وخمر بنيتكم، وصور بدنكم، فمعيته بكم لا بالمقارن لأنه ظاهركم وباطنكم إذ الظاهر والباطن هو لا غير، فلا ينفك عنكم لا صورة ولا معنى، ولا ظاهرًا ولا باطنًا، وهو غيركم لا بالانفصال، ويكون مقدمًا عليكم لا بالزمان والعصر ولا بالدهر لأنه في ذاته منزه عن الكل ومقدم عليه بالذات وبالوقت الذي هو أصل الكل، وهو امتداد ديمومة ذاته وهو الآن الدائم الذي هو ظرف التكوين الأول «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»، يا حي يا قيوم حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه بل بالذات كالمعية فإنها ليست زمانية، فإن ذاته تحيط بكم كذلك يحيط الزمان والمكان، فلا يكون الزمان ظرفًا لأنيته الغيبية كما لا يكون المكان محلًّا لهويته الذاتية لامتناع إحاطتها إياها، بل الأمر بالعكس لأن مجرد العقل لكونه محاطًا لذاته تعالى لا يدرك هذه المسألة، فسبحان من اختفى عن العقول لشدة ظهوره وكمال عظمته وتمام إحاطته، يا كبير، أنت الذي لا تهتدي العقول لوصف عظمته.

كما أنه تعالى أول كل شيء بالذات وبالزمان، استدل كثير من العلماء على أنه واحد بالذات بقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ﴾ [الحديد: 3]، وبالأول هو

الفرد السابق، وبهذا المعنى لو قال أحد: أول مملوك اشتريت فهو حر، ثم اشترى عبدين لم يعتقا لأن شرط كونه أولًا حصول الفردية هاهنا لم يحصل، فلو اشترى بعد ذلك عبدًا واحدًا لم يعتق أيضًا إذ شرط الأولية كونه سابقًا وهاهنا لم يحصل، فثبت أن الشرط في كونه أولًا أن يكون فردًا، فدل على أن صانع العالم فرد وموجود واحد.

قال الإمام الرازي روح الله روحه: اعلم أنه قد ثبت أن كل ما عدا الواحد أكثر، فهو ممكن لا يوجد إلا بإفادة الواجب الوجود لماهيته، فهو جل وعلا متوسط بين كل ماهية ووجودها، فإن هو أقرب من وجود تلك الماهية إلينا، فمن هنا قال المحققون: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله. وقال المتوسطون: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله معه. وقال الظاهرون: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله بعد هذا.

أقول: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البَقَرَة: 148]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 115]. قال المتكلمون: هذه المعية إما بالعلم أو بالحفظ والحراسة، وعلى التقديرين قد انعقد الإجماع على أنه تعالى ليس معها بالمكان والحين والجهة، فإذًا لا بد من التأويل فإذا جوزنا التأويل في موضع وجب في سائر المواضع.

واعلم أن في هذه الأبواب ترتيبًا عجيبًا وتركيبًا غريبًا، وأسرارًا لطيفة، وأطوارًا أيضًا يدركها من له طور وراء طور العقل، ووصل في هذا الطور إلى غاية مقتضى كل الدورة ومرتضى تمام الكورة من التشبيه والتقديس والتسبيح والتنزيه، وهو طور الولاية وبور غيب النبوة.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ في جميع الأدوار وعموم الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿بَصِيرٌ﴾ [الحَديد: 4] عليمًا حضوريًا وإدراكًا شهوديًا لأنكم بجميع ما أنتم عليه حاضرون لديه.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٥﴾

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على وجه ما علمت ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحَديد: 5] والتكرار مشعر بكثرة الأطوار والأسرار والأكوار.

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦﴾

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ أي يخفي مرتضيات أطوار الأكوار في مقتضيات أنوار أعيان الأدوار كخفاء طور الليل الحسي في ظهور النهار النوري إذا كان حكم سلطان النور والجمال صريحًا والجلال ضمنًا ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ﴾ إذا كان الأمر بالعكس إشارة إلى تبدل ظهور مقتضيات الأدوار وخفائها في الأكوار والأدوار ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد: 6] أي بما يعرج من أرض استعداد النفس من الأعمال والأفعال الإرادية وترجع إلى سماء القدس وفلك السر والفؤاد متلبسة بالصور الحسية والخشنة، ثم ينزل منه إلى عالم الحس أولًا في الحس المشترك، ومنه إلى خزينته، ثم إلى المعبر بغير حسب ما يقتضيه المتخيل على ما يرتضيه طور الولاية على وجه نظرة النبوة، أو بما ينزل من سماء الواحدية وعالم العقل من النسب العقلية والمعارف الإلٰهية مصورة بصور الإدراكات عند قضاء القلب، وبالهيئات الأفعالية والصفات النفسانية من أنواع الأخلاق وأصناف الأصناف من الفقه والشجاعة والحكمة والعدالة، وما يصدر منها من القناعة والصبر والجرأة والزكاء والتودد وغير ذلك مما يهبط من فلك الذات المستجمعة لجميع تمام الأسماء والصفات.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝٧﴾

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي الحقيقة المحمدية التي أرسلت أولًا إلى الأعيان الثابتة والماهيات الكونية والحقائق الإلٰهية، ثم إلى الأرواح والنفوس والأشباح، ثم إلى أعيان الأكوان إلى مرتبة الناسوت ورتبة الإنسان ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ متمكنين ومتصرفين فيه بصرف المالك في المملوك من الأموال الظاهرة والباطنة من المعارف الإلٰهية والإدراكات الشهودية والتجليات المتبوعة، ونتائج الأوصاف السنية، وثمرات أشجار الأخلاق المرضية والملكات الفاضلة الرضية ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ بالله وحسن تجلياته وتطابق مشاهدات أنواع ظهوراته ورسوله وأحكام شرائعه وأعلام طريقته وأسرار حقيقته وعملوا الصالحات ﴿وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الحديد: 7] وهو التحقيق بالكل والتخلق بالجزء والكل،

وشهود تجليات الصورة الجمعية والهيئة الكلية.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ جملة فعلية خالية عن معنى الفعل في ما لكم كما تقول: ما لك قائمًا، يعني ما تصنع قائمًا، أي وما لكم كافرين بالله ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: 8] إلى الإيمان، والواو للحال في فاعل لا تؤمنون أي لا عذر لكم في ترك الإيمان بالله وبالرسول، والحال أن الرسول يدعوكم إلى الإيمان وأنتم تتركون الإيمان بلا دليل وبرهان وحجة قاطعة وبراهين ناطقة من معجزات بارعة وخرق عادات غير طابقات، وهذان الحالان متداخلان، وقد أخذكم الله قبل ذلك في مقام ألست بربكم ميثاقكم بالإيمان وبما جاء منه حيث جعل قبلكم تلك الحقيقة التي سمعت ذلك الخطاب وقبلت تلك الحقيقة العهد والميثاق منه قبلكم، ونصبت لأجلكم ما تصرفكم إلى ذلك المقام الأزلي والمراد الأولي، ويذلكم نحو: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ [طه: 2، 3] إن كنتم مؤمنين بالله وبما جاء من عنده.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ وأمارات واضحات ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي ظلمات الكفر والشرك والظلمات والمعاصي والجهل المركب والإفك والنفاق والشك ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي نور الأعيان وظهور الإسلام وكمال التعين والإيقان، ونور العلم والتجليات والكشف والمشاهدات ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ﴾ [الحديد: 9] وعطوف بعباده حيث بعث منهم فيهم على اتباعهم عن مصالح دينهم ومعالج يقينهم وأنزل عليهم كتابًا فيه هداية ونور ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: 9] يرحمهم برحمته الواسعة وينعمهم بنعمته البارعة.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مما منحكم من الأموال المعنوية والصورية والأحوال القلبية والمعارف العينية والعوارف الغيبية ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي ما لكم تتركوا النفاق بإظهار النفاق، والحال إن ميراث وجودات السماوات والأرض كلها ترجع إليه عند فنائها بطريق الولاء ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ أي قبل الفتح أي فتح مكة أو فتح الحديبية، إشارة إلى تفاوت مراتب المنفقين، فمنهم أنفق جميع ماله كأبي بكر الصديق، ونصفه كعمر، وهكذا. وعلى هذا القياس حال العارفين السائرين في الله والسالكين إلى الله ومن الله، فإن العارفين قد أنفقوا تمام أموال الوجودات الغيبية والعينية والذهنية والخلاجية العلمية والعملية بخلاف السائرين إلى الله، فإنهم وإن أنفقوا مال الوجود العيني إلا أنهم ما أنفقوا مال الوجود الغيبي ﴿وَقَٰتَلَ ۚ﴾ في الجهاد الأكبر بالأنفس والمال والعرض والمنال ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ السابقون المقربون، جمعه باعتبار المعنى ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ وأعلى وأعظم منزلةً ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾ نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه أول من أنفق جميع ماله في سبيل الله في مكة في حال ضعف الإسلام وقلة المسلمين حين لا يتوقع الفتح ولا يرتجى النصر والظفر، وكان يسأل ظاهر فؤاد المؤمنين من الغصة ونشر القصة الدم والقيح ولا يهب من رياض الأمل على شمائم المرتجين من ورود النصر والفتح.

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر الإسلام بالسيف من غير الميل والحيف النبي ﷺ وأبو بكر، فإنهما خاصما الكفار وضاربا ضربًا شديدًا معهم حيث أشرفوا على الهلاك خوفًا ﴿وَقَٰتَلُوا۟ ۚ﴾ وعلت كلمة الله بالقتل والجرح. قال الإمام الرازي في تفسيره: فإن قيل: بل صاحب الإنفاق هو علي كرم الله وجهه لقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: 8]، قلنا: إطلاق القول بأنه أنفق لا يتحقق إلا إذا أنفق في الوقائع العظيمة أموالًا عظيمة. أقول: إنفاق عند تفاقم الحاجة إلى الطعام له ولعياله لدى الإسراف على إهلاكه أعظم ﴿وَكُلًّا﴾ [الحديد: 10]

من المنافقين من قبل ومن بعد، هذا تسلية للذين أسلموا من بعد الفتح وأنفقوا وأظهروا الإنفاق وأشهروا الوفاق واستبعدوا عن الشقاق ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحَديد: 10] الجنة كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يُونس: 26] لما وبخ الكافرين على ترك الإيمان والمؤمنين على ترك الإنفاق، ووعد المؤمنين الحسنى والمثوبة بنية الفرق المذكورة لأنه عالم بجميع أفعال العباد بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحَديد: 10] أي يعلم أعمالكم ظاهرًا وباطنًا، جهرًا وخفيًا، سرًّا وعلانية، من الأعمال والكفر والطاعة والعصيان، والإنفاق والتقتير، والجهد والتقصير.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني من ذا الذي ينفق مالًا في سبيل الله من الجهاد والإنفاق على العباد رجاء من الله التضاعف والازدياد، (من) استفهامية مبتدأ و(ذو) خبره الذي صفته أو بدل منه قد مر باقي الكلام فيه في البقرة ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ في الدنيا في المال بالازدياد، وفي الآخرة بالأجر والثواب ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحَديد: 11] في العقبى أجرًا للشهداء وجزاء للسعداء وهو التجلي واللقاء.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ظرف الأجر وكريم صفته أي ذو كرامة وتكرمة ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ يتحرك نور إيمانهم وضياء علومهم ومعارفهم وصفائهم، أو نور الأطوار السبعة القلبية، أعني القالبي والنفسي والقلبي والسري والروحي والخفي وغيب الغيوب، وهو النور الأخضر الممتزج والأبيض والأصفر والأحمر والأزرق والأسود والنور الساذج الأول نور الكلام منزله البدن والقلب، والثاني نور البصر الذي يدبر النفس، والثالث نور العلم الذي ينمي القلب، والرابع نور الإرادة الذي يحكم على السر، والخامس نور القدرة الذي يقضي على الروح، والسادس نور أسود الذي يلائم الخفي، والسابع نور العلم الذي يلازم غيب الغيوب والعالم في يوم يحتمل أن يكون مقدرًا وهو اذكر ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحَديد: 12] وتلقاء وجوههم وبأيمانهم، إذ السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من

هاتين الجهتين وهما أشرف الجهات التي يتردد فيها الشيطان ثم لا يغيرهم من بين أيديهم ومن خلفهم ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحَديد: 12] فمنه كمل الطور القالبي والجزاء البدني بأنواع العبادات البدنية مقرونة بالإخلاص يتلألأ نوره بين يديه ويقوده إلى الجنة الجسمانية، ونور النفس قد يرى لونًا وقد يرى رزقًا به وهو نتيجة تزكية النفس عن الأعمال الرديئة والأفعال الدنية البهيمة والسبعية والشيطانية ومستعدها لأن يعرج إلى السماء الثانية ويدخلها إلى الجنة الفعلية وهي القدرة على الخلق والاتحاد والتحقق بالتكوين، كما أن النور الأول مقتضاه وهو تجلي البدن بكمال الصفاء بحيث يصير مضاهًا للفلك يقتضي الصعود إلى السماء الأولى القمري.

وهكذا من كمل الطور القلبي ونوره بالنور الأبيض بعد التصفية عن الأخلاق الذميمة والأوصاف الرذيلة، والتحلية بمجمل المعارف والإدراكات الحقة، يستعد لأن يصعد صاحبه إلى السماء الثالثة ويدخله في الجنة العلمية، وكذا للقوة النظرية والقدرة العملية اللتان تلازمان الطور القلبي ويعينان له في الاستفادة والاستفاضة من المعاني الحسية والمبادىء العالية القدسية، أي يصدر منها من العلوم والإدراكات النفسية والدرايات الأنسية ومن الأعمال الصادرة عن الملكات الفاضلة أيضًا ومبادئها والأخلاق والأوصاف الراسخة أيضًا أنوار متلونة وأسرار متنوعة، وهكذا يتصاعد سماء سماء إلى أن يصل إلى سماء زحل.

وبكمال جمعية الكل لما دخل في السماء الثامنة ويدخل في جناب التجليات الأربعة: الآثارية والأفعالية والأسمائية والذاتية الأولى بعد رفعة استكمال السري، والثانية بواسطة تكميل الطور الروحي، والثالثة الوسيلة لتقديس الخفي، والرابعة بسبب تحليل ذاته عن الأجزاء وكثرات الأهوال لعرضيات المبادي النفسي ومقتضات القوى الروحانية، وعن آثار الأعضاء والإفناء المكمل للطبيعة الثامنة من طبقات الجنة وهي جنة الصورة الجمعية والإلهية الكلية، صاحبها هو صاحب الكمال الجمعي والجمع الكمالي، وأنت خبير بأن هذه المعاملات المذكورات ظلمات كثيرة أعدت لصاحبها.

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي يحصل لكم البشارة العظمى بعد استكمال الأطوار السبعة والاستعلاء الجمعي، والعرش المعي أو يقال: بشرى لكم اليوم، والقائل إما الملائكة أو الحق أو هما معًا، وكلاهما معًا لهم ﴿جَنَّٰتٌ﴾ [الحَديد: 12] ثمانية أو

أربعة أي جنات تجليات أربعة ذاتية وأسمائية وأفعالية وآثارية ونورية وجمالية وظلية جلالية، أو ظاهرة وباطنة، و(جنات) مبتدأ ولكم خبره مقدرًا عليه، وهذه الجملة بيان للبشرى، والجملة مقولة القول المقدر ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ الأربعة النابعة من سماء الأسماء الأربعة الذاتية التي هي مبدأ الأدوار الأربعة النورية الجمالية ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ﴾ النور الكلي المتناول لتمام الأنوار والأمر المذكور وهو البشرى ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الحديد: 12].

﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾

﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ﴾ بدل من: يوم ترى ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا﴾ واقبلونا وتوجهوا إلينا، فإنهم أسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف فلم يستضيئوا بهم فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم فيستضيئون بنورهم ﴿نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ نكتسب من نوركم ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ﴾ وأعيدوا ﴿وَرَآءَكُمۡ﴾ أي الدنيا التي خلفتموها وخفاها خلفكم فإنها مزرعة الآخرة وموطن اقتناص السعادة السرمدية ﴿فَٱلۡتَمِسُواْ﴾ واقترحوا منها ﴿نُورٗا﴾ أي نور الإيمان والمعارف وكمال الإيقان وضياء الأخلاق الفاضلة، وسناء الملكات الكاملة الملكية ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم﴾ بين المؤمنين والمنافقين والمنافقات ﴿بِسُورٖ﴾ بحائط حائل وبرزخ فاصل ﴿لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ﴾ أي باب الباطن أو السور، يدخل منه المؤمنون ويرد منه المنافقون، لأن فيه الرحمة، لأن الدخول فيه وسيلة الوصول فيه ﴿فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ الذي يلي النار ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحديد: 13] أي من جهته يدخل في العذاب.

﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤﴾

﴿يُنَادُونَهُمۡ﴾ ويطلبون إقبالهم ويقولون ﴿أَلَمۡ نَكُن﴾ في الدنيا والنشأة الأولى ﴿مَّعَكُمۡۖ﴾ مصاحبين بكم ﴿قَالُواْ﴾ في جواب ندائهم ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ وأوقعتكم في فتنة العذاب بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ وانتظرتم بالمؤمنين دائرة السوء ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ وتساءلتم في كتاب الحق أو خبر رسول الله ودينه الذي أتاكم به ﴿وَغَرَّتۡكُمُ

﴿ٱلْأَمَانِيُّ﴾ أي التمني الباطل والرجاء الفاسد والعاطل ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وموته وعذابه ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: 14] قرأ بضم الغين وفتحها، أما الأول فهو مصدر بمعنى الإغراء على تقدير المضاف، أي أن الكفار يتمنون نزول الدوائر بالمؤمنين حتى جاء أمر الله، وهو الموت والقتل، يعني إن الكفار ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى ألقاهم الله في النار وأسقطوا في العذاب في البوار بأن إغواءهم وإغراءهم بأنكم بالله ومع كمال عنايته بسلامة من عذابه. وأما على تقدير الفتح فهو الشيطان يقول لهم: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: 68].

واعلم أن في هذا المقام احتمالات أربع:

أحدها: أن يكون الناس كلهم في الظلمات والمؤمنون يسعون بنورهم، ويبقى المنافقون والكافرون في الظلمة يطلبون منهم النور.

الثاني: أن يكون كلهم في النور فإذا سعى المؤمنون وتحركوا بنورهم بقي الكافرون في الظلمة.

والثالث: أن المؤمنين والكافرين في الظلمة.

والرابع: أن يكون المؤمنون في الظلمة والكافرون في النور مما لم يقل به أحد.

واعلم أن الاحتمال **الأول**: إنما يكون في القيامة التي تكون في الكورة الجمعية التي انصبغت في أعيان النور والجمال وأكوان الظل والجلال بصنع الظل والجلال وهو الظلمة التي [هي] استعلاء سلطانه وحكمه.

والثاني: أن يكون في القيامة التي تكون بالدورة الجمعية النورية التي انصبغت في أكوان الجلال بصبغ أعيان النور الجمالي وهو النور دون استيلائه حكمة فردارية النور والجمال.

والثالث: إنما يكون في القيامة التي تقوم في انقضاء نوبة سلطنة النور في الفردارية.

والرابع: إنما يظهر في انقضاء تدبير الظل والجلال الذي تقوم به القيامة الجلالية الإفرادية.

هذا وفي ليلة استولى عليَّ الضعف، في ليلة السادس وأربعين اتفق في ليلة تقرير سنة ٨٩٨ كنت أردد كلمة: لا إلٰه إلا الله، بحيث قد تمَّت قوس دائرتها في الأدوار الأربعة النورية الجمالية، وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، وقوس النصف الآخر في الأكوار الأربعة الظلية الجلالية، وهي غير هذه الأدوار

وباطنها، فرأيت أن نور هذه الكلمة قد انبسط وسرى في تمام الأعيان والأدوار من الأعيان الثابتة والحقائق الإلٰهية والشؤونات الذاتية والجواهر النورية والأهواء النقلية الجبروتية، والنفوس المجردة، والأرواح القدسية الملكوتية، والأشباح البرزخية، والأملاك المدبرة، والأفلاك الدائرة والمدبرة، والعناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة، والأكوان الظلية الجلالية التي تظهر في الأكوار المربعة وهي غيب الأدوار وباطنها، فتمت دائرة دورة كلمة لا إلٰه إلا الله، التي قد أحاط نورها بتمام أعيان الأدوار الأربعة التي هي بدايات الأدوار الأربعة النورية، وشملت بضيائها جميع أكوان الأكوان في غيوب تلك الآزال، أو هي مفاتيح الأكوار وهي باعتبار أنها عين غايات الأدوار التي يظهر منها أسرار أكوان الأكوار مسمى بالآزال الجمالية وباعتبار أنها يستبطن فيها بأنوار الوجود والجمال يقال لها الآباد وأبد الآباد، فأنصتت حالة الذكر جميع أعيان الأدوار الأربعة وأكوان أكوار المربعة الجلالية نور التوحيد وضياء الوحدة الذاتية، نقلت كل واحدة من تلك الأعيان والأكوان نور التوحيد وضياء الوحدة حتى خرج ذلك النور منهم إلي فصرت إلٰهًا مألوهًا وعبدونني بكمال التوحيد، وأصبحت عابدًا معبودًا واجدًا في نفسي، فأشهدت كلًّا منها جميع التوحيدات الحاصلة بليله، فصار كل منها واحدًا كثيرًا فانيًا باقيًا مستمرًّا في تلك الأدوار والأكوار، وفتحت دائرة كلمة التوحيد المشتملة على الأدوار والأكوار الغير المتناهية لكل واحد من تلك الأعيان والأكوار في آن واحدٍ.

وأما الثلاثة الأولى فقد قال بكل منهم قوم: وإن نور المؤمنين على طبقاتٍ، فنور بعضهم كالشمس، والبعض كالقمر، ولبعضهم كالكواكب الدرية. وأما نور العارفين فلبعضهم عالم كبير، ولبعضهم عوالم كثيرة، ولبعضهم عوالم غير متناهية، إذ نورهم نور الإيمان الكامل والعرفان الشامل والتجلي الفاصل والتجليات الغير المتناهية نوعًا وصنفًا وشخصًا، فنور بعضهم هو نور الأنوار، ولبعضهم نور العلم الإلٰهي والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام كما قال: «**أطعني يا عبدي أجعلك مثلي وليس لي مثل، لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإن أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه**» الحديث. ونور بعضهم هو نور الأخلاق الرضية والملكات المرضية، وهذا أيضًا متفاوت.

واعلم أن لفظ النظر مستعمل على ضروب:

أحدها: باقٍ، نحو: نظرت إلى الله.

والثاني: بمعنى التأمل والتدبر نحو: انظر كيف ضربوا لك الأمثال، وانظر كيف يفترون على الله الكذب، انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وهكذا قد يتعدى بأن نحو: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغَاشِيَة: 17]، وفي نحو: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعرَاف 185].

والثالث: قد يراد بالنظر الرؤية، نحو: نظرت إليك فلم أرك، ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعرَاف: 143] إلخ.

والرابع: أن يكون بمعنى الانتظار نحو: إلى طعام غير ناظرين إياه، أي غير منتظرين إدراكه. ومنه نظرت بمعنى انتظرت وذلك كثير لا كثيرًا، يجيء فقلت وأقلت بمعنى واحدٍ مثل سرت وأسرت، وحفرت وأحفرت، فعلى هذا انظرونا في هذا المقام بمعنى انتظرونا، لأن المؤمنين أسرعوا إلى الجنة كالبرق الخاطف، والكافرون ماكثون في مقامهم.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ أي ذكر اليوم المعهود وهو يوم القيامة التي لا يقبل فيها منكم فداء ولا ما يخلص به من عذابه أحد ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي لا يقبل في ذلك اليوم من الكافرين أيضًا فدية ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ ومصيركم ﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ومصيركم وصاحبكم ولا بكم غير مثل عنكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحَديد: 15] الدار والمأوى.

﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ﴾ أي ألم يأن وقته، يقال: آن يأن آنًا وآنية بالتشديد إذا جاء وقته. قال بعضهم: نزلت في المنافقين الذين أظهروا للخلق الأمان والإيمان وفي بيوتهم النفاق المبين للخشوع، والقائلون بهذا القول ذهبوا إلى أنَّ المؤمن لا يكون في الحقيقة إلا مع الخشوع والخشية والخضوع ﴿ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحَديد: 16] أي تتضرع وتخشى قلوبهم بذكر الله وأمره، نزلت في

المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي رضي الله عنه ذات يوم فقالوا: حدِّث الناس عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يُوسُف: 3]، فأخبرهم أن القرآن أحسن من غيره، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عاد فسألوه مثل ذلك فنزل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزُّمَر: 23] فكفوا عن السؤال الدائم ثم عادوا وقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت هذه الآية. فمعناها: ألم يأن للذين آمنوا في العلانية وبالذات، قال بعضهم: لما لم يكن لبعض المؤمنين مزيد خشوع وخشية ومزية خضوع ولا رقة فنزلت تحثيثًا لهم عليه والآخرون لما كان لبعض المؤمنين خشوع كثير ثم زال عنهم ذلك فنزلت لإعادته.

عن الأعمش: أن الصحابة لما قدموا المدينة أصابتهم النار في العيش والرفاهية فغيروا عنه بعض ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية. عن أبي بكر الصديق: إن هذه الآية قرئت بين يديه وعند قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاءً شديدًا، فنظر إليهم فقال: هكذا كنا في بدئ الوحي حتى قست قلوبنا. قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله إلا أربع سنين. قال ابن مسعود: استطاب قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ﴾ أي ألم يحسن للذين ﴿ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ﴾ أي ترق وتلين وتخضع ﴿قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وهو القرآن ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ متمردين عن قبول الحق ومتابعته عطف على تخشع، والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ في الحديث: الأمد هو الدهر الطويل لا يحصيه إلا الله، والمراد ها هنا الزمان الطويل ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ بطول الزمان أو بتمادي آمالهم، وبطول ما وقع بينهم وبين الأنبياء لبعدهم عن مجالستهم وسماع موعظتهم ونصيحتهم ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: 16] خارجون عن أحكام أنبيائهم، فرحون لما في كتابهم لفرط قسوة قلوبهم.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: 17] أي أفاض على أرض

القابليات صور الأعيان وهيئات الأكوان وأنوار الأسماء الإلٰهية على أرض القلوب التي كانت قبل هذا ميتًا خاليًا عن حياة الإيمان والعلوم وكمال الإيقان بعد موتها بعد خفائها وبقائها على الخفاء، أو تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالإيمان، والخشوع واللين والرقة والخضوع، وترغيب في الخشوع وكمال الرقة وتمام اللين والخضوع وزجرًا عن القساوة ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: 17] أي كملت عقولكم.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ﴾ قرأ بالتخفيف ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ والقرض الحسن أفضل من الصدقة لأنه في الأكثر لا يقبل إلا المحتاج العاجز المضطر، ولا يكون إلا على طيب القلب وكمال الرغبة وخلوص النية وضياء الطوية، والصدقة ربما لا تقع عن طيب القلب ووفور الرغبة في الموقع كما وقع في الحديث، سيما الصدقة المقروضة خصوصًا في زماننا هذا ﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 18] ولا غاية للتضعيف والمضاعفة، خبر (إن) وهو مسند إلى (لهم) وإلى ضمير المصدر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: 19] أي أولئك عند الله بمنزلة الصدِّيقين ومرتبة الشهداء، لهم أجر كريم، فإنهم هم المنفقون في الصدقات، إذا هم آمنوا وصدقوا جميع الأخبار لله وكل ما جاء منه من الرسل والكتب، وهم القائمون بالشهادة لله لهم أو على الأمم يوم القيامة. قيل: (الشهداء عند ربهم) مبتدأ، والمراد هم الأنبياء ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: 41]، والذين استشهدوا في سبيل الله. وقال بعضهم: الصدِّيق كل من آمن بالله وبالرسول. وقال الضحاك:

هم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، ومسعود، وحمزة، وقد ألحق عمر ابن الخطاب بهم. اختلفوا في نظم هذه الآية فمنهم من قال: إنها متصلة بما قبلها، والواو والنسق، وأرادوا بالشهداء المؤمنين المخلصين. قال مجاهد: كل مؤمن صدِّيق فهو شهيد. وقال ابن عباس: الواو واو الاستئناف ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ بما عملوا واعلموا علمًا أي فعلًا وعملًا صالحًا ﴿وَنُورُهُمْ﴾ على الصراط أي مثل أجر الصدِّيقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف لتحصيل التفاوت أو لإجراء النور الموعودان لهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: 19] فيه دلالة على أن الخلود والنار مخصوصان بالكفار ولكثافة حجابهم لكن من حيث التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة والمصاحبة تدل على الملازمة والتلازم عرفًا.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20)﴾

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: 20] لما ذكر حال الفريقين في الأجر حقَّر أمور الدنيا وهي ما لا يتصل به إلى النور الأجلّ والنور الأذلّ على الظلية بأن بيَّن أنها أمور خيالية وغرور وهمية سريع الزوال، منيع الوصال. هذا إذا استقلت بالقصد، وأما إذا جعلت ذريعة الآخرة مزرعة لحرث السعادة الآجلة فعظيم النفع جسيم الدفع عميم النجع، إذ لا تحصل سعادات أخروية ولا سعادات نفسية وكمالات إنسية ولا حالات إنسية ولا تجليات قدسية وغير ذلك بالدنيا. قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن عليها، تُبلِغه الجنة، وبها ينجو من النار**» الحديث. هل يظهر سرّ الله وسرّ الذات والأسماء والصفات، وهل يصل المؤمن بل أعيان الإنس والجن وعموم الخلق إلى كمالاته اللائقة بدون الدنيا. وأما ما وقع من المبالغة في مذمَّتها فهو باعتبار شغلها من أحبها وتعلق بمعالق زخارفها ومنعها

الوصول إلى الحق، بل ما منعت أحدًا من الحق أصلًا، بل هو يقيد لها قيدًا منبعه عن السعادة الأخروية. وهذه المذمة لا تختص بالدنيا بل كل طاعةٍ وعبادة جعلها العابد والمؤمن مقصودةً بالذات بل الجنة، [أما] التي تمنع المؤمن عن شهود التجليات الإلٰهية، فهي دنيا له يستحق المذمة كلها للشرك، فما مذمة الدنيا إلا من حيث الصفات والعوارض كما ذكرها في الآية. قال النبي ﷺ: «**كل ما شغلك عن ربك فهو دنياك**».

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ أي مثل الدنيا وخصائصها إذا جعلت مستقلة مقصودة من غير أن تجعل مزرعة للسعادة الأخروية وذريعة للدولة السرمدية كمثل غيث أعجب الكفارة كثرة نباته وقوة إنباته. لا يقال: الغرض من التمثيل إعلام بأنه حقيقة الدنيا، فهذه بهذا الاعتبار مذمومة في نفسها لأنا نقول: الدنيا من حيث إنها غير ذريعة لتحصيل أمر باقٍ وهو شهود التجليات الإلٰهية والتحقيق بها فهي فانية مذمومة، وأما إذا جعلت ذريعة لخير كثير أنيف شامق ووسيلة لتحصيل أمر شريف باقٍ فهي ليست دنيا بل هي آخرة، ثم بعد الاخضرار ووفورة الإنبات تهيج وتزداد في النشور والنماء ثم ينحط وييبس ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ هشيمًا مغبرًا معتبرًا ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ منكرًا أو مفتتًا، ويكون هباءً منثورًا وأجزاء منثورةً، إشارة إلى وجه محمدة الدنيا، فإن العاقل الفطن إذا نظر إلى تبدل حالات الدنيا وتحول انتقالات النشأة الأولى تحدس إلى معرفة طالعها. وأما ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فله ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وعقاب مديد سديد وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20] وبالنظر إلى العاقل لا الغافل العالم الغير العامل.

﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: 21] أي سارعوا إلى ما يوجب المغفرة والتجاوز عن السيئات والدخول في الجنات وصفتها كذا، يعني أن جعلت السماوات السبع والأرضون السبع صفائح وألزقت

وتساوت الجنة الواحدة في العرض، هذا على سبيل التمثيل والتصوير والتسهيل، ولأن السماوات والأرضين من أجزاء الدنيا وهي عالم الشهادة والملك بالنسبة إلى عالم المِثال والبرزخ كالقطرة إلى بحر المحيط، ومنه تقرر أن من ورائهم برزخًا إلى يوم يبعثون، وكذا نسبة البرزخ إلى عالم الأمر والروح والملكوت مثل هذا وهو بالنسبة إلى عالم الجبروت كذا، وعالم الجبروت وهو عالم الملك والعقول بالنسبة إلى عالم الذات واللاهوت مثل ذلك، ولكل عالم من العوالم الأربعة وهي: الملك والبرزخ والملكوت والجبروت جنة مناسبة له، فجنة عالم الملك والشهادة في عالم البرزخ، وجنة البرزخ في عالم الأمر، وجنة الأمر والروح في عالم الجبروت، وجنة الجبروت في عالم اللاهوت والذات.

روي عن ابن عباس: أن الجنات أربعة كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: 46]، ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرَّحمٰن: 62]، وهذه الجنات بالنسبة إلى النور والجمال وبالنسبة إلى الظل والجلال تصير ثمانية، وذكر العرض يغني عن ذكر الطول والسمك إذ السماوات والأرض مستديرة تتساوى فيها الأبعاد. ولما تحقق أن البسيط لكون أجزائه متساوية في الاسم والحد والرسم والحقيقة والوسم يقتضي شكلًا تتساوى نسبته إلى الداخل والخارج. وأما ما قيل من أن المستدير لا يقبل الخرق والالتئام فهو بالنسبة إلى الطبيعة القابلة، وأما بالنسبة إلى القدرة الفاعلية سيما إذا كان الفاعل مختارًا فلا كما ثبت في موضعه ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ دليل على أن الجنة مخلوقة مضلعة أو مكعبة أو مستديرة، وإن كان التحقيق قد اقتضى أن تكون مستديرة كما نبهت عليه، وأن الإيمان كان في استحقاقها ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإعداد ووجودها ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ وإحسانه وعطيته ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحَديد: 21] وكمال فضله وإن كفى في إعطائها ومرتبتها إلا أن المناسبة والجنسية التامة لازمة. قال النبي ﷺ: «**إن لله تعالى ملكًا يسوق الأهل إلى الأهل**».

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحَديد: 22] كعاهة وحرب وقتل وجدب

﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ كمرض وآفةٍ وسوء غرض وفساد مادة وزوال عرض ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22] أي (في) مكتوبة في الكتاب الأول واللوح المحفوظ وفي علم الله مثبتة.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟﴾ أي أثبت الله وكتب لئلا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: 23] من نعيم الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ بما أعطاكم الله من حطامها، فإن من علم أن كل أمرٍ مقدّر بتقديره ومقرر بتدبيره هيأ عليه عروض المصايب وحدوث النوائب كما قيل: المستريح من أطلعه الله على سرّ القدر ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 23] لأن الفرح بلحوقه حظ من حظوظ الدنيا يعظم في نفسه واختال أي وقع في خياله وقوة توهمه رجل معتبر وشخص فاضل، وتكبر في الفتنة، ويعظم في اعتقاده وجهه. لا يقال: لا يمكن لأحد أن يملك نفسه عند نزول نائبة ومصيبة وحلول نازلة وزوال مسرة وظهور نعمةٍ ووصول عطية، أن لا يحزن ولا يفرح لأنهما أمران طبيعيان لا اختيار لأحد في ورودهما لأنا نقول: هو الحزن والفرح والاختيار بأن اللذان تكلف صاحبهما في ورودهما كما مر في قوله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [البقرة: 284] بأن هذه الآية لما نزلت اضطربت الصحابة، فقال النبي ﷺ: «**المراد ما كان بالاختيار**». وأما الحزن والسرور اللذان يقالان بالقبض والبسط كما يكون لبعض أهل الله ما روي عن يحيى وعيسى عليهما السلام فلا بأس بهما لكونهما في الحقيقة داخلين في الغير الاختياري.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ﴾ بدل من كل مختال، أو مبتدأ خبره ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ محذوف، وهذه الجملة بيان وتفسير للمختال ومن يتولى ويعرض عن الإنفاق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [الحديد: 24] بالذات وكمال الأسماء والصفات

عنه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحديد: 24] محمود في كمال ذاته وتمام أسمائه وصفاته، فلا يضرّه التولي والإعراض عن شكر وفور نعمه، والحمد على ما أنعمنا من فضائل جوده وكرمه.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكة إلى الأنبياء، أو الأنبياء إلى الأمم ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالوحي والنواميس الإلٰهية، أو هي المعجزات الظاهرة والحجج الباهرة ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ لتبيين الحلال والحرام وتعيين للخلق وعموم الآثام مقتضيات الأحكام بيان وتفسير للبيان ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ ليستوي ويعدل الحقوق ويقام به العدل والقسطاس كما قال: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ في الأمور الدينية وفي الأيام والشهور الدنياوية ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ يعني السيف والحسام. قال النبي ﷺ: «**الجنة تحت ظلال السيوف، وأنا نبي السيف**». أو مجاز مرسل من باب ذكر العام وإرادة الخاص ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ تقام به أحكام السياسة، ويداوم معه أعلام الرياسة ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ عمومًا وخصوصًا. أما الأول فهو في حفظ الدماء وصيانة العرض ووقاية الأموال وإقامة حدود الله وأداته أوضاع شريعته. وأما الثاني فلأن الصنائع والحرف لا تتم ولا تحصل إلا بالحديد ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾ أي ليظهر للخلق أنه تعالى يعلم من ينصر دينه عطف ليقوم إشارة إلى القوة النظرية والعملية وما يترتب عليهما من المنافع والفوائد ﴿وَرُسُلَهُۥ﴾ بالمال والبدن والجاه باستعمال الأسلحة ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من فاعل ينصره، أي ينصره مخلصًا بالقلب متخصصًا بما يكون في الغيب من محافظة ظهر الغيب أي لا يكون نصره على النفاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ بنصر أوليائه وعلى دفع أعدائه ﴿عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25] قاهر على أهل النفاق، بل على كمال الطباق.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ [الحديد: 26] وأولادهم وأعقابهم

وأجنادهم ﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾ الحكمة والحكومة والإيالة والإمارة مع تبليغ أحكام الرسالة ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ إما الخط والكتابة، أو القوة النظرية ﴿فَمِنْهُم﴾ رأى بعضهم ﴿مُّهْتَدٍ﴾ ملابس للهداية والرشد والإرشاد إلى معرفة الله وتبليغ أحكامه من حيث النبوة أو شهود تجلياته ومشاهدة الغاية من حيث الولاية ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ من الذرية ﴿فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: 26] خارجون عن الطاعة وإظهار المطاوعة.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٢٧﴾

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي أرسلنا متعاقبًا لهم ﴿بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ عطوفة ورقةً وشفقة على الخلق العظيم، الأمر لله والشفقة على خلق الله ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ وهي ترهبهم واختيارهم المسكن في الجبال خوفًا ورهبة من أن يقع في الفتنة في الدنيا والدين، مخلصين نفوسهم للعبادة وذلك أن الجبابرة قد غلبوا على المؤمنين من بعد رفع عيسى إلى السماء فقاتلوهم ثلاث مراتٍ، فقاتلوا حتى لم يبق منهم إلا قليل، فخافوا على دينهم فاختاروا الانزواء من الخلق وآثروا الرهبانية المنسوبة إلى الرهبان وهو المبالغة في العبادة، أو إلى الرهبة وهي الخوف. والرهبان جمع راهب كالركبان والفرسان جمع راكب وفارس ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ وما فرضنا عليهم ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ وطلبًا لمرضاته، استثناء منقطع. قيل: متصل، بمعنى قيدناهم بها وهو كما ينفي الكتاب المقصودة من دفع العذاب بنفي العذاب المطلوب منه بمجرد حضور مرضاة الله وهو يخالف قوله: ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ إلا أن يقال: ابتدعوها ثم ترنوا إليها وابتدعوا بمعنى استحدثوا واخترعوا من تلقاء أنفسهم ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: 27] أي فما رعوا الرهبانية وما حفظوها حق الرعاية والحفظ، بل ضيعوها فكفروا عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم، وخص أهل الرهب لأن منهم من ثبت على الرهبانية وأقامها إلى أن أدركوا محمد ﷺ فآمنوا به، وذلك ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وهم الذين

ثبتوا عليها، وهم أهل الرأفة والرحمة ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن الرهبانية وكفروا بأصل دين عيسى. قال النبي ﷺ: «**يا ابن مسعود اختلفوا من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة، نجا منهم ثلاثة وهلك سائرهم، فرقة أرباب الملوك وقاتلوهم على دين عيسى وأخذوهم وقتلوهم، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموالاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وذهبوا وهم الذين قال الله تعالى فيهم:** ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: 27]»، فقال النبي ﷺ: «**من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون**».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالرسل المتقدمة ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما نهاكم عنه ﴿وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ يعطكم ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ نصيبين وسهمين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ﴾ ووفور نعمته لإيمانكم بمحمد ﷺ وإيمانكم بمن قبله من الأنبياء. ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وإن كان منسوخًا وذلك ببركة الإسلام. وقيل: الخطاب للنصارى الذين من آفاقي عصره ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: 28] يراد النور المذكور في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: 12]، أو الهدى الذي يسلك به إلى جنات القدس ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ويتجاوز عن سيئاتكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: 28] باعتبار الجمال والجلال، وكذا كل اسم يردف اسمًا آخر مثل عزيز حكيم.

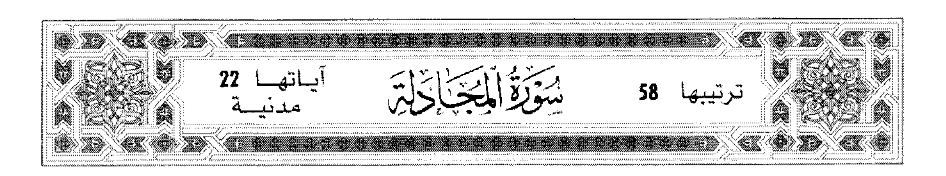
﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: 29] لا مزيدة وليس بصلة بل إشارة إلى كلمة الترادف ومتعلقة بمضمر، أي لا تغفلوا عن ترادف اسم باسم فإنه إشارة إلى تداخل النور والجمال والظل والجلال، أي لا تغفلوا عن سر التداخل والترادف الدال عليه لئلا يقعوا في حرمان تداخل النور والجمال والظل والجلال ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ

عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ﴾ هي المخففة وضمير لا يقدرون يجوز أن يعود إلى المؤمنين والكافرين، وذلك أن أهل الكتاب، وهم بنو إسرائيل، زعموا أن النبوة والرسالة والوحي قد اختصت بهم ولا تكون لغيرهم، وأن دين موسى مؤيد لا يتغير ولا يزال ولا ينسخ أصلًا، فالله تعالى رد عليهم وأمرهم بالإيمان بمحمد ﷺ ووعدهم الأجر مرتين وجعل النور فيهم، وهو الإسلام، وبالمغفرة والتجاوز، فإذن لا بد لهم أن يؤمنوا بالله وبالرسول لئلا يحرموا عما وعدهم لأنهم يعلمون أنهم لا يقدرون ولا يتمكنون على شيء ﴿وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ عطف على (لا يقدرون) ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الحَديد: 29] من أي فرق كانت، فيه بشارة عامة وإشارة تامة إلى أن فضل الله لا يختص بالمسلمين، فحكم هذه الآية وإن كانت بحسب المورد خاصة إلا أنها عامة ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزُّمَر: 53]. قال النبي ﷺ: «**لو علم الكافر ما عبد لما قنط من رحمة الله**» الحديث.

وعن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الحديد) كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله** ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: 29]».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ


ترتيبها 58 سُورَةُ المُجَادِلَة آياتها 22 مدنية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي قد سمع الله استدعاء الاستعدادات الأولية ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أعطى الاستدعاءات الأزلية على مقتضى الاستعدادات الذاتية، فموطن الاستدعاء هو الجبر وما يليها، ومعطن الاستعدادات وبداية الواحدية والجبروت وما يتصل بها من الملكوت ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي رفع المجادلة عن أحبائه، وأعطى المجاهدة والمشاهدة والمعاينة لأوليائه.

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ روي أن خولة بنت ثعلبة قد ظاهر عنها زوجها أويس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، فاتبعت رسول الله ﷺ فقال: «**حَرُمْتِ عليه**»، فقالت: ما طلقني، فقال: «**حَرُمْتِ عليه**». فاغتمَّت لصغر أولادها وشكت إلى الله، فنزلت هذه الآيات الأربع. وقد يفسر بأن رسول الله ﷺ قد أظهر المجادلة يتوقع أن يسمع الله مجادلتها حيث قالت: اللهم إني أشكو إليك، فإن ضممتهم إلى أبيهم ضاعوا، وإن أضمنهم عندي جاعوا، اللهم إني أشكو بثي وحزني إليك إنك أنت أرحم الراحمين ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ مراجعتكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المُجادلَة: 1] بأحوال العباد والضعفاء والمضطرين، خبير لا يضيع عباده ولا يقطع بغير موجب ولا مجرب بلاؤه.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ الظهار في الشرع هو قول الرجل لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمي، مشتق من الظهر، وألحقه به الفقهاء لشبهها بخبر مجزوم بأن يقول: رأسك كرأس أمي، ويدك كيد أمي وغير ذلك ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ﴾ فلا يلحق بهن في الحرمة إلا من ألحقها الله بهن كالمرضعات وأزواج النبي ﷺ، أي والحال أنها ليست أزواجهم أمهاتهم ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ أي الجهال من الكفار الذين ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ الذي أنكره الشرع ﴿وَزُورٗاۚ﴾ كذبًا وباطلًا منحرفًا عن الحق ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ يعفو ويصفح ويتجاوز ﴿غَفُورٞ﴾ [المُجادلَة: 2] ساتر على العبد الذنب.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ أي فكفارة من عاد أن يحرر رقبة لم يماس المظاهر منها ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ أي الاستمتاع، أي لا يحل له مماستها إلا بعد تقديم الكفارة زوجة آخر (ثم يعودون لما قالوا) ثم يتداركون ما قالوا لأن المدارك الظاهر عاد بالإصلاح والتلاقي بالكفارة المذكورة فيعاد بها إلى ما كان قبل المظاهرة.

ووجه ثالث هو أن يراد بما قالوا ما حرموه على ألسنتهم بلفظ للظهار تنزيلًا للقول منزلة المعتدي فيه نحو ما ذكرنا في قوله دون ما يقول، ويكون المعنى: ثم يريدون العود للتماس والمماسة والاستمتاع بها من جماع أو لمس أو قبلة أو معاهدة وغير ذلك ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الحكم بالكفارة ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ أي يقبلوا النصيحة والإصلاح والاتعاظ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي بعملكم أو معمولكم ﴿خَبِيرٞ﴾ [المُجادلَة: 3] عالم ظاهرًا وباطنًا، صورة ومعنى.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ يعني المظاهر الرقبة المذكورة ﴿فَصِيَامُ﴾ أي فعليه صيام ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ من غير فرق وانفصال بينهما ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصوم المذكور الموصوف لمرض أو ضعفٍ أو هرم وغير ذلك ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ لكل منهم صاع من بر وصاع من غيره عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: مد من طعام بلده الذي يقتات فيه، ولا يحصر الظهار وصيغته فيما ذكر، بل بنحو لأن يكون مكان الأهم كل محرم نسيبًا أو رضاعًا ويذكر مكان الظهر عضوًا آخر محرمًا النظر والمس من الأم كالفخذ والبطن وغير ذلك كما تقول: أنت كظهر ابنت أخي، أو أختي، أو فرجك كفرج أختي أو عمتي أو خالتي أو غير ذلك ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ البيان والتعظيم للأحكام، منصوب بمقدر والكل معلل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي فرض الله ذلك التحرير وبيانه لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شراكة ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم، وتلك الفرائض في الكفار حدود الله وشرائعه لا يجوز رفضها وتركها ﴿وَرَسُولِهِ﴾ المجاوزين عن الحد ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المُجادلَة: 4] مؤلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعادونهما، فإن كلًّا من المعادين والمحادّين في حدٍّ غير حظ الآخر ويضعون الحدود في غير محلها، أو يختارون حدودًا غيرها باعتبار ما كبتوا أفرادًا في الاستئصال أو أهلكوا ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الكفار المعاندين الذين مضوا ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ عليهم فأنكروها كما أنكر قومك يا محمد من شبه أهل زمان أن يكذبوا الرسل وينكروا السبل الموصلة الخلق إلى الحق ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المُجادلَة: 5] يُذهب عزَّتهم وتسلب مكانتهم، هذا على مقتضى الجمال والأول على مرتضى الجلال.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ منصوب بمهين أو باذكر، أي يحشر الكافرين يوم القيامة جميعًا بحيث لا يهمل أحدًا، ومجتمعين لا متفرقين ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ ويخبرهم ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ أي بأعمالهم وكيفية ظهور أفعالهم وصدور أقوالهم كمية وكيفية على رؤوس الأشهاد، ويجادلهم بما يستمعون ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أحاط به عددًا لم يغب عنه شيء منها ﴿وَنَسُوهُ﴾ في الدنيا لكمال غفلتهم وقلة مبالاتهم وكثرة تهاونهم به ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المُجادلَة: 6] إبداءً وإعادةً وإماتة مرة بعد مرة، وإحاطة بحيث يغيب ولا يفوت عنه واحد لأمر كسب وجمع وفرد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي في الأدوار النورية الجمالية الوجودية ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي في الأكوار الظلية الجلالية العدمية من الأعيان والأكوان «**لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن**»، ﴿مَا يَكُونُ﴾ أي من متكلِّم سرًّا ﴿مِن﴾ أي لا يقع أشخاص ثلاثة يتساوون ﴿نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ أي الحق ﴿إِلَّا﴾ [المُجادلَة: 7] في الوجود والنجوى من النجوة، وإما ما ارتفع من الأرض وإنما أثر الثلاثة لعمومها جميع الموجودات لما تحقق في طور الحكمة، إن كل موجود يحتوي على ثلاثة جهاتٍ وأوجهًا حدها إلى ما فوقها، والثاني إلى ما تحته ودونه، وتنازلت إلى نفسه ووجوده وإنيته وخصوصية هويته، والله بكمال إحاطته موجود لكل شيء، ومحيط وراء الجهات الثلاث، والوجوه الثلاثة فهو رابعه كوجه الأول، منتفٍ في حق الله، نهاية الموجودات كلها إليه، فلا يكون وراءه موجود ولا معدوم انتفاء تمام المفهومات عند ذاته الأحدية لرجوعها إليها وصيرورتها إلى ما كانت عليه من العدمية والعدم لا يكون مفعولًا ومعتبرًا إلا بعد

وجوده تعالى وظهوره ﴿هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا﴾ على وجه ما علمت ﴿هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ﴾ الاثنين والواحد ﴿مِن ذَٰلِكَ﴾ من السابع والثامن وغير ذلك ﴿وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا﴾ معية معنوية لا يعلمها إلا الله، فإن الله تعالى من حيث إنَّه خمر طينة آدم مدة أربعين صباحًا ونفخ فيها وخلقه على صورته له معه وراء أنواع المعيات. قال علي كرم الله وجهه: «مع كل شيء لا بالمقارنة وبدون كل شيء لا بالمزايلة»، وهو معهم فإذا كان مع كل شيء لتضمنه الكل ﴿هُوَ مَعَهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، في الأرض والسماوات، في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية، في السير إلى الله ومن الله وفي الله آفاقًا وأنفسًا ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ۖ﴾ بعد الانتقال من دورة إلى دورة إلى كورة صريحة أو ضمنية عند ظهور الهمة في انقضاء مدة فردارية تدبير كل دورة وكورة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ في الدورات ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ القائمة لدى انتهاء التدبير وانقضاء الدورة المتقدمة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المُجادلَة: 7] علمًا حضوريًّا ولا يغيب شيء عن ظهوره أزلًا وأبدًا لا جمعًا ولا فردًا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ عن التحدث والتكلم سرًّا، نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون ويتسارون عن فعله ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، فنهاهم الرسول عنه، فقبلوا وتركوا ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ إلى مثل ما كانوا عليه من التغامز والنفاق ﴿لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ التلامز والشقاق كما هو من شيمهم وعادتهم وشعارهم ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ بالمؤمنين وأهل الحق ﴿وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ مصدر مضاف إلى الفعل والعقل متروك بغضًا بهم للرسول ومعاداتهم ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ ويظهرون لك التحية بأن يقولوا: السلام عليك، وهو السبق ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [المُجادلَة: 8] حسدًا وبغضًا وعداوة، قال الله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ﴾ [النَّمل: الآية 59]، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ في أنفسهم أي بينهم سرًّا وخفية ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ أي هلا يعذبنا الله ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي بهذا القدر من الكلام والقول ﴿بِمَا﴾ أي كافيهم ومجازيهم ﴿بِمَا﴾ عذابًا وجزاءً وعقابًا ﴿نَقُولُۚ﴾ يدخلون في جهنم

ويصل العذاب لجميع أجزائهم وأعضائهم ظاهرًا وباطنًا، جهرًا وسرًّا ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المُجادلَة: 8] جهنم، والمصير مخصوص بالذم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [المُجادلَة: 9] بالله وبما جاء منه حق الإيمان ﴿إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ﴾ وتحدثتم سرًّا، أو تتناجون ﴿فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ﴾ كما هو من عادة اليهود والمنافقين ﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المُجادلَة: 9] في آخر الأمر.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ بالإثم والعدوان تظهر ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لأنه المزين بها والباعث عليها والحامل ﴿لِيَحْزُنَ﴾ الأشخاص ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي لتوقعهم في الحزن والكآبة والحال إنه ﴿وَلَيْسَ﴾ الشيطان والمتناجي ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا﴾ أي موقعًا بهم في المضرة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ومشيئته وحكمه وأمره وإرادته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المُجادلَة: 10] الذين تبتلوا إليه تبتلًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بكمال قدرته وعموم رحمته وهجوم نعمته ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ﴾ واتسعوا ﴿فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ وابسطوا في المحافل والمجالس وليتفسح بعضكم من قوله: انفسح عني أي تنحّ وابتعد عني برفع كلفة الصيغ أو في مجلس رسول الله ﷺ فإنهم كانوا يتضامون به تنافسًا على القرب منه وحرصًا على استماع كلامه لتنبيهاته إلى التحقق بحاله ومقامه ﴿فَٱفْسَحُواْ﴾ وتوسعوا لغيركم وتضامون بعضكم ببعض لينفسح بينكم ويتمكن غيركم بالجلوس بينكم ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾

ويوسع لكم الجنة لما كان النبي ﷺ يكرم أهل مدين والمهاجرين والأنصار، فجاء ناس منهم وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا بين يدي النبي ﷺ، فسلموا على النبي ﷺ فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم منتظرين ليوسعوا لهم فلم يوسعوا، فشق ذلك على النبي ﷺ، فإذا بعضهم يقوموا عن مكانهم، فإذا قام من المجلس فشق ذلك على القائمين وعرف ذلك النبي ﷺ من سيماهم، فأنزلها الله. قيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقد ذكرنا في سورة (الحجرات) قال النبي ﷺ: «**لا يقومن أحدكم أخاه يوم الجمعة**» قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ وارتفعوا عن مكانكم ومواضعكم وانتهضوا ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ بطاعتهم وامتثالهم وإطاعتهم لرسوله وبقيامهم من مجالسهم لإخوانهم ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ من الذين تفضل عليهم وسابقهم فأخبر الله تعالى أن رسوله مصيب فيما أمر، وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا به وامتثلوا لأمر رسوله، والعلم إذا قارن العلم ازداد فضله وأجاد العالم علمه وعمله. قال النبي ﷺ: «**من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**»، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المُجادلَة: 11] تهديد لمن لم يمتثل أمر الله ورسوله واستكرهه. وقال أيضًا: بين العالم والعابد مائة درجة ما بين كل درجتين حفر الجياد بمصر سبعين سنة كان في فضل العالم ما قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فَاطِر: 28] برفع الله ونصب العلماء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةًۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بكمال قدرته وعموم حكمته وبرسوله وحقية شريعته ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ وناديتم لأمر ديني أو دنيوي ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةًۚ﴾ [المجادلة: 12] أي صدقة تطوع، فقدموا صدقة ليعظم الرسول، أو الاختيار والابتلاء للمؤمنين كيف حالهم في امتثال الأمر الإلهي وتتميز محبة الدنيا عن محبة الآخرة ويتعرف درجة المحبّين المتحققين عن درجة المتقلدينَ، واختلف في هذا الأمرِ في أنه للندب أو الوجوب عن علي كرم الله وجهه: ما عمل بها أحد

غيري، فعل هذا للوجوب ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فكنت أنا ناجيته وتصدقت بدرهم قيل فلعل لم يصل هذا الأمر إلى الأغنياء وإن وصل لم ينفق ظنًّا منه أن وقته موسع، اختلف في بقاء الحكم لأمرٍ قيل بقي عشرة أيام أو ساعة فعلى الأول الأمر المشكل ﴿ذَٰلِكَ﴾ التصدق والامتثال ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ عندَ المناجاة ما يتصدقونَ به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة: 12] يرحم له على ما يقتضي النور والجمال والظل والجلال وقال علي لما نزلت دعاني الرسول عليه فقال: «**ما تقول**»؟ قلت: لا يطيقون، قال: «**كم**»؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: «**إنك لزاهد**». فلما رأوا ذلك أسند عليهم وارتدعوا وكفوا. أما الفقراء فلعزّته، وأما الغني فلشحه. قال ابن عباس: نسخها الله في الدنيا للآية التي بعدها.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أي خفتم ﴿أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ أي بتقديم التصديقاتِ من الفقير ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البَقَرَة: الآية 268] أي خيرًا كثيرًا ومالًا كثيرًا جمع الصدقات إما للجمع للمخاطبين أو لكثرة التناجي ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجَادلة: 13] بأن رخص لهم بعدَ الإيجاب أن لا تفعلوا وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب وعصيان يجاوز الله عنه ويغفره ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبة فيغنيكم عن هذه الصدقة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر الأوامر فإن القيام كالجابر للتعويض في ذلك ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: 13] ظاهرًا وباطنًا وسرًّا وعلانية وليس في عدم الامتثال هذا الأمر من الصحابة واختصاصه بعلي الإشعار بكمال اتحاده بالنبي عليه السلام ظاهرًا وباطنًا كقوله ﷺ: «**لحمك لحمي ودمك دمي**»، هذا هو الاتحاد البدني أما الاتحاد الحقيقي فقوله عليه الصلاة والسلام: «**أول ما خلق الله نوري، وأنا وعلي من نور واحد**»(*). وقال علي رضي الله عنه: أنا محمد المصطفى وعلي المرتضى،

(*) من حيث إنه أي الإمام علي وارث للحقيقة المحمدية وفي هذه الحقيقة يوجد ثلاث اعتبارات لكل عين ثابتة: اعتبار الحقيقة الإلٰهية والجبروتُ، واعتبار الحقيقة المحمدية=

كما قالَ النبي عليه السلام: «**علي مني وأنا منه**»، وهذا الاتحاد سارَ معَ جميع الأنبياء علي كنت مع الأنبياء سرًّا وصرتَ معي جهرًا.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا﴾ وتوجهوا طائفةً من اليهود ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ ومن المشركين سخط الله لديهم ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ ولا أنتم منهم لتباينهم في الأمر الذي هو كالحقيقة النوعية وهي الأعيان والمعرفة الذاتية فإنه في الحقيقة هو نفس العقل والروح إذ ماهية الأعيانِ الثابتة والحقائق الإلهية هي الصور العلمية والنسب العقلية فيكون مضادًّا للجهل ومعاندًا للكفر والكافر ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ وهو ادعائهم أن إيمانهم وإسلامهم إنما هو من صميم القلب وكريم الغيب إشارة إلى جهة التباين الحقيقي والتغاير الذاتي بين المؤمن والكافر ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: 14] لأن المحلوف عليه كذب محض وعلمهم هذا وإظهارهم خلاف ما في قلبهم جهل مركب. روي أنه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال لأهله ولمن فيها: «**يدخل عليكم الآن رجل قلبه جبار وينظر بعين الشيطان**» فدخل عبد الله بن نفيل المنافق فقال عليه السلام: «**علام تشتمني أنت وأصحابك؟**» فحلف باللّهِ ما فعل ثم جاء بالصحابة فحلفوا فنزلت:

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾ هو نوع متفاقم من العذاب ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: 15] مستمرين على ذلك مصرّين عليه.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ التي حلفوا عليها ﴿جُنَّةً﴾ يتحصنون بها ويتصونون من دمائهم وأموالهم وعروضهم وجهلهم ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: 16] للناسِ

= والملكوت، واعتبار الحقيقة الملكية والملك، فالوارث الكامل تارة يتكلم بلسانه المتعين الحادث في عالم الملك، وتارة يتكلم بلسان الحقيقة المحمدية الملكوتية، وتارة يتكلم بلسان الحقيقة الحقية الجبروتية.

ومنعوهم عن سلوكها ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجَادلة: 16] مذلل محقر. قيل: هو عذاب القبر وعذاب الآخرة.

﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَادُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿لَّن تُغْنِيَ﴾ ولن يمنع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَادُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذاب الله ﴿شَيْـًٔاۚ﴾ حقيرًا وأمرًا قليلًا صغيرًا ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [المجادلة: 17] ما دام يكون سماوات تلك الدورة وأرضها ثابتة.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي هو على أنهم مسلمون مخلصون في إسلامهم كما يحلفونَ لكم في الدنيا أنهم منكم ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ﴾ في حلفهم الكاذب أي ينفع لهم في الآخرة كما ينفع لهم في الدنيا يعني ليس العجب من حلفهم لكم على الكذب في الدنيا فإنكم بشر ويخفى على البشر السرائر وإنما العجب في حلفهم بعد على الكذب وهو خالق البشر وما يجوز على البشر كيف يجوز على خالقه وذلك من خصائص النفاقِ فإنه إذا تمكن ورسخ في نفوسهم خلفهم بالأيمانِ، والحالف الكاذب كما يروجوا الكذب في الدنيا يروجوا الكذب في الآخرة وذلك لكمال جهالتهم وقوة غفلتهم التي أفادها النفاق ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ [المجَادلة: 18] البالغون في الكذب في الهداية حيث سرى بعالم الغيب والشهادة وعالم الحس (ألا) للتنبيه تنبيه على شناعة وفساد مآلهم.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾ واستولى ﴿عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى من حوذت الإبل في جريها وسيرها إذا استولى عليهم ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِۚ﴾ [المجادلة: 19] لا يذكرون الله لا بالقلوب ولا باللسان لا في الأمن ولا في الخوف والحروب لا في

الصحة ولا في المرض ولا في القلق والكروب ولا عندَ النزع والعطوب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الأشخاص والأعيان هم ﴿حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ وفرقه وأتباعه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وجماعتِه ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19] في الدنيا والآخرة بأن أعمالهم وهي رأس مال التجارة لهم وفوّتوا أرباحها وهي النعيم السرمدي وأُلبسوا الجحيم والعذاب الأليم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنَّ﴾ الأشقياء ﴿ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ ويخاصمونه ويخالفونَ أمره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [المجادلة: 20] قد انخرطوا واندرجوا ﴿فِى﴾ زمرة الأعيانِ ﴿ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: 20] الأرذلين أفعل التفضيل أي أشد الرذالة والحقارة والذلة والبذالة كتب الله في اللوح المحفوظِ والكتاب الأول وحكم في حضرة علمه ونضرة قضائه وحكمه، لاعنين على الكفارِ والمخالفين.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ﴾ بطريق العقل فالاحتجاج بالبراهين القاطعة والأساطين الساطعة، هذا أمر عام يتناول جميع الأنبياء والمرسلين إلا أن منهم من ضم إلى الاحتجاج السيف كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: الآية 25] بالسيف أيًّا هي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ على نصرة أنبيائه وإيتاء فرصه أو لقائه قادر على دفع خصمائه ﴿عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21] غالب قاهر على من يخالف أمر الحق فلا نظير له ولا نصير ولا ظهير في حكمه ومشيئته.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

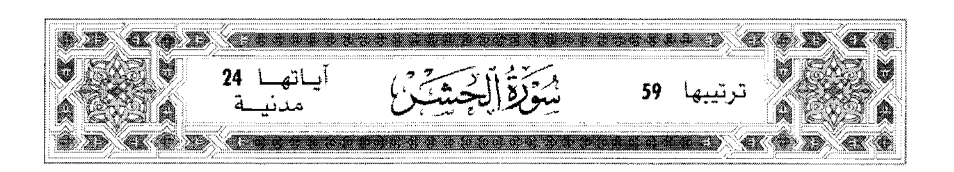
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [المجادلة: 22] ويصدقونه وبكل ما

جاء من عنده ﴿يُوَآدُّونَ﴾ ويحبون ﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وخالف أمره وجادلَ من باب التخييل إنه قد تخيل إنه يجوز أن يكون المشرك والكافر ظهر المؤمن فيحبه، فالله ينفي هذا التخييل ويمنعه بأن لا يسعى أن يكون ويوجد مؤمن ليستظهر الكافر ويطلب منه النصر والظفر لأنه من المستحيلات العادية ليعاند الأعيان بالشرك والإشراك مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسة ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ﴾ المخالفونَ المحادّون ﴿ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ﴾ تأكيد النهي يعني يا محمد لا تجد قومًا يحبونَ المشركين لأن الإيمان باللَّهِ يضادّ الكفرِ ويخالفه واجتماع التقدير في محل واحدٍ فحينئذ ولو كانوا أي الكافرون أبًا لهم أي أبناء المؤمنين وأبناءهم وعشيرتهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المؤمنون المنافقون ﴿كَتَبَ﴾ في الأول في مقام ألست بربكم ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾ أي ماهيتهم الأولية وحقائقهم الإلهية وأعيانهم الثابتة وهو الصور العلمية التي هي الهيئة الجمعية بين الأحدية والواحدية ﴿ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: 22] وهو شهود بعين ذات الحق ووجوده في ضمن شهوده ذاته بداية أولًا في التجلي الذاتي بعنوان الذاتِ بنعوت الشهودات الذاتية في التجلي الاسمي بعنوان العلم والحياة والقدرة والإرادة أو السمع والبصر أو الكلام فرادى أي مثنى أو مثلثًا ومربعًا إلى المسبع ثم في المرتبة العقلية بعنوان العلم والفعل ثم في المرتبة الروحية بعنوان الحياة ثم في المرتبة البرزخية بعنوان القدر بالصورة الشبحية ثم في مرتبة الشهادة بعنوان الإرادة بالصورة الجسمية بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: الآية 5]، ثم في مرتبة الناسوتِ بعنوان الإنسانية بالصورة النوعية والهيئة الجمعية خلق الله آدم على صورة الرحمن أو على صورته هذه الجملة في المعنى هي تعليل للنهي ودليل على انتفاءِ المودة واختفاء المناسبة والمحبة بين أصحاب الضلالة وأرباب الهداية ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ﴾ أي نور في القلب أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء أو القرآن أو اليقين الكامل واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المجادلة: 22] الأربعة الجارية تحت أشجارها وقصورها ودليل آخر على تباين حقيقة المؤمن والكافر فإن طبقة أهل الجنة من الجنة وطينتها وطينة أهل النار من طين الدنيا.

مطلب أنوشروان وهارون الرشيد

قال النبي عليه السلام: «**خلق الله الأغنياء من طين الأرضين وخلق الفقراء والأنبياء من طين الجنة**»، واعلم أنَّ الله تعالى خلق السلطان العادل العالم العامل أيضًا من طين الجنة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «**إذا مات السلطان العادل العالم العامل لم يأكل الأرض جسده بل يبقى طريًّا**». روي أن هارون الرشيد قد جمع العلماء وقال لهم أريد أن أظهر صدق هذا الحديث على أهل العلم فقال من كانَ في هذه الصفةِ من الملوك والسلاطين؟ فقالوا: أنو شروان عادل فأمر أن يخرج من قبره وقد كانَ مدفونًا في المدائن فوجده في صندوقٍ وتابوت من مرمر صحيحًا سليمًا من التعفن والتفرق طريًّا ناضِرًا كأنه حي قد نام ووضع على جانب رأسه لوحًا من زبرجد مكتوبًا: كل سلطان وحاكم يريد قهرًا للأعداء وتوسيع دائرة الملك والظفر على الخصماء فليربي الجيوش ويحسن إليهم فإن أرادَ الخزائن فليرع الرعية ويعدل وإن أراد بقاءهما على صاحبهما فليكرم العلماء والفقراء ويقوي الضعفاء ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ خلودًا منوطًا وممدودًا بجنود سماوات دورتهما ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ ببركة طاعتهم وخاصية عبادتهم المقرونة بالإخلاصِ ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ عند المجازاة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المؤمنون هم ﴿حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾ وجنوده وممنونة ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ﴾ وجنوده ﴿هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22] الفايزون والصالحون المصلحون. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (المجادلة) كُتِب من حزب الله يوم القيامة**» صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي حشرَ أموات المجاهدين في القيامة الأنفسية في عرصة الرياضات ومضمار المجاهدات بحسن المجازات ولطف المكافآت بأنواع التجليات وأصناف المشاهداتِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أحيى أمواتِ أجداث الأجساد بحياة ماء المعارف الفطرية والنظرية والإدراكات الفكرية ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي تلألأت الأنوار في وجهه الباقي على مجالي قلوب العارفين ليشاهدوا أسرار الأدوار وأنوار الأطوار القلبية وأطوار شؤونات الأكوار كائنة ما كانت في النشآت مقتضيات دوراتِ مبادئ التجليات وبروزات الأعيان ورموزات الأكوان تصور الكائنات وهيآت غرر الحالاتِ ودرر المقاماتِ.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الحشر: 1] أي أعيان سماوات الدورة الكبرى النورية الجمالية التي ظهرت في فردارية اسم الحي وصفة الحياة بصورة الأرواح صريحًا وبنعوت الأغوال التي تولدت بالأرواح في مدة سلطنة النور والجمال من بطن واحد ضمنًا وبهذا كل عين من أعيان دورة النور والجمال من العقل والنفس والروح والطبيعة والجسم التي هي أجزاء سريرتك وبسائط أنيتك يتولد من مولود آخر من مرتباتِ اسم الخليل ويكون معه ضمنًا وتبعًا وبطنًا مثلًا تولد مع العقل الأول واليقين الأول النوري الجمالي الأهرمن الذي قال به المجوسي فإنه خالق الشر

والله خالق الخير والنفسِ والروح يتولد معه القول وهو معلول ومخلوق له عشرة رؤوس واحد منها رأس آدم والباقي رأس سائر الحيواناتِ التي هي المستنسخات كالقردة والخنازير وعبدة الطاغوت والكلب والفرس والأسد والحية والسمك والسلحفاة وهذه الرؤوس العشرة بإزاء العقول العشرة والحواس الظاهرة والباطنة التي قد اجتمعت مبادئها في الدماغ والرأس وتولد مع النفس العاملة والطبيعة العاملة والأشباح البرزخية والشياطين ومع الجسد والبدنِ الجن لقوله عليه السلام: «**ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي**».

﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ﴾ [الحشر: 1] الاستعدادية التي ينيب إلى الحلال وفي الحقيقة صحيفة الأعمال وديوان الأفعال وكتاب الأحوال من هذه الأرض التي في كل عين من الأعيانِ وفي كل كون من الأكوان حصة من هذه الأرض قد كتب الله تعالى في هذه الحصةِ جميع ما يجري في تلك الدورة ويصدر من هذا المتن في خارج تلك الدورة والعين، فإذا انتهت مدة اقتضاء دورة من الأدوار النورية الجمالية وانتقلت التربية من تلك الدورة واسمها المدبّر إلى دورة أخرى واسم آخر من الأسماءِ الأربعة الذاتية التي هي أرباب الأدوار وأسباب ظهور ما في الأكوار قامت قيامة منسوبة إلى هذه الدورة بتبدل سماواتِ هذه الدورة وأرضها ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: الآيات 2 - 4] إلى آخر السورة، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: الآية 48] فصلنا الكلام في هذا المقام في مفتتح الكتاب في تفسير الفاتحة وتأويلها فارجع إليه.

روي أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة صالح بني النضير على أن يكونوا له لا عليه فلما وقعت واقعة يوم بدر قالوا: إنه هو النبي المنعوت في التوراة، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا وتشككوا وخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبًا إلى مكة فأمر رسول الله محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعبًا وكانَ أخاه من الرضاعة ثم صحبهم الرسول الكتابَ والعشائر وهو على حمار مخصوم فقال لهم: اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب من ذلك فتنادوا بالحرب قيل: استمهلوا رسول الله عشرة يتهيأوا للخروج إلى الشامِ يعني النصر فدس إليهم عبد الله بن أبي وقال: لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن

معكم. فلما مضت إحدى وعشرون ليلة قذف الله الرعب وألقى الخوف وعمّ الهيبة في قلوبهم وظهر خلاف ما وعد المنافقون لهم وآيسوا من نصرة المنافقين طلبوا الصلح بالنبي فأتوا النبي ﷺ ومنعه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 1].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني بني النضير ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الحشر: 2] بيان الدين ﴿مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ لابتداء الغاية يعني ابتداء خروجهم يكون من ديارهم إلى الشام ثم يدركهم الساعة هناك ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾ أي فأول حشرهم من جزيرة العرب أو في أول حشرهم للقتال والجلاء إلى الشام وآخر حشرهم أن عمر أجلاهم من خيبر إلى الشام قيل آخر حشرهم هو حشر القيامة و(الحشر) هو إخراج جمع من مكان إلى آخر ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ﴾ من دياركم قالَ ابن عباس إن المسلمينَ ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم﴾ لوفور قوتهم وكثرة معاونتهم وقلة قوة أهل الإسلام خصوصًا في هذا المحل لا يتمكنون عن إخراج النضير فكان إخراجهم وخروجهم من أهل النعمةِ للمسلمين ليتخلصوا من مكايد اليهود وظنوا أي المنافقون حيث منعوا النضير عن الخروج واستمالوهم بأنا معكم وناصروكم أنهم ﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾ من الخروج عن ديارهم ﴿حُصُونُهُم﴾ وقلاعهم وسورهم يتحصنون بها وفيها ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وعذابه وحلول عقابه وقد تحقق أنه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمهِ ولبلائه، إذا قيلَ قومًا لا من الإنسن ولا من الجن ولا من الملك ولا من قوة الفلك ويجوز أن تكون حصونهم فاعل مانعتهم ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ وعذابه والرعب والخوف في قلوبهم ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ﴾ ولم يخطر ببالهم أن رأسهم ومقدمهم ورئيسهم كعب يقتله ويقطع رأسه من لا يتوقع منه هذا الفعل، فلما قتل رأسهم ورئيسهم اقتلعت شوكتهم وتفرقت كثرتهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ﴾ والخوف والمهابة فنفروا من كل همس وينفروا من كل دس ولمس ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم﴾ [الحشر: 2] وينهبون ما فيها من الأثاثِ والأجناس والرخوة وأداة الزرع والحراثِ

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ أولًا بحرمانهم وقطع آمالهم من المرتجيات وتمام المتمنياتِ ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثانيًا لكمال عجزهم ووفور إقبال الكتاب إليهم وتوجه الحوادث من كل الجهة لديهم ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟﴾ وانظروا إلى خفايا لطائف الله وكمال عنايته بحبيبه ورسوله ﴿يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الحشر: 2] وذوي الاختبار.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ عن المواطن والخروج عن جل الأماكن عن كل الظواهر والبواطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بأنواع السياسات وأصناف الرياسات من القتل والنهب وقتل العرض وسبي الذراري في الصحراء والبراري ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: 3] لمخالفتهم لما وجدوا في كتابهم التوراة من نعوت المصطفى عليه السلام.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر الذي لحقهم في الدنيا من صنوف العذاب وصنوف العقاب ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي بسبب أن كثروا المخالفة لأمره ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ شادوا العناد لحكمه ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ فهو يستحق العذاب الشديد وعوائد العقاب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: 4].

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿مَا قَطَعْتُم﴾ (ما) موصولة وموصوفة أو استفهام ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر: 5] بيان وتفسير لما وذلك أن رسول الله لما توجه إلى بني النضير تحصنوا بحصونهم، فأمر بقطع لينتهم أي نخيلهم فجزعوا وخرجوا وفرغوا وقالوا يا محمد إنك تزعم إنك هداية ورحمة للخلق وعناية لأهل الجمع والفرقِ، ما هذا الأمر الذي أمرت بإحداثه وكذا بعض المسلمين قد أنكره فأجابَ الله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216] أي الذي قطعتم من النخل أو أي شيء قطعتم منها ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ

﴿ٱللَّهِ﴾ وأمره وحكمه وقضائه وقدره ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾ وبذلك يهين ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: 5] اليهود الذين خرجوا عن طاعة اللّهِ فأنزل الله هذه الآية بأن قطع اللينة إنما هو بأمري لأمرين نشر الأعلام الإسلامية ولأن يذلل الكفار اليهودية.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ وأعاده ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر: 6] من الخلق فإنه حق وهو أحق به لأنه تعالى ما خلق الخلق إلا ليتوسل به ويتوصل به بإرشاده إليه فوجب على الكل امتثال أمره وإطاعة حكمه ﴿مِنْهُمْ﴾ من بني النضير أو من الكفرة المطلقة ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾ من الوجيف وهو سرعة السير أي ما أسرعتم ﴿عَلَيْهِ﴾ على تحصيله ﴿مِنْ خَيْلٍ﴾ وفرس ﴿وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: 6] ما ترك عليه من الإبل غلب عليه كما غلب الراكب على راكبة هذه الدابة، نزلت في بني النضير وقراهم، وليس للمسلمين يومئذ خيل ولا راكب ولم يقطعوا لهم مسافة ولم يجدوا في طلبهم مشاقة إذ ما كانَ بينهم وبين النضير إلا ميلين ولم يجز بينهم مقابلة فإذا حصن جميع ما لهم من المال والخيل والحمار والركاب برسول الله عليه السلام روي أنه ﷺ قسمها بين المهاجرين وما أعطى الأنصار منها شيئًا إلا ثلاثة نفر كانت لهم حاجة وهم أبو دجانة وسهل بن حب والحرث بن الصمة أنه تعالى ذكر حكم الفيء فقال:

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر: الآية 7] الآية، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده المؤمن والكافر ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6] بالإحياء والإماتة والتغليب والقتل والتخريب والتسريف والتغريب والتبعيد والتقريب.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ﴾ [الحشر: 7] أي ذلك المال الذي

يختص به وبرسوله، عن عمر رضي قال: أن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله، وكان الرسول لم ينفق أهله منها نفقة وما بقي جعله في آلة الكراع والسلاح عدة في سبيل الله، وذلك أن بني النضير لما تركوا أرباعهم ومنازلهم ورفضوا مراحلهم وصناعهم ونقضوا العهدَ والميثاق صارت أموالهم فيئًا وغنيمة وطلب المسلمون أن يقسمها بينهم فبين الله في هذه الآية إنها مما لا يوجب المسلمون عليها خيلًا ولا ركابًا فكانت للَّه ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحَشر: 7] بيان وتفسير الآية الأولى ولذا لم يعطف، نزلت حين أراد المسلمون وسألوا أن يقسموا أموال بني النضير بينهم وذي القربى من قرابة الرسول وهم بنو هاشم وبنو المطلب وهم يستحقونَ ذلك بالقرابة ولا تعتبر فيهم الحاجة كما ذهبَ إليه الشافعي وأصحابه وغيرهم قد اعتبروا الحاجة وجعلوا للذكر مثل حظ الأنثيين، وعلم أن جميع الأموال التي هي في يد المسلمين على ثلاثة أوجه:

أحدها: ما أوصلت إلى حد القضاء فيأخذ منهم على طريق القهر وهو حرام على ذي القربى لأنه وسخ وبذخ وهي الصدقاتِ التي مصرفها ما في الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [التوبَة: الآية 60] إلخ.

الثاني: الغنائم وهو ما يحصل من الكفارِ بالقهرِ والحرب.

الثالث: ما رجعَ من أموال الكفارِ عفوًا ولطفًا وصلحًا من غير قتال وحرب وجدال ولا إيجاف خيل وركاب مثل مال الصلح والجزية والخراج والعشور التي تأخذ من تجار الكفار إذا أدخلوا في دار الإسلام، ومثل أن يهرب المشركون ويتركوها أو يموت منهم ولا وارث لهم، والصدقات مقدَّر حكمها في سورة البراءة.

وأما الفيء والغنائم فقد كانت في بدء الإسلام للرسول يصنع ما يشاء، قيل: لله وللرسول، ثم نسخ بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفَال: الآية 41] فجعلت أخماسًا فجعل أربع أخماسها للغانمين يقسم بينهم مما كانت من النقود والعروض والأمتعة وسائر المنقولات فيقسم بينهم.

وأما العقار فاختلف فيها فقال مالك: هو يحملها للإمام على مصالح المسلمين.

وقالَ أبو حنيفة: هي للإمام مخير بين أن يجعلها وقفًا أو تقسم بينهم. وقال الشافعي: ليس للإمام حبسها عنهم بغير رضائهم. وحكمها حكم سائر الأموال والاختيار هو أن الله تعالى أخبر الخمس منها بعدما أضاف الجميع إليهم بقوله: ﴿غَنِمْتُم﴾ فدل على أن الباقي لهم وحقهم.

وأما الخمس الباقي فمنقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله ﷺ وسهم لذي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل فأما الفيء فإنه يقسم على عهد رسول الله على خمسةٍ وعشرين سهمًا أربعة أخماسِها وهي عشرونَ سهمًا لرسول الله ﷺ. وقد اختلف في أربعة الأخماسِ التي كانت له من الفيء فقال قوم: إنها تصرف إلى المجاهدين المترصدين للقتال، وهو قول الشافعي.

وقال قوم أخر: تصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطير ونحوها وهو القول الآخر للشافعي. وأما السهم الذي لرسول الله ﷺ خمس الفيء فقد بين في موضعه ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾ الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء ﴿دُولَةً﴾ ودايرة ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ﴾ الدولة أصلها ما يتداوله الأغنياء ويدورونه بينهم كما كان في الجاهلية فينقلب بين الرؤساء ويتصرفون فيه فضاع حق الفقراء ﴿مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ وأعطاه لكم وقسمه غنيمة ﴿فَخُذُوهُ﴾ واقبلوه بطيب النفس لأنه خلال وكشاف لكم ما هو فيه مشكلة وشبهة فيكون أمره وإطاعة حكمه واجب عليكم ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ وأعرضوا وانصرفوا عنه وامتنعوا منه ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7] شديد النقمة والانتقام.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ بدل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ولذي القربى وما عطف فإن الرسول لا يسمى فقيرًا لأن الله تعالى أخرجه عنهم بقوله: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾، ﴿أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ فإن كفار مكة أخرجوهم وأخذوا أموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ أي رزقًا واسعًا ورضاء، وسائغًا حال مقيدة لإخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم وتعظيم إيقانهم ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: 8] في إيمانهم وجهادهم وهجرانهم وسائر أحوالهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ وسكنوا وتوطنوا المدينة والتزموا الأعيان عطف على المهاجرينَ والمعنى منهم الأنصار فإنهم لزموا المدينة والتزموا الصدق والتصديق ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قيل تبوؤا دار الهجرة والإخلاص والإيمان فحذف المضاف إليه في الأول والمضاف في الثاني فانتظم الكلام واستقام المرام في هذا المقام واندفع الإشكال بأن إيمان الأنصار قبل المهاجرين تسلية وتطييب لقلوب الأنصار وتنبيه بأنَّ إيمانهم غير منحط عن درجة الكمال ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ برسول الله تاركين المواطن المألوفة قاصدين رضاء الله ومرضاة رسوله ومحبتهم لهم إنما هي للَّهِ وفي اللَّهِ فهم المتحابون في اللَّهِ ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ﴾ وأنفسهم ﴿حَاجَةً﴾ دنياوية لتكون محبتهم معللَّة بالغرض والعوض ولا يعلمون في قلوبهم ريبة ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أعطى المهاجرينَ من الفيء والغنيمة وحرموا الأنصار ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ ويختارونَ المهاجرينَ ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ويقومونهم في المطالب الدنياوية والأعراض العاجلةِ حتى أن من كانَ له من الأنصار زوجتان ترك إحداهما لمن أحبه وناجح معه وزوّجها منه ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي حاجة وفقر وفاقة وعن أبي هريرة أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله إني مجهود فبعث إلى نسائه هل عندكن من شيء فقلن ما معنا إلّا الماء فقالَ رسول الله ﷺ: «**من يضمن أو يضيف هذا**»؟، فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبيان فقال: هيئيي طعامك وأصلحي سراجك ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيّأت طعامها وأصلحت سراجها ونوَّمت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا كأنهما يريدان أن يأكلا فباتا طاويين، فلما أصبح غدًا إلى رسوله اللَّهِ ﷺ فقالَ صبحك الله الليلة فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ أي يحفظ نفسه عن البخل ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ﴾ [الحشر: 10] وهم التابعون بعد الأنصارِ والمهاجرينَ وغيرهم من الصحابة قرنًا بعدَ قرنٍ إلى يوم القيامة ولاية قد استوعبت جميع المؤمنين ثم ذكر من خصائص هذا الفريق ووظائفهم أن يدعو لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمانِ بالمغفرة وبكمالِ الرحمةِ هذا من أخص خواص المؤمنين أن يدعوا أو يطلبوا لأحوالهم الخيرَ من اللّهِ ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ من المهاجرين والأنصار وكذا كل طبقة من المؤمنين راجيًا من حسن إيمانهم أن يدعو لإخوانهم الدينية وأعوانهم النفسية ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾ [الحَشر: 10] وزيفًا وخبثًا يكون لصاحبه قيدًا وحبسًا وغولًا وهو في الأصل الحسدِ والبغض والحقدِ والغدر، قد سبق الكلام في هذا المقام في سورة الأعراف في عشر: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العَصر: الآية 3] الآية، ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ متعلق بـ(غلًا) ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ﴾ شفيق عطوف بالمؤمنين الذين كانوا بهذه الصفة ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10] كثير الخير والسعادة وهي هذه الصفة لهم فمن لم يكن بهذه الصفة من التابعين كان خارجًا من زمرة المؤمنين إذ من خصائص كمال الإيمان التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله.

﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١﴾

﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ أظهروا خلاف ما أضمروا نزلت في عبد الله بن أبي سلول وأصحابه ﴿يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ﴾ وأصحابهم وأعوانهم في النفاقِ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الذينَ هم اليهود من بني قريظة والنضير جعل المنافقين إخوان الكافرين لإشراكهم في أصل الكفرِ أظهروا الإيمان اللفظي ﴿يَقُولُونَ﴾ للنضير تثبيتًا لهم على الكفر ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ﴾ [الحشر: 11] من المدينة ﴿لَنَخۡرُجَنَّ

مَعَكُمْ﴾ بلا تخلف ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في قتالكم ومقاتليكم ﴿أَحَدًا﴾ من أصحاب محمد وأتباعه وجنوده وأشياعه إن حملنا وكلفنا عليه وفي خذلانكم وإذلالكم ﴿أَبَدًا﴾ دائمًا ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ وإن وقع عليكم القتال والمقاتلة من المسلمين وترك ذكر الفاعِل وعدم التصريح به من شعار النفاقِ وخصائصه ليبقى لهم المقدرة وصرف الكلام إلى غير المرام في هذا المقام ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ بالقوة والخيل والمالِ والجاهِ ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر: 11] في هذا الكلام لأنهم لتردّدهم في أصل الفطرةِ وعدم ثبات رأيهم في أمر من الأمور لتلوّن مولودهم الجني لتوارد الآراء المختلفة عليهم من مبدأ إنهم تضمني وهو الظل والجلال فلا يوافق مقتضى الجمال مرتضى الجلال ولذا صاروا في الدركِ الأسفلِ وساروا إلى المدرك المنزل.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟﴾ من ديارهم وأموالهم ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ المنافقون ﴿مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟﴾ أي وقع القتال على الكفار ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ ولا يمنعون عنهم ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي على سبيل العرض وإن كانَ محالًا إذ فرض المجالس المحال إن ينصر المنافقون المسلمين في ساعة أخرى لعدم ثباتهم في الرأي فإذًا ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ أي رجعوا رجع القهقرى وعادوا على الأدبار واللام إما لتأكيد عدم الثبات والتمكن أو لتوطئة القسم بأنهم لا يثبتون ولا يتمكنون في النصرة والإعانة ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: 12] ولا يمنعونَ العلية عليه من أحد فضلًا عن آحاد وجماعة وأفراد.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿لَأَنتُمْ﴾ يا معشرَ المنافقين والله ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ مصدر رهبت المبني للمفعول كان قيل (أشد) مرهونة ﴿فِى صُدُورِهِم﴾ فإنهم كانوا يضمرون المخافة من المؤمنين ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بأن يخبر عما في صدورهم من النفاق والمخالفة ﴿ذَٰلِكَ﴾ النفاق وعدم الثبات ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ ليت أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: 13] ولا يعلمون حقائق الأمور ظهرًا وبطنًا.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أي لا يقتدرونَ على قتالكم أي اليهود والمنافقون حال كونكم مجتمعين ﴿جَمِيعًا إِلَّا﴾ كائنين ثابتين ﴿فِى قُرًى﴾ متفرقة ﴿مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالسور والخنادق والثغور والقلاع ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ يكون فيها جماعة من الشجاعة لهم بأس شديد وبطش شديد ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ذوي ألفة وموافقة أنيقة فلو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الاجتماع ولا القوة والشجاعة ولا البأس والبضاعة إذ الشجاع حينئذٍ يجبن والقوي والغني يومئذٍ يضعف ويغفر ولا يعطف ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة متخالفة بلا ألفة لافتراق عقائدهم واشتقاق معاقدهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الشتات والتفرقة ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14] انتفى العقل والإدراك عنهم.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي مثلهم وقصتهم في النفاقِ وكثرة المخالفة والشقاق كمثل القوم الذين كانوا في زمان كان قبل زمانهم كبني قينقاع والقريظ أو مثل المهلكين من الأمم الماضية ﴿قَرِيبًا﴾ أي حال كونهم في زمان كان قبل زمانهم كواقعة الفيل ﴿ذَاقُوا۟﴾ ذلك الزمان مراده طعم زقوم ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي سوء عاقبتهم في الدنيا وهو القتل والسبي والأسرِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر: 15] في الآخرة.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ على ربك وأشرك به غيره ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ إنما يبرأُ الشيطان في هذه الحالةِ من الإنسان مخافة أن يشاركه في العذاب والنيران الأبد والعقاب الشديد الممتدّ وقال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: 16] والمراد من الإنسان إما الجنس أو فرد معين وهو أبو جهل حيث قال له إبليس يوم بدر ولا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم قيل هو راهب يقال له برصيصًا فلما حمله على الفجور

مَعَكُمْ﴾ بلا تخلف ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في قتالكم ومقاتليكم ﴿أَحَدًا﴾ من أصحاب محمد وأتباعه وجنوده وأشياعه إن حملنا وكلفنا عليه وفي خذلانكم وإذلالكم ﴿أَبَدًا﴾ دائمًا ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ وإن وقع عليكم القتال والمقاتلة من المسلمين وترك ذكر الفاعِل وعدم التصريح به من شعار النفاقِ وخصائصه ليبقى لهم المقدرة وصرف الكلام إلى غير المرام في هذا المقام ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ بالقوة والخيل والمالِ والجاهِ ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر: 11] في هذا الكلام لأنهم لتردّدهم في أصل الفطرةِ وعدم ثبات رأيهم في أمر من الأمور لتلوّن مولودهم الجني لتوارد الآراء المختلفة عليهم من مبدأ إنهم تضمني وهو الظل والجلال فلا يوافق مقتضى الجمال مرتضى الجلال ولذا صاروا في الدركِ الأسفلِ وساروا إلى المدرك المنزل.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟﴾ من ديارهم وأموالهم ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ المنافقون ﴿مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟﴾ أي وقع القتال على الكفار ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ ولا يمنعون عنهم ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي على سبيل العرض وإن كانَ محالًا إذ فرض المجالس المحال إن ينصر المنافقون المسلمين في ساعة أخرى لعدم ثباتهم في الرأي فإذًا ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ أي رجعوا رجع القهقرى وعادوا على الأدبار واللام إما لتأكيد عدم الثبات والتمكن أو لتوطئة القسم بأنهم لا يثبتون ولا يتمكنون في النصرة والإعانة ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: 12] ولا يمنعونَ العلية عليه من أحد فضلًا عن آحاد وجماعة وأفراد.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿لَأَنتُمْ﴾ يا معشرَ المنافقين والله ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ مصدر رهبت المبني للمفعول كان قيل (أشد) مرهونة ﴿فِى صُدُورِهِم﴾ فإنهم كانوا يضمرون المخافة من المؤمنين ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بأن يخبر عما في صدورهم من النفاق والمخالفة ﴿ذَٰلِكَ﴾ النفاق وعدم الثبات ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ ليت أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: 13] ولا يعلمون حقائق الأمور ظهرًا وبطنًا.

الذين هم الكفار من الجن والإنسِ فيتناول أصحاب البرزخ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: 20] والجنة أعم من أن تكون جنة التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية وأنهار الجنة الأربعة ذكرت فيما تقدم.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ وكتاب الفرقان ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا﴾ متذللًا لعظمه المعنوية ﴿مُّتَصَدِّعًا﴾ مشتتًا ومتفرقًا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ وقهرمان عظمته ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21] من أنوار آياته وأسرار بيناته توبيخ وتعبير للإنسان على عدم تخشعه وانتفاء تضرعه واختفاء خوفه وتواضعه وعلى قلة تدبيره في معاني الآياتِ وتفكره في مثال كلماته.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ معنى الوجودات الظلية والتبينات الغيبية والعينية ومفضي إلى الكمالات الذاتية والأسمائية ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22] مقتضى السعادات الأخروية والكمالات المعنوية وشهود التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية في العروجيات والترقيات.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ الذي يملك ملك السماوات النورية والأفلاك الجمالية التي يلزمها التشبيه ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ المنزه إليها العقول من الأمور الظاهرة النورية الجمالية ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ المنزه والمبعد عن التنزه الإنساني والتقديس النفساني والتبعيد الروحاني ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: الآية 23] واهب الأمن والأمان

لأفراد الإنسان في نسب التشبيهات ورتب التنزيهات والتقديسات الجسمانية والنفسانية والروحانية على اللّهِ الموصوف المتصف لجميع الأسماء أو الصفات إشارة إلى أن مبدأ التشبيه والتنزيه والتقديس هو الله ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ الرقيب الحفيظ المحيط على كل شيء ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ﴾ الغالب القاهر القوي الذي انعدم نظيره وإنكم نظيره ونصيره ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ الذي تكبر في ذاتِه وتعظم في صفاته الذاتية والأفعالية والآثارية على وجه المغرم حاجة وانتفع بقضائه ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحَشر: الآية 23] به الجهال من الكفار والملائكة والكواكب والعناصِر والمعادن والنبات والحيوان والإنسانِ والعلماء باللّهِ فإنهم وإن كانوا ينزهونَ الله عما عبده الجهال وعما يكره من الحاجة والنقصان والضلال إلا أنهم قيدوا ذات اللّهِ بما اعتقدوا وهو في حد ذاته وكمال أسمائه وصفاته مقدس عن تقديسهم وتسبيحهم وتنزيههم.

قالَ النبي عليه السلام: «**أعوذ باللّهِ من الخالق المخلوق**»، وإنما قيد الخالق لأنهم يستدلون من المخلوقاتِ وأحوالها إلى ذات الخالقِ وأوصافها وأسمائها الذاتية والأفعالية والآثارية وكذا عما شاهدوا أهل الكشف والشهود في مشاهد خلواتهم ومراصدِ معانيهم من أنوار الأسماءِ والصفاتِ وأسرار الظهوراتِ وأطوار التجليات وأنواع الظهورات وأجناس الحالاتِ وأصناف المقامات فإن ذاته العالية وأسماءه الحسنى وصفاته العليا على ما هي عليه في نفس الأمر مندسة على مدارك العقول وعن تقيد ما قيد به أهل الكشف والشهود، واعتقد بأن ما رأيته وشاهدته هو الحق، أسماؤه وصفاته، وإن كان الكل من اللّهِ وإرادته وحكمه وقضائه وحكمته ومشيئته فإن الله هو الكل، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، نعم من وفقه الله تعالى بأن يجعله فانيًا في نفسه في تمام أسمائه وأفعاله وأحواله وحسه وشرَّفه بتشريف بقائه أوصال ذاته وصفاته وتمام حالاته فإن في هذه الحالِ يشاء الحق بالحق في تمام الأدوار وجميع الأكوار بعموم الأطوار في الظلماتِ والأنوار كما قال: كنت سمعه وبصره. إلخ، قال النبي ﷺ: «**رأيت ربي بربي أو بعين ربي**».

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ المخرج للأشياء عن العدم إلى الوجود بلا مادة ومدة أو المقدر بكل ما يمكن بأن يوجد على مقتضى حكمته ومرتضى إرادته ومشيئته في أدوار فردارية النور والجمال وأكوار فردارية نوبة تنير الظل والجلال ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ [الحَشر: 24] الذي يبرّئ مخلوقاته ويبعدها عن النقصِ في الخلقة أو في التقدير والتشكيل والتصوير، وأما ما يرى في بعض المخلوقاتِ من النقص والعيب فهو في الحقيقة ليس بعيب ونقص وإن كانَ في نظر الظاهر عيبًا ونقصًا، مثلًا إن الكمامة والعمى والصمامة والعشا وإن كانَ في الظاهِر عيبًا إلا أن ذلك الأكمة والأعمى والأصم والأعشى له في كمال ذاتِه وصفاتِه وظهورها فيه شرائطه وأسبابه قد ظهرت في هذه النشآت في خصوصية هذه الدورة بهذه الصورة والصفة إذ يظهر كل كمال أحد وشيء نشآت وشؤونات في الأدوار والأكوار الأربعة ولها شرائط وأسباب لا تتناهى، وأيضًا أن العيوب والنقائص والسلوب والنقائص شرائط وأسباب لظهور تقابل الأسماء الإلهية فهي بهذه الحيثية كمالات لا تتناهى لأنها أسباب وشرائط لظهور الكمالات.

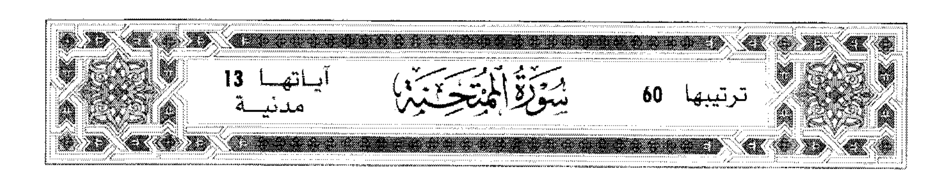
﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ بالصور اللطيفة البرزخية أولًا ثم بالكيفية الجسمانية والأولى أن يجعل الخلق إشارة إلى تحصيل القابليات الثابتة الثانية في المرتبة الثانية وأما الاستعدادات الذاتية المنسوبة إلى الفيض الأقدسِ فهي في المرتبة الأولى، وقوله عليه السلام: «**خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه فقد اهتدى ومن لم يصبه فقد ضل وغوى**» إشارة إليهما والبارىء إلى تحصيل الصور الأولية العلمية والهيئات الروحية والأشكال الشبحية والهيئات الجسمانية.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي إما سبعة ذاتية الحي والعليم والقدير والمريد والسميع والبصير والمتكلم أو تسعة وتسعونَ وهي مشهورة أو أحد وألف أو الأشياء كلها فإن كل شيء هو اسم من أسمائه يظهر ويتعين بخصوصية وهو وإن كانَ من وجه نسبته وتعين له إلا أنه من وجه آخر تنزيه ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي الأعيان النورية ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر: 24] أي الأكوان الظلية العدمية ﴿وَهُوَ

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 24] فالأول بالنسبة إلى النور والجمالِ والثاني بالنظر إلى الظل والجلالِ.

اعلم أن الله عزّ وجل ذكر ههنا أربعة عشر اسمًا إشارة إلى أقسام الأدوار الأربعة النورية فإن كلًّا منها ينقسم إلى أربعة أخرى إفرادية وكذا الأكوار الأربعة يقسم كل منه إلى أربعة أكوار إفرادية فيرتقي هذا أيضًا إلى ستة عشر حاصل من ضرب أربعة إلى أربعة بعدد الأسماءِ والصفات بعضها تشبيهية وبعضها تنزيهية وفي هذه الآية ستة عشر الثلاثة تركيب الأدوار الأربعة مع الأكوار الأربعة وجمعيتها ترتقي إلى ستة عشر، فالمجموع يرتقي إلى أربعة يشير إليه قوله تعالى: حم ح م 8 4 وذكرها في سبعة مواضِع إشارة إلى أن مبادئ هذه الأدوار وأربابها هي الأسماء السبعة الذاتية، أربعة منها بالأصالة والاستقلال، وثلاثة منها بالتبع والفرعية. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الحشر) عفى الله عنه ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ امتحن أولياءه واجتراء وابتلاء أجلّائه بمودة الأخلاء وبمعاداة الأعداء ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي قلب قلوب الأعداء من العداوة والمخافة إلى المحبة والخلة وألف بين قلوبهم وقلوب المؤمنين لو أنفقت ما في الأرض ما ألفت بين قلوبهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي استسن أسوة حسنةً ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الممتحنة: 6] ليصلوا إلى مجد غيوبهم ومعهد قلوبهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المُمتحنَة: 1] نزلت في حاتم ابن أبي بلتعة فإنه لما علِمَ أن رسولَ الله ﷺ أقدمهم أهل مكة وقصدهم كتب إليهم: أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم، وأرسل معه سارة مولاة المطلب فنزلَ جبرئيل وأخبر عنه فبعث رسول الله ﷺ عليًّا وعمارًا وطلحة والزبير والمقداد وأبا يزيد وقالَ: انطلقوا حتى تأتوا روضة حاج فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوا فإذا أبت فاضربوا عنقها. فأدركوها فإذا

أتوها حلفت وجحدت باللّهِ فسل علي السيف فقال: أخرجي الكتابَ أو تضعي رأسك فأخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول اللّهِ ﷺ حاطبًا فقال: ما حملك عليه؟ قالَ: ما كفرت مذ أسلمت ولا عتبتك هنا نصيحتك ولا أحبهم قد فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنعه عشيرته وكنت عزيزًا فيهم وكانَ أهلي بين ظهرانهم فحسب علي أهلي فأردت أن اتخذ عندهم يدًا وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسًا وإن كتابي لا يغني عنهم شيئًا فصدقه رسول الله وعذره فقدم عمر رضي الله عنه فقال دعني يا رسول الله أن أضرب عنق هذا المنافق فقالَ رسول الله ﷺ: وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقالَ لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ يقضونَ إليهم المودة بالمكاتبة والمراسلة والباء مزيدة بل هي بمعنى المصاحبة يعني يقضي إليهم المكاتبة والمراسلة حال كونها مستصحبة للمودة والمحبة أو بمعنى السبب أي بسبب المودة الباعثة بها والجملة الفعلية حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة الأولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة إلى إتيان الضمير لأنه شريط في الأسماء والأفعال ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ حال من فاعل الفعلين ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ جميعًا من مكة، هذه الجملة إما حال من كفروا أو استئناف لبيان كفرهم وظلمهم ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ كراهة أن يؤمنوا أي كراهة الإيمان والتصدق ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ ورب السماوات والأرض ورسوله الذي يبين ويظهر مصالح الدين والدنيا فيه تغليب الخطاب على الغيبة والنوبات على الغيبة إلى الخطاب للدلالة على ما يوجب الإيمان والكفر والشرك والعصيان ويرفع الشرك والطغيان ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ من أوطانكم المألوفة وأماكنكم المأنوسة المعطوفة ﴿جِهَٰدًا﴾ أي لأجل الجهاد ﴿فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي﴾ طلبًا متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا ولا تتخذونهم أولياء لكم ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ شرط جوابه محذوفة دل عليه لا تتخذوا ﴿تُسِرُّونَ﴾ استئناف ﴿إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي تخفونَ وتسترونَ المودة أو بدل يلقون أي لها في أسرار المودة وإخفائها وإعلانها إذ الإخفاء والإعلان سيان في علمي لا تفاوتَ بينهما وأنا مطلع رسولي على ما تخفون وتسرون ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ من العداوة والنفاقِ بهم. قيل: أعلم مضارع والباء صلة وما أنا موصولة له أو مصدرية ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ﴾ الاتخاذ ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1]

فقد الطريق المستقيم والمربح القديم.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ أي يظفروا بكم فهي يجدونَ الفرصة والغلبة والنصرة عليكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ فلا ينفعكم إلقاء المودة إليهم لأن قلوبهم مشحونة بالبغض والعداوة ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [المُمتحنَة: 2] ارتدادكم عن دينكم وترجعوا إلى الكفر رجع القهقرى، وتعبيره بالماضي للإشعار بأنهم ودوا ارتدادكم وكفركم قبل كل شيء.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ [المُمتحنَة: 3] أي ملاحظة منافع قراباتكم ﴿وَلَا﴾ محبة ﴿أَوْلَادُكُمْ﴾ التي بمكة فيحملنكم إلى خيانة رسول الله إلى أعدائه وموالاة أصحابه وأحبائه وترك مؤاخذة المؤمنين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ بإدخال أهل الطاعةِ في الجنة وإدخال الكافرين والمنافقين في النار ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة: 3].

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٤﴾

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ قدوة وعادة ﴿حَسَنَةٌ﴾ اسم ما يتأثر به ويثني عليه أي فيهم مذهب حسن وطريق واضح بيّن بأن يأتي ويتبع ويقتدي أثرهم ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ الخليل وملته وطريقته ودينه، و(حسنة) صفة ثابتة لـ(أسوة) وخبر كان و(لكم) ظرف أو حال من المستكن في (حسنة) أو صلة لها لا صفة ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ اتبعوا معه من أمته ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ ظرف لخبر كان ﴿إِنَّا بُرَآءُ﴾ [الممتحنة: 4] جمع بريء

كظريف وظرفاء وأمين وأمناء أي بعيد ﴿مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأوثان والأصنام المصنوعة والمنحوتة ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ وبدينكم أو بعبوديتكم فلا يقرن بما لكم ولا يعتد مثالكم وبما تقيدتم ولا يعتقدوا بآلهتكم بل جحدنا بها كلها ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا﴾ وظهر لدينا ﴿وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ أو سبب عداوتهم والعلة الباعثة على البعض في الكل والبعض وهو الكفر والشرك فما دامت هذه العلة قائمة والمخالفة قائمة كانت العداوة والمبغضة لازمة ﴿حَتَّىٰ﴾ إن زالت العلة ﴿تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ ورسوله ولكل ما جاء به ونزل عليه فحينئذ تبدلت المبغضة محبة والعداوة مودة فانصحوا الخلة، وأوضحوا المودة عن محض الإخلاص وفرط الاختصاص ﴿وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ استثناء من قوله أسوة حسنة ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ مفعول في قول إبراهيم ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ من أمور النجاة سوى الاستغفار أي لا أقدر على دفعِ العذاب عنك بالشفاعة وليس من أمر سوى الاستغفار ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ وجعلنا لك وكيلًا لنا في الأمور الدينية والسرور الدينية الدنياوية كلها ظاهِر وباطن صورة ومعنى، وفوضنا الأحوال إليك ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ ورجعنا وعطفنا ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: 4] أي رجوع كل الوجود وأمر الإدراك والعلم والشهود وأعمال الطاعات وأفعال العبادات من القيام والركوع والسجود، وكذا منادي هذه الأعمال من البدنِ والنفس والقلب والروح والفعل وغير ذلك من أجزاء الموجود منحصر عليك.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥﴾

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ منسوبة ومنتسبة ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الممتحنة: 5] وإن تسلطوا علينا فبثوا شيئًا وتفرق أوقاتنا وتمزق أحوالنا وجمعنا بإيراد أمور لا تتحمل ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ من فرط وتجاوز عن سيئاتنا وخبط وعلبط ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القوي الغالب على أمره في دورة دورة وكورة كورة إفرادية ظاهرًا وباطنًا صورةً ومعنًى ومن كانَ كذلك ولايقًا وشفيقًا بأن يفوض إليه الأمور كلها وبحسب الدواعي والدعوات جميعها سيما دعوات المضطرين أي بحسب المضطر إذا دعاه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: 5] الذي يعلم الأشياء على ما هي عليه ويفعل كما هي لديه

الأعمال القوة النظرية والقدرة العملية على ما يقتضيه كمال حكمته ووفور قدرته وإرادته.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ أي في إبراهيم ومن كان معه من المؤمنين ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ على ما يقتضيه طور دور النورِ والجمال وبموافقة الظل والجلالِ ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ﴾ ولقاءه ويتمنى بل يرتجي الوحي ولقاه ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ حال على أنه لا ينبغي لمؤمن أن يترك الناس والاقتداء به وإن تركه نودي ويؤذن سوء العاقبة ولذا عقبه بقوله ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ من الناس وأعرض عنه وترك الاقتداء بأسوته الحسنة ونسبته السيئة لا يضر الله ولا يسوؤه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: 6] لما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون أقرباءهم الكافرين وجعلهم المشركين باللَّهِ وفي اللَّهِ وأظهروا فيهم العداوة والبغض والبراءة، قالَ النبي عليه السلام: «**من أحبّ لله وأبغض لله وأعطى لله فقد استكمل الإيمانَ**».

﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ يا معشر الإسلام ومباشر الأعلام والأحكام ﴿وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ من مشركي مكة ﴿مَّوَدَّةً﴾ إذ وفقهم الله للميل إلى الإسلام وللميل إلى المؤمنين بالإيقانِ والأحكام ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تقليب القلوب وتفريق الكفر والمعاصي والذنوب وتغليب فرق المسلمين على الكافرين عند الحروب ويؤلف بين قلوب الفريقين بالتقريب ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ مجاوز على السيئات المتقدمة ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: 7] لمن آمن بإعفائه ما جرى وإبراء ما بلي أوان الكفر وزمان الشرك والبغي، فمنَّ الله على المؤمنين بأن جعل أكثرهم مؤمنًا فصاروا لكم أولياء وإخوانًا خالطوكم وتناكحوا، فتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان رأس ورئيس الكفار، وكانت تحت عبد الله فكانت في جيشه فمات زوجها فيها فبعث

رسول الله إلى النَّجاشي فيها ليخالطها عليه فقال النجاشي لأصحابها: من أولاكم بها؟ قالوا: خالد بن سعيد بن العاص، فقال النجاشي لخالد: فزوّجها من نبيكم، ففعل ومهرها النجاشي أربعمائة دينار، فبلغ سفيان وهو يومئذ مشرك.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ﴾ عن القوم ﴿ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ وقصدوا تعطيل أحكامه وتبطيل أعلامه ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ أي لا ينهاكم الله عن تبرئة هؤلاء المذكورين وتبعيدهم أو لأن قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ ويفضوا إليهم ويحاول الأمور لديهم بالقسطِ والعدل والإنصاف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8] القائمين بالقسط والاعتدال العادلين في القضايا والأحكام الباذلين جهدهم في الاقتصادِ وإظهار حسن العقيدة وصفاء الاعتقاد، نزلت بين حذيفة وسراقة بن مالك بن جشم وبنو مدلج كانوا صالحوا النبي ﷺ أن لا يقاتلوه أو في أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أن أمها قالت لجماعة من المشركات لا أقبل منكن هدية ولا تدخلن عليّ بيتي حتى أستأذنَ النبي ﷺ، فنزلت فأمرها رسول الله أن يدخلوا منزلها وتقبل منهن الهدية وتحسن لهن.

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ﴾ أو تناصر ولو استنصروا واستظهروا ﴿عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ من الوطن المألوف والمعطن المعلوف وهم مشركو مكة فإن بعضهم قد سعوا في إخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرَجين ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل من (الذين) بدل الاشتمالِ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ ويظاهرونهم ويعاضدونهم في إبطال الدين وإعطال أحكام وإضلال أعلامه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الساعونَ والفرق المانعونَ ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: 9] بوضعهم السعاية وجعلهم الإعانة والرعاية في غير موضعها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ﴾ حال كونها مفارقاتٍ ومتباعدات عن أوطانِهنّ قال ابن عباس: أقبل رسول الله معتمرًا حتى إذا كان الحديبية صالح مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده عليهم ومن أتى مكة من أصحاب الرسول فهو لهم ولم يردوه عليه وكتبوا كتابًا بذلك وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرثِ الأسلمية بعد الفراغ من الكتابِ والنبي ﷺ بالحديبية وأقبل زوجها مسافر بن مخزوم وقال مقاتل أن هو صيفي بن إبراهيم في طلبها وكان كافرًا وقال: يا محمد إن رددت علي امرأتي فإنك شرطت لنا أن ترد علينا من أتاكم منا وهذه طية الكتاب لم يجف بعد فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ امتحانهن بالحلف والنظر في الأمارات لتغلب على ظنونكم صدق إيمانهم، وكان رسول الله ﷺ يقول للممتحنة: «**باللَّهِ الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوج، باللَّهِ ما خرجت إلا حبًّا للَّهِ ورسوله**»، ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ﴾ صادقات الامتحان هو الابتداء بالحلف والحلف لأجل غلبة الظن بإيمانهن، أي فإن علمتموهن بالعلم الذي هو عبارة عن الظن الغالب بالحلف وغيره من ظهور الأمارات وصدور العلامات فلا ترجعوهن إلى الكفار وأزواجهن الكفرة إذ الشرط إنما كان للرجال دون النساء وأيضًا فارق بينهن وبين الإسلام فلم يبق بينها وبينهم علاقة الزوجية فقد خرجن عن حكم الشرط ﴿لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾ وأعطوهن من المهور والمتعة والنفقة والكسوة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ في هذه الحالة ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ من غير أزواجهن المؤمنات المسلمات فإن الإسلام حال منهن وبين أزواجهن الكفار ﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ﴾ [المُمتحنَة: 10] بشرط إتيانهم المهر في نكاحهن إيذانًا بأن ما أعطى

أزواجهن لا يقوم مقام المهر فإن المهر أجر البضع ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ أي بما يعتصم ويتحفظ به الكافرون وينفقون ويفتخرون به المشركات من عقد ونسب جمع عصمة وهي الصيانة والحفظ والوقاية والصيانة عن الزنا والكبائر وكما تقرر من أن الأنبياء معصومون من الكبائر والأولياء غير معصومين لا من الصغائر ولا من الكبائر أي لا يعتبر عصم الكفار لانتفاء ما هو أصل المنع وهوَ الإيمان ﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ لنساء من المهر إذا منعوها وامتنعوا من إعطاءهم لها إياه فعليهم أن يقدموا صداقها هنا عبارة الإمام الرازي في التفسير، هذا خلاف الحكم الظاهر والمراد إنكم إذا أسلمتم وأزواجكم يحلفن منكم وقد أخذن منكم مهورهن فعليكم أن تسألوا ما أنفقتم لأزواجكم من المهور منهن وعليهن أن يرددن ما أخذن منكم ﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ﴾ واطلبوا من الكفار ﴿مَآ أَنفَقُواْ﴾ من مهور أزواجهن المؤمناتِ المهاجرات ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذكر عليكم من طلب المهور ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ وأمره وقد تلى عليكم ﴿يَحْكُمُ﴾ ويبين ويقضي عليكم ﴿بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [المُمتحنَة: 10] يحكم على مقتضى علمه وحكمته.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ أيها المؤمنون وسبقكم وانقلب ﴿شَيْءٌ مِّنْ﴾ أخذ ﴿أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي فجاءت عاقبتكم ونوبتكم بشبه ما حكم به على المؤمنين والكافرين من أداء هؤلاء المهور نساء أولئك تارة ونساء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون به كالتعاقب في الركوب وغيره معناه فجاءت غيبتكم ونوبتكم في أداء المهر كما سبقوا بكم يقال عقب وعاقب وأعقب وتعاقب إذا اغتنم معنى إذا غزوتم وأصبتم من الكفار عقبى وهو الغنيمة وكانت العاقبة لكم ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾ [الممتحنة: 11] عليهن من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار وقيل تعاقب المدينة أي قبلتموها. قال ابن عباس: كان جميع من لحق المشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة إلى الإسلام ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن الشداد الفهري، وفاطمة بنت أمية المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر رضي الله عنه فلما أرادَ أن

يهاجر أبت وارتدت، وروح بنت عتبة كانت تحت شماس بن عثمان وعمرة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمر بن عبد ود وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وكلثوم بنت خزول كانت تحت عمر رضي الله عنه وأعطاهم الله ورسوله مهور نسائهم من الغنيمة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ [الممتحنة: 11].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة: 12] الآية، ذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه وهو يبايع بأمر رسول الله ﷺ ويبلغهن عنه وكانت هند بنت عقبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفًا من رسول الله ﷺ أن يعرفها فقال النبي ﷺ للنساء: «**أبايعكن على أن لا تشركن باللّهِ شيئًا ولا تسرقن ولا تقتلن أولادكنَ ولا تأتينَ ببهتان تفترينه**» فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمرًا ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبي ﷺ: «**ولا يسرقن**»؟ فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله منيات فلا أدري أتحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما عبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله وعرفها فقال لها: إنك هند بنت عقبة قالت: نعم، فاعفِ يا رسولَ الله عما سلف عفا الله عنك فقال: «**ولا تزنين!**» قالت هند: أوَ تزني الحرة! قال لها: «**ولا تقتلن أولادكن**»؟ فقالت: ربيناهم صغارًا وقتلناهم كبارًا. وكانَ ابنها حنظلة من أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله ﷺ.

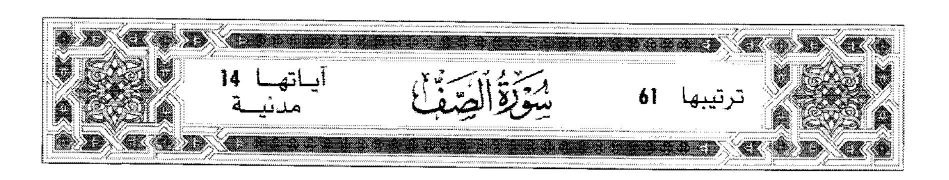
﴿وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ﴾ وهو أن تقذف ولدًا على زوجها وليس منه فقالت هند: والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم

الأخلاق ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي لا يخالفك النسوان في أمر موصوف وشيء مرضي حسن معروف فقالت: ما جالستنا مجلسًا هذا في أنفسنا أن نعصينك فأقر النسوة بما أخذ عليهن روي أن النبي ﷺ كانَ يبايع النساء بأن دعا قدحًا من الماء فغمس يده فيهِ ثم غمس إحداهن فيه مع غير المصافحة بخلاف الرجال، والتقييد فالمعروف مع أنهﷺ لا يأمر إلا به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ إذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ يا محمد فيما سلف ومضى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ومتجاوز عما تقدم من المعاصي والسيئات في حقوق الله وحدوده ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: 12] فيما سيأتي بالتوفيق لاكتساب أسباب السعادة في النشأتين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا﴾ ولا تتخذوهم أولياء ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لا يعتمد عليهم في أمر من الأمور لانقطاع أسباب المودة ولانقلاب أبواب المحبة وسدها لأنهم قد غضب الله عليهم ومن غضب الله عليهم لا يفلح أبدًا ولا يصلح لأن يعتمد فردًا ولا يعتقد أحد من المؤمنين فارتفع الوثوق عليه والاعتماد فاندفع الاتكاء عليه والاعتداد ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ﴾ ونعيمها ويئسوا الشؤونات مكانها ونارها وماء حميمها وزقوم جحيمها بإنكارهم بها وكفرهم وجحدهم لها أو تعلمهم بأنه لا حظ لهم بعنادهم الحق وإنكارهم لكل ما آمنه إليهم من الأنبياء والكتاب والشرائع ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ من أمواتهم وأعيان أمواتهم من البعث والرجوع إلى الدنيا واكتساب سعادتها المتضمنة للسعادة الأخروية ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [المُمتحنَة: 13] بيان وضع مظهر موضع الضمير للدلالة على أن قبائح كفرهم ووقائح تركهم وإشراكهم قد آيسهم عن النبي ﷺ ومواعيده. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الممتحنة) كان له المؤمنون شفعاء يوم القيامة**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي صيّر الحقائق الإلهية والماهيات الكونية في معاقد العهود ومقاعد الشهود صفًّا صفًّا ليشاهدوا ذاتًا ووصفًا ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي خلقهم للدين القويم أنصارًا وعلى الطريق المستقيم أخيارًا وعضايد أحرارًا آمادًا وأدوارًا ودهورًا وأعصارًا وأكوارًا لتبقى آثار أنوار حكمته وأسرار بدايع مصانع مبدعه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي صيّر مبارزي المجاهدين وصفا إليك المكاشفين والمشاهدين في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وبرهان منصوص.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الجواهر المجردة والفواخر المخردة والأرواح المصردة والنفوس العاملة المقدسة والأشباح المؤسسة ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي الأجرام السماوية الشهادية والأجسام الملكية المادية العنصرية من الملائكة المدبّرة والطبائع المغيّرة والكواكب الثابتة والسيّارة والنفوس الأرضية والصورة النوعية المعدنية والنباتية والحيوانية في الدورة الكبرى النورية الجمالية أو المراد من السماوات من الأدوار الوجودية الجمالية وبما فيها من الأعيان النورية من العقول والأرواح المنسوبة إلى الأدوار ومن الأرض هي الأكوار العدمية الجلالية ومن فيها هي الأكوان الظلية الضمنية وهي الأهرمينات والأغوال والشياطين والجن والمولودات الجنية ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القاهر الغالب القادر على إبداع ما في السماوات النورية ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الصف: 1] العليم الذي اخترع ما في الأرض وهي

عالم الأجسام من الأفلاك والكواكب والعناصِر وما يتركب منها .

ويحتمل أن يكون المراد من السماوات هي الدورة الكبرى والعظمى النورية وهي الأرض من الدورة الوسطى والصغرى النورية ويجوز أن تكون سماوات الأدوار الأربعة النورية وأرض الأكوار المربعة الظلية وأن يكون المراد من السماوات المراتب العالية كاللاهوت والجبروت والملكوت التي أعيانها محكمات، ومن الأرضِ المراتب النازلة والمدارك السافلة كالبرزخ وعالم المثال والشهادة وعالم الملك وأعيانهما وهي المثل النورية والأشباح الظلية والسماوات الحسية والكواكب الثابتة والسيارة والعناصر، وما يتولد منها من المعادن والنبات والحيوان والإنسان فهي متشابهات، ولذا اختار في السبحات الثلاثة الأولى سبح بلفظ الماضي، وفي سبحات الآخرين بلفظ المستقبل بشأن الأعيان الأولى وتفسير الثانية .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الأدوار الأربعة الإفرادية النورية الصريحة المتقدمة ﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾ في هذه الأدوار المذكورة بلسانِ النور والجمالِ ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف: 2].

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف: 3] لعدم مطابقة مرتضى الجلال بمقتضى النور والجمال .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ حال كونهم مصطفين أو صافين ثابتين في مقام عينهم الرسول في يوم أحد يدل على فضل القتال والجهادِ راجلًا إذ الفرسان يصطفون على هذه الهيئة والنعت والصفة بأن يكونوا ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: 4] ولذا خالفوا أمرَ الرسول يوم أحد عامدين إلى الغنائم تاركين المركز المعيّن فخالف قولهم فعلهم وسرى أثر المخالفة إلى أن انكسر الإسلام وهزم المسلمون حتى صرع الرسول وشج في وجهه وكُسِرت رباعيته

قوله: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: 4] حالان متداخلانِ قيل نزلت في المنافقين والبعض من جماعة المؤمنين.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ بالعصيان والرمي بالأدرة ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وقد بعثت وأرسلت إليكم والرسول من اللَّهِ لا يكون مصابًا سيما بعيب قبيح أي والحالة إنه قد ثبت في علمكم بطريق النظر والاستدلال من الآياتِ الباهرة والمعجزات الظاهرة كاليد البيضاء والعصا وهلاك فرعون وجنوده وغير ذلك قالوا صدق رسالتي ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ ومالوا عن قبول الحق ومالوا ما قالوا في حقه وطالوا في الإيذاء ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ وصرفها عن قبول الحق يعني أن صرف الحق قلوبهم عن قبول الحق والعمل بمقتضى العلم متفرع ومرتب على ربع قلوبهم وانصرافها أو بالعكس ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الصف: 5] الواضعين الأمور في غير موضعها.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وإنما قال: يا قوم، كما قال موسى لعدم تحقق النسبة بهم إذ الانتساب إنما يكون من جانب الأب ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ وحامل وجه وقابل نواميس إليكم ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾ ومحققًا لما ثبتَ دونه ولديه من التوراة ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى﴾ بزمانٍ وبرهة في أوانٍ ﴿ٱسْمُهُۥٓ﴾ الذي سماه في السماءِ ﴿أَحْمَدُ﴾ وفي السماء أحمد وفي الأرض محمد وفي تحت السراء محمود وفي الجنة قاسم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ عيسى لدعوتهم إلى الحقِّ ﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا﴾ الذي جاء به من البينات وظهور المعجزاتِ وإظهار خرق العاداتِ ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصَّف: 6] أي يرى في الظاهر ما يوقعه في الخيال أمرًا خارقًا لظاهر العادات.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بأسمى كلامه وكلما جاء به من المعجزات سحرًا ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ﴾ عباد الله وعمومَ الخلقِ ﴿إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ وهو الدين والصراط المستقيم الذي يوصل الخلق إلى الحقِّ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾ ولا يوصل ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف: 7] المتجاوزين عن الطريق المستقيم والسبيل القويم الواضعين الطريق الباطل في موضع الحق وأخفوا الحق.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ ويبطلوا طريق الحق الواضح الحقيقة البيضاء ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بأن قالوا هذا سحر مبين، مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئ نورَها ويخفي ضوءها إشعارًا بسخافة رأيهم ورداءة عقولهم ورؤيتهم، وإنما زيدت اللام لما فيهن معنى الإرادةِ تأكيد كما زيدت في أنا لكَ لما فيهن معنى الإضافةِ تأكيد لها ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصَّف: 8] إرغامًا وتهكمًا وإقحامًا لهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالقرآنِ أو المعجزة بكمال بلاغةِ القرآنِ ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ والملة الحقيقية البيضاء وهي الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ وتغليبه على جميع الأديانِ ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 9] لما فيه من كمال التوحيد وإبطال الشركة والتحديد وإنما ذكر الباقين بعبارات مرتبة وإشارات متقاربة بأن قدم لهؤلاء وهو النفس ثم الظلم ثم أردفه بالأخص وهو الكفر وبأخص الأخص وهو الشرك تلويحًا بأنهم جامعونَ لتمام أنواع الأباطيل ورداءة أصنافِ الأقاويل وفسادها بأسرها وينحصر الأباطيل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ ومعاقلة مريحة ﴿تُنجِيكُم﴾ [الصف: 10]

وتخلِّصكم ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10].

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ استئناف كأنهم قالوا ما التجارة؟ وكيف نعمل ونعامل في هذه التجارة؟ قالَ: تؤمنونَ باللَّهِ خبر بمعنى إنشاء ولذا أجيب بقوله ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ أي أن التجارة من مجمع مثبت الإيمان والجهاد وإنما جيء بالخبر إيذانًا بأنها مما لا يترك أصلًا ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذكرته من نوعي التجارةِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأنفعكم في الدارين ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: 11] أي إن كنتم من أهل الخير بما هو خير لكم.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جواب للأمر المدلول عليه بلفظ العلم أو الشرط، والاستفهام دل عليه الكلام تقديره إن تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تفعلون إن أدلّكم يغفر لكم، ويبعد جعلُه جواب ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ لأن مجردَ دلالتِه لا يوجب المغفرة ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف: 12] عن النبي ﷺ: «**هي نصر من تولّعه في الجنة، في ذلك القصرِ سبعون دارًا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتًا من زمرد خضراء وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونًا من كل طعام في كل بيت سبعون ضيفًا وضيفة قال فيعطي الله تعالى للمؤمنين من القوة في غداة واحدةٍ ما يأتي على ذلك كله**» الحديث.

ولا يختلجن ببالك أن هذا وأمثاله مما يستبعده العقل ويستحيله لأن الله تعالى لما كانَ قادرًا على خلق السماواتِ والأرض الحسية المثالية والقدسية والأفلاك الجبروتية وما فيها من الأفلاك والعقول والأرواح والنفوس والأشباح وأرباب الأنواع وطبائع المعادن والنبات والحيوان والبهائم والسباع والكواكب السيارة والثابتة التي لا يعلم عددها ولا عظمها ولا مقدارها وكيفيتها وكميتها ووضعها وتأثيرها وحركتها ومقدارها ومدارها وأفلاكها الغير المتناهية إذ لم يقم

برهان عقلي على أن الكواكب الثابتة بأسرها ثابتة ومعرفة في فلك واحد بل ذهب جم غفير إلى جواز أن يكون الكل كوكب من الثوابت فلك مستقل وتكون أجرامها متساوية الجهاتِ والمقدار متسامية المراكز والأقطاب متطابقة الأقطار متوازية المناطِق والمجاوِز، فإذن يرى من مجموع حركة واحدة وغير ذلك مما بعدها العقول الضعيفة مستعدة مستحيلة ممتنعة بكون لا محالة قادرًا على المناظرة وأحوالها الغريبة العجيبة ولا عبرة للفعل وأحكامه، ولما كانَ للفعل في هذه الأمور والأحوال راحلة وفي إدراكها عاجزة في كونها محسوسة، كان في الآخرة وأحوالها دجل وعجز وجهل، على أن طريقة الأنبياء في كل ما أخبروا عنه من أمر تعبدي لا يهتدي إليه العقل كما قال النبي ﷺ: «**العقل لإقامة العبودية لا لإدراك سر الربوبية**».

فإذن لا بد وأن يكون إدراك هذه الأمور الغريبة والأسوار العجيبة قوة أخرى وراء العقل وهي الكشف الصحيح والشهود الصريح والذوق الفصيح ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: الآية 22]، «**لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا**»، فإذن طبيعة العاقل أن يعقلها أولًا في إدراك أمور الآخرة الأنبياء والأولياء والحكماء الإلهية الذين أيدهم الله بالوحي والتنزيل بالكشف الصحيح والتأويل بحسن الظن والقبول إلى أن يأتيهم الله من بركات آثار أنوار خصائص شرف حجتهم وظرف حسن هدايتهم والاقتداء بهم عين اليقين وحق اليقين ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التّكاثُر: الآيات 5 - 7]. قال النبي ﷺ: «**اصحبوا مع الله فإن لم تستطيعوا فاصحبوا معَ من يصحب مع اللَّهِ ليوصلكم وكان صحبته إلى اللَّهِ من سره أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوف**»، وأيضًا: «**ارغبوا في دعاء أهل التصوف وأصحاب الجوع والعطش فإن الله ينظر إليهم ويسرع في إجابتهم**» ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإدخال والدخول في الجنة هو ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الصف: 12] والجوز الكريم.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ولكم في هذه النعم المذكورة والمنح المزبورة نعمة أخرى وهي ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصَّف: 13] و(أخرى) مبتدأ أو (نصر) ما في خبره

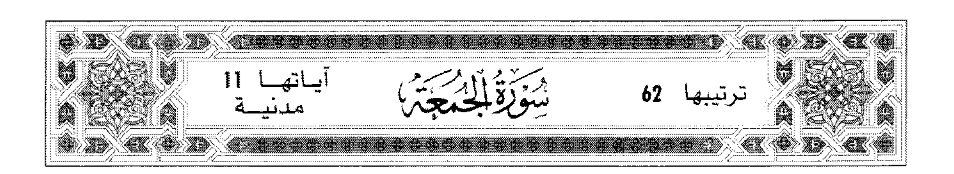
و(أخرى) منصوبة بمقدر بعدكم أو تفتحون وهو فتح مكة أو فارس والروم وغيره، في (تحبونها) نوع من التوبيخ على محبة العاجل ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: 13] عطف على مضمر مثل: قل يا أيها الذين آمنوا، وبشر، أو على يؤمنون لأنه في المعنى بمعنى الإنشاء كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبتكم الله وينصركم وبشر يا محمد المؤمنين بذلك عاجلًا وآجلًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ باللّهِ وبمحمد وبما جاء إليكم ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ وأعوانه وإظهاره في الدينِ الحق وهو الإسلام أي قل لهم ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ وهم اثنا عشر ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ وجنودي وعساكري وأعواني متوجهين إلى نصرة اللّهِ وإعانتِه ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ أي أنصار الله وأعوانه لإظهار دينه وتزويج أصحاب كمال الإيمان به وقوة أهل يقينه. وعن كعب: أن الحواريين قالوا لعيسى: يا روح الله هل بعدنا من أمة قال: نعم، أمة محمد حكماء وعلماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من اللّهِ باليسير من الرزق والله يرضىٰ منهم بالعملِ اليسير، من الحوار وهو البياض ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ﴾ [الصَّف: 14] كثيرة فهم به وبما جاء به كتاب إنجيل كما جرت العادة الإلهية وسنته المستمرة بأن توقف البعض بالإيمانِ والبعض الآخر بالكفرِ لظهور الإيمان فالأشياء تتبين بأضدادها كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌۚ﴾ [التّغابُن: 2]، ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿فَأَصْبَحُواْ﴾ صاروا ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: 14] غالبينَ بتأييد اللّهِ ونصرته عليهم.

قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الصف) كان عليه الصلاة والسلام مصلّيًا مستغفرًا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيق صدق**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي شرف يوم الجمعة على سائر الأيام لأنه جمع فيه أنوار خصائص الأسماء السبعة الذاتية ودفع لديه نصائص أسرار الصفاتِ الأولية والأخروية ولذا تمّت الصورة النوعية والهيئة الجمعية الإنسانية بعد عصره في الدنيا العظمى النورية الوجودية الجمالية الإفرادية في الحضرة العلمية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي أخرج وزادَ في الأعيان الثابتة وذراري الصور العلمية عن قعر بحر محيط الهوية الذاتية إلى ساحل أصلاب الأنوار الإلهية والجواهِر النورية وأدرج لطائف النطف الحقيقية الغيبية في رحم أعيان الدورة الكبرى في فردارية الصفة الخفية في سماوات عالم الملكوت وفي تربية القدرة في الدورة الوسطى هبطت إلى أفلاكِ عالم البرزخ وفي الدورة الصغرى النورية في فردارية فردارية المحمدية إلى أفلاك عالم الملكِ والشهادة إلى مركز هيئة جمعية الناسوت ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي صور تلك الذراري عن مركز حصص الجمعية الكبرى إلى ذروة البرزخية الصغرى ومنها إلى الأفق المتين الروحي وإلى الأفق الأعلى العقلي إلى أوج البرزخ الأعلى وقلة الأحدية الجمعية الأولى بعدَ تجريدها عن كثرة التعيناتِ الأخرى والأولى إلى أن تعطلت عنه تمام القيود وأحكام الجهات والحدود في يوم السبت الأحدي.

﴿۞ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾

﴿۞ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الجُمُعَة: 1] البرزخية في الدورة الوسطى في

فردارية اسم القدير من الأشباح النورية وأرباب الأنواع وأصحاب الأجناسِ من طبائع البهائم والسباع ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الخيالية وهي الهيولى المقداري التي يعقل أولًا الصور اللطيفة المثالية ثم يتوسطها الصور الكشفية الجسمانية وأعيان هذه الحضرة هي المثل النورية والأرباب النوعية والأشباح الخيالية ﴿ٱلْمَلِكِ﴾ المالك في الدورة العظمى النورية الحاكم على أعيانها العلمية والماهياتِ الأولية بلسان الظاهر والتشبيه ﴿ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجُمُعَة: 1] إشارة إلى أنواع الدورة الوسطى وهي أربعة فإن كل دورة من الأدوار الأربعة النورية أعني العظمى والكبرى والوسطى والصغرى إلى أدوار أربعة أخرى وأسماؤه هي هذه والمراد إنما يحصل بالإضافةِ والقيد مثل دورة عظمى الوسطية وكذا الكبرى والوسطى والصغرى.

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي العرب لأن أغلب العرب لا يقرؤون ولا يكتبون ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يكون بعضًا منهم مثلهم في كونه أميًّا ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهر قلوبهم من الشرك والكفر والنفاق والبهتانِ والافتراء والإفك والشر والضير والمضر وقد وقع سبعماية آية هي: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا﴾ أي بعثه رجلًا في قوم أميِّين وهو محمد ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي القرآن والحكمة والشريعة وكيفية العمل والسنة ومعالم الدين من المفعولة والمعقولة والحكمة النظرية والعملية ولو لم يكن سواه معجزة لكفاه ﴿وَإِن كَانُواْ﴾ أي الأميون المبعوث إليهم ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل البعث ﴿لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 2] وفي الظلال والظلمة المهين وهو بيان لشدة احتياجهم إلى نبيٍّ مرشد ووليّ معين يرشدهم إلى ما هو وسيلة لسعادة النشأتين ودولة الدارين وإزاحةً لما يتوهم أن الرسول يعلم ذلك من معلم وإن هي المحققة بدليل اللام.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة: 3] مجرور عطف على (أمّيين) أو منصوب معطوف على معطوف في (ويعلمهم) أي ويعلم آخرين لأن التعليمَ إذا

تناسَى وتتابع إلى آخر الزمان كانَ كله مسندًا إلى أوله فكأنه قيل هو الذي كل ما وجدَ من التعليم وهم الذينَ جاؤوا بعدَ الصحابة إلى يوم الدينِ ويستند الكل إليه لما يلحقوه أن الرسول يعلم الأميينَ ويعلم طايعين أخرى لم يلحق بهم بعد سيلحقون بهم وهم الذينَ بعد الصحابة رضي الله عنهم قيلَ لما نزلت؟ قيل: من هم يا رسول الله؟ فرفع يده ثم قال: «**لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء**» قيل: هم الذينَ يتابون إلى يوم القيامة ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: 3] الغالب على بعثه رجلًا أمينًا من الأمر الخارق للعادة أو على ما تأييد عليه أو اختياره إياه من بين كافة البرايا الحكيم الحاكم في اختياره وتعليمه.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وتعلق حكمه ومشيئته إنه تفضيلًا وإفضالًا ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 4] والإحسان العميم الذي يحتقر دونه نعيم الدنيا كلها وكريم الآخرة جلّها، فخصص الله به محمدًا وأمته الأنبياء وتبعه الأمناء.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ أي حمل عنهم التوراة وعلموها وكلفوهم العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ حق الحمل هو العلم بها وبأحكامها والعمل بمقتضاها لم يتبعوا بما فيها من الخصائص واللوازم ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ جمع سفر وهو الكتاب فإنها يتعين بحملها ولا يتبع بها حال من الحمار الفاعل فيها معنى المِثل أو صفتها إذ ليس المراد من الحمار معينًا ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالة على نبوة محمد وصحة دعواها والموصول صفة القوم والمحذوف المخصوص بالذم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: 5].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾ [الجمعة: 6] مالوا إلى المواقع كالمراعي والمواشي

وتهودوا وتعوذوا بالموانع ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ وأحباؤه فقط ﴿مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ أي غير سائر الناس يعني مختصون ومتخصصون بولاية الله ومحبته ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ واطلبوا منه الموت ليوصلكم إليه وينقلكم لديه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: 6] أي في دعواكم وزعمكم والحال:

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ﴾ أي لا يطلبون الموت ﴿أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ أي بسبب تقديمكم الكفر والمعصية بصرف القدرة والقوة والإرادةِ إلى اكتسابها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: 7] وبحال ظلمهم وبحال قلبكم عند التوجه إلى اقتراف السيئات واكتساب الكفر والقبايح وما استخلفتم له فيجازيكم بها.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ ظاهرًا وباطنًا وصورة ومعنى تخشونَ أن يتمنونه بألسنتكم الظاهرة مخافة أن يقع عليكم ويدفع لديكم ويتوجه إليكم ويحل لعنه عليكم ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ﴾ ولاحِقٌ بكم ألبتة سواء تمنيتم أو تنفرتم منه واللقاء يتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكانَ فرارهم منه مسرعًا لحوقه لهم ويجوز أن يكونَ الموصوف خبرًا والفاء عاطفة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي عالم الملكوت والأمرِ والأرواحِ وعالم الأجسام الفلكية والعنصرية والمركبات منها أي ما تدركها الحواس الظاهرة وما لا تدركها بل تدركها الحواس الباطنة والقوة العاقلة كعالم المثال وما فيه من الأشباحِ النورية والمثل النورية والآيات النوعية وكعالم الأمرِ والأرواحِ، وتلقيه من اللطائف الروحانية والنفوس العاملة والطبايع الكونية والأعيان الخيالية وعلى هذا القياس أعيان سائر العوالم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: 8] إن كان حسنة فبالصور والهيئة اللطيفة وإن كانَ سيئة فبالصور الكثيفة الكريهة قال النبي ﷺ «**يحشر الناس على صورة أعمالهم إنما هي أعمالكم تردّ عليكم**».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ أي أُذِّنَ لها ﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ بيان لإذا أو بمعنى كقوله أروني ماذا خلقوا من الأرض أي في الأرض، والمراد بالنداء الأذان عند قعود الخطيب على المنبر للخطبة يدل عليه ما أخبر عن النبي ﷺ أنه كان له مؤذن واحد بلال ولم يكن له مؤذن آخر غيره فكانَ إذا جلَس رسول الله ﷺ على المنبر أذن على باب المسجد، وإذا نزل قام للصلاة، ثم كان أبو بكر يفعل كذلك، وكذا عمر رضي الله عنه حتى إذا كانَ عهد عثمان فكثر الناس وازدحمت الجماعات وتباعدت المنازل فزادَ هو آذانًا، فأمر بالتأذين الأول على دار له بالسوقِ يقال له الزوراء فكان يؤذن عليها، فإن جلس عثمان على المنبر أذن مؤذنه ثانيًا، فإذا نزل قام إلى الصلاة فلم يعب ذلك عليه ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وامضوا إليه مسرعين قصدًا لا عَدْوًا والذكر هو بجعله قبيل الصلاة والأمر بالسعي بالوجوب ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ واتركوه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ السعي المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من المعاملة بالبيع والشري ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: 9] الخير والشر والشهادة والشقاوة والتعويق والسعاية.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ وأذنت وفرغ منها ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وتفرقوا فيها ﴿وَٱبْتَغُواْ﴾ واطلبوا في الانتشارِ ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ وكراهته الدنياوية والأخروية لامتناع الدنيا حسب ما وردَ في الحديث وابتغوا من فضل اللَّهِ ليس الأمر لطلب الدنيا وإنما هي عبارة كحضور جنازة وزيارة أخ في الدين ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي اذكروا في مجامِع أحوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10] تعودون بخير الدارين وفلاح النشأتين.

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً﴾ [الجُمُعَة: 11] ومعاملة ومنافع مجالسة ومجامع مكالمة

ومؤانسةٍ ﴿أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجُمُعَة: 11] وتفضوا لديها. روي أنه عليه الصلاة والسلام كانَ يخطب للجمعة فمرت وعبرت عير تحمل الطعام فخرج الناس إليها الاثنا عشر فنزلت.

وإنما سمي هذا اليوم جمعةً لما روي عن النبي ﷺ: «**إنما سميت الجمعة جمعة لأن آدم عليه السلام جمع فيها خلقه**» وقيل: لأن الله تعالى فرغ فيه عن خلق الأشياء وآخرها هو آدم لما جاء في الحديثِ: «**أن الله خلق آدم في هذا اليوم بعد العصرِ فاجتمعت فيه المخلوقات جميعًا**». قيل: أول من سماه جمعةً كعب ابن لؤي، قالت الأحبار: إن لليهود يومًا يجمعون فيه كل أسبوع وللنصارى أيضًا يوم كذلك وهما السبت ويوم الأحد، فجعل يومًا يجتمع فيه الناس فيذكر الله ويصلى له ويشكروه فجعلوه يوم الفردية، وكانوا يسمون الجمعة يوم الفردية فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة وصلى بهم يومئذٍ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة فذبح لهم شاة واحدة فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة فأنزل الله تعالى في ذلك اليوم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ [الجُمُعَة: 9] إلخ، فهذه جمعة جمعته فيه في الإسلام.

فأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ من صحابة على ما قال أهل السير والتواريخ قدم رسول الله ﷺ مهاجرًا حتى نزل فينا على بني عمرة بن عوف وذلك يوم الاثنين اثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتد الضحى وأقام الصلاة يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عائدًا إلى المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في دار لهم قد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجدًا وصلى رسول الله ﷺ معَ الأصحاب فيه صلاة الجمعة.

هذه أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ في الإسلام فخطب في هذه الجمعةِ وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل فقالَ رسول الله ﷺ: «**الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد**

رَشَد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالًا بعيدًا، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما يوصي به المُسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بالتقوى، واحذروا ما حذركم الله من نفسه واتقوا الله فمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون وصدق على ما تبغون من أمر اللَّهِ، ومن يصلح لما بينه وبين الله وائتمر أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرًا في عاجل أمره وذخرًا فيما بعد الموت حتى يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان من سوء تودّ لو أن بينه وبينها أمدًا بعيدًا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعبادِ، والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فإنه بيد الله يكفِّر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا ومن يتق الله فقد فاز فوزًا عظيمًا وأن تقوى الله وتوقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه، وإن تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرّب وترفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، وأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده، وهو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيي من حيّ عن بيِّنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس وذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك الناس ولا يملكون منه، الله أكبر، ولا حولَ ولا قوة إلا باللَّهِ العلي العظيم».

فلهذا كانت الخطبة شرطًا في انعقاد الجمعة فهو قول جمهور العلماء وقال الحسن: هي مستحبة، متمسكًا بما فعله أسعد بن زرارة لا فرض. وقال سعد بن جبير: أي بمنزلة الركعتين من الظهر فإن تركها وصلى الجمعة فقد صلى الركعتين من الظهر. وأول ما يجري من الخطبة: الحمد لله والوصية بتقوى الله وقوله آية من القرآن في الخطبة الأولى، ويجب في الثانية أربع كالأولى إلا أن الواجب بدل قراءة آية من القرآن الدعاء، هذا قول أكثر العلماء والفقهاء. وقال أبو حنيفة لو اقتصر على التحميد والتسبيح والتكبير أجزأه.

وقال الصاحبان محمد وأبو يوسف: ما يتناوله اسم الخطبة ثم القيام شرط في الخطبة مع القدرة عليه في قول عامة الفقهاء إلا أبا حنيفة فإنه لم يشترط فيها والدليل على أن القيام شرط في الخطبة قوله: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾ [الجُمُعَة: 11] في

الخطبة وما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ما كان رسول الله ﷺ يخطب الخطبتين إلا وهو قائم وللشافعي قولان: في الجديد شرط وفي القديم لا، وهو موافق أبي حنيفة رحمه الله، هذا بيان القول في أول جمعة جمعت في الإسلام وأول جمعة جمعها رسول الله ﷺ وأول خطبة خطبها في المدينة جمعت بالمدينة بعدها فقال ابن عباس رضي الله: أول خطبة جمعت في الإسلام بقرية يقال حوشا من قرى البحرين: فاسعوا إلى ذكر الله وامضوا إليه وانحصروا عليه بقلبك وعملك وكلية أنيتك.

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب والدرجة الرفيعة والمنزلة المنيعة والكرامة الخفية باقية لا ينال إليها بطريق العقل والفكر والنظر والنقل «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قط**» الحديث القدسي ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ لتحققه وثباته ودوامه وخلوده عند الله، ما عندكم ينفد وما عند اللّهِ باق، الآية ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجُمُعَة: 11] فتعمدوا واقصدوا إليه واجتمعوا بجميع سراركم لديه واطلبوا الرزق ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى من حضرته عليه السلام. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الجمعة) أعطي من الآخرة عشر حسناتٍ بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها**».

واعلم أن الجمعة في الطور الآفاقي هو هذا، وأما في الطور النفسي فعبارة عن جمعية التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية في المسجد القلبي والمقعد الغيبي والخطبتان عبارتان وإشارتان إلى تكميل القوة النظرية والعملية والأمور الأربعة، وحيث في كل منهما إشارة إلى مراتب تكميلهما وتصفيتهما وتزكيتهما عن الموانع، وهي أربعة أعني الكدورات والظلمات الحاصلة من الطور العالي والبدن وأركانه الأولية وهيَ أربعة: النار والهواء والماء والأرض، ومن الطور النفسي: الأمّارة الشيطانية واللّوامة السبعية والملهمة البهيمية هذا في تكميل القوة العملية، وأما تكميل النظرية وتصفيتها عن كدورات هذه الأمور الأربعة أعني البدن والنفوس الثلاثة المذكورة وآثار هيئاتها الظلمانية المربعة الحاصلة للقوة النظرية باستصحابها بالقوة العملية قبل تزكيها، فإذا نزلت القوة العملية والنفس العاملة في البدنِ المريدة له ويعقب القوة النظرية عن آثارها حصلت للقلب بفوت أربعة كاملة صفات وأوصاف فاضلة وعلى الفقه والشجاعة

والحكمة والعدالة، فحينئذ يستعد القلب لأن يعرج إلى سماءِ التجليات الأربعة المذكورة.

وهذه الجمعة إنما تحصل للقلب وينعقد فيه إذا حصلت الجمعية من أمور خمسة: الخلوة عن الناس والصمت والجوع والسهر والذكر بالدوام: يا أحمد بعزتي وجلالي ما من عبد ضمن لي أربع خصال إلا أدخلته الجنة، قال: وكيف ذلك؟ قال: يطوي لسانه ويده لذكري ولا يفتحه إلا بما يعنيه، ويحفظ قلبه عن الوسواس، ويحفظ علمي ونظري إليه، وتكون قوة عينه الجوع أو الجمعية الكاملة والهيئة الإحاطية الحاصلة من اجتماع مقتضيات الأدوار الأربعة النورية الجمالية العظمى والكبرى والوسطى والصغرى في مظهر كامل ومحضر فاضل في نشأة كلية ودورة جمعية، أو من جمعية مرتضيات الأكوار الظلية الجلالية المربعة بمقتضياتِ الأدوار الأربعة المذكورة، إما دفعية في آن واحد في أفضل زمان وساعة وكل حالة في أعدل شخص وأعقل فردٍ، إما ممتد أو وقت مقيد أو تدريجية، وقوى اجتمعت هذه المقتصيات وازدحمت المرتضيات بعد مضي الأدوار ومقتضى الأكوار في مثل هذا الفرد هو الخليفة الأعظم قد جمع الألوهية والربوبية والعبودية والأزلية والأبدية والحدوث والقدم والوجود والعدم لا يعلمه إلا الله ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزُّمَر: الآية 67].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل هيئات المنافقين والمنافقات مترددة في نشآت الدورات وشؤونات الكورات ليستكملوا في معارج العروج ومدارج الولوج للدخول والخروج في درجات الاستكمال والبروج ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي دبرهم في مدارج التكميل ومخارج التعديل بخصائص النور والجمال صريحًا وبنصايص الظل والجلال ضمنًا وبالعكس إلى أن يتعادلا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي سوى إفراط الظل والعدم وتفريط النور والوجود في الحدوث والقدم بنصايص الجودِ ورصايص الكرم إلى أن تعاد في صراحة دورة النور والجمال وتبادلا في صراحة كورة الجلال فإذن يصير المنافق منافقًا والمخالف المفارق متدفقًا.

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ [المُنافِقون: 1] الذين غلب فهم حكم المولود الجني على مقتضى المولود الإنسي من غير استيفاء بالكلية بخلاف الكافر الخايض مختفي الكلية من غير أن يظهر فيه في وقت دون وقت والمؤمن الخالص هو أن يغلب فيه حكم مقتضى النور والجمال من غير أن يظهر فيه حكم مرتضى الظل والجلال، أو يدخل مرتضى الظل والجلال، وهو المولود الجني تحت حكم المولود الإنسي، كما أشار إليه النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وله قرين من**

الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير». فإذن المنافق أقبح حالًا من الكافر الخالص ولذلك صار مقامه الدرك الأسفل.

﴿قَالُوا۟﴾ بحكم ظهور اقتضاء حكم النور والجمال ﴿نَشۡهَدُ﴾ باللسان الظاهري شهادة مطابقة بشهادة قلوبنا ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ في زعمنا واعتقادنا لا في نفس الأمرِ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ في نفس الأمرِ والواقِع ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ في قولهم (نشهد) وادعائهم المواطأة إذ الشهادة إخبار عن علم حضوري وحكم شهودي ولذا صدق المشهودية أو كذبهم في الشهادةِ أو أنهم لكاذبون دون بغضهم واعتقادهم فإنهم كانوا يعتقدون أن قولهم أنك رسول الله كذب صريح يخالف نفس الأمر أو إنك لرسول الله إنما هو في زعمنا واعتقادنا وهو غير مطابق لنفس الأمر بل يقتضيه ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ [المُنافِقون: 1].

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ وحلفهم وعدهم الكاذب أو شهادتهم هذه فإنها تجري مجرى الخلف في التأكيد ﴿جُنَّةً﴾ وعرضةً ووقايةً عن القتل والسبي ومخالفة الأمر الأهم ﴿فَصَدُّوا۟﴾ وجحدوا وردوا ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ ودينه القويم وصراطه المستقيم وهو الدين والإسلام ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: 2] من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي (ساء) معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند الشافعي.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الكلام المتقدم الشامل على سوء أعمالهم أو على الحال المذكورة من النفاقِ والكذب ﴿بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُوا۟﴾ أي بسبب إنهم آمنوا ظاهرًا ثم كفروا سرًا وغيبةً وآمنوا إذا رأوا آية ملجئة إليه ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ ثانيًا بعدَ العهد هنا وخلوّهم إلى الشياطين ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ وختم ووضع الختم على قلوبهم على [بقائهم] على الكفرِ ورسخوا وتثبتوا عليه واستحكم ظلام الكفر في قلوبهم ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: 3] حقيقة الإيمانِ ظاهرًا وباطِنًا ولا يعرفون صحته.

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ وعاينتهم وشاورتهم ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أي أجسام المنافقين في بادئ النظر، منهم عبد الله بن أبي فإنه كان رجلًا جسيمًا سمينًا صحيحًا بليغًا فصيحًا سالمًا في بدنه ضخيمًا ذلق اللسانِ وطلق اللسان وسلق البيان، ومنهم رؤساء المدينة كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستندون فيه على شيء لغاية تعظيمهم وتكبرهم واستحقارهم المسلمين، الخطاب للرسول ولكل أحدٍ ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ أي لفصاحتهم وحلاوة كلامهم وملاحة مقالهم بأن يقولوا للنبي إنك لرسول اللَّهِ تستمع لقولهم هذا ما قال ابن عباس: لما رجع عبد الله بن أبي من أُحُد تكبر وتعظم من الناسِ قيل له إنَّ رسول الله يستغفر لك قال لا أريد أن يستغفر لي ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ شبهوا في استنادهم وهيئاتهم في اعتمادهم وما هم إلا أجرام خالية وأجسام بالية عالية عارية عن الخير والمنافِع والإيمانِ وشبهوا بالخشب المسندة إلى الحائط لأن الخشب إذا انتفع بها كان في سقف أو في جدار أو غير ذلك وإذا خرجت عن الانتفاعِ اندرجت فيما توقد به، ويجوز أن يكون المراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان، شبهوا بها في حشر صورهم وقلة جدواهم ﴿يَحْسَبُونَ﴾ ويسمعون من خبثهم ولسوء ظنهم باللَّهِ وبرسوله ﴿كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ ترد بنفسها وترد بوحشتها ﴿عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ تدل على أن المنافقين هم العدو لله ولرسوله وللمؤمنين وضمير هم للمنافقين ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ وبعّد عنهم وعن مجالستهم ولا تأمنهم ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ وأهلكهم ولعنهم وبعّدهم عن رحمته ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: 4] كيف يصرفون دعاء عليهم إنشاء في المعنى إخبار في اللفظ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ [المُنافِقون: 5] أمر من التعالي أصله أن يقوله من كانَ

في علو لمن كانَ في سفل ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا﴾ فحركوا ﴿رُءُوسَهُمْ﴾ إعراضًا واستنكافًا وإعراضًا لذلك ﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ عباد الله عن سبيله ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المُنافِقون: 5] عن الحق مستنكرون الصواب والاعتذار والصدق فلا ينالون درجة الثواب.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ لتمرنهم في النفاقِ وتمكنهم في الكفر والشقاقِ ونعوتهم لاستعداد الذاتي والقابلية الأزلية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المُنافِقون: 6] الخارجين عن قبول الحقِّ.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ للناسِ نصحًا لهم وشفقةً عليهم ﴿لَا تُنفِقُوا۟﴾ ولا تبذلوا ﴿عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ من فقراء المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ ويتفرقوا من حوله ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ودفاين ﴿وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ لكمال إشفاقهم ووفور عداواتهم وفساقهم ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 7] ولا يدركون بواطن الأمور وظواهرها أو لا يعلمون حقيقة الإيمانِ وباطنه.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ من غزوة بني لحيان ثم بني المصطلق وهو حي من تبديل ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ روي أن أعرابيًّا نازعَ أنصاريًّا في بعض الغزوات على ماء وضرب الأعرابي رأس الأنصاري فجشه فشكى إلى ابن أُبي فقال: لا تنفقوا على من عندَ رسول الله ﷺ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ والغلبة والقهر والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المُنافِقون: 8] أي انحصرت القوة وانتصرت الغلبة والقهرمان على اللَّهِ وعلى رسوله وعلى المؤمنين وعزّهم الله في الدارين ﴿وَلَٰكِنَّ

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المُنافِقون: 8] هذه الحالة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ﴾ ولا يستقبلكم ولا يصرفكم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ كالصلاة والحج وسائر ما يذكر فيها اسم اللّهِ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المُنافِقون: 9].

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ أي من بعض أموالكم ادخارًا للآخرة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي قيل أن يرى دلائله ويعاين ما يباين معه ومن آلامها ويضيق به الاتفاق ويتعذر عليه الإنفاق ونعوت وقت القبول وتموت فرصة الوصول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقدان ما كان متمكنًا منه. عن ابن عباس: تصدقوا قبل أن ينزل عليكم الموت فلا يقبل توبة ولا يتبع عملًا وطاعة ولا يرفع إليه عبادة وإطاعة ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾ وأمهلتني وأمهلته ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وأمد بعيد ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ فأتصدق قلبت التاء صادًا وأدغمت الصاد في الصاد فاجتلبت الهمزة ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المُنافِقون: 10] بالتداركِ وجزمه للعطف على موضع الفاء ومحل (فأصّدق).

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ ووقت موتها وزمان فوتها وزمان قطع الحياة وأوان رفع تعلقها ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 11] عليم مدرك حكيم ظاهرًا وباطنًا سرًّا وعلانية فمجاز عليها من منع الواجب وغيره لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهد أداة الواجباتِ والاستعداد للقاء اللّهِ ومشاهدة الكريم وصفاته وأفعاله، عن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ سورة (المنافقينَ) برأ من النفاق**» والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



إلا قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ [التغابن: 14] مختلف فيه، وهي ثماني عشرة آية.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي خلق الخلق في سابق علمه وسايق قضائه وحكمه بعضهم مؤمنًا على ربح عظيم وفوز عميم وبعضهم كافرًا ومنافقًا على غبن فاحش وخسران جسيم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أبدعَ سماوات أدوار النور والجمال واخترع أرض أكوار الضمور والجلال فمن غلب عليه من الأعيانِ النورية سلطان مقتضى النور والوجود ومرتضى الجمال لظهور أمر الشهود وصارحكم الظل والجلال معلومًا أو استوى واستتبع النور والجمال الظل والجلال، فقد فاز فوزًا عظيمًا وجاز في مضمار السير في اللَّهِ قصبات سبق التحقيق جوازًا عميمًا ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي دبر بعض أعيان فردارية النور والوجود والجمال وأكوان فردارية تدبير الظل والعدم والجلال في السير مع اللَّهِ تارة باقتضاء استواء أحكامِها صريحًا وأخرى بارتضاء أعلامها ضمنًا وصريحًا معًا، وأصلًا وتبعًا، صحيحًا غالبًا ومغلوبًا، وطالبًا ومطلوبًا، وأصلًا وفرعًا فردًا وجمعًا.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ ويعبده وينزهه ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [التغابن: 1] من الأعيان النورية

التي مثالها التشبيه بلسانِ التشبيه وينبهه لاستواء الحالين عندهم ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ﴾ أي الأكوان الظلية الجلالية بلسان الأعيان النورية وبالعكس ليساوي حكم الظل والنور والخفاء والظهور والغيبة والحضور ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ والعدمي والوجودي الغيبي الشهودي ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُۖ﴾ والثناء الجمعي والكمال الذاتي والأسماء المعي ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ موجود ومعدوم ﴿قَدِيرٌ﴾ [التغابن: 1] بالإعدام والإيجاد بأن يخرج في الفردارية النورية تلك الشؤونات الذاتية من مرتبة الإطلاق ونعت البحث وغيب العلو إلى مرتبة العلم والبخت ومن مرتبة العلم إلى مرتبة العين أخرج الماهيات الكونية والحقائق الإلهية إلى ملابس العقول ومجالس الأرواح والنفوس ومنها إلى عالم البرزخ ومنه إلى عالم الملك والشهادة ومنه إلى عالم الناسوت ومنه إلى مرتبة اللايقين والذات البحت واللاهوت، وهذه الإبداعات والإخراجات والاختراعات في كل دورة من هذه الأدوار الإفرادية النورية إلى جمعيتها وفي هذه الحضرات الخمس يسبح لله كل منها في الأدوار، وأما في الأكوار فيعكس الأدوار.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ من نفس واحدة أي أخرج ماهياتكم البسيطة الأولية وحقايقكم الإلهية الأصلية من المرتبة الذاتية من الشؤونات الأصلية التي هي الاستعدادات الذاتية والقابليات الكلية إلى المرتبة العلمية ﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ﴾ غلب عليه حكم الظلال والجلال وحكم العدم والضلال والإضلال ﴿وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [التّغَابُن: 2] غلب عليه اقتضاء سلطان النور والجمال وارتضاء الوجودِ وحسن المآل.

قالَ النبي ﷺ: «**خلق الخلق في ظلمةٍ ثم رش عليه من نوره فمن أصابه فقد اهتدى ومن لم يصبه فقد ضل وغوى**». وقال أيضًا: «**السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه**». وقال أيضًا: «**إذا مكث المني في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس وخرج به إلى الرب تبارك وتعالى فقال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما هو قاض، شقي أم سعيد**». وقال أيضًا: «**إن خلق أحدكم**

ليجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، وأربعين مضغة، ثم يبعث ملكًا بأربع كلماتٍ يكتب أجله ورزقه وشقي هو أم سعيد» الحديث.

واعلم أن لله تعالى نسبتين نسبة ذاتية ونسبة أسمائية، فالنسبة الأولى من حيث الذات خير محض لا يقتضي في الأشياء إلا الخير والسعادة، والله يدعو إلى دار السلام، كل مولود يولد على فطرة الإسلام، وأما الثانية فباعتبار تغاير مفهوم الأسماء والصفاتِ، وتخالف اقتضاء نسبتها إلى ما دونها من منسوباتها من الجمالِ والجلال أحدهما وهو النور والجمال أب فاعل، والآخر وهو الظل والعدم والجلال أم قابل، فإذا كان اقتضاء أحدهما صريحًا يكون تأثيره ظاهرًا فيكون فاعلًا وأبًا، ولذا في ظهور ذاته لا يحتاج إلى غيره كواجب الوجود، وآدم، وإن كان ضمنًا وخفيًا فيكون قابلًا وأمًّا يحتاج في الظهور إلى غيره كحواء والعلة المادية القابلية، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النُّور: الآية 46]، «**فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**» وإنما عبر عنهما بأبويه تنبيهًا إلى تبادل الفاعلية والقابلية بينهما ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: 2] يعلم علمًا شهوديًا ويدرك إدراكًا حضوريًا على ما يقتضيه الجمال الصريح والنور الفصيح والوجود الصحيح والظل والجلال الضمني في الأدوار والأكوار فيجازيكم بما يناسب اقتضاء الجمال وارتضاء الجلال.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ دفعه أدوار النور ودبر أطوار اقتضاء الظهور صريحًا ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ الاستعدادية العدمية الجلالية التي يقبل أدوار النورية الجمالية الوجودية وتصرف في المادة الأصلية والهيولى الأولية وقسمها إلى أقسام يقتضيها تدبير وفردارية الدورة الوجودية ﴿بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ﴾ بأن قارن بذلك التخصص والأقسام بالصور المناسبة لها والأشكال والغرر المتقاربة بها ﴿فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ﴾ وزين تصويركم ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التغابن: 3] بعد استكمال التشكيل وتمام التصوير بالإعادة والترجيع بالتفريع بعدَ التأصيل إلى انقضاء اقتضاء التدبير في القيامة العظمى النورية وظهور الساعة التي تقتضيها فردارية استيطان الجلال التي

كانت ضمنية فصارت بعدَ انقضاء اقتضاء التدبير النوري صريحًا عند انتقال التدبير إليها وجعلَ الجمال الذي قد اقتضى الدنيا صريحًا والآخرة ضمنًا وتبعًا وضمنًا صورة ومعنى ظاهرًا وباطنًا.

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والأكوار الجلالية لدى استبدال دورة الجمال والنور من الظهور إلى الاستتارِ والضمور وأنتَ خبير بأن سماوات كورة الجمالِ عين سماوات دورة الجلال ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ المادية الجلالية وهي في الحقيقة أصل الدورة النورية الجمالية التي كانت في دورتها صريحًا وصارت في كورة الجلال ضمنًا ومادة وهيولى واستعدادًا وقابلية تصور أكوان أكوار الجلال وكذا أرض كورة الجلالِ غير أرض دورة النور والجمال وتتبادل صور سماوات الجمال والجلال وأرضهما علوًّا وسفلًا، فإن سماوات الجمال عالية ومرتفعة وسماوات الجلال بالعكسِ وأرض الجمال سفل وأرض الجلال علو مرتفعة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وبرزوا للَّهِ الواحد القهار وذلك يظهر لمن هو ساكن في أطراف الحياض أو ناظر في الإناء المملوء بماء في المرايا الموضوعة على سطح الأرض ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ وتخفونَ في خزائن الأرض ودار النورية الجمالية التي كانت ظاهرة صريحًا في دورتها وصارت عند انتقال الدورة منها الربوبية الجلال ﴿وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾ وتظهرونَ في الأكوار الظلية الصريحة لدى انتقال حكم التربية من الأدوار إلى الأكوار ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: 4] أي الوجوه التي يلي النفس في التدبيراتِ الجلالية والتصريفاتِ الظلية الصريحة فلا يخفى عليه ما يصح أن يعلم في دورة الجلال الصريحة والكورة الجمالية الضمنية كليًّا كان أو جزئيًّا نفسيًّا أو قالبيًّا وحسيًّا قلبيًّا أو سريًّا وغيبيًّا علمًا كانَ أو عينًا.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٥﴾﴾

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ [التغابن: 5] أي قيل ظهور دورة الجلالِ لدى انتقال حكم التربية من النور والجمال إلى الظل والجلال وصار تدبير الجلال

صريحًا بعدَ أن كانَ ضمنًا ﴿فَذَاقُواْ﴾ وشربوا ﴿وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ وضرر كفرهم وضرر شركهم الذي حصلَ في الدنيا أصل الثقل ومنها بديل الطعام ثقيل على المعدة والوابل للقطر الكبير الثقيل من المطر ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التغابن: 5] وعقاب جسيم في الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ۝٦﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الأليم والعقاب العميم ﴿بِأَنَّهُۥ كَانَت﴾ أي بسبب أنهم كانت ﴿تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الواضحة والآيات الساطعة اللايحة والمعجزات القاطعة الفايحة فأنكروا وجحدوا بها ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ﴾ مثلنا هذا الرسول المبعوث ﴿يَهۡدُونَنَا﴾ ويدلنا إلى اللّهِ ويوصلنا إليه ﴿فَكَفَرُواْ﴾ وجحدوا بآياته وأسمائه وصفاته ورسله وأنبيائه وكتبه وسوره وآياته وألفاظه وكلماته ﴿وَتَوَلَّواْۚ﴾ وأعرضوا وانصرفوا عن التفكر في الآياتِ والتدبر في البينات ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾ أي الله أطلق ليتناول كل شيء ومن جملة إيمانهم وطاعاتهم وعباداتهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن عبادتهم وإضافتها وطاعتهم وجزائهم وحسناتهم والله غني ﴿حَمِيدٞ﴾ [التغابن: 6].

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي علم ولذا يتعدى إلى مفعولين تعدى الله بهما وقد قام مقامهما أن مع ما خبرها من الاسم والخبر وإذا كان بمعنى القول يتعدى بمفعول واحدٍ إلا أن يكون جملة والفعل لما له من الفاعِل والمفعول كما في هذا ﴿أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾ والزعم ادعاء العلم ونظيره ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ وروى لتبعثون والله بقرينة اللام التي هي لتوطئة القسم ويلي لإثبات ما بعدها وهو البعث ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ جمع أصله (لتنبأون) لما دخلت نون التأكيد حذفت الواو لدلالة ضمة ما قبلها عليها ﴿بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾ أي لتجزون بمعمولاتكم أو بأعمالكم وبمجازاتكم عليها ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الإنباء والإخبار أو الجزاء والبعث والجزاء ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: 7] سهل وهين لوجود المادة وقبولها وحصول القدرة التامة والقوة العامة على الإيجادِ والإعادةِ على تلك القابلية والمادةِ.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ﴾ عليه أما القرآن فإنه بإعجاز نفسه ظاهر نفسه فظاهر بغيره بما فيه من الشرح والبيان ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: 8] عليم بأخباركم وأقوالكم وأعمالكم وأحوالكم الظاهرة والباطنة.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ منصوب (تنبؤون) أو بخبر لتضمنه معنى الوعيد والوعيد العديد الغريب البعيد أو باذكر المضمر ﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ﴾ لأجل ما فيه من الحساب والجزاء بالثواب في العذاب والجمع جمع الملائكة والنبيين والثقلين أو الأولين والآخريين ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم المذكور ﴿يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضًا فنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء وبالعكسِ واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقي وهو التغابن في الأمور الآخرة لعظمها ودوامها وشرف منازلها ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ وبما جاء منه من الأنبياء والرسل والكتب المنزلة والصحف المنزلة عليهم ﴿وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي عملًا صالحًا ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ ويمحو كبايره وصغايره لقوله تعالى: إن الحسناتِ يذهبن السيئات قال النبي ﷺ: «**أتبعوا السيئة الحسنة تمحها**»، ﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الأربعة التي يقتضيها الأدوار الأربعة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾ ما يستحقون له وثبات ما يجابهم الله وهو يبرئهم وتجنبهم وتقربهم عما يوجب البعد عن الجناتِ والقرب عن الدركاتِ أبدًا غير منقطع وزايل عنها الدخول والخلود في الجنات ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التغابن: 9] الجامع للسعادتين الجامع للمصالح الصالحة للفلاح الأبدي والنجاح السرمدي.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [التغابن: 10] وتمام بيناتنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن: 10] بيان للتغابن وتفصيل لأنواعه.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ من موت الأحياء وفوت الأقرباء وكلما يؤذي شخصًا فهو مصيبة حتى إطفاء السراج إلا بإذن الله ومشيئته وأمره وتقديره وإرادته ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ ويصبر عند حلول المصيبة ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للثباتِ والصبر والاسترجاع أي رجوع قلبه من مألوفاته ومحبوباته ومعطوفاته إلى الله تعالى ومحبته وكمال معرفته يهدِ مجزوم بمن التي تتضمن معنى الشرط ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11] من تمام أحوال العالم وأفعال بني آدم وأعمال أعضائهم وقواهم وأحوال مبادئها من النفس النباتي والروح الحيواني والقلب النفساني.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بقبول أحكامه وبامتثال أوامره ونواهيهِ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ بتحمل ما جاء به من عند اللَّهِ من النواميس الإلهية والأعلام الربانية ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عما جاء به إليكم فإن توليتم عن قبولها والعمل بها فليس عليه إعراض وبأس ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن: 12] أي ليس على رسولنا إلا تبليغ الأحكام والدعوة إلى الله فمن تصدى لقبول الأحكام الإلهية وقبلها بالرغبة التامة والإرادة والخير العام فعند نزول المصايب الشديدة والنوايب المديدة صايرون عليها صايرون إلى الثبات والتثبيت والتبصر عليها.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي لا معبود بالحق ولا موجود بالصواب والصدق ﴿إِلَّا هُوَ﴾ الذي خلق السماواتِ والأرض وما فيهما وغيرها على ما تقتضيه الحكمة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: 13] وتقديم المعمول على الحال يفيد الحصرَ على المتوكلين كاملين في التوكل أن يجعلوا التوكل منحصرًا على اللَّهِ في جميع الأمور الدينية والدنياوية.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ﴾ أي بعض الأزواج والأولاد التي تميل بها قلوبكم إلى الدنيا بل كل الأزواج والأولاد إلا ما شاء الله ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ في النشأتين ﴿فَٱحْذَرُوهُمْۚ﴾ كيلا يشغلكم عن اللّهِ وقبول أوامره ونواهيه نزلت في يوم أرادوا الهجرة عن مكة فثبطت وتمنعت عليها أزواج بعض الصحابة وأولادهم قيلَ نزلت في عوف بن مالك النخعي كان ذا أهل ومال وولد وأزواج ومدد وكلما أراد الغزو بكوا وتضرعوا إليه وقالوا: إلى من تكلنا، ومن تدعه فينا فيرحم عليهم ويرق فؤاده إليهم فترك الغزاة ﴿وَإِن تَعْفُواْ﴾ خطاب إلى النبي ﷺ وأصحابه المهاجرين ﴿وَتَصْفَحُواْ﴾ وتعرضوا عن عقوبتهم ﴿وَتَغْفِرُواْ﴾ وتجاوزوا عنه المواخذة بهم وبقبول معذرتهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: 14] يعاملكم مثل ما عاملتم بهم ويتفضل عليكم كما تفضلتم عليهم.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾ توقعكم في الفتنة الشديدة والعقوبة المديدة عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «**لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ من الفتنة فإنه ليس منكم أحد يرجع إلى ماله وأهله وولده إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقل: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن**». روي أن رسول الله ﷺ كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يكثرانِ البكاء فنزل النبي ﷺ عن المنبر فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر فقال: «**صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين يبكيان**» ثم أخذ في الخطبة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التّغَابُن: 15] لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الدنيا وما فيها من الأزواج والأولاد.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ﴾ لما أمركم الله به ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ [التغابن: 16] للّهِ

ولرسوله أي تقبلوا أحكام الله واقبلوا كل ما أمركم الله به وأقدموا عليه وبادروا إليه حسب القوة والاستطاعة ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ وبذلوا واختاروا الانفاق وإن تعطوا ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ أي مالًا كثيرًا لحصول سعادة نفوسكم في الدارين نصب ﴿خَيْرًا﴾ لأنه صفة مصدر محذوف أي إنفاقًا يكون خيرًا وخيرًا لأنفسكم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ أي يحفظ ويصان شح نفسه عن البخل ووقوعه على الإنفاق بالقصد والاختيار ولما بالكره والإكراه والإنفاق ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 16] في الدارين والمنجحون في النشأتين.

مطلب قرض حسن

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

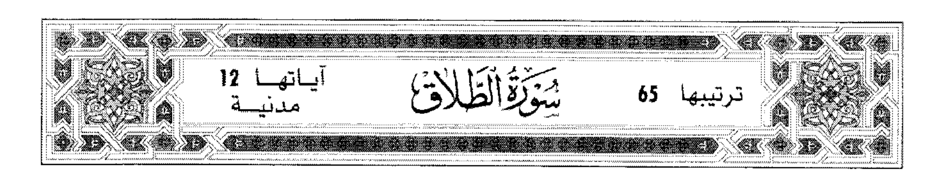
﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بلا رياء وقصد زيادة ومراءٍ بل يقصد به رضاء الله وابتغاء مرضاته ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ في الدنيا يجعل لكم بالواحد عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله وهو أفضل من الانفاقِ والصدقاتِ لأن الصدقات قد تقع في المحل وقد لا تقع، وأما قرض الحسن فلا يقع إلا في المحل كما وردَ في الحديثِ ويغفر لكم في الآخرةِ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التَّغَابُن: 17] شكور لكمال نعمته وعموم رأفته ورحمته بجميع الألسنةِ والأفعالِ والأحوال وإن كانت بصورة الأخوية والأسوة حليم يعطي الجزيل والجليل بالقدرة والقليل ولا يعالج بالعقوبة بل يعفو.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي الغايب عن الحسّ الظاهر الخمس وهي السمع والبصر والذايقة والشامة واللامسة ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التغابن: 18] أي ما يدرك بهذه الحواس المذكورة ويقال عالم الملكِ وهي الدنيا من البسيط الأرض إلى فلك الأفلاك ومغفرة فإن محيده غير محدود والدنيا محدودة متناهية وإن كانَ أثره وهو الحركة اليومية محدودًا وهو يظهر في الشمس وطلوعها وغروبها مهما يظهر أن لكل ذي حسٍّ حتى البهائم وما عدا عالم الملكِ والشهادةِ وهو عالم الغيب والآخرة وهو

عالم البرزخ وما فيه وعالم الملكوتِ وما بدل منه وعالم الجبروت وما يلازمه وعالم اللاهوت وعالم الذات النفسية إلى تمام المراتب وما فيها من الأعيان والأكوان النورية الجمالية الوجودية والظلية الجلالية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية على السّوية ولذا سقطت تمام الاعتبار أن جميع الإشارات والعبارات حتى الحيوان والنبات والإضافات عنه وفيه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ بيان الذات العالية النادرة القاصرة على الكل ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [التغابن: 18] باعتبار الأسماء والصفات. قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (التغابن) رفع عنه موت الفجأة**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أجرى النكاح الساري في جميع الذراري أولًا في الشؤونات الذاتية ثم بين الأعيان الثابتة والصور العلمية والماهيات المملكة والحقائق الإلهية في المرتبة العلمية والحضرة الواحدية ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي عين مهور هذه الأنكحةِ الجارية بين الاستعدادات الذاتية والوجودات العلمية والغيبية والشهودية التي هي عوض البضع والاستمتاع بين الاستعدادات وللأميات بين الموجوداتِ النفسية الكلية التي هي بداء الأفعال والأعمال وحقيقتها ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أقبض مهورهن باستكمال الأفعال واستيفاء المقامات والأحوال ففرق بينها وبين الوجوداتِ والتعيناتِ وطلقها بإرجاع معين وترجيعه إلى الوطن الأصلي والممكن الأزلي الأولي وهذا التفريق والافتراق والتطليق والطلاق إنما يكون بعدَ إقباضِ المهور والصداق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الطلاق: 1] قل لأمتك، إذ النداء وإن كان بحسب الظاهر

خاصًا إلا أن حكمه عام وذلك لأن أول من قبل النكاح الساري إنما هو في الحقيقة المحمدية أصالة وسائر الحقائق التي في ضمنها تبعًا وثانيًا وفرعًا وكذا الطلاق والتفريق والافتراق إنما يقع أولًا منه ثم لغيره من الأعيان العلمية والغيبية لأنه إمام أمته ومقتدى ملته فبداؤه في الحقيقة والمعنى إنما هو بداؤهم أو لأن الخطاب إنما يكون به وحكم الخطاب ومقتضى آيات الكتاب إنما هو لأمته ولنفسه عليه الصلاة والسلام، وأما الذي لنفسه من النكاح والطلاق والافتراق وإعطاء المهور والصداق فبالأصالة وبالذات ولأتباعه وأمتِه وأشياعه فبالتبعية والثانية والفرعية فالنكاح في قوس التنزل وفي قوس الأدوار النورية والوجودية والجمالية في طور التشبيه والتطليق والتفريق إنما يكون في قوس الترقي والعروج في قوس الأكوار الظلية العدمية الجلالية في دور التقديس والتنزيه.

﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي إذا أردتم تطليق النساء وتفريقهن ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: 1] تطهرهن الذي يحصونه من عدتهن لا يحيطهن الذي لا يعتدين به من قروئهن بشرطِ الدخول بها إذ من لم يدخل بها لا عدّة لها إذ الغاية والغرض من العدة إبراء الرحم من شغل المني ومن عصى وعد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف أي مستقبلات لأطهارها يدل على أن العدة بالأطهار وإن الطلاق المقيدة بالإقرار ينبغي أن يكونَ في الطهر غير الموطأة فيه وأن الطلاق في محيض حرم من حيث إنَّ الأمر بالشيء يستلزم النهي عن صحته ولا يدل على عدم وقوعه إذ النهي يستلزم الفساد كيف وأن النبي ﷺ قال لابن عمر حين طلق في الحيض ما هكذا أمرك الله عن السنة أن يستقبل الطهر استقبالًا ويطلقها لكل قرءٍ طلقةً.

وروي أنه عليه السلام قال لعمر مرّة: فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم يطلقها إن شاء قبل العدة التي هي أمر الله أن يطلق بها النساء. وعند الشافعي: لا بأس بإرسال الثلاثِ. وقال: لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح محلًا تراعى فيه خلاف السنة الواحدة والوقت. وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت، والشافعي يراعي الوقت وحده. عن أنس: أن النبي ﷺ طلق حفصة فأتت أهلها فنزلت ولذا خص الخطابَ به عليه الصلاة والسلام أو في ابن عمر رضي الله عنه إذا طلق امرأته خالصًا، والآية عامة تتناول المدخول بها وغير المدخول بها إلا أن لعدتهن تخصيص بالمدخول بها.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ﴾ بطلاقهن عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتزّ منه العرش**». وعن ثوبان رفعه إلى النبي ﷺ: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة**». وقال أيضًا: «**لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات**». وقال أيضًا عليه السلام: «**ما حلف بالطلاق ولا استحلف إلا منافق**».

قال عبد الله: إذا رجل طلق امرأته فيطلقها طاهرة من غير جماع. قال الحسن: أمر الله تعالى الزوج بتطليق امرأته إذا شاء الطلاق في طهر لم يجامعها وهو قوله تعالى: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي بزمان عدتهن وهذا الطهر بإجماع الأمة. وقيل: الأطهار عدتهن وجماعة من المفسرين قالوا: الطلاق عدة إن طلقها طاهرةً من غير جماع. وبالجملةِ الطلاق في الطهر لازم وإلا لا يكون سنة والطلاق في السنة إنما يتصور في البالغةِ المدخول بها، وأما الحامل والصغيرة وغير المدخول بها فلا بدعة، والآية لعدم العدةِ بالأقراء وليس في عددِ الطلاق سنة وبدعة عند الشافعي والسنة في عدد الطلاق أن يطلق كل طلقة في طهر صحيح.

قال صاحب النظر في طلاقهن في عدتهن صفة للطلاق كيف يكون وهذه اللام تجيء لمعان مختلفة للإضافة وهي أصلها وللسبب والعلة إنما يطعمهم لوجه الله، وبمعنى عند نحو لدلوك الشمسِ وبمعنى في نحو من ديارهم لأول الحشر وهي ههنا بمعنى في أي في عدتهن أي ما تصلح العدة فيه.

و﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن قبل انقضاء مدة العدةِ ﴿وَلَا يَخۡرُجۡنَ﴾ بأنفسهن من المساكن ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ من الزنا مستثنى من الأول إلا أن يبدو على الزوج ويخرج عليه فإنه كالنشوز فخاست طبختها ومن الثاني لإقامةِ الحدِّ عليها فالفاحشة في الأول هي النشوز وفي الثاني الزنا وتلك الأحكام المذكورة من إسقاطِ وإجراء الحدِّ أو أحكام الطلاقِ وأحواله من البدع والسني حدود الله ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ ولم يقمها ﴿فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ بأن عرض للعقاب بالإعراض عن إجراء الحدود وقبولها فصار مستحقًّا لأشد العقاب ﴿لَا تَدۡرِي﴾ النفس أو أنت أيها النبي أو المطلق ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ التطليق الواحِد ﴿أَمۡرٗا﴾ [الطلاق: 1] أي مراجعة في الباقي من التطليقات ما دامت في العدة ورغبة فيها بعد التطليق الواحد ويتبين بأن القلب لله قلبه من بغضها إلى

ودّها ومن عداوتها إلى محبتها ومن الرغبة منها إلى المحبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندامةِ عليه.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢﴾

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وسار فيهن أجر عدتهن وأنتم بالخيار فإن شئتم ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ وراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بحسن عشرة وإنفاق غياب ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ وطلقوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بإيفاءِ الحقِّ وإلغاء النشز والشقِّ وانتفاء الضرب والدقِّ من أن يراجعها ويكلفها تكليفًا شاقًّا وتعنيفًا ثم يطلقها لإطالةِ مدة العدةِ ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ منهم على الرجعة والفرقة بترًا من الريبة وقطعًا للشارع وهو ندب كقوله: وأشهدوا إذا ما بايعتم، وواجب عند الشافعي ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي أدوا أيها الشهود الشهادة خالصةً وابتغاءً لمرضاتِه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي الحث والإغراء على أداء الشهادة وإقامتها لوجه اللَّهِ وابتغاء لمرضاته ولأجل القيام بالقسطِ ﴿يُوعَظُ بِهِ﴾ وينصح ﴿مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فإن الانتفاع بهم مختص به ولا يحصل التنبيه والتذكر إلا منهم ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطَّلَاق: 2] جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعدِ على أن الإبقاء على نهي منه صريحًا أو ضمنًا من الطلاق في الحيض والإضرار بالمعتدة بإطالةِ مدتها وإخراجها عن المسكن والتعدي عن حدود اللَّهِ التي فرضها عليكم وكتمان الشهادةِ ويوقع جبر على إقامتها بأن يجعل اللَّهِ مخرجًا في شأن الأزواج من المضايق والغموم ويرزقها فرجًا ومن المضايق مخرجًا بحيث لم يخطر ببالها أو بالوعد لغاية التيقن بالخلاص عن مضار الدارين ومضائق النشأتين والفوز بالبقية من حيث لا تحتسبوا أو كلام مبني للاستطراد عند ذكر المؤمنين.

نزلت في عون بن مالك النخعي وذلك أن المشركين أسروا ابنان له فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن العدو أسروا ابنيّ، وأظهر الفقر والفاقة، فقال عليه السلام: «**ما أمسى عند محمد آل الأمد فاتق الله واصبر وأكثر من لا حولَ ولا قوة إلا باللَّهِ العلي العظيم**». ففعل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه وفد غفل عنه العدد

فأصاب إبلًا جاء بها إلى ابنه وكانَ فقيرًا في الغاية قالَ الكلبي ورواية يوسف بن بلال أتاه ابنه ومعه خمسونَ إبلًا بعيرًا، عن ابن عباس رضي الله عنه إنه جاء مالك مع زوجته وشكتا عن أسر ابنهما وعن فقرهما وجزعت زوجته فأمرهما باستكثار لا حولَ ولا قوة إلخ، فجعلا يقولانه فجاء ابنهما بأربعةِ آلاف شاة فنزلت قيلَ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطّلَاق: 2، 3] أي مخرجًا من شهاب الدنيا ومن غمرات الموتِ ومن شديد القيامةِ أو مخرجًا من كل شيء ضاق على الناسِ أو من كل شدة قيلَ من يتق اللَّهَ في أداء الفرايض يجعل له مخرجًا من العقوبة في الدارين.

مطلب الاستغفار

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطّلَاق: 3] ويرزقه الثواب والجزاء فيهما من حيث لا يحتسب. حكي أن رجلًا جاء إلى عمر رضي الله عنه فقال: ولّني بما ولاك الله، فقال: أتقرأ القرآن؟ فقال: لا نولّي من لا يقرأ القرآن، فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القرآن، فتخلف عن عمر ذات يوم فقال أمير المؤمنين: يا هذا أتهجرنا؟ فقال: لست ممن يهجر ولكني تعلمت القرآنَ فأغناني الله عز وجل. عن عمر: عن أية آية أغناك؟ قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطّلَاق: الآيتان 2، 3]. قال رسول الله ﷺ: «**من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب**».

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فيثق به ويسكن إليه قلبه ويطمئن لديه سره وغيبته في الموجود والحاضِر والمفقود ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ وكافيه ووليه ووافيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي يبلغ ما يريد ولا يفوت مراده ولا يعجزه مطلوب ولا يغرر عنه مرغوب ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطّلَاق: 3] مقدرًا أو أجلًا لا بأجل أو تقديرًا أو توقيتًا لا ينقص ولا يقل. هذا بيانِ وجوب التوكل على اللَّهِ وتفويض الأمور إليه وتأويل الأحكام والمطالب كلها لديه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق والحياة وما توقف الآمال

عليه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته وتدبيره فلم يبق لذلك الشخص إلا التسليم والتفويض والتوكل عليه.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ إما الكبير أو تخيله ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ وتشككتم ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ لما نزلت: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ﴾ [البقرة: 228] قيل وما عده اللائي ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ لم يحضن فنزلت ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ وغلبة عدتهن ﴿أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطَّلَاق: 4].

﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾

﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ وهو حكم المطلقات والمتوفى عنه أزواجهن والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم لأن أولات الأحمال بالذات وعمومًا أزواجًا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلاف ثم ولأنه صح عن سبقة بنت الحارث ووضعها بعد وفاة زوجها بليال قد ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: قد حللت فانكحي ومن يتق اللَّهَ في أحكام فتراعى حقوقها يجعل له مخرجًا وأمره يسيرًا ويسهل عليه ويحلل له من عقده بسبب الموت وهي الحكم المذكور في باب العدة أمر الله أنزله إليكم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في حفظ أحكامه فيراعى حقوقها ﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الطَّلَاق: 5] بالمضاعفة.

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦﴾

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾ مكانًا من أماكنكم ﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ [الطَّلَاق: 6] من

وسعكم وطاقتكم بيان لقوله من حيث سكنتم ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ في السكنى والمكان ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ﴾ في المساكنِ فيجلوهن إلى الخروج ليصيروهن ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾ فيخرجن من العدة هذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والأحاديث يريده وعلى أن المطلقة الصغيرة سوية الكبرى لا نفقة لهن لانقطاع علاقة النكاح وأما الطلاق الرجعي فلا يسقط النفقة لبقاء العلاقة إلى أن يبين الحال بالرجعةِ أو الفرقة ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ بعد انقطاع علاقة النكاح ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ﴾ على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ﴾ أي وليًّا من بعضكم بعضًا يجمع في الإرضاع والأجر ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ في الرضاعِ وتضايقتم فإن أبى الزوج أن يعطي المرأة بعد رضاعها والأم أبت أن ترضعه فليس للزوج والأب أن يكرهها على إرضاعِها ولكن يستأجر للصبي مرضعًا غير أمه ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطّلاق: 6] أي امرأةً أخرى.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ﴾ له غناء ﴿مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾ أي من سعة ماله وكثرة جهاته على قدر عنايته ﴿وَمَن قُدِرَ﴾ وضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ﴾ على كل واحد من الموسر والمعسِر ﴿مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ وأعطاه من المالِ بقدر ما يليق بحال كل منها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ موسرة كانت أو معسرةً ﴿إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ وأعطاها من السبقِ والمالِ ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ﴾ كل ﴿عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطّلاق: 7] بعد فقر غناءً وبعدَ ضيق سعةً وتطييبًا لقلب المعسر واستبشارًا له بالغنى.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وسكانها ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ أعرضت عنه وخالفته ونبذته وراء ظهرها ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ عنيفًا بالاستقصاءِ والمناقشة بالنقير والقطمير ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطّلاق: 8] منكرًا أليمًا مؤلمًا موجعًا أعرضت في الغاية والتغير بالماضي المتحقق ووقوعه حقًّا وقطعًا وصدقًا فذاقت ودمرت أهالي تلك القرية.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩﴾

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبة كفرها ومعصيتها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطّلَاق: 9] عظيمًا لا ربحًا.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠﴾

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾ تكرير للوعيد وبيان يوجب التقوى المأمور في قوله ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ويجوز أن يكونَ المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وسهم في صحف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلًا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطّلَاق: 10].

﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝١١﴾

﴿رَّسُولًا﴾ أي ملكًا أرسل الله به أعني جبريل والقرآن الذي أنزله لأنه مذكور في السماوات أو المراد محمد الذي واظب على تلاوة القرآنِ وتبليغه فغير عن إرساله بالإنزال رشحا أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه وأبدلَ عند (رسولًا) للبيان أو إرادته القرآن و(رسولًا) منصوب بمقدر مثل أرسلَ أو اذكروا الرسول مفعوله أو بدل على أنه بمعنى الرسالةِ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ حال من آيات اللّهِ أو صفة رسولًا ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي ليحصل ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علمه وقدراته مؤمن ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ والجهالات والضلالات ﴿إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ والهدى ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطّلَاق: 11] فيه تعجب وتعظيم لمن رزقوا بالثواب ووفقوا لاجتلابِ سعادة الدارين والاكتساب.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [الطّلَاق: 12] مبتدأ وخبر لا موصوف وصفة إلا

على تقدير الحذفِ ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: 12] أي سبع طبقاتٍ وفي كل طبقة طائفة من المخلوقاتِ روى عن ابن عباس أن:

الطبقة الأولى: اسمها الرتكاء وفي تحتها الريح العقيم قد زمت سبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملكٍ وبها قد أهلك الله قوم عادٍ وأخرجت عليهم قدر ثقب الخاتم فسقت جبالهم وطفت ديارهم وعفت حبالهم ومساكنهم ومداينهم وأماكنهم قد سلط إذا أراد الله تخريب الدنيا وقيام الساعة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: الآيات 105 - 107] وساكن هذه الطبقة أمة يقال لهم البوشم عليهم تكاليف وعليهم عقاب وعذاب فلهم ثواب ودرجات وجنات وسعير ودركات.

وثانيها: اسمها خلد وفيها أصناف من العذاب أهل المذار وساكنها أمة يقال لهم الطمس يأكلون من لحومهم ويشربون من دمائهم.

وثالثها: اسمها عرفة وفيها عقارب كالبغال ولهم وأذناب كالرماح لكل ذنب ثمانية وسبعون نقارة وفي كل نقارة ثلاثمائة وستونَ قلة من سم لو وضعت قلة منها على الأرض لمات من فيها من المخلوقات وساكنها أمة يقال لها العيش طعامهم التراب وشرابهم النداء.

ورابعها: اسمها الحرباء وفيها حيات وعقارب لأهل النار كأمثال الجبالِ طولًا وعرضًا لكل حية أنياب كالنخيل الطويل إذا ضربت بها أعظم جبل جعله دكًّا لهم، وساكنها أمة يقال لها الجهلاء ليست عيون لهم ولا أقدام، لها أجنحة كأجنحة القطاء فلا يموت إلا هرمًا.

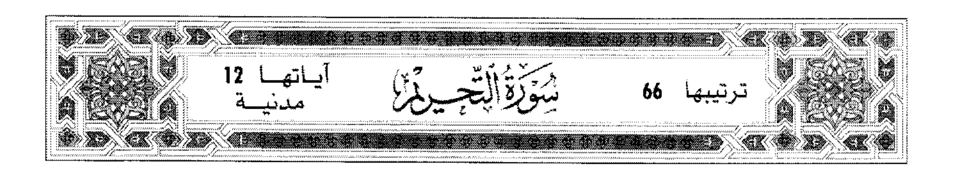
خامسها: اسمها ملثا وفيها حجارة الكبريت يتعلق في عنق الكافِر فإذا اشتعل كانَ كالوقود في صدرهم واللهب على وجوههم ويقال لساكنها أمة غبات لا يحصون لكثرتهم ويتوالدونَ توالدًا كثيرًا يأكل بعضهم بعضًا.

وسادسها: سجين وفيها داين أهل النارِ وأعمالهم الخبيثةِ وساكنها أمة يقال لها القنطاط وهم على صورة الطيور ويعبدونَ الله حق العبادةِ.

وسابعها: عجيب وهي مسكن إبليس وفيها أمم يقال لهم الحيثوم وهم سود وأظافرهم مخاليب كمخاليب السباع وهم يتسلطون على اليأجوج فيهلكون على

أيديهم، ويقال: أن إبليس محبوس فيهما موثوق يديهما أمامه ورجليه خلفه ويأتي جنوده بالأخبارِ واستوحشت الشياطين والعفاريت وأرواح الفجار إذا ماتوا تحت خلد إبليس وتحت هذه الطبقة حجاب من ظلمة في إحدى جانبيهِ سموم وإليه باب من سقر وفي الجانب الآخر الزمهرير وأسفل من ذلك ظلمة عظيمة، فإذا قامت القيامة أمر الله أن يكشف غطاء فيخرج منها نارًا تحرق جهنم من الحر، فإذا دخلت إلى البحر المطبق على شفير جهنم وهو البحر المسجور ينشق من حرها ما كان فيه من الماءِ وهذا البحر هو البحر المطبق على جهنم الحايل بينها وبين الأرضِ فإذا انصبّت ذلك البحرِ استقلت في الأرضين السبع فعندها جمر وحده ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي يجري أمر الله وقضائه بينهن وينفذ الحكم فيهن ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطّلَاق: 12] يدل على كمال إرادتِه وشمول علمه وحكمته وعموم قدرته وهجوم مشيئته. قال النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (الطلاق) مات على سنة رسول الله ﷺ»**.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعلَ تحريم حضور صور الأغيار على قلوب كافة العارفين وغيوب عامة الأحرار الواقفين في الكمالِ لاستكمال تامة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي تم فيضان أنوار الوجود على أراضي أعيانِ الغيب والشهود وعلى ما تهيأت الممكنات وعلى حقائق المكوناتِ عامة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الحكيم الحاكم عليهم بالإرجاع والتوبة والترجيع والإبانة بأن يتوبوا إلى اللَّهِ توبة نصوحًا قبلَ قيام القيامة الأنفسية قيامة طامة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ برأيك وعلى مقتضى رأيك ومرتضى شهودك ورؤيتك وفكرك ونظرك ﴿مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ حال كونك ﴿تَبْتَغِي﴾ وتطلب ﴿مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ﴾ إما تفسير لتحرم أو استئناف ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لكَ ويتجاوز عن زلتك وحسيبك ومثلك في طلب مرضاةِ أزواجك ﴿رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: 1] بك حيث لم يؤاخذك به روى أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم عايشة أو حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فقال لها: «**اكتمي ذلك عليّ**»، وقد حرمت مارية على نفسي. فحرم مارية فنزلت. وقيلَ: شربَ عسلًا عند حفصة فرأته سودة فقلن لها فقالت عايشة رضي الله عنها لهنَّ إذا دخلَ عليكن رسول الله ﷺ يقلن له: إنا نجد منك ريح مغافير كريه الرايحة وكان رسول الله ﷺ يكره ويشق عليه أن يوجد منه ريح نتنة

لأنه يأتيه الملك فحرم العسلَ على نفسِه.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ هي شرع لكم ولأجلكم تحلل اليمين بالكفارةِ أو بين لكم الاستثناء في اليمين وجوزه لكم من قولك حلل في يمينه إذا استثنى فيها ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي متولي أمركم وحافظ حالكم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بمصالحكم ومنافعكم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: 2] المتقن في أفعاله المتين لأحواله وأعماله.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾ وأخفى وكتم وأخبر ﴿إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ وكلام تحريم مارية على نفسه شرط كتمان سرّه. قيل: أسرّ لها النبي ﷺ أن أباك وأنا يا عائشة رضي الله عنها نكون خليفتين على أمتي بعدي فلما نبأت وأخبرت بالحديث أسر إليها النبي ﷺ أمر صاحبتها فأطلع الله نبيه على إنها نطقت به ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وأطلع ذلك الأخبار نبيه ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ أي أعلم الرسول حفصة بعض ما فعلت ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ عن كلام بعض نكر ما أو جاز على بعضه تطليقة أتاها وتجاوز عن بعض فلما بلغ عمر قالَ لو كان في الخطاب خيرًا لما طلقكِ رسول الله ﷺ فجاء جبرئيل وأمر بمراجعتها واعتزلَ رسول الله ﷺ نساءه شهرًا وفقد في سرية أم إبراهيم مارية حتى نزلت آية التحريم قيلَ لم يطلبها وإنما سمى بطلاقه فأتاه جبرئيل فقال لا تطلقها فإنها صوَّامة قوَّامة وإنها من نسائِك في الجنةِ، فلما نبأها الرسول ما فعلت حفصة ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ الذي كنت أخفيه قالَ النبي ﷺ في جوابها ﴿قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بالأمور الخفية والجلية ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: 3] العليم بأحوال الأشياء كلها ظاهرها وباطنها سرّها وعلنها.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [التحريم: 4] خطاب لحفصة وعايشة على الالتفاتِ

للمبالغة في المعاينة ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي عدلت ومالت عن الحقِّ وهو حق الرسول وذلك حق عظيم يوجد فيه استحقاق العذاب بأدنى تقصير وجواب الشرطِ محذوف للعلمِ به على تقدير جزائكما، والمراد بالجمع التثنية قالَ الفراء وإنما عبر الجمع علىَ التثنيةِ لأن أكثر ما يكون من يطلق عليه الجوارح اثنين واثنتين في الإنسانِ كاليدين والرجلين والعينين فلما جرى أكثره على ذلك ذهب الواحد منه إذا أضيف إلى اثنين مذهب الاثنين وقد مر في سورة المجادلةِ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ قال ابن عباس يريد أبا بكر وعمر هما وليان للنبي ﷺ على من عاداه ناصران له قيلَ من آمن باللَّهِ وعملَ صالحًا وبرأ من النفاقِ وعري عن الشقاق وواظب على الإنفاقِ ومارس الوفاق والطباق قيل الخلفاء والصحابة ويجوز أن يراد الواحد والجمع فإن تظاهرا وتعاونا عليه أي تعاضدا على الرسول وإيذائه بما سعوا إليه بما يوجب الاستحقاق والإهانة فلا بأس ولا يضره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾ وناصره في الدين ومعينه لإظهار شعاير الإسلام ويقويه أصحاب كمال الإيمان وأرباب التعيين ﴿وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ أي ملائكة عظام يكون ﴿ظَهِيرٌ﴾ [التّحريم: 4] بعد أي جبرئيل وصالح المؤمنين ظهيرًا وعضدًا ونظيرًا للنبي ﷺ عن أسماء بنت عمر قالت كنت سمعت النبي ﷺ يقول لصالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب قيلَ الأنبياء والصحابة أو الخلفاء منهم خاصة أو المؤمنين المخلصين غير المنافقين

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٍ مُّؤۡمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا ۝٥﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ هذا من مقولة الرسول وكلامه عليه أي فرب محمد إن طلقكن يا جماعة أزواج النبي وأخرجكن من زوجيته ﴿أَن يُبۡدِلَهُۥٓ﴾ في تأويل المصدر المنصوب مفعول (عسى) أي قرب وتحقق تبديل الله مكانكم أزواجًا يكون ﴿أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٍ مُّؤۡمِنَٰتٍ﴾ مصدقاتٍ مقراتٍ بتوحيد اللَّهِ وأسمائه وصفاته الذاتية والأفعالية إن طلقكن الرسول وأخرجكن عن بيته ومسكنه ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مصليّات مواظباتٍ على الطاعات ملازمات على العباداتِ ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾ ومتعبدات ومخلصات في العباداتِ ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [التّحريم: 5] صايمات ومهاجرات

قيلَ مسبحات وهي أبلغ قيلَ للصايم سايح لأن السايح لا رادّ معه فلا يزال يكون ممسكًا إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصايم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾ أضداد باكرات ﴿وَأَبْكَارًا﴾ [التّحريم: 5].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إيمانًا خالصًا مقرونًا بالعمل الصالح ﴿قُوٓا۟﴾ أمر من اتقى وقاية محافظة أي احفظوا ﴿أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ أي مع أهليكم بالنصح والتأديب والموعظة والتهذيب ﴿نَارًا﴾ أي من نار ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي يكون حطبها وما تشتعل به وما يوقد به هو أفراد الإنسان وأشخاصها التي يغلب على طبقتهم مقتضيات العناصِر الأربعة ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أي حجارة الكبريت أو قساوة القلب وظلمته هي كالحجارة أو أشد قسوة إشارة إلى تفاوت مراتب أفراد الإنسان في الإنسانية فإن منهم من غلب عليه ظلمة الإمكانية وهي على مراتب بعضها يبعد عن الإنسانية غاية البعدِ وهي ساكنة في درجة الجمادِ والنباتِ لغلبة طبيعتها عليه وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ وهذه الفرقة مخلدونَ في النار لا يقال فما الفايدة في تعذيب هذه الطايفة؟ لأنا نقول إن النار من شأنها تفريق المتخالفاتِ وجمع المتماثلاتِ ففايدتها إزالة هذه الصفات المتخالفة وإمالة الهيئات المتباينة لحقيقة الإنسانِ وهي الجمعية الإلهية والكونية وكل صفة وهيئة إذا عرضت على هذه الجمعية ورسخت فيها وثبتت وصلبت فيها ملكة راسخة كانت في الحقيقة الإنسانية حجارة أو أشد من الحجارة، فنُزُلها ليس إلا النار السعيرية ووراء هذه النار نار أخرى من نار جهنم بمراتب كثيرة، فإن كانَ يوم القيامة أمر الله أن يكشف غطاءً وحجابًا فيخرج من هذه النارِ نار الخوف، جهنم بشدة حرارتها، فإذا دخلت إلى البحر المطبق على شفير جهنم وهو البحر المسجور ينسف من حرها ما كانَ فيها من الماء واستحر كلما كانَ في هذا البحر بعد وهذا البحر حايل بينها وبين الأرض بطبقات فلو صب شيء من هذا البحر على الأرض اشتعلت الأرض بما فيها وصارت جمرةً واحدة ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: 6] غلظ وكثافة قد سلطتهم على جهنم وأهلها لم يخلق في قلوبهم رأفة ولا رحمة ولا رقة ولا شفقة

يرحم على أحد من أهل قوتها والمراد بالغلظ هي الحدة في الأقوال بحيث يكون مؤثرة فيهم بل يكون أحد وأشد من تأثير الجراحات.

جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان

وبالشدة ما يكون في الأفعال فإن تأثيرهم وتعذيبهم إنما يكون بالأقوال والأفعال ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ ولا يخالفون ما أمره ولا يخرجون على إطاعته وكمال مطاوعته ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6] يعني أنهم غلاظ شداد على أعداءِ اللَّهِ رحماء على أولياءِ اللَّهِ وأحبائه أشداء على الكفار رحماء بينهم وهم تسعة عشر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ لما ذكر شدة العذاب بالنارِ وبالأقوال والأفعال أراد أن يذكر العذاب بالأحوال القلبية وهي اليأس والإياسة والتحسر والندامة وهذا العذاب أشد من العذاب القولي والفعلي من الله والملائكة الموكلة أن يقولوا لهم لا تعتذروا اليوم والاعتذار هو التوبة والتوبة قد فاتت عنهم لأنها كانت من لوازم الدنيا فيعد الدخول في النار غير مقبول فلا فايدة في الاعتذار ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التّحريم: 7] علة للنهي.

مطلب التوبة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التّحريم: 8] مبالغة في التوبة في النصحِ إذ هو صفة التايب فإنه ينصح أولًا نفسه بالتوبة في مقام النفس اللوامة يتحقق بها في مرتبة النفس الملهمة ويثبت ويطمئن عليه ويرشح ويتمكن لديها ولهذا الأمر أولًا بمحافظة النفس ووقايتها عن المنهيات

وبالاجتناب عن المعاصي والسيئات فيفعلون الأوامر والنواهي ويعتقدونَ خفيتهما وثانيًا يتحققون بما اعتقدوا أو يتصفون بما يقيدوا به وأقروا بها وإليه أشارَ النبي ﷺ بقوله: «**من كان له في نفسه واعظ كان له من اللّهِ حافظ**» بأن يأتي على طريقها متداركة المفرطات ماحية للسيئات وذلك بأن يتوبوا عن القبايح بعدَ أن أقر بقبحها ولاوم نفسه بارتكابها إياه نادمين عليها مغتمين به أشد الإغمام على أنهم لا يعودوا عليها عن علي رضي الله عنه سمع أعرابيًّا يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال: ما هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال: وما التوبة؟ قال: تجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب علم بدايته وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن يعزم أن لا يعودوا أن تربي نفسك في الطاعة كما تربيها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعاتِ كما أذقتها حلاوة المعاصي ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التّحريم: 8] الكبيرة والصغيرة ما عدا الشركِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النّساء: الآية 116] .

﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ذكر بصفة الإطاعة جريًا على عادة الملوكِ وإشعارًا بأنه يفضل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ أي لا يرد شفاعته (يوم) ظرف ليدخلكم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: 8] عطف على النهي ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ على الصراط المستقيم للمؤمن والمعوجِّ على الكافِر وهو من السيف أدق من الشعر لأنه حد فاصلٌ وبرزخ حايل بين الضدين وهو غير مستقيم في جهة العرضِ فهو إذًا أحد من السيف وأدق من كل الشعور ﴿يَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون عند انطفاء نور المنافقين ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التّحريم: 8] لنعبر الصراط المذكور وأتمم علينا مرورنا إشعارًا بأن من بيده أزمة التوفيق وبحسب قدرته وإرادته أعنة التحقيق يفعل ما يشاء بما ينقص ويزيد ويحكم على من يشاء ويريد بالإتمام والمزيد ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ وتجاوز عن سيئاتنا ليتم نورنا ويعم على الصراط مرورنا ولا يعم علينا عليه عبورنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: 8] علة للكل وإشعارًا بأنه عالم الكلياتِ والجزئيات وأنت خبير بأن المؤمنين تتفاوت أنوارهم بالقلة والكثرة والصفاء والكدورة ولذا يسألون الإتمام تفضلًا .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيفِ بدون الميلِ والحيفِ في عموم الأزمانِ في الشتاء والربيع والخريف والصيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بحسن التدبير وتمام الحكمةِ وكمال المدارات ووفور التوقير ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ واشدد بهم على ما يقتضي الحال والمقامات ادع إلى سبيل ربك بالحكمةِ والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فإن لم يطاوعوا يصير مصيرهم في السعير ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التحريم: 9] جهنم أو مآلهم جهنم.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ﴾ يعني بين حالهم بطريق المثل إنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثل معاقبة الأجانب الذين لا يكون بينهم نسبة أصلًا بل أشد من غرائق المحاباتِ واتقاء المدارات فلا ينفعهم مع عداوتهم بهم المقارنة والنسب الروحية والإنسية الناجي الذي كان بينهم أو الداين وأحكام الإسلام الذي يقضي إلى حصول السعاداتِ والوصول إلى درجات الجناتِ التي هي باقيات صالحات ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [اكهف: 46] عن شرفه أعاذوا به من الدنيا وما فيها وإن كانَ بين المؤمن والكافِر اتصال لازم ظاهرًا كحال امرأة فرعون وامرأة نوح ولوط فإن امرأته وهي بنت عمة موسى لما سمعت قصة إلقاء العصا والتقامها الحيات المصنوعة والحبال الموضوعة آمنت بموسى عليه السلام.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾ نوح ولوط ﴿مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ [التحريم: 10] إشعارًا بأن عبادَ اللَّهِ وخواصه وأخباره كثيرة متخالفة المناصب متباينة المناقب يكونون مختفين عن العيون والأبصار كخضر وإلياس وبرح وكانوا في زمان موسى أخفاهم الله عن نظر موسى وأويس القرني وأصحاب الصفة والخواص الذين قال الله تعالى

في حقهم: يا أحمد إن في الجنة قصرًا من لؤلؤة ودرة فوق درة ليس فيها قصم ولا وصيد فيها الخواص أنظر إليهم كل يوم سبعين مرة وأكلمهم كلما نظرت إليهم ازدادوا في ملكهم سبعين ضيفًا وإذا تلذذ أهل الجنةِ بالطعام والشراب تلذذوا أولئك بذكري وكلامي وحديثي قال: يا رب وما علامة ذلك؟ قال: أولئك مسجونون قد استحبوا نسبتهم من فضول الكلام وبطونهم من فضول الطعام الحديث وكالأبرار الذين كانوا في زمن إبراهيم الخليل قال الله تبارك وتعالى: «**يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار**» الحديث. قال الله تبارك وتعالى: «**أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم سوائي**».

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بالنفاقِ وكثرة الخلاف والشقاقِ ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ يعني كانتا ناقضين لزوجهما لا في الدنيا ولا في الآخرة قال النبي ﷺ: «**أول ما يسأل المرأة عن صلواتها ثم بعلها كيف عملت إليه**». وأصل التبعل وهو الاستمتاع قد حصل منهما لأحسن التبعل وهو أن يكون أحدهما معينًا للآخر، فما حصل من زوجتهما وقيل للمرأتين عند الموت أو القيامة: ادخلا النار مع الداخلين أي مع ساير الداخلين من الكفرة الذين خالفوا أمر اللَّهِ وأمره وشرايعه ودينه وأمر رسوله وأحكامه ﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التّحريم: 10].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسية بنت عمران بنت عمة موسى كانت معينة لفرعون في أمر الدنيا والآخرة وذلك لإيمانها الذي أخفته عن فرعون، وكانت مساعدة في البداية لخلاصِ موسى من يد فرعون حيث أمر بقتل الصبيان شبه حال المؤمنين بحال امرأة فرعون في أنها كانت وصيلة الكافرين وكانت أفعالهم القبيحة وأعمالهم شبه غير مؤثرة فيها ومنزلتها وعلو مقامها وسوء مكانتها عند الناس أنها كانت تحت أعدى أعداء ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ ظرف لمثل المحذوف ﴿رَبِّ ٱبْنِ﴾ أمر من تبنى ﴿لِى﴾ واصنع لأجلي ﴿عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التّحريم: 11] أي في جنة الذات إشعار بكمال رفعة شأنها وكمال حقية حقيقة إيمانها وبأنها قد

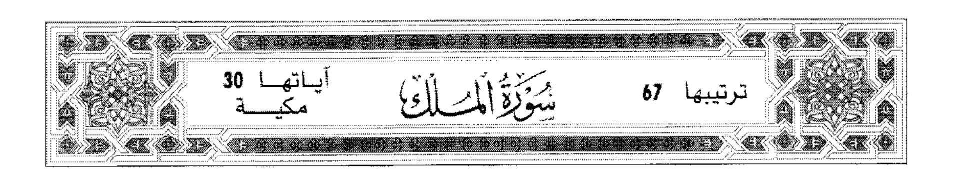
بلغت في رتبة الإيمان ودرجة اليقين ومرتبة الإحسان إلى رتبة عين اليقين ومنزلة حق اليقين وإليه أشار علي بن أبي طالب ومؤمن فرعون وصاحب يس فإنهم ما غفل عن اللَّهِ طرفة عينٍ ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ﴾ وسوء كفره وشؤم نفسه وشامة شركه وضره ﴿وَعَمَلِهِۦ﴾ الخبيث وفعله الخبيث ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التّحريم: 11] أي القبط التابع لفرعونَ في الظلمِ.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ عطف على امرأة فرعون تسلية للرسل والأنبياء ﴿ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ وحفظت وصانت فرجها من الرجال والنساء مطلقًا ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ وحصة حصينة من امتداد أنفسنا ونور ذاتنا ونفسنا وظهور حضيرة قدسنا وحضور جمعيتنا ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ وهي عيسى وكتابه وما وردت عليه من الأحوال والمقامات بأن خالها ما رأى في مشاهد شهوده ومعاهِد عهوده وكتبه الأربع التي كتبها الله في صحايف أطوار قلبه ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التّحريم: 12] الخاضعين المتواضعين الخاشعين المواظبين على أداءِ العباداتِ وقضاء الطاعات، وتذكيره إما للتغليب أو للإشعار بأنها في أداء العباداتِ وإبقاء الطاعات قد بلغت مبلغ الرجال حتى عدّت من جلتهم وردت من جملتهم وزمرتهم فعلى هذا (من) ابتدائية.

عن النبي ﷺ: «**كَمُلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربعة: آسية بنت مزاحم بنت عمة موسى امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»، وقال أيضًا: «**مَن قرأ سورة (التحريم) آتاه الله توبة نصوح**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي خلق الموت بشكل الكبش والحياة بصورة الفرس في بداية دورة النور والجمال والوجود وفي بداية نوبة تربية الجلال والعدم في غيب الجمال والقدم لإظهار كمال الشهود عكس الأمرِ للإشعار بكمال جامعية العابد وتحققه بنعوت المعبود ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي يكمل أعيان الأدوار وأكوان الأكوار وتيمم أدوارًا كل منهم بالإرجاع إلى الأحدية الجمعية للنورية وللأحدية الجمعية الظلية الإفرادية ثم إلى جمعية الجمعية بلا حد ومحدود ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ وتعاظم وتعالى وتباركت بركات آثار أنوار الذاتِ.

﴿۞ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾

﴿۞ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [المُلك: 1] هو مالك الملكِ وتحت تصرف كمال قدرته وعالم الأجسام وهو ظاهر الأشياء وأنيتها فإن لكل شيء غيبًا وهو باطنه وملكوته وروحه وشهادة وهي ظاهرة وملكية وجسمية والمراد بالملك هنا هو ملك لوجود العدم ممكن وجود وعدم يتصرف فيهما أما في العدم بتقليب الوجه العدمي والذي يلي الذات وهو الجلال إلى الوجهِ الوجودي الذي على الأسماء والصفات وهو الجمال وأما في الوجود فبإظهار ما كانَ كامنًا في الوجه العدمي والقابلية والاستعداد الذاتي ولا بالشؤونات الثابتة والصور العلمية ثم بالهيئات الغيبة والنعوت الغيبية والأشكال الشهادية والملكية الخلقية ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ

وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54] والشيء قد يطلق على الوجود والعدم وقد يطلق على الواجب ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَـٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الأنعام: 19]، ﴿قَدِيرٌ﴾ [المُلك: 1] المتصرف في جميع الأشياء بقدرة كاملة وقوة شاملةٍ فاضلة ولذا بالغ فيه.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ﴾ عن الوجه العدمي على صورة الكبش الأملح كما وقع في الحديث النبوي أن الله خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر شيء ولا يجد رايحته شيء إلا مات ﴿وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ عن الوجه الوجودي على صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل لا يمر على شيء لا يجد الحياة إلا حيّ قال سيد الطايفة الشيخ الجنيد قدس سره وحياة الأجسام مخلوقة وحياة الله دايمة لا انفصال لها أوصلها إلى أوليائه في قديم الدهرِ الذي ليس له ابتداء قيل: إنه خلقهم فكانوا في علمه أحياء يراهم قبل إيجادهم ثم أظهرهم فأعاد لهم الحياة المخلوقة التي أحيا بها الخلق وأماتهم فكانوا في سره بعد الوفاة كما كانوا، ثم أوردَ عليهم حياة الأبد فكانوا أحياء واتصل الأبد بالأبد فصار في أبد الأبد دل على كمال حلمه ووفور حكمه لأن مثل هذا العقل البديع والحكم والتدبير المنيع المتقن لا يتأتى إلا عن فاعل حكيم قادر عليم أي خلق الله الموتَ والحياة فيمن أراد واختار تعلق مشيئته به ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ أي ليعاملكم معاملة الابتلاء والاختبارِ ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ صوبه وأخلصه عن شوايب العرض وشآيب الرياء والعوض وأورع عن محارمه وأنفع عن مخالفته وأسرع إلى طاعته وعبادته هذه جملة وقعت مفعولًا ثانيًا ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ لتضمنه معنى العلم والتعليم أي ليعلمكم أيكم أحسن عملًا أو الإظهار أي ليظهر لكم أن أيكم أحسن عملًا في علم الله وقضائه وحكمه فإن أفعال العباد معرفات أحكام الله تعالى وأعلام معالم خطابه وتفاصيل آيات كتابه وليست من باب التعليق لأن ما يسد مسد المفعولين جميعًا كقولك علمت أيهما عمر وعلمت أن زيدًا منطلقًا ولو كانَ تعليقًا لوقعت الجملة خبرًا بخلاف الأول فإنه لا يقع خبرًا بل مفعولًا ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ القوي الغالب يفعل ما يشاء بعزته وقوته ولا يعجزه من إن شاء العمل منه الانتقام من نعمته ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك: 2] لمن آمن به

وتجاوز عن سيئاته وخطيئاته ولمن تاب عنهم وأجاب دعواهم وأصاب إنابتهم.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ متحركًا بحركاتٍ ذاتية مختلفة كمًّا وكيفًا وهي كما وجد في الرصد وأحسوا بها فيه سبع وقد وجدوا حركتين مختلفتين شرقًا وغربًا، أما الأول فهما اليومية التي بها تحركت الأفلاك السبعة وتحركت بها الكواكب السبعة المشهورة، وهي زحل، مشتري، مريخ، شمس، زهرة، وعطارد، وقمر، أما الثانية الغريبة فهي ظاهرة في الكواكب الثبوتية والأوجات الثابتة وأسندوا الأولى إلى فلك الأفلاك وسموا أهل الشرع والعرش والثانية إلى فلك الثامن وسموا الكرسي، فالأفلاك على الطريقة من نسقه وإمامًا قيلَ من أنه يجوز أن تكون الأفلاك ثمانية والحركة الأولى اليومية مستندة إلى النفس الكلية المتعلقة بالكل، وما قيلَ دفعًا لهذا القول، قال: يجوز أن تكون الأفلاك سبعة والبروج والكواكب الثابتة ثابتة في مثل زحل، وتعلقت بالكل نفس كلية، وحركته حركة مشرقية يومية، فلا يلتفت إليه أن الاحتمال العقلي لا يقدح ما ثبت بالوحي الإلهي، ولا تواطأ العقلاء به، الكاملون والحكماء والعلماء الربانيون من الأنبياء والمرسلين والأولياء المكملين والحكماء الأقدمين من أن السماوات والحركات تسعة، لجواز أن يكون في كل من الاحتمالين مفاسد كثيرة خفية ومحالات غفيرة لا يطلع عليه العقل المتشبث بأذيال الوهم والخيال أو بمجرد الاحتمال، لا يثبت مطلب سيما أن يكون شرعيًا مع أن العقل وأحكامه أصولًا وفروعًا يقتدي واجب التقليد ولازم التقيد به ﴿طِبَاقًا﴾ [المُلك: 3] مطبقًا مطابقًا منطبقًا بعضها على بعض جميع الأجزاء بحيث لا يبقى جزء منها بلا انطباق يدل على أنها تحديبًا، وتعقرًا مستديرًا، وقد ذهب بعض الملّيون إلى أن السماوات كلها كالقباب والخيام أذيالها مرسلة على جبل قاف فتطابقها ليس كليًا فوق الأرض وتحتها، ومخالفة المسلمين الحكماء في هذا الطلب قليل الجدوى وعليل الفحوى، لأن استدارة الأفلاك بالوجه المذكور لا ينافي الخرق والالتيام، سيما إذا كانَ الفاعل مريدًا مختارًا لا يشغله شأن عن شأن، ولا يعجزه عن إيجاد وإعدام على أن ما أرادوا

أوردوا على نفيهما، وإثبات قدم الأفلاكِ والعناصر، ونفي قيام القيامة وظهور الساعة وإعادة المعدوم لا يتم، وأكثر المقدمات الموردة في هذا المقام لإثبات مزالقه. والمواد إقناعية غير تامة والحق كل ما ورد في هذا الباب إذ العقل لإقامة أحكام العبودية لا لإدراك سر الربوبية.

وأما تقديم الموت على الحياة فلوجوه:

الأول: أن إعدام الممكناتِ الحادثة وهي الموت متقدمة على وجودها وهو الحياة.

والثاني: أن الموت هي حياة الدنيا والحياة حياة الآخرة وهي متقدمة شرفًا وبقاء.

والثالث: إشعار بأن حق العبادِ العارفين أن يجعلوا الموت نصب العين لينقطع أملهم وينقطع لديه وترهم وأجلهم، ويرتفع عن مظان الغرض والعوض عملهم.

الرابع: إشارة إلى استكمال النفس موقوف على الموت الإرادي والفوت الاختياري لقوله عليه السلام: «**موتوا قبلَ أن تموتوا**». قالَ الحكيم الإلهي: «مت بالإرادة تحيا بالطبيعة» وغير ذلك من الملاءات المقامية.

﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [المُلك: 3] صفة ثانية للسماوات لما وصفها بالطباق لا بدّ أن ينبه بأنه كلي يسري في كل الأجزاء ليكون مناسبة فينبغي التفاوت وفي وضع المظهر موضع المضمر إشعار إلى هذا تعظيمًا لخلقه وتنبيهًا على سلامتهن من التفاوت ويجوز أن يكون تعليلًا لكلية الطباق فإن عطية الرحمن وهي إفاضة الوجود الظلي متساوية النسبة إلى القابليات الذاتية ومنها إفاضة الوجود وما يتبعه من الطباق أو غيره، على القابليات الفلكية والاستعدادات السماوية، فلا بد وأن يعم الطباق في كل الأجزاء والإتمام، والتحكم إما تخصيص بعض انطباق الأجزاء بالبعض فهو ليس إلا بتخصيص الإرادة الإلهية والمشيئة الذاتية كما خصصت أجزاء الصورية الجسمية والنوعية بأجزاء الهيولى وتخصيص أجزائها الجسمية بأجزاء الحيز والمكانِ، وكذا تخصيص الوجودات الظلية بالإعدامات الأولية بعضها ببعض، وكذا تخصيص بعض العقول والنفوس

والأرواح ببعض الأجسام، وذلك بعد استواء السنة القدوة التي مظهرها الرحمة، والتفاوت قد انتفت بين المقدورات، وإنما التفاوت بين المرادات التي نهايتها المبصرات في المقولات في مدارك المخلوقات، البصر الذي هو نهاية مدارك الإرادة التي هي صورة العِلم.

﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ التي هي عين الشهود الذاتي وأعدها إلى ما كانت عليها في الفطرة الأولى بحيث يبصر البصر عين البصيرة عين السريرة إلى أن صارت عين الجمعية العظمى ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ في مقتضى القدرة وهي العموم، وفي مرتضى الإرادةِ وهو الخصوص والتخصيص ﴿مِن فُطُورٍ﴾ [المُلك: 3] وانشقاق وشقوق ونهاية السير إلى الله.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿ثُمَّ﴾ بعد الانحطاط في السير من اللَّهِ إلى الجمعية والسير في اللَّهِ ﴿ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ النور بنور الله ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ والطور بأطوار أسمائه وصفاته جمالًا وجلالًا مرتين في السيران إحداهما في السير إلى الله، والثاني في السير من الله ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ﴾ مجردة عن التأييد الإلهي والتأبيد الرباني ﴿ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلًا يائسًا وآيسًا ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [المُلك: 4] كليلًا منقطع الرجاء، عليلًا لم يدرك ما طلب ولم يصادف طالبه بكليته ركن وركب منارة إلى كيفية ترتيب المقدمات الفكرية، وتركيب المقالات النظرية بأنه لا بد أن يكون المطلوب ولا مشعورًا بوجه ما، وهو الفطري والشعور الأزلي، ثم ينزل في هذا المقام إلى نهاية التنزلات بعد إرجاع البصر الفطري الأدوار والأكوار المفردة دون الجمعية، إذ لو لم تكن مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار الإفرادية لم تتأت الجمعية وهي المقدمة الصغرى في السير من اللَّهِ، ثم ارجع البصر المذكور كرتين كرة من الله بعد الشعور والإدراك المذكور في الممكنات، وكرة أخرى في الممكنات إلى الواجب، ثم ينتقل منهما إلى الصورة الجسمية والهيئة الكلية النوعية، ولذا قيل باسم الصورة النوعية الإلهية في مقام بسم اللَّهِ أو المراد من الكرتين هي الدورة النورية والكورة الظلية أو السير من اللَّهِ إلى اللَّهِ، والظاهر والباطن، أو الأول والآخر والأزل والأبد هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم،

الإجمال والتفصيل والوحدة والكثرة والغيب والشهادة والنتيجة في الكل هي الهيئة الكلية الجمعية، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29]، وليس فيها تفاوت لاستواء الكل فيها، فإذا أوصلت البصر التي عين البصيرة إلى الصورة النوعية والهيئة الكلية الجمعية انتفت التفاوت في نظرها إذ التفاوت إنما هي في مقتضيات سرّه.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ الدنيّ والأدنى والأقرب منكم والمراد منها هو كرة النار التي تتراءى الكواكب فيها ملونة، والسماء والكواكب والأفلاك بأسرها لطيفة شفافة، ليس لها لون فلا يمكن أن يرى وتبصر بنفسها، وكذا الصبح والشفق إنما يتراءى في هذه الكرةِ ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ والسراج يزينون بها دورهم ومجالسهم ومساجدهم ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي صيرناها الكواكب التي هي مصابيح السماواتِ ﴿رُجُومًا﴾ جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم وهو البعد أي جعلنا الشياطين من السماء ورجمه اللّهِ بتلك الشهب ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [المُلك: 5] يعني أن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماوات ويسمعون كلمات الملائكة ويخبرون بها عن الحوادثِ الزمانية وكانوا يسرقونها ويخبرونَ بها الكهَّان؛ فانفصلت منها، وتشمل ما فرشت بها، وتلك من الشعذ والشهب التي رجمت بها شياطين الإنس وهم المنجمون.

والذين أسندوا الحوادث إلى الكواكب وأصنافها سبب لرجم شياطين الإنس والجن وبعدهم وإبعادهم عن الحق وكونه فاعلًا مؤثرًا في الأكوانِ وخصائص الأعيان وما جعل الكواكب بعالم الظهور آثار قدرته ومظاهر لإظهار أنوار حكمته وإسبارًا لكمال تدبيره ووفور تأثيره وحسن تصويره بعلم إرادته ورقم مشيئته ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: 5] الآية وهم منجمو الثقلين فإنهم احتجبوا بالأسباب عن المسبب وبإظهار المصنوعات عن المبدع القادر الرب وأسندوا الآثار إلى النجوم والكواكب إلا أن أعمار أعيان الجن لما كان أطول كان تدبيرهم وتصرفاتهم تبعًا لهم وأكثر وأوفر كما اشتهر أن الأهرامات الذي في مصر بناها جان بن جان بحق وقد وضع فيها طلسمات وأشكالًا لها خصائص

ومقتضيات منها أن أرض مصر وديارهم تمنع عن شرور قدوم عساكر الأعداء قد كتبوا على تلك القباب: بنى الأهرمان النسر الطاير في السرطان وفي زماننا هذا هو في الجدي.

وقد تقرر أن الكواكب الثابتة قد تتحرك حركة بطيئة بأن يقطع درجة بمائة سنة، وتتم الدورة بست وبثلاثين ألف سنة ولم يعلم أن هذه المدة التي قطعها نصف الدورة، أو دورة ونصف لا يعلمها إلا الله والراسخون من السائرين في الأدوار بطريق البروز كسر آدم الأولياء علي ومقدم الأصفياء وهو خضر عليهما الصلاة والسلام. وبالجملة نظره إلى النجوم والكواكب وأسند التأثير والحوادث إليها، وغفل عن المكون المبدع، فهو الشيطان بعيد عن الله الشاك بالأخبار، وأما المؤمن الموحد المحقق الأبدي ما أسندَ التأثير إلا إلى اللَّهِ، ولم يجعل الكواكب والنجوم أسبابًا وشرائط للتأثير.

واعلم أن منافع النجوم كثيرة منها الزينة ومنها الهداية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 97]، ومعرفة الأوقاتِ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: 189] وغير ذلك. لا يقال: أن الشياطين مخلوقون من النار فكيف يحترقون باللهب لأنهم خلقوا من نار العنصر والنار الفلكي وكذا نار الآخرة أحر بكسر النار العنصرية ألا ترى أنهم يعذبون بنار الآخرة وقد صرحوا بأن نار الآخرة قد غسلت سبعين مرة ثم بعثت في الدنيا ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك: 5] أصله أعددنا قلبت إحدى الدالين تاء.

اعلم أن إبليس لما أرادَ أن يخبر شيئًا من سماء الدنيا ويسمع قولَ الملائكة الذين دبر الله عالم الملك بل الملكوتِ بهم وهو الذي قال رئيسًا بعضهم لبعض ما تأولوه من اللوح المحفوظ قال الذي من كان منكم بعدي نفسه ويصعد إلى السماء ويرجع إلينا بخبر من قول الملائكة فحضروه وأجابوه ثم ركب بعضها بعضًا حتى أدركوا سماء الدنيا، ثم وضعوا آذانهم على سماء الدنيا وسمعوا قول الملائكة فضربتهم بالنجوم، ورميت بالشهب، فأحرق من كانَ فوقهم ومات من كان تحتهم، وسقط من كانَ في آخرهم، ثم سقطوا كلهم في البر والبحر والعمران والخراب، ومن سقط في البحر صارَ تنينًا، ومن سقط في البر صار غولًا، ومن سقط في

العمران صار حاتومًا، ومن سقط في الخراب صار كافورًا وصرعا وسكنه، ومن الشياطين المردة الرجيم، قد تاقوا على الكفر والمعصية لما بين في الصدر أنه قادر في الكل، وإنه لأجل الابتداءِ ليكون عزيزًا في حق المصرّين على الإساءة غفورًا في حق التائبين، فذكر بعد ذلك تفاصيل عذاب المسيئين فقال:

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من الجن والإنس كفر العصيان ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ أو الشرك ﴿عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ قوله بالنصب عطفًا على عذاب السعير تنبيهًا على اتحاد السعير والجنة ورفعه لشعور تغاير فيهما فإن ناره وعذابه أشد وأشرّ بدليل ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المُلك: 6] ذكر الفاعل وحذف المخصوص بالذم أي بئس مرجعهم ومعادهم جهنم ووصف ذلك العذاب بصفات كثيرة.

﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾

﴿إِذَآ أُلْقُوا۟﴾ إذا دخلوا ﴿فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ [المُلك: 7] صوت حمار لشبه صوته لشهب النار، وهي أشد العذاب، لأنه عذاب روحاني إن أنكر الأصوات لصوت الحمير وهو ينقش في الروح نقش المشط في الجسم ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ [المُلك: 7] من الفوران وهو الغليان جهنم تغلي غليان المرجل بما فيه، هذا عذاب آخر لكونه عذاب الروح نكارة صوته والنفس لشدة الخوف ولحدة الهول.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ أي تقرب جهنم أن تتفرق أجزاؤها وتتفتت بعضها وتميزت عن بعض غضبان ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ على ما فيها من الأعيان الجنية والأكوان الإنسية انتقامًا منهم للَّهِ من العصاة والظالمين من الولاة والجبارين من القضاة والمشركين والمشركات، وهذا يتمثل لشدة أشد إنها بإحراق ما فيها ألا ترى التنورَ الحادث إذا اشتعل في الغابة يتفرق أجزاؤه وينفك بعضها عن بعض ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ وطائفة أخرى وهي فرد وزوج ممن هو نساء وزوج ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ وهي ملائكة شداد يسلطون عليها وعلى ما فيها من الثقلين ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [المُلك: 8] داع إلى الله مخوف من عذاب الله ووفور عقابه أي ما جاءكم مني مخبر ورسول مبشر ومنذر.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أي الذين كانوا في جهنم قالوا بلى وأجابوا ﴿قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ وأنكرناه ونفيناه ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ من الملائكة أو الكذب ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [المُلك: 9] وسوء أفعال كثير على ما زعموا أن الأنبياء قد تكلموا من عند أنفسهم لا من الله.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الكفار في الجواب بعد ابتلائهم بأنواع العذاب وأصناف العقاب ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ ما جاءنا بهم من الكتاب وصنوف الخطاب وذكر السمع دون قرينة أعني البصر لكونها من التكاليف الشرعية ومحاط التعريفات الإلهية والوضعية فيكون فصله من البصر وإن كانت من مبادئ الفكر والنظر مشعر بأن طريق النجاة ورفيق تحصيل الدرجات والفوز بالجنات هو النبوة ومباديها، أعني السمع للاستدلال والنظر ومبدأ إلى البصر ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ يدرك بالعقل المتخذ، وهو الذي أدبه الله بنواميس الأحكام النبوية والقوانين الشرعية، إذ العمل المجرد عن الوحي لا يفيد في الإلهيات وقال النبي عليه السلام: «**العقل لإقامة العبودية لا لإدراك سر الربوبية**»، وقد نظمه آدم الأولياء علي المرتضى:

كيفية المرء ليس المرء يدركها

. . . إلخ ﴿مَا كُنَّا﴾ واقفين دارجين ﴿فِىٓ﴾ زمرة ﴿أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك: 10] وهي العصاة من المؤمنين والمشركين.

﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ وأقروا بالقبائح عيبهم وفضايح غيبهم حين لا ينفعهم ولا ينجيهم ولا يمنعهم من العذاب ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك: 11] أي سحقهم الله وأبعدهم سحقًا وأبعدهم من رحمة الله ولطفه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [المُلك: 12] بمعونة العذاب وإعانة ملاحظة

شدة العقاب الغايب عن الحواس الظاهرة أو المراد هو الذكر والعبادة المعتبر بيان الخشية في الخلوة لأنها فيها أخلص، أو المراد بالغيب هو القلب والنفس ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 205] ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [المُلك: 12] وستر للذنوب وإخفاء القبائح والعيوب وتجاوز عنهم اللَّهِ العذاب وشدايد العقاب وأجر كبير ولطيف كثير وكرامة جزيل.

﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ﴾ وأخفوه وأسروه واضمروه في نفوسكم ﴿أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ هما سيان عنده مستويان دونه ظاهران في علمه حاجزان لدى قضائه وحكمه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المُلك: 13] أي أمور هي خاصة الصدور والصدر وجه للقلب يلي النفس تنقطع فيه صور المحسوسات وهيئات الأفعال النفيسة ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ [طه: الآيتان 25، 26] وحال فيها وهي حاوية عليها احتواء المحل بالحال.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ أي أليس يعلم ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ وأوجد الأشياء وأبدعها وأنشأها واخترعها الأشياء المخلوقة من الأعيان وما يتبعها من الأعمال والأفعال والأحوال الجلية والخفية مع أن خلق الأشياء بدون العلم بها ممتنع ومحل الاستفهام للإنكار ويحتمل أن يكون فاعلَ (يعلم) راجعًا إلى اللَّهِ والموصول مع الصلة مفعوله والعايد محذوف أو يكون الموصول فاعله ومفعوله محذوفًا مع مفعول ﴿خَلَقَ﴾، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ المتصرف في الأمور اللطيفة الخفية عن الأبصار ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك: 14] العالم بظاهر الأشياء وباطنها ومتصرف في البسايط والمركباتِ الظاهرة والخفية والكثيفة الجلية. روي أن المشركين كانوا يتكلمون ويقولون أسروا قولكم لئلا يعلم آل محمد فنبّه الله على كمال حماقتهم ووفور جهالتهم وقلة تدبيرهم بإنزال هذه الآية:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [المُلك: 15] المسكونة أو من شأنها السكون

﴿ذَلُولًا﴾ من الذل وهو الحقارة والتخفض لينة مطيعة وقابلة مطاوعة سهل عليها بالحركة والسير من الدَّواب والإنسان والطير ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ وأطرافها وجوانبها، أصلها هو الجوانب، ومنه منكب الرجل، ونكب وتنكب إذا اتكى على جانب الأرض ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ الطيب النابت فيها من أنواع النباتات من الحبوب والأثمار والأنوار والأشجار الثابت فيها المتحرك عليها من الحيوانات وهما معنيان لها دالان على نهاية تذللها وغاية تقللها ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك: 15] إشارة إلى أن مدار الدنيا هي الأرض وأقطار الآفاق السبعة وأطرافها ومناكبها وفجاجها واستقامتها واعوجاجها وغير ذلك، فإذًا ينبغي أن يكون مسكنكم ومحل سكناكم الأرض، واقتنائكم من رزق الله من النباتات والحيوان وأن من يعلم أمر مرجعكم ومعادكم إنما هو الله كما كان مبدأكم ومنشأكم، فإذًا الواجب على اللبيب المستبصر والرقيب المستنصر الاتقاء من المعاصي والكفر في السر والعلانية والجهر لئلا يمطر من سماء القهر الإلهي أمطار حجر سخط الله وغضبه فالحري على العاقل أن لا يأمن سماء سخطه وقضاء أمره.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾

﴿ءَأَمِنتُم﴾ وحصل لكم الأمن والأمان من ﴿مَّن﴾ هو ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ من الملايكة والقواهر الإلهية والجواهر النورية ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [المُلك: 16] أي يغيبكم ويبتلعكم ابتلاعًا تامًّا والتيامًا عامًّا يقال خسف المكان يخسف خسفًا ذهب في الأرض وغاب فيها وخسف الله به الأرض خسفًا أي غاب به فيها ومن قوله تعالى ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [المُلك: 16] وخسفنا به وبداره الأرض وخسف هو في الأرض أي غاب ونفد فيها ومن خسوف القمر وكسوفه يقال كسفت الشمس وخسف القمر، والخسف هو النقصان ويقال خسف فلان أي نقص ويرضى بالخسفِ أي بالنقص أي يغيبكم ويخفيكم كما خسف قارون وماله، والمراد بمن هو الله على ظاهر اعتقادهم بأن الله في السماء.

﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾

﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [المُلك: 17] أي يمطر عليكم حصبانًا وحجارة كما فعل بقوم لوط وأصحاب الفيل أو ريحًا عاصفًا حاملًا

للأحجارِ على رؤوس القوم فيمطر عليهم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [المُلك: 17] أي إنذاره بلسان الأنبياء بالعذاب هذا تسلية لرسول الله ﷺ لكم لا ينفعكم العلم حينئذ.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝١٨﴾

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني عاد وثمود وكفار الأمم المتقدمة ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [المُلك: 18] أي إنزال نكارتي وعقابي عليهم بغتة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ۝١٩﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾ أي جنس الطير الذي هو جمع في المعنى بقرينة فوقهم ﴿فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ تمثل كون السماء ثابتة معلقة بلا عمد من تحت وحافظ، صافات صفة أو حال من الطير أي باسطات أجنحتهم في جو الهواء عند الطيران ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ الأجنحة ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الهواء ويخفقن فيها حال كونها صافات قابضات من السقوط كذلك السماء يمسكهن من السقوط ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ إنما ذكر ههنا الرحمة وفي سورة النمل ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لأن إمساكهن في ذلك بمحض القدرة الإلهية والقوة الغير المتناهية وأما ههنا فلكونها صافاتٍ قابضات فكان إلهامها إلى كيفية القبض والسيطرة على الوجه الأتم والنفع الأعم من خصائص كمال رحمته ووفور حكمته ونعمته ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [المُلك: 19] عالم علمًا حضوريًا وإدراكًا شهوديًا بحيث لا يعزب عن حضوره شيء من الأشياء من الوجود والعدم في الزمان الحادث والمقدم حتى مدَّ البعوض جناحها.

يا من يرى مدَّ البعوض جناحَها   في ظلمة الليل البهيم الأَلْيَلِ

فإن البصير إذا استعمل بالباء يكون بمعنى العالِم يقال فلان بصير بكذا إذا كان عالمًا به.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝٢٠﴾

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ [المُلك: 20] كان الكافرون يمتنعون من الإيمان

ولا يلتفتون إلى دعوة الرسول اعتمادًا إلى أمرين أحدهما إلى القوة المالية والتبع والعشيرة والثاني إلى الأوثان قائلين وأن يوصلنا إلى تمام السعاداتِ ويحصل لنا تمام الخيرات ويدفع عنا كل الآفات أبطل الله كلا الوجهين أما الأول أمّن هذا الذي هو جند ومنعة وعساكر لكم من هذا المجموع المشار إليه ﴿يَنصُرُكُم﴾ ويمنع عليكم ما أراد الله بكم من نزول العذاب وحلول النوائب والعقاب ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ أي يكون ذلك النصر والمنع حاصلًا من غير الرحمن ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [المُلك: 20] وخداع ورأي لمن الشيطان لغرهم وتمنعهم بأن العذاب لا ينزل بهم، أو قد غرتهم عقولهم العليلة وخدعتهم أبصارهم الكليلة وأنظارهم العليلة.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ من يشار إليه إشارة حسية يقال هذا هو الذي يرزقكم الاستفهام للإنكار أي ليس من آلهتكم واحد يرزقكم ﴿إِنْ أَمْسَكَ﴾ الله الذي هو خالقكم وخالق الكل ورازقكم ورازق الكل ﴿رِزْقَهُۥۚ﴾ بغية لإهلاكه أو بتسليط العدو والمانِع عليه ولمنع الأسباب السماوية كالمطر أو الأرضية بمنع النباتِ عن الخروج منها والأثمار والحبوب عن أكمامها وغير ذلك من الموانع والقواسِر والدوافِع ﴿بَل لَّجُّوا۟﴾ أو بالغوا من اللجاج والمبالغة من قرع بابًا ولج يلج ﴿فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [المُلك: 21] مكابرة وعناد ومجادلة وتمرن في فسادٍ وإفساد والقدرة العملية لما أشارَ إلى فساد حالهم في الدنيا يشير إلى قبح ما لهم في الآخرة والعقبى.

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ﴾ أكثر هداية وأوفر علمًا ودراية أكبر مطاوع كبّ يقال: كببته فأكب فكبت وجوههم في النارِ وقالَ النبي ﷺ: «**وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصايد ألسنتهم**»، ونظيره قشعت الريح السحاب فأقشعت وقشعته فانقشع، فليعلم أن الأفعال لا تكون مطاوعة للمجرد ولا للمزيد بل الأمر بالعكس والتحقيق أنه من باب التضمين، فإن الأفعال تتضمن التصيّر كما يقال حصد الزرع إذا صار ذا إحصاد أي صارَ ذاب وقشع فمطاوع كب وقشع لانكب وانقشع لا أكب وأقشع ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المُلك: 22] أي لا ينصف في الطريق بل ينصف ويتسوى فيها ولا يتعوج في سمت ومن وجه

إلى وجه نزلت في أبي جهل وأحزابه ومحمد وأصحابه وتابعهم هو من باب التمثيل أن ترك الطريق في حق المشرك تنبيهًا على أن الحري أن يطرح المشرك بطريقه من درجة الاعتبار لغلوّه في العنود والاستكبار.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ أخرجكم مادة وأبدلكم من العناصر وخلقكم بتركيب مادة الأجزاء وترتيب أعضاء البنية ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ التي يسمع بها المواعيظ والنصايح والوجوه والحكمة والتكاليف النبوية وإنما وجدها شعارًا بعلة أجناس المسموعات وهي صور الحروف ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ هي مبادئ القوة النظرية ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ التي هي عبارة عن الوجه القلبي الذي يلي الروح ويصل به القلب إلى تلقي المعاني المجردة والمباني الإلهية وتقبل التجليات الربانية وسمي بالطور السري وهي التي تتصاعد المعاني النفسية، والثاني الحسية مجردة عن الغواشي الغريبة واللواحق المادية ويهبط وينزل إليها الحقايق الأحدية الجمعية والشقايق الواحدية مصور تارة بالصور والتجليات الإلهية وأخرى بالهيئات العلمية والمبادئ الحكمية أو بالحوادث الزمانية أو الأعمال الاختيارية والأفعال الإرادية الإنسانية بعد التنزل على أفلاك الأطوار القلبية إلى طور المعاني ويغيب في مظهر الجوارح والأعضاء ومجالي القوى والأجزاء ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المُلك: 23].

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم وأنشأكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الدنيا والسنة الأولى، ولما كان طور الوجود كوريًّا وليس دوريًّا وجد أن يعود بعده الدنية ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المُلك: 24] وأنت خبير بأن جميع ما تقدم ذكره من الدلائل والمقاصد والمسائل إنما هو لإثبات هذا المطلب فبادر الكفار إلى الوقتِ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [المُلك: 25] في هذه الدعوى.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ يا محمد في جوابهم بالوقوع وكيفيته والوقت ثابت ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [المُلك: 26] يعني ما ادعيت العلم بوقت الوقوع وأنيته وإنما أنا نذير مبين ومظهر للوقوع وللمنذر يكفي العلم بالظن بوقوع المحذور منه.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي وقوع يوم الوعيد والعذاب المهلك ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا منهم ﴿سِيٓـَٔتْ﴾ وفتحت واسودت ونفرت ﴿وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأن بانت عليها الكآبة والبؤس وآثار العقوبة والعبوس لدى رواية العذاب وسوء العقاب بضرب الديوس ﴿وَقِيلَ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [المُلك: 27] والقائلون هم الربانية أو بعضهم ببعض (تدّعون) يظلمون وتستعجلون وتَدْعون وتَدَّعون واحد في اللغة مثل تَذْكرون وتَذَكّرون يَدْخرون ويَدّخرون أي إنما الدعوى دعوى بطلانِه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾ من المؤمنين المخلصين والمتقين المتخصصين لكمال الصدق واليقين ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ هذا جواب عن النوع الثاني مما قاله الكفار لمحمد ﷺ حين خوفهم بعذاب الله. روي أن كفار مكة كانوا يدعونَ على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك كما قال ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾، قالوا بل ظننتم أن ينقلب الرسول وللوصول إلى أهليهم أبدًا فأجاب الله عن ذلك من وجهين أحدهما هذه الآية أي الإهلاك أو الرحمة بتأخير العذاب فإنه راحة لكم في ذلك وآية منفعة لنا، ولا خلاص ولا مختص ولا مناص لكم إذ حكمه جايز وأمره نافذ وحايز نحن مع توفيق اللّهِ وحسن قضائه بنا خائفون من عذابه طايفون بحق عامة رجائه، وأنتم شاكونَ في وجوده ووقوعه وحاكونَ في إدراكه وشهوده ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الطور: 30] والالتفات يدل على كمال انغماسهم في الكفر ووفور اندراسهم في الشرك والخسر أي من ذا

الذي يجيركم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [المُلك: 28] إذا نزل بكم المطمعون أن الأصنام تجيركم أو غيرها فإذا علمتم أن لا مجير لكم قبلًا فكنتم بما يخلصكم من العذاب وهو العلم بالتوحيد والنبوة وما يحتوي عليه من الحشر والنشر والصراط والجنة والنار وغير ذلك والجواب الثاني فهوَ:

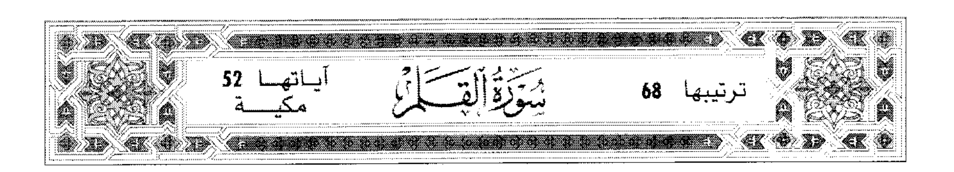
﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ خطابًا وغيبة على وفق قوله: ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المُلك: 28] ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [المُلك: 29] الدليل على وجود هذه الآية التوكل عليه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ﴾ الذي تنتفعونَ به ليلًا ونهارًا ﴿غَوْرًا﴾ ذاهبًا وغايرًا وناضبًا في الأرضِ بحيث لا تناله الأيدي والدلاء ولا يعاطيه الظروف والإناء ﴿فَمَن يَأْتِيكُم﴾ أي بعدَ نضوبه مَن يجيء إليكم ﴿بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [المُلك: 30] ظاهر منكشف يصل إليه كل محتاج متعطش وصماء متفتش.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل الأرض الاستعدادية النورية الجمالية على نون الحوت القابليات الذاتية الجلالية أو الذي صوَّرنا بالقلم الأعلى وهو الإرادة الذاتية من نون دواة القدرة الأولية على ألواح إعدام الممكنات فالمرتبة الواحدية وحضرة الجبروتِ نقوش الأعيانِ الثابتة وطور بذاته المشيئة الذاتية وقدم الماهيات الأولية البسيطة وروم الحقائق الإلهية القطيطة على صباحِ القابليات الأزلية التي هي مقتضى الدورة العظمى الجلالية والكورة الظلية العدمية على مرتضى اقتضائه فردارية الدورة النورية العظمى في الحضرة الربوبية وعالم الأمرِ والملكوتِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي حسن وجه حقيقة حبيبه بحلل حقائق الأوصاف السنية وشقايق الأخلاقِ الإلهية والصفات القدسية وسرى ذلك الحسن وجرى ذا البهاء والنور في الجواهر العقلية والبواهِر النورية ومنها إلى صور الأرواح القدسية والأشباح الجنسية والإنسية وإلى نهاية النشأة الحسية ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي أعاد وأرجع صور آثار أوصافِ الوضعية ودور أنوار الأخلاق المرضية التي هي الأعراف والأطراف ونعوت الأعطاف في الأقطار والأكتاف ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: 4].

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾

﴿نٓ﴾ [القَلَم: 1] هي السمكة التي اعتكف فيها يونس أربعين سنة إذ غضب

على قومه الحسي واليوم النفسي فخرج من بينهم وركب السفينة فالتقمه الحوت فهو مليم ولذا سمي بذي النون ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبيَاء: 87] إلى آخر الآية، فلذا أقسم به وهو الذي حمل الأرض والنون هي الدّواة ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ [القَلَم: 1] وهو الذي صوَّر الله به وكتب حروف أعيان الكائنات بذريعته وهو أول ما خلق الله قال النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قالَ له: اكتب قال: ما أكتب قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم ختم على فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة**».

عن ابن عباس رضي الله عنه: أول ما خلق الله القلم جرى بما هو كائن ثم رفع بحار الماء فخلق منها السماوات ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهر النونِ فتحركت النون فمادت الأرض وانبسطت واختلفوا في اسمه فقال بعضهم بهموت، وقال علي رضي الله عنه: هو بلهوت، وقال في بعض كلماته: ما لي أراكم يحلكم سكوتًا والله رب خالق البلهوت والسماوات.

روي أنه لما خلق الله تبارك وتعالى الأرض بعث الله تعالى من تحت العرش ملكًا فهبط إلى الأرض حتى دخل الأرضين السبع فوضع إحدى يديه بالمشرف باسطتين على الأرض السبع حتى بسطها فلم يكن تقدمه موضع فأهبط معه عزّ وجل من الفردوس ثورًا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم يستقر قدماه فأنزل الله ياقوتة حمراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسير خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت قوايم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمَان: 16]، ولم يكن للصخرة مقام ولا مستقر في مرام فخلق الله تعالى نونًا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة الإلهية التي هي عين القائم بذاته. عن كعب الأحبار: أن إبليس تعلق على الحوت وعلى ظهر الأرض، فوسوس إليها وقال له: أتدري ما على ظهرك يا لويثا من الأمم والدواب والأشجار والجبال والأحجار والعيون والأنهار وغير ذلك من أنواع الأطوار فلو نقضتهم (ألقيتهم عن ظهرك) جميع ذلك، فهمّ لويثا أن يفعل فبعث الله دابةً فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه فصاح

الحوت إلى اليد فذلّها فخرجت.

واعلم أن هذا النوع من المقاصد الإلهية والقواعد الربانية وإن كان عند أرباب النظر الضعيف وأصحاب الفكر الرهيف والبصر الرعيف أمرًا مستبعدًا أو شيئًا مستغربًا بضعف عقولهم وقصور فهومهم من إدراك آثار عجايب قدرته وغرائب كمال أنوار حكمته وقوته وعن كيفية تصرفه وكمية تصريفه في الأدوار والأكوار العظمى والكبرى والوسطى والصغرى التي غرائب مقتضياتها وعجايب مرتضياتها لا يعلمها إلا الله ولا يقبلها إلا من أيده الله تعالى بنور حكمته ووفور هدايته من العلماء الربانية والعرفاء الإلهية والحكماء المتألهين الراسخين في المعرفة المكاشفين بالحقائق السرمدية والمشاهدين للأسرار الربوبية الدايرين في أطوار الأدوار وآثار أنوار الأكوار وهم الذين كانوا في تمام الأدوار وعموم الأكوار مع الله السايرين فيها باللَّهِ وفي الله الدايرين في الكل بالإله فحينئذ يطلعون على ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنت خبير بأن الأدوار المتوافقة والدواير التطابقية أنها بعيد من المركز يكون أعظم وعظمى مقتضياتها أكبر وأعظم وأعلى ومرتضياتها أوفر وأكرم وأنور وأبهى بحيث لا يعلم دقايق عجايبها وحقايق غرايبها وشقايق بدايع حسنها وصوانع بهائها إلا الله والسايرون به فإذن بدايع أعيان الدورة العظمى وبرابع أكوان مقتضياتها وعظمها لا يوصف ولا يشرح ولا يعرف لكثرة غرايبها وعظم عجايبها وكلما يبعد منها من باقي الأدوار تتصاغر تلك الأعيان والأكوار وتدون وتقل أحوالها إلى أن تنتهي إلى الدورة الصغرى فأعيان الأدوار وأكوان الأكوار كلها متطابقة في الأحوال متوافقة ونسبة القدرة والرحمة الامتنانية إليها متساوية لا تفاوت فيها، وإنما التفاوت في كيفية الأحوال وكميتها فالأعيان من حيث أصل الخلقة والتعين الوجودي والظهور الجودي متساوية الأقدام ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ﴾ [المُلك: 3].

وأما من حيث الإرادة الذاتية الذي يفيد التميز اليقين والاختلاف يظهر التفاوت فمظهر الإرادة الإلهية والقدرة الغير المتناهية في إفادة التفاوت وإنما هي الصورة النوعية والوصول الجوهرية والعرضية كما أن مجلى القدرة والعرض إنما هي الهيولى والأجناس ومظهر صورة جمعيتهما إنما هي إلٰهيات الشخصية والهويات الغيبية والأنيات الخارجية فموطن الأجناسِ بأسرها هو غيب القدرة

وجيب المشيئة الذاتية ومحل الفصول هو باطن الإرادةِ الوصفية ومعدن الصورة النوعية والهيئة الجمعية، إنما هي صورة جمعيتهما ومكان معيتهما الكلي أي الجنس والفصل والنوع والخصوصية والنعوت الخاصة والهيئة الشخصية.

أما هو المعية العنصرية والجمعية البشرية فالدورة التي يتعين فيها حكم سلطان القدرة وقهرمان الجنس إنما هي الدورة العظمى وهكذا تظهر أحكام هذه المعاني الكلية الباقية في سائر الأدوار على الترتيب ففي كل دورة لكل واحدٍ من هذه المعاني الكلية والمباني القلبية والمعلولة أعيان متطابقة تميز بعضها عن بعض بخصوصيات جوهرية وعرضية وفرضية وفضيلة وخاصية وبعنواين معنوية فكل عين من الأعيان الجنسية والفضيلة والنوعية والخاصية والشخصية من حيث إنها حصة من مطلق الوجود موجود في كل دورة منها بأوصاف معينة ونعوت مبينة فلا يغفل عن شأنك وتذكر عن شؤوناتك لعلمك تَرى أو تُرى فتحكم بصحة ما تلون لك قراءته عليك فإذن لا بد وأن يكون في كل دورة نون وقلم ولوح ورقم وعقل كلي وعلم ووجود وعدم وحدث وقدم ودنيا وآخرة وشهادة وغيب ومعنى وصورة ووحدة وكثرة، وغير ذلك من أرض وسماوات وظهور ساعاتِ وقيام قيامات، فمناسب كل دورة ولايق كل كورة دنيا وآخرة ونبوة وولاية ورسل وكتب وبعثة وعلم وحكم ومعرفة وكمالات لايقة وأحوال ومقامات شاهقة وعلوم متسعة ورسوم متفقة وغير ذلك من الأحوال والأعمال، فمن كان سليم القلب كريم الغيب في سراته كان له في ما ذكرنا من مشاهدة الغرايب ومعاينة العجايب لا ريب له فيها ولا ارتياب دونها.

قال بعضهم: إن الله تعالى لما أراد أن يخلق الأرضين والسماوات في بداية الأدوار ونهاية الأكوار أمر الماء الذي في جو الكرسي أن يظهر يتلاطم بعضها ببعض فاربدّ منها وارتفع وتصاعدت أمواجها على بحارها فأمر الزبد أن يجمد فوق الأرض ودحاها على وجه الماء في يومين وأمر الأمواج سكنت، وهي الجبال، وعروق هذه الجبال ملتصقة بعروقِ جبل قاف وهو المحيط بالأرض ومن ورائه بحر اسمه مميطس، من وراء هذا البحر حاجز اسمه الأصم، ومن وراء هذا بحر آخر اسمه الساكن، ومن ورائه آخر اسمه الباكي، هذا هو آخر البحور السبعة. وكل بحر محيط بالآخرة، وخلق الله تعالى في كل واحد منها خلايق

وأنواعًا وأصنافًا وأعيانًا لا تعد ولا تحصى ولا يعلمها إلا الله وكانت الأرض غير قارة كالسفينة المتحركة تجيء وتذهب، وأهبط الله تعالى ملكًا في غاية القوة ونهاية العظمة فقبض على أطراف الأرضين فأسكنها على منكبيه فلم يكن لقدميه قرار فخلق الله له صخرة مربعة من ياقوتة حمراء في أوسطها سبعة آلاف ثقب في كل ثقب بحر لا يعرف أحد صفات تلك البحور وما فيها من الخلايق إلا الله، فاستقر قدما الملك على هذه الصخرة فلم يكن لهذه الصخرة قرار فخلق الله لها ثورًا عظيمًا له أربعون ألف عين ومثل ذلك آذان ومثل ذلك أنوف ومثل ذلك أفواه وألسنة وقرون وكذلك القوائم ما بين كل أذنين خمسمائة عام فأمر الله أن يحمل الصخرة على ظهره وقرونه واسم هذا الثور في كتب الأقدمين وسنن الأولين ماسيوثان ولما لم يكن لهذا الثور قرار فخلق الله له حوتًا عظيمًا لا يقدر أحد أن ينظر فيه لعظمته وأن البحار كلها لو وضعت في إحدى منخريه لكانَ كالخردلة بالنسبة إلى كرة الأرض ثم جعل فزاره في الماء وتحت الماء هواء وتحت الهواء هو الظلمات وانتهى عام الخلايق تحت الظلمات.

سئل النبي ﷺ: هل في هذه الأرض خلايق؟ قال: «**نعم**»، فذكر سبعين أرضًا من نار وسبعة أبحر من نار والحوت في البحر والبحر على متن جهنم وهي على متن الريح والريح على الظلمة والظلمة على الحجاب والحجاب على الثرى ثم انقطع علم الخلايق بعد ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القَلَم: 1] يكتبون والضمير للقلم بمعنى أنه يكتب به وجمعيته للتعظيم أو بمعنى ما يكتب به، أقسم به لكثرة فوايده وإنما أسندَ الفعل إليه لإجرائه مجرى طوي العلم جمع الفعل أو إلى أصحابه أو الحفظة و(ما) مصدرية أو موصولة إشارة إلى ما ذكرنا من أن في بداية كل دورة قلمًا ولوحًا وتصويرًا وتحريرًا وتسطيرًا وعقلًا باعتبار العلمِ والإدراكِ وروحًا باعتبار الحياة.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ يا محمد ومن ناب منابك ﴿بِمَجۡنُونٖ﴾ [القَلَم: 2] الباء الأولى تتعلق بمجنون منفيًا كما يتعلق بعاقل مثبتًا في قولك أنت تحمد بنعمة مستويًا ذلك الإثبات والنفي استوائهما في قولك: ضرب زيد عمرًا ومحله النصب على الحالِ كأنه قال: ما أنت بمجنون منعمًا عليك بذلك ولم يمنعه مانع. ويجوز

أن ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ فيما فعله لأن الباء زايدة لتأكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسب له كفار مكة عداوة وحسًّا وإنه من إنعام الله عليه منحها عبر العمل ومتانته وشهامته التي يقتضيها التأهل للنبوة بمنزلة.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القَلَم: 3] غير منقطع ولا منقوص ومدفوع أي ثوابًا حاصلًا لك على احتمالِ الأذية أو الإبلاغ بلا انقطاع وانتفاع وارتفاع.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: 4] تفسير وبيان نعمه للآخر الغير المنقطع أي ملكة كاملة وقدرة راسخة فاصلة مكن بها على إظهار الأعمال الحقية وإشهار الأفعال الاختيارية المستحسنة بلا اضطراب في اجتلابها وتهتك في اكتسابها ومداراة كمال التحمل ووفور العلم فيك، ومذهل تمام الأخلاق إذ لا يحصل إلا عند تعديل القوة النفسانية والبغضية والشهوية والحكمة وإليه أشارَ بما روي عن عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن وإنما سمي (عظيم) لأنه لم يكن له همة سوى اللَّهِ، أو لأنه عاشر الكونين بحسن المعاشرة لعموم فيض حقيقته الأولية وماهيته الأصلية التي سميت بالحقيقة المحمدية، أو لأنه عاشرهم بحسن خلقه وباشرهم بلين قلبه وصون أركان ظاهره مع الخلق كما قيل: بروحهم عرشيون وبأجسامهم قرشيون، وأيضًا قال عليه السلام: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» أو لتتم بي مكارم الأخلاق وقال: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**». وحسن الأخلاق من جمع التقريبات إلى الخلاف، ومبدأ تمام الكمالاتِ ومنشأ حصول السعادات، قال عليه السلام: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار وما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن**».

أوحى الله تعالى: إبراهيم خليلي حسِّن خلقك ولو مع الكفار، وتدخل مداخل الأبرار، فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظلّه في عرشي، وأن أسقيه من نيل حضرة قدسي، إن نبي بني إسرائيل نبي الخلق ولن يستطيع أن يغير خلقه. وأوحى إليه أيضًا: أنت ممن أحسن الله خَلْقَكَ فأحْسِن خُلُقَكَ. عن علي رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «**عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في**

الجنة لا محالة وإياكم وسوء الخلق، فإن سوء الخلق في النارِ لا محالة»، وأيضًا قال: «**أحبكم إلى اللّهِ أحسنكم أخلاقًا الموطؤون أكنافًا**»، هذه الآية في المعنى تفسير لقوله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ [الضحى: 11] ورد على من رماه بالجنون لأن الأخلاق الحميدة لا تجامع المجنونَ لمكافأة بينهما ولذا أمر الله الاقتداءِ في حسن الخلق بالأنبياء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: 90]، والهداية غير المعرفة إذ الأمر بالمعرفة اقتداء بالغير هو التقليد وهو غير لايق بالرسول وغير الشريعة والدين لأن دينه وشريعته مخالف لدينهم وشريعتهم، وكذا غير الإيمان إذ الإيمان التقليدي غير مقبول فإذا هي حسن الخلقِ والخلق الحسن فلما أمر محمدًا عليه السلام أن يقتدي بالكل فكأنه أمر بمجموع ما كان معرفًا فيهما ولما كانَ درجته في النبوة وكمال الهداية الفطرية عالية ليست لأحد من الأنبياء قبله بعلو منزلته وسنو مكانته ولا جرم، وصفه اللّهِ تعالى بخلق عظيم وعلى الاستعلاء دالة على كمال استعلائه وعلى جميع الأخلاق المرضية واستيلائه على الأوصافِ الرضية.

قيل: الخلق ملكة مرضية نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأعمال الجميلة والأفعال الحميدة الجزيلة بسهولة والذي يحصل به تلك السهولة هو الخلق، ويدخل في حسن الخلق والتحرز دفع القبح والغضب والفسق والفجور، والسداد والصلاح في المعاملات والتحبب إلى الناسِ بالقول والفعل وترك التقاطع والهجران عن الناس والتساهل في العفو وكالبيع والنكاح وغير ذلك، إذ الخلق في الأصلِ هو العادة سواء كان في الإدراك والأفعال أو أمر راسخ في النفس يسهل عليها الإتيان بالأعمالِ السنية والأفعال الهنية، ولما كانت النفس القدسية التي لها شديد الاستعداد لتحصل المعارف الإلهية وتكميل العوارف الغير المتناهية وتبطيل العقايد الفاسدة والمعاقِد الكاسدة بالسهولة سميت تلك السهولة له خلقًا.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾

﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ يا محمد أنت ومن معك ما عند الله المنحصر الفتح والظفر ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾ [القَلَم: 5] أي كفار مكة وقريش.

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: 6] أيكم الذي فتن وجرب وامتحن بالجنون بأنه

كيف يكون عاقبة أمري وعاقبة صبرك على أذيتهم إياك، فإنك تصير معظمًا في القلوب، وسيبصرونَ أذلاء ملعونين في الشهادة والغيوب أعداءً مطرودين، فتولى عليهم بالبت والقيل والتقريب، والمفتون: مصدر كالمعفون والمخلود أو المراد منه إبليس والشيطان الذي يحصل منه الجنون واختلاط العقل أو يأتكم الفريقين منكم المجنون أفريق المؤمنين أو فريق الكافرين يستحق لهذا الاسم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ﴾ وغوى وضل وهوى ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دينه وطريق إسلامِه حسن على نفسه دليل عقله بتشبثه بالوهم والخيال وهم الكفار الذينَ بدلوا نعمة اللَّهِ وأضلوا عن سواء السبيل ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: 7] العقلاء الذين اهتدوا بإيثار الشريف الباقي على الخسيس الفاني، ومنهم المؤمنون الفائزون بكمال العقل ووفور الفهم والتمييز بين الحقِّ والباطِل والانقياد المتعلق بالضلالةِ والجهالة والهدى والعلم والنهي أحق وأولى وأوفق وأنهى بالمتابعة والرعاية من الامتياز المتعلق بسلب العقلِ والجنون، وذلك لأن ثمرة السعادة الأبدية والسعاية السرمدية يبقى في الدنيا والعقبى وهذا نتيجة الشقاوة الأبدية.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [القَلَم: 8] من رؤساء مكة وصناديد قريش فإنهم يدعونك إلى دين آبائهم.

﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾

﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ﴾ ويكفرون ويظهرون المداهنة والمساهلة في الدينِ ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ [القَلَم: 9] فيكثرون ويداهنون في أمر الدينِ أو يرخص فيرخصون ويجوز أن يكون من أدهنَ الرجل في أمر إذا خانَ فيهِ وأظهر خلاف مما يضمر يعني ودوا وأحبوا أن يترك بعض ما أنتَ عليه مما لا يرضونه من معالم الدين وشعاير أهل الإيمان واليقين ليكونَ لهم حجة وتمسك فيفعلون مثل ذلك ويتركون بعض ما لا يرضى وإنما لم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني لأنه قد ينزل إلى طريق آخر وهو أن يجعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم مدهنون فلم يؤمن فلا يخاف ظلمًا ولا حكمًا.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف واليمين والقسم بالباطل ولا تجعلوا اللّهِ عرضةً لأيمانكم نزلت في وليد بن المغيرة والأسود عبد بن يغوث أو الأخنس بن الأشرف ﴿مَّهِينٍ﴾ [القلم: 10] حقير ذليل لأنه يتعدى بالهمزة نحو أهان يهين إهانة هو مهين ومهان وكذاب وهذا أقرب إلى الرجل إنما يكذب لمهانة نفسه عليها وعدم مبالاتها لعدم معرفتها به أو المكثار في الشر والغيبة والضر.

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾

﴿هَمَّازٍ﴾ [القَلَم: 11] غياب مغتاب يأكل لحوم الناس ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: 12] أو الذي يغمز بعينه وحاجبه مشيرًا إلى أخيه في المجلس استخفافًا به ﴿مَّشَّآءِ﴾ يمشي ﴿بِنَمِيمٍ﴾ [القَلَم: 11] بالغيبة بين الناس فتوقع بينهم وتفسد بالايقاع.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيل فالمعنى بالخير هو المال أو منعه عبد الله عن الإسلام نزلت في الوليد بن المغيرة كان له عشرة من البنين ومال كثير ورياسة وجاه وهو عم أبي جهل وكان يقول لهم ولأقاربه فمن اتبع أحد منكم دين محمد لأهنته إهانة أبدًا أو في أبي جهل والأسود كما أشرنا إليه ﴿مُعْتَدٍ﴾ مجاوز في الظلم والفسق حده، أو في الأخلاق الذميمة يعني أنه بلغ في تمام القبايح وفي عموم الفضايح والوقايح ﴿أَثِيمٍ﴾ [القلم: 12] كثير الآثام والإثم.

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾

﴿عُتُلٍّ﴾ شديد الكفر والضخيم الجسيم الذي يورث الغفلة والضلالة وكمال الجهالةِ وشديد النفاق وشديد المخالفة والشقاق، فإن كل مرشدٍ وشأن صلب عنيدٍ هو عتل من العتلِ وهو الدفع بالعنقِ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي وليد بن مغيرة أو الأخنس بن شريف بعد ما ذكر من الطعن في النسب والداعي الملحق بالعدم، وليس منهم، فإن أبا الوليد بعدَ ثمانية عشر عن مولدِه ادعى نسبه به وهو ولد الزنا ﴿زَنِيمٍ﴾ [القَلَم: 13] ولد الزنا الملحق بالقوم وهو ليس في النسب، قال علي كرم الله وجهه: الزنيم هو

الذي لا صلة له أو الذي له ديمة كريهة النشأة. قال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولد ولده**»، وقال أيضًا: «**ولد الزنى يحشر يوم القيامة في صورة القردة والخنازير**» وقالَ أيضًا: «**لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشى فيهم ولد الزنا فيوشك أن يعمهم الله بعذاب، وإن كثر ولد الزنا قلّ المطر**».

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القَلَم: 14] متعلق بقوله ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ [القَلَم: 10]، أي ولا تطعه مع هذه المثالب، أي يساره ووفور حظه من الدنيا، ويجوز أن يتعلق ما بعده على معنى متمولًا مستظهرًا، كذب بآياتنا ولا يعمل فيه قبل الذي هو جواب، إذا لأن ما بعد الشرطِ ألا يعمل فيما قبله قرئ (إن كان) على الاستفهام على معنى إلا إن كان ذا مالِ أَوَ تطيعه لأن كانَ ذا مالٍ.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا﴾ أي على من كانَ ذا مال ﴿قَالَ﴾ الذي هو ذو مال هذا ﴿أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: 15] جمع أسطورة وهو الدستور والقاعدة أي قاعدة الأقوام المتقدمين ومخترعاتهم ومستجداتهم.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ ونعلم ونرسم ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القَلَم: 16] بالكي على الأنفِ وقد أصابَ أنفَ الوليد يوم بدر جراحة فبقي أثرها وثلمها عليه في الدنيا صورة وفي العقبى معنى ومثولًا قيل الخرطوم.

وظـل يـومـك هـو فـي طـرب وأنـتَ بـالـلـيـل سـوار

وإنما قيلَ للخمر الخرطوم لأنها تطرب في الخياشم كما يقال لها السلافة وهي سلف عصير العنب.

﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ﴾ أي اختبرنا أهل البلدِ بالقحطِ ﴿كَمَا بَلَوْنَآ﴾ وابتلينا ﴿أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القَلَم: 17] وهم الشبان باليمن يقال لها خيزران دون صنعاء بفرسخين. وكانَ

رجل صالح وكانَ ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك للمحتاجين ما أخطأه المنجل وفي سفل الأكداس وما أخطأه القطان من الغيب وما بقي على البسائط الذي بسط تحت النخلة إذا صرمتِ فكان تجمع لهم شيء كثير وإن حصدوا زرعهم وكل شيء يعزاه المنجل فهو للمساكين وإذا داسوا كان لهم كل شيء انتشر وسقط، فلما مات الأب وورثها الورثة قالوا والله إن المال لقليل والعيال لكثير روبان وروبين فإنا لا نستطيع أن نفعل هذا فأحرقهم الله حسبهم فقال: إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ وتحالفوا فيهم يومًا ليعدون غدوة قبلَ خروج الفقراء ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ من الصرم وهو القطع ومن الصارم أي ليهلك الجنة وانقطع الخير عنها فلم يبق منها شيء ﴿مُصْبِحِينَ﴾ [القَلَم: 17] وإنما سمي الليل صريمًا لأنه ينقطع لظلمته عن التعرف أو لأنه يصرم نور البصر ويقطعه.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ [القَلَم: 18] أي أصحاب الجنة المذكورة ما قالوا عند الوعدِ الاستثناء وهو إن شاء الله فقدم اليوم وغداة، وصاروا إلى الجنة وصادفوها محترقة بنار صبها الله عليها صبًّا قهريًّا.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَطَافَ﴾ وقد طاف ﴿عَلَيْهَا﴾ من الليل ﴿طَآئِفٌ﴾ من بلاء ربه وآفة من عذابه وهو نار غضب الله الذي أصابَ الجنة فأحرقها وأهلكها وإنما سماها استثناء من حيث لأن فيه معنى الإخراج إن معنى قولك به خلاف المذكور والمخرج عنه أو لأن معنى الإخراج إن شاء الله ولا إخراج إلا أن يشاء أحد فإن نودي الاستثناء من حيث إنَّ معنى قولك: لأخرجنَّ إن شاء الله ولا إخراج إلا إن شاء الله واحد ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ مبتدأ منه ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [القلم: 19] في مساكنهم وقضاء أماكنهم.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ الجنة وصارت بعد إحصار نار القهرِ والغضب ابتداء من ربك ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القَلَم: 20] أي مثل الليل المظلم الأسود الذي انقطع التصرف فيه أو مثل النهار بانتصابها من فرطِ اليبس والحرارة وغلبة الجفافِ والمرارة.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَتَنَادَوْا﴾ أي نادى بعضهم بعضًا ﴿مُصْبِحِينَ﴾ [القَلَم: 21] حال كونهم داخلين في الصباح.

﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَنِ اغْدُوا﴾ واخرجوا الغداة ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي إلى الجنة التي فيها حرثكم وزراعتكم وتعديته بـ(على) إما لتضمنه معنى التوجه والإقبال أو لتشبيه العدو والصرام بغدو والغدو هو المتضمن بمعنى الاستيلاء وأن (اغدوا) في تأويل المصدر المنصوب مفعول التأويل أو جملة مقول القول الذي ضمنه تنادوا يعني لما أصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا وتوجهوا في الغداة على حرثكم وزرعكم وأثماركم وأعنابكم وأثماركم ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ [القَلَم: 22] أي إن أردتم أن تكونوا قاطعين للثمار من الكروم والأشجار.

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَانطَلَقُوا﴾ وذهبوا إلى الجنة ﴿وَهُمْ﴾ أي حال كونهم ﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ [القلم: 23] يتسارّون فيما بينهم من الخفات ومن الاختفاء والإخفاء.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ [القَلَم: 24] فقير ومحتاج أي مفسرة بيان للتخافت أي لا بد أن يدخل الجنة في هذا اليوم عليكم مسكين فضلًا عن الجماعة والنهي عن الدخول نهي عن آلة تمكنه في الدخول أي لا تمكنوا عن الدخول مسكينًا حقيرًا.

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَغَدَوْا﴾ أي دخلوا في الغداة أو غداة ذلك اليوم ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ مرتفع ﴿قَادِرِينَ﴾ [القلم: 25] على منع المساكين عن الدخول إما مفعول لـ(غدوا) أو حال لفاعله.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ [القَلَم: 26] أي الجنة بعد إصابتها بالآفة والهلاكة في أول النظرة

﴿قَالُوٓاْ﴾ في هذه الحالةِ ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [القَلَم: 26] أي ليست هذه الجنة جنتنا.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿بَلْ﴾ إنا قد ضللنا طريقها (بل) إضراب وإعراض مما ذكروا أو ترجّي يعني بعدما تأملوا فيها دورها وتعمقوا عرفوا أنها جنتهم واحترقت قالوا إنما ﴿نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم: 27] حرمنا من خيرنا ومالِنا بشؤم عزمنا ونكبة جرمنا على البخل ومنع حقوق الفقراء، ويحتمل أنهم لما رأوها محترقة قالوا (إنا لضالون) أي ظنوا أنهم ضلوا ثم بعدَ التأمل والتحقق ظهر لهم أن قضية الحرمانِ قد انعكست فإنهم لما جزموا على حرمان الفقراء أوقع الله الحرمان عليهم فصيرهم محرومين عن خيرهم ومالهم يعني أنا حرمنا الفقراء عن حقوقهم بل حرمنا على أنفسنا خيرنا وأموالنا وصرنا محرومين عنها.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلهم وأعلمهم وأفضلهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وآمنوا به وتوبوا وأنيبوا وسارعوا إلى حسم ضرها وضم شرها قبل حلول النقمة والعذاب ونزول الفتنة والعقاب وسبحوا اللَّهَ، وقد سرد عن سوء الظن به أن القومَ حينَ عزموا على ذلك، وقال أوسطهم، أعقلهم وأعدلهم، توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب، فلما رأوا العذاب ذكرهم ذلك الكلام وقال ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ أي ما قلت ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القَلَم: 28] هلا تسبحون يستنطقون بالاستثناء، فإن استثنائي كانَ سبحانَ اللَّهِ، أي لو كنتم تتوبون وتستغفرون الله وتسبحونه لما حلَّ عليكم العذاب، فاشتغل القوم في الحال بالتوبة.

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [القَلَم: 29] لكن خراب البصرة لا تفيد النصرة، لأن المرادَ استعظام جرمهم واستقباح عزمهم وجزمهم، أي سبحان ربنا أن يجري في ملكه شيء إلا بإرادته ومشيئته، ولما وصفوا الله بالتنزيه والتقديس اعترفوا بسوء فعالهم قالوا (إنا كنا ظالمين) قيلَ المراد بالتسبيح هو الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله عزّ وجل إذ الاستثناء تفويض والتسبيح تنزيه وفي

كل منهما تعظيم قيلَ هو الصلاة لأنهم كانوا يتوانون في الصلاة ويتكاسلون فيها وإلا نهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفًا في أن يستثنوا ولا يجزموا.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ وتوجه ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ [القَلَم: 30] حال كونهم يسألون بعضهم بعضًا فإن منهم من أشارَ بذلك ومنهم من استصعبه ومنهم من سكت ومنهم من أنكره. وقيل: لأن منهم من زين ومنهم من فعل ومنهم من أمرَ بالكفّ والغدر ومنهم من عصى الأمرَ ومنهم من سكت وهو راض.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ [القَلَم: 31] في معنى حق الفقراء وتركنا الاستثناء، أو طاغين وتاركين نعم اللَّهِ وجاحدين إياها فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ أي يكون نفعها أكثر نفعًا من الجنة بتركه التوبة والاستغفار وبالاعتراف بالمعاصي والخطيئة وقد روي أنهم أبدلوا خيرًا منها ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [القَلَم: 32] راجون العفو طالبون الخير منها وإلى انتهاء الغاية لتضمنها معنى الرجوع وروي أن أبا خالد اليماني قال إنه رأى تلك الجنة إن كل عنقود منها كالرجل الأسود القايم.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي كفعلنا بهم من إحراق جنتهم يعقل لمن تصدّى حدودنا وتعدى وخالف أمرنا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ كما وأكثر همًّا وغمًّا ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: 33] تمت قصة أصحاب الجنة وشروع في ذكر أحوال السعداء.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ودار السلام والعاقبة وغار الأعمالِ والعافية ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: 34] ودرجات الكريم لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة

للمسلمين إن اللَّهَ فضلنا عليكم في الدنيا فلا بدّ وأن يفضلنا عليكم في الآخرة فإن لم يحصل التفضل فلأمنه المساواة فأجاب الله بقوله:

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القَلَم: 35] يعني أن التوبة بين المطيع والعاصي والمؤمن والكافر الذي أخذه بالنواصي لا يجوز عقلًا ولا شرعًا ونقلًا.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 36] حكمًا معوجًا وتجزمون بالمئات جزمًا معرجًا فيه النقاب وتعجب وإنكار وتغيب واستبعاد بهم وإشعار بأن هذا لا يصدر إلا لمن يختل فيه طريق الفكر واعتل رفيق البصرة وشقيق البصر فبلفٍّ ونشر مرتب على الاستفهامين يعني ما لكم كيف تحكمون رجمًا بالغيب بالأفضلية والسوية وكيف تحكمون حكمًا بلا علمٍ.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ نازل من السماء الإلهية والأسماء الذاتية ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القَلَم: 37] وتقرأون وتتأملون فيه وتطالعونَ فيه من الأحكام الأصلية والفرعية ومقاعِد الأعلام الشرعية وقواعد النواميس الربانية.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ [القَلَم: 38] ويختارون ويرونه والضمير المجرور عايد إلى الكتاب وما يحتمل المصدرية والموصولية واللام للتأكيد أو لتوطئة القسم يقال تخبر الشيء وخارج إذا أخذه بالخيار وتعاطيه بالاختيار.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ أي عهود مؤكدة بالأيمانِ متناهية في التأكيد بطريق العلم والعرفانِ يقال لفلان علي يمين بكذا إذا ضمنت منه وخلفت في الوقاية به يعني أم ضمنًا منكم وتكفلنا من لدنكم وأكدناه باليمين والقسم أي وأقسمنا لكم بأيمان، يقال مقعدةٍ متناهية ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القَلَم: 39] متعلق إلى بالغة أي هذه

الأيمان في قوتها وكمالها بحيث بلغ إلى يوم القيامة وإلى الإيمان معنى بالغة مؤكدة كما يقال رجل بالغ أي بلغ النهاية في القوة والرجولية وكل شيء يتناهى في الصفة وكمال الجودة فهو بالغ ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القَلَم: 39] تقضون: جواب القسم واللام إما للتأكيد أو لتوطئة القسمِ لأن معنى (أَمْ لكم أيمان بالغة) أم أقسمنا لكم قراءة بالغة بالنصب على الحال من الظرف.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ يحكم ﴿زَعِيمٌ﴾ [القَلَم: 40] أي قائم به وبالاحتجاج بصحة كما يقوم الزعيم المتكلم من القوم المتكلم بأمورهم.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [القَلَم: 41].

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القَلَم: 42] أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم في النقصانِ والقول إنما أضاف الشركاء إليهم لأنهم جعلوا شركاء للَّهِ وهنا كقولهم: هل من شركائكم من يفعل بذلك من شيء فليأتوا بشركائهم وأصدقائهم وأعوانهم في تلك الدعوى والمذهب والتسوية بين المسلمين والمجرمين في الدرجة والرتبة والمنزلة لا الحقيقة والماهية الجنسية والنوعية غاية التسوية فمما لا شك فيها نحو قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: 3] إن كانوا صادقين في دعواهم، والمراد أنه كما ليس لهم دليل عقلي ولا سبيل نقلي وهو كتاب تدرسونه كذلك ليس لهم من وافقهم من العقلاء في هذا المطلب.

وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآياتِ على نفي جميع ما يمكن في باب الاستدلالِ من العقل والنقل والعقلاء وعلى مراتب النظر وعلى مطالب الفكر ومؤدى مقتضى الحس والبصر التي يقربها وقربانها وهو جمع قريب مبادئ الدليل وقوله فإنها قيل يعني أم بهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى التسوية من الله نفى كونهم ممن يشركون باللَّهِ يوم يكشف عن ساق، إما نقليًّا كأنه قال إن كانوا صادقين في أن لها شركاء فليأتوا بها يوم القيامة لينفعهم فيه

ويشفع لهم أو بالذكر أي إذا كان يوم القيامة ويكشف حقيقة الحال ويوصف حقية المآل في كيفية مساعيهم وكمية مراعيهم، ويعرض عليهم مكاسبهم الدنياوية التي حصلت من الأيدي والأرجل والألسنة يوم يشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم.

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ والانقياد والإطاعة والامتثال بأمر اللَّهِ سيما وكمال الاعتقاد سيما الصلاة وهي أفضل الطاعات وأفضل أركانها السجود ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: 42] ولا يتمكنون ولا يقدرون على شيء من المكاسب وتحصيل أمر عن المآرب لأنه ليس دار اكتساب وعبادة بل دار راحة وغار استراحة ومحل وجد أن آثار الطاعات واقتباس أنوار المعارف والعباداتِ واقتناص سائر أنواع الخيرات وأصناف المبرات ومقام شهود التجليات سئِلَ رسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة قال: «**هل تضارون في الشمس وتشاكّون في وجودها ليس دونها شمس ولا سحاب؟**»، قلنا: لا، قال: «**فهل تضارون في القمر ليلة البدر؟**» قلنا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك إذا كان يوم القيامة يجمع الأولون والآخرون ونادى منادٍ من كان يعبد شيئًا فليلزمه ويدفع إليهم آلهتهم التي كانوا يعبدون فتمضي ويتبعونها حتى يلقى في النارِ وتبقى هذه الأمة فيها فيقال لهم ذهب الناس وبقيتم فيقولون لنا رب لم نره بعد قال هل تعرفونه؟ قالوا: إن بيننا وبينه آية إذا رأيناها عرفناه فيكشف عن ساق فيخرون له سجدًا ويبقى أقوام ظهورهم كصياصي البقرِ يريدون السجود فلا يستطيعون**». وقال أيضًا عليه السلام: «**يتجلى لنا ربنا عزّ وجل ضاحكًا يوم القيامة حتى ينظر إلى وجهه فيخرونَ له سجدًا فيقول لهم ارفعوا رؤوسكم فليس هذا اليوم يوم عبادة يكشف ربنا عزّ وجل عن ساقه يوم القيامة فيقع الناس له سجدًا يبقى أقوام ظهورهم كصياصي البقر لا يستطيعون السجودَ**» فإنه قيل: هذا اليوم يكشف عن ساق في الدنيا وأقوام في الآخرة.

أقول: الجمهور على أنه في الآخرة والمراد بالساق هنا هو الشدة والصعوبة لاستحالة إطلاقها على اللَّهِ. قالَ في الكشافِ: الكشف في الساق مثل في شدة الأمر بمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما يقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وإنما هو مَثَلٌ في البخل ثم أخذ تعظيم على البيان لولاه لما وقعنا على هذه الأسرار. فأقول: إما أن

يدّعى أنه يجوز صرفها لله عن ظاهره بغير دليل إذ يقول إنه لا يجوز ذلك إلا بعد امتناعه جملة على الحقيقة قالا وسط إجماع المسلمين فلان جوزنا ذلك، اتضحت أبواب تأويلات الفلاسفة في أمر المعاد، فإنهم يقولون في جناتٍ تجري من تحتها الأنهار إنه ليس هناك أنهار ولا جنة ولا أشجار ولا أنوار ولا أثمار وإنما هو مثل اللذة والسعادة، ويقول في قوله: ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ [الحج: 77] وليس هناك ركوع ولا سجود وإنما هو مثل التعظيم، ومعلوم إن ذلك يقتضي رفع الشرايع وفساد أمور الدين هذا ما قال الإمام في تفسيره الكبير أقول هذا كلام قليل الجدوى ومقام عليل الفحوى لأنه لو سد باب التأويل يظهر الفساد في البر والبحر ولو جوز يعم في عموم التنزيه فتأمل.

والتعريض بقوله: «**رحم الله عبدًا عرف قدره ولم يتعد طوره**» قد يجاب ويعتذر بما قيل ولله در القايل: (على قدري على قدري) قيلَ المراد بالساق هو الأصل الذي يكون له القوام كساق الشجرة أي يظهر يوم القيامة أصول الأشياء وقوامها وحقائقها.

روي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «**أن اللَّهَ يتمثل للخلق يوم القيامة ثم المسلمون فيقولون: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله فهزمهم مرتين**» أو قلنا ثم يقولون مثل ما يعرفون فيقولون: سبحانه إذا عرفنا نفسه عرفناه فعند ذلك يوم يكشف عن ساق ولا يبقى مؤمن إلا خرّ ساجدًا ويبقى المنافقون ظهورهم كالطبق الواحد، كأنما فهي للتأبيد، قيل: يوم يكشف عن ساق جهنم أو عن ساق العرش أو عن ساق ملك مهيب عظيم، واللفظ لا يدل إلا على ساقٍ، فأما إن ذلك الساق ساق أي شيء وليس في اللفظ ما يدل عليه، قال المشبهون إنه ساق الرب تبارك وتعالى.

واعلم أن القول باطل من وجوه وقد ذكرت في موضعِها عند إبطال قول المشبهين والمجسمين ذهب بعضهم إلى أن المراد هو في الدنيا لأن وصف هذا اليوم بأنه يدعون إلى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد وتكليف وسجود بل المراد منه أواخر أيام المراد في دنياه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفُرقان: 22] إنهم يروا الناس يدعون إلى الصلاة إذا حضرت وتقام، هو لا يستطيع الصلاة لأن الوقت الذي لا ينفع نفسًا إيمانها وقد كانوا قبل ذلك اليوم يدعون إلى السجود بأنهم سالمون، فإنهم الآن آمنوا بشدة النازلة بهم

من هول ما عاينوا عند الموت، أو من العجز والهرم ونظيره ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقِعَة: 83].

واعلم أنه لا نزاع في أنه يمكن حمل اللفظ على ما قاله هذا القائل وهو أبو مسلم، وأما قوله إنه لا يمكن حمله على القيامة بسبب أن الأمر بالسجودِ حاصل منها والتكاليف زائلة يوم القيامة فجوابه: أن ذلك لا يكون على سبيل التقريع والتسجيل فلم قلتم: إن ذلك غير جائز؟ قرئ: يوم نكشف بالنونِ والباء على البناء للفاعل والمفعول جميعًا والفعل للساعة أو للحال أي يوم تشتد الحال أو الساعة كما يقال: كشفت الحرب عن ساقِها على المجازِ، قرئ: يوم يكشف بالياء المضمومة وكسر الشين من الكشفِ إذا دخلَ في الكشف ومنه كشف الرجل، فهو منكشف إذا انقلبت شينه العليا.

واعلم أن للَّهِ تعالى تجليات ذاتية وأسمائية وأفعالية وآثارية والتجلي الآثاري هو الذي أظهر تصور الأجسام متناهيات باللَّه يخبر عن التجلي الذي أظهر تصوره الجسم كما وقع للنبي ﷺ: «**رأيت ربي في أحسن صورة شاب أمرد قطط**».

وكما يجوز أن يقع التجلي بصورة الأمرِ يجوز أن يقع بكشف الساق أيضًا فلا يحتاج إلى التوجيه والتأويل وصرف الحقيقة إلى المجاز نعم كشف يكون إشارة إلى أمر من الأمور المتناسبة كالسعي والجدوى اجتهاد الرياضة والسكون الاكتسابية اليقين ورفع الظنون ونفي الشكوك وإن القيامة قسمان آفاقية ونفسية، وأن القيامة لا تقع إلا بعدَ الموتِ وظهور الاستهلاك والفوت، وأن الموت نوعان أيضًا طبيعي وإرادي وكلاهما بأمرِ الله يعاد حكمه، وليطابق الآفاق والأنفس لا بد وأن يقع في القيامة الأنفسية ما يقع في القيامة الآفاقية وبالعكس، فمن له قدم راسخ في الاطلاع على الأسرار، أو الأحوال والأطوار الآفاقية والأنفسية، لا يحتاج إلى التجملات المذكورة إن كانت تلك التجملات أيضًا لها أو تقديره ومشيئته فتأمل وتدبر قوله: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾، واعلم أنّا بيّنا أنهم لا يدعون إلى السجود تعبُّدًا أو ليأتوا توبيخًا وتعنتًا على تركهم السجود في الدنيا، ثم انزلق حال ما يدعون إلى السجود وبسبب عدم القدرة عليه، ويجوز منهم وبين الاستطاعة من يزداد حسرتهم على ما كانوا في الدنيا صحيح القوى سالمي الأطراف والمفاصل والأعضاء.

قوله: من قال الكافر لا قدرة له على الإيمان وأن القدرة على الإيمان لا تحصل إلا حال وجود الإيمان، والجواب عليه بأنه لا يؤمن من ساق لوجود الإيمان ولا يجمع بين المنافقين، فحينئذ الاستطاعة في الدنيا غير حاصلة على قول الجبائي.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ حال منها لا يستطيعون ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ﴾ بسبب أنهم كانوا مواظبين على خدمة مولاهم مثل العبد الجاني الذي أعرض عنها ﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا إلى السجود والإطاعة وكمال المطاوعة ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ [القَلَم: 43] عما يمنعه.

﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤﴾

﴿فَذَرۡنِي﴾ واتركني ودعني ﴿وَمَن يُكَذِّبُ﴾ أي مع من يكذب ﴿بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾ والقول والكلام الطيب الغير الخبيث بتمام آياتِهِ وعموم بيناته خطاب من الله يجليه وأمر به ما بك (أمر القرآن كله إلي فإني أكفيك) وكأنه يقول إيقاعًا به أن بكل أمره إلي وتخلي بيني وبينه فإني عالم لما يجب أن يفعل به مطبق له والمراد أن الله حسبي مجازيه لمن يكذب بالعذاب فلا يستثقل به قلبك وتوكل علي في مقام المجازاتِ والانتقامِ منه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد للمكذبين ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ سيعاقبهم ويأخذهم بالعذاب وسوء العقاب ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [القلم: 44] أن لهم وتركهم وإجمالهم على توافر النعم وتواتر الخطايا والهدايا العِظام استدراج به ومكر وعقاب عليهم وإن كانوا على صورة الإنعام وهيئة التفضيل ونعت الإكرام مع أنه تمهيد مقدمة وتحديد تقديم معرفة للقدر بهم فيتزايدون عصيانًا ويتضاعفون تمردًا وطغيانًا ظنًّا منهم أنه من اللَّهِ بهم نعمة ورحمة فقد حقّ عليهم القول ويسبغ عليهم النعم فلا تسلهم للشكر وأمهلهم فهم منعمون في الظاهر مستدرجون في الحقيقة فكم من مستدرج الإحسان إليكم من مفتون الثناء عليه وكم من مغرور بالشفق عليه فلا عبرة ولا اعتماد ولا تعويل ولا اعتداد إلا على كرم الله وحسن عنايته ووفور هدايته.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ﴾ أي أمهلهم مدة وأهملهم عدة ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: 45] وإن خداعي قوي لا يدفع بشيء ولا يرفع بأمر سيء وإنما سمى إنعامه استدراجًا بالكيد لأنه في صورته.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ وعوضًا وآخرة وعرضًا على الإرشاد ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ مصدر ميمي بمعنى الغرامة ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ [القلم: 46] اسم مفعول من الأثقال أي يثقل عليهم حمل الغرامات وتحمل الكرامات في أموالهم فتثبطهم ويمنعهم عن الإيمان ويربطهم عن الوفاءِ بالمواثيق وعهدة الإيمان.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي اللوح المحفوظ والكتاب الذي فيه السرائر والغيوب والأحوال الخفية من الكمالات والنقايص والعيوب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [القلم: 47] فيه كل ما أرادوا من الحوادِث والفتن والحروب.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بالإمهالِ والإهمال وتأخير نصرتك عليهم وفرصتك لديهم بالاختلال ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ﴾ [القَلَم: 48] ربه أي حال ندائه في بطن أمه أن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] وهو يونس وذو النون قد ترك قومه في غضب ويأس ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القَلَم: 48] مهموم والعامل في أن معنى (كصاحب) يعني لا تكن كصاحب الحوت وقت ندائه ورفع دعائه على قومه، لأنه في ذلك الوقت كان مكظومًا مملوءًا من الغيظ.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ﴾ قرئ رحمة ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [القَلَم: 49] أي التوفيق للتوبة عن مخافة أمر اللَّهِ والصبر على تحمل أذية قومه وذلك أنه لما أخبر قومه عن حلول غضب اللَّهِ ونزول قهره وسخطه ووعدهم بأنه متى يتغير وجوههم فإنه علامة

غضب اللَّهِ فإذا ظهر آثار التغير فيهم قد قرّ يونس وخرج من بينهم وما قر فيهم ﴿لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ﴾ أي طرح في الأرض العارية والفرض النائرة عن الكلأ والأشجار البارية عن العيون والأنهار ﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾ [القَلَم: 49] مطرود ملوم فيه تنبيه على أنه لا يتم شيء من الصالحات وأمر من المفلحات والطاعات والمصلحات إلا بتوفيقه وكمال هدايته ووفور عنايته.

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي اختار رب يونس، وهو ذو النون ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ وصيره بسبب تلك النعمةِ الكاملةِ والرحمة الفاضلة ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: 50] من الذين يصلحون للاجتناء والتقرب بالاصطفاء ونجاةٍ من ظلمات بطن الحوتِ فلولاها للبث في بطنه أبد الآباد ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: 143، 144].

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ﴾ ويزلقونك ويسقطونك ويهلكونك ﴿بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [القَلَم: 51] بجناحيه سوء نظرهم وخصوصية بأس بصرهم وذلك أن الكفار لما رأوا علو كلماتِ رسول الله ﷺ وارتفاع شأنه وسطوع برهانه وطلوع شمس سلطانه وعجزوا بأنفسهم عن معارضتهم ومقابلتهم ومناقضتهم استغاثوا بأصحاب العيون السوء لينظروا إليه بالعينِ الساخطة فنظر إليه قوم من قريش وقالوا: ما رأينا أحدًا مثل محمد ودولتِه وارتفاع حشمته وكمال شوكته ولا مثل حججه له تصيبوا به بسوء أنظارهم فانعكس الأمر إليهم ورجع الحكم لديهم ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فَاطِر: 43] قيل: كانت العين في بني أسد حتى إن كانت الناقة السمينة والبقرة اللبونة بمن يأخذهم قيفانها ثم يقول يا جارية جدي المكتل والدرهم فأنبتنا بلحم هذه الناقة أو البقرة فما يبرح حتى يقع بالموت فينجز.

قال الكلبي كانَ رجل من العرب يمكث ولا يأكل يومين أو ثلاثة فيرفع جانب جنانه فيمر به الإبل فيقول: لم أدرك اليوم إبلًا ولا غنمًا أحسن من هذه فما

يذهب إلا قريبًا حتى سقط طايفة وغدة فسأل هذا الكفار أن يصيب رسول الله ﷺ ويفعل به مثل ذلك فأجابهم فأنشد: قد كان قومك يحسبونك سيدًا وأخال أنك سيد مغبون ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾.

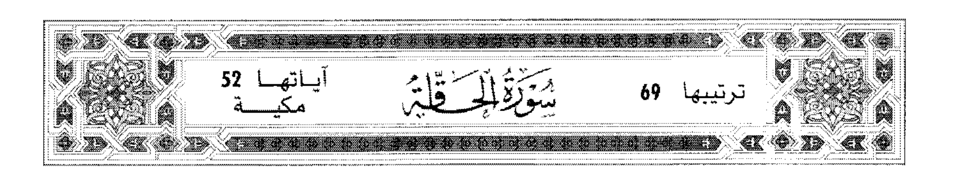
﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ أي القرآن لم يملكوا أنفسهم على ما أثبت من النبوة ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القَلَم: 51] حيرة في أمره وتنفيرًا عنه، فقد علموا أنه أعظمهم يعني أنهم جنبوه لأجل القرآن أي انصرافهم عنه وانحرافهم عن التوجه إليه لئلا يفتنوا قال النبي ﷺ: «**العين حق إن العينَ لتدخل الرجل القبر وتدخل الجمل في القدر**»، وذلك من خصايص بعض النفوس الخبيثةِ فإن سمّه يظهر في عينِه وبصره وشقه لوامع نظره.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [القَلَم: 52] أي ليس القرآن وكلام الله إلا موعظة ونصيحة للعالمين أي بأهل العالمين.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (القلم) أعطاه الله ثواب الذين حسَّن الله أخلاقهم**» صدق رسول الله ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي فعل بين كل دورتين حمايتين ساعة حاقة وقيامة دافة وحالة شاقة يجمع فيها جميع الأعيان النورية الجمالية الظاهرة فيها على التوالي والتنويع دفعة واحدة ليصل كل عين إلى أثمار أشجار أعمال نفسه وأفعال قوى حسه ويدل على كمال قدرته وعموم علمه وشمول حكمه ووفور حكمته ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي دبر أعيان أدوار النور والجمال ووفور أحوال أكوان أكوار الظل والجلال بذريعة نعت الإرادة الوصفية الأزلية ووسيلة الشبه الذاتية والمحبة الأولية فأحببت أن أعرف في الأولى صريحًا وفي الثانية ضمنًا جريحًا ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي دور تلك الأعيان تلك الأكوان إلى أن أوصلها إلى كمالاتها الجمعية ومقاماتها الأصلية والفرعية ليستعمل الصورة النوعية والهيئة الاسمية في ضمن الحقيقة الشخصية البشرية بالنعوت العنصرية.

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١﴾

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١﴾ [الحَاقَّة: 1] الساعة الواجبة الثابتة الأصول والفروع التي لا يقدر على دفعها وتأجيلها وتعجيلها أمر لا من الأصول ولا من الفروع أو الصورة المعلولية السارية للصورة العلية اللازمة لها عند استكمال مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار لا يتخلف عنها.

﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾﴾

﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾﴾ [الحَاقَّة: 2] أي شيء الساعة والقيامة وكيف تظهر وهي تقع وتشهر.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [الحَاقَّة: 3] أي من جعلك مدركًا كيوم وقوع الواقعة وهو العلم بحقيقة الأدوار وحقية الأكوار والعالم بحقيقة الأدوار، يجد في الوجوب ظهور الساعة وقيام القيامة، ففي كل دورة نورية لا بد أن يقع أربعة قارعة، وأن تقوم فيما كان أربع بعدد فارعة في نهاية كل دورة يقوم قيامة وتظهر ساعة بارعة.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ أي طايفة ثمود وقومه وهو بن عابر بن أرم بن سام بن نوح ﴿وَعَادٌ﴾ وقوم عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح ﴿بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحَاقَّة: 4] أي بالقيامة القارعة والساعة القالعة القامعة أي يقرع الخلايق بالأقراع والأغوال، والسماء بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدكِّ والنسف، والنجوم بالطمس والانكدار، ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على زيادة الحاقةِ وكمال تأثيرها في المذكوراتِ.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ﴾ وقومه ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحَاقَّة: 5] الواقعةِ المجاوزة للحدِّ في الشدةِ والإهلاك والقوة وهي الصيحة والرجفة والحركة العنيفة لكذبهم بالقارعة أو بسبب طغيانهم بالتكذيب وبعلة عصيانهم بالتغليب وغيره، فبعث الله عليهم وسلط لديهم صيحة على أنها مصدر كالعاقبة والعافية أي بطغيانهم وتجاوزهم عن الحد.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديد الصوت والهول الذي يفضي إلى الفوتِ أو البرد من الصر وهو البرودة ﴿عَاتِيَةٍ﴾ [الحَاقَّة: 6] شديد الصوت ليس من

العتو والعصيان بل من بلوغ الشيء وانتهائه ومنه عتى الشيب إذا بلغ منتهاه ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 8] وهي مجاوزة الحد. يقال: عتت على خزائنها فلم يطعمهم وجاوزت الحد والقدر عن النبي ﷺ ما أرسلَ الله سفة من الريح إلا بمكيال ولا قطرة مطرٍ إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح طغى على الحدّ فلم يكن عليه سبيل، ثم قرأ: (بريح صرصر عاتية).

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾

﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسلَها وسلطها ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ولعلَّه أرادَ الإفراط والمبالغة وغاية الشدة كأنها خرجت عن الحد والقدر ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ جمع حاسم أي قاطع ويجوز أن يكون مصدر الفعل الأول يكون معناه حسمت وقطعت كل خير وشاغلت كل نفع وبركة وقيل هي أيام النحوس أو بمعنى متتابعاتٍ من حسمت الدابة إذا تتابعت وابتدأت من صبيحة الأربعاء إلى غروب الأربعاء أخرى فدفع الله الريح عن الناسِ ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ﴾ إن كنت حاضرهم ﴿فِيهَا﴾ أي في أيامها أوليائها أو في أهوالها وشدتها أو جمعها ﴿صَرْعَىٰ﴾ جمع صريع، هلكى ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أصولها وعروقها ﴿خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: 7] ساقطة أو خاوية الأطراف وخالية البطون والأجواف.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم﴾ أي القوم المذكور ﴿مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحَاقَّة: 8] أي من آثار ديورهم ورسوم ديارهم باقية والخاوية يحتمل أن يكون وصفًا للقوم باعتبار الجماعةِ فإن الريح وهي جند الله وجيوشه تدخل أجوافهم فينزع أحشاءهم فيصيروا كالنخل الخاوية وأن يكون صفة للنخل بمعنى البالية والباقية يحتمل أن يكون صفة للنفس وأن يكون مصدرًا بمعنى البقاء كالطاغية بمعنى الطغيان.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩﴾

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ﴾ وأتباعه وجنوده وأشياعه ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ [الحَاقَّة: 9] أي تقدم عليه من الأمم البالية وأرباب الهمم التالية من لفظ عام في المعنى خاص بالكفار دون

المؤمنين ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾ قوم لوط أي الجماعات من الايتكاف وهو الاجتماع ﴿بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾ [الحَاقَّة: 9] من الأفعال الخطيئة من الكفرِ والمعصية أو الأعمال ذات الخطأ.

﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ۝١٠﴾

﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ﴾ وكل آية أتوا بها وهم إبراهيم وموسى وداود وزكريا وعيسى فأخذهم الله عزّ وجل بالعذاب وتكاثر العقاب وتواتر شدايد الواحدة في الحسابِ ﴿فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً﴾ [الحَاقَّة: 10] زائلة من الربا وهو الزيادة.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ۝١١﴾

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ وفار وازداد متجاوزًا عن الحدِّ ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ﴾ وقت طغيان الماء وفورانها وتجاوزها عن الحد ﴿فِي﴾ السفينة والفلك ﴿ٱلۡجَارِيَةِ﴾ [الحَاقَّة: 11] في الطوفانِ وهيجان الماء والطغيان.

﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ۝١٢﴾

﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ﴾ أي الواقعة المعلومة والحادثة المرسومة المذكورة حكمًا ومعنى ومن نجاة المؤمنين ودركات المشركين أو السفينة تذكرة مذكرة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ أي الواقعة المعهودة والحادثة المعدودة والموعودة ﴿أُذُنٞ﴾ أي قوة سامعة ﴿وَٰعِيَةٞ﴾ [الحَاقَّة: 12] حافظة لما أدركته من المعارف الإلهية والعوارف الكونية والمخاطبات المعنوية.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ ومن القرن والنقور ﴿نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ [الحَاقَّة: 13] نصب على المصدر أي الأولى فإنها متعددة فعند الأولى ههنا يخرب العالم ويهلك وبالثانية ظهر العالم وعرض له وجود ولما فيه من الأعيان ثم يعرضونَ في القيامة مع مالهم من الأعمالِ والأحوال يومئذ يعرضونَ لا يخفى منكم خافية.

﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ۝١٤﴾

﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ [الحَاقَّة: 14] أي رفعت الأرض والجبال إما بالزلزلة

التي تكون في القيامة وإما بريح صرصر رافع للأرض وما عليها أو بملكٍ من الملايكة العظام وبقدرة الله تعالى الكاملة من غير سبب ظاهرٍ ﴿فَدُكَّتَا﴾ أي الحملتان حملة الأرض وحملة الجبال ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحَاقَّة: 14] أي أولية وصدمة كلية فيضرب بعضها بعضًا حتى يدق والدكّ أبلغ من الدقّ ويصير كثيبًا مهيلًا وهباءً منثورًا فصارتا أرضًا لا عوج فيها، أو إذ الدكّ والدقّ يكون لبعضها ببعض بسبب السوية وعلة للبسيطة والبساطةِ وحتى يرجع ويعود كثيبًا مهيلًا وهباءً منبثًا بليلًا.

﴿فَيَوْمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥﴾

﴿فَيَوْمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥﴾ [الحَاقَّة: 15] وظهرت الساعة وقامت القيامة.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ۝١٦﴾

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي سماء دنيا الدورة الصغرى النورية الجمالية وذلك عند انقضاء اقتضاء الدورة النورية في انتهاء حكم سلطنة الجمال وانتقالها إلى فردارية فردارية نوبة السرية السلطانية إلى سلطان الظل والجلالِ الذي كانَ اقتضاؤها ضمنًا تبعًا فحينئذ يصير صريحًا وأصالةً ﴿فَهِيَ﴾ أي السماء المذكورة ﴿يَوْمَئِذٖ﴾ في ذلك اليوم لزوال اقتضاء بقائها وفصال ارتضاء استمرار وجودها ﴿وَاهِيَةٞ﴾ [الحَاقَّة: 16] ضعيفة ساقطة القوة إلى أن بلغ في حد الهلاك بعد ما كانت في سلطنة اقتضاء ربها محكمة مستحكمة في الغاية حتى غلب على بعض الظنونِ أنها قديمة بالزمانِ، إن بعض الظن إثم ولا مرية فيه ولا لثم فإن اقتضاء سلطة ربها وارتضاء شوكة قوة مربّيها كان كالروح والحياةِ لها، وإذا انصرف التصرف والتصريف والتدبير عنها وانقطع التعلق عنها فصار كالممات والفوتِ والهلاك السماوات والأفلاك والنفوس والأملاكِ كالشق والتجزئ والخرق والانفكاك ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر: 68].

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ۝١٧﴾

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآۚ﴾ [الحَاقَّة: 17] أعم من الملائكة لأنه جنس لها وأرجاء جمع رجا بالقصر وهو الطرف، وأما بالمد وهو الأمل والترجي فلا يلايم المقامَ، ولعل ذلك تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها

وانصرافها إلى أطرافها وحواليها وإن كانَ على ظاهرها فلعل هلاك الملايكة إثر ذلك لكونها بمنزلة القوى الجسمانية والمبادئ الروحانية للسماوات فحينئذ ينقطع تصرفهم ويرتفع تدبرهم ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء والأطراف وفوق الثمانية لأنها في نية التقديم هم الذين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يحملون العرش فوق رؤوسهم ﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: 17] أي ثمانية أملاك أو ثمانية أصناف من الملائكة، ولا يعلم عددهم إلا الله وكانت أربعة، فإذا كانت يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة أخرى كما وردَ في الحديث، وأيضًا وردَ أن لكل ملك منهم وجه إنسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر.

روي عن علي بن الحسن أنه قال: إن الله تعالى خلق العرش رابعًا ولم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء الهواء والقلم والنور، ثم خلق العرش من ألوان أنوار مختلفة، من ذلك نور أخضر منه اخضرت الخضروات، ونور أصفر فيه اصفرت الصفرة ونور أحمر ومنه احمرت الحمرة، ونور أبيض فهو نار الأنوار وفيه ضوء النهار، ثم جعله سبعين ألف ألف طبق، لبس في ذلك الطبق الملايكة يسبح بحمده ويقدسه بأصوات مختلفة بلسانٍ منقطع ويسمع بآذان مستقيمة لا منحرفة، ولو رفعت من تلك الأصوات صوت ينهدّ منه القصور والجبال والوهاد والتلال وتنخسف البحار وتنكسف الشمس وتضطرب الأدوار والأكوار. سئلَ الحسنِ عن الثمانية قال لا أدري ثمانية أشخاص أو ثمانية الآلاف أم ثمانية صنوف.

واعلم أن حمله على ثمانية أشخاص أولى إذ القدرة فيها أتم والحكمة فيها أعلى وأعم، فلما كتبت هذا المقام خاطبني الله في سرِّي أن الحق وأن الحقيق بالحق هو تحقيق الحق بالكل، إما بحسب الأدوار فإن لكل دورة اقتضاء والمتحقق بالكل ما هو الذات الأحدية تحققًا سرمديًا، فكل أحد من العارفين باللَّهِ يشاهده لما تحقق به بحسب الاستعداد الجزئي، ومن له الاستعداد الكلي يشاهده بالكل بتوفيق الله وحسن هدايته، روي عن النبي ﷺ: «**أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى فيكونون ثمانية**». وروي أنهم ثمانية أفلاكٍ أرجلهم في نجوم الأرض السابعة والعرش فوق رأسهم وهم يطوفون ويسبِّحون. وقيل: بعضهم على صورة الإنسانِ وبعضهم على صورة الأسد، وبعضهم على صورة الثور، وبعضهم على صورة النسر.

روي ثمانية أملاك على صورة الأغوال ما بين أخدانها إلى ركبتها مسيرة سبعين عامًا.

عن شهر بن حوشب: أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد بخير علمك.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ يوم القيامة يعرض الخلائق على الله عرض العساكر على السلطان، وهو عبارة عن المحاسبة والمساءلة، شبّه ذلك بعرض السلطان العساكر ليعرف أحواله. روي: في القيامة ثلاث عرصات، فأما عرصتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ، وأما الثالث ففيه تنتشر الصحائف والكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحَاقَّة: 18] سريرة ومستترة على الله تعالى حتى يكون لعرض الاطلاع عليها.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ تفصيل للعرض ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ﴾ أي تعالوها صوت يصوت له فيفهم منه معنى كان وحسن وضمّه همزة هاؤم إنما هي كضمة ميم الجمع في ميم وأنتم قد تنازع هاءه ﴿اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ في ﴿كِتَابِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: 19] وهاء كتابيه ونظائرها للسكت عند الوقف، ثبت في الوقف والفصل وتسقط في الوصل. ذهب بعض على إثباتها في الوقف والوصل جميعًا اتباعًا للمصحف.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ وعلمت ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: 20] قال النبي عليه السلام: «**أول من يعطى كتابه بيمينه عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس**»، فقيل له: فأين أبو بكر؟ هيهات وافته الملائكة إلى الجنة. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة كل الناس يحاسبون يوم القيامة إلا أبو بكر**».
روى أبو هريرة رضي الله عنه: أوتي رجل ويؤتى به يوم القيامة بكتابه فيكتب حسناته في ظهر كفه ويكتب سيئاته في بطن كفه، فينظر إلى سيئاته فيحزن، فيقال له: اقلب كفك لينظر فيه حسناته فيرى حسناته فيفرح، ثم يقول له: اقرأ ما كتبناه،

يعني يلتفت عند النظرة الأولى ﴿مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ [الحَاقَّة: 20] على سبيل الشدة، وأما الآن فقد فرَّج الله عني ذلك الغم، أما في حق الأشياء فالأمر على الضد مما ذكرنا، هذا ما في تفسير الإمام.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١﴾

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١﴾ [الحَاقَّة: 21] ونعمة مرضية، أي صاحب اليمين.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝٢٢﴾

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝٢٢﴾ [الحَاقَّة: 22] وروضة مرتفعة لأنها في السماء التي عرضها كعرضها أو درجاتها أو أمكنتها أو أبنيتها وقصورها وأشجارها.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ۝٢٤﴾

﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها وأكلها ﴿دَانِيَةٞ﴾ [الحَاقَّة: 23] قريبة يتعاطاها قائم ويجتنيها مضطجع وقاعد ونائم، متفرعة بلا تعب متى شاء وكيف أراد وبأي وضع جاء قائلين لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ من نعيمها وأشربتها من الأنهار الأربعة المذكورة ﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾ مريئًا سائغًا حسن الاستمرار جيد الهضم كيلوسًا وكيموسًا متمثلة بها أعمالكم ومتجسدةً بأشكالها أفعالكم وأقوالكم من الطاعات وصنوف العبادات وصنوف الخيرات والمبرات ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ وقدمتم إياها في الدنيا والنشأة الأولى، أما في الدورة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى النورية الجمالية إلى المعارف الإلٰهية والإدراكات الشهودية ﴿فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الحَاقَّة: 24] الماضية، متعلقة بأسلفتم، والمجرور الأول بالمقدر على ما أشرنا إليه.

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥﴾

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾ وصحيفة أعمالهم وصحيفة أقوالهم ومقتضى خطابهم ﴿بِشِمَالِهِۦ﴾ مردودة من صدره إلى ظهره ﴿فَيَقُولُ﴾ صاحب الشمال ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحَاقَّة: 25] فتح التاء المتكلمة الملحقة أوتي نفس المتكلم بناء للمجهول من الإيتاء التابعة مفعول ثانٍ لأوتي لأنه بمعنى الإعطاء، يتمنى عدم إعطاء الكتاب من جهة الشمال بناء على التجبر.

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ [الحَاقَّة: 26] أيْ أيُّ شيء حساب حسناتي وسيئاتي، عطف على أوتي داخل تحت التمني.

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ﴾ أي الموتة الأولى التي وقعت في الفطرة الأولى ﴿الْقَاضِيَةَ﴾ [الحَاقَّة: 27] القاطعة لأمري والرافعة لشأني ولم أبعث بعدها في النشأة الأخرى، أو يا ليت هذه الحالة قاصرة كانت الموتة التي قضيت علي لأنه رأى هذه الحالة أمرُّ وأدهى وأحر وأحدّ وأكدى وأشنع مما ذاقه في الدنيا.

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾ [الحَاقَّة: 28] (ما) إما نفي أو استفهام على الإنكار يكون مفعولًا لأغنى، أيْ أيُّ شيء أغنى ومنع عني ما كان لي من اليسار والغناء والشبع.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾

﴿هَلَكَ عَنِّي﴾ وزال، يعني ﴿سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: 29] أي سلطة جاهي وملكي ومالي، أو سلطنة علمي وحجتي وحكمي على الناس على سبيل الاحتجاج وطريقة الاستعداد الأولى والاستنباط والاستخراج، يعني كل ما كان لي في الدنيا من الجاه والمال والتبع والملك والعلم والمقام، والحال ما منع مني اليوم نكبات العذاب وسطوات العقاب لأنه هلك مني ما كان لي في الدنيا من تملك سلطة التمليك والتسليط على الناس، فبقيت ذليلًا عاجزًا عليلًا فقيرًا محتاجًا فاقدًا جاحدًا سبيلًا بلا معين وناصرٍ ودليل، وباصرٍ. نزلت في الأسود بن عبد الأسد وعن فناخسرو الملقب بعضد الدولة أنه لما قال عضد الدولة: وأين ركنها مالك الأملاك عذاب القدرة يفلح بعده وجود، فكان لا ينطق لسانه إلا بهذه الآية.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ [الحَاقَّة: 30] فاعلها هو الملائكة والمفعول هو صاحب الشمال. وغلوا أمر تغل من الغِلّ وهو يفيد المخصوص، وهو شد الرجلين ويوضع في العنق.

﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾

﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾ [الحَاقَّة: 31] أي أدخلوه في الجحيم.

﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾

﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ﴾ من حلق منتظمة أي بعد ذلك أدخلوه في حلق مأخوذة من الحديد ﴿ذَرْعُهَا﴾ أي مقدارها من الذرع وهو ما يقدّر به الأبعاد والمقادير ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ العرض هو التوصيف بالطول لا التقدير، يعني طولها سبعون ذراعًا ومقدار الذراع لا يعلمه إلا الله ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحَاقَّة: 32] أي أدخلوا جميع أهل النار، وهم أصحاب الشمال في تلك السلسلة، ولو أن حلقة منها وضعت على جبل عظيم لذاب من حرها، والدخول في السلسلة هو أن يلوى على جسده حتى يبقى عليه ثناؤها وهو فيما بينها مضيق متقيِّدٌ وهو لا يقدر على حركة، وذكر السبعين للبيان لا للحصر كما قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التّوبَة: 80] بسبب كثرة المرات لا الحصر، كما قال النبي ﷺ: «**إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره**». وتقديمه السلسلة كتقديم الجحيم على أن لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة فإنها أقطع من سائر مواضع الإرهاب في الجحيم. ومعنى (ثُمَّ) للدلالة على تفاوت ما بين تعدد الصلة في الجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة إلا على تراخ المدة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣﴾

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ﴾ صاحب الشمال ﴿بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحَاقَّة: 33] يحتمل القسم للمبالغة، أي لا يوجد منه الإيمان أصلًا بالله العظيم، وأن يتعلق هو من تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ لِلَمحة. قيل: رسالة بعدت صاحب الشمال هذا النوع من العذاب فأجيب به.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾ [الحَاقَّة: 34] هو ليس يحل في ذلك اليوم أي لا يقدر في ذلك اليوم على حض ما من طعام المسكين، هو اسم أقيم مقام

الإطعام كما وضع العطاء مقام الإعطاء. وفيه دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المساكين أحدهما عطفه على الكفر وقرينه، والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف من ترك الفعل، يدل أن الكفار يعاقبون على ترك الصلاة وهو أمر من قولهم من يخاطبون بفروع التشريع لا صديق حميم ولا رفيق رحيم يرحم عليه ويستعطف لديه بأن يشفق عليه ويرق إليه بطعام من الطعام ولا طعام الغني الموسر ولا طعام الفقير المعسر، وذلك لتكذيبه الجزاء والوعد والثواب والوعيد والعذاب الشديد والعقاب المديد، إذ لو آمن بهما لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك لكن على ذلك أقدم فعلم أنه يكذب به ولعل تخصيص هذين الأمرين بالذكر لأنهما من أكبر الكبائر وأكثر الورود فيهما من الأصاغر والأكابر ففرّع عليه بقوله:

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥﴾

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا﴾ أي في المحشر والموقف صديق ﴿حَمِيمٌ﴾ [الحَاقَّة: 35] ولا رفيق رحيم عليه، ولا شفيق نديم يطيب قلبه ويلين فؤاده.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾

﴿وَلَا طَعَامٌ﴾ من الأطعمة ولا شراب من الأشربة ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحَاقَّة: 36] أي غسالة أهل النار وصديدهم الذي تجري من قروحهم وجراحة جروحهم. سئل ابن عباس عن الغسلين فقال: لا أدري.

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ﴾ ولا يستحق مأكله ﴿إِلَّا﴾ القوم ﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحَاقَّة: 37] أي الذين تظهر منهم الخطيئة والمعصية.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨﴾ [الحَاقَّة: 38] بما يرون ويشاهدون في عالم الحس والشهادة من الأجسام والأجساد ولواحقها وأحوالها والنعم الظاهرة المترتبة عليها.

﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحَاقَّة: 39] من الأرواح المقدسة والعقول المؤنسة والجواهر النورية المؤسسة، والأشباح المعرفية والأعمال النورية المجتسة.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ باعتبار أنه يسمع من فيه لا أنه حادث فيه باختياره ﴿كَرِيمٍ﴾ [الحَاقَّة: 40] على الله، معزز دون الله، وهو محمد ﷺ أو جبريل عليه السلام.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ﴾ أي أعني القرآن ﴿شَاعِرٍ ۚ﴾ فيه كلام منمق موزون مجمل كذب ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحَاقَّة: 41] أي يصدقون تصديقًا لفرط عنادهم وكثرة جهادهم ووفور اجتهادهم في إبطال الكلام ودينه.

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ﴾ مطلع على بعض المغيبات من الحوادث الزمانية، وقد يلقي إليه الشيطان فيضمنه عما يلقيه من عالم الغيب ظنًّا منه أنه من جملة ما يلقى إليه أو من مقولة الشيطان إلا أنه يروج قوله ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحَاقَّة: 42] تذكر قليلًا من العهود الأزلية والمواثيق الأولية. وإنما قال في الشاعر ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحَاقَّة: 41] وفي الكاهن ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أن الشعر وإن كان فيضًا واردًا من الكنوز التي تحت العرش كما ورد في الحديث، إلا أن أكثر الشعراء ذاهلون عنه وينسبون الشعر إلى نفوسهم بخلاف الكاهن، فإنه وإن علم أن المغيبات واردة من ذلك العالم لا من اكتساب نفسه إلا أنه قد يغفل أنه على طبق ما شاهد في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وأن الكهانة والإخبار عن الغيب هو التذكير بما شاهده في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وما من نفس إلا وفيها كهانة إلا أنها ليس لها إدراك، والسعادة إنما هو بإدراك الإدراك وعرفان العرفان وشعور الشعور.

واعلم أن النفوس كلها قد سمعت القرآن في حضرة الواحدية في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعرَاف: 172] إلا أن بعضهم إذا نزل منه إلى عالم الكثرة وذاق

لذّات مشتهيات النفس ومشتهيات عالم الحس، واشتغلت بتدبير البدن وضبط أحوال المنازل وأحوال البدن والمدن، ذهلت عن ذلك العالم بما فيه من الأحوال الإلهية والإشراقات الإلهية والتجليات الربانية والمعارف الفطرية والحالات الأولية إلا أنها لكثرة اشتغالها بالأشغال البدنية وانغماسها في التدبيرات الحسية غفلت عن تلك الحالات بشهود تلك التجليات والأحوال والمقامات إلى أهل الصورة وصاحب النفس ومباشرة اللذات والأهواء والهوس والشعراء الذين يتبعون الغاوين ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشُّعَرَاء: 224].

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحَاقَّة: 43] خبر مبتدأ محذوف وهو على لسان جبرائيل على قلب محمد ويجري منه على لسانه ومنه وصل إلينا.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ أي افترى وتخرص واختلق علينا ﴿بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ [الحَاقَّة: 44] يعني لو ادعى علينا شيئًا لم نقله

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ﴾ أي تقبلنا منه ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحَاقَّة: 45] والقسم والقدرة والصبر كما يفعل الملوك بمن يكذب عليهم معاملته بالسخط والانتقام، فصور قبل البصير بصورته ليكون، وهو أن يوجده بيده ويقتله ويضرب رقبته.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحَاقَّة: 46] أي نياط القلب وعرقه الشرياني بضرب عنقه، وهو العرق الذي يتصاعد منه شريان الحلقوم ويجاوره الحنجرة.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحَاقَّة: 47] أي عن القتل والمؤاخذة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ﴾ [الحَاقَّة: 48] ومحافظة على العهود الأزلية

والعقود الأولية ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحَاقَّة: 48] أي الذين اتقوا عما يمنع عن التذكر وكمال التفكُّر.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الحَاقَّة: 49] الرسولَ وكتابَ الله أو كلاهما، يعني أن بعضكم قد وقع وظهر منهم التكذيب فيجازيكم على تكذيبكم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ وندامة ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الحَاقَّة: 50] وتأسُّف إذ رأوا درجات المؤمنين بجنات الموحدين المتقين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي يدعو إلى تلك الدرجات وحصول شهود التجليات على وجه التحقق والوحدانية والتوحيد ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الحَاقَّة: 51] أي التحقق به بعد أن شاهده بعين اليقين وآمن به بعلم اليقين، بحيث ارتفع عنه ريب المنون بالكلية.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحَاقَّة: 52] أي نزِّهه وقدِّسه عن درايات العقول والروايات. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الحاقة) حاسبه الله حسابًا يسيرًا**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أي أجاب سؤال سائل العروج والمعراج إلى ما كان عليه قبل الخروج والإخراج وبعد الولوج والإيلاج. قال عيسى عليه السلام: لن يلج ملكوت السماوات من لم يولد مرتين. ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أعطى الأرواح استعداد العروج وقابلية المعراج والولوج ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي وصل كل مسائل وما قصد إليه وتوجه وأقبل لديه ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعَارج: 4]، فاصبر صبرًا جميلًا عند الولوج في المراتب والعروج بنيل مآرب المناقب في الأدوار والأكوار الجمالية والجلالية.

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ [المعَارج: 1] نازل كائن نزلت في مشركي مكة حيث نزلت بالعذاب فقالوا: سلوا محمدًا لمن هو وعلى من ينزل؟ وهم نصر بن الحارث وأتباعه وأبو جهل وأشياعه، وإنما سألوا استهزاءً وسخرية فحقق الله تعالى وعده حيث قتل أبو جهل في القتال، ونصر بعد الأسر ولم يقتل بعد الأسر إلا نصر، وعقبة بن معيط، وعلى هذا الباء بمعنى عن.

روي عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن آبائه سلام الله عليهم قال: لما كان رسول الله ﷺ بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي كرم الله وجهه وقال: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن**

عاداه، **اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل الدين**»، فشاع في البلاد وسمعه أكثر العباد وبلغ الحارث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله ﷺ وهو في عدد من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلي خمسًا فقبلناه، وأمرتنا بالزكاة والصوم والحج فقبلناه، ثم لم ترض بذا حتى قلت ورفعت ضبعي ابن عمك ففضّلته علينا وقلت من أنا مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال ﷺ: «**والله الذي لا إله إلا هو إن هذا أمر الله تعالى**». فولى الحارث وهو يقول: اللهم أمطر علينا حجارة من السماء وأتنا بعذاب أليم واقع إن كان ما يقول محمد حقًّا، قال بعضهم: هذا السائل هو رسول الله ﷺ استعجل بعذاب الكاذبين، فبين الله أن هذا العذاب واقع يأتيه أجرًا لآية: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [المعَارج: 5].

﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣﴾

﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وفي الكشاف: تضمن سأل بمعنى دعا، ولذا تعدى بالباء ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعَارج: 3] أي السماوات الرفيعة، أو الغسق الذي بين كل سمائين وأرضين والفواصل والنعم والدرجات الوثيقة والمصاعد فهي الدرجات العالية التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، ويترقى فيه المؤمنون في عرض ملكوتهم ودرجة جبروتهم، أو في دار ثوابهم بعد الفراغ عن حسابهم، أو معارج الممالك التي يعرجون إليها، وإنما المعارج صفة لله جرت على غيرية من هي له، فإن صفة الأرواح التي هي مختلفة العروج والملائكة بتعبيره ما بعده ملائكة الروح.

﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾

﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ أي إلى الله، والعروج معنوي لا حسي، والألزم أن يكون الله في جهة والروح، أما جبرائيل ومطلق الأرواح ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ﴾ أي قدر اليوم ﴿خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعَارج: 4].

واعلم أن الله تعالى خلق العالم وأجراه على أربعة أدوار في أربع مراتب، وأما في مرتبة الواحدية نظام الجبروت وهي الدورة العظمى النورية، والثانية في مرتبة الملكوت وعالم الأمر والأرواح وهي الدورة الكبرى. والثالثة في مرتبة

البرزخ وعالم التلاقي في الذروة والوحي. والرابع في مرتبة الملك وعالم الشهادة هي الدورة الصغرى النورية الوجودية الجمالية، ولكل دورة منها مدة معينة وعدة مبينة، فدورة العظمى لها ثلاثمائة ألف وستين ألف سنة مقدارها ثلاثمائة وتسعون يومًا من الأيام الإلٰهية مقدار هذا اليوم ثلاثمائة وستون سنة من سني ما دونها، ومقدار هذه السنة أيضًا ثلاثمائة وستون يومًا، ومقدار هذا اليوم ألف سنة، وسنة الدورة العظمى تسمى سنة إلٰهية، وسنة الدورة الكبرى تسمى سنة ربوبية، وحقيقة هاتين السنتين هي امتداد الحضرة الإلٰهية وديمومتها وهي الدائم، فإذا نسب الحضرة الإلٰهية ومرتبة الجبروت وعالم الواحدية يسمى بالوقت وهو الذي يقع فيه التكوين الإبداعي «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**».

وإذا انتسب إلى مرتبة الربوبية وعالم الملكوت والأرواح سمي بالدهر «**لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله**»، وقال أيضًا: «**لا تسبوا الدهر فإن الله عزَّ وجل يبعث الدهر في الليل والنهار وأنا أجده وأبديه وأذهب بملوك الدنيا وآتي بملوك**»، ويقع فيه الإيجاد والتكوين البرزخي والاختراع ويخلق الكون، فإن مقدار اليوم البرزخي ألف سنة وحقيقته هو الامتداد الزماني والاستمرار الروحاني، ويقع فيه التكوين البرزخي والتصور المثالي والتحرير غيابي شبحي، وتسمى هذه الدورة الوسطى البرزخية، وتنقسم هذه الدورة ثلاثة أقسام: عالم الملكوت إلى ثلاثة: الأعلى والأوسط والأدنى الأرضية، فمقدار يوم البرزخ الأعلى ألف سنة، ويوم الأوسط هو مائة سنة، قال: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ [البَقَرَة: 259] الآية.

ويوم البرزخ الأدنى عشرة سنين وحقيقته هو الامتداد الخيالي، ويسمى بالعصر ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: 1 ـ 3] الآية.

ومقدار يوم المرتبة الشهادية والدورة الصغرى الجسمية معروف، وهو أربعة وعشرون ساعة، وإن في كل مرتبة دورة سماوات وأرضًا وفيها حركات لائقة وهيئات متوافقة مناسبة، فحركات فلك الدورة العظمى عقلية كحركات فكرية، وحركات فلك الدورة الكبرى روحية كحركات الأرواح والنفوس إلى الأجسام، وحركات السماوات الدورة الوسطى الخيالية برزخية كحركات القوة المتخيلة في الموضوعات المثالية والمثل النورية، وحركات سماوات الدورة الصغرى جسمانية

كحركات الأجسام العنصرية على المركز، فمقدار حركات الأفلاك العقلية والروحية والجنانية والجسمية سمي بالوقت والدهر والعصر والزمان، فالوقت ظرف التكوين الإبداعي، والدهر ظرف التكوين والاختراع، والعصر ظرف التكوين والخلق البرزخي، والزمان ظرف الحوادث الزمانية والتكوينات الطبيعية، وفي كل دورة طبيعة مرتبة ودنيا وآخرة وما يلزمهما من الموت والحياة وغير ذلك من الصناعات والقيامات. وهذا في الأدوار النورية الجمالية الوجودية.

وأما الأكوار الظلية والجلالية العدمية فأربعة، وأسماؤها هي الأسماء والأدوار، وكذا لكل دورة من الأكوار الأربعة العظمى أو الكبرى والوسطى والصغرى، أفلاك وأرض ودنيا وآخرة وظهور ساعات وقيام قيامات. وللأفلاك حركات ولها امتدادات وهي باطن الوقت والدهر والعصر والزمان وأحوال هذه الأمور عكس أحوال الأدوار النورية الوجودية، مثلًا أن سماوات الأدوار عالية مرتفعة وأرضها ناقلة منخفضة، فسماوات الأكوار سافلة منخفضة، وأرضها عالية مرتفعة فلتغيرها في المرايا والأجسام السفلية، فإنك إذا نظرت في الأواني المملوءة والمرايا الموضوعة على الأرض تجد السماء سافلة والأشجار منعكسة فتجد الأرض التي هي مفرش الأشجار مرتفعة عالية إلا أن الأدوار والأكوار وما فيهما متداخلة متدامجة بداخل الجلال في الجمال وبالعكس، وبداخل الليل في النهار والنهار في الليل ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [آل عِمرَان: 27].

فإذا كان حكم فردارية نوبة الجمال والنور صريحة كان حكم فردارية نوبة الجلال والظل صمتًا خفيفًا، فإذا تمت الأدوار اقتضاءها انتقلت الفردارية إلى سلطان الجلال وأحكام فردارية أكوارها، فصارت أحكام الأكوار صريحة واقتضاءات الأدوار ضمنية.

واعلم أن كل دورة وكورة تكون أعلى تكون من مبدأ أقرب ومن المركز أبعد، وتكون مقتضياتها أعظم ومرتضياتها أجلّ وأجسم وهي محيطة على باقي الأدوار، وكذا الأدوار بعضها محيطة بالبعض وكل ما كان أقرب إلى المحيط على الكل يكون أعظم وحركتها أسرع، وما يكون أقرب إلى المركز يكون أصغر وحركتها أبطأ، فكل دائرة من الدوائر المتوازية وهي أعظم بعد التغيير والفساد. وكذا

مقتضياتها أبعد من الفساد والانحلال والتبدد والانفصال فيكون بقاؤها ووجودها أطول ومدة الوقت دهرًا كان أو عصرًا أو زمانًا أطول، أو سنته وشهوره وأيامه أكثر ودورته أوفر وأكبر، فإذن لا بد وأن تكون مدة الدورة والكورة أطول وسنينها وشهورها وأيامها أكبر وأجلّ من مدد سائر الأيام والأدوار والأكوار، وكذا أعمار أعيانهما وأكوانهما أطول، فأعمار أعيان الدورة العظمى دهر وأعصار وهما زمان ومدة أعيان الدورة الكبرى أعصار وأزمان، ومدة أعيان الوسطى أزمان، ومدة أعيان الدورة الصغرى أجزاء الزمان بأن يكون ألف سنة أو أكثر أو أقل.

وأن كل دورة أعلى وأعظم فلا بد وأن يوجد مقتضياتها في الدورة الأدنى، فأعيان الدورة العظمى وهي الحقائق الإلٰهية والماهيات الكونية والأعيان الثابتة لا بد وأن توجد في الدورة الكبرى والوسطى والصغرى، وكذا الحال في الأكوار وأكوانها وأحوالها، فكلما وقع في الكتاب الإلٰهي مما ينبئ عن نكبة الأوقات والعصر والزمان فإشارة إلى وقت عروج أعيان كل دورة من الأملاك والأرواح، وفي ذكر الروح والملائكة إشارة وإشعار إلى أن المعراج روحاني لا جسماني، قبل إشارة أو مدة عمر الدنيا من أولها إلى آخرها لا يدري أحد كم مضى من الدنيا وكم بقي إلا الله.

والمراد هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار ألف سنة لطول هذا اليوم، قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليخفف على المؤمنين حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة يصلِّها في الدنيا**». وقال أيضًا: «**إذا أدخل الله عز وجل الموحدين النار أماتهم الله فيها، فإذا أراد أن يخرجهم آمنهم ألم العذاب في تلك الساعة**».

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾

﴿فَاصْبِرْ﴾ في المعراج والإيلاج والخروج والاستواء، استعجال طبيعي واضطراب نوعي متعلق بسأل لأن السؤال كان عن استهزاء إذ استعجال البعض بالعذاب إنما كان على وجهين: الاستخفاف والسخرية برسول الله ﷺ، والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ فيأمر بالصبر عليه ﴿صَبْرًا﴾ كاملًا ﴿جَمِيلًا﴾ [المعَارج: 5] أو بقرب وقوع العذاب وسطوع العذاب، يعني فاصبر أنت يا محمد ولا تستعجل ولا تضطرب.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦﴾

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ أي يوم القيامة الذي يقع فيه العذاب القليل لاستخفافهم ﴿بَعِيدًا﴾ [المعَارج: 6] لعدم الاعتقاد وإيمانهم به.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعَارج: 7] أما كلام المؤمنين لكمال إيمانهم وصفاء عقيدتهم، وأما إذا كان من كلام الله فظاهر إذ لا تفاوت بالنسبة إليه القرب والبعد إذ الأدوار والأكوار وما فيهما من الأعيان والأكوان وأحوالها من الحركات وأطوار الهيئات وتطورات الشؤونات إنما تكون على السواء بالنسبة إلى علم الله تعالى وكل من قدرته ومشيئته بالنسبة إليه قرب وبعد، وبعد ليس عند ربك صباح ومساء.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ [المعَارج: 8] ظرف لقريبًا أو منصوب بمضمر دلّ عليه واقع أو بدل عن (في يوم)، والمهل هو النحاس المذاب أو دردي الزيت.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ [المعَارج: 9] كالصوف المصنوع المندوف أو المنفوش، إذ أول ما تتغير الجبال تصير رمادًا مهيلًا ثم عهنًا منفوشًا ثم تصير هباءً منثورًا.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ [المعَارج: 10] قريبٌ قريبًا لاشتغاله بشأن نفسه فلا يدرك شيئًا غير نفسه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١﴾

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعَارج: 11] ويرونهم وليس من الفئة مخلوق إلا وهو يبصر ويرى صاحبه وغير صاحبه من الجن والإنس، فإذا رأى الرجل أباه وولده وأقرباءه وعشائره لا يسأله، وإذا رأى صديقه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه، وإذا عدوه كالمجرمين المؤمنين كان ذلك أشد عليه، فإن الإنسان إذا كان في بلاء شديد ورأى عدوه في تلك الحالة كان ذلك أشد عليه. سئل أيوب عليه السلام

عن شدائد بلائه، قال: ما رأيت بلاءً أشد من شماتة الأعداء. ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ والكافر والمشرك ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [المعَارج: 11] وولده وحفدته.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته وبنيه مفعول (يفتدي) ويومئذ مذهول بعذاب بمعنى التعذيب ﴿وَأَخِيهِ﴾ [المعَارج: 12] بنو العلات أو غيرهم.

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ وعشيرته وأقربائه من ذوي الأرحام وغيرهم ﴿ٱلَّتِى﴾ فصل منهم ﴿تُـْٔوِيهِ﴾ [المعَارج: 13] في البيت، يعني أن المجرم لو افتدى وجعل فداء ليخص نفسه من الأبناء والآباء والزوجات فلكل ما أحسن إليه من الأموال أو النسب.

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مما أحبه، فلا يعني لو كان كل ما في الأرض وعلى الأرض من الجواهر النفيسة والفواخر الشريفة ومن الحيوانات والإنسان في يده وتحت تصرفه فيفتدي به ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعَارج: 14] من العذاب ثم الاستبعاد في النجاة، يعني ليس الأمر على ما يتمنى بالترتيب.

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ للرّدع دال على الافتداء بما ذكر لا ينجح ولا ينفع، وهيهات أن يجحده وينفعه في التخليص والإنجاء ﴿إِنَّهَا﴾ أي النار التي قد ذكرها لدلالة العذاب عليها ﴿لَظَىٰ﴾ [المعَارج: 15] أي تلهب وترفع لهيبه، أو يجوز أن يكون الضمير تفسير لظى أو ضمير قصة. ولظى علم للنار منقول من الله وهي معرفة لا نكرة ولهذا نزلت.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾

﴿نَزَّاعَةً﴾ نصبت على الاختصاص والحال المؤكدة أو المنتقلة على أن لظى بمعنى متلظية، وقرأت بالرفع على أنها خبر لظى، وجعلت الجملة خبرًا عن ضمير القصة، يعني أن القصة أن لظى نزاعة وهو القلع والفض ﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعَارج: 16] أي الأطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس متعلقة بنزّاعة،

ويجوز أن يكون للذم، تقديره: أنها لظى وهي نزاعة وقالعة للشوى، يعني كلما أفنت بالنار لحوم الأطراف وأحرقتها أعيدت ثانية وثالثة، إلى غير ذلك ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النِّساء: 56].

﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾

﴿تَدْعُوا۟﴾ أي تطلب النار واللظى الكافر والمشرك بلسان الحال كما قيل: (سال من الأرض من سلاسل أنهارك وغرس أشجارك، فإن لجنبك جوارًا ولجانبك اعتبارًا) أو يخلق الله في النار الكلام لتنطق صريحًا: يا كافر، ويا منافق. أو المراد لها بالدعوة والإهلاك من قولهم: دعاك الله أي أهلكك الله، أو بتقدير المضاف رأى علامة النار ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ واستدبر عن الحق وكلامه ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعَارج: 17] وأعرض عن الطاعة والعبادة إلى جمع الأموال من النقد والجنس وتحصيل الجاه.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعَارج: 18] وحفظها واختزنها ودفنها.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ [المعَارج: 19] شديد الحرص في جمعه، قليل الصبر في صنعه.

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ ولمسه السوء والمكروه والضرّ ﴿جَزُوعًا﴾ [المعَارج: 20] أي يظهر الجزع والاضطراب والفزع.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ والمال الكثير يصير ﴿مَنُوعًا﴾ [المعَارج: 21] يمنعه عن الفقراء أو المستحقين، تفسير للهلوع، يعني إذا ناله شر مخالف لإرادته أظهر شدة الجزع وحدة البؤس والفزع، وإذا ناله خير ومال كثير ونفع، بخل واستغنى وكذب بالحسنى ومنعه عن الناس. أو المراد الفقر والغنى إذا استغنى منع المعروف وشح،

وإذا ظهر الفقر والفاقة جزع واضطرب، أو الصحة والمرض فإذا ظهرت الصحة واستمرت العافية غفل عن الموت. قال النبي ﷺ: «**إني لأفرح بالطاعون لأمتي فيه خلتان، أما إحداهما: فهي شهادة، والأخرى: فزهد في الدنيا ورغبة في الآخرة**».

وإنما تعشق قلوب العباد طول الأمل وصحة الجسم، وإذا مرض قلق واضطرب. قيل: الهلوع هو الذي لا يشبع، أو هو الجهول المتقلب في شهواته، أو الذي لا يرضى بالموجود ويسخط عند المفقود، وإذا أيسر منع، وإذا اعتبر جزع، وإذا مسّه الخير لم يشكر، وإذا مسَّه الشرّ لم يصبر. والمراد به الإنسان عامة بدليل صحة الاستثناء. والهلوع ضربان: ملكة نفسانية لأجلها يقدم الإنسان على إظهار الجزع والفزع، وجسمانية هي الفعل والقول الدالان على تلك الحالة النفسانية، فالأولى اضطرارية، والثانية اختيارية.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِلَّا﴾ المؤمنين ﴿ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعَارج: 22، 23] كمًّا وكيفًا، إما بالمواظبة عليها في تمام الأوقات أو بكمال التوجه إلى الله من غير أن يخطر بباله غيره ولا يشتغل بجوارحه إلى غير الصلاة بل يقبل بشراشره إلى أداء آدابها أصرَّ على أدائها من غير التفاتٍ إلى شماله وجنوبه ويمينه ويساره، يعني يكون حاضر القلب، ناظرًا للحق في الشهادة والغيب. قال آدم الأولياء علي المرتضى: رأيته فعرفته ثم عبدته ولم أعبد ربًّا لم أره.

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ [المعَارج: 24] مقدَّر مفروض.

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ أي لسان السؤال إما بالنطق أو الكتابة والمقال والإشارة والكناية، أو بلسان الحال كما للحيوانات والنباتات كما يفهم الزراع من الزرع طلب الماء والشرب من الأشجار والثمار، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعَارج: 25] والمراد بالحق هو الزكاة المفروضة.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ﴾ ويؤمنون ﴿بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المعَارج: 26] البعث والنشر والحشر وما يلزمها من الجنة والنار والصراط والحساب والميزان والثواب والعذاب.

﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المعَارج: 27] خائفون على أنفسهم ومشفقون من أمرين: الخوف عن ترك الواجبات، والخوف من الإقدام على المحظورات لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60]، ولقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحَجّ: 35]. ومنه يدوم به الخوف والإشفاق فيما كلف يكون حذرًا من التقصير، حريصًا على القيام بما كلف من علم أو عمل.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾

ولذا أكد ذلك الخوف بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [المعَارج: 28] والمراد أن الإنسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات كما ينبغي والاحتراز عن المحظورات بالكلية بل يجوز أن يقع منه تقصير في شيء من ذلك، فلا جرم لا يخلو من خوف أصلًا ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: 32].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المعَارج: 29] عن الزنا والاستمتاع بالمحرمات.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ وأيديهم من المملوكات ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المعَارج: 30] أي لا يتعلق بهم اللوم والحرج بمباشرة الأزواج ومعاملة الأدراج.

﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ﴾ وحاول ﴿وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ الأمر المباح المذكور ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المعَارج: 31] المتجاوزون عن الحد المحدود والأمر المعهود.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ [المعَارج: 32] لحفظ أماناتهم ووقاية مستودعاتهم وصيانة ودائعهم والمراقبة على الوفاء بعهودهم ومواثيقهم ﴿رَاعُونَ﴾ [المعَارج: 32] ولشرائطها أو لأسباب رعايتها داعون، أو إلى رعاية أهلها ساعون وإلى سعاية مراقبتها مسارعون.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ﴾ وأداء حقوقهم وإقامة حقوق وثوقهم ﴿قَائِمُونَ﴾ [المعَارج: 33] لا يخفون شيئًا منها ولا ينكرون أمرًا يجب الإقرار به والاعتراف بحقه ولو أنفسهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ [المعَارج: 34] الروحانية، وعلى عباداتهم السرية وهي شهود التجليات الآثارية والأذكار الخفية ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الأعراف: 205]، ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [المعَارج: 34] دائمون على إقامة حدودها مواظبون.

﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ﴾ [المعَارج: 35] الموحدون والعابدون المؤمنون في جنات بديعة ودرجات رفيعة، فجنة الموحدين روحانية وهي تجليات أفعالية وتوحيد فعلي، وجنة العابدين هي جنة بهية وربما يتجلون بالتجلي الآثاري ويشهدون بعين بصور الآثار، أعني الأجسام فلكية كوكبية كما وقع للخليل ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعَام: 76]، ويشاهدون التوحيد الآثاري بصورة كلية الأجسام أو بصورة الإنسان الكامل الخلق كما شاهد نبينا ﷺ: «**رأيت ربي في أحسن صورة شاب قطط**»، فإن شاهد بكلية صورة الإنسان تسمى توحيدًا صوريًا، وهذا شرف التوحيد الآثاري ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ [المعَارج: 35] من الكرامة وهي الشرف والعظمة، أي معظمون بتشريفات وبتجليات ربانية غير متناهية.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ﴾ من الأعراب سيما قريش حولك وجوانبك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ [المعَارج: 36] مغفلين مبادرين مسرعين.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المعَارج: 37] أي الكافرون يتفرقون فرقًا شتى يمينًا وشمالًا، جمع عزة أصلها عزوة أي متفرقين يمينًا وشمالًا، أو كانوا جماعات منقوص بالواو والنون أصلها عزوة، والكلام فيه كالكلام في عضين، وقد تقدم. وقيل: كان المستهزؤون خمسة رهط.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ [المعَارج: 38] نزلت حيث كان المشركون يحتفون حول النبي ﷺ خلقًا خلقًا ويصيرون فرقًا فرقًا ويستمعون الكلام ويستهزؤون ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما زعم محمد ﷺ فنحن أحق بها. والاستفهام للإنكار، أي يطمع ويرجو أن يدخل الجنة بلا إيمان ووفور شك ووجود كفر وشرك مع أن الله تعالى خلق الجنة للصالحين من المؤمنين جزاء العمل الصالح والإيمان.

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [المعَارج: 39] تعليل للرّدع ونفي زعمهم الفاسد، يعني أن زعمهم هذا باطل لأنهم هم مخلوقون مما يعلمون من أنه مثل الكل هو نطفة ومضغة وعلقة، والنطفة والبول مخرجان من ممر واحد ونفس للمد حجتان عليهم في الخلق حتى يكونوا أحقاء للدخول في الجنة مع أنهم استجمعوا الصفات الرديئة والهيئات الدنيئة والنعوت الرذيلة والخسيسة، فأنتم بهذه الصفات الرذيلة لا تناسبون عالم القدس الذي هو موجود للأعيان المطهرة والملائكة المقدسة التي لا تجامع الشيطنة والكدورة والظلمة، فكيف تدخلون الجنة التي هي مدخل الطاهرين والطاهرات والمتقدسين المستأنسين بالله المتخلقين بأخلاقه وأوصافه.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ مدخول محذوف، أي فلا الأمر وليس الحال على ما زعمتم، أقسم ﴿بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ [المعَارج: 40] المشارق الأيام، فإن في كل يوم مشرق ومشارق كذلك، وباعتبار اختلاف المطالع بحسب اختلاف عروض الآفاق، فإن لكل أفقٍ عرضًا وفي كل عرض مشارق ومغارب، ففي خط الاستواء عديم العرض بحسب مثل منطقة البروج عن معدل النهار مشارق ومغارب، وفي ذوات العروض أيضًا مشارق ومغارب تغاير تلك المشارق والمغارب لأمرين أحدهما مثل المنطقتين معًا، والثاني مثل إحداهما عن الأخرى إلى أن يصير المشرق للشمس والقمر وبعض الثوابت نقطة الشمال والمغرب ونقطة الجنوب، وتدور الشمس في ذلك اليوم بليلة فوق الأفق ولا يغرب في ذلك اليوم بل يكون يوم ذلك الأفق في هذا الوقت أربعًا وعشرين ساعة، وهكذا تختلف المشارق ويزداد النهار إلى أن بلغ عرض التسعين، فالنهار في هذا العرض يصير ستة أشهر، فالشمس في هذا العرض لا تغرب في هذه الشهور بل تدور فوق الأفق، وابتداء اليوم في هذا العرض إذا حلت في صغر الحمل وانتهائه إذا دخلت في الميزان، ففي هذه الحالة تأخذ في الغروب والليل ويزداد الليل إلى أن يصل ثانية إلى الحمل فيتم دورة الشمس في أجزاء منطقة البروج في يوم بليلته، فإن لكل شخص بل لكل جزء من أجزاء كرة الأرض مشارق ومغارب ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعَارج: 40].

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١﴾

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ بأن نذهبهم ونأتي بقوم آخرين بدلًا منهم ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [المعَارج: 41] مغلوبين عاجزين في هذا التبديل غير فائزين في هذا النقل والتحويل.

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢﴾

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾ [المعَارج: 42] ويستعلوا في الدنيا بما لا يغنيهم ولا ينفعهم عاجلًا وآجلًا ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [المعَارج: 42] أي يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ والقبور في الحشر والنشر ﴿سِرَاعًا﴾ جمع سريع كعظام وعظيم وكرام وكريم، مسرعًا إلى ما أجابه الداعي ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ [المعَارج: 43] فيه ثلاث لغات بفتح النون وسكون الصاد هو مصدر بمعنى المفعول، أي منصوب للعلم والإدراك، وبضم النون وسكون الصاد جمع بضد كأسد وأُسُد وفُلُك وفلك وهو مثل ضَعف وضُعف وهما لغتان بفتح النون والصاد، وكحصيب يعني إلى ما سوى الله وغيره مما هو منصوب للعبادة ﴿يُوفِضُونَ﴾ [المعَارج: 43] يسرعون إلى عبادة غير الله فيتبادرون ويسرعون.

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ قد مر تفسيرها وإعرابها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ وتغشيهم وتحيطهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ حقارة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ﴾ هو اليوم ﴿ٱلَّذِي كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعَارج: 44] فيه الجزاء والثواب وعقابًا ونكالًا وعذابًا. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (سأل سائل) أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل دعوة نوح النفس المطمئنة سببًا لنجاة القوى الروحانية، وذريعة لاستهلاك المباني النفسانية والمبادي الجسمانية بماء طوفان التوحيد الآثاري والتفريد التصوري ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي جعل عموم دعوته جمهور أعيان قوى النفس الأمَّارة، والمباني الجسمانية علّة لأعرافهم وذريعة لاقترافهم ووسيلة لاحتراقهم في الماء الناري المنبعث من بحر الشوق إلى محيط عالم الإطلاق ومحدث الفلك الذاتي وسماء الاشتياق ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أوصل الطالبين إلى نهاية مطلوبهم، وبلَّغ الراغبين إلى غاية مأمولهم ومرغوبهم.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ عشيرته وقبيلته ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي بأن إنذاري للإنذار أو بأن قلنا له: أن أنذر. ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الإرسال معنى ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ﴾ أي طوفان تجلي ذاتي وحدث رحماني ﴿أَلِيمٌ﴾ [نُوح: 1] مؤلم مهلك مسلب عن تعيناتهم، مغرب هوياتهم ومغرب ماهياتهم بأن أرجعهم إلى حدود عدميتهم وخلاء ماهيتهم العدمية وأخبرهم بأنهم في أنفسهم فانية وفي حقيقتهم هالكة غير مالكة لشيء، إشارة إلى تقدم السلوك على الجذبة.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [نُوح: 2] أي منذر مخوف مخبر عن الوعيد

أي التجلي الذاتي والجذب الرحماني الذي يجذب الحقائق الإلٰهية والكونية إلى أجلها .

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ واشهدوه في جميع المظاهر في كل الأحوال وتمام الأطوار والأفعال والأقوال يتناول جميع الواجبات الموقوفة عليها التجليات من المناعات البدنية والعبادات النفسانية والزيادة الروحانية ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [نُوح: 3] في تمام المراتب والنزول والعروج والخروج والولوج في الأدوار النورية والأنوار الظلية المفسرة للإنذار يتناول أمر تمام المأمورات والمنهيات، هذا وإن كان داخلًا في الأمر لعبادة الله إما أنه خص بالذكر في ذلك التكليف مبالغة وتعظيمًا وتكريمًا لأمر الإطاعة .

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ من للبيان، أي يسركم ويخلصكم من الذنوب الصادرة عنكم إشعارًا بأن عدم مؤاخذة بالمجموع لا يوجب عدم المؤاخذة بكل واحد، إذ انتفاء الخاص لا يوجب انتفاء العام، كأنه يقول: لا أجادل بمجموع ذنوبك لكن أجادل بهذا الذنب الخاص، وإذا جعلت صلة يكون تقديره: يغفر لكم كل ما كان من ذنوبكم، وبهذا الفيض عدم المؤاخذة بالمجموع وبكل واحد وفرد وجعلها للتبعيض تناسب المعنى الأول ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ يعني قضاء الله في سابق علمه أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة، وإن أصروا على كفرهم أهلكهم فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى، إلى وقت جعله غاية طولًا لأعمارهم وهي تمام الألف ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ﴾ أراد إذا نقص الأجل ﴿لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نُوح: 4] زجر عن حب الدنيا وعن التهالك عليها والتكالب إليها والإعراض عن الدين والإسلام والشريعة ومخالطة أهل اليقين بسبب حبها، يعني إن علوهم في الدنيا وطلب لذاتها قد بلغ إلى حيث يدل على أنهم شاكون في الموت، ضاحكون عن جعله نصب أعينهم مع الفناء والفوت .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ أي النفس الأمارة واللوامة والملهمة وقواها العاملة والمبادئ النظرية والحركات الفكرية إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿لَيْلًا﴾ في اقتضاء الدورة الجلالية الضمنية ﴿وَنَهَارًا﴾ [نُوح: 5] في اقتضاء الدورة النورية الجمالية صريحًا.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ﴾ ودعوتي إياهم إلى الكمال الجمعي ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ [نُوح: 6] أو تنفُّرًا لعدم حصول الاستعداد وللوصول إلى الكمال المذكور والجمع المسطور، وبهذا التصور وبعد النظر في الحقيقة هو القرب والتقرب لأنه من جملة معدنه وتتمة مقرباته، إذ لولاه لما اشتمل نظرنا عليهم ولم نتعلق بهم، وإن كان نظر القهر والغضب، فإن نظر المحبوب على أي كيفية كان هو مطلوب المحب. وعلم أن هذه الآية تدل على أن جميع الحوادث بقضاء الله وقدره، وذلك لأنا نرى اثنين يسمعان دعوة الرسول في مجلس واحد بلفظٍ فيصير ذلك الكلام في حق أحدهما سببًا لحصول الهداية والميل والرغبة إلى الحق وأحكامه، وفي حق الثاني سببًا لنفور وازدياد النفرة، وليس لأحد أن يقول: إن تلك النفرة والرغبة حصلتا باختيار المكلف فإن هذا مكابرة لنفسه في المحسوس إذ صاحب النفرة يجد قلبه كالمضطرب في تلك النفرة، وصاحب ذلك في حصول الرغبة. ومتى حصلت تلك النفرة وجب أن يحصل عقيبه التمرد والإعراض، وكذا متى حصلت الرغبة حصلت غيبة الانقياد والطاعة وليس لكل منهما اختيار في حصول النفرة والانقياد.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ولما كان الغرض من الدعوة تحصيل المغفرة والطاعة والعبادة اللتين الغرض منهما أيضًا المغفرة صرح بالمغفرة ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ﴾ أي أنامل أصابعهم، فذكر الأصابع للمبالغة للتمرد والتنفر ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ﴾ [نُوح: 7] استتروا بصور أعمالهم الحسية ولباس أفعالهم النفسية

﴿ثِيَابَهُمْ﴾ وثبتوا في امتناع قبول الدعوة والاستنكاف عن امتثال الحق واستمروا عليه ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ عن الإصغاء إلى الدعوة واستنكروا منها ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ [نوح: 7] قلبيًّا واستنكارًا نفسيًّا وغيبيًّا وشهاديًّا وحسيًّا، وأكبوا على الكفر والعصيان والشرك والطغيان.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾ [نوح: 8] أي علانية وإظهارًا.

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ وأظهرت وجعلت الدعوة علانية وظاهرة ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ وأخفيت ﴿لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: 9] إخفاء إشعارًا بأن مراتب الدعوة ثلاثة أحدها: بالقول وهو الشريعة إذ النوع أول شارع. والثاني: بالعقل، وهو علم الأخلاق وتهذيب الأوصاف وتذهيب الملكات الباطنة وتحسينها وتبديلها من الذميمة إلى الحميدة وإزالة الأخلاق الرذيلة والتخلق بأخلاق الله والتحقق بصفاتها ونعوتها وهو الثالث، وأشار إليها النبي ﷺ بقوله: «**الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي**»، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النّحل: 125]، وهي الفناء والإفناء في الله تعالى، وإيراد ثم مشعر على تراخي أمور الطريقة عن أحكام الشريعة وجمع الإسرار بالإعلان لشيء بأن الحقيقة إنما تترتب على العمل المقرون بالإخلاص لا على مجرد القول وطول الأمل وتمني تأخير الأجل، فإنه لا ينتج شيئًا ولا يستمر أمرًا كما أشار النبي ﷺ بقوله: «**مَن عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعمل**».

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [نوح: 10] في الطور السري الذي هو موطن انكشاف الحقيقة وتجليها أولًا بصورة الآثار، ثم بنعوت الأفعال وهيئاتها، ثم بتعينات الأسماء والصفات الذاتية، ثم ثمرات الذات من حيث إنه ذات بعنوان الذات.
وللقلب بكل طور من الأطوار السبعة الغيبية استغفار، ففي الطور القالبي له نوع من الاستغفار، وفي الطور النفسي أيضًا استغفار، وكذا في الطور السري استغفار

وهو التجلي الآثاري وتوحيده في الطور. وفي الطور الروحي أيضًا له استغفار وسر وهو العلم الروحي والعقل وتوحيده، وفي الدور الحق كذا له استغفار وتمني وتوحيد اسمي ووصفي، وفي طور غيب الغيوب استغفاره تجلي ذاتي وتوحيد ذاتي.

وأما في الطور الكمالي الجمعي والجمع الكمالي واستغفاره تجلي جمعي وتوحيده كل محيط بتمام التوحيد المذكور، فإن هذا التوحيد الجمعي يحيط بجميع التوحيدات بأن يشاهد هيئة تجليه وصورة جمعيته ووحدة إحاطيته كالوحدة المزاجية الحاصلة من امتزاج الاسطقسات الأربعة، فإن الكيفيات الأربعة والصورة النوعية العنصرية موجودة في الوحدة المزاجية، فمن أدركها حسًّا، لمسًا أو ذوقًا أو نفسًا أو شمًّا أو سمعًا أو بصرًا حصل عند المدرك أمر كلي وجداني محيط على الكيفيات النفسانية والكيفيات الجسمانية اللمسية أو السمعية أو البصرية أو الذوقية أو الشميَّة، مثلًا إذا ركبت النعمة الحادة واللينة حدثت كيفية وحدانية ليست كلًّا منها، وكذا إذا ركبت الألوان والأشكال والروائح والمذوقات هذه إدراكات حسيَّة. وأما الإدراكات النفسية فكما الأفعال القبيحة والحسنة والمركبة منها وقس عليه البواقي.

وأما في الإدراكات الروحية فهي الطيبة والخبيثة والمتوسطة، وأما الإدراكات فكذلك تكون مفردات ومركبات ومتوسطة، وهي في المركبات التامة الحكم، فإن عقد الحكم لا بد وأن يحضر عند الحاكم الطرفان والنسبة الحكمية وهمية كانت أو خيالية أو عقلية. هذا في الإدراكات الهيولية، وأما في الإدراكات الحضورية والعلوم والمعارف الشهودية الإدراكات ألطف، وإلى التحقيق أقرب وأظهر وأعرف، فتوحيد الكمال الجمعي والجمع الكمالي له في كل مرتبة من المراتب الجوهرية والعرضية مرايا ومجالي كما أشرنا إليه، فمراتب الاستغفار كثيرة ففي كل مرتبة معنى مغاير لمعنى مرتبة أخرى أدوارًا وأكوارًا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نُوح: 10] ستَّارًا في مرتبة من المراتب المذكورة.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ [نُوح: 11] قيل: إن قوم نوح كما كذبوا زمانًا طويلًا حبس الله

عنهم المطر العرفاني وأعقم أرحام النساء أربعين عامًا فما محت أفكارهم وإنكارهم النتائج الإلهية والمطالب الحقيقية فرجعوا إلى نوح، فقال نوح: استغفروا من الشرك حتى يفتح الله عليكم أبواب نعمه ويمنح بأن يهيئ أسباب فيضان أمطار عنايته من سحاب جوده وكرمه. واعلم أن الاستقبال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات، والكفر والفسق سبب لخراب العالم، والإيمان بالله سبب لعمارته. ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجنّ: 16] وغير ذلك من الآيات، ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نُوح: 11] أي أرسل الله تعالى إلى السماء والأسماء الذاتية وأمرها أن تمطر وينزل أمطار المعارف الفطرية على قوم نوح الروح الإلهي والنفسي المطمئنة وهو النفس الأمارة واللَّوامة والملهمة وقواها، فإن الله حين إطاعة قوم نوح لأمر الله كان يفيض على قومه أمطار التجليات الآثارية والمعارف الفطرية النظرية، فإذا تمردوا من طاعة الله وأوامره أمسك الله الأمطار عنهم وصاروا مستحقين لأن يسلط عليهم ماء طوفان التوحيد الآثاري ليستعدوا شهود التجليات الأفعالية والأسمائية والذاتية والتوحيد الجمعي.

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ﴾ العلوم الحقيقية والحكم الفطرية النظرية والعملية والإدراكات المركبة ﴿وَبَنِينَ﴾ [نُوح: 12] من النتائج الفكرية والمطالب النظرية بطريق الاستدلال والحركة والانتقال من الكثرات الكونية والكائنات العينية بطريق الشهود إلى مشاهدة لواء واجب الوجود ومعاينة وحدته وتوحيده في المراتب الفكرية والمظاهر بعد استكمال أطوار الاستدلال بطريق الانتقال من صور كثرات العالم إلى إدراك الحق الحاكم على الكل العالم بالجزاء والكل والجزئي والكلي الصوري والمعنوي، والسبب في الكل هو الاستغفار، ولذا أمر الله حبيبه به بقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النّصر: 3]. قال النبي ﷺ: «**وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة ومائة مرة**». وقال أيضًا: «**ألا أدلكم على دائكم ودوائكم، ألا إنّ داءكم ذنوبكم ودواءكم الاستغفار**».

وعن الحسن رضي الله عنه: أن رجلًا شكا إليه الجدب فقال: استغفر الله. وشكا الآخر الفقر، وآخر قلّة النوم، وآخر عن قلّة الربح، فأمر الكل بالاستغفار، فقيل له: أتاك رجال يشكون إليك أنواعًا من الحاجات فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟ فتلا هذه الآية إشعارًا بأن العبد مؤمنًا كان أو كافرًا، عاصيًا أو مطيعًا حري به أن يستغفر في أية حالة كان.

﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ [نُوح: 12] أربعًا، أما في الدنيا وهي: النيل والفرات وجيحون وسيحون وباقي الأنهار ليس سرًّا في الحقيقة بل هي جُعَيفراتُ إما لقلّة مائها بالنسبة إليها أو لقلة المنافع والفوائد، وأما في الآخرة فهي نهر الماء الصافي وهو نتائج العلوم الحاصلة بطريق الاستدلال، الثاني من اللبن وهو علوم الشرائع، والثالث من الخمر وهو نتائج العلوم الحقيقية والمعارف الذوقية والإدراكات الشوقية، وعلم التوحيد ذاتيًّا كان أو إسميًّا أو فعليًّا أو جسميًّا آثاريًّا يكون حاصلًا بطريق الشهود الغير المقيدة بشرع من الشرائع كما روي أن جبرئيل عليه السلام أتى بقدح من الخمر وبقدح من اللبن، فأخذ النبي ﷺ القدح اللبني وأراق القدح الخمري فقال جبرئيل: هديت الفطرة الأصلية ولو اخترت الخمر لما بقي أحد من أمتك متقيدًا بشريعتك. والرابع: من العسل ونتيجة المعارف الإلٰهية والكونية ثمرة الهيئة الجمعية لجميع المعارف والتوحيدات وحقائق العلوم والإدراكات الحاصلة من التقيد بالشريعة النبوية الختمية الجامعة لجميع الشرائع والطرق والتحقق بهذه الجمعية، إنما هو بكثرة الاستغفار.

قال النبي ﷺ: «**مَن أكثر الاستغفار جعل الله له من كل غم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب**». وأيضًا: «**استكثروا من قول لا إلٰه إلا الله والاستغفار فإن الشيطان يقول: أهلكتُ بالذنوب وأهلكوني بلا إلٰه إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأضواء حتى حسبوا أنهم يهتدون ولا يستغفرون**».

﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣﴾

﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣﴾ [نُوح: 13] أي لا تأملون له ولا تطلبون تعظيمًا له وتجميلًا ولا توقرون أمره وحكمه.

﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ۝١٤﴾

﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ﴾ جملة حالية، وصوَّرهم ﴿أَطۡوَارًا﴾ [نُوح: 14] وخلقكم أنواعًا في الخِلقة وأشكالًا مختلفة وهيئات منظورة دالة على كمال قدرته وشمول قوته وعموم حكمته ووفور نعمته ورحمته.

الرجاء هو الطلب والأمل، يقال: الخوف والوفاء هو العظمة ومنه التوقير، وقد يطلق الرجاء على الخوف أي ما لكم لا تخافون عظمة الله لولا الغيرة أو لأمر آخر من المنافع والمضار أصله هو العقيدة والاعتقاد والتصديق بالله وعظمته يعني ما لكم لا تعتقدون عظمة الله وكمال قدرته وحكمته، والحال أنه خلقكم على أطوار مختلفة أولًا في أصلاب الآباء ثم جعل نطفة في قرار مكين، ثم جعل النطفة علقة، ثم جعل العلقة مضغةً، ثم قسَّمها أجزاء وأعضاء، ثم صوَّرها بصورة مختلفة مكعبًا ومستديرًا ومصمت ومجوف ومثلثًا ومربعًا ومنحنًى وغير ذلك، فجعل المضغة عظامًا وأعصابًا ثم كساهما لحمًا، فهذه الأطوار إنما يستكمل كل منها أربعين يومًا نطفة وأربعين يومًا علقة وأربعين مضغة، فتدبر.

الأول: الزحل، **والثاني**: المشتري، **والثالث**: المريخ، فإذا تمَّت هذه الأطوار في مدة عشرة أيام وارتفع شهر وانتهى التدبير إلى الشمس وهي منبع الأرواح الحيوانية، فاض منها روح حيواني. وأما الروح النباتي فإنه في مدة تدبير المشتري يفيض على العلقة النفس النباتي فينمو ويزداد في المقدار، ثم بعد استكمال الأطوار وانتهاء التدبير إلى المشتري ثانيًا يتولد المولود في تسعة أشهر وعشرة أيام في الأغلب، وأقل مدة الحمل ستة أشهر كما قال تعالى: ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ [الأحقاف: 15]، وقد ينتهي إلى أربعة سنين كما روي أن الشافعي كان كذلك. أو المراد بالأطوار من الأنواع التي هي آخر الأنواع والمعلولات ونهاية التعينات ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾ [المؤمنون: 12 ـ 14]. قال النبي ﷺ: «**إن خلق أحدكم ليجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم أربعين علقة، ثم أربعين مضغة، ثم يبعث ملكًا يكتب أسعيد أم شقي، ويكتب رزقه وأجله**» الحديث.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦﴾

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [نوح: 15] كليَّات متحركات مختلفة كمية وكيفية، شرقية وغربية، وقد استوفينا الكلام في هذا المقام في سورة (تبارك) فارجع إليه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نُوح: 15، 16] ليس المراد أن حرم القمر حاصل في أجزاء السماوات بل في بعض أجزاء فلكه وهو سماء الدنيا لا تدل أن السلطان في العراق ليس المراد أنه متمكن في جميع أرض العراق بل المراد أن حكمه جارٍ وسارٍ في جميع أرض العراق. والمراد بالنور هو الضوء الثاني وكذا الحكمة في قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نُوح: 16] أي ضوءًا أصليًا غير مستفاد من الغير كما قال في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يُونس: 5]، إشارة إلى الدلائل التي بسط الله في الآفاق وفي الأنفس إشعارًا بأنها منطوية على الآفاق ودلائلها، وإنما ذكر الشمس والقمر لشهرتهما ولكثرة احتياج الناس بهما، بل الحيوانات بل النبات بل المعادن والعناصر سيما كرة الماء والأرض وإليه أشار بقوله:

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نُوح: 17] وجعل حركتهما واختلاف أوضاعهما وحلولها في البروج والمنازل سببًا للإنسان وظهوره ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ﴾ [الفُرقان: الآيتان 61، 62] أي أنشأكم وأظهركم، فاستعير الإنبات للإنشاء إشعارًا بأنه أدل على الحدوث وعلى أنه مشترك بين أكثر المركبات. وإنما قال ﴿نَبَاتًا﴾ دون إنباتًا لأن ﴿نَبَاتًا﴾ [نُوح: 17] صفة المخلوق، وإنبات صفة الله، والمقام مقام الاستدلال، والاستدلال إنما كان من أحوال الممكنات المخلوقات إلى الخالق وصفاته، فعلى هذا النبات أحسن من الإنبات.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ﴾ بالإماتة والإعدام ﴿فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ﴾ [نُوح: 18] منها عند البعث

والقيامة ﴿إِخْرَاجًا﴾ [نُوح: 18] حقًّا واقعًا لا ريب فيه، وهذا الدليل الرابع على كمال قدرته وتمام قوته هذا مما جرى في كتابه بأنه كلما ذكر الخلق والإبداء عقّبه بذكر الإعادة كما وقع في أسمائه الحسنى: يا مبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرتك.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ [نُوح: 19] فراشًا مبسوطًا.

﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿لِّتَسْلُكُوا۟﴾ وتتحركوا ﴿مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نُوح: 20] وطرقًا واضحة ساطعة ليسهل الحركة والسلوك بالاختيار فيها لما دعاهم نوح إلى الله ونبههم على هذه الدلائل الواضحة المحسوسة، وحكى عنهم أنواع القبائح الفعلية والقولية.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ بعد دعوتي إياهم إلى التقوى والطاعة لك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ ووافقوا العصاة ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ﴾ من الرؤساء والأعيان والأكابر الذين هم مرجع القوم ﴿مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نُوح: 21] يعني أن جماعة من سفلة القوم التي دعاهم نوح إلى الله وعصوا أمره ووافق هذه السفلة من له مال وولد وقوة من أعيان القوم ولم يزد ذلك المال والولد صاحبه إلا خسارةً في الدنيا والآخرة لكونه سببًا للطغيان ومعصيًا إلى الإغراق بظهور الطوفان.

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَكَرُوا۟﴾ عطف على من لم يرد، والضمير لمن، وجمعه باعتبار المعنى ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نُوح: 22] كبيرًا في الغاية، فأول مراتب الكبير الأوسط وهو الكبار بالتخفيف والنهاية الكبار وبالتقبل ونظيره جميل وجمال وعظيم وعظام وعجيب وعجاب وعجّاب.

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟﴾ أكابر قوم نوح لأتباعهم ﴿لَا تَذَرُنَّ﴾ [نُوح: 23] جمع حذفت واو الجمع لالتقاء الساكنين، أي تتركوا آلهتكم وهم منعوا القوم عن التوحيد وأمروهم بالثبوت

والمال لأن التوحيد أعظم المآرب وأتم المقاصد وأهم المطالب لذا كان المنع أعظم الكبائر وأتم مآرب الأصاغر والأكابر، ولذا وصفه الله تعالى بآية كتابه.
واعلم أن بداهة العقل الصريح قد دلت على بطلان عبادة الأوثان والأصنام المنحوتة، فكيف اجتمعت الخلائق الكثيرة والفرق الصغيرة على هذا، فليس مرادهم من الأوثان والأصنام هذه الأجسام المنحوتة ليرد عليهم أن الله خالق السماوات والأرض وهذه الأجسام المخلوقة المنحوتة ليست خالقة لشيء حقير فضلًا عن كبيرها، فلا بد وأن يطلب لهم أصل حتى ينسب هذا الأمر إليه.

قال أبو معسر حيدر بن محمد المنجم: هذه المقالة إنما تولدت من مذهب القائلين بالتجسيم، قالوا: إن الله نور هو أعظم الأنوار والملائكة الذين هم حافون حول العرش، فالذين اعتقدوا هذه المذاهب اتخذوا أصنامًا هو أعظم الأصنام على صورة الآلهة التي اعتقدوها، واتخذوا أصنامًا متفاوتة الخير والشر والحسد على صورة الملائكة المقربين، واشتغلوا بعبادة تلك الأصنام قصدًا منهم أنهم يعبدون الإله، ومنهم من قال: إن جماعة الصابئة كانوا يعتقدون أن الإله الأعظم خلق الكواكب وفوض تدبير العالم السفلي إلينا، فنحن عبدة الكواكب والكواكب عبدة الإله الأعظم.

مطلب حكاية إدريس عليه السلام

قيل: إن إدريس ﷺ كان نبيًّا صالحًا وحكيمًا ناجحًا فالحًا، وسلطانًا عادلًا، وكان قد عمل طلسمًا على صورة الكواكب كانت خاصيتها أن لا يمرض أحد ولا يموت فرد في هذه الخمسمائة عام في عهد سلطنته وحد حكومته ما مرض واحد ولا مات، وانتقل من دار الدنيا إلى دار العقبى، وقد وقع الخلائق، خصوصًا تلامذته في فرقته وهجرته، فجعل بعض تلاميذه صورة منقوشة في معابدهم وجعلوه قبلة في مساجدهم تسلية لقلوبهم، فلما بعد العهد وماتت تلامذته من الحكماء المتألهين ووقع الحكم في يد الجهّال من المنجمّين عبدت الخلائق تلك الصورة وفشت عبادة الأصنام والأوثان، فبعث الله نوح ليمنعهم عن عبادة غير الله الخالق لجميع الخلائق، فقالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23] هذه أسماء الأصنام والأوثان.

واعلم أنَّ عَبَدَة الأصنام والأوثان قد أخذوا طلسمًا على صورة الكواكب الخاص، وقد شاهد على ذلك الطلسم آثارًا عجيبةً وأطوارًا غريبةً وهم اعتقدوا أن هذه الآثار إنما هي الأصنام، فاستحكمت عقيدتهم على هذه العبادة. أما صالحو القوم قد قصدوا من هذه التماثيل التي كانوا عليها عاكفين أنها أسباب لتقرُّبهم إلى الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3].

روي أن هذه الأسماء الخمسة هي أسماء لأولاده عليهم السلام كانوا مراجع القوم فلما ماتوا قال إبليس لمن تبعهم: لو صورتم صورهم وأنتم تنظرون لكان لكم إلى الله بها تقريب وزلفى. فلما مات ملك الطائفة قال إبليس يتبعهم: إن آباكم كانوا يعبدونها فانتشرت هذه بين القوم فاستمرت عبادة الأوثان، وبهذا المعنى نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور، وأما بعضهم من أصحاب الطلسمات لما شاهدوا آثارًا عجيبة وأنوارًا غريبة منها اعتقدوا أن الله تعالى قد حلّ في هذه الصور وبرز بهذه، وقد كان كامنًا ومستورًا كائنًا فيها فظهر من هذا مذهب الحلول والكمون والبروز. فلما جاء الشرع منع هذه الاعتقادات لأن الله تعالى منزَّه في ذاته وصفاته وأسمائه.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَقَدْ﴾ ضلَّ هذا القوم ضلالًا كثيرًا و﴿أَضَلُّوا۟﴾ [نوح: 24] من بعدهم خلقًا غفيرًا وفرقًا ﴿كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: 24] على أنفسهم بالضلال وعلى غيرهم بالإضلال كثيرًا. وإضلالًا كبيرًا عطف على ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ [نوح: 21] إشعار ثان، الأفعال الاختيارية والاضطرارية إنما هي من الله ومن حكمه وقضائه وخلقه.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ حاصلة، يعني من أجل خطيئاتهم وشؤم فعالهم القبيحة ﴿أُغْرِقُوا۟﴾ بماء الطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: 25] أولًا في القبر، قال النبي ﷺ: «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران**». وأيضًا قال: «**أول عذاب الآخرة القبور لا يعرف شريف من وضيع**». هذا دليل على إثبات عذاب الآخرة لأن هذه النار ليست نار الآخرة لعدم ظهورها بعدها. وقال أيضًا

بالماضي لعدم تحققه وصدق الوعد به ﴿فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم﴾ أي الكفار لأنفسهم في القبر أو الآخرة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نُوح: 25] ما تعين من العذاب وقواسر من العقاب مع أنهم أخذوا الأوثان في الدنيا ليكونوا شفعاء لهم في الآخرة، يعرض يوم القيامة شفعاءهم فلا يقدرون على نصرهم ومنعه عنهم العذاب يوم الحشر والنشر والحساب.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ والمشركين ﴿دَيَّارًا﴾ [نُوح: 26] موجودًا أصلًا واحد منهم قطعًا وهو مما يستعمل في النفي العام، يقال: من الدار أو الدور وأصله ديوار فيفعل به ما يفعل بسيد وميت. يقال: ما بالدار دار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور أو من الدار لا فعال وإلا لكان دورًا.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾ وطباعهم مخلات مدة مديدة وعهدة عديدة لضلّوا ﴿يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾ في عموم بلادك عن طريقك وطريقتك وشرعك وشريعتك ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نُوح: 27] والمبالغة لكثرة أعدادهم ولشدة حرصهم على الشرك والكفر كما قيل: الولد سرُّ أبيه. قال ابن عباس: كان رجل منهم يذهب وينطلق بابنه وولده إلى نوح ويوصي له ويقول: احذر هذا الرجل المختل الكذوب المضل فإنه كذاب وغدار وقلاب مكّار، وأن أبي أوصى بي وحذرنيه، فيموت الكبير على بغضه وعداوته ويوصي الصغير بمخالفته والبغض والاستبعاد عنه، فينشأ الصغير على بغضه وعداوته، وعلى هذا توالدوا وتناسلوا ألف سنة إلا خمسين عامًا، فأخذهم الطوفان. هذا إنما هو بإخبار الله وإعلامه بأنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنًا لأنهم توالدوا وتناسلوا وتوارثوا على الشرك والكفر فحينئذ دعا عليهم لحرمانهم حق إيمانهم وإسلامهم وصلاحهم وإصلاحهم، فأجاب الله الدعاء عليهم فأغرقهم وأهلكهم كلهم، فلم يكن فيهم يومئذ صبي لأنه دعا عليهم بالعقم فانقطع التوالد وارتفع التناسل والتوالد، فلذا استحقوا لأن يصب عليهم العذاب. قال النبي ﷺ: «**لولا البهائم الرتع والمشايخ الركّع والصبيان الرضع لصب عليهم العذاب صبًّا**».

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ اسم ابنه ووالده ملك بن متوشلخ، وأمه شمخا بنت آنوش، وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ وداري ومسجدي أو سفينتي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ عامة إلى يوم القيامة ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: 28] هلاكًا.

واعلم أن أسباب الطوفان إما سماوية أو أرضية، أو هما معًا. أما الأول كانفطار الكواكب وحلولها في البروج المائية وانتقال الكواكب الثابتة من برج إلى برج، أو ثلثه مائي. وأما الأسباب الأرضية فهي كالثلوج المتراكمة على الجبال والأغوار والصحارى والوهاد والوادي الباردة الواقعة في البلاد المرتفعة لا تنعكس عليها أشعة الكواكب سيما الشمس والمريخ والمشتري فتتراكم الثلوج ويجمد والبرد مدة طويلة وبرهة مديدة، وكانت الفردارية لكوكب بارد كزحل فإذا انتقلت الفردارية منه إلى كوكب حار كالمشتري والمريخ والشمس وسائر الكواكب الثابتة ملك البلدة وهبت الرياح الحارة ذابت تلك الثلوج والجمد والبرد، فظهر الطوفان. والطوفان إما ناقص أو تام كامل، هذا هو ناقص، وسبب الطوفان الأرضي لو لم يتفق بالسبب السماوي لم يؤثر. وأما الثالث فهو حصول السببين بالذات لا بالتبع والعرض والمقام الكامل هو الذي أحاط الكل، فإن كان مائيًّا فلا بد وأن يحيط الأرض، وإن كان أرضيًّا لا بد وأن يتخلل الأرض، ويحيط الأرض بجميع كرة العناصر بالاستحالة وذلك إنما يكون قران الكواكب السبعة في المثلثات الأرضية واقتضاء أربابها فإن كانت موافقة لطبائعها تأكد الحكم، فباعتبار المثلثات واقتضاء أربابها ينحصر الطوفان على إثنا عشر نوعًا كلياته ناري وهوائي ومائي وترابي، ففي كل منها إذا وقع السباعي سميا ذاتًا بدت بالكواكب الثابتة عند انتهاء سر طلوع العالم إلى المثلثات، وفيها كوكب من الثابتات فإذا اتفق أن تكون طبيعته إياها ظهور طوفان باقتضاء تلك المثلثات مثلًا لو اجتمع الكواكب السبعة في أول الأسد وانتهى بسير طالع العالم وهو السرطان إليه وفيه قلب الأسد وهو طبيعة النار، ودونه هو شمس مستولية عليه، واجتمعت مع المريخ وانتقلت فردارية الدورة

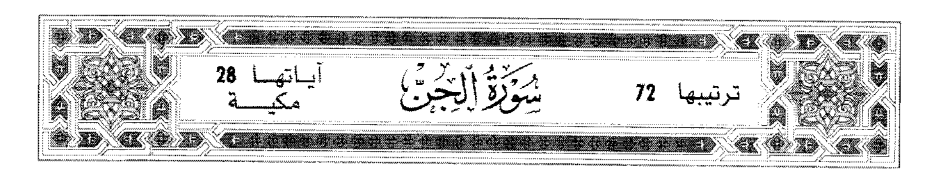
من الجمال إلى الجلال ظهر طوفان ناري، وكذا إذا اجتمعت الكواكب السبعة في الحمل وانتهى سير طالِع العالم إليه واحترق به وهو المريخ وانتهت فردارية الدورة إلى الدورة الأخرى انطبقت منطقة معدل النهار على منطقة البروج ظهر طوفان النار، وهكذا سائر المثلثات الهوائية والمائية والترابية.

والطوفان كما يكون جسمانيًّا عنصريًّا يكون فلكيًّا، وكذا يكون نفسيًّا وروحيًّا وعقليًّا وذلك عند انتقال فرداريته إلى الأدوار الأربعة: العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، ففي بداية الدورة العظمى يظهر الطوفان الفعلي، وفي الدورة الكبرى يظهر الطوفان الروحي، وفي الدورة الوسطى يظهر الطوفان النفسي، وفي الدورة الصغرى يظهر الطوفان الجسمي العظمى، وذلك بأن ظهر واستعلى حكم العقل أو الروح أو النفس أو الجسم وتختفي سلطنة الباقي إلى أن يتساوى لنسبه بجمع بعضها إلى بعض، فيكون المجموع من حيث هو مجموع وهي مرتبة الناسوت، والصورة النوعية الإنسانية والهيئة الجمعية النفسانية محتوية على الكل، منطوية على الجزء، والكل مجتمعة لتمام الطرق وجميع السنن، فيكون أعظم الطوفانات وهو الطوفان الجمعي والجمع الكمالي، فإن نسبة أعيان المراتب الإلٰهية والكونية الملكية والفلكية العنصرية المعدنية والنباتية والحيوانية إلى الناسوت، والصورة النوعية البشرية على السواء، ولذا صدر منها آثارها وظهر منها أنوارها من غير أن يختفي بعضها دون بعض وإلا لزم التحكم.

فإذن لا بد وأن يظهر الكل بخلاف أعيان سائر المراتب، فإن مرتبة النبات لا يصدر عن أعيانها إلا النشوء والنماء وتوليد المثل والمعدن لا يظهر منه إلا حفظ التركيب وأجزائه عن الانحلال، والعناصر لا يظهر منها إلا طلب الخير الطبيعي والميل إليه، والأفلاك لا يظهر منها إلا الحركات الإرادية ليصل مع ما يصل إليها من الأعيان الروحية والجسمية إلى النشأة الجامعة والمرتبة الكلية الإنسانية. وأما النفوس فلا يصدر منها إلا تحريك الأفلاك والأرواح، ولا يظهر منها إلا طلب الأجساد والتحقق والظهور بها، والعقل لا يظهر منه إلا الإدراكات الكلية المتعلقة بأفعال النفوس والغاية والغرض منها. أما الأجسام فهي ليست إلا تبدل آثار النفوس وأفعالها وتأثيرها فيها وتحريكاتها، وهذه الأمور إنما تصدر ويتحقق ويظهر مفصلًا ومجملًا في الحقيقة والماهية الإنسانية والهوية الغيبية والهيئة الجمعية.

والغرض من الطوفان الكلية والجزئية التامة والناقصة ليست استكمال أعيان المرتبة التي يظهر الطوفان فيها لتوجه الأفياض من كل الجهات إليها بخصوصيات مختلفة وكميات منطقة وكيفيات متباينة ونعوت متماثلة. قال النبي ﷺ: «**مَن قرأ سورة (نوح) كان آمن المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام**» صدق رسول الله ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي خلق الجنّ والإنس لكمال عبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: 56]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أنطق كل شيء بكمال قدرته وعموم نفسه ووفور رحمته وعموم غضبه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي علّم الثقلين أسرار كتابه وقضى عليهم بأنوار أحكام خطابه.

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجنّ: 1] أنه مع الاسم والخبر في محل الرفع مفعول ما لم يسمّ فاعله لأوحي، وكانوا تسعة من جن نصيبين استمعوا قراءة النبي ﷺ.

قيل: إنهم جماعة من شيعتان وهم أكثر الجن عددًا وهم عامة جنود إبليس. النفر ما بين ثلاثة وعشرة، والجن أجسام لطيفة عاقلة خفية عن الأعين والأبصار من شأنه أن يتشكَّل بأشكال مختلفة، إما نارية أو هوائية أو مائية، يتعينون في الدورة الجلالية الوسطى والصغرى صريحًا، أما الدورة الكبرى والعظمى فيتكون فيهما الشياطين والأغوال والأهرمنيات الصغرى والكبرى، وهم في غاية البعد عن الدين والإسلام النوري الجمالي لا الإسلام والدين الظليّ والجلالي، فإنهم على هذا الدين والإسلام، فكما أنهم في غاية البعد والتنافر من ديننا النوري الجمالي فلذلك نحن في غاية البعد والتنافر من دينهم إذ إيماننا كفر عندهم وديانتهم كفر عندنا والله يجمع بيننا وبينهم بالحق لأن منهم مَن قد أسلموا على

يدي وعرضت عليهم الإيمان النوري فقبلوه مني وآمنوا بالله كما آمنا به، والله أمرهم بالرياضة والسلوك والمعاهدة وكلفهم بأنواع المجاهدة الشاقة بأن أوقد نارًا أخروية في باطنهم وجوفهم، فعلى جوفهم وباطنهم بهذه النار على وجه وأحرق سيئاتهم حيث بكت عليهم السماء والأرض وظهر لهم أنواع الحالات والمقامات القلبية والروحيّة التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم بالله، وتجلى الله عليهم تجليات آثارية وأفعالية وأسمائية وصفاتية وذاتية وهم الآن في الدور والسير، والطير في الأدوار الإلٰهية والأكوار الغير المتناهية بطريق لا يطلع على كميتها وكيفيتها وخصوصيتها إلا الذات العليم، وهكذا ينقلون من غيب هوياتهما فوجًا فوجًا وأفرادًا وزوجًا، ويترددون ويرجعون آنًا فآنًا يؤمنون بالله ويسلِّمون لأحكامه.

وبهيمين: الجني هو الذي كان من جملة من استمعوا القرآن من النبي ﷺ وهو في تاريخ ستة وتسعين وثمانمائة قد حضر لدي وكنت معتكفًا مع جماعةٍ كثيرة من الجن، وأناب بيديّ واشتغل بالمجاهدة من النبي ﷺ التي عينها الله وهو في غاية الصعوبة، ففتح الله عليه أبواب المشاهدة وطرق المعاينات وتجلى عليه أنواع التجليات.

وأخبرني أني كنت في زمان بعثة رسول الله ﷺ شابًا وعمري كان مائتي سنة، فكان في الحياة وكان عمره عشرة آلاف سنة وكان شخصًا مرتاضًا قد كان تعلقت نفسه عن شعوره ألف سنة وكان ببعثة الرسول، فلما انبعث حملني إليه وآمن به وآمنت أيضًا به، فسألته عنه فيكم علوم وحالات معنوية ومقالات قلبية وتجليات وأحوال غيبية، قال: نعم، فتندفع العلوم المعقولة خصوصًا الرياضيات الإلٰهية وعلوم النجوم وكانت لنا حالات وتجليات علميات لا عينية شهودية، فلما اشتغل بالمجاهدة والرياضة النفسية والروحية انفتحت أبواب التجليات الشهودية والحالات الحقيقية العينية. فلما استكمل الحالات وشهود التجليات توجه إلى جانب الغرب وقال: إن صاحب الزمان المهدي قد ظهر في تلك الجهة فانصره وأمده. ولي في هذا الباب مقالات كثيرة وكلمات غفيرة فليكن هذا القول كافيًا لأهل اليقين.

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا﴾ [الجنّ: 1].

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ إلى الحق والصواب أو طريق يوصل إليهما ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرآن والكتاب المنزل والفرقان، أو بمنزل نزل عليه وبُعِث به ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجنّ: 2] من الجن والإنس وسائر الموجودات على ما تشهد به الفطرة السليمة والقوة العاقلة الكليمة سيما إذا انضمت بها الدلائل القاطعة والوسائل الساطعة والوسائل البارعة، فرجعنا بما كنا عليه من الإشراك والشرك إلى عبادة مالك الأملاك وإلى الإطاعة بمدبر النجوم والأفلاك.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي عظمته وغناؤه، يقال: جدّ فلان أي عظّمه كما وقع في الحديث لعمر رضي الله عنه: كل رجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، استعارة من الجد الذي هو العدل والغناء إذ الملوك والأغنياء هم المجدودون ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجنّ: 3] لكمال عظمته ومجده أو لسلطانه وملكوته لاستغنائه عن الاحتياج إلى الصاحبة والاستئناس بالولد، وقد يطلق على الأصل مأخوذًا من جد الإنسان وهو أصله.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ﴾ أي الشأن أن الجن ﴿يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجنّ: 4] السفيه خفة العقل وسخافته، والشطط تجاوز الحد في جانب النفي وفي جانب الإثبات، وهو يفضي إلى النسبة وإثبات الشريك والصاحبة والولد، وكلا الأمران شطط ومذموم وبطط.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي كان وثبت في ظننا ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ [الجنّ: 5] بالقصد والإرادة والاختيار ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجنّ: 5] يعني ليس من شأن أحد من الجن والإنس أن يكذب على الله وأن يفتري عليه وينسب إليه ما لا يليق بألوهيته وكنا نصدقهم أولًا قبل نزول القرآن وبعثته ﷺ فيما يضاف إليه من القول الكذب، فإذا نزل القرآن وسمعناه من فيّ صاحبه وتبين كذبهم وافترائهم أعرضنا عنهم وعما

قالوا في حق الحق.

هذه المقالات والكلمات يحملها أقوام الجن وإنكار وجود الجن والشياطين والأغوال والاهرمينات إنما يكون ممن لم يمارس الأدوار النورية الجمالية والأكوار الظلية الجلالية وكمية اقتضائها وكيفية ارتضائها، ولم يعلم في كل عنصر من العناصر والإسطقسات الأربعة القابلية لأن يتكون منها متوالدات من الأنواع المتغايرة حقيقة وماهية كما هي مشاهدة في العناصر الترابية والمائية، وأما في الهوائية والنارية فلا بد وأن يتكون منها متوالدات أيضًا وإلا لزم الترجيح بلا مرجح، والأنبياء والأولياء المحققون والحكماء المتألهون قد حكموا بوجودهم، قال الشيخ شهاب الدين المقتول: قد كنا قبل هذا ذاتًا على الحكمة الطبيعية قد ننكر الجن وبعض ما قال به الفلاسفة، فلما وفقني الله سبحانه لأن اطلعت على فساد ما ذهب إليه بعض الفلاسفة وعلى حقيقة ما تطابقت المليون وتوافقت عليه أهل السنة والجماعة والمسلمون فشاهدت الجن وأمرتهم بأمور ثابتة محققة، ولي في هذا الأمر تجارب صحيحة وتجارب صريحة، وليس الخبر كالمعاينة.

واعلم أن الأدوار الأربعة التي أربابها هي الأسماء الأربعة وهي: العلم والحياة والقدرة والإرادة، لا بد وأن يكون لكل أحد من هذه الأرباب في كل واحد من تلك الأدوار في المراتب الأربعة وهي: الجبروت والربوبية والملكوت والبرزخ، والمثال والشهادة والملك، وكذا الباطن، هذه لأرباب الأكوار الأربعة اقتضاء، وفي الأدوار اقتضاؤها هو العقل والملائكة والروح والملأ الأعلى والنفس والملائكة المدبرة والأجسام والملائكة الموكلة على الأفلاك الجسمانية وكذا الباطن. هذه الأسماء في غيب تلك المراتب أيضًا اقتضاءات، فاقتضاء باطن العلم هو في غيب العالم الجبروت هو الأهرمينات ولباطن الحياة في غيب الملكوت هو الأغوال والباطن بالقدرة في غيب البرزخ هو الشيطان الباطن الإرادة في غيب الملك هو الجن فتأمل.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قال المفسرون: إن الرجل إذا سافر في الجاهلية فأمسى في قفرٍ من الأرض قال: أعوذ بسيد هذا الوادي أو بعزيز

هذا المكان، فيبيت حتى يصبح. وقال بعضهم: كان أهل الجاهلية إذا أمسى واحد منهم في الأرض القفر قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه. قيل: كان أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب.

عن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فأوينا إلى بيت راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملًا من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي، فنادى منادٍ لا نراه: يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد في المشي ويسعى ويمتد في العدو والسعي حتى دخل الغنم ولم يصيبه، وقال: فأنزل الله على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾ إلخ، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجنّ: 6] أي زاد الجن رهقًا أي كبرًا وعتوًّا وجراءة وطغيانًا وغشيانًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: 40، 41]، والمعنى: أن رجال الإنس بسبب الاستعاذة برجال من الجن ولم يتعوذوا بالله فزادوا رهقًا وظلمًا، ويجوز أن يعكس الأمر بأن زاد الإنس بسبب الاستعاذة برجال من الجن وترك الاستعاذة بالله رهقًا وظلمًا وعتوًّا.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ [الجنّ: 7] أي الإنس ظنوا كما ظننتم بالجن وبالعكس، أو من كلام الجن بعضهم لبعض إشارة من كفار الإنس والجن، أو من كفار الجن والإنس إلى نفي النبوة والرسالة كما ذهب البراهمة من الإنس إلى نفي البعث والرسالة، يعني أن الجن كالإنس بعضهم يعتقدون النبوة ويؤمنون بالبعث والرسل، وبعضهم يكفرون بها، وبعضهم ما وصلت إليهم الدعوة. قيل: الإتيان من جملة الوحي والضمير في أنهم (ظنوا) للجن، والخطاب في (ظننتم) لكفار قريش.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ وأوصلنا اليد إليها وبها ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ﴾ من الملائكة المدبرة والنفوس المدبرة لها ﴿حَرَسًا﴾ وحفظًا وحراسًا ﴿شَدِيدًا﴾ وهو اسم مفرد بمعنى الجمع كالخدام والخدم أي حافظين أقوياء ﴿وَشُهُبًا﴾ [الجنّ: 8] أي النجوم الساقطة، والأنسب أن يحمل هذا الكلام على كلام الجن إذ السابق واللاحق من كلامهم، فإلقاء الكلام الجني في التبين لائق.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء ﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي أمكنة للقعود وحاولنا الاستماع لكلام الملائكة ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا﴾ رمينا ورجمناها بشهب ﴿رَّصَدًا﴾ [الجنّ: 9] الرصد اسم جمع للمراصد أي رصدًا من الملائكة أي شهابًا مرصدًا إذ الشهاب غير الرصد أي شهابًا قد أرصد وترصد لهم ليرجمه به فيكون نعتًا للشهاب بمعنى مفعول، فإن قيل: السماء والشهب والكواكب موجودة قبل البعث، أجيب بأن هذه الشهب ما كانت موجودة بهذه الخصوصية قبل البعث.

عن ابن عباس: إن الجنَّ كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون الوحي فإذا سمعوا كلمة زادوا عليه تسعًا، فالكلمة حقة والزيادات باطلة، فلما بعث ﷺ منعوا مقاعدهم ولم يكن النجوم يرمى بها، وارتفعت الشهاب المخصوصة فقال إبليس: ما هذا إلا أمر حدث في الأرض، فبعث جنوده ورسول الله ﷺ قائمًا يصلي... الحديث.

قال ابن كعب: لم يرم نجم منذ رفع عيسى عليه السلام حتى بعث محمد ﷺ، والحق أن الشهب كانت موجودة قبل البعث إلا أنها زيدت بعد البعث وجعلت أكمل واختصته بخصوصيات ما كانت قبل ذلك، وذلك لاختلاف أوضاع الكواكب الثابتة وانتقال الدرجات والحق ميراث وغير ذلك من الأوضاع السماوية.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ﴾ بالشهب ماذا أريد بها ويجدونها ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من أشخاص الإنسان وأفراد الحيوان بل النبات والمعادن بأنها تكون سببًا لفسادها وهلاكها ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجنّ: 10] إصلاحًا وخيرًا سدادًا، فالأمر مجهول لا يعلمه إلا الله ولا يطلع عليه ما سوى الله من الإنس ولا من الجن.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾

﴿وَأَنَّا مِنَّا﴾ أي البعض منا ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ التائبون على الصلاح، التائبون على السداد والرشاد والفلاح ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي البعض منا ذلك الثابت على الصلاح وذلك لأنا ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ﴾ [الجنّ: 11] ذوي طرق مختلفة ومذاهب متخالفة، أو إنا

مثل طرائق في اختلاف الأحوال وتغاير الأطوار ﴿قِدَدًا﴾ [الجنّ: 11] متفرقة شتى من قدّ يقدّ قدًّا إذا قطع، أي كنا صواحب أهواء وذوات آراء من الكافرين والمسلمين أي لنا في اختلاف الأحوال وتغاير الأطوار مثل الطرائق المختلفة المتنوعة والخلائق المتطورة.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ وعلمنا إما بطريق الاستدلال أو الكشف والمعاينة لما تحقق أن الجن كالإنس في الأطوار وعموم الأدوار ووفور الأكوار ومقتضياتهما من العلوم والإدراكات والأحوال والمقامات ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في تنفيذ المرادات وإمضاء أحوال المخلوقات ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجنّ: 12] هاربين من الأرض، عارجين إلى السماء، هذا بيان أحوال الجن في أنفسهم من الاعتراف والإقرار بعجزهم في ذواتهم وأنفسهم وبالحق بأنه قادر قوي وقاهر عزيز غالب، طالب لكل صالح تقي بارع نقي من نبي وولي. والجن كالإنس على ثلاثة أقسام: فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق إلى الخيرات بإذن الله.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ إشارة إلى تفصيل الأقسام، يعني أنا سمعنا القرآن الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه فحينئذ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وبمن جاء به ومنه ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ أي برب القرآن ومنزله وبمن جاء ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ نقصًا في الجزاء في الثواب ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ [الجنّ: 13] ظلمًا زائدًا على ما تقرر من العذاب واستقر من العقاب.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ مبتدأ وخبره مقدم عليه من مقامات الجن، بيان الأقسام الثلاثة، يعني أن البعض هم المنقادون لأحكامه تعالى المتعبدون بأعلام شريعته، المتقيدون بقواعد فنون حكمته وهم السابقون بالخيرات ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [الجنّ: 14] الكافرون والجائزون عن طريق الحق.

عن سعيد بن جبير: أن الحجاج بن يوسف الظالم قال له حين قتله: في أما القاسط، قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال سعيد بن جبير، حسبه أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج: يا جهلة إنه سماني ظالمًا مشركًا، وتلا بهم قوله تعالى: ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [الجنّ: 14]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1] يعني الجائزون عن طريق الحق والإيمان والطاعة، وقد زعم من لا يرى للجن ثوابًا أن الله عز وجل أوعد قاسطهم وما وعد مسلميهم، وكفى به وعدًا أن قال: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ [الجنّ: 14] أي طلبوا وعملوا وقصدوا طريقًا إلى حسن الثواب والقول والصواب ومنه تحرى لقلبه لمن عميت عليه.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

ثم إن الجن رموا الكافرين فقالوا: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون، فإن القاسط هو الجائر والمقسط هو العادل ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجنّ: 15] وقودًا. يقال: إن الجن من النار فكيف يكون حطبًا لها؟ قلنا: نار الآخرة أحر كثيرًا من نار الدنيا والجن من نار الدنيا. قد وقع في الحديث أن النار الأخروية قد غسلت سبعين مرة ثم جيئت في الدنيا.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ [الجنّ: 16] هذا من جملة الوحي إليه والتقدير، وقل: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجنّ: 1]، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ إلخ. والطريقة هي الأقوال النبوية المتيقنة. والمراد من طريقة الاستماع شرائطه وأن مخففة من الثقيلة أي الشأن أنه لو استقاموا واستقروا الجنّ على الطريقة المثلى والجادة ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجنّ: 16] كثيرًا، أي لو ثبت يوم الحساب الذي هو أول موجود مفتتح مولود منهم وهو آدمهم على ما كان عليه من الإيمان وعبادته وحسن طاعته ولم يستكبر من السجود لآدم ولم يكفر، وتبعه ولده بهيمين الجني على الإسلام لأنعمنا عليهم وسقينا بهم المنح ظاهرة وباطنة وسعيًا لهم في الدنيا وبسطناها لهم وأعطينا لهم رزقًا واسعًا وعيشًا رغدًا.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧﴾

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾ ونبلوهم ونحشرهم ﴿فِيهِ﴾ [الجنّ: 17] أي في وفور الرزق ودرة في بحره ودرجة، فإن شكروا لَزِدْنا ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ وينصرف عن التفكر في آلائه ونعمائه في شهادته وغيبه ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجنّ: 17] ميثاقًا وعقابًا حاقًّا، وأن المساجد قد بنيت وأقيمت خالصةً به مختصة بذكره وبعبادته.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ﴾ ولا تشاركه فيها ﴿أَحَدًا﴾ [الجنّ: 18] قيل: المراد بالمسجد هو الأرض كلها لأنها جعلت كلها لتبنى مسجدًا، وفسر بالمسجد الحرام لأنه قبلة المساجد وموضع السجود. على أن المراد النهي عن السجود لغير الله، ومن أظلم ممن مَنَعَ مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها لما كان اليهود إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمرنا الله أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المسجد. قيل: المسجد أعضاء السجود وهي سبعة، قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أسجد على سبعة أبواب: الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان**».

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ النبي محمد ﷺ، وإنما ذكره بهذا الاسم لكمال تواضعه ووفور خشوعه وللتنبيه على أن أرباب الوظيفة أرباب المعرفة وهي أن لا يغفل عن مقام العبودية ونصيبها، فلا بد وأن يجعله نصب عينه فإنه يذهب بالقساوة ويدعوه ويعبده ويجعل العبادة ذريعة العلم أو وسيلة المعرفة ووسيلة لدعوة الخلق إلى الحق، ولذا أطاعت الجن إياه قبل الدعوة وأجابوا دعوته كما أشار إليه بقوله: ﴿يَدْعُوهُ﴾ إن قربت الجن ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجنّ: 19] متراكمين عليه ومجتمعين لديه عند قراءة القرآن وعبادة اجتماع الوبر في اللّبد جمع لبدة وهي ما يلبد بعضه ببعض ويجتمع ويتراكم كلبدة إسنادًا إلى الأسد.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠﴾

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ وأعبده ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجنّ: 20] في عبادته.

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١﴾

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ عنىٰ وشرًّا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ [الجنّ: 21] نفعًا وخيرًا، أي لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم، وإنما الضارّ والنافع والبالغ والدافع هو الله، أو لا أستطيع أن أفسر على الغي والرشد وإنما الآمر والقادر والقاهر والمانع والباصر هو الله. والخطاب للجن أو لعالم الإنس.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢﴾

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾ ولن يخلِّصني ﴿مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه، وتعجيزه على معنى أن الله إن أراد به سوءًا من مرض أو فقر أو فاقة وشرّ أو موت وضرّ لم يصح أن يجيره منه أحد ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجنّ: 22] ملاذًا وملجأً وسخاء.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣﴾

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الجنّ: 23] بدل من ملتحدًا، أي لن أجد من دونه منجًا إلا أن أبلِّغ عنه ما أرسلني، وعلى هذا لا يكون قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾ [الجنّ: 22] إعراضًا واستثناء من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ [المَائدة: 25]، فإن التبليغ إرشاد ودعوة وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة، أو من ملتجأ أو معبأ أن لا أبلغ بلاغًا وما قبله دليل الجواب ورسالاته لا عطف على بلاغًا، ومن الله صفة لا صلة أي لا أملك لكم إلا البلاغ والرسالة.

والمعنى إلا أن أبلغ من الله فأقول كذا لقوله تعالى: وأن أبلِّغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ أي مرسلاته من الشرائع والأحكام ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجنّ: 23].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ٢٤﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ﴾ متعلق بقوله يكونون عليه لبدًا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستصعبون إيصاله ومددهم وإمدادهم ويستعلون عددهم وأعدادهم ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا كواقعة بدر أو في الآخرة ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾ [الجن: 24] وأذل مددًا هو أم هم.

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ٢٥﴾

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ ما أعلم ﴿أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من عذاب الله وشدة عقابه ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ [الجن: 25] غاية ودهرًا طويلًا لا يخصه إلا الله. كان لما سمع المشركون قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ [مريم: 75] قالوا: حتى يكون إنكارًا، فقيل في ردهم: قيل إنه كائن لا محالة ولكن لا أدري وقته.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أي عالم الغيب، وهو عالم الذات والأسماء والصفات، وعالم العلم والحياة والعقول والأرواح والنفوس العاملة والأشباح والأنوار الإلٰهية والشرح الربانية والمصباح وأحوالها وما يصدر منها من الحوادث الزمانية والحوادث الربانية ﴿فَلَا يُظۡهِرُ﴾ ولا يطلع ﴿عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ﴾ الذي فضل ﴿أَحَدًا﴾ [الجن: 26] من الإنس والجن بل الملك إلا بإذنه وإعلامه وتعليمه وإلهامه.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾

﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ واصطفى واختار وأراد واقتضى ﴿مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: 27] أي محمد أو أعم من أن يكون إنسيًّا أو ملكيًّا أو جنيًّا بيان لمن ارتضى أي يكون ذلك الشخص الواحد الأحد المطلع على الغيب رسولًا مبعوثًا من الله قد تمسَّك من أنكر الكرامات والأخبار عن الغيب بهذه لأنه أجيب بأن تخصيص نفي الاطلاع على الغيب بلا واسطة لا يوجب نفي الاطلاع بالواسطة وهو إعلام الله وإنهاره وإلهامه وخطابه وواردة وغير ذلك من الوسائط إذ انتفاء الخاص لا يستلزم انتفاء العام إذ يجوز أن تكون كرامات الأولياء وإخبارهم عن الغيب بإعلام الله واختياره. قال النبي ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»،

وقال أيضًا إخبارًا عن الله: «**لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فبي يسمع وبي يبطش وبي ينطق**».

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي عبده المرتضى والرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجنّ: 27] حفظة وحرسًا من الملائكة التي فرضنا على العباد والأفراد الإنسانية لأن يحفظوهم من اختطاف الشياطين وتخاليطهم الخفية والأقوال الصادقة بالأمور الباطنة والأقوال الكاذبة. إنما ذكر هذا الكلام لسؤال من سأله عن وقت وقوع القيامة وقيامها على سبيل الاستهزاء بالدين ومقالته.

واعلم أنه لا بد من القطع بأنه ليس مراد الله من هذه الآية أن لا يطلع على شيء من المغيبات من الحوادث الربانية والحوادث السبحانية إلا الرسل فقط، بل يقع من غيرهم كالأولياء والكاهنين والمنجمين والرمّالين والمجذوبين وغير ذلك، وأما الأولياء فإنهم على طبقات منهم استشرف على القلوب والصدور والنفوس والقبور كما أخبر آدم الأولياء من حال استشرافه على الكل بقوله: «**أنا الذي أعلم ما يحدث ساعة بعد ساعة، أنا الذي عندي مفاتيح لا يعلمها بعد محمد غيري، أنا بكل عليم، أنا اللوح المحفوظ، سلوني ما تحت العرش، سلوني ما فوق العرش، سلوني ما شئتم**». وقال: «**أنا الذي عندي علم الكتاب ما كان وما يكون، أنا الذي أعلم أعمال الخلائق في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يخفى عليَّ منهم شيء**» وغير ذلك. وأيضًا: «**إن المنجم يخبر عن الكسوف والخسوف وغير ذلك ويقع كما هو واقع في الأوقات**».

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

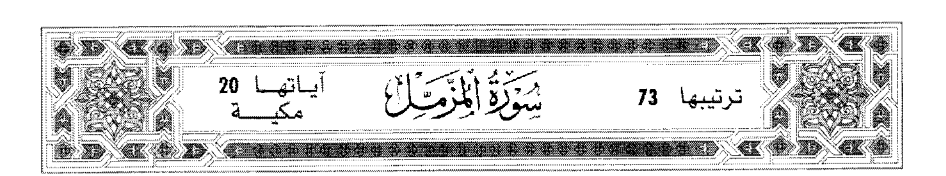
﴿لِّيَعْلَمَ﴾ النبي الوحي ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ جبرائيل والملائكة وليعلم الله ويظهر علمه عند الناس أن قد أبلغوا أي بلغت الملائكة ﴿رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وليعلم الناس أن الملائكة والرسل قد أبلغوا رسالات ربهم كما هي في نفس الأمر محروسة على التغير غير ممروسة بالتأويل والتعبير ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عند الرسل من الرسالات والنواميس الإلٰهية والأحكام ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجنّ: 28] أي علم عدد كل شيء موجودًا أو معدومًا حتى القطرات وأثقال الذرات والأجزاء الراسيات

والهيئات الكائنات وأعداد الرمال وأنداد البحور والبراري والوهاد والجبال والنساء والرجال وغير ذلك مما يتعلق به علم الممكن. قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جن صدق محمدًا أو كذّب به عتق رقبة**».

واعلم أن لكل دورة من الأدوار الأربعة النورية الجمالية الوجودية العظمى أو الكبرى والوسطى والصغرى فروعًا أربعة على مقتضى عدد الطبائع الأربعة التي ظهرت في السماوات أولًا في المثلثات المربعة، فالأدوار الأربعة التي هي فروع الدورة الصغرى تظهر بها الاسطقسات والأركان الأربعة، خلق الله تعالى في هذه الأدوار أنواع الإنس والجن، ففي الدورة العظمى الفرعية خلق الله عز وجل الجان الأعظم والأكبر بلا واسطة، وفي الطبقة الأخيرة وهي النار الأرضية خلق الله آدم الناري، ومن العنصر الهوائي خلق الله الجان الأصفر.

والهواء أيضًا على أربع صفات: هواء حار وبارد ورطب ويابس، فمن الثلاثة الأولى خلق الله الجن الأصفر بأنواعه الثلاثة، ومن الأخيرة خلق الله آدم هوائيًّا، وفي الدورة الوسطى خلق الله عز وجل من الأسطقس الهوائي والترابي إنسانًا مائيًّا وترابيًّا. ولما كان آدم والصورة النوعية الإنسانية أول المملوك والمخلوق، كان باب الأبواب ساريًا في أعيانهم تمام المراتب، ويستقل في آخر المراتب بالظهور، ففي بداية كل دورة ونهايتها لها نوع ظهور وتعين وأصل الأدوار وكلياتها سبعة: أربعة منها بالاستقلال وأربابها من الأسماء والصفات السبعة الذاتية، وهي: العلم والحياة والقدرة والإرادة، وهذه الصفات والأسماء والبسائط وثلاثة منها هي: السمع والبصر والإرادة أرباب الأدوار الأربعة الثلاثة التي هي الاشتراك والتنبيه يحكم عليها وفيها كل من هذه الصفات الثلاثة باشتراك الأسماء الأربعة مثلًا: إن السمع إنما يحكم في دورة مخصوصة قد اجتمعت فيها مقتضيات الأسماء الأربعة في أعيان هذه الدورة ظاهرة بعنوان السمع، وكذا البصر والكلام، ففي كل دورة من الأدوار السبعة الذاتية التي أربعة منها بالاستقلال وثلاثة بالاشتراك يظهر ويتعين آدم، فلآدم في الأدوار السبعة المذكورة ظهور ذات وتعينات في البداية والنهاية وإليه الإشارة بقول النبي ﷺ: «**خلق الله آدم في سبعة آماد**»، والأمد هو الدهر الطويل الذي لا يحصيه إلا الله ونحن في الأمد الأخير.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أمر حبيبه بقيام الليل وإحيائه بعد التزمل بكساء البشرية لئلا يغلب عليه وأمته مقتضى ظلمة الليل الجلالي النفسي على مرتضى غلبة ضياء النهار الروحي الجمالي ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي عمَّت أفياض أمداد أنفاسه الرحمانية في مشارق عالم الأرواح ومغارب عالم الأجسام والأشباح ليتخدوه إلى جناب قدسه ودرجات أنسه قائدًا ودليلًا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي جعل ما تقدموا من الخيرات والحسنات ليوم الدين لهم ومتوجهين إلى تلقاء لقاء صراطًا مستقيمًا وسبيلًا حميمًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المُزمّل: 1] المتلفف بثوبه والمتخفف بكسائه الملتحف بعبائه وردائه من الزمل وهو التغطية من التزمل من التعفف أدغمت التاء في الزاء إما لازم أي ظهر منه التزمل أو متعدي حذف مفعوله وهو النفس.

سألت عائشة رضي الله عنها عن المزمل قالت: كان مرطًا طوله أربع عشر ذراعًا يضعه عَليَّ وأنا قائمة ويضعه على رسول الله وهو يصلي. قالت: وأيم الله ما كان قزًّا ولا خزًّا ولا مرعز ولا إبريسم ولا صوف، بل كان سواد شعر ولحمته فريزًا.

وقال السدي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ﴾ [المُزمّل: 1 ـ 2] فصلِّ ﴿ٱلَّيْلَ﴾ أو داوم

على الصلاة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المُزمّل: 2] استثناء من الليل.

﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣﴾

﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من قليلًا، وقلته نسبته إلى الكل والتحيز بينه وبين الأقل منه كالربع والأكثر منه النصف ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المُزمّل: 3].

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المُزمّل: 4] على النصف وللنصف والتحيز بين أن يكون أقل منه على البت والقطع وأن يختار أحد الأمرين من الأقل والأكثر أو للأعم فإنه عام والتخير بين قيام الناقص عنه والزائد. قال ابن عباس: إن قيام الليل كان فريضة على رسول الله ﷺ بهذا الأمر، والأمر في الظاهر للوجوب ثم سبَّح بالأمر للصلوات الخمس أو كان الرجل لا يدري كم صلى في الليل وكم بقي من الليل، وكان الرجل كله مخافةً أن لا يحفظ القدر الواجب، فشق عليه ذلك حتى تورمت أقدامه فنسخ الله ذلك في آخره: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المُزمّل: 20] وذلك في صدر الإسلام. ثم قال ابن عباس: وكان هذا أو هذا الإيجاب ونسخه نسبة. وقال في رواية أخرى: إن إيجاب هذه الحالة بمكة ونسخه كان بالمدينة، ثم نسخ هذه الصلوات الخمس، والفرق بين هذا القول وبين القول إن في هذا القول وجوب صلاة التهجد ما كان واجبًا قط لقوله تعالى: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسرَاء: 79] لكن بين أنه نافلة لا يدخل. وأجاب ابن عباس قيل: لو كان واجبًا على الرسول لوجب على أمته لقوله: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعَام: 153]، أجيب: أنه من جملة من الخصائص قوله ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ﴾ من باب جالس الحسن أو ابن سيرين ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي اقرأ القرآن ورتله على تؤدة وأظهر حروفه بحيث يتمكن السامع أن يعدها ﴿تَرْتِيلًا﴾ [المُزمّل: 4] تؤدة، وثانيًا: بحيث تبين الحروف بإشباع الحركة ترتيلًا تأكيدًا في إيجاب الآخرية وأنه لا بد للقارئ آجلًا وعاجلًا.

﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾

﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المُزمّل: 5] أي كلامًا وقرآنًا فيه تكاليف شاقة وأحكام حاقة من الأوامر والنواهي والمناهي والمفاخر والمباهي وكلاهما

يشتملان على الشأن والمثقال الغير المتناهي.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ أي إنشاء وظهور التكاليف وإظهارها في جميع الليل وساعاته من نشأ ينشأ إذا ظهر، ومنه نشأت السحاب وظهوراتها أو المراد نشأت النفس وقياماتها وانتهاضها من مضاجعها في أجزاء الليل وجميع ساعاته إلى الطاعات وأداء العبادات من نشأ الرجل من مكانه إذا انتهض من بيته أو قام، أو قيام الليل، على أنها مصدر من نشأ كالطاغية من طغى إذ الناشئة إنما تكون بعد النبوة. يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها حيث قالت: إنما الناشئة والقيام بعد النوم فإنها أصعب من أن تكون من أول الليل ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾ وأصعب وأكثر وأتم موافقة للذوق والسمع والبصر وجميع القوى النفسانية والأجزاء الجسمانية في الصلاة والتوجه إلى الله في العبادات وعموم الطاعات ليتراءى عنه سوى الله في هذه الأوقات وجميع النشئات ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المُزمّل: 6] وأحسن وأتم قراءة وأعم إخلاصًا وأعظم بركة إشارة إلى أن الصلوات والقرآن في أجزاء الليل والعبادات في ساعاته أتم نفعًا وأكرم رفعًا ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فَاطِر: 10].

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ۝٧﴾

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ وأجزائه وساعاته التي هي أوقات المعاش وساعات الانتعاش ﴿سَبۡحًا طَوِيلًا﴾ [المُزمّل: 7] فراغًا وسعةً ليومك ومعاشك وتصرفك في حوائجك، وأصله سرعة الذهاب والمشي والإياب ومنه السباحة في الماء، وفرس سابح إذا كان حسن الجري جيد المشي، فيتفرق بتفرق الحواس وتشبثها وتشرف القوى النفسانية بكثرة تعلق المبادئ الروحانية فيتصرف القلب والطور السري هو موطن شهود التجليات ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجم: 11] أي كمال التوجه إلى الله في العبادات وتمام حضوره في الصلوات.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ۝٨﴾

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ في ابتداء كل أمر سيما في الصلاة وأداء العبادات. قال النبي ﷺ: «**كل أمر ذي بالٍ لم يبدأ ببسم الله فيه أبتر**»، ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا﴾ [المُزمّل: 8] وانقطع عن إتمام الكثرات وعموم الممكنات إليه بجميع القوى

والجوارح والأعضاء تبتيلًا عامًّا وانقطاعًا عامًّا تامًّا كاملًا.

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾

واعلم أن المفسرين قد فسروا التبتيل بالإخلاص وأصل معناه هو القطع، فمن كان مقصوده للعبادة حصر نظره في العبادة وانقطع عن غيرها، ومن كان مقصوده معرفة الله انقطع نظره عن غيرها، ومن نظره وقصده المعروف انقطع، ومن كان مقصوده محبة الله انقطع نظره عن غيره، ومن كان قصده ذات المحبوب انقطع نظره عن جميع ما سواه. فالمقصود بالذات هو المحبوب وما سواه يكون بالغرض، وأشار إلى هذا بذكر اسمه أولًا ربّ المشرق وربّ المغرب، وعالم الأرواح وعالم النفوس والأشباح، والمغرب عالم الخلق والشهادة والملك والأجسام والأجرام ذوات المصباح ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المُزمّل: 9] استئناف كأنه قيل: لم يتبتل وكيف ينقطع إليه؟ قال: لأنه رب الروح والجسم ومقتضى الروح هو الفتوح فلا بد أن ينقطع إليه بتمام القوى الروحانية والجسمانية.

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المُزمّل: 9، 10] من التكذيب والافتراء وقصد التغريب والجلاء، والتخريب والهجرة والتهريب ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المُزمّل: 10] واتركهم تركًا طويلًا.

واعلم أن التبتل لا يحصل إلا بعد حصول المحبة، والمحبة لا تحصل إلا بما لا يليق إلا بالله لأن سبب المحبة إما الكمال وإما التكميل، أما الكمال فلأنه محبوب لذاته إذ من المعلوم أن كل شيء لا يجب أن يكون محبوبًا لشيء آخر وإلا لزم التسلسل، فإذًا لا بد من الانتهاء إلى ما لا يكون محبوبًا لذاته وهو الكمال الذاتي مثلًا من يسمع أن فلانًا الذي كان قبل هذا بألف سنة كان موصوفًا بالشجاعة الزائدة على شجاعة سائر الناس، وكذا من اتصف بالسخاوة والكرم والجود كحاتم الطائي فهو محبوب لكماله لا لذاته، فالكامل محبوب لذاته ذاتيًّا كان أو وصفيًّا. وأما التكميل فهو أن الجواد محبوب والمطلق هو الله فالمطلوب المطلق هو الله، فالتبتل والانقطاع المطلق لا يمكن أن يحصل إلا إلى الله لأن

الكمال المطلق إنما يكون له تعالى، والتكميل متعد على المتبدل الحاصل بسبب كونه كمالًا وكلامًا لأن الإنسان في مبدأ السر لا يكون إلا طالبًا للمحبة، إذ الشيء لا يظهر ولا يتكون إلا بالعشق والمحبة «**كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أُعرف فخلقت الخَلق لأُعرف**» إلى آخر الحديث.

هو في عين طلب المحبة كما كان طالبًا لها في البداية ضمنًا وتبعًا فيكون تبتيله إليه تعالى في هذه الحالة لسبب كونه كاملًا.

فقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ إشارة إلى الحالة الأولى وهي في درجات المسلمين، وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المزمل: 9] إشارة إلى الحالة الثانية التي هي منتهى درجات المسلمين ومنتهى أقدام الصادقين، فسبحانه وتعالى من له تحت كل كلمة سر خفي ثم وراءها من مقام آخر وهو مقام التفويض وهو أن يرفع الاختيار من البين وهو تفويض بالكلية إليه، فإن أراد الحق به أن يجعله متبتلًا رضي بالتبتيل لا من حيث إنه مراد الحق وإن أراد به عدم التبتيل رضي بعد منه من حيث التبتيل من حيث أنه مراد الحق، هذا آخر الدرجات.

وقوله: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المُزمّل: 9] إشارة إلى هذه الحالة وهو إما جرى القلم به في تفسير هذه الآية، ومن أسرار هذه الآية معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمَان: 27].

﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾

﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ اعلم أن الإنسان إذا اهتم بمهم وكان غيره قادرًا على كفاية ذلك المهم على سبيل التمام والكمال قال له: ذرني وذلك، أي لا حاجة مع اهتمامي بذلك الشيء إلى آخره كقوله: ذرني ومن يكذب ﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ بفتح النون وهو النعيم، وبالكسر الإنعام، وبالضم المسرة، يقال: نعم ونعمة أي سر عينه الخطاب بالرسول والواو بمعنى مع ومفعول (المكذبين) محذوف، أما الحق أو الرسول أو الكتاب أي ذرني مع المكذبين الله أو الرسول أو الكتاب وهؤلاء صناديد قريش وكانوا أهل تنعُّم وترفُّه ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المُزمّل: 11] المراد من التعليل الحياة الدنيا، والثاني المراد منه القليل تلك المدة القليلة الباقية إلى يوم

بدر، فإن الله أهلكهم في ذلك اليوم ثم ذكر لنبيه عذابهم.

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢﴾

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ أي قيودًا وسلاسل عظامًا وجسامًا لا ينفك جمع نكل وذلك زيادة العذاب وشدة العقاب بحيث لا يرجى بتعيين قرارهم إذ لا محيص لهم عنه ﴿وَجَحِيمًا﴾ [المُزمّل: 12] ونارًا حميمًا وعذابًا عظيمًا وعقابًا عميمًا.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المُزمّل: 13] أي طعامًا يثبت في الحلق ويتضح بالاضطراب بين الخلق كالفواكه الغضة الغائصة لا ينحدر عن الحلقوم وحلق الخلق أصلًا. قيل: الزقوم والضريع كما قال: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغَاشِيَة: 6] أي شوك يتقدمها ولا ينفك عنها قطعًا بل يلتزق بها التزاقًا شديدًا ويلحق بها التحاقًا مديدًا ويعذبهم ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المُزمّل: 13] دائمًا عميمًا ساعة بعد ساعة أيامًا وأعوامًا ودهورًا وأحقابًا بحيث لا يعلم عدده ولا يحيط مداه إلا الله، ولا يحيق بكميته وحدّته إلا هو، وهو عذاب آخر ونوع غير الأول لكونه أشد وأحر وأحد لكونه أشد إيلامًا لأنه عذاب روحاني ولذا أضافه إلى نفسه، فإن الأرواح المهلكة في التناسق الجسماني عن الوصول إليها وعن الدخول لوقوع نار التحسر والحرمان عليها، وتألموا بها على وهم لو عرضت جمرة منها على الأفلاك وعموم الأملاك لهلكوا ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهُمَزة: 6، 7] ومن هذا أضاف النار إلى نفسه.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤﴾

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ تتحرك كرة الأرض وتضطرب وتتزلزل بما فيها من سكان طبقاتها وما عليها من التلال ﴿وَٱلْجِبَالُ﴾ [المُزمّل: 14] والوهاد والأغوار ظرف لقوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ [المُزمّل: 12] لما فيه من معنى العقل ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ في ذلك اليوم بالزلزلة تقدمت على الحشر ﴿كَثِيبًا﴾ وصلًا مجتمعًا من كثب الشيء إذا اجتمع ﴿مَّهِيلًا﴾ [المُزمّل: 14] سائلًا أو منثورًا أي تكون حال الجبال في ذلك اليوم دائرة بين هذين الحالين.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ الخطاب لأهل مكة والمقصود تهديدهم بالأخذ وليكون ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة بالعفو في الامتناع، شاهدًا عليكم للانتقام ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المُزمّل: 15] يعني موسى وأخيه هارون.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ واللام للعهد الخارجي فيكون التعريف لكونها عبارة عما سبق ذكره بخلاف العهد الذهني فإنه إشارة إلى شيء ما يكون معهودًا بين المتكلم والمخاطب فالقول الزائد داخل الشق وستر اللحم ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المُزمّل: 16] أي عاقبناه عقابًا صعبًا شديدًا ثقيلًا من قولهم: طعام أي ثقيل لا يستقر من معدته إلى الكبد وهو في الدنيا عبارة عما ذكر، وفي الآخرة عبارة وكناية عن عدم زوال العقاب الأبدي إذ في الأصل كناية عن نوع المكروه في الغاية، ومن هذا قيل للمطر العظيم كمًّا وكيفًا: وابل ووبيل ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ [البَقَرَة: 264] إلى آخر الآيتين.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ وتحذرون وتصونون أنفسكم يوم القيامة وهوله ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ وتيقنتم ولبثتم على الكفر والشرك يومًا في الدنيا أي فكيف تحذرون الله وعقوبته وتخافون منه إن جحدتم يوم القيامة عقوباته وعظيم عقاباته لأن تقوى الله خوف عقابه وهو منتفٍ عنهم ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ﴾ والصبيان والشيبان ﴿شِيبًا﴾ [المُزمّل: 17] صاحب شيب وشيخوخة من خوفه وذهوله، هذا على سبيل الفرض والتقدير والتمثيل وأصله الهموم لضعيف القوى القوة عن المبادئ الجسمانية والمنادي النفسانية فيشرع في الشيب، ويجوز أن يكون وصف اليوم بالطول بحيث يبلغ الأطفال والصبيان زمان الشيخوخة وزمان الشيب.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ﴾ منشق تذكرة على تأويل السقف والبناء المبني ﴿بِهِۦ﴾ [المُزمّل: 18] أي بهول ذلك اليوم وبكمال شدة خوفه، والباء للسببية، فطرب

العود بالقدوم فانفطر به ويجوز أن يراد السماء مثقلة بالهول أثقالًا يؤدي إلى الانفطار كقولك: ثقلت في السماوات والأرض ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المُزمّل: 18] أي وعد الله أو وعد اليوم على تقدير إضافة المصدر إلى المفعول، أي كان وعد ذلك اليوم لنفسه ثابت بلا ريب.

واعلم أنه تعالى بدأ في صدر السورة ببيان أحوال السعداء، ومعلوم أن أحوالهم قسمان أحدهما: ما يتعلق بأمور الدين، والثاني: ما يتعلق بالدنيا وهو المعاملة بالحق فيهن فتبين ذلك ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [طه: 130]، ثم بيَّن أحوال الأشقياء بتهديدهم على سبيل الإجمال بقوله: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المُزمّل: 11]، ثم ذكر بعده أنواع عذاب الآخرة، ثم ذكر بعده عذاب الدنيا وهو الأخذ الوبيل، ثم بيَّن شدة يوم القيامة.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

وختم الكلام بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات القاطعة بالوعيد الشديد والوعد القريب إلى البعيد ﴿تَذْكِرَةٌ ۖ﴾ وموعظة لأهل الحضور ونصيحة وشفاءً ﴿فَمَن شَآءَ﴾ أن يتعظ وينتبه ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ وإلى التقرب ﴿سَبِيلًا﴾ [المُزمّل: 19] واضحًا وطريقًا موصلًا صارخًا ليهيئها إلى مشاهدة لقائه ومعاينة وجوده وبقائه لسلوك مسالك الورع ومدارك التقوى.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ في صلاة الليل والتهجد ﴿أَدْنَىٰ﴾ وأقل وأقرب ﴿مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ﴾ [المُزمّل: 20] أقل من الثلثين ﴿وَثُلُثَهُۥ﴾ أقل من النصف يندرج إلى

التقليل لأن الأقرب إلى الشيء أقل مسافة إليه، وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب الأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت وقربت قلّ ما بين أجزائهما والأحيان وإذا بعدت كبر ذلك ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ وهم أصحابك الخلّص يقومون من الليل هذا القدر.

ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ يعني إن العالم بمقادير وأجزاء الليل والنهار من الساعات والدقائق والثواني والثوالث والروابع إلى القوانين إلى غير النهاية ليس إلا الله ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ أي علم أنه لا يمكنكم إحصاء مقدار كل واحد من أجزاء الليل على الحقيقة ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ إشارة وعبارة إلى الترخيص في ترك القيام المقدر ﴿فَٱقۡرَءُواْ﴾ أي صلُّوا ما تسهّل وأقرأوا ﴿مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكم في صلاة الليل، وإنما عبر عن الصلاة كما عبّر عنها بسائر أركانها من القيام والركوع وغير ذلك إشعارًا بأن أصل الصلاة وحقيقتها هو القرآن وورائها من الصلاة وزان الروح من البدن.

قيل: كان التهجد واجبًا على التحسر المذكور فقسى عليهم القيام ننسخ به ثم نفسخ هذا بالصلاة أو فاقرأوا القرآن بعينه كيف ما تيسر منه عليكم. قيل: بقراءة مائة آية: ومن قرأ مائة آية في ليلة لا يحاجه القرآن ولا يخاصمه. وقيل: من قرأ مائة آية كتب من القانتين.

وقد بيَّن الحكمة في النسخ وهي بقدر القيام على المريض والسقيم وعلى الضاربين في الأرض بطلب العلم والتجارة والمجاهدين في سبيل الله.

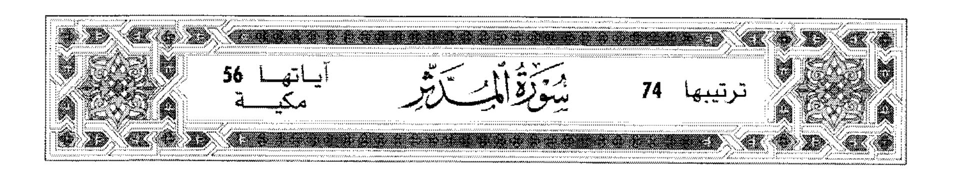
عن عبد الله بن مسعود: كان رجل جلب في مدينة من المسلمين لكسب الحلال صابرًا محتسبًا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء، فإذا كان حال طالب الدنيا من الضاربين في الأرض لكسب الحلال من الدنيا من الشهداء فما ظنك في طالب العلم.

﴿مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾ مريضًا سقيمًا سقطت عنه الصلاة ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ العلم والتجارة والأموال المكتسبة ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ في الجهاد والغزوات ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا﴾ [المُزمّل: 20]

المكتوبة والخمس ﴿تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ والصدقات المفروضة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ جزيلًا وثوابًا جميلًا خيرًا، أجد مفعولي (تجدوه) ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ أي اطلبوا التجاوز عن السيئات من رفض القيام في الليل ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المُزمّل: 20] يعطيه من فضله وإحسانه.

تمَّت السُّورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أمر رسوله بطرح دثار الصفات الروحانية للانتهاض عن المرتبة الروحانية والطور الروحي إلى مرتبة العقل الصريح والطور الخفي بتبليغ ما في هذا الموطن من الآيات الدالة على الأحكام الربوبية والنواميس الإلٰهية إلى أعيان أمته المتجردة عن الملكات النفسانية والهيئات الروحانية في المرتبة الواحدية لتكثر عن سمات الحدثات وثبات الإمكان ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أعطى عباده المخلصين وصف الصبر ليستحصلوا عن عذاب السقر، فوض الله تعالى من ملائكة العذاب تسعة عشر ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي لا يعلم جنوده الغيبية والعساكر العينية في ملكه وحصائد ملكوته إلا هو.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدَّثر: 1] أي المتدثر، ففعل به بما فعل بالمزمل ملابس الدثار الروحاني واللباس النفساني والثبات الجسماني في الطور الإنساني، ثم من مبيت عالم الملك ومضجعه ومن مدار عالم الفلك ومغيبه ومطلعه كان في بداية هذه الحالة أنه روي أنه ﷺ قال: «**كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أرَ شيئًا، فنظرت فوقي فإذا هو على العرش في الهواء على السماء والأرض ـ يعني الملك ناداه ـ ففزعت فرجعت إلى خديجة فقلت: دثروني، فنزل جبرئيل فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾».

عن الزهري: إن أول سورة نزلت سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العَلق: 1] إلى قوله:

﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلق: 5] بحزن رسول الله ﷺ وجعل يعلو شواهق الجبل، فأتاه جبرائيل وقال: إنك نبي الله، فرجع وقال: دثروني وصبوا عليّ ماءً باردًا، فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدَّثِّر: 1]. قيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرًا كما يفعل المغتم، فأُمر أن لا بد من إنذارهم ودعوتهم وإن سمعوه وآذوه.

﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾

﴿قُمْ﴾ من مقام الخوف ومن حال الرعب والعوف ﴿فَأَنذِرْ﴾ [المدَّثِّر: 2] قومك وخوِّفهم غضب الله في ترك طاعة الله وعبادته إلى عبادة الأوثان.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾ [المدَّثِّر: 3] وعظِّمه وقدِّسه عما نسبوا إليه مما لا يليق بألوهيته.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾

﴿وَثِيَابَكَ﴾ أي الطور العالي ﴿فَطَهِّرْ﴾ [المدَّثِّر: 4] واليقين البدني بماء النواميس الإلهية وبصابون الأحكام الدينية والأعلام التشريعية عن الحدث الإمكاني والخبث الجسماني وهو المخالفات بالأمر الإلهي وارتكاب الفعل المنهي واجتلاب الأوصاف الدنية والأخلاق الردية، وهو أول ما أُمر به من رفض العادات وبغض المخالفات. يقال: فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب وطاهر الأردان إذا كان موصوفًا بالنقاء، معروفًا بالصغار من المعايب البدنية والأوصاف الدنية والأخلاق الردية، وهو أول ما أمر به الرذيلة. وفلان دنس الثياب وملوث اللباس إذا كان بالعكس فذلك أن اللباس يلاقي البدن ويلاصقه وبملامسة البدن يطلق اسم أحدهما على الآخر ويستعار له.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدَّثِّر: 5] أي الأخلاق الرذيلة اتركها وارفضها إذ الرجز بضم الراء وكسرها هو المكروه والعذاب. قيل: المراد هو حب الدنيا لأنه رأس كل خطيئة، ورد في الحديث. ويمكن أن يحمل الأول على تكميل القوة النظرية والثاني على القوة العملية وتنقيتها.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾

﴿وَلَا تَمْنُن﴾ [المدَّثِّر: 6] من المن وهو تحميل المنة على السخاء والعطية وإظهار الكبر والعظمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البَقَرَة: 264]، ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدَّثِّر: 6] أي تجعل في رزقك وبرك كثرة لأن بلاء المنة تكون خالصة لله، فالله يجعل عوضه زيادة على ما أنفق في سبيله.

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ [المدَّثِّر: 7] أي اجعل إنفاقك خالصًا مخلصًا لله، وذلك إنما يكون شكرًا للنعم السابقة والشكر يزيد النعمة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، ﴿فَٱصْبِرْ﴾ [المدَّثِّر: 7] على ما أصابك في طريقك من التكاليف الشاقة والأذية الداقة على المشركين وإهانتهم أرباب النفقات في سبيل الله.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾

﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ ونفخ ﴿فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدَّثِّر: 8] أي في الصور ليدعوك إلى الله، من النقر وهو التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت.

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾

﴿فَذَٰلِكَ﴾ اليوم أو الوقت الذي نقر به ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم كذا ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدَّثِّر: 9] فذلك ابتداء عسير خبره يوم عسير انتصب إذًا بما دل عليه الجزاء أي عسر الأمر إزالته، والذي أجاز وقوع (يومئذ) ظرفًا لـ(يوم عسير). قال: إن ذلك اليوم وقت النقر ووقت يوم عسير لأن يوم القيامة يأتي ويظهر حين ينقر في الناقور. واختلف في أنها النفخة الأولى، أما الثانية يجوز أن تكون يومئذ مبنيًّا مرفوع المحل بدلًا من ذلك، ويوم عسير خبر كأنه قيل: فذلك اليوم يوم عسير.

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [المدَّثِّر: 10] تأكيد يمنع أن يكون عسيرًا من به يسيرًا ومن وجه على الكافرين بل يزداد العسر ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: 56]، وأما على المؤمنين فغير عسير تبديل ذلك العسر إلى اليسر

شيئًا فشيئًا إلى أن ينجو من دار العذاب إلى دار الثواب، فهذا بشارة المؤمنين وخسارة الكافرين.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدَّثِّر: 11] حال من الله على معنيين أحدهما: ذرني وحدي مع مخلوقي فأنا أجزيه على الدعوة أو المخلوقات للحسنات ثوابًا وللسيئات عذابًا. والثاني: خلقتهم وحدي لم يشاركني أحدًا، أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد وفرد فريد لا مال له ولا ولد ولا جاه ولا مدد ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: 94] نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي ومن كان يلقب في قومه بالوحيد، ولعله لقب بعد نزول الآية فإنه لما خلق وحيدًا بلا ولد وآمن فأنعمه الله مالًا وولدًا وارتاب فإذا كفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ [المدَّثِّر: 12] بالنتاج والزراعة والتجارة.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدَّثِّر: 13] حاضرًا كلهم لديه. قيل: كان له عشرة أو أكثر فأسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام وعمارة. وعن ابن عباس: كان بين مكة والطائف وكان له من صنوف الأموال، وكان له في الطائف بستان تؤتي الأشجار أكله فيها صيفًا وشتاء ولا يقطع أصلًا في وقت من الأوقات.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾ [المدَّثِّر: 14] أي بسطت له بسطًا من الأموال والجاه والرياسة العريضة، وكان من أكابر قريش ولذا لقب بريحانة قريش وكان معمرًا وحيدًا بين القوم بوجوه.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾ وليد المذكور بعد هذه الحالة ﴿أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدَّثِّر: 15] على ما

أنعمته به مع كفران النعمة إليه وصنوف آلائه ونعمائه من الأولاد والأموال والخدم والعبيد فهو لا يستحق ثبات النعم الحاصلة فضلًا عن الزيادة.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦﴾

ولذا منعه بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ﴾ الوليد بن مغيرة ﴿لِآيَٰتِنَا﴾ المبسوطة في الآفاق والأنفس ﴿عَنِيدًا﴾ [المدَّثر: 16] معاندًا ومنكرًا ردع له عن طمع الزيادة ولذا كان تعليل المودع استئناف لمعاند الآيات وإنكارها التي صارت علة لمنع الزيادة ما زال وليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده وجاهه حتى هلك.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ [المدَّثر: 17] سأرهقه أو أعيشه عقبه شاقة المصعد وهو لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق ولا يمكن أن يرفع ويزال. قيل: صعودًا عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فإذا صعدها وارتفع عليها عادت إلى ما كانت عليه، وكذا إذا وضع رجله زلقت فلو ارتفع عليها رجع القهقرى عاد إلى ما كان عليه. روي أنه قال: الصَّعود حبة من نار يصعد فيه سبعين طريقًا ثم يهوي كذلك فيه أبدًا.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨﴾

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ وتفكر وتأمل وتصور ﴿وَقَدَّرَ﴾ [المدَّثر: 18] تعليل للوعيد أو بيان للنعت. والمعنى أنه فكر في الأمور الدنياوية أو في الرسول ونبوته ورسالته أو في القرآن، وتفكر فيما يجعل طبعًا في القرآن وقدر في نفسه ما يقدر من الطعن والاستحقاق، ثم لما تفكر فيما يحصل رأى في نفسه كلامًا مخيلًا مقدرًا وهو المراد من قوله: ﴿وَقَدَّرَ﴾.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾

ثم قال: ﴿فَقُتِلَ﴾ أي قتله الله كيف فكر وتفكر ثم قدر في نفسه ما يتفكر قبل ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدَّثر: 19] هذا إنما يذكر عند التجرد والاستفهام ومثله قوله: قتله الله ما أشجعه وأجراه وما أشعره، ومعناه أنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده، هذا مقام الدعاء عليه بالقتل أنه فكر وتفكر وكيف قدر

ما قدر وتعجب من تقديره وإصابته في الرمي. قوله: بالرمي والقدح الذي هو غرض لقريش ومقصودهم الذي كانوا عليه، أو ثناء عليه على طريق الاستهزاء وهو حكاية لما كرهوه من قتل كيف قدر تهكمًا بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم بقوله.

روي أنَّ الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد ﷺ كلامًا ما هو بكلام الإنس والجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وأسفله لمورق وإنه يعلو ولا يُعلى عليه، فقالت قريش ضياء وبهجة الله الوليد. وقال ابن أخيه أبو جهل: إن له كوة يقعد إليها حزينًا كلمه مما أحياه. فقام فأتاهم فقال: تزعمون أنتم أن محمدًا مجنون! فهل رأيتموه يخنق، وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن قط، وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه أنه يتعاطى شعرًا، وتزعمون أنه كذاب فهل رأيتم عليه شيئًا من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللّهم لا، ثم قالوا: فما هو ومن هو، ففكر في أمره وتفكر في نفسه فقدّر ما قدّر فقال: ما هو إلا ساحر، ثم قال: أما رأيتموه قد فرق بين الرجل وأهله وولده فليس الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾ [المدَّثِّر: 20] لقوله ذلك ويظهره بين الخلق.

﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١﴾

﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١﴾ [المدَّثِّر: 21] فيه ثانيًا وثالثًا وقدر واستحق الدعاء عليه. وإنما أورد (ثم) للدلالة على أن الدعاء عليه في الكرة الثانية والثالثة أبلغ من الأولى.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢﴾

﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ الوليد وساء خلقه وتغير وجهه وصار عبوسًا قمطريرًا من علو شأن محمد، قد ظهر من كلامه فضاقت منه عليه الحيل وتحيرت في قدحه ولم يدر ما يقول ﴿وَبَسَرَ﴾ [المدَّثِّر: 22] كلح لون وجهه كما كلح أول بصر الناظر إذا خجل وانفعل عند المناظرة، وهذان الفعلان يدلان على أنه كان عالمًا بأن محمدًا صادق

في دعواه ودعوته حق إلا أنه أنكر عنادًا ومكابرة واستكبارًا كما دلت عليه مقالاته.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ الحق أو الرسول أو الكلام الدائر الذي قاله في صدق محمد، فأعرض عنه إلى قوله من غير أن يدل عليه أمر ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [المدَّثِّر: 23] عن اتباعه ومتابعته وعن الدخول في دينه.

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَقَالَ﴾ الوليد بعد إظهار الكلمات الحقة ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ أي ليس ما قال هذا الرسول الذي هو محمد ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدَّثِّر: 24] أي ساحر يؤثر ويختار وبه يحكى.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ الكلام أتى به ساحر ﴿إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدَّثِّر: 25] وكلامه كالتأكيد للجملة الأولى ولذا ترك العطف عليها.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدَّثِّر: 26] أي أدخله في النار بدل من سأرهقه تبيان لسوء حال الوليد.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ [المدَّثِّر: 27] تفخيم لشأنها أو لهولها.

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿لَا تُبْقِي﴾ السقر والنار ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ [المدَّثِّر: 28] فيها شيئًا إلا أكلته وأهلكته، أو لا يبقى فيها حيًّا ولا تذر فيها ميتًا، والتكرير للتأكيد والمبالغة ومنهم من قال: لا بد من الفرق، ثم ذكر وجوهًا أحدها: أنه لا يبقى من الجسم وأجزائه الأولية كالدم والعظام والعصب والجلد. والثانية: كالأعضاء من اليد والرجل والفخذ أو الأجزاء. الثالثة: كالوجه المركب من الفم والأنف والعين والحاجب. والرابع:

كالرأس المركب من الوجه والعظام التي هي كجدر البناء الأربع والسقف ومن الجمجمة والمخ شيئًا أصلًا على وجه الجمعية، ولا يلزم من انتفاء هذا انتفاء كل واحد فردًا فردًا ولا يلزم من انتفاء الأول انتفاء هذا إذ انتفاء الخاص لا يستلزم انتفاء العام دون العكس.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لَوَّاحَةٌ﴾ مغيِّرة ومبدِّلة ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ [المدَّثِّر: 29] أي مسودة البدن الإنساني، جمع بشرة وهي ما يرى من الإنسان في بادئ النظر كما قيل في تعريفه بالرسم الناقص مستقيم القامة بادي البشرة، ضحاك الطبع، أي مسودة لجلودهم ومحرقة لها.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

قد وكَّل الله ﴿عَلَيْهَا﴾ وسلط لديها ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدَّثِّر: 30] من الملائكة، وإنما حصر عليها لأنها مظاهر قوى حواس التي هي الإغواء عن الحق والإغراء على الباطل، أعني الحواس الخمس الظاهرة والباطنة وهي عشرة، وأما التسعة وهي فائض الأسماء السبعة الظاهرة الذاتية وتقتضي مقتضى الذات وتقتضي الصورة الجمعية وهو انتفاؤها، فمجموع هذه النقائض التي تتقوم بها حقيقة الحواس التي هي مخاطبة إبليس والشيطان هو تسعة عشر التي لا يدخل أحد من الإنسان في النار إلا بها، فلا بد أن تكون بإزاء كل واحد منها ملك من العذاب ليعذبه كما كان لظهورها أحد من الشيطان أو ملك من الرحمان، أو لأن ساعات الليل والنهار أربعة وعشرون فالمصروف للصلوات التي تنهى عن الفحشاء والمنكر خمسة فبقي تسعة عشر.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المدَّثِّر: 31] وهي تسعة عشر وأظهرها

عليها. قال أهل الحكمة: إن سبب فساد النفس الإنسانية ونقصانها في كمالات النظرية والعملية من القوى الحيوانية والطبيعية، أما القوى الحيوانية وهي الخمس الظاهرة والخمس الباطنة، والقوة الشهوية والغضبية فهي إثنا عشر، وأما القوى الطبيعية فسبعة وهي: الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاوية والنابتة والمولدة، فالمجموع تسعة عشر.

روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدَّثر: 30] قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، قال ابن أبي كبشة: إن خزنة النار تسعة عشر فأنتم الجمع العظيم لعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، فقال أبو الأسد بن كلدة الجهني، كان شديد البطش: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني أنتم اثنين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ الذين تباشره ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ لا رجالًا من الإنس والجن من جنسكم ومن جنس الجن خلاف المعذبين من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المحابون من الرأفة والرحمة والشفقة والرقة فلا يستريحون إليهم لمغايرة حقيقتهم ولوازمها بحقيقة الإنس والجن ولوازمهما ولا يرحمهم، ولأنهم أقوم خلق الله وأقواهم بحق الله وبالغضب له فكيف يقاوم جنس الرجال إياهم مع أن واحدة منهم تدفع بالدفعة الواحدة في جهنم في مثل أشخاص من ربيعة ومضر، وأن ملكًا واحدًا منهم يقبض أرواح جميع الخلائق، وهذا وصف خزنة النار ومكان أعينهم، لو أراد الله تعالى أن يهلك الخلائق ويحرقهم بشعاع برق عين أحدهم لأهلكهم وأحرقهم مع أنه يجوز أن يكون المراد تسعة عشر صف وعدد كل صف لا يعلمها إلا الله، وأن يكون معناه هذا العدد ولكل واحد أعوان لا يعلمهم إلا الله.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ عددهم تسعة عشر وهي عدد خاصيتها ليست ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ قهرًا وغلبة على أعداء الله، فإن ظاهرها وهو عدد أحرف بسم الله الرحمان الرحيم نور ورحمة لأوليائه، وباطنها نار ونقمة وعذاب وغضب وسخط لأعدائه كما ورد في الأدعية المأثورة: «**واحجبني عنهم بحجاب النور الذي باطنه وظاهره النار**»، ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله وبرسوله وبكتابه ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ أي ليصدق هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المدَّثر: 31] من اليهود والنصارى وأهل اليقين من الزبور التام بوجود الجنة والنار وحرتها لأن الله ذكر في كتابهم التوراة والإنجيل والزبور والجنة

والنار والملائكة المسلطة عليها أعدادها وسائر أحوالها ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بمحمد وبما جاء به من تصديق الأنبياء والكتب السماوية النازلة عليهم ﴿إِيمَٰنًا﴾ [المدَّثِّر: 31] أي ازداد إيمانهم لزيادة علمهم بمحمد وبما جاء به وبالآخرة، فإن هذين العِلْمَين وزيادتهما يوجب زيادة الإيمان بهما ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ من المسلمين ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شرك ونفاق وشك. قال بعضهم: هذه السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق، فالمرض في هذه الآية هو الخلاف والشقاق لا النفاق، فالذين آمنوا بمحمد يزدادون إيمانًا كالحبر أو عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهم، وأن التوراة والإنجيل كانا محرفين بأهل مكة، كانوا يقرأون فيهما أن عدد الزبانية هو هذا القدر لكنهم ما كانوا يقولون على ذلك ولا يعتمدون كل التعويل والاعتماد، فلما سمعوا ذلك من رسول الله قوى إيمانهم وازداد يقينهم واستيقنوا ذلك العدد بأنه الحق والصدق وبعدد خزنة النار وجه آخر وهو أن الله يدبر أمر العالم الكتابي من السماء إلى الأرض وما فوض الله التدبير المذكور إليه هو البروج الإثنا عشر فضل الله الفيض الكائن في العرش الرحماني الذي نسبته إلى ما دونه على السواء فيكون فيه من حيث هو على الإجمال في البروج ودرجاتها ودقائقها وثوانيها إلى العواشر، فبواسطة الكواكب السيارة قد وصل إلى الكائنات العنصرية ووصل فيها لكل واحد منها منسوب إلى ملك مدبر أو أمر الكائنات، فإن كان على الوجه المحمود يجر ذلك الكائن إلى الجنة، وإن كان على الوجه المذموم يجره إلى النار، ويسمى بذلك الوجه الزبانية أي ملك العذاب، وبالوجه الأول يسمى ملك الرحمة لما علمت أن حروف البسملة التي باطنها النور وظاهرها النار.

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ العدد وبما ذكر من النار والتعذيب به عطف على يقول ﴿مَثَلًا﴾ يعني يكون هذا العدد مستغربًا كاستغراب المثل المضروبة التي ما علموا سرها وحقيقتها وفائدتها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعني مثل الطائفة التي استغربوا هذا العدد وأنكروا فائدة ضرب المثل أضلهم الله كما ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ من فرق الكافرين والمشركين ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ من المؤمنين العارفين سر هذا العدد وضرب المثل وفائدته وحكمته ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ [المدَّثِّر: 31] أي ما خلق الله من الأعيان الخفية والأبدان المختفية عن أعين الناس وعن إدراكهم وهم غير متناهية

حدًّا وعدًّا ومدًّا وشدًّا وردًّا وهدًّا، بل الموجودات كلها ظاهرها وباطنها لا يعلمها ﴿إِلَّا هُوَۚ﴾ ومنهم خزنة النار أصنافًا وأشخاصًا وأعوانًا وأعيانًا.

عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين وجبريل عليه السلام إلى يمينه فقام وقال: إن ربك أمر بكذا وبكذا، فخشي رسول الله ﷺ أن يكون هذا القائل شيطان فقال: يا جبرئيل أتعرفه؟ قال: هذا ملك وما كل ملك ربك أعرفه لأنه جنود الله فلا يعلمها إلا الله، قال موسى عليه السلام: يا رب من معك في السماء؟ قال: ملائكتي، قال: كم عدتهم يا رب؟ قال: اثنا عشر سبطًا، قال: كم عددهم، قال: عدد هذا التراب ﴿وَمَا﴾ أي ما سقر أو عدة الخزنة أو جنود الله أو السورة ﴿هِيَ إِلَّا﴾ أي تذكرة وتذكار ﴿ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدَّثِّر: 31] إشعار بأن شأن البشر هو أن يصرف الجنود إلا أنه قد ذهل عنهم.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ٣٢﴾

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ٣٢﴾ [المدَّثِّر: 32] أي لا يتذكر لما أنكروه بل هو أظهر الأشياء وهو الشمس والقمر.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ٣٣﴾

﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ٣٣﴾ [المدَّثِّر: 33] وولى وتولى ومضى أو جاء، خلف النهار، ويقال: أدبر فلان إذا جاء خلفه وعقبه كقبل بمعنى أقبل وزرع بمعنى أزرع، وحصد بمعنى أحصد.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ٣٤﴾

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ٣٤﴾ [المدَّثِّر: 34] وأضاء، يقال: سفر وجه فلان وأسفر إذا أضاء وتشعشع.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ٣٥﴾

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ٣٥﴾ [المدَّثِّر: 35] جمع الكبرى، جعلت ألف التأنيث كناية كما جمعت فعيلة على فُعَلْ جمعت فُعْلى عليها كالسواقي جمع ساقيًا، والقواصع جمع قاصعًا، هي جمع فاعلة يعني السفرة أو الخزنة الموكلة عليها لإحدى الأمور العظام والبلايا، ومع كونها إحدى البلايا إنها من بينهن واحدة في العظم

كما قال: هذا أحد الرجال، وهي إحدى النساء التي لا نظير لها إشارة إلى أن الأمور الخفية الإلٰهية غير متناهية كل منها في نفسها عظيم لا يعادلها شيء.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿نَذِيرًا﴾ أو مخوفًا ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ [المدَّثِّر: 36] ولا يعلم تلك الأمور العظام إلا الله ولا يعلمها أحد من الملائكة والإنس والجن إلا بوحيه وتعليمه وإعلامه وإلهامه وهو ما تميز من إحدى أو حال عما دلت عليها الجملة أي كثرة.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

منذرة ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من البشر ﴿أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدَّثِّر: 37] في تأويل المصدر المنصوب يشاء، أي نذير للمنكبين من السوء إلى الخير، أو المتخلفين منه أو لمن شاء خيرًا لأن يتقدم فيكون في معنى فمن شاء فليتأخر ومن شاء فليتقدم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدَّثِّر: 38] ليست بتأنيث رهين لأن فعيلًا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتمة بمعنى الشتم كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهينة، يعني كل نفس رهن بكسبها عند الله غير منفك عنها.

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [المدَّثِّر: 39] فإنهم فكوا عن رقابهم ما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق. وعن علي رضي الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرهنون بها. وعن ابن عباس: هم الملائكة.

﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ [المدَّثِّر: 40] لا يمكن وصفها وذلك أن أصحاب اليمين لا يحاسبون ولا يرتهنون بعضهم لكن يغفر لهم ويتجاوز عنهم كما وعدهم. عن جعفر بن محمد الباقر رضي الله عنه قال: نحن وشيعتنا أصحاب اليمين.

﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المدَّثر: 40] ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [المدَّثر: 41] أو يسأل بعضهم عنهم أو يساءلون غيرهم عنهم. قال بعض أصحاب اليمين هم المؤمنون الذين حاسبوا نفوسهم وراضوا رياضة مناسبة معتدلة قد قتلهم الله لحسباهم مخالفة النفس ومن قتلته فأنا ديته وهم أولياء الله الذين خرجوا من ظلمات عالم الطبيعة والمرتبة الشيطانية والسبعية والبهيمية ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البَقَرَة: 257]، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]، ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يُونس 64].

قيل: كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر أو نفع أو ضر إلا من اعتمد الفضل والرحمة دون الكسب والخلفة، وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به.

قيل: نفس رهينة. وقال: أين المفر من القدر، وكيف القدر على الخطر.

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدَّثر: 42] أيْ أيُّ شيء أدخلكم في النار؟

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾

فأجابوهم: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدَّثر: 43] الصلاة المكتوبة المقدرة الواجبة.

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدَّثر: 44] على سبيل الوجوب وذلك واجب على أهل الوبر حق الضيافة للسائلين، لا على أهل المدر إلا من سأل وقت الاضطرار فإنه في هذه الحالة يجب عليه طعامه، وفيه دليل على أن الكافي مكلف بالفروع والأصول، وأن الضيافة أمر واجب على الكل.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ في الدنيا ونشرع في الأباطيل ﴿مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدَّثر: 45] المسارعين فيها.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدَّثِّر: 46] في النشأة الأولى والنشأة الأخرى، وكون إنكاره وجحده كافيًا في دخول النار، وأن الصلاة وإطعام الطعام بإنكار الآخرة غير نافع.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدَّثِّر: 47] يعني أن تكذيبهم يستمر إلى الموت الذي يحصل العلم بما أنكروا واليقين بحقيقة ما جحدوا واستنكروا.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: 48] لو شفعوا لهم جميعًا لتفريقه وتضييعه ما هو المقصود بالذات وهو الإيمان بالله لأن صدق القضية السالبة لأمرين: إما لانتفاء النسبة الحكمية وعدمها، وإما لانتفاء الموضوع وعدمه وهو الشفاعة، فالعرض إما انتفاء الانتفاع أو عدم الشفاعة وانتفائه.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدَّثِّر: 49] أي ما من شأنهم وطبيعتهم أن يعرضوا عن القرآن وعن العمل بمقتضاه وأحكامه.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾

كانوا ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾ جمع حمار ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدَّثِّر: 50].

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ [المدَّثِّر: 51] الاستنفار وهو شديد النفار، والقسورة اسم جماعة الرّماة الذين يتصدونها، وقيل هي الأسد، يقال: ليوث قساور، وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الحق والذكر والقرآن والموعظة بالحمر نافرة فرت من الأسد.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ﴾ من كل واحد من أعيانهم ﴿أَن يُؤْتَىٰ﴾ أي يعطى ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدَّثِّر: 52] أي قراطيس منتشرة وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي لنا كتابًا خاصًّا.

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿كَلَّا ۖ﴾ ردع عن اقتراحهم وطلبهم الآيات ثمَّ ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [المدَّثِّر: 53] أصلها بل فأدغمت اللام في اللام، و(بل) للإضراب للترقي يعني بل لا يخافون عذاب الآخرة وعقابه ولهذا أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إتيان الصحف بل للمآل عنادهم ومكابرتهم.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾

ثم ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ [المدَّثِّر: 54] بليغة كافية منهم أمرها في الكفاية.

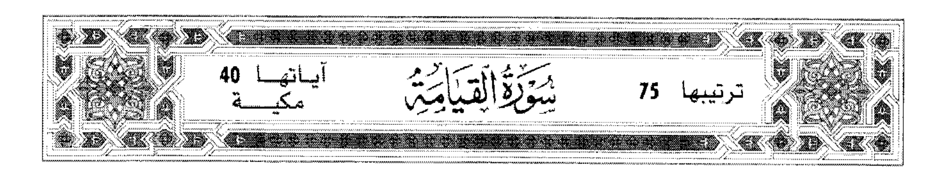
﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ [المدَّثِّر: 55] أي أن يذكره ذكره.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ ذكرهم ومشيئتهم لقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ وهو تصريح بأن فعل العبد هو مشيئته ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ إن الله عزَّ وجل حقيق بأن محمدًا ﷺ يحذره ويتقي عذابه ويحذر ويخاف ويحتذر عن عقابه ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدَّثِّر: 56] حري بأنه يغفر لعباده سيما المتقين منهم. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (المدثر) أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذبه بمكة**» صدق رسول الله ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي رتب الأدوار النورية وركب الأكوار الظلية على وجه لو انقضت مدة طرحه كل دورة منها وانتهضت عند انتهائها وانتقلت الفردارية منها إلى الكورة الظلية الضمنية ظهرت الساعة، ثم قامت القيامة العظمى في الدورة العظمى والقيامة الكبرى في الدورة الكبرى، والقيامة الوسطى في الدورة الوسطى، والقيامة الصغرى في الدورة الصغرى ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أخرج الأكوان الظلية التي كانت في فردارية النور ضمنية صريحًا وجعل أحكامها ظاهرًا صريحًا وباهرًا نصيحًا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أدار حقيقة النفس من مرتبة الأمّارة واللّوامة والملهمة إلى النفس المطمئنة وجعلها بصيرة على نفسها في إدراكها وقدمها لتكون إلى وجهه يومئذ ناظرة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: 23] بلا افتراق ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القِيَامَة: 29، 30].

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾

﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [القِيَامَة: 1] إدخال أداة النفي على فعل القسم للتأكيد الشائع وللتأييد لما ارتضاه اليمين أمر دافع مدخول لا محذوف، أي لا يكون الأمر على ما توهم المشركون، أقسم بيوم القيامة بالنفس اللوامة وإنما أقسم بها إشعارًا بأن القيامة على ضربين: آفاقي ونفسي، أما الآفاقي فظاهر إما إجمالي أو حالي، أما الجمالي فهو ضربان: إفرادي وجمعي.

وأما الإفرادي فهو على أربعة أنواع: عظمى وكبرى ووسطى وصغرى، فهي

التي تظهر في الدورة العظمى بعد انقضاء نوبة فردارية تربية الأعيان المندرجة تحتها وانتهاء مدة تربيتها وهي ثلاثمائة وستون ألف سنة من أيام مرتبة دورتها ومقدار مرتبة دورتها خمسون ألف سنة، وكبرى: وهي قيامة دورة كبرى ووسطى للدورة الوسطى والصغرى للصغرى، ومقدار كل دورة ثلاثمائة وستون ألف، والتفاوت إنما هو في مقدار يوم، فإن مقدار يوم الدورة الصغرى أربعة وعشرون ساعة، ومقدار يوم الدورة الوسطى مائة سنة، ومقدار يوم الدورة الكبرى ألف سنة، ومقدار يوم الدورة العظمى خمسون ألف سنة.

أما القيامة النفسية فهي أيضًا أربعة أقسام بعدد مراتب النفس، وهي: الأمّارية واللّوامية والملهمة والمطمئنة، فإن السالك إذا ماتت نفسه الأمّارية فعلى مقتضى الحديث: «**من مات فقد قامت قيامته**» حصل له قيامة، وإذا انتقل إلى النفس اللوامة فقد حصل له قيامة ثانية، وإذا انتقل من اللوامة إلى الملهمة وماتت الملهمة فقد تظهر لها قيامة ثالثة وعند موته عن الطور النفسي المطمئنة قامت لها قيامة رابعة، وإذا انتقلت من الطور القالبي إلى الطور النفسي وماتت بأموات أربعة اختيارية وخرجت عن مواطن أطوارها الأربعة بالإرادة وانتقلت إلى الطور القلبي والدور الغيبي حصل لها حالة جامعة وبرزخية مؤلفة من الترقي عن ظواهر النفس إلى أنوار حضائر القدس من غير انسلاخ عن الأطوار النفسية، وإذا استوفت خصائصها ولم يبق لها حالة منتظرة واستصعدت من المراتب النفسية إلى المرتبة القلبية والحقيقة البرزخية الجامعة لمدار الحس ومسالك أدوار النفس، واستعدت لأن تبلغ إلى الطور السري الذي هو موطن شهود التجليات الإلٰهية فحينئذ يظهر لها أربع قيامات أخرى: سريَّة وروحية وعقلية وذاتية، وأربع تجليات: آثارية وأفعالية وأسمائية وذاتية، وبإزاء كل تجلي إلٰهي تقوم قيامة حشر ونشر ونفخ وصور وبوق ونفير. هذه القيامات كلها إجمالية تظهر في الأدوار الجمالية النورية، وإذا انتقلت الفردارية من الجمال إلى الجلال وأكواره الأربعة ظهرت قيامات أربع: جلالية آفاقية ونفسية مطابقة لقيامات الجمال كمًّا وكيفًا ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القِيَامَة: 1 - 2].

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [القِيَامَة: 3] إشارة إلى النوع الأول من أنواع القيامات الأربع

الآفاقية من أنواع القيامات الظاهرة في الدورة الصغرى النورية الوجودية. سأل عدي بن ربيعة عن القيامة فقال: لو عاينت ذلك اليوم، وذلك لأن حقيقة الإنسان بحسب بعدها عن المبدأ الأول والفطرة العليا صارت عليها جهالة وغفلة وكسالة فصارت أجنبية بعيدة عن الحق والحقائق، عنيدة عن قبوله، وقد ترتقي من هذه المرتبة إلى مرتبة النفس اللوامة فتنبه عن سنة الغفلة وتنبه من نوم الجهلة، فتلوم نفسها على مخالفة حكم الله وعدم قبوله، وقد تعارض الأمارة اللوامة وتناقضها وتصرفها عن مقتضاها فتصير حيارى وتأبدت من الله تأبيدات إلٰهية وبتأكد تأكيدات ربانية ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشّمس: 8] فتقواها تقوية قوية والنفس في وقت كافرة وفي وقت مؤمنة وفي وقت موافقة وفي وقت مطيعة وعاصية ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القِيَامَة: 3] الرميمة المتفرقة أي لسنا بقادرين على جمع العظام الصفات والعظام والتئام جميع الأجزاء الأصلية التي كانت كامنة في البرزخ المعادي، ثابتة على حالها بلا زيادة ولا نقصان أبدًا وأزلًا، فالقوي القادر أقدر في بدء الحال وبداية الأمر على أن يجمعها وجعلها مخلوقًا، كذلك يقدر على أن يجمعها ثانيًا ويخلق منها مخلوقًا يكون على شاكلة ذلك المخلوق، بل يكون نفس ذلك المخلوق من حيث النوع والهيئة والشكل لا من حيث الشخص والشخص المعين، بل هذا بون، إن اجتماعها سابقًا كان بلا مادة واجتماعها لاحقًا كان مع المادة، فكان اجتماع الأجزاء وترتيبها وجمعها وتركيبها مع وجود المادة فجمعها ثانيًا لاحقًا أسهل، ولو امتنع لزم الترجيح بلا مرجح.

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾

﴿بَلَىٰ﴾ نقدر على جمعها حال كوننا ﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: 4] بعد ليونة اليد والأصابع وسائر الأعضاء والعظام الصغار والعظام من البنان والسمسميات والسلاميات والعصبات والدعامات والفقرات المجنحة وأضلاع الخلف والوركين والعصعص وغير ذلك.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عطف على أيحسب، فيجوز أن يكون استفهامًا وأن يكون إيجابًا لجواز أن يكون الإضراب عن المستفهم عنه وعن الاستفهام ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القِيَامَة: 5] أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان.

﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۝٦﴾

﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۝٦﴾ [القِيَامَة: 6] يسأل متعنت ومستبعد ومستهزئ أي يقع السؤال بأن متى تقوم القيامة وإنما ترك الفاعل إشعارًا بأنه لا يتعين لهذا السؤال فاعل دون فاعل ووقت دون وقت، بل هذا السؤال إنما يكون من أكثر الناس في أغلب الأوقات (يوم) مبتدأ، و(أيان) ظرف مقدم خبره.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧﴾

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧﴾ [القِيَامَة: 7] أي تحيّر فزعًا من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش وانتهض نظره.

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨﴾

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨﴾ [القِيَامَة: 8] وذهب ضوؤه ونوره من غير مقابلة بالشمس في إحدى العقدتين والجوهرتين الرأس والذنب.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩﴾

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩﴾ [القِيَامَة: 9] بأمر الله وبتقديره لدى ذهاب ضوئهما ونورهما عند انتهاء الدورة الترابية في الدورة المضيئة وذلك لانتظار سماء كل دور من الأدوار الأربعة النورية واشتقاقها وآيتها وكواكبها، فيجمع الكواكب بعضها ببعض وتنتقل الفردارية من دورة إلى دورة أخرى ضمنية فيتبدل المشرق والمغرب، ويتبدل الفوق والتحت، إذ اقتضاء الدورة على عكس الدورة الصريحة كما علمت أن سماء الكورة الجلالية تحت وأرضها فوق ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48] وكذا تتبدل سائر الجهات.

﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠﴾

﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ﴾ في هذه الحالة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي في يوم الجلال الذي جهاته غير جهات الجمال ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القِيَامَة: 10] وهذه الحالة آفاقية ونفسية، أما النفسية فهي التي لا يرتاب فيها من له قدم رامح وقدم ناسخ للمعادات، وما منح الاعتقادات وكانت بأحسن الأنفس تطابق الآفاق لأنها حاله ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي

﴿ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت: 53] فحينئذ لا بد وأن تكون القيامات في الآفاق على وجه يشاهد في الأنفس لأرباب الشهود الواثقين بعد التحقق بالله وبأسمائه وصفاته.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع ومنع للفرار ﴿لَا وَزَرَ﴾ [القِيَامَة: 11] وملجأ ومعين ومنجأ من الوَزْرِ وهو الثقل.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القِيَامَة: 12] أي ليس الممر والالتجاء والمفر إلا إلى ربك، وكذا المقر والمعاد المستقر إنما هو الله لإحاطة سلطانه وإحاطة مقتضى برهانه الكل لا يشهد شيء من عمله لا من الأعيان والأفعال ولا من الأكوان والأحوال، فإن كانت الأعيان والأحوال سعدًا طيبًا تجلى الحق لها بصور أفعالها الحسنة بالجنة، وإن كانت الأعيان سيئة والأفعال قبيحة أظهر الله لهم بصورة النار التي هي صور الأعمال القبيحة. قال النبي ﷺ: «**يُحشر الناس على صور أعمالهم**»، وقال ﷺ أيضًا: «**إنما هي أعمالكم تُرد عليكم**».

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ﴾ يخبر الإنسان يوم القيامة ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القِيَامَة: 13] من الأعمال البدنية والأفعال النفسانية والأحوال الروحانية من الإدراكات والأفاعيل والحركات والسكنات والأقوال اللسانية، فلأن لكل منها في ذلك صورة حسنة وهيئة مليحة تتمثل فيه تلك الأفعال والأحوال بصور حسنة وأشكال قبيحة مهلكة.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [القِيَامَة: 14] مطلعة واقفة ويدركها إدراك البصر المبصرات وأحوالها وإشعار بأن علم الجرمات بنفسها إنما هو علم حضوري وإدراك شهودي لا حصولي وخطوري، فإنه هو العلم والمثل والمثال ولذا فُسِّر تارة بتمثل حقيقة الشيء عند المدرك يشاهدها بما به يدرك، وأخرى بحصول صورة الشيء عند المدرك، والذي يشملها هو صفة توجب التميز لا تحتمل النقيض.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القِيَامَة: 15] ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به، جمع معذار بمعنى العذر، أو جمع معذرة على غير القياس كالمناكر والمنكر والقياس معاذر تأكيد لقوله: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القِيَامَة: 14] يعني أن الإنسان لكمال توجهه إلى الاطلاع بنفسه لا يغفل عن نفسه حين الغاية المعذرة.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ يا محمد، أي لا تحرك لسانك بالقرآن وبتلاوته قبل أداء الوحي ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القِيَامَة: 16] أي لتأخذه على عجلة مخافة فوت أو تقلب.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ وحفظه وضبطه في صحيفة صدرك ثم في صحيفة سرك وفؤادك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: 17] أي قراءته وإتيان صورته وهيئاته في لسانك، تعليل للنهي. وإنما أخر اللسان إشعارًا بأن القرآن أولًا يشعشع نوره على القلب والصدر ثم يسري إلى اللسان.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ بلسان جبرائيل على فؤادك وسرك ثم على لسانك ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: 18] وإنما كرر إشارة إلى الإنفار لا بد وأن يقيد بقيد التكرار.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القِيَامَة: 19] ومراده وتفصيل إشاراته وتحصيل رموزاته ومجملاته من الأحكام والحدود من الحلال والحرام.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع للرسول من العجلة والإعادة أيضًا أو للإنسان من الاغترار بالعاجل وعن ترك الاختيار بالأجل وأحواله ﴿بَلْ﴾ بيان لما أجمل وتكرار الردع إشارة إلى أن الاستعجال الطبيعي يوجب النسيان ﴿تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [القِيَامَة: 20] أي الدنيا وحطامها، و(بل) للإضراب لا بعد الإضراب للترقي.

﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [القِيَامَة: 21] وحالاتها من ملاحظة الثواب ومشاهدة العقاب ومعاينة التجليات وشهود أنواع الظهورات.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: 22، 23] النضرة هي الطراوة والحسن والبهاء التي تحصل من النظر إلى الله ومن مشاهدة جماله تُعرف في وجوههم نضرة النعيم «**نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها**» الحديث. قال ابن عباس: المرء ينظر إلى ربه عيانًا. قال رسول الله ﷺ: «**يتجلى لنا ربنا حتى ننظر إلى وجهه فنخر له سجدًا فيقول الله: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة**»، قد خصص الله تعالى تحصيلها بالدنيا لا مطلق العبادة إذ العبدية لا ترتفع عن العبد أصلًا لا في الدنيا ولا في الآخرة، والعبادة لازمة للعبد لا ترتفع عنه أصلًا لا في الدنيا ولا في الآخرة وإنما يرتفع عنه عبادة كانت وسيلة للآخرة، هذا والذي ذكره حال السعداء.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾

وأما حال الأشقياء فإليها أشار بقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القِيَامَة: 24] شديدة العبوس والتألم بلف من البأس لكنه غالب في الشجاع إذا اشتدّ كلح وجه عبوسه.

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿تَظُنُّ﴾ أي تتوقع ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا﴾ أي بالوجوه وأصحابها من الفظاعة والقبح والشناعة ﴿فَاقِرَةٌ﴾ [القِيَامَة: 25] داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناظرة أن يفعل بها التوجه إلى لقاء الله ومشاهدة وجهه ونقائه.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس والروح ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القِيَامَة: 26] إلى الصدر والترقوة من عظم وقع في الصدر متصل بالحنجرة كالحلقوم، والضمير في (بلغت) عائد إلى النفس لتقدم ذكرها في المعنى.

﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧﴾

﴿وَقِيلَ﴾ أي تقول الملائكة بعضها لبعض ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾ [القِيَامَة: 27] أي من يرقى ويجعل نفس العبد مترقية إلى الرقوة لملائكة العذاب أم ملائكة الرحمة.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨﴾

﴿وَظَنَّ﴾ أي المحتضر على الموت ﴿أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾ [القِيَامَة: 28] أي تيقن المشرف والمحتضر أن هذا اليوم هو يوم فرقة النفس والروح عن البدن إلا أنه لشدة العاجلة وحطامها كان يطمع بالحياة وطولها.

﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩﴾

﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ﴾ واجتمعت ﴿بِٱلسَّاقِ﴾ [القِيَامَة: 29] أي اختلطت الدنيا بالآخرة، أو أمر الدنيا بأمر الآخرة إذ هذا اليوم أول يوم الآخرة وآخر يوم الدنيا، أو عمل الدنيا بعمل الآخرة لاتحادهما في اليوم وإشراكهما فيه. قيل: هذا الحال إنما يظهر في الكفر أو في البرزخ كعذاب القبر والسؤال فيه، فإنه إنما يكون فيه بالنسبة إلى البدن المثالي والجسد المكتسب لا يظهر للشخص في منامه حالات غريبة في حضور جماعة وهم لا يحسون ولا يدركون إلا السكون، أو عند الموت ونزع الروح عن البدن فإن في هذه الحالة تلتف الساق بالساق لشدة الأمر فإن الأمر إذا اشتد على النائم تلتف الساق بالساق ظنًّا به عن الخلاص من أوامر الروح بأمر البدن وعمله بعمله أو شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة، على أن الساق مثل في الشدة.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ٣٠﴾

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي يرجع الأمر بعد هذا إلى ربك ﴿يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ [القِيَامَة: 30] أي سوقه إليه وتأول حكمه لديه.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١﴾

﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ الشخص المنكر الرسول أو القرآن ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القِيَامَة: 31] الصلاة المكتوبة، نزلت في أبي جهل، والضمير راجع إلى الإنسان والشخص المعهود.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القِيَامَة: 32] أي كذَّب الرسول والقرآن وتولى أي أعرض عنه وعما جاء به عنادًا واستكبارًا ولذا صرح بما يفهم ضمنًا.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ [القِيَامَة: 33] ويتمدد ويتبختر ويتفاخر، والتمطي هو حالة تعرض للإنسان عند الانتباه عن النوم قبل عودة الحمى أو عروضها. قال النبي ﷺ: «**إذا مشيت أمتي المطيطا وخدمتهم الروم والفرس**» أي متبخترًا «**سلط بعضهم على بعض**».

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [القِيَامَة: 34] أي ويل لك يا أبا جهل.

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ [القِيَامَة: 35] أي يوم شديد، أي يوم يعاد الويل لك واحدة بعد أخرى، فالتكرار مشعر بكثرة الويل وبنوعها.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ﴾ ويمهل ﴿سُدًى﴾ [القِيَامَة: 36] أي مهملًا ومهملًا من غير أن يأمر بأمر من التكاليف الشرعية والتعاريف الوضعية من الإيمان والمعرفة والفروع المرعية من الصلاة والزكاة والحج والجهاد كما تهمل الإبل بلا راعٍ ومصلحٍ وساع.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾ أي ألم يكن الإنسان في بداية الخلقة منًّا حقيرًا وهو النطفة ﴿مِّن مَّنِيٍّ﴾ أي لأجل المني والنمو والتولد والتوالد التي يلزم النشوء والنماء ﴿يُمْنَىٰ﴾ [القِيَامَة: 37] من النماء وهو التزايد في الأقطار الثلاثة على ما تقتضيه الطبيعة.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ [القِيَامَة: 38] بعد النطفة وعلوقها بالرحم واستحالتها علقة وماء

جامدًا ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القِيَامَة: 38] أي عدَّل أجزاء الإنسان بعد تقسيمها على الأجزاء الأصلية وهي القلب، ومن أول ما يتكون من الأجزاء الرشيدة الأصلية بصورة نطفة ثم تحركت هذه النطفة يمينًا ظهرت نطفة الكبد ويسارًا حصلت نطفة الطحال ثم تصاعدت إلى فوق وتكونت نطفة هي مادة الدماغ، ثم ظهرت العظام من الصغار والعظام والأعصاب والعروق وإذا صارت مضغةً وهي دم جامد تصير لحمًا يكسوها العظام، ثم بعد استكمال أجزاء البنية والبدن في يده أربعة أشهر وعشرًا تعلق الروح والنفس بالبدن فيتحرك في بطن أمه فجعل منه ـ أي بدن الإنسان المسوى ـ الزوجين.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القِيَامَة: 39] أي القوة الفاعلية والقابلية إما بدلان من الزوجين أو منصوب على المدح.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الصانع القاهر بهذه القدرة الكاملة والقوة الشاملة الفاضلة ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القِيَامَة: 40] مع كونه أهون من الإبداء في المحشر العظمى والنشأة الأخرى. روي عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: «**بلى**» تصديقًا للاستفهام. وقال أيضًا: «**من قرأ سورة (القيامة) شهدت له أنا وجبرئيل يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بيوم القيامة**» صدق رسول الله ﷺ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي خلق الإنسان من نطفة أمشاج بعد أن خلقه من أسطقسات أولية بجمع وتركيب وامتزاج وترتيب ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي أطعمهم أطعمة العلوم الفطرية في النشأة الأولى في صحارى الدورة العظمى، وأشربهم شراب المحبة الذاتية والخمرة الإلٰهية من دنِّ الأحدية وراقود الواحدية الجمعية، مزاجه كافور نابع من أعين سرت به عباد إليه يفجرونها تفجيرًا ليعتد لهم بردًا يقينًا ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي أسكر بحبور التجليات الذاتية وشراب الطهور الشهودي في خمر الشهود الذاتي لئلا يشاهدوا في النشأة العنصرية غيرًا سواه.

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَىٰ﴾ حقيقة ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ في ذاته الظاهرة بالتجلي الذاتي والظهور الأحدي في دورة العظمى الذاتية أو ماهية العلمية في التنزلات وآخرها في الترقيات وعينيته الثابتة النابتة في أحد جمعية تلك الدورة التي هي بدايتها ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ حصة من الوقت الذي هو امتداد الحضرة الربوبية في بداية الدورة الكبرى، فإن بداية كل دورة حالة إجمالية أحدية وهيئة واحدية تكون أعيان تلك الدورة مجردة عن العوارض المشخصة وعن الهويات الشخصية واللواحق المادية في هذه الحضرة ولا يتعين فيها جنس ولا نوع ولا صنف ولا شخص، هل هٰهنا وفي ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: 1] بمعنى قد للتحقيق، وقد يجيء بمعنى الجحد بقد، وهل يقدر واحد على مثل هذا.

وأما ما يجيء بمعنى الاستفهام فظاهر، والإنسان هو آدم عليه السلام بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الإنسان: 2]، ﴿لَمْ يَكُن﴾ آدم في ذلك الوقت ﴿شَيْـًٔا﴾ ثابتًا وموجودًا ﴿مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1] ظاهرًا ومبدًى في الخارج والعين إشارة إلى أن كل عين وموجود في اللفظ والكتابة ووجود في الذهن ووجود في الخارج ولنفس الأمر والوجود اللفظي هو الوجود العيني أي لم يكن لحقيقة الإنسان في الأدوار والأكوار كثرة تنوع أطوارها وأدوارها في مراتب الإجمال والتفصيل.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ وعين حقيقتها مبتدأً ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي نقطة ومادة إجمالية فيها أجزاء مختلفة الصور ﴿أَمْشَاجٍ﴾ مختلط، جمع مشيج وهو الخلط والاختلاط إشعارًا بأن بداية كل دورة هي آدم أي المخلوق الأول في كل دورة آدم ثم بذريعة خلق سائر المخلوقات من الأملاك والأرواح والنفوس والأفلاك والأهرمينات والأغوال والشياطين والأبالسة والجان. قال النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري وأنا وعلي من نور واحد**».

ثم بعد استكمال المراتب خلق الله آدم في آخر كل دورة من نطفة جمعية أعيان تمام المراتب ونقطة إجمالية الكل وحقيقة معينة القوة الفاعلية والقابلية، فإن نطفة حقيقة الإنسان ونقطة مادة وجوده محتوية على أطوار كثيرة وأنوار غفيرة وأسرار كبيرة فهي في الجمعية آدم كل الأنواع والأجناس ولذا قيل: باب الأبواب آدم، وأن النفوس الفلكية هي مستنسخات نفوس الإنسان واتصفت النطفة بالجمع.

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: 2] حال من خلقنا أي مبتلين مرتدين ببلاة وناقلين له من مرتبة إلى مرتبة ومن دورة ومن طور إلى طور ومن حال إلى حال، فسمي ذلك ابتلاءً على طريقة الاستعارة وذلك يتكون أولًا في أطوار مقتضيات المراتب إلى أن وصلت إلى أصلاب فاعلية الآباء ومنها إلى رحم أمهات القابلية لأن الله تعالى ابتلاه بتسعة أمشاج: بلية مفتنات، وثلاث كافرات، وثلاث مؤمنات، أما العينات فسمعه وبصره ولسانه ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ [الإسراء: 36] الذي جعل اللسان عليه دليلًا ﴿كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36].

وأما الثلاث الكافرات فنفسه وهويته وشيطانه، وأما الثلاث المؤمنات فعقله

وروحه وملكه الذي وكّله الله تعالى عليه وأيده بالتوفيق والمعونة، فعزّ العقل إلى القلب مملكة واستأنست النفس واستأثرها واستبعدها وقيدها بالهوى فلم يجد إلى الحركة سبيلًا وقلدها للزوج فجانست النفس الروح وتأست الهوى والهوس وهوت إلى القلب وهاجرت إلى حبيب الغيب، فرت عن الغيب، ونفرت عن الشك والريب، واستعلت كلمة الله ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: 193]، ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا﴾ يسمع من الهدايات كتابه وبينات خطابه ﴿بَصِيرًا﴾ [الإنسَان: 2] لآيات كمال صنعه ومشاهدًا لباهرات تمام لطفه وكرمه في الآفاق والأنفس.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسَان: 3] في الآفاق والأنفس في الأدوار والأكوار في أسمائه وصفاته وشهود أنواع تجلياته بعد استيفاء صنوف المجاهدات وانخراطه في مسالك صفوف أرباب المشاهدات ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العَنكبوت: 69]، ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ لأنعمه الظاهرة ومنحه الباطنة ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسَان: 3] لنعم الله وعطيته بالإعراض عن شهودياته بطريقة مانعة الجمع هما حالان من المفعول ومنصوبان بالمحذوف، أي ليكون إما شاكرًا وإما كفورًا أي ليتميز كفره من شكره وطاعته، أو على تأويلات قد نصحت لك إن شئت فاقبل وإن شئت فأعرض.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾ ينقادون بها ويتقيدون فيها ﴿وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسَان: 4] ويلقون فيها ويحرقون بنارها أحقابًا ودهورًا لتحصيل أحوال الأعيان المذكورة لأهل الشقاوة والذين منعوا عروض أعمارهم وفوتوا نصوص مقتضيات أدوارهم.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع بر وبار ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ معرب لكأس وهو قدح فيها خمر مملوءة بها ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ وكيفيتها ﴿كَافُورًا﴾ [الإنسَان: 5] أي خاصيتها أي تكون تلك الخمر بحسب الكيفية والخاصية كالكافور أو في إفادته برد اليقين

للقلب وتقويته مثله، فإن الكافور من الأدوية القلبية ومن أشرف خصائصه أنه يحفظ الجسم الطري عن التعفن وهو نوعان: ميت ففائدته قليلة وهو ما اشتهر بين الناس من أنه يكثِّر الشهوة ويخفف المني. والنوع الثاني يقال له: حوداته وهو دواء يقوي القلب ويحفظ الصحة ويقوي الباه وهو الذي يروه حكماء الهند لكثرة خواصه وطيبه وعطرته ولمزاجه شرف وخاصيته لا يعلمها إلا الله، وهو كناية عما يفيد برد اليقين في علم اليقين وحق اليقين. قيل: الكافور اسم نهر في الجنة لصفائه وطيبه وسطوع رائحته.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾

﴿عَيْنًا﴾ بدل من كافور ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسَان: 6] أي يشرب عباد الله الخمر ممزوجة كما تقول: شرب الماء بالعسل، والعباد عام يتناول المؤمن والكافر مع أن الكافور لا يشرب منه. فالمراد هو المؤمنون المعهودون إذ الإضافة إنما تفيد التعريف إذا كان المضاف معهودًا كما تقول: جاءني غلام زيد، فلا يكون المراد من لفظ العباد هو الظاهر بل المخصوصون نحو: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسرَاء: 65]، وكذا قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر: 7]، ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسَان: 6] ويخرجونها حيث سال في الجنة، ويخرجونها جريًا سهلًا لما ذكر الأبرار يريد أن يذكر أعمالهم التي يستحقون بها الثواب ويستحقون بها الجنة وحسن المآب، وهي:

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ ويؤدون ما فرضوا على نفوسهم من الصلاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك وهو أبلغ من وصفهم بالتوفري على أداء الواجبات لأن من وفَّى بما أوجبه على نفسه ابتغاء لمرضاة الله كان أوفى بما أوجبه الله عليه، وسمي هذا عبادة وذا عبودية ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾ شدائده وضرّه وعوائده ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسَان: 7] فأنشأ شائعًا منتشرًا غاية الانتشار من استطار الخريف واستطار الفجر بمعنى طار أي ظهر كقوله: استنفر ونفر وإشعار بحسن عقيدتهم وكمال اجتبائهم.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي حب الله أو الطعام والإطعام، (على) بمعنى اللام ولا حاجة إلى هذا إذ المراد أنهم يطعمون الطعام حال كونه مترتبًا على أمر يحبهم الله به وهو الإخلاص ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيرًا ﴿وَيَتِيمًا﴾ من لا أب له دون البلوغ ﴿وَأَسِيرًا﴾ [الإنسَان: 8] يعني أسارى، فإنه كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين الذين كان لهم شفقة على خلق الله ورأفة بهم، فيقول: أحسن إليه، والأسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون والغريم. قال النبي ﷺ: «**غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك**»، وإنما خص هذه الفرق الثلاثة بالإطعام لكمال عجزهم عن تحصيله والاحتياج إليه أكثر من الاحتياج إلى الناس إذ هو يتجدد بتجدد الساعات، فإن الواحد ربما ينتفع بثوب واحد في سنة واحدة بخلاف الطعام، فإن الاحتياج إليه كل يوم، وكثرة الاحتياج يوقع العبد في الاضطرار، ودعاء المضطر مقرون بالإجابة ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النَّمل: 62].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ على إرادة القول بلسان الحال أو بترجمان المقال إزاحة العوام وتوقع المكافئات المقتضية للأجر بمثله أو بالشكر لأن إحسانهم مفعول لوجه فلا معنى لمكافئات الخلق وأن يكون قولهم لهم لطفًا أو تفهمًا أو تنبهًا على ما ينبغي أن يكون مخلصًا لله. وعن عائشة رضي الله عنها أنه كانت تبعث بالصدقة إلى بيت ثم يسأل الرسول ما قالوا، وإذا ذكرت لهم دعاء دعت بمثله ليبقى ثواب الصدقة خالصًا لها عند الله. ويجوز أن يكون ذلك بيانًا وكشفًا من اعتقادهم وصفاء نيتهم وضياء طويتهم وخلوص أمنيتهم، وإن لم تقولوا شيئًا لكن علمهم الله منهم فأثنى عليهم ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ وعوضًا وثوابًا وغرضًا ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسَان: 9] وهو كالكفور مصدران كالشكر والكفر.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسَان: 10] شديد البؤس كالذي يجمع بين عينيه من قمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قمطرتها مشتق من

القطر، والميم صلة يحتمل أن يكون إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم، وإنا لا نريد منكم المكافآت لخوف عقاب على طلب المكافآت بالصدقة، ووصف اليوم بالعبوس على طريقة أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء كقولك: نهارك صائم. روي أن الكافر يعيش يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبَّه في شدته وحزنه بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ [الإنسان: 11] بسبب خوفهم من الله ومن عقابه، قال جماعة من ثقات المقربين: إن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال الواحدي كذلك عن ابن عباس رضي الله عنه: إن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما إن شفاهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، وطحنت فاطمة صاعًا فاختبزته خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا بها، فوقف عليهم سائل، فقال: السلام يا أهل بيت محمد أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء. فأصبحوا صائمين، فلما أمسوا وضعوا الطعام بين أيديهم ووقف عليهم يتيم، فآثروه، وجاءهم أسير في الثالثة فآثروه، فلما أصبحوا أخذ علي بيدي الحسن والحسين ودخلوا على الرسول ﷺ فلما أبصرهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها، فنزل جبرائيل وقال: يا محمد هنأك الله في أهل بيتك، فقرأها. فعلى هذا تكون السورة مدنية، فاختلف فيها، قال بعضهم: هي كلها مدنية، وقال بعض: منها مكية. إلى قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: 24] والآخرون أن الباقي كله مدنية.

واعلم أن مجامع الطاعات مستتبع تمام العبادات راجعة إلى أمرين وهما:

التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، فأشار إلى الأول بقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: 7]، وأن الثاني: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: 8] إلخ. قال الإمام الرازي في تفسيره: إن الثاني ذكر في أول السورة أنه إنما خلق الخلائق للابتداء أولًا فقال: ثم بين أنه ينقسم إلى شاكر وكافر، ثم ذكر وعيد الكافر وأتبعه بوعد الشاكر بأن الأبرار يشربون إلخ، ومثل هذا لا يكون تخصيصه بالشخص الواحد لأن نظم السورة من الأول إلى الآخر للمواضع يقتضي أن يكون هذا بيانًا لحال كل الأبرار والمصلين، فلو جعلته مخصوصًا بواحد بعينه لفسد النظم، وأن الموصوفين بهذه الصفات مذكورون بصيغة الجمع، فتخصيصه بجمع معينة خلاف الظاهر ولا ينكره قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيه، وهكذا يدخل كل مؤمن ومطيع فيه.

هذا وأقول: كثير من الآيات يكون مورده خاصًا وحكمه عامًّا وتخصيصها بحسب المورد لا ينافي عموم حكمه، وأن نزول الآيات إنما هو بحسب الحكم والمصالح لا غير للقياس، وأن الاعتبار بعموم الحكم لا بخصوص السبب واللفظ، وأيضًا قال: إلا أن يقال: السورة إنما نزلت عند صدور طاعة مخصوصة، عند ذلك قد ثبت في أصول الفقه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: 11] أي أقبلهم إليه ويقبل منهم الإحسان والصدقة حال كون وجوههم ناضرة وقلوبهم مملوءة بالسرور والفرح.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَجَزَىٰهُم﴾ الله ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على أداء الواجبات والتغاضي عن السيئات وإيثار الأموال في سبيل الله ﴿جَنَّةً﴾ بستانًا هو كالجنة وهي الجنة بعينها ﴿وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12] مفعول ثان.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ نصبه إما على الحال أو على المديح، أو صفة الجنة من باب جري الشيء على غير ما هو له ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: 13] إن شمس الدنيا لا مطلق الشمس ولا زمهريرًا بردًا في العامة. قال ابن عباس رضي الله عنه: فبينا أهل الجنة في الجنة إذ رأوا أضواءً كضوء الشمس وقد

أشرقت الجنان بها، فيقول أهل الجنة: يا رضوان قال ربنا: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسَان: 13] فما هذا الضوء؟ فيقول الرضوان: ليست هذه شمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلي قد ضحكا وأشرقت الجنان من نور ضحكهما، وفيهما قد أنزل الله عزَّ وجل: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسَان: 1] إلى قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: 24].

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ﴾ أي قريبة منهم ﴿ظِلَٰلُهَا﴾ أي ظلال أشجارها، عطف على متكئين أو على يرون، أو نصب على المدح ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ أي سخرت وقربت وقرنت أثمارها ﴿تَذْلِيلًا﴾ [الإنسَان: 14] تقريبًا بحيث يتمكنون من حبتها وأكلها قيامًا وقعودًا واضطجاعًا كيف شاؤوا أو على أي حال وهيئة كانوا. عن مجاهد: أن أرض الجنة من ورق وترابها وأصول شجرها ذهب مورق أقبابها لؤلؤ وزبرجد وياقوت.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ﴾ ويدار على أهل الجنة بآنية ﴿مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وأباريق بلا عروة ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ [الإنسَان: 15].

﴿قَوَارِيرَا۠﴾ جمع قارورة وهي إناء الشرب من الزجاجة يعني جوهرها من فضة وصفاؤها صفاء الزجاج وشفافها وبياضها شفاف الفضة وبياضها.

﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾

﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسَان: 16] وأي قدروها أي الآنية والقوارير وخمروها في أنفسهم أن يكون على مقادير وأشكال وألوان ذات طعم مخصوص على رأيهم وشهواتهم، وقدر الطائفون بها المدلول عليهم على قدر ريهم وعطشهم وجوعهم فجاءت على حسبها بلا زيادة ولا نقصان.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ أي يعطى كأسًا ليبقى خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسَان: 17] أي شراب يكون مزاجها وطعمها كمزاج الزنجبيل وطعمه،

فإن العرب يستلذون بالشراب بالزنجبيل والكافور وغير ذلك من الأقاويل.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: 18] عينًا بدل من زنجبيلًا، يعني يمزج كأسهم بالزنجبيل أو خلق الله طعمه فيها ففي هذا عينًا بدل من كأسًا، أو منصوب على الاختصاص، والسلسبيل صفة ونعت لما كان في غاية الصياغة والسلاسة والعذب جيد الجري طيب الطعم والذوق كما يقال: هذا الشراب سلس وسلسبيل وسلسال. قيل: سميت به لأنها تسيل عليهم في الطريق وفي المنازل وينبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنات وشراب الجنة مزاجها ورائحتها كالكافور وكيفيته وطعمه ومذاقه كالزنجبيل وهو على نوعين: نوع منه كالكافور، والنوع الآخر كالزنجبيل في الذوق والطعم والسلاسة ورائحة المسك.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ أي أغلمة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ دائمون، نعت للولدان ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: 19] وإنما شبَّهوا باللؤلؤ في الحسن وصفاء اللون والنضارة والبياض. وعن المأمون: أنه ليلة زفت نوران بنت الحسن بن أسهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نثار دار الخلافة اللؤلئي فنظر إليه منظورًا على ذلك البساط، فاستحسن النظر، قال: للهِ دَرّ أبي النواس كأنه شاهد وأبصر هذا حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من مواقعها حصباء در على أرض من الذهب

وإنما شبَّهه باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن بها وأكثر ماءً. وإذا رأيت وإنما ترك المفعول لفظًا وتقديرًا لئلا يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير ولطائف كبيرة.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: 20] واسعًا ثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة، ومن قال: معناه ما تم فقد أخطأ لأن (ثم) صلة لما هو لا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة. يروى أن لأدنى أهل الجنة منزلة

ينظر في ملكه مسيرة ألف سنة يرى اقتضاه وأعلاه كما يرى أدناه وأسفله بلا زوال وتغير وانتقال وإذا أراد شيئًا كان ووقع وتسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم.

﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)﴾

﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ [الإنسَان: 21] اعلم أن العذاب الذي عبره بخضورة في أمور ثلاثة: قضاء شهوة وأجزائها على نهج المراد بلا خلاف وحذر، وتوهم شر وضرر وإمضاء يقتضي الغضب، وجمع الأموال لصيق بها الأولاد والجاه وكل ذلك مستحقر، فإن الحيوان الحسي قد يشارك الإنسان في كل واحد منها فلا بد من مميز في المعنى كما كان في الصورة ولوازمها وهو الملك الكبير الذي غير تلك الأمور الثلاثة وهو اللقاء وشهود التجليات الآثارية والأفعالية والأسمائية والذاتية والتحقق بها على ما شاهدوا في الدنيا بعد الموت الإرادي والفوت الاختياري، وأما المذكور فهو وإن كانت مشتركة بين الحيوانات والإنسان بحسب الحقيقة إلا أنها في الجنة دائمة مختارة متصفة بأنواع الصفات من اللذات الكاملة والحالات الفاضلة وسائر الصفات فإنها تتكمل حالة بعد حالةٍ والكل في الحقيقة مظاهر آثار التجليات الآثارية وأنوارها والتجليات لا تتكرر بحسب النعت والصفة وإن كانت مشتركة في الصورة والحقيقة ومتماثلة في الهيئة والشكل ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البَقَرَة: 25].

وأبوابه متشابهًا في اللون والشكل والهيئة، متغايرًا في الكيفية والإلزام والتكرار والعبث تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسَان: 21] معرب استعير وفي غايتهم وجوه إسكان الباء مبتدأ خبره ثياب وهو قراءة نافع وحمزة، أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس لا يقال: المبتدأ مفرد وخبره جمع لأنا نقول: مفرد اللفظ مجموع المعنى نظير (مستكبرين به سامرًا تهجرون)، والسندس ما رقّ من الديباج ومعرب ديباج، والاستبرق أغلظ منه، والكل من الحرير. قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحَجّ: 23]، والولدان لباسهم حرير، قيل: هذا لباس الحرير للأبرار وهم يلبسون هذا اللباس، فالذي يعلوها أفضل كما قال: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ [الإنسَان: 21] إلخ، هذا من تتمة قوله: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾

[الكهف: 31] فمعنى عاليهم الذي هو فوق حجابهم المضروبة عليهم ﴿وَحُلُّوٓاْ﴾ زيِّنوا ﴿أَسَاوِرَ﴾ وإنما أفرد تخلية البدل بالأساور ﴿مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسَان: 21] وذهب إشعارًا بأن آلات الكسب والاكتساب هي اليد والفضة كناية عن الصدق والإخلاص، والذهب والفضة عبارة عن الاعتدال الحاصل في القلب وحسن العقيدة وصفاء النية وخلوص الطوية فإشارة إلى أن الأعمال الصالحة إنما تكون بصفتين:

إحديهما: الصدق بأن تطابق أعمال الجوارح والأعضاء الظاهرة بما في القلب والأفعال النفسانية تطابق بالأحوال القلبية.

والثانية: هي إخلاص القلب واعتداله وعدالته في الأمور النفسانية والأعمال الصادرة عن النفس، وفي الإدراكات النازلة والأفياض الواردة عن الروح والعقل على القلب.

فالعبد إذا زين ظاهر بدنه بالأعمال الشرعية والأفعال الوضعية كالصلاة والزكاة والحج والجهاد ولسانه بذكر الله وتلاوة القرآن والتسبيحات والتهليلات والتحميدات والتكبيرات والتمجيدات، فإن لكل وحدة من صوره مثالية لا يظهر في معاده، فصورة تجلية ظاهر البدن بظاهر الإسلام وهو الأركان الخمسة التي هي مظاهر آثار العوالم الخمسة الظاهرة بصور المشاعر الخمسة، والباطنة هي التعينات والقصور والولدان هو معاني تلك الأركان الخمسة، ومعاني الألفاظ التي هي النية المعتبرة التي لولاها لما صحت تلك الأعمال والقراءة التي فرضت فيها كما في الصلوات الخمسة التي هي آثار أنوار العوالم الخمس، ومن شكر العباد لله بإزاء هذه النعم الظاهرة والباطنة هي اللؤلؤ ومعانيها هي اللآلئ الطرية التي تخرج من صدف الألفاظ والكلمات أو المعاني التي هي البطن الثاني والثالث والرابع إلى السابع هي اللآلئ التي أشرقت وأفضل وألطف، والأنهار الأربعة هي الصورة والركعات الأربعة المفروضة، وقد تتمثل الصلوات المفروضة بالبستان الكرمية وبالمغيب وإن كان أبيض فصورة صلوات النهار وإن كان أسود فهو صلوات الليل.

وقد تتمثل الصلوات المفروضة بالفرس والغير المفروضة يتمثل بالبغل والحمار المركوبة والإبل هو صورة الإسلام والانقياد، والإيمان يتمثل بالماء الصافية وعلى هذا القياس لجميع العبادات ولتمام الطاعات والألفاظ

والعبارات وللكلام والكلمات صورة حسنة إن كانت طيبة وقبيحة أو كانت خبيثةً ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: 10] فالجنة وما فيها صورة الأعمال الصالحة والأفعال الفاتحة والأقوال الجارحة ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]، والسعير وما فيها ترك الطاعات ورفض العبادات وفساد العقائد والكفر والشكر هو النار المحرقة المهلكة والظلمات المتهيئون للبيوت الخربة المكدرة هي صورة العقائد الفاسدة والقواعد الكاسدة، والحيات هي الرياء، والعقرب هو البخل وعلى هذا القياس ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [التّوبَة: 16] الآية.

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسَان: 21] لما بين صور الأعمال الظاهرة وخواصها اللازمة الباهرة خاض فيما هي وسيلة إليها وسبيل موصلة لديها وهي شراب التجليات الآثارية والأفعالية والأسمائية والذاتية والتوحيدات اللازمة لكل منها ولجمعيتها وهي مظهر الظاهر وهو البدن وما يتبعه من المشاعر الشاعرة العشرة والجوارح ويظهر البدن إنما يكون من لوث الكثرات وروث السيئات، ومظهر المشاعر إنما يكون مما لا ينبغي كما قال النبي ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»، فإن الله تعالى وضع كلًّا منهما لمعنى، فإنَّ البدن وضع لطاعة الله وعبادته، والسمع موضوع له لسماع الكلام الإلٰهي الذي سمعته في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعرَاف: 172]، والبصر قد وضعه الله لأن يطلع ويشاهد آثار التجليات الإلٰهية وأنوارها البصيرة قوة للقلب بمنزلة البصر للنفس في إدراك المعقولات وهي بصر للقلب يدرك بها المعاني المجردة كما أن النفس تدرك الصور المادية والمحسوسات الظاهرة والباطنة بالبصر، أما التجليات الإلٰهية فلا يدركها ولا يشاهدها القلب إلا بالسر ونظر الفؤاد لقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجم: 11] يعني أن الله عزَّ وجل سقى شراب التجليات الإلٰهية عن روث الكدورات الظاهرة ولوث العقائد الباطنة، وهي التي تطهر القلب عن أنجاس ملاحظة طور الأغيار من الآثار والأفعال والأنوار، فإن القلب بيت الله وموطن توحيده سر يظهره عما سواه وهو نهاية مدارك السالكين وغاية مسالك العارفين السائرين إلى الله من الأبرار، ولذا ختم أحوالهم بها وآثر صيغة المبالغة. إن هذا

المظهر اللازم للتجلي أو هذا الوقت الذي وقع فيه الجزاء كما قال تعالى حاكيًا عن الملائكة يقولون في الجنة في هذا الوقت: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرّعد: 24]، وقال: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 24] أي هذا الوقت كله لكم بأعمالكم على أنها قليلة كان لكم جزاء وإجزاء على تقدير القول والقائل إما الله وإما الملائكة.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم﴾ واجتهادكم وعملكم ﴿مَّشۡكُورًا﴾ [الإنسَان: 22] أي مرضيًّا، فإن الشكر من الله هو الرضاء، فإن الأعمال الصالحة والأفعال المرضية والأقوال الصائبة نعمة من الله تعالى للعباد تستحق الجزاء بالأجر والثواب وتستوجب الشكر من الله وهو الرضاء ومن العبد هو إسناد الأفعال إلى الله وإضافتهم إياها إليه.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الإنسَان: 23] مخصوصًا، وهو المتفرق والمنجم لحِكَم ومصالح.

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ بتأخير نصرك وظفرك وغلبتك عليهم وتسخيرك إياهم وهم كفار مكة وصناديد قريش وغيرهم من الأعراب التي هي أشدُّ كفرًا ونفاقًا، فإنهم تعرضوا للرسول وللمؤمنين بالإيذاء والإهانة والاستخفاف ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسَان: 24] أي مباشرًا للإثم، وهو أبو جهل، أو كفورًا وهو مظهر الكفر جدًّا ومبالغة وهو أبو لبد عم أبي جهل.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾﴾ [الإنسَان: 25] أي داوم وواظب على ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار أو على الصلوات في أوقات الفجر والظهر والعصر، فإن المراد هو ما بين البكر والأصيل لها.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي من النصف الأول ﴿فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ أي صلِّ في وقت المغرب والعشاء فإن اقتران بعض الليل قرينة على أن يكون المراد هو المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسَان: 26] أي تهجد في النصف الآخر في جوف الليل حال كون صلاة التهجد أو وقتها طويلة.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الكفار المذكورين ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ والدنيا العاجلة عليهم بالإثم والعدوان وآثروها على الآخرة ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ خلف ظهورهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسَان: 27] شديدًا، استعير الثقل لشدته وهوله وخوفه إشعار بطوله وامتداده، ونظيره: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعرَاف: 187] وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي ربطهم، يقال: أسر الرجل إذا وثق وربط وهو الإسار أي أحكمنا توصيل أعضائهم بعضهم ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب والرباطات ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسَان: 28] أي إذا أردنا إهلاكهم أي أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة وشدة النظر والأثر في النشأة الثانية، ولذا جيء بإذا. وقيل معناه: بدلنا غيرهم لمن يطيع وحقه بإن دون إذا نحو: وإن تتولوا نستبدل غيركم وإن نشأ نذهبكم، إلا أن لتحقيق القوة والقدرة.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ الداعية إن هذه السورة أو الآيات العربية تذكرة ونصائح ومواعظ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الإنسَان: 29] وصراطًا مستقيمًا موصلًا إليه مقربًا للعبادة لديه بالطاعة والعبادة بالإخلاص ليوجب نعت الاختصاص به.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ أمرًا من الأمور الدينية والدنياوية ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ ذلك الأمر في ذلك الوقت وتخصيصه بالوقوع فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يستأهل ويستحق كل أحد منكم لكنه لا يشاء إلا ما تقتضيه حكمته وحكمه وقضاؤه وسابق مشيئته وقضية إرادته ﴿حَكِيمًا﴾ [الإنسَان: 30] يحكم على مقتضى حكمته ومرتضى مشيئته وحينه ووقته.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ﴾ بالهداية والتوفيق للطاعة وخصوص العقيدة بالتوجه إلى العبادة ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ﴾ منصوب بما يفسره، (أعد لهم) مثل أوعد وأنذر وكافأ ونحو ذلك ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسَان: 31] قرئ بالرفع على الابتداء. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (هل أتى) كان جزاؤه على الله جنةً وحريرًا**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل هواء المحبة الذاتية النهاية من قضاء حضائر قدس الأُنس إلى وادي مرتبة الإنس هيولى ومادة للرياح المرسلات من شرق عالم الواحدية، متتابعات ينابيع التجليات الأسمائية التي تظهر بتضاعف الإدراكات المركبة وأصلًا للعاصفات المنتشرة الناشئة من سماك عالم الأمر والملكوت، وللأزواج عنصرًا وأسطقسًا للناشرات المنشئة من صوب ريبة الأشباح ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أظهر النفس الرحمانية بصور الرياح الملحقات والسحاب المسخرات ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي صرف الرياح لأصحاب الصلاح وأرباب الفلاح ليوم الدين للجناح والنجاح.

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾ [المُرسَلات: 1] عبارة عن الملائكة الموكلة على تصريف الرياح وطردها يتبع بعضها بعضًا كإشعار عرق الفرس التي تتبع بعضها بعضًا، وهذه الملائكة يبعثهن الله من عالم الجبروت والعقول المجردة لينصرون الحق ويؤيدون الأنبياء ويفرِّقون بين الحق والباطل ويأمرون الرياح عند مقابلة العساكر والجنود لينصرون أهل الحق ويؤيّد الله بهم عزّهم ونصرهم سواء كانوا مؤمنين أو كافرين. قال النبي ﷺ: «**نُصرت بالصَّبا، وأهلِكَت عاد بالدَّبور**». وتدبروا لآدم وأولاده الكاملة فهم الذين أرسلهم الله إما لإيصال النعمة إلى قوم أو لإيصال النعمة إلى الآخرين. ويحتمل أن يكون مصدرًا كأنه قيل: والمرسلات إرسالًا أي

متتابعة، فعرف على الوجه الأول نصبه على الحال، وعلى الثاني يكون مفعولًا له أي أرسل للإحسان والمعروف.

﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢﴾

﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢﴾ [المُرسَلات: 2] هي الملائكة التي دبرهم الله من الحيوانات، وإذا أراد الله إهلاك طائفة من الحيوانات أمرهم بنشر الرياح العاصفة الشديدة الهبوب ويدمروا ما أراد الله تدميرًا.

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣﴾

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣﴾ [المُرسَلات: 3] هم الملائكة التي هي سكان عالم البرزخ قد وكَّلهم الله تعالى لتدبير عالم النبات والزرع والحشائش والأزهار والحيوانات والأشجار والأثمار والفلوات.

﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤﴾

﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤﴾ [المُرسَلات: 4] وهم الملائكة الذين فوض الله تفريق عالم الكثرة والجمع إليهم.

﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥﴾

﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥﴾ [المُرسَلات: 5] أي الملائكة الذين ذكروا الله ويلقون ذكر الله في قلوب المؤمنين ويقلبون القلوب إلى الله ويصرفونها لحظةً فلحظة إلى شبحه الأصلي والمواطن الأزلي، ويقال: لمسة الرحمان، ويقابلها لمسة الشيطان، ويذكرون الله ذكرًا ثانيًا ويقذفون في صدورهم فذكرها ثانيًا ثانيًا.

﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦﴾

﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦﴾ [المُرسَلات: 6] مصدران من عذر إذا أنذر فجاءت الإشارة، ومن أنذر أو خوَّف أو جمعان تعزير بمعنى المعذرة، ونذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذور وهما بدلان من (ذكرًا) على الوجهين الأولين أو على المفعول، أي عذرًا للمحققين ونذرًا للمبطلين، وعلى الثالث حال بمعنى عاذرين أو منذرين.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ [المُرسَلات: 7] جواب القسم، يعني ما وعد الله من الحشر والنشر وما يتبعهما كائن.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ [المُرسَلات: 8] سُحِقَت وَأُذْهِب نورها.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ [المُرسَلات: 9] قُلِعت من أماكنها ومحالّها.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١﴾

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١﴾ [المُرسَلات: الآيتان 10، 11] أي عيّن لإرسالهم، أصله وقّت، وقلبت الواو همزة.

﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢﴾

﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢﴾ [المُرسَلات: 12] وُقِّتت وأُخِّرت، والفاء في ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ [المُرسَلات: 8] للتفريع والتعليل يعني وقوع المواعيد علة لطمس النجوم وهو متفرع عليها.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣﴾

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣﴾ [المُرسَلات: 13] بيان الفاصل.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾ [المُرسَلات: 14] أي من جعلك مطلعًا ومدركًا ليوم الفصل، ومن أين يعلم كنه وقوعه في اليوم المعين.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ [المُرسَلات: 15] والويل في الأصل منصوب بإضمار فعل عدل إلى الرفع للدلالة على إثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه

أو صفته نحو: سلام عليكم، ويجوز ويلًا بالنصب ولكن لم يقرأ به، يقال: له وكيلًا، يعني يكال له الهلاك كيلًا أي يقدَّر تقديرًا.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦﴾

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٦﴾ [المُرسَلات: 16] كقوم نوح وعاد وثمود.

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ١٧﴾

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ١٧﴾ [المُرسَلات: 17] كنمرود وفرعون وأضرابهما وأبو جهل وأبو لهب وأتباعهما.

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ١٨﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الفعل المهلك ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [المُرسَلات: 18] أي يستمر فعل الإهلاك منا في الأوقات كلها بالمجرمين وأهل العصيان.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ١٩﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ١٩﴾ [المُرسَلات: 19] بآيات الله وكتبه ورسله، وقد تحقق أن كل زمان ووقت ومكان بعث رسل وأنزل كتب ووضع دين وشريعة، وفي كل زمان ومكان مؤمنون وجاحدون مكذبون، وتكرار الويل إشارة إلى كثرة المكذبين وكثرة زمان التكذيب وأوقاتها.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ٢٠﴾

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ٢٠﴾ [المُرسَلات: 20] ونطفة ضعيفة حقيرة وذليلة صورة وهيئة وقوامًا.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ٢٢﴾

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ٢١﴾ [المُرسَلات: 21] ومكان خفي لجنين ذو قرار متمكن، وأحللناها وحولناها من حال إلى حال ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ٢٢﴾ [المُرسَلات: 22].

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ٢٣﴾

﴿فَقَدَرْنَا﴾ [المُرسَلات: 23] أي مقدارًا معلومًا من الوقت قد علمه الله وحكم به

وعينه لمكث الجنين في الرحم وتربيته وكيفية ترتيب أجزائه وتركيب أعضائه ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المُرسَلات: 23] نحن، أي المقدرون.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المُرسَلات: 24] على ذلك.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ [المُرسَلات: 25] كافية اسم لما يكتف ويضم ويجمع كالضمام والجماع اسم لما يجمع ويضم، أو مصدر نعت به جمع كافت كصائم وصيام، أحياءً وأمواتًا مفعول بأن يجعل تنكيره للتفخيم.

﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾

فإن قيل: من قال: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المُرسَلات: 26] على التنكير وهي كفات الأحياء والأموات جميعًا أجيب هو من نكير التفخيم كأنه قال: يكتب أحياء لا يعدون وأمواتًا لا يحصرون على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا جميع الأموات والأحياء، ويجوز أن يكون المعنى منتصبات على الحال من الضمير لأنه قد علم أنها كفات الإنس أو على المفعولية و(كفاتًا) حال أو على الحالية فيكون المعنى بالأحياء يثبت وبالأموات ما لا يثبت.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ أي جبالًا ثوابت طوالًا عالياتٍ كبارًا ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المُرسَلات: 27] عذبًا سائغًا شرابه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المُرسَلات: 28] بإنكار هذه النِّعم وجحودها.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المُرسَلات: 29] من العذاب على تقدير القول.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ خصوصًا ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [المُرسَلات: 30] أي ظل دخان جهنم كقوله: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقِعَة: 43، 44] فإن قيل: الظل فرع الشمس، فحيث لا ظل فلا شمس. قلنا لهم: ألا ترى إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [الفُرقان: 45] وأن لكل شيء عالي عظيم ظل كما يقال: ظل السلطان والسلطان ظل الله في الأرض أي يصير ذا شعب ثلاث ولعظمته قيل: يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق وسرادق النار دخان ويتشعب منه دخانها إلى ثلاث شعب يظلهم حتى يفرغ من خيالهم، والمؤمنون في ظل العرش وهي إظلال عدم عدالة القوة الثالثة التي الإنسان بها إنسان وهي الشهوية والغضبية والنظرية العلمية الحكمية والقوة النظرية والعملية والوحدة العدلية الاعتدالية بينهما، أو ظل عدالة الطور القلبي، أعني الصدر والسر والفؤاد وحقيقته المشتركة بينهما، أو ظل صفات النفس الأمارة واللوامة والملهمة. قال الحسن: ما أدري ما هذا الظل ولا سمعت فيه شيء. قال القوم: المراد بذي شعب كون النار محيط بهم من كل جانب تحملهم من فوقهم من ظل النار ومن تحتهم ظلل يوم يغشاهم العذاب ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم.

﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ تهكم وتعريض بهم بأن ظلهم هو ظل المؤمنين وهو ظل العرش لله ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المُرسَلات: 31] أي لا يمنعهم ولا يتقدمهم من حرّ اللهب شيئًا.

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿إِنَّهَا تَرْمِى﴾ وتقذف ﴿بِشَرَرٍ﴾ وشق جمرة أو لهب كل شررة من الأشرار الثلاثة في العظم ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ [المُرسَلات: 32] والبيت الرفيع العالي جمع قصرة وهي الشجرة العظيمة وإنما شبهت بالقصر من غير أن يجري على الظاهر إذ ظل الشجر في الكثافة ليس كظل البناء الرفيع.

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣﴾

﴿كَأَنَّهُۥ﴾ أن كل واحد من القصور الثلاثة ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المُرسَلات: 33] جمع جمال وجمالةٍ جمع جملٍ، شبَّه الشرارة أولًا بالقصور ثم بالجمال الصفر، التشبيه لإبراهيم يشبهون الأبد بالأفدان، قرأه بالضم وهي فلوس الخشب أو فلوس السفن الواحدة.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٤﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٤﴾ [المُرسَلات: 34] للنار وجحيمها وللجنة ونعيمها.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥﴾

﴿هَٰذَا﴾ اليوم الذي هو يوم الفصل ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المُرسَلات: 35] بالإضافة يوم عدم النطق والتكلم بما يستحق. فإن النطق لا ينفع كلا نطق، وشيء ضار من فرط الدهشة والحيرة هذا إنما هي في بعض المواقف في البداية.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المُرسَلات: 36] إنما عطف البدل على نفي الإذن والعذر لدخوله في حيز النفي فلا يكون لهم إذن ولا اعتذار، ولو جعله جوابًا لدلَّ على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن وأوهم ذلك أنه لم يأذن لهم فيه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٧﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٧﴾ [المُرسَلات: 37] اليوم الذي نحن في بيانه.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨﴾

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ﴾ بين الحق والباطل وبين الصدق والكذب الفاصل ﴿جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المُرسَلات: 38] أي مع الأولين والآخرين تقرير وبيان للفصل تقريع لهم وتوبيخ عليهم وعلى ما فعلوا من التكذيب بالمؤمنين في الدنيا وإظهار فجرهم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝٣٩﴾

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ وحيلة في دفعي ﴿فَكِيدُونِ﴾ [المُرسَلات: 39] أي اجعلوا في ذلك الكيد المذكور.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٠﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٠﴾ [المُرسَلات: 40] برسالاتي وبكلامي وشريعتي وهي الإسلام ودين الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عِمرَان: 19] فإذن لا محيص لهم عن هذا العذاب أصلًا لا بكيد ولا بحيلة رشيدة.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝٤١﴾

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ من الشرك لأنه في مقابلة المكذبين المشركين ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ أي ظهر له عناية الله وجمال كمال لطفه وكرمه وعموم رحمته ورأفته ﴿وَعُيُونٍ﴾ [المُرسَلات: 14] ينابيع نعمه وفنون مفائد جوده وكرمه وفوائد نعمه.

﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢﴾

﴿وَفَوَاكِهَ﴾ أي تنعُّم يحصل من أنواع الفواكه ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المُرسَلات: 42] ويريدون التنعم ويترفهون ويستقرون فيها وينتقلون في الاستمتاع بها.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [المُرسَلات: 43] أي قيل في شأنهم: تمتعوا وتلذذوا وتنفعوا بالأكل والشرب على مشتهى نفوسكم جزاء لأنواع أعمالكم وجزاءً لصنوف أفعالكم وفي إزاء طيب أقوالكم وحسن أحوالكم.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٤٤﴾

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٤٤﴾ [المُرسَلات: 44] في الأفعال وعموم الأحوال وتحسين مبادئ الأعمال وصفاء العقائد وكثرة الفوائد.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٥﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٥﴾ [المُرسَلات: 45] بعثته للأنبياء، وحقيقة دعوتهم ونعمة هدايتهم.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ۝٤٦﴾

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أي أكلًا وتمتعًا يسيرًا أو زمانًا قليلًا ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المُرسَلات: 46] مشركون كافرون بالإشراك، وإن الطيبات من الرزق قد

خصصها الله للمؤمنين وليس للكافرين إلا بالتبعية والاستطراد والفرعية ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: 32].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [المُرسَلات: 47] بأن الله تعالى قد خصص طيبات الرزق بالمؤمنين والأخص لهم منها في الدنيا إلا قليلًا والتبعية والتطفل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ في الدنيا وصلوا وأطيعوا لحكم الله وأوامره وتجنبوا عن نواهيه ومنهياته ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المُرسَلات: 48] ولا يطيعون لأوامره ونواهيه.

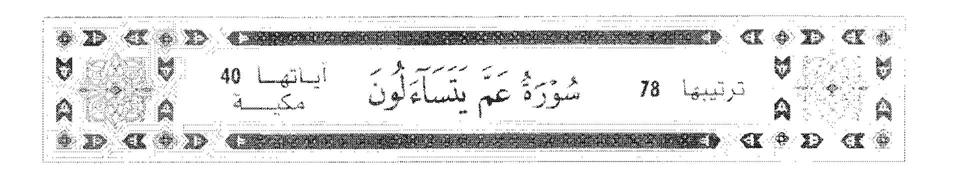
﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المُرسَلات: 49] للصلاة وأركانها وشرائطها، نزلت في ثقيف فقالوا: تجنبوا الصلاة فإنها مشقة.

﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ﴾ وقول وكلام ﴿بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المُرسَلات: 50] أي فبأي كلام يكون غير القرآن وكلام الله يعترفون ويصدقون به ويعتقدون بحقيته ويعملون بمقتضاه ويتعبدون بمرتضاه ولا حديث ولا كلام غيره يستحق الإيمان به والاهتداء بمرتضاه والاقتداء بمقتضاه. قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (والمرسلات) كتب له أنه ليس من المشركين**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ إنباء ونبأ ﴿۞عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النَبَإِ: الآيات 1 ـ 3]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي وضع الأرض مهادًا ليسلكوا فيها سبلًا فجاجًا ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي جعل الجنة للمتقين مفازًا ولحقيقة أجسادهم مجازًا، ولأشباحهم مجازًا حدائق وأعنابًا ولنفوسهم كواعب وأترابًا، ولأرواحهم كأسًا دهاقًا ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ [النبإ: 35] جزاءً من ربك عطاء حسابًا.

﴿۞عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾

﴿۞عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النّبَإِ: 1] أصله عن ما، فحذفت الألف بعد الإدغام وإدراج النون في الميم بالتمام هو الاستفهام لبيان شأن المسؤول عنه، فإن ما هي الشارحة للحقائق، والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث على طريقة الاستخفاف والاستهزاء وكونه عبثًا فيما بينهم، أو الرسول ﷺ والمؤمنون على النبأ العظيم بمعنى منه لبيان الشأن والتفخيم أو صلة يتساءلون.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النّبَإِ: 2، 3] بالنفي والشك أو بالإقرار بالاستكبار وبالجحود والإنكار.

﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾

﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ [النَّبَإِ: الآيتان 4، 5] عن التساؤل والوعيد عليه وترديد وتهديد لديه تكراره للمبالغة منهم في الجحود والإنكار وللإشكال بأن إنكارهم صادر عن كمال البغضاء والحسد ينمو شيئًا فشيئًا ويعلو آنًا فآنًا، فالأول عند النزع، والثاني عند القيامة. أو الأول للبعث، والثاني للجزاء، ثم يشعر بأن الثاني أشد وأبلغ وآكد.

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦﴾

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦﴾ [النَّبَإِ: 6] جمع مهد وهو ما وضع للذي ينام فيه الصبيان إشعار بأن الخلائق كالصبيان ما بلغوا مبلغ الرجال إلا قليل منهم، وهم الكاملون المكملون من الأنبياء والأولياء والحكماء المتألهين والعلماء الربانيين.

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾ [النَّبَإِ: 7] جمع وتد وهو ما يربط به الدواب، وقيام مهد الأرض ويرتبط بها خيام السماوات في الطول والعرض، تذكَّروا أعلام بعض ما عاينوا من عجائب صنعه وغرائب حكمه ووضعه وإنزاله ورفعه الدّالِّ على كمال قدرته وعموم حكمته ووفور قوته ليستدلوا بذلك على صحة البعث، وينسلوا إلى حقيقة الحشر والنشر وما يتفرع من الجنة والنار، ووقوع الخلق في دار البوار جهنم يصلونها فبئس القرار.

﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨﴾

﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨﴾ [النَّبَإِ: 8] في بطن واحد في بدء الحال، ذكر أو أنثى، قد عين الله تعالى بأن تكون الأنثى زوجة والآخر زوجًا لتوأمته، ويحتمل أن يكون المراد من الأزواج هو التوأمان، فإن لكل مولود إنسي يولد معه مولود جني، يقال له همزاد كما ورد في الحديث: «**ما من مولود إلا ويولد معه مولود جني، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي لا يأمرني إلا بالخير**».

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ [النّبَإِ: 9] معطلًا للقوى من الأعمال الإرادية والأفعال الاختيارية تقوية للقوى الطبيعية ليكتمل الهضم.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ [النّبَإِ: 10] غطاءً ساترًا ليستر غشاء ظلها وغطاء دهمتها ليتم وليستكمل الأفعال الطبيعية.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ [النّبَإِ: 11] أي وقتًا وزمانًا لاكتساب أمر المعاش واجتلاب أسباب الانتعاش، ولما جعل الليل موتًا ولباسًا وجعل النهار معاشًا وحياة ويلزمها الحركة والانتقال والتقلب والارتحال لاجتلاب المكاسب واكتساب المطالب والمآرب. قيل: أصل السبات الراحة، فتكون اليقظة تعبًا وما يكون فيه شديدًا وصعبًا، لذا اضطر الحيوان بأسرها إلى النوم والإيواء إلى المنازل للنوم لإزالة التعب وإمالة آثار الأمور الشديدة والصعبة.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ [النّبَإِ: 12] أي سبع سماوات أقوياء وصعبات لا يؤثر فيها مرِّ الدهور وكرِّ الأعصار والدهور، ومن ذكر الفوق جزموا بعض الملّيين وأصحاب النحل والملل والمسلمين بأنها كالخيام أزليًّا لها على جبل القاف، وأنت خبير بأن تساوي أجرام الكواكب في جميع أوقات الطلوع والغروب وفي وسط السماء يأبى ذلك، وأن كون السماوات كرويةً صحيحة الاستدارة في جميع الأوقات وتمام الأوضاع والجهات كما دلت البراهين القطعية والحجج الدامغة كما نقل في الكتب الحكمية منقولة عن إدريس النبي ﷺ وعن نوح النجي، وعن إبراهيم الخليل، وعن ما شاء الله، وعن المصري وهو يوسف النبي عليهم السلام، وغير ذلك، لا يقدح في الدين الأحمدي والشرع المحمدي قدحًا بيّنا لأن كرويتها واستدارتها لا توجب قدم الأفلاك والسماوات ولا يمتنع طريان الخوف والالتئام عليها إذ الأمور كلها مستندة على قاعدتهم إلى الفاعل المختار لا إلى القوة القابلية ليلزم ما ظنه الحكماء الطبيعيون والرياضيون

من أنه لو جاز جريان الخوف والالتئام على الأفلاك والسماوات لوقعا بالحركة المستقيمة عليها مستحيلة لأنها كروية حقيقة والكرة لا تقبل الحركة المستقيمة وإلا لزم الخط المستقيم في الكرات الحقيقية، وهو محال. هذه الاستحالة إنما تكون إذا أسندت إلى القوة القابلة وإذا أضيفت إلى الفاعل المختار.

وجاز أن يحدث الخرق والالتئام في آيتين متعاقبتين أو متفارقتين لا زمانين ولو كانا زمانين لجاز اجتماع الاستقامة والاستعارة في جسم واحدٍ بتأثير الفاعل المختار، فإن اجتماع الضدين والنقيضين بالنظر إلى القابل لا يجوز وكذا ارتفاع النقيضين وسلب الضدين بالنظر إلى الفاعل، وقسره جائز كما قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحَديد: 3]. وكذا إذا تحقق الفارق بالحق تحقق بالظهور والبطون والأولية والآخرية، وإذا تحقق في مرتبة الآثار بكلية الأجسام الفلكية يتحقق بصفات متباينة ونعوت متقابلة قائمة بذاته الكلية، وتحفةً واحدةً فيجتمع في ذاته وحقيقته الكلية الأزلية والأبدية والحدوث والقدم والوجود والعدم.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ مصباحًا ﴿وَهَّاجًا﴾ [النَّبَإِ: 13] متلألئًا متشعشعًا متلامعًا وقّادًا من وهج النار إذا أضاءت أو بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحرارة. والمراد هو الشمس اتصفت بهما وإفرادها بالذكر يشعر بأن أنوار الكواكب كلها مستفادة من الشمس كما ذهب إليه جماعة من الفلاسفة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ [النَّبَإِ: 14] من السحاب المسخرات إذا عصرت واستشرفت أن تعصرها الرياح فتعصر كقولك: احصد الزرع إذا حان أن يُحصد، ومنه: حصدت الجارية إذا دنت أن تحيض، أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، أو من الرياح ذوات الأعاصر ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النَّبَإِ: 14] صبّابًا بكثرته. وفي الحديث: «**أفضل الحج: العج والثج**» أي رفع الصوت بالتلبية وكثرته.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ أي رزقًا يحصل منها حبوب يقتاتها الإنسان ﴿وَنَبَاتًا﴾ [النَّبَإِ: 15] يرتاع به الحيوان وما يعتلف منه من التبن والحشائش.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بستان كروم وأشجار وحدائق وأزهار ﴿أَلْفَافًا﴾ [النّبَإِ: 16] يلتف بعضه ببعض من اللف وهو الضم والجمع.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ أي يومًا يفصل فيه ويظهر الحشر والنشر ليجزي النفوس بالثواب والعقاب بالأدوار والأحقاب ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾ [النّبَإِ: 17] أي وقتًا لما وعده الله من الثواب والعقاب أو كان ميقاتًا لاجتماع الخلائق لفصل الحكومات وقطع الخصومات.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ بدل من يوم الفصل أو بيان له ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النّبَإِ: 18] فوجًا وجمعًا جمعًا.

واعلم أن الأدوار الأربعة النورية الجمالية والأكوار المربعة الجلالية والصورة الجمعية منهما والمجموع عشرة في انتهاء كل منها تقوم قيامة وتظهر ساعة وينفخ فيها فتأتون أفواجًا، فإن توافق مرتضى الأكوار الظلية الضمنية لمقتضى الأدوار النورية الجمالية الصريحة الإفرادية والجمعية لحشر أعيان تلك الدورة المعدلة وأعيان الكورة المعللة على هيئة الإنسان وصورة كمال الأعيان، ولا يحشر على الصورة العشرة.

وإليه الإشارة النبوية بقوله ﷺ: «**يحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكوسون، وبعضهم يسحبون على وجوههم، وبعضهم صم بكم، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم وينكرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نتنًا من الجيفة، وبعضهم يلبسون جبابًا سائغة من قطران لازقة بجلودهم. فأما الذين على صورة القردة فهم الفتّانون بين الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والزنا، وأما المنكسون المسحوبون فآكلون الربا، وأما العمي فالذين يجورون في الحكم، وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم،**

وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاصون الذين خالف قولهم أعمالهم، وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم هم الذين يؤذون الجيران، وأما المصلوبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان، وأما الذين هم أشد نتنًا من الجيف، فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم، وأما الذين يلبسون فأهل الكبر والفخر والخيلاء».

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ وشقت ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النَّبَإِ: 19] من الشقوق والانفجارات فكان الكل أبوابًا فصارت أبوابًا.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ وتحركت في جو السماء وفضاء الهواء كالذرات المبثوثة والهباء ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النَّبَإِ: 20] أي مثل سراب إذ يرى على صورة الجبال ولم يبق على جثتها وهيئاتها السابقة ومحلها، أي يتخيل أن محل الجبال جبال وليس جبالًا ولا محل جبال.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النَّبَإِ: 21] أو محل رصد وموضع رصد، يعني أن جهنم حد ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ الذين يرصدون العذاب فيه وهي مأواهم أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن يجازيهم ﴿مَـَٔابًا﴾ [النَّبَإِ: 22] أي كانت جهنم مآبًا ومرجعًا للطاغين المجاوزين عن الحد لأنهم يرجعون إليها ويرتقون لديها.

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿لَّٰبِثِينَ﴾ ساكنين ماكثين ﴿فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النَّبَإِ: 23] دهورًا كما مضى حقب ودهر تبعه حقب ودهر وجم غفير من الدهر إلى غير النهاية، ولهذا جمعه ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها. قيل: الحقب ثمانون سنة. عن ابن عباس: إن الحقب الواحد بضع وثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يومًا، واليوم ألف سنة من أيام الدنيا، سأل هلال البحري عليًّا رضي الله عنه: ما الحقب؟ قال: مائة سنة، والسنة اثنتي عشر شهرًا، والشهر

ثلاثون يومًا، واليوم ألف سنة. قال الحسن: الأحقاب لا يدري أحد ما هو، ولكن الحقب الواحد سبعون ألف سنة، اليوم منها كألف سنة مما تعدون، فإن قيل: الحقاب وإن طالت إلا أنها متناهية وعذاب أهل النار غير متناهية، قلنا: الأحقاب لا تدل على نهاية، والحقب متناهي والمعنى هو أنهم يلبثون فيها أحقابًا كلما مضى حقب تبعه حقب آخر هكذا إلى الأبد.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نومًا وراحة ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ [النّبَإ: 24] ماءً.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ ماءً حارًّا من حميم جهنم، أي لا يذوقون فيها ما يسكن عطشهم ولا حرقتهم روحًا تتنفس عنهم حر النار وحدث عن بطشهم لكن يذوقون فيها حميمًا ماءً حارًّا محرقًا ﴿وَغَسَّاقًا﴾ [النّبَإ: 25] ما يغسق ويسيل من صدورهم وماء جروحهم يجري عن قروحهم.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النّبَإ: 26] أي جزاء بذلك جزاءًا ذا وفاقٍ لأعمالهم أو موافقًا لها أو وافقها وفاقًا.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ [النّبَإ: 27] بيان لما وافقه الجزاء أي لا يعتقدون وقوع حساب الأعمال.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ وكتابنا وما نزل علينا فيه بيان حقائق الأحوال ودقائق الأعمال وشقائق الأفعال ﴿كِذَّابًا﴾ [النّبَإ: 28] شديدًا متعاقبًا متواترًا.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ [النّبَإ: 29] مكتوبًا ومجموعًا في اللوح المحفوظ مبتدأ وخبره.

﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النّبَإِ: 30] وإنما حذف المفعول من فذوقوا لئلا ينحصر بأمر دون أمر وذلك بسبب كفرهم بالحسنات وشدة العذاب وإنكارهم جزيل الثواب ونكاية السلاسل وكآبة العقاب، والالتفات من الغيبة إلى الخطاب مشعر بأن حق العباد ووظيفة أهل السداد أن لا يغفل من المعبود بل لا بد وأن يكون حاضر القلب وناظرًا لغيب كمال الشهود.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ في الدنيا والعقبى ﴿مَفَازًا﴾ [النّبَإِ: 31] إما مصدر ميمي بمعنى الفوز أو اسم مكان.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿حَدَآئِقَ﴾ جمع حديقة وهي بستان فيها أشجار وأنواع ثمار وصنوف أزهار وأثمار وعيون وأنهار ﴿وَأَعْنَابًا﴾ [النّبَإِ: 32] جمع عنب وإنما خصت بالذكر إشعارًا بكثرة منافعها.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ [النّبَإِ: 33] جمع كاعبة وفي الجواري الثابتة الثدي وفلكها ﴿أَتْرَابًا﴾ [النّبَإِ: 33] جمع ترب أي متساويات في السن.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [النّبَإِ: 34] أي قدحًا مملوءًا متتابعًا من الدهق وهو التتابع.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ كلامًا مهملًا بلا معنى ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ [النّبَإِ: 35] أي تكذيبًا.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النّبَإِ: 36] وتفضيلًا وإحسانًا وتفضلًا لا وجوبًا إذ التعليق للتقوى والاقتداء على الطاعة والعبادة إنما هو منه فإعطاء ذلك سلس لا

على سبيل التفصيل والإحسان بدل من جزاءً حسابًا كافيًا من أحسبه إذ كفاه كما قيل: هو حسبي ومحسبي، إشارة إلى تغاير خمر الآخرة بخمور الدنيا، فإن شارب خمور الدنيا يصدر منه أنواع المفاسد منها الفواحش في الأقوال والأفعال بخلاف خمور الآخرة فشاربه لا يزول عنه العقل ولا تصدر منه الفواحش.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بدل من ربك ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الجن والمركبات من كل واحد من العناصر كما أن الجن الأكبر مركب منها في الدورة العظمى الأصلية والفرعية، والجن الأصغر مركب في الدورة الكبرى من الهواء، وتغليب طينته وطبيعته على الهواء. وأما ما يتركب من الماء من جميع الإنسية والجنية وغير ذلك من المركبات في الدورة الوسطى، وأما ما يتركب من التراب ويغلب عليه التراب في الدورة الصغرى، فهو أيضًا أنواع كثيرة وأصناف غفيرة، أسفلها الإنسان وهو في جميع الأدوار له تمام الأطوار يتولد الآخرة كما يتولد ويتعين في بداية كل الأدوار، وأولها بالإنسان في تمام الأدوار وبداية ونهاية، وباب الأبواب وما في جوف الأرض وطبقاتها السبع مخلوقات متنوعة ومكونات متفرعة كما جاء في الخبر متطابقة لما كونت في طبقات السماوات من الملائكة والنفوس والأرواح والكل داخلة في ربوبية الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالرفع والجر تابعًا للرب وهو يفيد الوجود لما في السماوات ولما في الأرض ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النَّبَإِ: 37] كلامًا أو شفاعة أي ليس في أيدي من في السماوات والأرض وما بينهما ما يخاطب ويؤمر به في أمر الثواب والعقاب بأن يكون مالكًا متصرفًا فيه تصرف المالك في أملاكه بالزيادة والنقصان، ولا يملك أن يخاطب بشيء من نقص العذاب وزيادة الثواب وأو رفع العذاب ومن منع العقاب وشديده، وليس لأحد أمر على حكمه، ولا يملك الرد والإعراض على كمال صنعه فإنه فعال لما يريد ويتصرف في ملكه كيف يشاء، أو في أحوال جبروته متى شاء.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ [النَّبَإِ: 38] ولا ينطقون في ذلك اليوم

بشفاعة أو مصلحة ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي إلا بإذنه وأمره وحكمه، تقرير وتأكيد للنفي السابق ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النَّبَإِ: 38] عطف على إذن، أي قال المأذون في الدنيا قولًا صوابًا وكلامًا صدقًا مستطابًا يستعقب ويتقضى ثوابًا لا اعتراضًا وتكذيبًا وكذبًا ولا لغوًا وعقابًا، ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ(يتكلمون) أو لـ(لايتكلمون) يعني أن الذين هم أفضل الخلائق وأشرفها وأكرمها وهم أكثرهم طاعة لا يتكلمون بشيء ولا يقولون ولا يشفعون إلا لمن ارتضى فما ظنك مما عداهم ومن هو سواهم من أهل السماوات والأرض والروح والكون الأكرم وهو أعظم من الملائكة. قيل: هو على صورة آدم وما ينزل من السماء ملك إلا ومعه روح يكون حصة من هذا الروح الأعظم الأمجد الأكرم عطية من أرواح الناس بل هي أرواح كل ذي روح يقوم الملائكة فيما بين النفختين من قبل أن يرد الأرواح إلى أجسادها. قيل: هو القرآن لقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52] الآية إلخ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت في علمه وقضائه ومشيئته وحكمه ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النَّبَإِ: 39] مرجعًا ومآلًا مستطابًا وسبيلًا وطريقًا إلى طاعته يكون مستقيمًا وصوابًا.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ وهو عذاب الآخرة وكونه قريبًا لمجيئه وإن كان من حيث إنه غيب مخفي لا يرى ولا يبصر بعيدًا فبُعده وقربه من حيث الكيفية لا الكمية وهي المسافة، فإذًا يحتمل أن يقع ويظهر آنًا فآنًا، لحظة فلحظة، ولهذا لا يعلم وقوعه إلا الله ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾ ظرف أنذرناكم، ويحتمل أن يكون صفة لعذابًا وحالًا منه ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الأعمال والأفعال الحسنة والسيئة ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النَّبَإِ: 40] يعني إن الله تعالى يحشر الحيوانات فبعد ذلك يأمرها بأن تكون ترابًا فلما يرى الكافر ذلك يتمنى أن يكون ترابًا. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (عم يتساءلون) سقاه الله يوم القيامة برد الشراب**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي قدر لكل ذوي روح نفسًا، وقدّر لكل نفس موتًا طبيعيًا وإراديًا، ولزم لكل موت نزعًا أصلًا وفرعًا، كرهًا وطوعًا ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي حشر النفوس بعد الطامة الكبرى في الدورة العظمى والكبرى والوسطى أو الصغرى، بعد الانتهاء والقضاء المرتضى وانقراض المقتضى نورية كانت أو جمالية أو جلالية ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أوصل صاحب كل نفس إلى مقام ربّه الذي ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعَات: 41] وإلا فالهاوية لها هي الأولى.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١﴾

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ أي الملائكة التي تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا﴾ [النَّازعَات: 1] شديدًا وإغراقًا عنيدًا مأخوذ من نزع في القوس فأغرق النازع في القوس إذ الأبلغ غاية المد حتى ينتهي إلى النصل، فالمعنى: والنازعات تنزع وتغرق إغراقًا، والغرق والإغراق واحد.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢﴾

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾ يعني الملائكة التي تقضي نفس المؤمن حال كونها نشطة مستبشرة برجوعها إلى الوطن الأصلي والمعطن الأولي، حب الوطن من الإيمان، كما ينشط، ويجوز المعقول من يد العاقل والمحبوس من قيد الحابس ﴿نَشْطًا﴾ [النَّازعَات: 2] فالسابقات أي أرواح المؤمنين لكمال استئنافهم إلى لقاء

الله شفاء القلوب لقاء المحبوب، السابقون الملائكة ويسبقونهم سبقًا عظيمًا لما في قلوبهم شوق حميم وذوق كريم إلى معاينة أنوار جماله ومشاهدة أطوار أسرار جلاله وذلك لأن المحبوب أشد شوقًا لرواج شهود أسراره الخفية وكشوف أنوار ذاته الخفية إلى المحب «**من تقرَّب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن تقرب إليَّ باعًا تقربت إليه هرولة**» الحديث القدسي.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣﴾

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣﴾ [النَّازعات: 3] قال آدم الأولياء علي المرتضى كرَّم الله وجهه: هي الملائكة التي تسبح بأرواح المؤمنين في بحار النور بوفور السبحة ودرور السرور وجمال الحضور. قال بعضهم: هم الذين يقبضون أرواح المؤمنين بالسهولة كالذي يسبح في الماء، فأحيانًا ينغمس في بحر النوري وأحيانًا يرتفع سهلًا دقيقًا ثم يدعونها ويتركونها حتى يستريحوا. أو قال بعضهم: هم الملائكة الذين ينزلون من السماء مسرعين كما يقال للفرس الجواد: سابح إذا سبح في جريه سبوح منها عليها شواهد. وقيل: هي الكواكب كالشمس والقمر وسائر النجوم تتحرك في الأفلاك من برج إلى برج بسهولة ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبيَاء: 33] فلا تقرب في هذا المقام بهذا الوجه.

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤﴾

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤﴾ [النَّازعات: 4] ولقد سبق بهذه الكلمة كلام هي الملائكة التي تسبح بأرواح المؤمنين إلى الجنة. قيل: هي نفوس المؤمنين الذين سبقت أرواحهم إلى الملائكة الذين يقبضونها لكمال تشرفهم إلى لقاء الله وإلى مشاهدة جمال الله وحسن وجهه الكريم وشهود أنوار جلاله وأسراره على الوجه العميم. قال بعض المحققين: هم الفقراء العارفون الذين حمدهم الله ووصفهم بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يُونس: 62]. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

عن رسول الله ﷺ حيث سأل ربه ليلة المعراج فقال: «**يا رب أي الأعمال أفضل من حملها؟ قال: يا محمد إن أهل الآخرة رقيقة وجوههم كثير حياؤهم قليل حمقهم كبير نفعهم قليل مكرهم، الناس منهم في راحةٍ، وأنفسهم في تعب،**

كلامهم موزون، محاسبون لأنفسهم، متعبون لها، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، أعينهم باكية وقلوبهم ذاكرة، في أول النعمة يحمدون وفي آخرها يشكرون، تعرج بهم الملائكة بورود دعائهم، يدور دعاؤهم بحسب حجب الفرس، لا يشغلهم عن الله شيء طرفة عين، قد صارت الدنيا والآخرة عندهم واحدة، يؤمن الناس واحدة ويموت أحدهم في كل يوم سبعين مرة من مجاهدة أنفسهم وأهوائهم، فإن قاموا بين أيدي الله فكأنهم بنيان مرصوص لا أرى في قلبهم شغلًا لمخلوق، فوعزتي وجلالي لأحيينهم حياة طيبة حتى إذا فارقت روحهم جسدهم، ولا أسلط عليهم ملك الموت، ولا يلي قبض أرواحهم غيري ولأفتح لروحهم أبواب العلوم كلها ولأرفعن الحجب كلها دوني، ولا يكون بيني وبين روحهم سر، أقول لهم عند قبض روحهم: مرحبًا وأهلًا بقدومكم عليَّ، اصعدوا بالكرامة والبشرى والرحمة والرضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدًا».

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النَّازعات: 5] أي الملائكة التي فوض الله تعالى أمر العالم إليهم ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السَّجدَة: 5]، أو جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، يدبر أمر الدنيا وهؤلاء الأربعة من الملائكة العظام، وجواب هذه الأقسام مضمر على معنى أستعين.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ [النَّازعات: 6] يعني النفخة الأولى التي يتزلزل ويتحرك بها كل شيء من الأرض وما فيها وما عليها من الجبال والوهاد والأغوار والتلال، وقد يطلق على الصوت الهائل من قولهم: رجف الرعد يرجف رجفًا ورجيفًا.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النَّازعات: 7] أي النفخة الثانية التي تتحرك وتنشق السماء وما فيها من الكواكب والنجوم والنفوس المدبرة والملائكة المتصرفة فيها والنفخة عن الانتقال من دورة إلى دورة أخرى وهي تؤثر بإذن الله وأمره في كل داخل تحت الدورة من الدنيا وما فيها من الأجرام السماوية والأجسام العنصرية

وما يتركب منها وما يتولد منها ومن المواليد، وكذا يؤثر في كل ما هو غائب عن الحسّ الظاهر والباطن من الملائكة المدبرة والنفوس والعقول والملائكة التي هي الأعلون، فإن كلما هو غير الله وسواه يتغير من هذه النفخة ونقلة الدورة إذ الذات والأسماء الأربعة الذاتية التي هي ربّ الأدوار وربّ الأكوار، وهي العلم والحياة والقدرة والإرادة ومؤثرة في كل ما عداها من المجردات والماديات، فإن فردارية التربية وفرداريته ولحكمة التدبير المنسوبة إذ كل واحدة من هذه الأسماء الذاتية تؤثر في كل الممكنات مجردة كانت أو مادية وهي العبادة التي يستعجلها الكفرة ويستبعدونها لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النَّمل: 72] وهذه الجملة حال من فاعل الجملة الأولى.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [النَّازعات: 8] شديدة الاضطراب زائلة عن أماكنها، وهي صفة القلب مبتدأ خبره ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ [النَّازعات: 9] ذليلة من الخوف، ولذلك أضافها إلى ضمير القلب، يعني لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان والصيحتان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الأخرى، دل على ذلك وقوع قوله: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النَّازعات: 7] حالًا من الرجفة، ويجوز أن يبعث يوم ترجف بما يدل عليه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [النازعات: 8] أي يوم يرجف، ورجفت القلوب راجفة شديدة الاضطراب والرجف والوجف أخوان.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ أي تردون ﴿فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النَّازعات: 10] أي في الحالة الأولى، يعنون الحياة بعد الموت والوجود بعد الفوت من قولهم: رجع فلان في حافرته أي طريقته التي جاء فيها مخوفًا أثر فيها بمشيه فيها، جعل أثر قدميه حفرًا كما قيل: حفرت أسنانه حفرًا إذا أثر فيها. قيل: حافرة كما قيل: أي منسوبة إلى الحفر ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحَاقَّة: 21] أي منسوبة إلى الرضاء و﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطّارق: 6] أي منسوبة إلى الدفق، أو كقولهم: نهارك صائم.

واعلم أنه اتفق جمهور المفسرين ثم بشرح قول أبي مسلم، أما القول الأول

وهو المشهور بين الجمهور: أن هذه الأمور أحوال يوم القيامة فهؤلاء ذكروا وجوهًا أحدها: أن الراجفة هي النفخة الأولى، سميت بها لأن الدنيا تتزلزل وتضطرب عندها، أو لأن صوت تلك النفخة هي الراجفة كما بينا. والرادفة هي راجفة أخرى تتبع الأولى الأرض لإحياء الموتى كما اضطربت في الأولى بموت الأحياء على تفصيله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: 68] تعالى، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، والمراد بالصعق إما الفزع لقوله: فنفخ ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وعلى هذا القول: فنفخ الصور ليس الأمر بين، فعلى هذا نفخ الصعقة ونفخ الفزع واحد. والنفخ الثاني هو ثم نفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون. والقول الثاني: إن الصعقة عبارة عن الموت والقائل بهذا قال: إنهم يموتون من الفزع وشدة الصوت، فعلى هذا فالنفخ يحصل ثلاث مرات:

أولها: نفخ الفزع وهو المذكور في سورة النمل.

والثاني: نفخة الصعق.

والثالث: نفخة القيامة وهو مذكور في هذه السورة.

قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: 68] جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يموتون. قال النبي ﷺ: «**إنهم شهداء الله لقوله**: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عِمرَان: 169]». ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وهذه النفخة متأخرة عن النفخة الأولى، قال النبي ﷺ: «**إن بينهما أربعون**»، قال الحسن: لا أدري أربعون يومًا أو سنة أو ألف سنة. فإذا هم قيام عن القعود، ويحصل عقيب هذه النفخة الآخرة في الجبال من غير تراخٍ لأن الفاء في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: 68] ويروى أن في هذه الأربعين يمطر الله الأرض ويصير ذلك الماء كله كالنطف التي هي كالسبب للإحياء، فالرجفة هي النفخة الأولى، والرادفة هي قيام الساعة من قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النَّمل: 72]. وقد تقع الراجفة على الأرض والرادفة على السماء فيها يوم ترجف الأرض فدكّتا دكة واحدة، وهذا قول أبي مسلم.

إن هذه الأحوال ليست من أحوال القيامة وذلك لأنه فسر النازعات بنزع القوس، والناشطات بخروج السهم، والسابحات بعدو الفرس، والسابقات بسفنها، والمدبرات بالأمور التي تحصل إدبار ذلك العدد. ثم بين ذلك فقال:

الراجفة هي طائفة من المشركين وكذلك الرادفة ويراد بذلك طائفتان من المشركين غزوا رسول الله ﷺ فسبقت إحداهما الأخرى، والقلوب الواجفة هي القليلة، والأبصار الخاشعة هي أبصار المنافقين كقوله: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد: 20] كما قيل لما جاء أجل العدو ترجف وردفتها أختها اضطربت قلوب المنافقين خوفًا وخشعت أبصارهم جبنًا وضعفًا ثم قالوا: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ [النَّازعات: 10] أي نرجع إلى الدنيا حتى نحتمل هذا الخوف لأجلها.

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾

وقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ [النَّازعات: 11] بعد الرد إلى الدنيا والرجوع إليها، إذا كنا عظامًا بالية وأجزاء مفتتة غير بالية خالية عن الحياة في القبور، والناخرة هي المحفوفة التي يترادفها الريح فتنخره وتصوره.

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ﴾ الأجزاء الخالية والأعضاء ﴿إِذًا كَرَّةٌ﴾ عائدة راجعة ﴿خَاسِرَةٌ﴾ [النَّازعات: 12] ذات خسران أو أصحابها يعني إن صحب هذه الحالة فنحن إذا خاسرون تكذيبًا بها، هذا استهزاء منهم، فإذا منصوب بمحذوف تقديره: إذا كنا عظامًا باليةً، وتحصّل من هبوب الريح فيها صورة نخرة ترد وتبعث وتتعلق بها الروح والحياة فتصير حيًّا إنسانًا وهذا الإنسان العابد لا يكون الإنسان الأول بحسب الشخص ولا بحسب النوع إلا إذا دخل التركيب الأول مع ما له من المزاج والاعتدال والامتزاج وسائر الأحوال من الأفراد والأزواج وهو محال لأن الذي عدم لم يثبت أثر من الوجود الأول أصلًا، فإذًا العائد ليس الأول بعينه وإلا لما بقي الفرق بين الدنيا والآخرة إذ اتحاد اللوازم يلزم والواجب اتحاد الملزوم.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾ [النَّازعات: 13] متعلق بمحذوف أي لا يستصعبونها ولا يستحيلونها إياها فإنما هي صيحة واحدة ونفخة عائدة.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النَّازعات: 14] أي مستيقظة بعدما كانت نائمةً وأحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتًا مخفية في بطنها، والساهر من السهر وهو في الأصل اليقظة استعار منها للأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم: عين شاهدة جارية الماء أو عين باصرة ساهرة عارية عن النوم أي لا تحسبوا أن تلك العين نائمة كما كانت في الحالة الأولى.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النَّازعات: 15] وحكايته لفرعون وتكذيبه إياه، أليس قد أتاك قضيته فيسليك الله على تكذيب قومك وتماديهم عليك بأن يصيبك منهم مثل ما أصاب موسى بل أعظم منه.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النَّازعات: 16] هي أرض بالشام يعني أن فرعون كان أقوى من كفار قريش وأكثر جمعًا وأكبر شوكةً فلما تمرد على موسى أخذه الله نكال الآخرة والأولى فكذلك هؤلاء المشركون إن أصروا على تمردهم جعلهم نكالًا يحتمل أن يكون معناه قد أتاك حديث موسى والوادي المقدس أي المطهر المبارك طوىً هو اسم وادي بالشام عند الطور الذي أقسم الله به وقال: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: 52].

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [النَّازعات: 17] وادعه إلى الله والتوحيد وامنعه عن الإشراك ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النَّازعات: 17] علة للأمر والقدرة على إرادة القول إذ النداء القول.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾ أدغمت لام هل للاستفهام في لام الجر هو والمبتدأ محذوف في اللفظ مراد في المعنى، يعني هل لك سبيل إلى النجاة ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النَّازعات: 18] أصله يتزكى، قلبت التاء بالزاء وأدغمت أي يتطهر عن الطغيان والإشراك والكفران يستعمل بإلى وبفي، أي هل لك سبيل ترغب إليه وفيه إلى التزكي والتطهر من الكفر.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَأَهْدِيَكَ﴾ وأرشدك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى سبيل معرفته وطريق هدايته ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ [النَّازعات: 19] وتخاف منه وتخشاه، وهي المخافة على طريقة الخشوع والخضوع إنما تكون بعد المعرفة وملاك الأمر في كل الخير، إذ من خشي الله أتى منه كل خير ومن آمن اجترأ على كل شيء، ومنه: من خاف أدلج أي بلغ المنزل، قال الجاحظ في الناس: ولا يخشى الناس ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28]، كالتفصيل لقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: 44].

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [النَّازعات: 20] وهي تقليب العصا حية وانقلابها إليها فإنه كالأصل والمقدم أو مجموع معجزاته فإنها باعتبار دلالتها على كمال الإعجاز كالآية الواحدة أو مجموع المعجزات.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النَّازعات: 21] أي ظهر منه التكذيب والعصيان في ذكر عصا أطرافه وفي تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم إشعار بكمال التمرد ورسوخ صفة الكذب والعصيان فيه.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النَّازعات: 22] وأعرض عن الحق وتولى عنه.

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [النَّازعات: 23] فحشر فرعون وجمع سحرة قومه فنادى بالصوت العالي والنداء الرفيع.

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَقَالَ﴾ لقومه ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازعات: 24] أي ليس في قومي إلٰه آخر أعلى. قيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربّها وربّكم، أو أراد القادات والحكام والسادات.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥﴾

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يعني سوء العاقبة في الآخرة وهو الإحراق ﴿وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ [النَّازعات: 25] أي سر العاقبة في الدنيا وهو الإغراق بالماء.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإغراق ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ أي أمر يعتبر فيه إلى اعتبار عدم اعتبار الدنيا وما فيها وما بها من الرياسة والحشمة والسلطنة والاختيار بالسياسة وانتفاء إبقائها ﴿لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾ [النَّازعات: 26] ويخاف من الله ومن سوء العاقبة، أي لمن كان من شأنه الخشية الكاملة المقتضية إلى معرفة الله تعالى وكمال شهوده وعلمه ووفور أنوار لطفه وكرمه وجوده وقوة حكمه.

﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧﴾

﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا﴾ وأصعب تكوينًا وإيجادًا والتئامًا وخرقًا ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ﴾ السبع والعرش والكرسي التسع ﴿بَنَىٰهَا﴾ [النَّازعات: 27] وخلقها وكوَّنها وأوجدها، وإنما عبر بالبناء إشعارًا أو بناءً على أن النسبة إيجاد السماوات لما فيها من الكواكب والبروج والنفوس والأرواح ذوات المعارج والعروج كنسبة البناء الجزئي إلى الباقي الجزئي الفاني من حيث البناء وترتيب الأجزاء وتركيب البسائط والأعضاء بيان لبنيان السماوات وخلقها.

﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨﴾

﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا﴾ على سقفها، إشارة إلى أن وضع السماء كروي لأن للسماء في جميع الجهات سمكًا ورفعة وعلوًّا، وهذا الوضع ذهني لا يتصور إلا في الكرة والشكل المستدير ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ [النَّازعات: 28] أي جعل نسبة أجزائها المفروضة إلى الداخل وهو المركز وإلى الخارج وهو المحيط على السوية وبهذه النسبة نسبة ألوهية إلى الممكات ولذا صار أفضل الأشكال.

﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩﴾

﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا﴾ وأعمى وأظلم من غطش الليل إذا أظلم ﴿وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [النَّازعات: 29] أي أبرز ضوء شمسها كقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشّمس: 1] يريد

النهار وهذا برهان واضح وبيان ساطع سابح يدل على استدارة السماء من جميع الجهات، فإنَّ تساوي جرم الشمس وضوؤها وكذا تساوي جسم القمر واستوى صغرها وكبرها، وكذا تساوت أجرام الكواكب عند الطلوع والاستواء والغروب والبعد والتوسط بين الاستواء والطلوع والغروب يدل على استدارة الكل، وأما ما قيل: أن الكواكب عند الأفق ترى أعظم فليس من نفس الكوكب بل لتراكم الأبخرة.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد بناء السماء وسمكها ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النَّازعات: 30] أي بسطها ومهدها للسكنى في وسط الكل حيث ينطبق مركز ثقلها على مركز الكل وهو مركز العالم إن كانت الأرض على وضعها الطبيعي وهو الاستدارة الحقيقية، ومركز ثقلها غير مركز العالم فلو لم تكن الأرض في الوسط ومالت إلى الحافتين وإلى إحدى الجهات الباقية انتفى تساوي أحوال النيرين والكواكب الباقية فيفطن ويخدش.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ٣١﴾

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ أي من الأرض ﴿مَآءَهَا﴾ المكمونة المستورة ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النَّازعات: 31] على تقدير كونها في الوسط فيكون نسبة كرة الماء إليها على السواء فيخرج منها ماءها أي بيانها بحيث إنَّها إذا أخرجت عن الوسط فيخرج عن نسبة الاعتدال، والكواكب عن نسبة المساحة والمجازات فلا تنعكس أشعتها على زوايا قائمة متساوية، ولا يخرج الماء ولا النبات ولا الحيوان بل المعادن إذ الكون والتكوين موقوف على الاعتدال والسوية. قال النبي ﷺ: «**بالعدل قامت السماوات**».

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ٣٢﴾

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ٣٢﴾ [النَّازعات: 32] أثبتها واستقرّها عليها.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ٣٣﴾

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ ممتنعًا وممتعًا لكم ﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النَّازعات: 33].

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ الداهية التي تطم وتعلق على سائر الدواهي ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النَّازعات: 34] أي الأمر الأكبر وهي القيامة العظمى والنفخة الثانية أو الساعة التي يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، والساعة كالنفخة اثنتان إحديهما قبل قيام القيامة، والثانية بعدها وبعد النفخة التي تعاد الأرواح فيها إلى الأجسام. وقال البعض: الطامة الكبرى هي القيامة العظمى. قال الحسن: إنما هي النفخة التي عند حشر الخلائق إلى الموقف الأول، والآخرون على أنها عبرة لقوله:

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [النَّازعات: 35] يعني إذا رأى أعماله مدونة مكتوبة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها، وما يحتمل أن تكون مصدرية وموصولة.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النَّازعات: 36] أي ظهرت السعير لكل من هو شأنه أن يدرك ويعلم ويرى، ولا يخفى على أحد مشاهدته.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [النَّازعات: 37] وضلّ وعصى وبغى

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ [النَّازعات: 38] واختارها في الدنيا على الآخرة وانهمك وتكالب وحرض عليها

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النَّازعات: 39] أطلال الأعمال السيئة الطالحة، وامتاز فقدان الاستعداد الوقوعي في الأول. قال النبي ﷺ: «**إنما هي أعمالكم ترد عليكم**».

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [النَّازعات: 40] مقامًا يكون ثابتًا بين يدي ربه يعلمه به

وبالمبدأ وبالميعاد ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأمارة واللوامة ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النَّازعات: 40] وما يمثل إليه الطبيعة الحيوانية والطينة البهيمية والسبعية والشيطانية.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ﴾ التي هي آثار العبادة الخالصة والطاعة البدنية والنفسانية والروحانية والفعلية وظلالها ﴿هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعات: 41] والمرجع والمأمول إليه، وذلك أي الأعمال يجيء صاحبها إلى الجنة فإن أغصان شجرة الأعمال الصالحة قد ظهرت في الجنة وأصلها ثابت عند العبد، وطالب صاحبها فيجذب عاملها إلى شجرتها وهو الجنة كما أن ضدها إنما هي في السعير وأصلها لدى الجحيم يجر صاحبها إليها أو لأن كل نفس طيبة من جنس الجنة والعمل الصالح الذي هو مقتضى الجنسية، ويصحح نسبة الجنسية وأيد صاحبها إلى ما يجانسه وكل نفس خبيثة من جنس الجحيم والعمل الصالح من مقتضاها يجر صاحبه إلى إيجابه.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ لما كان المشركون يستمعون أخبار القيامة والساعة التي وصفها تعالى بالأوصاف الهائلة كالطامة والصاخة والقارعة والزلزلة قالوا على وجه الاستهزاء: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النَّازعات: 42] أي متى إثباتها وإقامتها أو منتهاها أو مستقرها من مرسى السفينة وهي ما تنتهي إليه وتستقر فيه.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾

﴿فِيمَ﴾ أيْ أيَّ شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [النَّازعات: 43] أي يذكر وقتها لهم ويعلمهم به. عن عائشة رضي الله عنها: لم يزل رسول الله ﷺ يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت أي هذه الآية، فهو على هذا التعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل: في أي شيء أو اهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّازعات: 44] أي منتهى علمها.

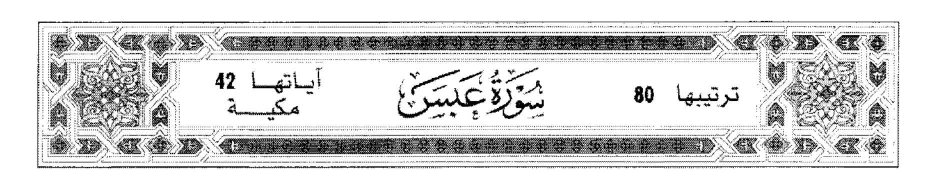
﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥﴾

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥﴾ [النَّازعات: 45] إنما خص الإنذار بأهل الخشية لأنهم ينتفعون بها وبذكرها دون الغافلين ولهذا وصفهم بقوله:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ في يوم وقعت الواقعة فيه وهم يرونها في ذلك اليوم ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا وفي القبور ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النَّازعات: 46] أي مقدار أيام الدنيا كعشية يوم أو ليلةٍ أو مقدار المكث في القبر كمقدار يوم أو ليلةٍ، ولذا أضاف الضحى إلى العشية لأنها في يوم واحد. عن رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة (والنازعات) كان ممن حسبه الله في القيامة حتى يدخل الجنة قدر الصلاة المكتوبة**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي عبس حبيبه إذ سأله سائل عن الساعة وهي نهاية الدورة العظمى الإلٰهية التي سماها بالطامة الكبرى، وعن الصاخة وهي غاية الدورة الصغرى ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي شقَّ أرض استعدادات أعيانها وأخرج منها حب الشريعة النورية وأعناب العبادات البدنية ومحل القوة الفطرية وزيتون القوة العملية، وقصب الإدراكات المتعلقة بالصنائع والحِرَف، وفواكه العلوم الإلٰهية كالمنطق والحساب والعروض والنحو والهندسة وعلوم الطريقة والأخلاق وغير ذلك كالطب والهندسة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي حلى بواطنهم وزيَّنها بأنوار أسرار هذه الإدراكات وحقائقها.

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ ﴾

﴿ عَبَسَ﴾ كلح ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عَبَسَ: 1] أي أعرض.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [عَبَسَ: 2] وهو عبد الله بن أم مكتوم أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام فقال: يا رسول الله علمني مما علَّمك الله، وكرَّر ذلك ولم يلتفت إليه الرسول ﷺ، فقطع النبي ﷺ الكلام مع القوم فعبس وأعرض عنه فنزلت. وكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول: «**مرحبًا يا من عاتبني فيه ربّي**» واستخلفه على المدينة مرتين، وذكر الأعمى إشعار بعذره في الإقدام على قطع الرسول ﷺ الكلام.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي أي شيء يجعلك داريًا ومدركًا بحال الأعمى ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عَبَسَ: 3] مضارع من باب التفعيل، يتطهر من الآثام بما يلتقف منك، وفيه إيماء إلى أن إعراضه كان لتزكية عبرة أو تذكر.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ [عَبَسَ: 4] أي يتعظ الأعمى ويقبل منك موعظة فتنفعه موعظتك. قيل: الضمير لعله للكافر أي إنك طمعت في تزكيته للإسلام وتذكره بالموعظة ولذلك أعرضت عن غيره عند التوجه إلى دعوته إلى الإسلام أي شيء علمك أن ما طمعت فيه من الإسلام.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥﴾

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥﴾ [عَبَسَ: 5] عن الله والإيمان به.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ [عَبَسَ: 6] أي تتعرض له بالإقبال عليه أصله تتصدى. ويقال: تصدى فلان لفلان أي تعرض له وتوجه إليه وأقبل لديه.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾

﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عَبَسَ: 7] ليس عليك بأس وحرج إن لم يتزكَّ الكافر ولم يتطهر عن دنس الكفر وما عليك إلا البلاغ.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨﴾

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ﴾ عبد الله المذكور حال كونه ﴿يَسْعَىٰ﴾ [عَبَسَ: 8] ويسرع طلبًا للخير.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ [عَبَسَ: 9] الله ويخشىٰ غضبه وأدبه للكفار في إتيانك أو كبوة الطريق لأنه أعمى لا فائدة له.

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ [عَبَسَ: 10] أي تتشاغل وتغفل يعني إن مثلك لا ينبغي ويتحرى أن تتصدى للغني وتتلهى للفقير.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن المعاتب عليه ومناداة مثله ﴿إِنَّهَا﴾ أي هذه السورة أو القصة أو القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ [عَبَسَ: 11].

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ [عَبَسَ: 12] حفظ القرآن ومحافظته، والضمير المنصوب للقرآن أو للمعاتب عليه.

﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾﴾

﴿فِى صُحُفٍ﴾ مثبتة فيها صفة التذكرة أو خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ [عَبَسَ: 13] ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾﴾ [عَبَسَ: 14] عند الله لتكريمه لما فيها على الفقر فتذكرة عند الله مرفوعة المقدار عالية القدر، أو مرفوعة في السماء السابعة مطهرة عن أيدي الشياطين لا يمسه إلا الملائكة المطهرة لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقِعَة: 79].

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عَبَسَ: 15، 16] كاتبين وهم الملائكة والأنبياء والعلماء الربانيون. دعاء عليهم بالسخط العظيم والقحط العميم لأنه أفرط في الكفر لما تذكر الصفة المشتملة على ترفع قريش على فقراء المسلمين وعجب عباده المؤمنين من ذلك نزلت الآية في عتبة بن أبي لهب، وقال الآخرون: كل غني يترفع على فقير بسبب الغنى.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عَبَسَ: 17] جمع بار يعني أن الملائكة مكرمون عند الله أو على المؤمنين لأنهم يستغفرون لهم وهم في أنفسهم نقي تقي.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨﴾

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨﴾ [عَبَسَ: 18] بيان سبب دعاء الصناديد عليه، يعني لأجل أنهم ما تفكروا في أنهم من أي شيء خلقهم الله تعالى وغضب عليهم.

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝١٩﴾

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ أي خلق مادة وجوده وأصل تكوينه بشهوده الماء الحقير بيان الإجمال وتفصيله ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ [عَبَسَ: 19] واعلم أن كل حادث له ثلاث مراتب: الأولى والثانية والثالثة.

أما الأولى: فأشار إليها بقوله: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عَبَسَ: 18] أي جعل مادة وجوده فأشار إلى جوابه ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ [عَبَسَ: 19] أي مادة وجوده الأولية النطفية التي هي حقيرة مهينة فكل موجود مادة وجوده هي الأمر الحقير لا يليق بحاله التعظيم والتبختر والافتخار والتكبُّر.

قال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه، نهاه عن الكبر، فإنه ليس أحد يدخل الجنة وفي قلبه مثقال خردلة من كبر**».

وقال: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37] ثم قدّر كل عضو في الكمية والكيفية بالقدر اللائق مصلحة نظيره: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفُرقان: 2] أي جعل أطوار وجوده وكونه مقدرًا في النطفة فالتدريج يخرج إلى الوجود والامتزاج والتنوع.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠﴾

أما المرتبة الثانية: وهي المتوسطة وأشار إليها بقوله: ﴿ثُمَّ﴾ أي بعد تقدير مادة وجود الإنسان في النطفة ﴿السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عَبَسَ: 20] منصوب بمضمر قد فسره بقوله: ﴿يَسَّرَهُ﴾ أي جعل الطريق في الخروج من ضيق الرحم إلى فضاء الدنيا وكان في الرحم الجنين رأسه من فوقه ورجله من تحته، فإذا جاء وقت الخروج انقلب وذلك التقلب والانقلاب ليس إلا من الله وبتقديره وتأثيره. وبيان هاتين المرتبتين قد مر في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [غافر: 67] إلخ.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾

وأما المرتبة الثالثة: فهي في الحقيقة واسطة بين حال التكليف والمجازاة، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ثُمَّ﴾ بعد استكمال الإنسان في أمر المعاش ومعرفة المبدأ والمعاد ﴿أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عَبَسَ: 21].

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ثُمَّ﴾ بعد الإماتة والدفن في القبر ﴿إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عَبَسَ: 22] في المحشر العظمى.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ [عَبَسَ: 23] ردع للإنسان عما هو عليه، الضمير راجع إلى الإنسان المطلق أي أعم الحكم بأن الإنسان إن حكم بأنه ممكن في ذاته يحتاج في وجوده وفي كل ما يتبعه من الأفعال الآثارية والأعمال الاختيارية وإن خصص بالكافر وإنما لم يفعل ما أمره الله تعالى من الأفعال والعبادات البدنية والطاعات النفسية لأن الله تبارك وتعالى لم يوفقه، ولما أعطاه التوفيق وإن أعطاه الاقتدار والقوة والتحقيق إذ في الفعل الإرادي والعمل الاختياري لا بد من أمرين: الاقتدار والقدرة، ثم بعد الاقتدار لا بد من التوفيق وهو رتبة الأسباب وإعدادها وتحصيل شرائطها ورفع ودفع الموانع ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ [عَبَسَ: 24] وإلى ما يقتات به بدنه وبنيته من النباتات والحيوانات، تفصيل لما ذكره من الإجمال بأن النبات الذي يرتاع به الحيوانات وبعض الإنسان إنما هو بخلق الله والذي يزرع الإنسان ويحرثه منبته هو الله تعالى وخالق الكل إنما هو الله.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ [عَبَسَ: 25] تفصيل ما أجمله وأبهمه استئناف وبيان لكيفية خلق مادة الإنسان والحيوانات والنباتات بل المعادن، وإشعار بأن مادة جميع

الموجودات الكونية وأصل تمام المكونات العينية إنما هو الماء الذي هو أول الموجودات ومبدؤها كما مر مرارًا إذ أول ما نزل من سحاب الذات الأحدية ماء التوحيد الذاتي والعلم وتجلى الله الذات بذاته بعنوان ذاتي، فإنه أصل الشؤونات الذاتية ثم ينزل من هذا السحاب ويظهر ماء العلم بذاته وشؤوناته الذاتية.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض الاستعدادات الذاتية والقابليات الأولية التي أفاضها الفيض الأقدس وهو التجلي الذاتي الذي انبسط في ذاته تصور النسب الذاتية والشؤونات الأولية وإنما هي أرض الاستعدادات التي هي نهاية الأمنية الذاتية وبداية الأسمائية التي هي الأفلاك الإلٰهية والسماوات الذاتية «**لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن**»، ﴿شَقًّا﴾ [عَبَسَ: 26] كشق العلم والقمر بالقوة الإلٰهية والقدرة الذاتية.

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أرض الاستعداد ومنها ﴿حَبًّا﴾ [عَبَسَ: 27] والحَبُّ حَبُّ ذاتي وهو أصل ومادة وغذاء ذاتي وقوة أولى لتمام الحقائق الإلٰهية والأعيان الكونية.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَعِنَبًا﴾ نبتة ذاتية تتضمن خمر المحبة الذاتية وشراب المودة الهوية العينية وعصير أحكام الشرائع والنبوة التعريفية والنبوة التشريعية ﴿وَقَضْبًا﴾ [عَبَسَ: 28] علومًا تتعلق بحقائق الركعات المعدنية والنفوس النباتية، والنبوة قواها من العادية والنامية والمولدة وما يخدمها من الماسكة والجاذبة والهاضمة والدافقة والمفضلة والمعبرة والمصورة.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَزَيْتُونًا﴾ أي القوة العلمية ﴿وَنَخْلًا﴾ [عَبَسَ: 29] أي القوة النظرية.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ [عَبَسَ: 30] أي علومًا تتعلق بأحكام الطريقة وأعمالها

وبتحسين الأخلاق وتبديل الأوصاف، أي أشجارًا عظيمة وهي إشارة إلى أصول الأخلاق وهي الفقه والشجاعة والحكمة.

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾

﴿وَفَٰكِهَةً﴾ أي فروعها مما يتولد من الأصول المذكورة والتي يتولد من الفقه هي الحياء والرفق والصبر والقناعة والسخاوة وأضدادها إنما تتولد من طرفي العفة وهما الإفراط والتفريط ومقتضاهما هي الخمور والفسق فمنها يظهر ضد الحياء والرفق والصبر والقناعة وغير ذلك على الترتيب، ومن اعتدال القوة الغضبية تحصل الشجاعة، ومن طرفها يتولد طرفان مؤمنان وهما الجبن والتهور، ومن اعتدالهما بحسب القوة الغضبية تحصل صفات حميدة وهي الثبات والهمة والتواضع والحمية والغيرة.

قال النبي ﷺ: «**الغيرة من الرجال من الإيمان ومن النساء كفر**». وأضداد تتولد من طرفها ومن اعتدال طرف النطق يتولد صفة محمودة وهيئة ممدوحة وهي الحكمة وهذه الحكمة ليست هي الحكمة المدونة المنقسمة إلى النظرية والعملية ويتولد من طرفها الإفراط والتفريط البَله والشيطنة، ومن تركيبهما في ضمن الحكمة وهي ملكة يقتدر بها على أجزائها الفقه والشجاعة على وجه العدالة، ومن تركيب هذه الصفات تحت القوة النطقية يتولد منها أخلاق حميدة كالذّكاء وحسن التعقل والتحفظ والتفكر بالصواب والذكر والتصرف في معاني هذه الأوصاف وأضداد هذه الهيئات الفاضلة كثيرة، والملكات الكاملة كثيرة. وإذا اعتدلت هذه القوى الثلاثة ـ أعني الفقه والشجاعة والنطق والحكمة وضمن العدالة وظهرت أخلاق كثيرة وأوصاف جميلة كبيرة من الصداقة والوفاء والشفقة والتودد والتسليم والرضاء والتوكل، ولها طرفان وهما: الإفراط والتفريط يتشعب منها أضداد هذه الأوصاف وهو انضمامها الظلم والإظلام، ويتفرع منهما الرذيلة وصفات عليلة وهي مقابلات تلك الملكات الفاضلة.

﴿وَأَبًّا﴾ [عَبَسَ: 31] أي مرعى وعاطفة فاكهة على القلب وعلى ما عطف عليه يوجب أن لا يدخل هذه الأشياء في الفاكهة إذ المعطوف يغاير المعطوف عليه أصله أبٌ كَأَمَّ يؤم إذا قصد، ومن أب لكذا إذا تهيَّأ للوعي وفاكهة أبّهُ يؤبه ويدخر للشتاء.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٢﴾

﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ﴾ أي هذه المذكورات متاع خاص لكم ﴿وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [عَبَسَ: 32] إذ بعضها طعام ورزق لكم وبعضها لمواشيكم.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣﴾ [عَبَسَ: 33] أي النفخة التي تظهر في الدورة الكبرى النورية الجمالية، وصفت بها مجازًا لأنَّ الناس يصيخون لها من صخَّ يصخُّ إذا احتاج لديها وصوَّت بصوت رفيع عالي.

﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤﴾

﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤﴾ [عَبَسَ: 34] وإنما قدم الأخ لأنه أشد استئناسًا.

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾ [عَبَسَ: الآيتان 35، 36] وإنما أخَّر الأب لأنه في ذلك اليوم تظهر عداوته.

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧﴾

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ﴾ واشتغال بنفسه ﴿يُغۡنِيهِ﴾ [عَبَسَ: 37] يمنعه من الالتفات إلى الغير.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨﴾

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨﴾ [عَبَسَ: 38] مشوقة مضيئة من أسفر الصبح إذا أشرق وأضاء.

﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝٣٩﴾

﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝٣٩﴾ [عَبَسَ: 39] مسرورة بما يرى من النعم الفاضلة والمنح الكاملة.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾ [عَبَسَ: 40] غبار كدرة وبخار مدرة.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ [عَبَسَ: 41] يغشاها سواد وظلمة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عَبَسَ: 42] الذين جمعوا بالكفر والفجور ولذا جمع إلى سواد وجوههم الغبرة والعبرة. قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (عبس) جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي كوَّر شمس الروح وأزال ضوءها وشعاعها، يعني أدرك نعتها وشهود لذاتها لدى تجلي شمس ذاتها ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أسقط بحموم سلوى إدراكاتها وكواكب قوى تصرفاتها في النفس والبدن وأطرحها ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي يوصل كل روح ونفس إلى أفق مبين أحدية الجمعية دون تجلي الذات بتمام الأسماء والصفات لكل روح.

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: 1] اضمحلت وذهبت بأضوائها وأنوارها فسقط انبساط ضوئها ونورها إلى الآفاق وألقت وحدقت من فلكها وبطل آثارها وأثرها ويظل جرمها ودررها إذ الشرط حذف فعلها يفسر كورت أي اذكر وقت تكوير الشمس.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: 2] أي انقضت وتناثرت في السماء الحسية في آخر الدورة العظمى النورية من فروع الدورة الصغرى كما أشار النبي ﷺ: «**خلق الله الدنيا على سبعة آمادٍ والأمد الدهر الطويل لا يحصيها إلا الله ونحن في الأمد الأخير**».

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [التكوير: 3] عن أماكنها إلى وجه الأرض.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ أي النوق اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر، جمع عشراء ﴿عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: 4] أي سلبت وبطلت.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير: 5] جمع الوحش وهو حيوان توحشت عن الإنسان استبعدت حشرت جمعت عن جميع الجهات عند الموقف وذلك عند الانتقال فردارية الحكم والتربية من دورة الجمال إلى الجلال الضمني كان خفيًّا لدى صراحة حكم النور والجمال وذلك يتضمن ظهور جميع المختفيات وبروز تمام المظهرات فالاستبعاد في مثل هذا الأمر الإلٰهي لا يرى مقتضيات الأمر الإلٰهي عند انتقال الشمس من بروج الشتوي إلى بروج الربيعي كيف يحشر الله الحيوانات التي اختفت في الشتاء وظهرت في الربيع، وكذا يحشر النباتات ويخبئها في هذا الفصل.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ﴾ التي كانت في الدنيا وهي سبع وقد مر الكلام فيها في سورة (الطور) ﴿سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: 6] أحميت وأوقدت حتى انقلبت كلها نارًا وامتلأت، ويتفجر بعضها إلى بعض حتى يصير الكل بحرًا واحدًا من سجر السؤر إذا ملئت بالحطب لتحمية ثم يحمى الكل وتسجرت وتوقدت حسب اقتضاء الأمر الإلٰهي، فإن في هوليات الممكنات وموادها وهي الوجود المطلق والذات المحقق في نفسها اقتضاءات ونسبًا وإضافاتٍ واختفاء بعضها في بعض، فإن في كل شيء كل شيء، ففي كل واحد من الأفلاك والعناصر يتمكن الكل، فعند انتقال الفردارية من دورة إلى دورة أخرى جلالية يبرز ما كان كامنًا من صور الأفعال وهيئات الأعمال وأشكال التمثلات في خزائن أدوار النور والجمال وهي مقتضيات الجلال، فعند انتقال الفردارية إلى الجلال يبرز ما كان كامنًا في مكان من خزائنه.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ [التّكوير: 7] قرنت بالأبدان كل منها إلى صاحبته، وكذا كل ما صدرت منها من الأعمال الإرادية والأفعال الاختيارية بروح بما تمثلت بها من الصور المتناسبة والهيئات المتقاربة الحسنة والقبيحة، أو نفوس المؤمنين بالجود ونفوس الكفار بالشياطين ومقتضياتها من الصور القبيحة.

﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨﴾

﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ﴾ وهي الجارية المقتولة المدفونة حيةً ﴿سُئِلَتۡ﴾ [التّكوير: 8].

﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩﴾

﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩﴾ [التّكوير: 9] فتعدّت من عمل هذا العمل أشد العذاب.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾ [التّكوير: 10] التي كتبت فيها الأعمال النفسانية والأفعال البدنية الصادرة من الحواس الظاهرة بالاختيار والأحوال القلبية وهي الأخلاق والأوصاف والملكات المرضية أو الكدرة الغير المرضية ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: 36]، ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: 18]، ﴿نُشِرَتۡ﴾ [التّكوير: 10] فإن الصحائف تطوى عند الموت وتنشر يوم الحساب.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾ [التّكوير: 11] قُلِعَت وتقطّعت وسقطت.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢﴾

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢﴾ [التّكوير: 12] أوقدت وحميت إيقادًا شديدًا.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣﴾

﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣﴾ [التّكوير: 13] أي قربت من المؤمنين أي اطلعوا على قربها بهم لأنها آثار أنوار الأعمال الحسنة والأفعال المرضية والأحوال الرضية

والأقوال الطيبة. ورد في الحديث: «**يُحشر الناس على أعمالهم، إنما هي أعمالكم ترد عليكم**»، وكذا السعير قربت من أعيان الناس إلا أن بعضًا منها قد ستروها ومحوها «**إن الحسنات يذهبن السيئات، اتبع السيئة الحسنة تمحها**» الحديث.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التّكوير: 14] وقدمت من الأعمال والأفعال والخيرات والحسنات والمعاصي والسيئات، جواب الشرط المذكور مكررًا قد تقدمت حقيقة الأحوال والأعمال فيما تقدم، فإن الله يدبر أمر العالم الروحاني والبرزخي وعالم الملك وما فيها من الأعيان بالأسماء الذاتية الأربعة الأولى وهي: العليم والحي والقدير والمريد بالأصالة والاستدلال وبالثلاثة الأخيرة أعني السميع والبصير والمتكلم بالتبعية والتطفل والفرضية، وأن لكل اسم ظاهرًا أو باطنًا جمالًا وجلالًا، نورًا وظلالًا واقتضاءً، ولذلك الاقتضاء مدة معينة وبرهة بينة وفي ذلك الوقت تظهر دنيا وآخرة وسماء وأرض وأعيان مخصوصة وأكوان منصوصة، وإذا انقضت تلك المدة وانتهت تبدلت الدنيا وما فيها من السماء والأرض وما فيها وما عليها من الكواكب والجبال والبحار وغير ذلك، فإذا انتقلت فردارية سلطنة نوبة التدبير من اسم إلى اسم آخر ظهرت القيامة وبرزت الساعة وبهرت النفخة الأولى والأخرى ويتبدل طور الدنيا إلى طور الآخرة، وطور الآخرة إلى طور الدنيا، فصارت الموتى والجنة والنار وما يلزمهما وما كان لازمًا للخوف من صور الأعمال والأحوال ما ذكرت هاهنا من تكوير الشمس وانكدار النجوم وغير ذلك ظاهرة محسوسة بالحواس الظاهرة، فإذا هذه المذكورات وغيرها أمور لازمة الوقوع واجبة الظهور فلا يغرب هذا أولًا إغراب من هذا، فإن قدرته تعالى وقوته أكبر وأعظم من أن تدركها العقول والأوهام ومقتضياتها كيفيات وقوعها وأوقاتها.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ [التكوير: 15] يعني فلا ينبغي من العالِم العامل أن يرتاب في حقية أمثال هذه الصورة فإنها واقعة قطعًا، أقسم بأنها واقعة قطعًا وألبتة. والقسم إشعار بأن الإنسان مركب من قوانين الهيئة وكونية رحمانية وشيطانية، وأن القوة

الشيطانية غالبة في الأكبر بل في الكل كما أشار إليه ﷺ: «**وإني ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في كل يوم سبعين مرة**»، وفي رواية: «مائة مرة»، فيغفل الإنسان ويبعد عن الله وعن مواعيده.

﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾

﴿بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ﴾ [التّكوير: 15، 16] أي الكواكب الخمسة المتجبرة الرواجع من خنس إذا تأخر ورجع من سمت إلى سمت آخر جمع خانس وهو الانقباض والاستحقار، يقال: خنس من بين النجوم إذا انقبض واستخفى، وفي الحديث: «**إن الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس وانقبض**»، والجواري هي الذراري السيَّارة السبعة ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾ [التّكوير: 16] الغيب الخفي، وهي: زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر، وإنما أقسم بهذه الكواكب الراجعة إذ الرجعة مقتضى العطف والاستقامة والإقامة وهذه أحوال لا تأتي من فلك واحد بل لا بد من أفلاك متعددة كما بين في موضعه، وأكثر الأحوال يوجب كثرة القوة وكمال القدرة ونور العلم والحكمة، وبعد هذه الأحوال مدة تحت شعاع الشمس تحترق وتنكس فيه وهذه الحالات بمقتضى زيادة أفلاك صغار غير شاملة للأرض تكون معرفة في ثخن فلك حامل له خارج المركز وتكون هذه الأحوال أمورًا غريبة لا توجد في سائر الأفلاك والكواكب استحقت بأن يقسم بها.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ [التّكوير: 17] أدبر. قيل: أقبل إظلامه وهو من الأضداد، يقال: عسعس الليل وتعسعس إذا أدبر.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [التّكوير: 18] أي ظهر من بطن ظلمة الليل وطلع من أفق الأرض.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ [التّكوير: 19] يعني جبرائيل.

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾

﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ كقوله: شديد القوى وسديد القدرة والكمال، انتهى ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التّكوير: 20] عند الله وقار مكانه وعلو مرتبته.

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾

﴿مُّطَاعٍ﴾ في مرتبة الملائكة ﴿ثَمَّ﴾ أي في مرتبة ودرجة رتبته ﴿أَمِينٍ﴾ [التّكوير: 21] على الوحي يحتمل الاتصال بما قبله وما بعده.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾

﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ أي الرسول ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [التّكوير: 22] كما زعم الكفار المنتقمون من العباد والجهال الفجار المنتقمون، وإنما خص على نفي الجنون ردًّا على ما قالوا: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سَبَإ: 8].

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ يعني محمد لجبرائيل ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التّكوير: 23] بمطلع الشمس وهما مدار رأس السرطان فإنه أعظم المدارات اليومية ولذا بلغ طول النهار فيه إلى غاية في الآفاق المائلة وفي هذا المدار يقرب الشمس إلى سمت رؤوس أهل مكة ويمر عليها.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ [التّكوير: 24] الضنة من التهمة أي ليس محمد من شأنه أن يتوهم عليه. روي أن رسول الله ﷺ قال لجبرائيل: «**أريد وأحب أن أراك في صورتك التي تكون عليها في السماء، فقال: لن تقوى على ذلك، قال: بلى، فأين تشاءُ بفعل ذلك، قال: بالأبطح، قال: لا يسعني، قال: فَبِمَنى، قال: لن تسعني، قال: فبعرفات؟ قال: ذلك بالمعزل أن يسعني قواعده. فخرج النبي ﷺ فإذا هو بجبرائيل عليه السلام قد أقبل من جبال عرفات فخشخشه وكلّله وقد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي ﷺ خرّ مغشيًّا عليه، قال: فتحرك جبرائيل في صورته فضمه إلى صدره وقال: يا محمد**

لا تخف، فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في النجوم وأن العرش لعلى كاهليه وأنه ليتضاءل أحيانًا من مخافة الله عزَّ وجلَّ مثل الوسغ» يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥﴾

﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني محمد ﷺ ﴿بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ﴾ أي لا يقول محمد ما يقول الشيطان ﴿رَّجِيمٖ﴾ [التّكوير: 25] بالاستراق السمعي من السماء، هذا رد لما قالوا إنه لكهانة وسحر.

﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧﴾

﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧﴾ [التّكوير: 26، 27] أي ليس القرآن أو محمد إلا تذكرة أو مذكّر وناصح لأهل العالم، هذا استقلال لهم كما يقول لتارك الجادة: أين تذهبون وأين تمشون، توبيخًا وزجرًا لهم، مثلت حالهم بحال هذا الذاهب في ترك الحق ودعوته إياهم عنه إلى الباطل.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [التّكوير: 28] بدل من العالمين، بدل البعض إن اعتبرت الكلية والجزئية، وبدل الكل إن اعتبرت الحقيقة والماهية لأن الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر، فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا به موعوظين جميعًا.

قال شيخ الطائفة الجنيد رحمه الله: معنى هذه الآية: تقرؤون آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر: 21]، ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [التّكوير: 26-28] أي يتبع الحق ويعمل به ويقيم عليه.

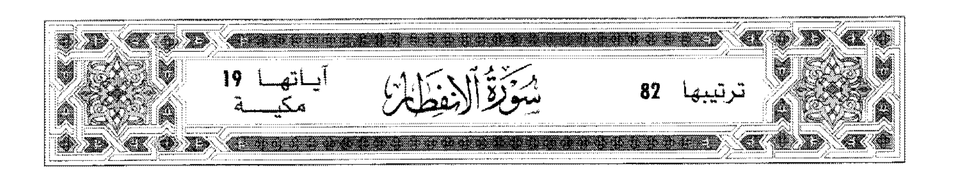
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾

ثم قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التّكوير: 29] روي أنه لما نزل: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التّكوير: 28] قال أبو جهل: نزلت إلينا إن شئنا

استقمنا وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: 29].

حكي عن أبي سفيان، عن وهب بن منبه قال: الكتب التي نزلت من الله تعالى على الأنبياء عليهم السلام بضع وتسعون كتابًا، قرأت منها بضعًا وثمانين كتابًا فوجدت منها من جعل على نفسه شيئًا من الشبه لحد الكفر. قال الواسطي: عجزت في جميع أوصافك فلا تشاء إلا بمشيئته ولا تعمل إلا بقوته ولا تطيع إلا بفضله ولا تعصي إلا بخذلانه فماذا تبقى لك، وبماذا تفتخر من فعلك وليس من فعلك شيء. قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (التكوير) أعاذه الله تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي انفطرت بقدرته الكاملة وقوته الشاملة سماء الدورة الصغرى والنورية الجمالية الصريحة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي ربى ودبّر أعيان هذه الدورة بكمال رحمته وعموم نعته بشمول صورة تمام جمعيته بالحكمة النظرية والعملية المتعلقة بتكميل طور القلب والسر الذي هو مجمع الأطوار العالية وشمس مشارق الطور الروحي والخفي، وغيب الغيوب وبدر طور قمر القلب الذي ارتفع عنده معاني مقتنيات أطوار النفس بأنواعها والقالب بإشباع مشاعر العشرة الشاعرة الشارعة إلى العاشرة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي زيَّن فؤاد قلوب العارفين بأنوار الحكمة النظرية وأسرار النظرة العملية ليتمكن من العروج إلى سماء عطارد والقوة النظرية راقيًا إلى فلك زحل الحكمة العملية إلى أن بلغ إلى عرش حبيته للكل ليرى ما عملت بضيق ما قدمت وأخرت.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾

واذكر وقتًا ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفِطار: 1] انشقت وتكسّرت وتفرَّقت.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ﴾ أي نجوم القوى النظرية وذرى المبادئ العقلية، وهي المشاعرة العشرة، الشاعرة الظاهرة والباطنة ﴿ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفِطار: 2] وتساقطت من سماء شمس الروح.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ [الانفطار: 3] أي جمعت وانصبت ماء البعض في البعض لدى ارتفاع الحاجز الذي جعله الله برزخًا فيصير الكل بحرًا واحدًا، وارتفاع الحاجز إنما يكون لتزلزل الأرض وتحرُّكها وانصداعها وانقلاع الجبال ونسفها.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ [الانفطار: 4] أي انتشرت وقُلِبَت أسفلها أعلاها وبإظهار ظاهرها بإحياء ما فيها وخروجها، أو بإخراج ما فيها من كنوز الذهب والفضة والجواهر النفيسة وذلك من أشراط الساعة وعلاماتها.

واعلم أن هذه الأربعة اثنان منها سماويان واثنان أرضيان من أشراط الساعة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: الآيات 1 - 4] إلى آخر السورة. واعلم أن انفطار السماء وانشقاقها وانتشار الكواكب وغيرها أمر ممكن جائز وغيره لإشراك الكل في الجسمية والأمر النوعي إذا اقتضى أمرًا نوعيًّا في البعض كالانشقاق والانصداع والانفطار كما يقع على العناصر لا بد وأن يقتضي في الكل وإلا لزم التحكم. فإن قيل: إنما يكون ويصح إذا كانت العناصر والأفلاك أنواعًا، وأما إذا كانت أجناسًا فلا أجيب بأن الهوية الاتصالية الأفعالية وهي الجسمية مشتركة في الكل، فإذا طرأ أمر نوعي كالانشقاق والانفطار والافتراق على بعض لا بد وأن يجوز طريانه على الآخر، كيف وأن الكل يباشر الفاعل المختار، فإن مجرد الإمكان لا يقع بدون تأثير أمر خارجي، ألا ترى أن انفصال العناصر أمر ممكن في نفسه في كل الأوقات فلو لم يضم تأثير الفاعل المختار المريدين ثم يقع الانفصال بالفعل في بعض الأوقات وإلا لزم التحكم لاستواء الفعل في جميع الأوقات، وكذا نسبة تأثير الفاعل الموجب بالنسبة إلى تمام الأوقات على السواء، فإن العامل الخارجي لا بد وأن يكون مختارًا مريدًا ليخصص إرادته وقوع الفعل في وقت دون وقت وبصفة وضع دون وضع وغير ذلك من الأحوال.

واعلم أن الغرض من هذه الآيات تخريب بناء دار الدنيا وانهدام بيت العالم، وأسقف هذا البيت هو السماء، وسطحه هو الأرض والماء، ومن أراد تخريب البيت لا بد أن يبتدأ من السقف. فانفطار السماء تخريب السقف والبحار فجرت والقبور بعثرت إشارة إلى تخريب السطح وأجزائه.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝﴾ [الانفطار: 5] إشارة إلى العلة الفانية، المراد مما تقدم هو الأعمال الصادرة في أول العمر وبما تأخرت في آخر العمر، والمراد هو الأعمال البدنية، ومن الثانية هو الأفعال النفسانية والأخلاق القلبية وآثار الملكات الفاضلة التي تحصل بعد اللُّتيا والّتي، فإن تزكية النفس وتصفية القلب وتأديب النفوس العاملة وتهذيب القوى والجوارح الفاعلة وتحسين الأوصاف وتبديل الأخلاق فلا تحصل إلا بعد المجاهدات الشاقة والرياضات الحاقة. والمراد من الأول أعمال أحكام النبوة، ومن الثاني أحكام أحوال الولاية وتكميل أنوارها الحفِيَّة وأسرارها الخفية، وتحصيل مرتضيات أطوارها ومقتضيات أدوارها.

والمراد من الأول ما يظهر في الموقف الأول من الأحوال ومقتضيات الأعمال والأفعال الحاصلة على سبيل الإجمال. ومن الثاني ما يبدو على وجه التفصيل عند نشر الكتب وقراءتها عند الحشر والنشر، هذا هو الكلام في القيامات الآفاقية يحصل دون نهاية اقتضاء الأدوار الأربعة النورية والجمالية أمر من هذه الأمور وهو مقتضى دورة من الأدوار الأربعة الضمنية الفرعية لما علمت أن كل دورة من الإدراكات الحصولية الحضورية إنما يكون عند ظهور سلطان العلم الحضوري والإدراك الشهودي وسماء هذا العلم إنما تنفطر بحقيقة حق اليقين. والمراد من البحار هي العلوم النظرية والأحكام العملية التي يتصل إحديهما بالأخرى، ويضمحل كل منهما باستيلاء سلطان عين اليقين وحق اليقين وتجميع الكل في أحدية الجمع.

والمراد بالكواكب هو القوى البدنية، والمراد بالروحانية والمبادئ النفسانية التي تبرز عند التجلي الإلهي الذاتي.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ [الانفطار: 4] أي مقتضيات الأطوار من الإدراكات النظرية والذاريات الفكرية الحاصلة من مقدمتي السير إلى الله ومن الله التي تنتج السير في الله أمر مرتضيات الأدوار التي كانت مكبوتة في قبر خزائن الكورة الجلالية التي كانت كامنة في ضمن الأدوار النورية الجمالية، فعند غاية الدورة ونهايتها وانتقال حكم فردارية نوبة التربية إلى كورة الجلال قامت القيامة وظهرت الساعة والنفخة الأولى والثانية، وتزلزلت القابليات الذاتية، وتحركت الاستعدادات الأولية فحينئذ تبرز الأكوان والأعيان وأحوالها التابعة لها في الوجود.

واعلم أن السور الأربعة ـ وأعني النازعات وعبس وسورة التكوير والانفطار ـ إشارة وبيان للقيامات الأربعة الواقعة في نهاية الأدوار الأربعة هي: العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، وفي كل دورة نورية كورة ظليّة جلالية ضمنية خفية كان ارتضاؤها ضمنًا خفيًّا تبعًا وما كان لكل دورة دنيا وأرض وسماء، وفي كل سماء كواكب ونجوم، ففي قيامة وظهور ساعة إنشاء نفخة أولى وثانية لا بد وأن تظهر قبل قيام قيامة وظهور ساعة آثار القيامة أولًا في السماء والكواكب فلا بد وأن تبين أولًا (السماء بناها والأرض دحاها) ثم تبين ما يطرأ عليها من التكوير والانكدار في الدورة العظمى والكبرى والانفطار والانتشار في الدورة الوسطى والصغرى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ﴾ [الانفطار: 6] وجعلك مغرورًا وأجرأك على عصيانه وترك عبادته والإيمان به وبطغيانه ﴿ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ [الانفطار: 6، 7] وذكر الكريم للمبالغة في المنع من الاغترار، فإن محض الكرام والتكريم والإكرام ورفض الظلم والإظلام لا يقتضي إهمال الظالم وتسمية الموالي وتقوية الأهالي والمعاني، فكيف إذا ضم إليه صفة القهر ونعت الانتقام، وللإشعار بأنه يغرم الشيطان بالعقوبة والدلالة على كثرة الكرم ووفور منحه يستدعي الجدَّ في طاعته والكد في عبادته لا الانهماك في عصيانه، والإشراك في الإيمان به اغترار بكمال كرمه ووفور منحه ودرور نعمه.

روي عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له: بكرة، فلم يلبه، فنظر فإذا هو بالباب فقال له: ما لك لا تجيبني؟ قال: اعتمادي على كرمك وحلمك وأمني من

عقوبتك، فاستحسن جوابه فأعتقه. وقالوا: ومن كرم الرجل سوآت غلمانه. روي: لما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، قال عمر رضي الله عنه: كرمك يا كريم، وقال بعضهم: لو أقامني الله بين يديه فقال: ما غرَّك بي، قلت: غرَّني كرمك بي دائمًا. قال: ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفِطار: 6] دون سائر أسمائه وصفاته لأن تلقين الإجابة بدل الوصف إنما هو بدل كرمه الذي خلقك أولًا في مادة وجودك وعنصر حقيقة نصرك وشهودك كالنطفة والماهية البسيطة.

﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ في وجودك وإخراج أجزاء بدنك من القوة إلى الفعل وضم بعضها ببعض على ما تقتضيه العدالة وحسن الاستقامة ونعت الاستواء والتسوية في أصلاب آبائك ﴿فَعَدَلَكَ﴾ [الانفِطار: 7] في رحم أمك.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ﴾ من الصور والهيئات والأشكال والتماثيل والأمثال ﴿مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفِطار: 8] في غير صورة الإنسان من صورة أسد ونمر أو كلب أو خنزير أو دب أو غير ذلك مما يحشر عليها، فما: صلة، وقيل شرطية، ركبك: جزاؤه والعائد محذوف وقال: الذي شاء ركبك على ذلك.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع من الاغترار بكرم الله تعالى ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفِطار: 9] بل حرف وُضِع في اللغة لنفي شيء قد تقدم غيره فذكر لِـ(كلّا) وجوهًا:

أحدها: إنكم لا تستقيمون على ما توجه من نعمتي عليكم وإرشادي وهدايتي لكم بل تكذبون بي وبيوم الدين.

الثانية: ارتدعوا عن الاغترار وتمنعوا من المخدعة والخدع والاعتبار والاستدراج بتواتر كرم الله تعالى وتكاثر آلائه ووفور نعمه ودرور نعمائه.

والثالث: أي الأمر ليس كذلك كما تقولون من البعث والنشر والدين هو الإسلام أي أنكم تكذبون وجدان الجزاء على الدين والإسلام، والمراد هو الحساب بالصحف والكتابات مما يورث الجزاء بالثواب الحسن والخطاب والقول المستطاب.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠﴾

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠﴾ [الانفِطار: 10] من الملائكة المقرّبين والجواهر المكرمين والفواخر المعظمين.

﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١﴾

﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفِطار: 11] يكتبون ما تصنعون بالإرادة.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفِطار: 12] نصبه إما على المدح أو على البدلية.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣﴾

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [الانفِطار: 13] جمع بار كأنصار جمع ناصر، أو جمع بر وهو الذي يتبع الخيرات كلها كالبر والبحر فإنه يشتمل على كل رطب ويابس كالكتاب المبين ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو في الحقيقة هو الكتاب، أما القرآن والسبع المثاني وروح الروح والأواني والنعيم هو الجنة أما في الآفاق وهي الجنة النفسانية التي هي من جنس نعيم الدنيا كالحور والقصور والغلمان وأنواع الطعوم والمشارب والولدان وغير ذلك، وأما في الأنفس وهي جنة التجلي والآثاري في الطور السري وهي تتنوع بتنوع التجليات.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤﴾

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ وهي تقابل الأبرار، وهم الكفرة والمشركون أولئك هم الكفرة الفجرة ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفِطار: 14] بيان لما يقتضي المكتوب وتفصيل له على سبيل الكلية.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٥﴾

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلون النار والجحيم والسعير ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفِطار: 15] يوم الجزاء وهو يوم القيامة بوصولهم فيه بالجزاء.

﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾

﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفِطار: 16] أي عن الجنة بخارجين بل حاضرين بها أبد الدهور.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفِطار: 17] أي أعلمك وأطلعك على حقيقة يوم الدين والتنبه له وما هي الشارحة لحقيقة الشيء.

﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾

﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفِطار: 18] تكراره إشعار بأن يوم الدين ليس مما يعلم بتوجه واحد أو بتكرره لكمال عظمته ووفور هوله وشدّته، فإنك كيف ما تصورت وبأي نعت وصفة أدركته وشاهدته فهو أعلى منه أو لتكرر يوم الدين فإنَّ لكل دورة سماءً وأرضًا ودنيا طولًا وعرضًا وآخرة يوم فصل ودين وقيام قيامة وظهور ساعة.

﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾

﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ أي لا يستطيع أن يصدر عنه شيء من النظر والشفاعة لشدة هوله وحدة غوله ﴿وَٱلۡأَمۡرُ﴾ أي أمر الدنيا وحالها ومآلها وأمر الآخرة وتدبيرها وإجراء الأحوال على مقتضاه ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ في يوم القيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ [الانفِطار: 19] مختص به لا يشاركه أحد لا في أمر حقير ولا عظيم وخطير إذ لا يملِّك الله أحدًا في ذلك اليوم شيئًا من الأشياء ولا أمرًا من الأمور كما ملَّككم في الدنيا إشارة إلى فناء ما سوى الله تعالى في ذواتهم وأسمائهم وأفعالهم وصفاتهم في الدنيا والآخرة بل ترجع الأمور كلها إليه. قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الانفطار) كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كلّ قبر حسنة**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل عدالة الكيل واستقامة الميزان في العلوم العقلية والحروف والرسوم الفعلية ذريعة الاستصعاد إلى سماء السعادة الدنياوية وشريعة الاستقصاد إلى فلك السيادة الدينية ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي هنا للفجار الجحيم وللأخيار الجنة والنعيم ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أوصل الكفار إلى دار البوار والنظار إلى غار القرار ومقام الأبرار.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطفّفين: 1] من التطفيف وهو البخس والخيانة في الكيل والميزان والتقليل في الأوزان لأن ما يبخس ويقلل طفيف حقير. روي أن رسول الله ﷺ لما كان في المدينة وكان أهلها من أبخس الناس فنزلت فقرأها عليهم فأحسنوا الكيل والميزان وقال ﷺ: «**خمس بخمس، قيل: يا رسول الله وما خمس الخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر**».

وعن علي كرم الله وجهه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال له: أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت. كأنه أمره بالسوية أولًا ليعتادها

ويفضل الواجب من النفل. عن ابن عباس: إنكم معاشر الأعاجم ولِّيتم أمرين بها مَلَكَ من كان قبلكم المكيال والميزان. وإنما خص الأعاجم لأنهم يجمعون الكيل والوزن جميعًا وكانا معروفين في الحرمين، كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكتالون.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطفّفِين: 2، 3] بيان حالهم في الأخذ والدفع، ففي الأخذ يستوفون، وفي الدفع ينقصون ويخسرون. روي أن رسول الله ﷺ إذا قدم المدينة وبها رجل اسمه جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله:

﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤﴾

﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ ويستيقن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطفّفِين: 4] أولئك فاعل يظن أنهم مفعول استخبار بأنهم وقع منهم الظن، فإنَّ مَن ظنَّ البعث لم يجترئ على أمثال هذه القبائح فكيف إذا تيقنه، وفيه إنكار وتعجب لحالهم.

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ [المطفّفِين: 5] متعلق بمبعوثون.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ بدل من الجار والمجرور ويؤيده قراءة الجر ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطفّفِين: 6] وفي هذا الإنكار والتعجب وذكر الظن ووصف لليوم بالعظيم وقيام الناس فيه لأمر الله وحكمه والتعبير عنه برب العالمين مبالغة في المنع عن التطفيف وتعظيم اسمه وتغليظ جرمه وثقل حكمه.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التطفيف والغفلة والبعث والحساب ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ أي ما يكتب فيها أعمالهم أو كتابة أعمالهم ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطفّفِين: 7] أي في كتاب

عظيم جامع لأعمال الفجرة من الثقلين.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾﴾ [المطفّفين: الآيتان 8، 9] مسطور فيه كتاب أعمال الثقلين والأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار وأعمالهم. قال رسول الله ﷺ: «**سجين أسفل سبع أرضين**». سئل كعب الأحبار عن قول الله عزَّ وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾﴾ [المطفّفين: 7] فقال: إن أرواح الفجار يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم تهبط إلى الأرض فتأبى أن تقبلها، ثم تهبط فتدخل تحت أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين ويوجد إبليس فيخرج بها من سجين تحت حد إبليس فيرقم ويختم ويوضع تحت حد إبليس. وقال أيضًا ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنها شجرة سوداء تحت الأرضين السبع مكتوب فيها اسم كل شيطان، فإذا قبض الكافر تعرج إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، فيرمى بها إلى سجين**». أصل سجين من السجن وهو الحبس، وأما عليُّون فإذا قبض نفس المرئ المسلم عرج به إلى السماء ففتحت أبوابها حتى ينتهي إلى العرش قال: «**فيخرج كف من العرش فيكتب له منزلته وكرامته**». عن النبي ﷺ: «**العلق جب في جهنم مغطى، وسجين جب في جهنم مفتوح**». ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾﴾ [المطفّفين: 9] بيان كتاب في سجين مرقوم فيه ما لا ينسى ولا يمحى.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾﴾

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾﴾ [المطفّفين: 10، 11] بالحق وبما جاء به بلسان جبرائيل على قلب محمد ﷺ منه ما ذكر في هذه الآية.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ﴾ متجاوز عن الحد في النظر الصحيح والحق الصريح ﴿أَثِيمٍ﴾ [المطفّفين: 12] غالى في التقليد حتى جحد قدرة الله وقوته في إيجاد هذه الأمور الغريبة الحقة.

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾ [المطفّفين: 13] ومقالات بياننا وكلمات معجزاتنا ﴿قَالَ

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المطفّفين: 13] من فرط جهله وإعراضه عن الحق الواضح فلا تنفعه شواهد النقل بل قواعد العقل الصريح ومعاقد الذوق الصحيح إذ طريق العقل واحد.

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع عن هذا القول ﴿بَلْ رَانَ﴾ ثابت وكائن ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطفّفين: 14] إلا أن ظلمة القلب التي حصلت من تراكم الذنوب والآثام إلى أن رسخت فيه وصار ملكه وزال عنه قبول الحق.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفّفين: 15] لرسوخ ظلمة الذنوب وثبات سواد كدورة المعاصي والجهل المركب الذي هو من أردأ أمراض النفوس في القلب والصدر فتحجب عن مشاهدة الحق وشهود جماله.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطفّفين: 16] أي لداخلو النار ويصلون إليها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم في المحشر العظمى والقيامة الكبرى ﴿هَٰذَا﴾ العذاب ونار العقاب التي أنتم فيها داخلون من نتائج ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطفّفين: 17].

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع وتكرير للأول أي الأمر ليس كما توهموا أولئك الفجار من إنكار البعث والقول بأن كتاب الله هو أساطير الأولين ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطفّفين: 18] جمع علّي وهو فعيل من العلو والبعض على أن إعراب هذا الاسم كإعراب الجمع المذكر السالم لأنه على لفظ الجمع كما تقول: هذه قنسرون ورأيت قنسرين، والمفسرون على أنه السماء الرابعة، وفي رواية هي السماء السابعة، والبعض على أنه فوق السماء السابعة وهي سدرة المنتهى. قال الفراء: هو علو وارتفاع فوق علو وارتفاع، والحق أنه مقام عالي ورتبة رفيعة لها في كل

السماوات والمراتب مظاهر ومجالي، وللعارف بحسب تنوع الأحوال وتطور المقامات وتعفن الأطوار والحالات شهودات وأنظار، فكلما قيل من اختلاف الآراء هو حق وصادق، ومصداق هذا قول الفراء: وقال الزجاج: هو أعلى الأمكنة. وقال الآخرون: هو كتاب أعمال الملائكة يؤيده ظاهر القرآن.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠﴾ [المطفّفين: 19، 20] قد مر الكلام فيه مرارًا بيَّن أن كتاب الأبرار إنما هو في الكتاب المرقوم.

﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾

﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ [المطفّفين: 21] من الملائكة بأن الله تعالى كلما وكلّهم باللوح المحفوظ وحفظ ما فيه كذا يحفظون الأبرار في جملة ذلك الكتاب الذي هو أم الكتاب على أوجه الإعظام له، ولا يمتنع أن الحفظة إذا صعدت بكتب الأبرار فإنهم ينقلونها إلى هؤلاء المقربين فيحفظونه كما يحفظون كتب أنفسهم ويتلقون ما في تلك الصحائف إلى ذلك الكتاب الذي وكّلوا الحفظة عليه، ويصير شهادة عليهم بهؤلاء الأبرار فكذلك يحاسبون حسابًا يسيرًا، إلا أنَّ هؤلاء المقربين يشهدون لهم بما حفظوه من أعمالهم، وإذا كان هذا الكتاب في السماء صح قول من تأوَّل ذلك على أنه من السماء العالية. واعلم أن المعتمد في تفسير هذه الآية ما يتناول العلو والصفاء والطهارة من علامات السعادة والسفل والظلمة والكدورة من علامات الشقاوة.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢﴾

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢﴾ [المطفّفين: 22] أي سعادة ولذة مخلدة دائمة منها لهم.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣﴾

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهي السريرة ﴿يَنظُرُونَ﴾ [المطفّفين: 23] إلى أنواع السعادة والنعيم من الجنة وما فيها من الحور والولدان وأنواع الأطعمة والأشربة والملابس والمراكب والمساكن الطيبة والأماكن الهنية والأنهار الجارية

والأشجار المثمرة والأثمار المتنوعة والأنوار المتلونة وغير ذلك هو النعيم. والبهمية هي جنة الآثار، وأما جنة الأحرار فهي أعلى منها وهي ملكوت هذه الجنة وبواطن ما فيها وهي الحضائر القدسية والسرائر النفسية ومشاهدة لقاء الله وأنوار جماله ومعانيه أطوار أسرار جلال الله في مظاهر الأفعال ومشاهد التكوينات، وهكذا وراء هذه الجنة جنة أعلى وهي جنة الأصفياء والأخيار، وهي جنة الأسماء، وفوق هذه الجنة جنة أخرى وهي جنة العارفين وهي جنة الذات، وفوق الكل جنة أعلى وهي جنة الجمعية والصورة النوعية الإنسانية.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطفّفين: 24] وهي صفاء يسري من صفاء الباطن إلى الظاهر إلى الوجه الظاهري بصورة البهاء وكيفية الصفاء على الأعضاء والجوارح والحواس الظاهرة والباطنة في كل بما يناسبه، وإنما ذكر الوجه لكونها أظهر وأجلى وأشهر.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ شراب خالص طيب لذيذ ﴿مَّخْتُومٍ﴾ [المطفّفين: 25] وهي شراب التجلي الذاتي والكمال الجمعي والجمع الكمالي. مختوم منقوش بنصوص الخواتم الإلهية والهيئة الكلية والنعوت الإحاطية لئلا يصل إليها من الاستحقاق له ولا أهلية لتناولها.

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي آخر خلطها مسك أذفر. قال بعضهم: ختامه عند الله مسك وختامه وعاقبته اليوم في الدنيا طين ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ الختم والرحيق والنعيم ﴿فَلْيَتَنَافَسِ﴾ وينتظر ﴿ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطفّفين: 26] المنتظرون وليرتقب المرتقبون أو فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى ما يقتضيه من الأعمال الصالحة والأفعال الفالحة.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي مزاج الرحيق أو الشراب الصافي والنعيم الوافي ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطفّفين: 27] أي شراب رقيق ريحاني يصب عليه من علو ومكان رفيع مأخوذ

من سنام البعير وتسنيم القيود وهو اسم شراب من أشرف الأشربة. وإنما سمي به لأنه يتسنم ويرتفع فينصب عليهم انصبابًا من فوقهم في غرفهم وممتاز لهم تجري من جنة عدنٍ إلى أهل الجنان وهو خاص بالمقربين يشربون ماء صرفًا من غير مزج بأمر آخر ويمزج ويخلط لسائر أهل الجنة ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السَّجدَة: 17]. قال بعضهم: هو عين تجري في الهواء منشمًا فيصب في أوان أهل الجنة على مقدار مَلْئها، فإذا ملأت أمسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الأرض فلا يحتاجون إلى الاستسقاء.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾

(عينًا) نصب على الحال ومفعول يسقون أي يسقون عينًا من العيون، أو أعني ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي منها أو بها ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطفّفِين: 28] قال بعضهم: يشرب بها المقربون صرفًا على بساط القرب في مجلس الأنس ورياض حضائر القدس بكأس الرضا على مشاهدة الحق سبحانه بالوسيلة فرد كامل من الإنس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝٢٩﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۝٢٩﴾ [المطفّفِين: 29] يعني إن دوسًا وقريشًا كانوا يضحكون على فقراء المؤمنين استهزاءً واستخفافًا عليهم وعلى إسلامهم يتعجبون، فيه إضمار وحذف وتقدير، يعني إن الذين أجرموا من كبار قريش ورؤسائهم كانوا يضحكون. قيل: نزلت في علي رضي الله عنه وذلك أنه جاء في نفر من المسلمين إلى النبي ﷺ سخر منهم المنافقون وضحكوا.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾ [المطفّفِين: 30] فقالوا: رأينا قومًا أصلع فضحكنا بهم. الغمز هو الإشارة بالأعين والحاجب استهزاءً واستخفافًا عليهم وعلى إسلامهم.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١﴾

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ﴾ أو رجعوا وانتقلوا إلى أهلهم ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المطفّفِين: 31] حال كونهم متلذذين بالاستهزاء مثل الاستلذاذ بالفواكه، كان

استهزاؤهم بالفقراء إما هو فواكه طيبة متنوعة.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ رؤساء قريش ﴿قَالُوٓاْ﴾ لفقراء المؤمنين ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ [المطفّفِين: 32] يعني فقراء المسلمين.

﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ٣٣﴾

﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ﴾ يعني الملائكة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على الفقراء المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ [المطفّفِين: 33] ليحفظوا أعمالهم ويترصدوا أقوالهم ليستهديهم ويرشدهم إلى الله ويبعدهم عن الضلالة وكمال الجهالة إلى الهداية وملاحظة أعمالهم ووفور العطوفة وعموم العناية.

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ٣٤﴾

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أي يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطفّفِين: 34] يقال لأهل النار: اخرجوا وفُتِحت أبوابها فإذا رأوها مفتحة أقبلوا إليها وتوجهوا لديها يريدون الخروج منها إلى الجنة والمؤمنون حينئذ على الأرائك ينظرون إلى الكفار، فإذا وصلوا وانتهوا إلى الأبواب المفتوحة غلقت دونهم.

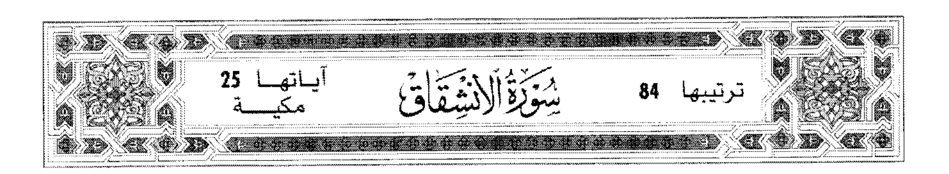
﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥﴾

فإذا ضحكوا ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطفّفِين: 35] حال من يضحكون.

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ٣٦﴾

﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ وأجزى ﴿ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المطفّفِين: 36] أي يجزى الكفار بأفعالهم القبيحة وهو الكفر والشرك والاستهزاء بالإسلام والمسلمين ومنعهم عن الإيمان بالله والإسلام، الاستفهام على سبيل الإنكار كأنه استهزئ بهم بأنهم موجود هذه الفعال القبيحة والخصال الوقيحة يتوقعون الثواب وحسن الجزاء والأجر الجزيل والثواب الجليل والعوض الجميل. قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (المطففين) سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي انشق قمر صدر حبيبه قداسة كمال الطور القلبي الذي هو مجمع نهاية كمالية القوة النظرية وغاية تمامية القوة العملية بقدرة اليد البيضاء التجلي الصوري الذي هو أتم وأكمل وأعم التجليات الآثارية وأشرفها ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أرسل قوافل الأرواح بمراحل الأشباح وميل نور المصباح عن مكة بلدًا عن أمين عالَم الأمر إلى مدينة جمعية عالم الناسوت لاجتلاب متاع أطوار الكمال الجمعية واكتساب نتائج أسرار الحالات وأنوار التجليات الأصلية والفرعية التدريجية والدفعية ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي أعاد تلك القوافل التي بعضها من أصحاب اليمين والبعض الآخر من أصحاب الشمال إلى الوطن الأصلي والمعطن الأولي بتلك الأمتعة بعضهم بلا حساب والآخرون بحساب وعذاب مدبر كما قال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: 71] الآية، إلى أهلها سائرين بالتجليات الإلٰهية، بارّين بالحالات الغيبية والمقامات الكاملة القلبية، منقلبين إلى أهلهم مسرورين.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ [الانشقاق: 1] انشقت سماء الدورة النورية الجمالية والوسطى والصغرى الوجودية عند انتقال حكم فردارية نوبة تدبيره الدورة من العظمى إلى الكبرى، ومن الكبرى إلى الوسطى، ومن الوسطى إلى الصغرى،

والانشقاق إنما يكون من أشراط الساعة أو من جملة أحكام القيامة. عن علي رضي الله عنه: إنها تنشق من المجرد.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢﴾

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ أي قبلت السماء أمر ربها واستمعت وانقادت ﴿وَحُقَّتۡ﴾ [الانشقاق: 2] وثبت للسماء الانقياد والإطاعة لأمر ربها، والأليق بها أن تطيع لحكم ربها وانقادت إذا لم يوجد في جرم السماء ما يمنعها عن الانشقاق وتفريق الأجزاء والافتراق فكانت في قبول ذلك التأثير كالعبد العاقل المطيع لأمر سيده إذا بلغ إليه وورد الحكم منه لديه قالتا: ﴿أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت: 11] يدل على نفوذ القدرة في الإيجاد والإبداع والخلق والاختراع كذلك تنفذ في الإعدام وتفريق الأجزاء من غير ممانعة لأنه ممكن وكل ممكن يحتاج في الإيجاد والإعدام إلى من وجب إيجاده ووجوده وامتنع عدمه وفناؤه.

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣﴾

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣﴾ [الانشقاق: 3] وبسطت من الأديم وبسطه.

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤﴾

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾ أي أخرجت ما كان كامنًا فيها من الموتى والمكنونات والمختفيات من الكنوز الذهبية والفضة، والمراد الأرض الجلالية والعرض الظلية التي عرضها كعرض السماء والأرض كانت الأعيان النورية الجمالية وأحوالها كامنة فيها وهي خزنتها ولوح محفوظ مغيباتها ﴿وَتَخَلَّتۡ﴾ [الانشقاق: 4] أي صارت خالية عن المخزونات والمكنونات لأنه خرج كلما كان كامنًا فلم يبق فيها شيء لا من الأعيان ولا من الأحوال والأكوان التي كانت في الدنيا كامنة مخزونة فيها فبرزت الآخرة وما فيها، وكمنت الدنيا وما فيها من السماوات والأرض وما فيها فتبدلت الدنيا بالآخرة والآخرة بالدنيا وتظهر السماوات وتتبدل بالأرض والأرض بالسماوات ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝﴾

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: 5] هذا بالنسبة إلى الأرض وذاك بالنسبة إلى السماء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ﴾ نظرًا إلى أصل حقيقتك ﴿كَادِحٌ إِلَىٰ﴾ ومجتهد ومرتاض يقال: كذا حث النفس إذا اجتهدت في العمل قاصدًا بعملك ﴿رَبِّكَ﴾ ومعاينته ﴿كَدْحًا﴾ مجاهدة كاملة ورياضة فاضلة لائقة لحصول تلك المشاهدة ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: 6] أي فإذا أنت تصل إليه وتلاقيه ملاقاة ومواصلات فاضلة ومشاهدات شاملة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝﴾ [الانشقاق: 7 - 9] حسابًا قليلًا سهلًا لقلة سيئاته وغلبة حسناته، والمراد من الكتاب هو صحائف أعماله ومصاحف أفعاله، وينقلب إلى أهله وهي الأشباح البرزخية والأرواح القدسية والأعيان الثابتة الأنسية والشؤونات الذاتية، فإن كل طائفة من الأشباح والأعيان الثابتة والشؤونات الذاتية مندرجة تحت حيطة اسم من الأسماء الإلٰهية الربوبية والبرزخية والملكية الشهادية، فأعيان كل طائفة من هذه الطوائف أمور متقاربة وأخوات متناسبة وكثرات متأهلة كما قال النبي ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة إذا تعارفت ائتلفت وإذا تناكرت اختلفت**».

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝﴾ [الانشقاق: 10] من الأعيان التي يختلف المولود الجني عن المولود الإنسي النوري الجمالي وخالف حكمه ويجره إلى مقتضى فكرته ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 122]، فالأول باعتبار التخالف، والثاني باعتبار التوافق.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ [الانشقاق: 11] وهلاكًا.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: 12] أي يدخل نار جهنم، والحال ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق: 13] قيل: التنزل في عالم الناسوت ومرورًا في تلك المراتب مرورًا فيها بهم بأعلى المراتب.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِنَّهُ ظَنَّ﴾ في الدنيا عند غلبة حكم فردارية حكم الجلال ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: 14] ويرجع إلى الله.

﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق: 15] إيجاب بما بعد (لن) عالمًا بأعماله فلا يهمل.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ [الانشقاق: 16] الحمرة التي تُرى في الأفق الغربي بعد الغروب، يحتمل الأنفسي والآفاقي في الأدوار الجمالية التي تنتهي دورتها وتغرب شمس تربيتها في مغرب الدورة الجلالية.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ [الانشقاق: 17] وما جمعه وسرّه في جوفه وفضاء طوفه من الأعيان الكونية والأكوان العينية.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ [الانشقاق: 18] من الوسق وهو الجمع من باب الافتعال بمعنى اجتمع، أما عند المقارنة مع الشمس أو في الاستقبال، أما في الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر، فإنه في هذه الأيام يجتمع مع نور الشمس.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾ [الانشقاق: 19] أي حالًا بعد حال كل واحدٍ يطابق الأخرى في الشدة والهول.

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾ [الانشقاق: 20] أيْ أيُّ شيء يمنعهم عن الإيمان بالله وبيوم القيامة والبعث.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ٢١﴾

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ لكمال غفلتهم وفرط جهالتهم وكثرة ضلالتهم ﴿لَا يَسۡجُدُونَ﴾ [الانشقاق: 21] ولا يطيعون ولا ينقادون ولا يخضعون.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾ [الانشقاق: 22] بالقرآن وبالرسول وبالبعث والقيامة.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾ [الانشقاق: 23] ويضمرون من الوعاية والوقاية يعني لا يخفى على الله شيء مما أضمروه في قلوبهم وخمروه من الكفر والنفاق والعداوة والمخالفة والشقاوة.

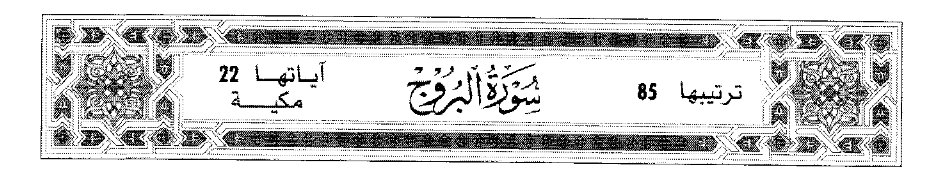
﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾ [الانشقاق: 24] تهكم واستهزاء.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ٢٥﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناء منقطع ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ [الانشقاق: 25] من تاب منهم وآمن بالله وبرسوله وبما جاء به وأخبر عنه، لهم أجر خالص عن المنة غير مقطوع لا بالكلية ولا بالجزئية ولا ممنوع. قال النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (الانشقاق) أعاذه الله تعالى أن يعطيه كتابه من وراء ظهره»**.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي زين بروج سماء قلوب العارفين بذراري المعارف الإلٰهية ونجوم العوارف الربانية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي ملك السماوات والأرض وخلق كل شيء وقدره تقديرًا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي استوى على عرش مجيد الطور السري والفؤادي التجلي الآثاري والظهور الصوري واستعلى على لوح الروح المحفوظ بالقرآن المجيد والتجلي العقلي والكشف الروحي والوصف العقلي.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾ [البُرُوج: 1] الاثنا عشر وهي صورة وأشكال قد تصورت من أوضاع الكواكب على دائرة منطقة البروج الواقعة على هيئة مخصوصة ونسبة منصوصة، فحقيقة البروج في الفلك الأعلى وصورتها في الفلك الثامن المسمى بلسان الشرع الكرسي كما سمي الأول العرش.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾ [البُرُوج: 2] يوم القيامة.

﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾

﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البُرُوج: 3] في ذلك اليوم من أصحاب النظر وأرباب الشهود من الأنبياء وخواص أمته، أو من عموم الخلائق وأهل الكون وذوات الوجود.

مطلب في فضيلة يوم الجمعة

قال النبي ﷺ: «**اليوم الموعود يوم القيامة، والمشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله إلا استجاب له ولا يستعيذ من سوء إلا أعاذه منها**» ثم تلا هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النِّساء: 41].

ثم قال: «**ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود، وأكثروا عليَّ الصلاة في يوم الجمعة فإنه يوم مشهود يشهده الملائكة، وإن أحدًا لا يصلي عليَّ إلا عُرِضَت عليَّ صلاته حتى يفرغ، قال: فقلت: وبعد الموت؟ قال: إن الله عزَّ وجلَّ حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء، فنبي الله حي يُرزق**».

اعلم أنه لا شهود ولا حضور أعظم من ذلك الشهود والحضور، وأن الله تعالى يجمع خلق الأولين والآخرين من الملائكة والأنبياء والجن والشياطين والأهرمينات والأغوال والجان والإنس تصرف اللفظ إلى هذا العموم أولى، ولذلك وصف ذلك اليوم العظيم بقوله: ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريَم: 37]، ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: 53].

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ [البُرُوج: 4] جواب القسم على تقدير لقد قتل، والأظهر أنه دليل جواب محذوف كأنه قيل: إنهم ملعونون، يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود، فإن الصورة هذه وردت في تثبيت المؤمنين وتصبرهم على إيذاء أهل مكة، وتذكير بما جرى على ما كانوا يلعنون عن قومهم وتعلموا أن كفار مكة عند الله غير ملة أولئك المعذبين المخوفين بالنار. الخدُّ هو الشق في الأرض.

روي مرفوعًا أنه كان ملِكٌ له ساحر، فلما كبر ضم إليه غلامًا ليعلمه وكان في طريقه راهبٌ فمال قلبه إليه فرأى في طريقه حية قد حبست الناس فأخذ حجرًا وقال: اللهم إن كان هذا الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها وكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء، فعمي جليس الملك فأبرأه وأبصره فسأله الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، فغضب عليه فعذبه، فدل

على الراهب فعذبه ليرجع عن دينه فلم يرجع الراهب عن دينه، فعذبه بالمنشار فوضعه في مفرق رأسه فشقه حتى وقع بشقاه ثم قيل: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع ثانيًا المنشار على رأسه حتى بلغ ترقوته ثم جييء بالغلام وقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا فإذا بلغتم إلى ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فقال: اللهم اكفينهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا فلم يمت وجاء يمشي إلى الملك فقال الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به في قرقور نهر بالسفينة فتلمحوا به فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه في اليم وأغرقوه.

فذهبوا به، قال: اللهم اكفنيهم، فانكفأت بهم السفينة، وجاء يمشي إلى الملك فقال للملك: ما أنت بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فقال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذعٍ ثم خذ من كنانتك سهمًا ثم ضع فيه قوسك وقل: باسم الله ربّ الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده عليه فمات، فقال الناس: آمنا بربّ الغلام، فقيل للملك: نزل بك ما كنت تحذر منه، فأمر بالأخذ في أفواه السكك محدث فأضرم فيها وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي فتمانعت أن يقع فيها، فقال لها الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق المبين. تكلم في المهد فاقتحمت.

عن علي رضي الله عنه حين اختلفوا في أحكام المجوس قال: هم أهل الكتاب، وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد اجتلبت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر، فوقع على أخته، فلما صحى ندم وطلب المخرج، فقالت له: المخرج أن تخطب بالناس فتقول: أيها الناس إن الله أحلَّ نكاح الأخوات، ثم تخطبهم بعد ذلك: إن الله حرَّمها، فخطب ولم يقبلوا منه، فقالت الأخوات: ابسط فيهم السوط، فلم يقبلوا فقالت: ابسط فيهم السيف، فلم يقبلوا، فأمرت بالأخداد وإيقاد النار وطرح من أبى فيها. فهم الذين أرادهم بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ [البُرُوج: 4].

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾

﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل من الأخدود بدل الاشتمال ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ [البُرُوج: 5] صفة لها،

أي وأنها عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكبير.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ على حافة النار، إذ ظرف قُتِلَ ﴿قُعُودٌ﴾ [البُرُوج: 6] قاعدون.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ [البُرُوج: 7] شاهدون بعضهم عند الملك بأنه لم يتصرف بما أمر به أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حتى تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨﴾

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ بما أنكروا وما عابوا منهم ﴿إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البُرُوج: 8] استثناء على طريقة قوله:

ولا عيب فيهم إلا أن سيوفهم   بهنَّ فلولٌ من قراع الكتائبِ

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البُرُوج: 9] حاصل بهم لا يغيب عنه شيء أصلًا، فيه إشعار بما يستحق أن يؤمن به ويُعبد وحري أن يُلتجأ إليه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ ولم يرجعوا منها وما تركوا ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البُرُوج: 10] الأول بالتبريد والثاني بالإحراق لدوران العذاب عليها، هذا لأصحاب الأخدود. عن علي رضي الله عنه قال: كان أصحاب الأخدود منهم حبشًا. وقال: قد بعث نبي من الحبشة إلى قومه ثم قرأ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ﴾ [غافر: 78] الآية، وقال بعضهم: هم نصارى من أهل نجران ويشبه أن يكون أصحاب الأخدود جرجيس وكان من حواريي عيسى عليه السلام.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ﴾ الإيمان المقرون بالعمل الصالح وكمال الإيقان ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البُرُوج: 11] لتضمنه السعادة السرمدية والدولة الأبدية.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البُرُوج: 12] وهو أخذ عنيف وفيض أنيف.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ﴾ ويظهر ويخترع ﴿وَيُعِيدُ﴾ [البُرُوج: 13] في المحشر العظمى وانتهاء الدورة الكبرى أو الوسطى والصغرى بأن يجمع الأجزاء الأصلية البرزخية الباقية أزلًا وأبدًا، وبعدما كان في الدنيا من حيث الشخص إذ من لوازم الشخص هو الدنيا، والدنيا قد فنيت واختفت وطغت، وكذا الزمان الذي حدث فيه أيضًا من لوازمه وهو قد يستر فالمعاد هو الشخص النوع لا الشخص العيني إذ عادته مستحيلة.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البُرُوج: 14] متجاوز عن سيئات التائب ويحب ويريد ويرضى عمن رجع بالاختيار إليه وتاب.

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البُرُوج: 15] العظيم، وهو فلك أفلاك الدورة الصغرى الجسمانية، فإن لكل دورة عرشًا عقليًّا وروحيًّا ونفسيًّا وطبيعيًّا وجسمانيًّا.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البُرُوج: 16] لا يمتنع عليه من الممكنات ما يشاء مما

يريد مما هو ينقص ولا يزيد من الإيمان والطاعة والكفر والمعصية والعلم والجهالة والهداية والضلالة، فإن هذه أمور ممكنة، والفاعل والمرجح هو الله، إذ ما سوى الله لا وجود له ولا عدم، وإنما الوجود والعدم إنما هو منه، وكذا ما يتفرع عليها من الأحوال والإيمان والكفر والعلم والإدراكات والعرفان، وكذا الأفعال وغير ذلك.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ [البُرُوج: 17] وخبر صاحب الجنود من ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ [البُرُوج: 18] بأن صالح وموسى كيف صبرا على أذية قومهما واستخفافهم وإهانتهم.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من قومك يا محمد لا يزال ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ [البُرُوج: 19] لك ولما جئت به من الأحكام والشرائع.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البُرُوج: 20] حاضر بهم حيث كانوا بحيث لا يغيب عنه وعن عمله وعن قضائه وحكمه.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿بَلْ﴾ ما كذبوا به ﴿هُوَ قُرْءَانٌ﴾ كلام الله بل هنا للإضراب والترقي في نفسه، كتاب شريف وخطاب أنيف ﴿مَّجِيدٌ﴾ [البُرُوج: 21].

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البُرُوج: 22] بالرفع صفة القرآن أي مصون عن التغيير والتبديل والانحراف والتصرف والتصريف. عن رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة (البروج) أعطاه الله تعالى بعدد كل جمعةٍ وعرفة في الدنيا عشر حسناتٍ**» صدق رسول الله ﷺ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي طرق الطارقين بمطارق قدرته ومخارق قوته طوارق جمعية ذاته بأسمائه وصفاته ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي شوَّف العارفين بساط جذبة من جذبات الرحمان توازي عمل الثقلين ببراقة ورقة نفس الرحمان إلى مدينة الأحدية الجمعية في الدورات النورية والأفق الأعلى الذي هو نهاية مسيرة الصورة النوعية البشرية ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي جمع النفس بالقلب والشهادة بالغيب والكمال ببعض الغيب واليقين بالريب في طور غيب الغيوب وطور جيب الجيوب في ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾ [الطّارق: 9، 10] وبصر ولا باصرٍ ولا تفكر ولا ناظر ولا تكون سماء ذات رجع ولا أرض ذات صدع.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ [الطّارق: 1] إشارة إلى الدورة الجمعية الفردية من الأدوار الأصلية والفرعية، والطارق عبارة عن الأعيان الكاملة المتطرقة بالصفات الجامعة والنعوت الرافعة والهيئات المتفرقة.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ [الطّارق: 2] إشارة إلى علو شأن هذه الأعيان ورفعة رتبة تلك الأكوان، يعني أي شيء جعلك مدركًا لكمال جمعية هذا السائر البارق

الدائر الجامع المقبل الدائر الفارق.

﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾

وهو ﴿ٱلنَّجْمُ﴾ الكامل والكوكب الفاضل ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطّارق: 3] نزلت في أبي طالب وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ بصحفة تمر ولبن بينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم متلألئ ثَمّ فارفَضّ أبو طالب قال: أي شيء هذا؟ قال رسول الله ﷺ: هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله سبحانه وتعالى. فتعجب أبو طالب، فأنزل الله، يعني أن النجم يظهر ليلًا ويختفي نهارًا وكلما جاء ليلًا وتردد فيه فهو طارق، لما ذكر المقسم به أتبعه بذلك المقسم به عليه وهو قوله هذا.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا﴾ أي الشأن أن كل نفس عليها ملك ﴿حَافِظٌ﴾ [الطّارق: 4] يحفظها عن الطوارق والشياطين السوارق إذ هي المخففة واللام فاصلة وما مزيدة إذ أن لا يخلو فيمن قرأ (لمّا) مشددة بمعنى لا نافية، وفيمن قرأ مخففة على أن تكون مخففة مثقلة وأيتهما كانت فهي ما يتلقى به القسم. والجملة جواب القسم.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [الطّارق: 5] أي من أي شيء خلق، وقد مر الكلام فيه لما ذكر أن كل نفسٍ عليها حافظ أتبعه بتوصية الإنسان بالنظر في بدايته ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما في عاقبته. عن النبي ﷺ: «**وكّل بالمؤمنين مائة وستون ملكًا يدنون عنده كما يدنو على قصعة العسل الذباب، ولو وكّل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين**» كما ورد في الدعاء المأثور.

مطلب دعاء مأثور

يا حي يا قيُّوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله.

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطّارق: 6] جواب الاستفهام أي خلق من ماء ذي

دفق وهو الصب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾

﴿يَخْرُجُ﴾ ذلك الماء الدافق ﴿مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾ ظهر الرجل ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطّارق: 7] أي ترائب المرأة وهي عظام صغار وعظام في الصدر وهي القَصُّ والترقوة ومقرها عروق ملتفة تتولد تلك النطفة والماء المتدفق من فُضَلِ الهضم، الرابع الحاصل الواقع في صدور الأعضاء.

واعلم أن الوارد في بدن الإنسان من الأغذية له أربع هضوم، الأول: في المعدة ويسمى كيلوسًا. والثاني: في الكبد ويسمى كيموسًا. والثالث: داخل في العروق وهو الذي به يصير الغذاء مشابهًا للأعضاء وآجلًا قوامًا. الرابع: في سطوح الأعضاء، وهو الذي يصير الوارد مشابهًا للمتغذي مزاجًا وقوامًا ويصير عضوًا بالفعل.

هذا هو الذي اشتهر بين القوم، وأنت خبير بأن قوام المني لا يشبَّه بقوام الأعضاء بل يشبَّه بالرطوبات المحصورة بباقي العروق، فالأشبه أن يكون فضلة الرطوبة التي انحصرت في العروق وأثر فيها الهضم. والثالث: وهي تشبه النطفة فيكون فضلها ولذا لو بالغ الرجل في الجماع يخرج الدم موضع المني، والهضم الرابع لا يسيل وكذا فضلها.

فإذا اجتمعت فضل الهضم الثالث وهي النطفة في مقرها ووعائها وهو إنما يكون بين الصلب وترائب الرجل ينزل منه إلى موضع قرب البيضتين والأنثيين ـ أعني الخصيتين ـ وطبخت طبخًا تامًّا ثم ابيض لونه، والجامع لمادة النطفة من جميع الأعضاء ملك سماه الحكيم طبيعة الحيوان ونفسه إذا تحرك الجامع تصاعدت بخارات من جميع الأعضاء إلى سطح الجلد ولذا أوجب الشارع أن يغسل جميع أجزائه لفتح المسامات ويخرج منها البخارات، والدليل على أنه يخرج من الأعضاء كلها طريان على جميعها.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ﴾ [الطّارق: 8 ـ 10] أي الإنسان في ذلك اليوم، أي يوم القيامة التي تظهر فيه جميع الأمور الخفية وصور الأعمال

والأقوال ﴿مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطّارق: 10] في ذلك اليوم ليدفع عنه كآبته وعذابه.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ⑪﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ⑪﴾ [الطّارق: 11] أي فلك صغير غير شامل للأرض يظهر بسببه في الكواكب الخمسة المبخرة وهي: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد. والرجعة بأن يرجع إلى ما كانت هي عليه من المكان والمقام بأن كان كل منها في برج، فإن كان بينه وبين الشمس قيل، فإذا قابلها يكون في منتصف الرجفة، فإذا انصرف عن المقابلة ووصل إلى آخر استقام، مثلًا إذا وصل المشتري إلى الأسد والشمس بعد مقارنته تحركت وحلت في القوس رجع المشتري وعاد إلى السرطان، وإذا حلت الشمس إلى الجدي انتصفت رجعته، وإذا وصلت إلى الحوت واتصلت ثانية بالمشتري بالتثليث استقام. هذه القاعدة إنما هي في الثلاثة العلوية وهي: زحل والمشتري والمريخ، وأما في السفليين وهي: الزهرة وعطارد فلا يكون كل منهما وبين الشمس مقابلة ولا يبعدان أزلًا عن الشمس إلا بمقدار النصف.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ⑫﴾

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطّارق: 12] أي الانشقاق والتزليق إما لزلزلة فتنشق الأرض وتخر الجبال، وإما بحركة القوة النباتية ليخرج منها النبات، أو بشق الملك ليخرج منها دابة الأرض والحيوان إشارة إلى أن أحوال الكواكب من الرجعة والاستقامة والسرعة والبطون والوقوف أسباب الأحوال الأرضية منها الانصداع والزلزلة وخروج أنواع النبات والحيوانات في الفطرة الأولى، وكذا أحوال سائر المكونات وظهور أنواع الموجودات مستندة إلى تلك الأحوال السماوية ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجدَة: 5].

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ⑬﴾

﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطّارق: 13] فاصل ومبين لأحوال الكائنات ومعين لأحوال المتعينات وظهور أنوار التعينات ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59].

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ [الطّارق: 14] صادر بلا سبق رؤية وتقدم صواب فكرة بل كله صادر بمحض حكمة ظاهرة بكمال قدرة وإرادة ومشيئة.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥﴾

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥﴾ [الطّارق: 15] في إبطال أحكامه وإحلال أنوار معالمه وأسرار إعلامه.

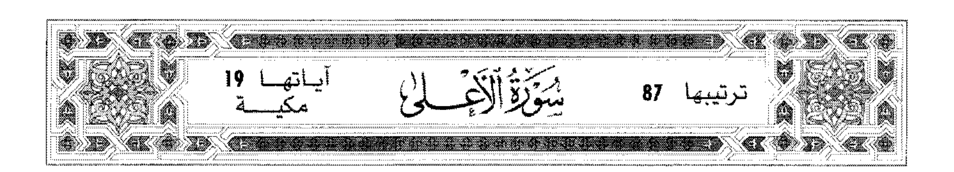
﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾

﴿وَأَكِيدُ﴾ في إظهار أحكامه ونشر أنوار معالمه وإبطال ما تصدر وإضلال ما عمل ﴿كَيْدًا﴾ [الطّارق: 16] كاملًا وبيدًا فاصلًا انتقالًا من حيث لا يحتسبون ومن مقام لا يرتضون ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السَّجدَة: 17].

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ ولا يستعمل بالانتقام منهم أو في إهلاكهم وأجلهم ﴿رُوَيْدًۢا﴾ [الطّارق: 17] أي إمهالًا يسيرًا. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الطارق) أعطاه الله تعالى بعدد نجوم السماء عشر حسنات**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أعلى كلمته، وأنهى إلى حبيبه تقديسه وتسبيحه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي خلق الإنسان وسوَّى بيده أجزاءه العنصرية وأعضاءه البشرية فنفخ فيه من روحه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي قدَّر أعماله وقرر أحواله فهدى.

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى: 1] أي نزِّهه وبعِّد ذاته من نقائص الشرك وأسمائه وصفاته عن نقائص الخلقة وعمل ما لا يليق بها من التغير والحدوث والانتقال والتبدل والانحلال، أو عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد وانحراف فيها كالجبر والتشبيه والتعطيل والإبطال والتبطيل. والأعلى بمعنى العلو الذي هو العلو والقدرة والاقتدار لا بمعنى العلو الارتفاع في المكان وأن يصان عن الأنداد والذكر إلا على وجه الخشوع والتعظيم، ويجوز أن يجعل الأعلى صفة للربّ والاسم. وقراءة علي: سبحان ربي الأعلى، وفي الحديث: لما نزلت ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾ [الحَاقَّة: 52] قال: اجعلوها في الركوع، فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى: 1] قال ﷺ: «**اجعلوها في سجودكم**»، وكانوا يقولون في الركوع: اللهم لك ركعت، وفي السجود: اللهم لك سجدت.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ كل شيء ﴿فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: 2] فخلقه بأن جعل له ما يتأتى به كماله ويتم معاشه وحصل انتعاشه.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ [الأعلى: 3] أي قدر وفور أجناس الأشياء وأنواعها وموادها وهيولاتها وعناصرها وأجزائها الأولية الثانية وهي أعضائها الأصلية إشارة إلى تنوع اسطقسات الأشياء وتطور ميادينها وموادها، فإن أجزاء الأشياء إما عقلية أولية وهي الأجناس والفصول والهيولى والصورة والجواهر الفردة أو مقدارية حسية كالعناصر الأربعة والأجزاء والأعضاء، ﴿فَهَدَىٰ﴾ إشارة إلى الكمالات الشخصية والهيئات العينية.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ [الأعلى: 4] إشارة إلى ما تتوقف عليه المعائش من النباتات والحيوانات. المرعى اسم مكان ما أراد فيه من النباتات والحيوانات.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾

﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ أي صير ما خرج من الأرض بعد خضرته ونضارته ﴿غُثَآءً﴾ هشيمًا يابسًا متفرقًا متفتتًا ﴿أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: 5] أسود إذا هاج وعتق، قيل: أحوى، حال من مرعى.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾

﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ على لسان جبرائيل أو سنجعلك قارئًا بتلك القراءة ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: 6] أي سيعلمك هذا القرآن حتى تحفظه. قيل: نهي أي لا يغفل عن قراءته وتكريره فتنساه.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن ينسيكه بأن ينسخ تلاوته. وقيل: المراد به القلة والندر لما روي أنه ﷺ أسقط في قراءته الصلاة فحسب أنها نسخت فسأل: أنسيتها؟ أو نفى النسيان رأسًا فإنَّ القلة تستعمل للنفي ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: 7] أي

ما أظهر من أعمالك وما بطن، أو جهرك بالقراءة مع جبرائيل وما دعا إليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء وإنشاء.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الأعلى: 8] ونعدّك ونهيؤك للطريقة اليسرى من حفظة الوحي أو التدوين فلوقعك لها، ولهذه النكتة قال: ونيسرك، عطف على سنقرئك، وإنه بعلم إعراض.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾ بعدما ثبت لك الأمر ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: 9] لعل هذه للشرطية، وإنما أجاب بعد تكرير الاعتبار والتذكير وحضور اليأس عنِ البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله: وما أنت عليهم بجبار، أو لذم المذكر واستبعاد تأثير الذكر فيهم أو للاستبعاد، فإن التذكير إنما يجب إذا أمكن نفعه ولذلك أمر بالإعراض عمن تولى.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى: 10] يستيقن وينتفع بها من يخشى الله فإنه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾ [الأعلى: 11] الضمير للذكرى، فالأشقى هو الكافر فإنه أشقى من الفاسق أو لأن الناس ثلاثة: العارف والمتوقف والمعاند، فالسعيد هو العارف والشقي ما عداه، إلا أن المتوقف له بعض الشقاوة والمعاند هو الأشقى الذي لا يلتفت إلى الدعوة ولا يصغي إليها.

﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾

﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الأعلى: 12] ويدخل فيها وهي نار التحسر والندامة التي توقد على الأفئدة وهي نار الخواص ونار العوام هي نار تدرك بالبصر آثارها، يعذب بها البدن، والنار الكبرى تعذب بها الأرواح والنفوس

والعقول، هذا العذاب هو أشد العذاب إلا أن مدتها أقل من مدة نار البدن كمًّا وأكبر كيفًا، شتاءً كان أو صيفًا، وأشد عيفًا وأحدّ طيفًا.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ [الأعلى: 13] بعد الدخول فيها والتعذب بها لا يموت فيها إلا النار المعنوية يعني الروح والنفس والعقل لا تركيب فيها أسنى التركيب بخلاف البدن فإنه مركب من متخالفات، والنار من شأنها تفريق المتخالفات وجمع المتماثلات، وكلما فني وتفرَّقت أجزاؤه أعاد تركيبه ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: 56]، ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: 13] الحياة وهي الإيمان ومعرفة الله والعلوم الحقيقية والتجليات الإلهية والتحقق بأسماء الله وصفاته وذاته، وصورة جمعها وحق اليقين. نزلت في الوليد وعتبة وأبي جهل وأنت خبير بأن العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قيل: النار الكبرى من نار جهنم، والنار الصغرى هي نار الدنيا لا يموت فيها ولا يستريح من العذاب ولا يحيى، مختلفة لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم العذاب ولا يرجع إلى جسمه فيحيا.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى: 14] وتطهر عن دنس الكفر والشرك وتقدس عن جنس المعاصي والشك والإفك وعبس التقليد ولسن التقييد والتعبيد.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ ذكرًا حضوريًّا تحقيقًا وتيقنًا ﴿فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: 15] صلاة حسية وهي شهود من صلى له وتحقق له أو تخلق بما له من الصفات الكاملة، بل الإضراب عما ذكر أي هم لا يغفلون ولا يسعون للتحقق فلا يسقون من رحيقها.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾

﴿بَلْ﴾ يتركونها ﴿تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: 16] اختاروها، والخطاب لمن يتمكن له ويحصل له منه.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بأنواعها ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وأصنافها ومما لها وفيها ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: 17].

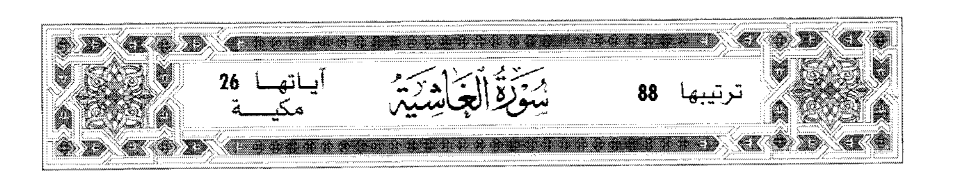
﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكرنا من الأحوال ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: 18] أي ثابت في كتب الأقدمين من الأنبياء.

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: 19] وداود وعيسى وغيرهم من الأنبياء المرسلين والحكام الإلهيين بدل من الصحف الأولى. قال ﷺ: «**من قرأ سورة (الأعلى) أعطاه الله عشر حسنات**» صدق رسول الله ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي آتى قلوب العارفين المشتاقين حديث الغاشية بنور الله لدى قيام القيامة النفسية ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي جعل وجوه العارفين في الجنة العالية في التجليات الذاتية والصفاتية والجمعية الإلٰهية والكونية ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا يسمع فيها لاغية فيها عيون المعارف الفطرية جارية ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أفاض أنوار الأطوار القلبية وأراض أسرار الأدوار النورية على رياض فؤاد المحبين وهم على سرر كمال الجمعية ناضرة إلى ربها ناظرة.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغَاشِيَة: 1] وخبر الداهية التي تغشى الناس وتسترهم بل لا يبقى شيء من الأشياء إلا وقد غطاهم بنور الجلال وستور القدم والظلال لدى إشعال الدورة من الجمال والجلال ومن النور والظلام.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ [الغَاشِيَة: 2] ذليلة تختفي في أستار العدم والاستتار.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الغَاشِيَة: 3] يأمرون لأن يجروا السلاسل والأغلال

وينصبون بعضها إلى موضعها في السعير. وقال بعضهم: لا يعملون عمل النار وينصبون للات العذاب وأهل العذاب كلًّا في موضعها، أو هم فرقة قد تكثرت في الدنيا على طاعة الله واستنكفت عن عبادتها قد كلفهم الله لأن يعملوا في النار عملًا وينصبونها فيها.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾

﴿تَصْلَىٰ﴾ تلك الوجوه وأصحابها ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغَاشِيَة: 4] غير متناهية في الحرارة.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾﴾

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغَاشِيَة: 5] حارّة تلهب في غاية الحرارة.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ [الغَاشِيَة: 6] وهو أخبث طعام وأسفهه. قيل: هو نبت ذو شوك لاطي بالأرض أو شوكة من النار. عن النبي ﷺ أنه قال: «**الضريع شيء يكون في النار يشبَّه بالشوك أمرّ من الصّبر وأنتن من الجيف وأشد حرًّا من النار**». وقال بعضهم: هو طعام يتضرعون ويستغيثون منه إلى الله ليدفعه عنهم.

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغَاشِيَة: 7] ولا ينفع ذلك الطعام من جوع ولا يمنع إياسة، المقصود من هذا الطعام والشراب بيان نهاية دولهم، وذلك أن القوم لما قاموا في تلك السلاسل والأغلال في تلك المدة الطويلة عطاشًا وجياعًا ثم ألقوا في النار فرأوا فيها ماء وشيئًا من النبات فأحبوا تسكين ما بهم من الجوع والعطش والقلق والاضطراب فلم يجدوا إلا حميمًا وغساقًا فانقطعت أطماعهم ورجاؤهم في إزالة ما بهم من جوع وعطش كما قال: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29] الآية.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾﴾

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾﴾ [الغَاشِيَة: 8] ذات بهجة ونضارة وضحكة ومسرة.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾

﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ [الغَاشِيَة: 9] في الآخرة حيث تتضمن الجنة ونعيمها فلما نزلت هذه الآية قالوا: إن أريد أو هو استثناء يسمن من الضريع، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [الغَاشِيَة: 7].

﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾

﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ [الغَاشِيَة: 10] وهي جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها إلا نبي أو صدّيق أو شهيد أو إمام عادل أو من يحكم في نفسه يخير بين الشرك والإيمان فيختار الإيمان على الشرك.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١﴾

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١﴾ [الغَاشِيَة: 11] تلك الوجوه أو أصحابها باطلًا وكلامًا مهملًا لغوًا عاجلًا أو حلفًا كاذبًا.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾ [الغَاشِيَة: الآيتان 12، 13] رفيعة السمك والقدر.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤﴾

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤﴾ [الغَاشِيَة: 14] جمع كوب وهو إناء لا عروة له.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥﴾

﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغَاشِيَة: 15] مضمومة بعضها إلى بعض.

﴿وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾

﴿وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ [الغَاشِيَة: 16] جمع زربيّة ومن البسط العريضة المبسوطة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغَاشِيَة: الآيات 17 - 20] واعلم أنه تعالى ما حكم لمجيء يوم القيامة وقسم القلة من الجن والإنس إلى فرقتين سعداء وأشقياء أو وضعهما وشرح أحوالهما التي لا تتأتى إلا من الصانع واجب الوجود القادر على كل الممكنات، الحكم على الموجودات، العالِم بأوائلها وكمالاتها وحالاتها واحتياج بعضها إلى بعض، إذ الأمور التي هي مناط انتظام المعاش ومحاط التئام أسباب الانتعاش تكون على وجه العدالة التي تتضمن صلاح المعاد والفلاح في يوم التناد، لا تتأتى من شخص واحد بل لا بد من التعاون والإمداد الذي لا ينتظم إلا بقانون وقاعدة وهو الشرع المشتمل على الوعد والوعيد، ولا يحسن ذلك إلا بالتكليف بيوم القيامة، ولهذا كرر أحوال القيامة من نعيمها والسعير وجحيمها ومهد مقدمات الدلائل ليستدل بترتيبها على توحيد الصانع وكمال صنعه ونفاذ حكمه، ومنها خلق الإبل ورفع السماء بلا عمد، ونصب الجبال التي سبب سكون الأرض، فإن الله تعالى خلق الأرض في جو السماء معلق ينطبق مركز حجمها على مركز العالم فيضطرب فيتعذر السكون عليها، فخلق الله الجبال على الأرض أوتادًا لتتمكن ويمكن الكون والحركة فلو لم تكن الجبال فلو حصل للأرض أي مقدار كان لترجح ذلك المقدار الأرضي فوجب أن تتحرك الأرض كالميزان المعتدل، فإن أي مقدار يحصل في أحد جانبيه يترجح ذلك الجانب ويميل، فمن هذه الأمور يستدل على وجود الصانع الواحد القدير الحكيم الفاعل المختار بالفكر، وأصحاب الفكر فرقتان: منهم من شاهد العالَم وسبب أجزائه أو من ينتقل إلى شهود وجود الصانع، ومنهم من قنع بالعلمِ وهو الاستدلال الظاهري، والأول أهل الشهود.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾ [الغَاشِيَة: 21] أنت يا محمد ونبِّه الخلائق وعلِّمهم كيفية صنع الله وحكمته وعجائب قدرته وغرائب إرادته ومقتضيات مشيئته وقوته ليستدلوا بها على

كمال حكمته ووفور قوته وعجائب قدرته ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغَاشِيَة: 21] فلا عليك إن لم يتذكروا ويتعظوا أو لا ينظروا إليها نظر اعتبار لا البلاغ.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغَاشِيَة: 22] أي على الكافرين المتخالفين بمتسلط أو متغلب.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ وأعرض عن الحق ﴿وَكَفَرَ﴾ [الغَاشِيَة: 23] بالحق وبما جاء به الحق من الحق لإظهار الحق وإزهاق الباطل.

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ [الغَاشِيَة: 24] يعني عذاب الآخرة وهو أكبر من عذاب الدنيا لأن مدتها أطول وكيفيتها أهول، وعذاب الدنيا وهو القتل والأسر والإذلال والتسلط، والجلاء أصغر ومدتها أقصر وكيفيتها أسهل لأن مدتها منقضية والاستثناء منقطع أي لست بمتولي عليهم ولكن من تولى وأعرض منهم فإن لله الولاية والقهر والغلبة.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغَاشِيَة: الآيتان 25، 26] في المحشر العظمى والقيامة الكبرى والصغرى في أصولها وفروعها إذ في كل منها قيامة وظهور ساعة كما كان لكل منها وقتها ودينها ولها أرض وسماء، ولكل منها بقاءٌ أو فناء، وثواب وعقاب، وفي كل منها سؤال وجواب، فلا بد أن يكون في كل منها عذاب أكبر وأصغر وهو أمر نسبي مرتب على مراتب الجنات، ودرجات التجليات، وتنزلات وعروجات، وأحوال ومقامات، ومشاهدات وشهودات وقياسات، وجذبة وجذبات، وعلوم وإدراكات، ولكل منها مراتب، فصاحب المرتبة الأولى يغيظ صاحب المرتبة الأعلى فالأعلى، وكذلك صواحب الجنات يغبطون صواحب التجليات وذوي الشهودات، فإن الله تعالى يتجلى لأهل الجنات بأنواع التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، فمنهم من

يشاهده ويتلذذ بها تلذذًا روحانيًا وعقليًا ونفسيًّا وقلبيًا، ومنهم من لم يشاهده سيما صاحب الجنات الآثارية البهيمية وهم أكثر الزهاد والعباد الذين عبدوا الله عبادة صدرت على طريقة الرسم والعادة وتقيدوا بمرتبة الرسم والتقليد فإنهم بسبب هذا التقييد اجتمعوا عن التجليات وشهودها وصارت صورة الطاعة البدنية حجابًا غليظًا ونقابًا أظيظًا في حقهم، فحينئذ توقدت نار التحسر والندامة في فؤادهم، هذا عذاب أكبر وعقاب أشد وأكثر، وهذا يتكامل بحسب الاطلاع على فقدان أنواع التجليات وفقدان شهود التجليات الآثارية عذاب أكبر، وفقدان التجليات الأفعالية عذاب من العذاب الأول، وهكذا عذاب الندامة على فقدان التجليات الأسمائية أشد وأكبر من العذابين السابقين.

وهكذا يتزايد العذاب حسب تزايد الاطلاع على فقدان التجليات وانتفاء الكمالات الذاتية والأسمائية، وهكذا صاحب التجلي الآثاري يغيظ صاحب التجلي الفعلي والأسمائي بالنسبة إلى ما فوقه عذاب أكبر وأشد وأكثر بالنظر إلى ما دونه يعم كل من اعتقد حقيقة هذه التجليات وتلك الكمالات، يندفع في حقه بعض هذا العذاب في محشر تلك الدورة وقيامتها، ويتجلى لهم بقدر حصول الاستعداد والإمكان الوقوعي والإمداد، وإن لم يحصل ذلك العلم والاعتقاد يتعدى حالهم إلى الدورة الثانية والثالثة والرابعة النوري الأصلي الإفرادي والجمعي، وإن لم تحصل تلك الكمالات في الأدوار النورية تتعدى إلى الأكوار الجلالية الظلية المربعة الإرادية والجمعية وجمعية الجمعية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي فجر ينابيع الحكمة الإلٰهية وعيون العلوم الكونية الأزلية على قلوب المحبين العالمين العاملين في عشر ليالي النفوس وفي شفع نهار العقول وترتيب الأجسام ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي كمَّل النفوس الأربعة الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة في مراتب الأربعين كلًّا منها في عشر كاملة إلى أن اطمأنت في مداركها وتأبط شرًّا في مسالكها لترجعن إلى ربها راضية مرضية ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي خاطبنا بها: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: 29، 30]، ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142].

﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾

﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ [الفجر: الآيتان 1، 2] أقسم بالفجر وليال عشر والفلق إذا تنفس وبصلاته وأنواع عبادة تؤدى فيها، وليال عشر ذي الحجة، ولذا فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان الأخص الذي هو وقت ليلة القدر، وتنكيرها للتعظيم وإشارة إلى تكرارها وتكثارها، وقرئ بالإضافة: ليال بعشر، على أن المراد بالعشر الأيام. قال بعضهم: المعنى من أول يوم من شهر المحرم الذي يتفجر منه السنة، أو فجر ذي الحجة لأن الله تعالى قرن الأيام بها أو عده جميع السنة، أو انفجار الصبح من كل يوم إلى انقضاء الدنيا.

﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣﴾

﴿وَٱلشَّفۡعِ﴾ الزوج، وهو كثرة الإمكان أو الممكنات المادية ﴿وَٱلۡوَتۡرِ﴾ [الفَجر: 3] الفرد، أي ذات الواجب أو المجردات أو الأدوار النورية الجمالية والأكوار الجلالية لا يجوز أن يراد اللام في ليال للعهد ويراد ليلًا معلومًا معهودًا لأنه حينئذ يكون من باب الألغاز والنميمة مع أنه بيان وهدى، ويجوز أن المراد من الشفع والوتر الأشياء كلها شفعها ووترها، وأما شفع هذه الليالي ووترها يجوز أن يكون الشفع يوم نحر ووترها يوم عرفة لأنها تاسع أيامها وذلك عاشرها.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه فسرهما بذلك، قال بعضهم: الشفع هو العقول العشرة والملأ الأعلى والملائكة المقربة وهم أربعة، والوتر هي النفوس والأفلاك التسعة والكواكب الثابتة السبعة السيارة، أو العناصر الأربعة والمواليد الثلاثة أو الجهات الست والآفاق السبعة، أو الأفلاك المكوكبة وهما ثمانية، والفلك الغير المكوكب وهو الفلك الأطلس، أو الممكنات ﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ [النّبَإِ: 8]، أو المراد الذات الواحدة والأسماء الذاتية والذات مع الأسماء والصفات وهي ثمانية والأسماء وهي شفع، والصفات وهي وتر، إذ الأسماء هي الذات المتصفة بالصفات كالعليم والحي والقدير والمريد، والصفات وهي النعوت كالحياة والعلم والقدرة والإرادة وغير ذلك.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الفَجر: 4] بالياء، فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة، أي المعنى ويدبر كما في قوله: ﴿إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدّثر: 33] وإنما قيد ذلك لما في التعاقب والتوالي والمضي كمال القدرة ووفور القوة والحكمة.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ﴾ [الفَجر: 5] والمقسم به وإذا حذف المقسم عليه فلا يختص بأمر دون أمر بأنواع العذاب وأجناس النكائب والعقاب، وإنما تركب سيان بعض الكلام في الشفع والوتر ذكر هنا أو مرادفهما الصلوات الخمس بعضها

شفع وبعضها وتر، والوتر أقل من الشفع إشعارًا بأن الله تعالى في ذاته وكثرة صفاته واحد والمخلوق في ذاته وصفاته متعدد، أو الجنة التي ثوابها شفع، والسعير التي مداخلها وتر، أعني السبع والذات الظاهرة كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المُجادلَة: 7]، أو الأدوار النورية الجمالية والأكوار الظلية الجلالية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية، أو التجليات الآثارية والأفعالية والصفاتية والذاتية الإفرادية والجمعية والفناء في الله والبقاء بالله، والمظهرية الكلية والعوالم الخمس والمراتب الستة.

قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفَجر: 4] أي ليل كورة الجلالية يسري في الدورة الصريحة الجمالية سريان ليل الوحدة الذاتية في الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والآثارية الكونية أو صلاة التهجد والوتر. ﴿لِّذِى حِجْرٍ﴾ [الفَجر: 5] أي مخ وعقل، وإنما سمي به لأنه يحجر ويعقل صاحبه عما لا ينبغي كما سمي بالنهى لأنه يأمر وينهى بالحق عن الباطل، وكما يسمى عقلًا لأنه يعقله ويمسكه عن القبائح والأباطيل والفضائح.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ [الفَجر: 6] أي أولاد عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح.

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾

﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد وإيذان بأن العاد الثانية غير عاد الأولى القديمة. قيل: إرم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها يدل عليه بعاد إرم بالإضافة تقديره بعاد أهل الإرم ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفَجر: 7] صاحبة البناء الرفيعة أو القدود الطويلة كانوا فيها كان طول كل رجل مائتي ذراع، وأما عاد الأولى طول أحدهم أربعمائة ذراع، أو الرفعة والثبات إن كان صفة للبلدة. والمعنى أنها ذات بناء خير. روي كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم لما مات الشديد عاد الملك كله إلى شداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة وصفاتها فقال: أنا أبني

مثلها، فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي بلدة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار، فلما همَّ ببنائها أشار إليها أهل مملكته، فلما قرب منها مسيرة يوم وليلة بعث الله إليهم صيحة من السماء فهلكوا.

عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت فيما هو في صحاري عدن إذ هو قد وقع على مدينة في ملك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال، فلما دنى منها ظن أن فيها أحدًا يسأله عن إبله فلم يرى خارجًا ولا داخلًا، فنزل عن دابته وعقلها واستل سيفه ودخل من باب الحصن، فلما دخل الحصن إذ هو ببابين عظيمين لم ير أحد أعظم منهما، والبابان مرصعان بالياقوت الأبيض والأحمر، فلما رأى ذلك دهش وأعجبه، ففتح أحد البابين فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، فإذا فيها قصور وكل قصر معلق تحت أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع مدينة يقابل بعضها بعضًا، مفروشة كلها باللؤلؤ والياقوت، وبنادق من مسك وزعفران.

فلما عاين الرجل ما عاين ولم يرَ أحدًا فيها أهاله ذلك، ثم نظر إلى الأزقة فإذا هي شجر في كل زقاق منها قد أثمرت تلك الأشجار وتحت الشجر أنهار مطرزاتها من قنوات من فضة، كل قناة أشد بياضًا من الشمس، فقال الرجل: والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق ما خلق الله مثل هذا في الدنيا وإن هذه هي الجنة التي وصفها الله سبحانه وتعالى في كتابه.

﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨﴾

﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨﴾ [الفَجر: 8] أي مثل طائفة عاد وجماعتها بنية وطولًا وقوة وبطشًا، أو مثل العماد التي هي جمع عماد، أو مثل الإرم أرضًا وعمارة. قال معاوية: فحدثني حديثها، فقال: إن عادًا الأول ليس بعاد وقوم هود وكان رجل من قوم عادٍ طوله أربعمائة ذراع ولو غضب على جمع يقلع الصخرة العظيمة ويضربها ويسقطها عليهم فيهلكهم، وعادًا الثاني الذي هو قوم هود قد ولد بعد ذلك وكان له ابنان شداد وشديد، فهلك عاد الذي هو من قوم

هود ومَلَك ابناهما البلاد وقهرا أهلها وأخذا بها عنوة، ثم مات شديد وبقي شداد فمَلَكَ وحده بعدما هلك شديد ودانت له ملك الأرض وكان مولعًا حريصًا بقراءة الكتب النازلة والصحف السماوية النازلة على آدم وشيث وإدريس ونوح وهود، فإن بلغ بوصف الجنة دعته نفسه إلى بناء مثلها عتوًّا على الله ونبوًّا على رأيه، فأمر بصنع تلك المدينة ـ أعني إرم ذات العماد ـ وأمر على صنعها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف أعوان وكتب إلى ملوك الأرض أن يجمعوا له ما في بلادهم من الجواهر والذهب والفضة، وكانت تحت يده مائتان وستون ملكًا، فخرجت القهرمانة منه وسافر في الأرض وساروا فيها ليجدوا ما يوافقوه حتى بلغوا على صحراء عظيمة فيها من التلال والوهاد والأغوار، فإذا طارفوا بعيون مطردة وينابيع متفجرة منها قالوا: هذه إرم التي مر مَلِكُنا بها، فقدروا طولها وعرضها ثم وضعوا أساسها من الجذع اليماني وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة حتى فرغوا وكان عمره تسعمائة سنة، فلما فرغوا منها رجعوا وأعلموا ما أمرهم به، فألف وزيران تهيؤوا التعليم إلى إرم ذات العماد وأمر تلك الأعلام برجال يحيكونها وينعمون عليها وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا بها فلما كان منها وقرب إلى أن بقي بينهم وبينها مسيرة يوم وليلة بعث الله صيحة من السماء فأهلكتهم جميعًا فلم يبق منهم واحد.

واعلم أن ضيعة إرم الموصوفة إما هو بلدة حقيرة من بلاد عالم المثال البرزخ فإن عظمة بلاد هذا العالم لا يعلمها إلا الله ولظهورها وانكشافها لبني آدم شرائط وأسباب منها أعمال عملة شداد وتوجههم بتوجهه لإظهارها وانكشافها لهم ولذا ما تمَّت وأهلك الله شداد وأعيانه وأركان دولته وعملتِه واختفت تلك البلدة دفعة واحدة عن عين الناس مع عظمتها، لا يتراءى لأحد يحصل له استعداد بأن يشاهدها ويشاهد عالم المثال كما حصل لعمر حيث شاهد جبرائيل عند مجيئه إلى رسول الله ﷺ وسأل عن خمسة بقوله: ما الإيمان وما الإسلام وما الإحسان إلخ؟ فإن هذا المجلس قد كان فيه غير عمر ولم يشاهدوا جبرائيل.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟﴾ [الفجر: 9] وقطعوا، من الجوب، والجوب القطع، فإن

الكلام يجيب أي يقطع سؤال سائل وكلامه ﴿ٱلصَّخْرَ﴾ أي الحجر، أي قطعوا الصخور والرخام وهم قوم ثمود وهو عاد الثاني ﴿بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر: 9] أي وادي القرى، ومن قطع ونحت الجبال والأحجار وأرخو مدة الصخور ثمود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح، بنوا ألفًا وسبعمائة مدينة كلها من الأحجار.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ [الفجر: 10] لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا، أو لتعذيبهم الخلق بالأوتاد وكان إذا غضب على أحد مده على الأرض ووتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض إلى أن يموت كما فعل بشاهد ابن مرة جارية جرس بن نوحائيل وكان مؤمنًا يكتم إيمانه مائة سنة وكان لقي من لقي من أصحاب يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون بينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت: نكس من كفر بالله، فقالت بنت فرعون: هل لك من إلٰه غير أبي؟ فقالت: إلٰهي وإلٰه أبيك وإلٰه السماوات والأرض إلٰه واحد لا شريك له، فقامت ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: المشاطة مرة خادمتك تزعم أن إلٰهك وإلٰه السماوات والأرض وحده لا شريك له. فأرسل إليها فسألها عن ذلك، فقالت: صدقت، فقال لها: ويحك اكفري بإلٰهك وأقري أني إلٰهك، قالت: لا، فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها حيات وعقارب فقال: اكفري بالله وإلا أعذبك بهذا العذاب شهرين، قالت: فوالله لو عذبتني سبعين شهرًا ما كفرت بالله عزَّ وجلَّ.

وكانت لها بنتان، فجاء بابنتيها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها: اكفري بالله وإلا لذبحت ابنتك الصغرى على فيك، وكانت طفلًا، فقالت: لو ذبحت ما في الأرض على فمي ما كفرت، قال: فأتي بابنتها، فلما أتت وقدمت منها وأضجعت على صدرها وأراد نحرها جزعت المرأة فأطلق الله سبحانه وتعالى بلسان ابنتها فتكلمت، وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالًا، فقالت: يا أماه لا تجزعي فإن الله تعالى قد بنى لك بيتًا في الجنة فاصبري فإنك لتصعدين إلى رحمة الله تعالى وحسن كرامته. فذبحت، فلم يلبث أن ماتت وأسكنها الله الجنة،

قال: فبعث في طلب زوجها جبرائيل فلم يقدروا من الوحش خلفه يصلُّون معه، فلما رأيا ذلك انصرفا فقال جبرائيل: اللهم إنك تعلم أني كتمت إيماني مائة سنة ولم يظهر لأحد فإنَّ هذين الرجلين إن كتما عليَّ فاهدهما إلى دينك وأعطهما من الدنيا سؤلهما، وإنْ هذين الرجلين أظهرا فاجعل عقوبتهما في الدنيا، فاجعل في الآخرة مصيرهما إلى النار. فانصرف الرجلان إلى فرعون، فأما أحدهما فاعترف وآمن، وأما الآخر فأخبر فرعون القصة على رؤوس الملأ فقال له فرعون: فهل كان معك غيرك؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: فلان. فدعي، قال: أحق ما قال هذا؟ قال: ما رأيت مما قال شيئًا، فأعطاه فرعون وأجزل، وأما الآخر فقتله ثم صلبه. قال: وكان قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم، فكان ما صنع بماشطة فرعون.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١﴾

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟﴾ وأظهروا الفساد ﴿فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [الفجر: 11] والأرض صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون، أو ذم منصوب أو مرفوع، والغرض منه إطناب الكلام في هذا المقام للتنبيه والإعلام بأن كل زمان ووقت لا يخلو من المؤمنين الذين اصطفاهم الله لمعرفته وكمال عبادته والإيمان بخلوص النية وخصوص الأمنية ونصوص الطوية وإن قلوا وإن نذروا وضعفوا، إذ إيمان العالم والغرض من تكوين بني آدم إنما هو معرفة الله على طريقة العبودية ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: 56].

﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾

﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ [الفَجر: الآيتان 12، 13] نوع عذاب وما خلط به من أنواع العذاب وأصله، وإنما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض. وقيل: شبه بالسوط ما أحكمهم في أيدينا إشعارًا بأن ما أحلّ بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أحلَّهم به في الآخرة كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يُعذب به. عن عمر بن عبيد: كان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال: إنَّ عند الله أسواطًا كثيرة فأخذهم بسوطٍ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفَجر: 14] أي المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال كالميقات من وقته وهو تمثيل لإرصاد الله العصيان بالعقاب وأنه لا يفوتونه. وعن بعض العرب أنه قيل له: أين ربك؟ فقال: لبالمرصاد.

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥﴾

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الفَجر: 15] متصل بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الفَجر: 14] من الآخرة فلا يريد السعي بها، فإن الإنسان لا يقصد ولا يهم ولا يعمل إلا للدنيا ولذّاتها ﴿إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾ اختبره ﴿رَبُّهُۥ﴾ بالغنى والفقر فأكرمه وبجله وعظمه بالجاه والحلم والحكومة والرياسة والإمارة والسياسة والإيالة ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ [الفَجر: 15] فضلني على أبناء جنسي بما أعطاني من المال ومجدني بالجاه والمال ونحلني مما يحييني من أنواع النعم الظاهرة والباطنة خير، أما الإنسان والفاء لما في إما معنى الشرط والظرف المتوسط المتضمن الشرط والجزاء متعلق بيقول، فكأنه قال: وأما الإنسان فيقول: ربي أكرمني وفضلني وقت ابتلائه إياي بصنوف النعم الظاهرة والباطنة.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ﴾ بالفقر والفاقة ﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ﴾ وضيّق وقتر ﴿رِزۡقَهُۥ﴾ لديه ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفَجر: 16] وحقرني وصغرني فيوازي قسيمه ويجازي قرينه وحق التوازي والمقابلة والتحاذي أن يقابل الواقعتان بعد، أما التفصيلية، فالإنسان قسمان أحدهما: كفور مع وفور النعم ودرور المنح وصدور مرتضى الجود والكرم، والثاني: شكور صبور وإن كان رزقه يسيرًا مقترًا إذ نعمة الله في حق العباد كثيرة ظاهرة وباطنة ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: 34]. وإن كان رزقه الظاهر حسب الصلاح قليلًا إذ لو كان كثيرًا لصار كافرًا، وكذا من كان رزقه ودنياه قليلًا كان كافرًا، فصلاح العبد حسب حاله مختلف، إن صلاح بعض العباد في الفقر، وصلاح البعض الآخر في الغنى كما ورد في الخبر: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 216].

﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع على أن الإنسان لا يعلم صلاح حال نفسه دينًا ودنيا، فقرًا وغناءً، فالحري به أن يحمد الله ويشكره في جميع الأحوال ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الفَجر: 17] وترك إكرام اليتيم إما بترك أجرتهم وإما بدفع حقوقهم الثابتة وأكل أموالهم وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفَجر: 20] أي تأخذون أموال اليتامى وتضمونه إلى أموالكم لتأكلوها بالرخصة الادعائية.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾ [الفَجر: 18] من المحاضة وهي التحريض والحث إلا أن الحث يكون بسوق وسير والحض لا يكون كذلك، وأصله من الحث على الحضيض، وهو قرار الأرض يعني قل فعلهم أسبق من قولهم وأدل وأوفق على فعالكم.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩﴾

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ الميراث أصله الوارث أبدلت الواو ثاءً كما في التجارة والوكالات والمشكلات ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفَجر: 19] إذا لَمَّ وهو الجمع بين الخلاف والحد من أنهم كانوا لا يورّثون النساء والصبيان ويأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفَجر: 20] كثيرًا مع خيره وشره.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن ذلك وإنكار وما بعده وعيد عليه ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفَجر: 21] أي طمًّا بعد طم حتى صارت منخفضة الجبال والتلال أو هباءً منبثًّا.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي ظهرت آيات قدرته وبينات كماله وقوته ووفور قهره ودرور حكمته مثل ذلك عند حضور السلطان من آثار هيبته وآثار سياسته ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفَجر: 22] بحسب تغاير منازلهم وتكاثر مراحلهم واختلاف رتبتهم ومراتبهم.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ﴾ [الفَجر: 23] كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ [الشُّعَرَاء: 91]، وفي الحديث: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف ملك يجرونها**»، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الفَجر: 23] بدل من إذا دكت، والعامل فيها يتذكر أي يتذكر الإنسان معاصيه وأعماله الراضية وأفعاله الحميدة المرضية أو يتعظ بالموعظة الحسنة والنصائح الموفقة المستحسنة.

روي أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله ﷺ وعُرِف في وجهه حتى اشتد على أصحابه، فأخبروا عليًّا رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه فقبَّل بين عاتقيه ثم قال: «يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما الذي حدث اليوم؟ وما الذي غيرك؟ فتلا عليه الآية فقال له: كيف يجاء؟ قال: يجيء سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحترق الجميع كلهم» أي يتذكر ما فرط فيه ويقتصد ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ ومن أين له منفعة الذكرى، لا بد من تقدير حذف المضاف وإلا فيتعين يوم يتذكر وبين أنى له الذكرى تنافر وتناقض.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَقُولُ﴾ الإنسان ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفَجر: 24] هذه أو وقت حياتي في الدنيا أعمالًا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد لفعله بأن الجحود عن الشيء قد يُتمنَّى إذا كان ممكنًا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفَجر: 25، 26] الضمير المجرور لله أي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله لله أو للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه لاستجماعه جميع المحامد

والمذام لكونه نهاية التعينات وغاية أنواع الموجودات. قال أفلاطون اللدني والحكيم الإلهي: الإنسان معذب في كل أحواله.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧﴾

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧﴾ [الفَجر: 27] الثابتة الراسخة في طاعة الله وأداء عبادته أو المستأنسة بذكره على إرادة القول، فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب بذاته لذاته فيستقر دونه ويتقرر لديه ويطمئن ويصل في جميع أحواله شراشرةً إليه، ويستأنس بكمال شهوده، ويبقى ببقائه وهو صفته ووجوده ويتحقق بتمام أسمائه وصفاته سيما بتمامية الكرم وحقيقة جوده وبسرمد سرمديته، ويتأبد ويدوم بديموميته فحينئذ يزول عنها الحزن والخوف والتردد في النشآت في الأدوار والأكوار والحركة والطواف ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [يُونس: 62].

﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ٢٨﴾

بعد أن خاطب الله بقوله: ﴿ٱرۡجِعِيٓ﴾ في الأدوار والأكوار الإفرادية إلى الدورة الجمعية وجمعية الجمعية في السير إلى الله ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي كمال الجمعية الذي هو نهاية مقتضى الأدوار ومرتضى الأكوار وغايتهما ﴿رَاضِيَةً﴾ عند انقياد مرتضى الكورة الصلبة الجلالية بمقتضى الدورة الجمالية في صراحة نوبة فردارية تدبير النور والجمال ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾ [الفَجر: 28] لدى انتقال حكم الدورة من سلطان النور والجمال إلى سلطان الظل والجلال.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩﴾

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩﴾ [الفَجر: 29] وأعيان سلطان الجمال إذا كان حكم النور والجمال صريحًا داخلًا والجلال ضمنيًّا إلا أنه ينقاد أكوان الأكوار لأعيان الأدوار واتفاق المولود الظلي للمولود النوري بقوله ﷺ: «**إلا أن شيطاني أسلم بيدي لا يأمرني إلا بخير**» وبالعكس عند تبدل الصراحة من الجمال والجلال ومن النور إلى الظل والظلال ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحَج: 61]،

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الروم: 19] الآية، ثم من سلطنة الإفراد الجمالي والجلالي إلى الكمال الجمعي وإلى الجمع الكمالي ﴿فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ [الفَجر: 29] أي في أعيان الدورة الجمعية والأكوان الكلية الحية.

﴿وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾

﴿وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفَجر: 30] أي الجنة الجمعية الإلٰهية والكونية والمعية الغيبية. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الفجر) في الليالي العشر غفر له، ومن قرأها في سائر الأيام كان له نور يوم القيامة**» صدق رسول الله ﷺ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي شرف البلد الطيب الذي هو مكة القلب ومدينة الشهادة والغيب بورود اللطائف الإلٰهية والعوارف الغير المتناهية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي بيَّن لأصحاب الميمنة عين النعيم ولأصحاب الشمال عين الجحيم والماء الحميم ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي عين العين لإنسان العين عينين: عين في القلب يرى عالم الغيب وما فيه مما لا شك فيه ولا ريب. قال النبي ﷺ: «**إن لكل قلب عينين وأذنين إذا أراد الله بعبد خيرًا فتحهما**». وعين في البنية يرى ما ينزل من الغيب إلى الشهادة ليتضح وينكشف أمر النظر والبداهة.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ [البَلَد: 1] نفى الله عزَّ وجلَّ الشك والريب في الكمالات الإنسانية التي لا تحصل إلا بالتعب والكد والحيلة والكبد، بل بالسعي الذي أودعه الله في حقيقة القلب والدماغ والكبد وأقسم عليه بهذا البلد الحرام الذي هو مكة أحدية جمعية الوجود والعدم والحدوث والقدم، وهي الذات البحت والوجود المطلق.

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾

﴿وَأَنتَ﴾ يا حقيقة المحمدية التي هي مدينة هجرتها وبلدة نقلها من مكة أحديتها الذاتية غيب هويتها الأولية ﴿حِلُّۢ﴾ [البَلَد: 2] حالٌّ ونازلٌ من الأدوار

والأكوار الإفرادية ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البَلَد: 2] الجامع والمبدأ اللامع إما جملة معترضة أو حالية.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾

قوله: ﴿وَوَالِدٍ﴾ [البَلَد: 3] يعني آدم الأول، وللبنين والمعلول والعقل الأول عطف على البلد، وفضل هذا البلد مشهور، كيف وقد جعله حرمًا ومثاله للناس صائبًا وعلى فج عميق ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البَقَرَة: 144] وهذا أمر بزيارته وحجه ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97]، وحرَّم صيده، فلما اجتمعت الفضائل فيه ظاهرًا وباطنًا استحق لأن يقسم به ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ [البَلَد: 3] وظهر منه من الأبناء والأولاد من الأولياء والأنبياء والملوك والسلاطين والحكماء، والتنوين في والد للشكر والتعظيم إشعار بأن آدم عليه السلام متعدد لكل دورة آدم كما قال النبي ﷺ: «**خلق الله آدم في سبعة آماد**» والأمد هو الدهر الطويل لا يحصيه إلا الله ونحن في الأمد الأخير.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ وإنما عين الإلهام إشارة إلى ما ذكرنا وإلى أن آدم كل دورة يناسب تلك الدورة، وأن آدم هذه الدورة قد اجتمع فيه خصائص تمام الآدميين ولذا عرف ﴿فِى كَبَدٍ﴾ [البَلَد: 4] أي تعب وعناء ومشقة، يقال: كبد الرجل إذا وجعه كبده، ومنه المكابدة، والإنسان وآدم لا يزال لكونه نوعًا أخيرًا ووقع في الدورة الأخيرة وفي آخر الأدوار في آخر الأمد الأخير يكون في تعب وعناء شديد. قال أفلاطون اللّدني: الإنسان معذب في كل الأحوال وفي جميع أحواله، وذلك لأن الله عين الإنسان وحقيقته العدمية لأن يصل إليها حقائق تمام المكونات لكونها نهاية قوس دائرة التنزلات وغايتها، وبها يرجع كل موجود، ومنها يعود إلى جمعية الأحدية ورتبته الأصلية ليكتمل في دائرة كماله مرتبة متكاملة فتكون نسبتها إلى الموجودات، فالإنسان في الحقيقة هو خادم الموجودات كلها كالكبد، نسبة الكبد التي هي غاية الأغذية والأشربة والأدوية إلى تمام الأجزاء وكل الأجساد التي هي جزء حار ولذا فسره بعضهم: بكبد السماء أو وسطه إذا رفع بعد خلقه إلى وسط السماء لاستواء نسبته وكمال دنياه

الذي هو أفراده وأولاده وإلى كل الموجودات، فالإنسان في حقيقته هو خادم الموجودات كلها كالكبد الذي هو خادم لسائر أجزاء البدن لأنه إقسام إليه.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ [البَلَد: 5] فاعل (أحد) يعود إما إلى الوليد بن المغيرة وإما إلى الإنسان. أما الأول للرياسة وتفوقه على غيره في العرش. وأما الثاني فلكونه وسطًا للكل فيكون منتبه والكل على السواء فيكون قادرًا على الكل ولا يقدر عليه أحد.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ [البَلَد: الآيتان 6، 7] أي يظن الوليد أن الله لم يره ولا يسأله عن ماله وولده من أين اكتسبه وحصّل ماله وفي أي شيء أنفقه وصرفه، أو الإنسان فإن حقيقته من شأنها الطغيان والنسيان والعصيان وإذا وقع في النعم وغلبته الغفلة والطغيان ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: 6، 7].

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾ [البَلَد: 8] هما في الظاهر والباطن، أما الظاهر فظاهر، وأما الباطن فلقوله ﷺ: «**إن للقلب عينين وأذنين إذا أراد الله بعبد خيرًا فتحهما**».

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ [البَلَد: 9] كذلك في الظاهر قياسًا على الأولين.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البَلَد: 10] أي أبصرناه وأريناه الطريقين:

إحداهما: إلى الظاهر وعالم الأجسام.

والثاني: إلى عالم الباطن والغيب، وإلى الأرواح والإلٰه والإلٰهيات أو إلى الجمال والجلال وأدوارها وأكوارها وأعيانها وأكوانها وأحوالها.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ [البَلَد: 11] وما دخل في العقبة والحد الأوسط ولم يتجاوزه.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢﴾

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢﴾ [البَلَد: 12] أي أيُّ شيء علمك في الطريق والحد الأوسط الذي عينه إليه ليحجر ويفصل بين شيئين متماثلين أو متباينين وأصلهما الطريق في الجبل وغيره جمعها العقب والعقاب فإن بعضهم هي في الآخرة، قال: عند جهنم أو حد فاصل بين الجنة والنار، أو جبل وتلال في جهنم، أو صراط قد ضرب على متن جهنم فتكون مشتركة بين هذه المعاني أو حقيقة في جهنم البعض مجاز، وفي الباقي قال الحسن: هذه مثل ضرب الله مجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر. قال الحسين بن علي رضي الله عنهما: عقبة الله تعالى شديدة وهي مجاهدة الإنسان نفسه وهواها، وغدرة من شياطين الإنس والجن هذا أمر الحق الواضح لأنه يريد أن يترقى ويستصعد من عالم الحس والخيال إلى آفاق عالم الإلٰهية وأسرار جبروته وأنوار ملكوته، ولا شك أن بينهما عقبات شديدة ودركات حامية مجاوزتها صعبة، والترقي إليها شديدة في الغاية.

واعلم أن (لا) لا تدخل على الماضي إلا أن يكون مكررًا نحو: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القِيَامَة: 31]، فالتكرار هاهنا بحسب المعنى أي فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما اقتحام العقبة، أو يقال: إن تكرار اللفظ حاصل وهو: فلا اقتحم، وما أدراك.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ [البَلَد: 13] خبر مبتدأ محذوف أي ما ينجيك من العقبة ويدخلك الجنة هو فك رقبة وتخليصها من رق أو دين أو قصاص أو غير ذلك. عن براء بن عازب قال: «جاء رجل أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل يدخلني الجنة، فقال: هو فك رقبة أو عتق، فقال: يا رسول الله أليسا واحدًا؟ قال: لا، عتق النسمة أن تفرد معتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها». وفي وجه آخر حسن: هو أن يفك امرؤ رقبة غيره بما يتكلف من العبادة التي يصير بها إلى

الجنة هو من الحرية الكبرى التي تخلّص من النار.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ﴾ عطف على فك رقبة: خبر مبتدأ محذوف أيضًا أي المنجي والمخلِّص من عقوبة العقبة هو فك الرقبة وعتقها أي الرقبة أو إطعام الطعام في سبيل منع الخلو لأنه مانعة الجمع *﴿ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البَلَد: 14] أي جوع شديد.*

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [البَلَد: 15] أي نسبة قرابة.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البَلَد: 16] أي ذا حاجة يقال ترب الرجل إذا افتقر مذلّة. وروي عن النبي ﷺ في قوله: «**متربة أي من مأواه المزابل**».

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عطف على (اقتحم) وثم ينبأ عند الإيمان عن العتق والإطعام في المرتبة الاستقلالية واشتراط سائر الطاعات به ﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾ أي أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البَلَد: 17] والشفقة على عباده أو بما يوجب رحمة الله.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين مر ذكرهم من أصحاب البر والخيرات من فك الرقبة وإطعام الطعام والإيمان ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [البَلَد: 18] اليمين أو اليمن.

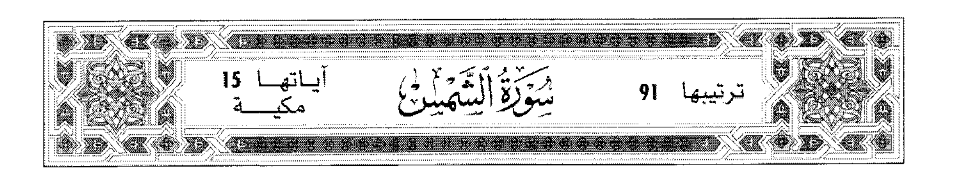
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي بما نصبناه دليلًا على الحق والتوحيد وكمال قدرته ووفور حكمته والكتاب ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [البَلَد: 19] الشمال أو الشؤم أو الشآمة، وذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار بالضمير تعظيمًا للمؤمنين وتحقيرًا للكافرين.

﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾

﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ [البَلَد: 20] منطبقة أوصدت الباب إذا طبقته وغلقته. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (لا أقسم بهذا البلد) أعطاه الله تعالى بعدده الأمان من غضبه يوم القيامة**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل شمس الروح ضياء للمعارف الإلٰهية والقمر نورًا للإيمان القلبي والاتقان اليقيني ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ [يُونس: 5]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي ألهم النفس وزكاها من دنس الجهل لإصابة الصواب وأعلمها حسن الثواب على تلاوة آيات الكتاب وفهم معاني الخطاب ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي ألهمها فجورها وتقواها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشّمس: 9، 10].

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشّمس: الآيتان 1، 2] أي بحق شمس الروح وكمال إدراكاتها حقائق الأفعال الرياسية وكيفية ارتباطها بالأسماء الإلٰهية والصفات الذاتية اقتضاء إلى الأعيان الثابتة والماهيات الكونية وبحق قمر القلب وبدر الغيب الذي آمن بالله وبما جاء من عنده من الأنبياء والصحف وقت تلون الشمس واتباعها ومتابعتها من الطور وهو الاتباع والمتابعة.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾

﴿وَٱلنَّهَارِ﴾ أي نهار التجلي الآثاري والأفعالي ﴿إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 3] أي أظهر الشمس إذ العلول مظهر العلة ومظهرها، فالشمس سبب لظهور النهار

ووجودها والنهار لإظهارها معنى إذا انبسط النهار على الأرض ظهر أن الشمس طالعة، فلولا النهار لا يعلم طلوعها. فاعلم أن الله أقسم بهذه الأشياء الظاهر بعضها بذاتها ومظهر لغيرها وهو الشمس لشرفها وكثرة احتياج الخلق إليها. ذهب البعض إلى القول إنَّ نور الكواكب الباقية مستفادة من نور الشمس ولهذا أفادت النهار وحده وسائر الكواكب الباقية مع كون أنوارها لو اجتمعت لكان أكثر من أنوارها بكثير لا يفيد النهار. ذهب البعض: إلى أن ذكر رب محذوف وقدسي وذلك أن الله قد أقسم بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ [الشّمس: 5] فيلزم أن يكون التقدير: وربّ السماء وربّ ما بناها، وهو فاصل لاستلزامه القمر الطالع إلا أن يجعل ما مصدرية.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ [الشّمس: 4] قد يعلم المقصود مما تقدم.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾ [الشّمس: 5] قد سبق الكلام فيها.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ [الشّمس: 6] وطحيها وبسطها جعلها مسكنًا للحيوانات والنباتات.

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشّمس: 7] أي تسويتها وجعلها معدلة للإفراط والتفريط، مطمئنة في عبادات ثابتة في الطاعات بصفة سلطان القلب مطاوعة للروح والعقل، فإن الإفراط يجعلها شيطانًا أمردًا والعصيان فيسمى مادة حينئذ فإن انتهت فصارت لوامة على نصبها لدى ارتكاب معاصي واكتساب أمر وأخذ النواصي وصرفها إليها يقال لها اللوامة، وإن صارت معتدلة مستعدة لأن يفيض عليها من المجاري العالية يسمى ملهمة وإليه الإشارة.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشّمس: 8] أي يعلمها فجورها وعصيانها، وتقواها رجوعها إليه بعد تنبهها عن نوم الغفلة وسعة المعصية والجهل وألقى إليها حسن الطاعة وقبح المعصية خفية، أو تقوى ووقاية وهو وقاية النفس عن الميل إلى مخالفة حكم الله وأوامره وعن الانتهاء عما نهاها عنه من الفجور والمعاصي والشرور. والإلهام إلقاء معنى في الروح بطريق الفيض وهو يخالف التفكر فإنه إلقاء معنى في القلب بطريق الكسب.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشّمس: 9] أي بغتها وأبرها وطهرها عن الهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية وعن كدورات المعاصي وظلمة حب الفسق ومقتضياته.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾

﴿وَقَدْ خَابَ﴾ وخسر ﴿مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 10] الله وخذلها وحبسها على المعاصي وكسبها.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ وطائفتها وقومها ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشّمس: 11] أي بسبب طغيان أنفسهم أو طغيان النفس، والأول أولى لقربه وهو ابن غابر بن أرم بن سام بن نوح وهو عاد الثاني، فإن عاد الأول هو ابن عوص بن أرم بن سام بن نوح وعيص كان أكبر من عامر وابنه عاد أيضًا أكبر وأقدم من ثمود وابنه وهو شداد وهو عاد الثاني.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢﴾

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢﴾ [الشّمس: 12] أي حين قام رجل منهم اسمه قدار بن سالف وهو أشقاهم وأخسهم وأدعاهم إلى تكذيب رسولهم وهو صالح، والتوحيد لتسويتك إياهم في أفعل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر

والمؤنث، ويجوز أن يقال: أشقوها بالجمع كما تقول: أفاضلهم أفضلهم.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾﴾

﴿فَقَالَ لَهُمْ﴾ حين تكذيبهم ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالح ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ راعوها يا قوم فإنها معجزة الله ﴿وَسُقْيَـٰهَا﴾ [الشّمس: 13] بأن قال لهم: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، ويجوز أن يجعلها من باب التحذير أي اتقوها واحذروها وذروها بسقياها أي بسقيها، فكذبوا قوم ثمود رسولهم صالح حين قال لهم: أنا رسول الله إليكم وهذه ناقة الله جعلها معجزتي.

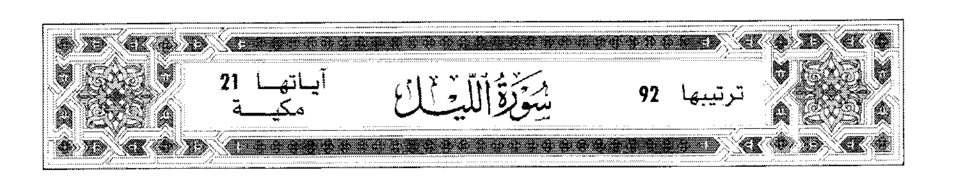
﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ وقطعوها وأهلكوها ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي ستر عليهم وأهلكهم بأن صب عليهم سوط عذاب وهو الصيحة ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 14] أي جعل الله قوم ثمود متساوية في صب العذاب من غير أن يخصه ببعض دون بعض.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلَا يَخَافُ﴾ الرسول أو ﴿عُقْبَـٰهَا﴾ [الشّمس: 15] أو العاقر الأشقى فإنه عقر الناقة ولم يخف عاقبة أمره والواو للحال. قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة (والشمس) فكأنما تصدق بما طلعت عليه الشمس والقمر**» صدق رسول الله ﷺ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل الليل لباسًا والنهار معاشًا، ويتم طريق الاستدلال على وجود الصانع وتوحيده ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي خلق الذكر والأنثى وقدَّر للمتصدق أحسن الحسنى، وللمتقي الجنة العليا اليسرى، وللمحتال المنافق الدرك الأسفل ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي سيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله وصرف مناله في سبيل الله ابتغاءً لمرضاته وارتضاءً لكمال درجاته، وارتجاءً لشهود أنوار تجلياته.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾

﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ أي بحق تجليات الظل والجلال ﴿إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: 1] وسرّ نهار التجلي النوري والجمالي الذي هو إحدى مقدمتي القياس كما أشار إليه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: 190]، والتفكر في خلق السماوات والأرض لا يتأتى إلا بتعاقب الليل والنهار.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل: الآيتان 2، 3] من كل نوع، أو نوع الإنسان. والظاهر أن ما مصدرية كما يدل عليه العاتقة، أي في خلق الذكر والأنثى، وهو بمعنى أو الذي من الاستفهامية، أي بحق من خلق الذكر والأنثى أي الذي خلقه الله ومخلوقه هو الذكر والأنثى.

﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤﴾

﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ﴾ وجدّكم واجتهادكم ومساعيكم في الأمور الدنيوية والدينية والأخروية ﴿لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: 4] أشتات مختلفة وهي التفرق.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥﴾

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾ في سبيل الله وأنفق ماله ومآله ابتغاءً لمرضاته وارتقاءً للنيل إلى درجات جنات تجلياته ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: 5] عن محارم الله وعن كل ما هو حاجب من النيل إلى الوصول إليها من الطاعات والعبادات الرسمية الصادرة بطريق العادة سيما إذا كانت مقرونة بالرياء التي هي شرك وقل ما يتخلص منها أحد إلا ما شاء الله.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦﴾

﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦﴾ [الليل: 6] أي بالأعمال الحسنة الصالحة والأفعال السنية والأقوال الصادقة والكلمات الطيبة ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: 10].

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾ [الليل: 7] أي تهيَّأ للمعطي والصارف ماله في سبيل الله ومرضاته ما هو أمور مستحسنة ومفضية إلى الأمور الحاصلة لليسرى والطريقة السهلة التي هي نتائج الأخلاق المرضية وثمرات الملكات الرضية الفاضلة من الأعمال الصالحة والأفعال الفالحة من العفة وما يتعرفها، والشجاعة وما يتبعها، والحكمة وما يشرعها، والعدالة وما يشرع إليها مما ذكرنا.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨﴾

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بما أعطاه من الأموال الظاهرة والأحوال الباطنة من العلوم والمعارف الإلٰهية والإدراكات والمقاصد الحكمية ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ [الليل: 8] بالأمور الحاصلة وارتضى بها واقتنع بها وتقاعد عن طلب المعارف الإلٰهية والحالات القلبية والإدراكات والمقامات والأحوال الغيبية وأظهر الغنى والاستغناء عما

عداها وحظر النظر عليها، والحال أن الكلمات الإلٰهية والمقامات والحالات الغيبية غير متناهية ولذا أمر رسول الله ﷺ بطلب زيادة العلم لقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114] اللهم زدني فيك تحيرًا وذلك لقصور الهمة وهو من نقصان الإيمان وعلو الهمة من الإيمان كما قال النبي ﷺ: «**علو الهمة من الإيمان**»، وقال أيضًا: «**إن الله تعالى يحب معالي الهمم ويبغض سفاسفها**».

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)﴾

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)﴾ [الليل: الآيتان 9، 10] للخصال الذميمة المقابلة لتلك الفضائل الحميدة وهي التي تؤدي إلى العسرة والضيق والمعيشة الضنكة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: 124]، قال: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: 125] الآية.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١)﴾

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ﴾ أي لا يمنع ولا يصرف عنه ﴿مَالُهُ﴾ وجاهه وحشمته ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [الليل: 11] أي وقت هلاكه من التردي وهو الهلاك.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢)﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢)﴾ [الليل: 12] أي للإرشاد والهداية والإهداء أي يحق بموجب فضائلنا أو بمقتضى حكمتنا وحكمنا ومشيئتنا، وأنَّ علينا طريقة الهداية والهدى كقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النّحل: 9].

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣)﴾

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣)﴾ [الليل: 13] أي العقبى والدنيا فيعطي في النشأتين لمن شاء من سعادة الدنيا والآخرة من متاع الدنيا وثواب الآخرة أو فريضتها تركُكم الاهتداء بكتابنا والاقتداء برسلنا.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤)﴾

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤)﴾ [الليل: 14] أي خوفتكم نار جهنم وهي تلتهب.

﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥﴾

﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ﴾ لا يدخلها ولا يلزمها ﴿إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى﴾ [الليل: 15] الكافر والعاصي المدبر الدابر.

﴿ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦﴾

﴿ٱلَّذِي كَذَّبَ﴾ بنا وبكتابنا وما أرسلنا ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: 16] وأعرض عن طاعته وقبول أحكامه.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧﴾

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ أي تبعد النار التي هي ميقات للمكذبين من الجنب وهو البعد ﴿ٱلۡأَتۡقَى﴾ [الليل: 17] أتقى نفسه عن محارم الله وما نهاه عنه من الأعمال والأفعال القبيحة.

﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨﴾

﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي﴾ ويتصدق ويعطى بما أراد وأمره به ﴿مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: 18] ويتطهر بدل من (يؤتي) أو حال من فاعله. قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: 10] يدل على اختصاص الكافر بهذا الحد لأنَّ المؤمن جعل المعصية بالنسبة إليه أرجح من الطاعة وإذا دلت الآية على حصول الرجحان لامتنع أحد الطرفين ووجب الطرف الآخر ضرورة إذ لا خروج عن طرفي النقيض. عن علي كرَّم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من نفس منفوسةٍ إلا وقد علم مكانها من الجنة والنار، قلنا: أفلا نتكل، قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

واعلم أن المفسرين اجتمعوا على أن المراد من الأتقى هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأن الشيعة بأسرهم أنكروا هذه الرواية ويقولون: إن هذه الآية نزلت في حق علي كرَّم الله وجهه بدليل قوله: ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المَائدة: 55]. وفي التفسير الكبير للرازي هنا كلام يدل على التعصب إذ الحق صريح واضح لا يخفى عن المنصف.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليْل: 19] ولا ينفعها.

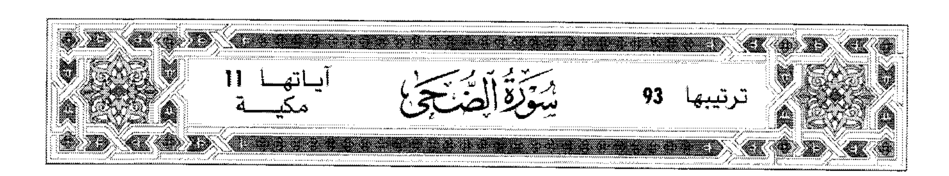
﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليْل: 20] يعني يقصد في صرفها وإتقانها لإرضاء الله ومرضاته لا مكافأة نعمته أي لا يعتمد في إنفاق ماله وصرف مآله إلا طلبًا لمرضاة وجه ربه الأعلى وهو الذات البحت إن كان المراد بالعلو هو المرتبة، وإن كان المراد هو الجمعية يكون المقصود هو الذات المستجمعة للأسماء والصفات كلها.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليْل: 21] أي يجد الثواب الكامل والأجر الجزيل الفاضل. قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الليل) أعطاه الله حتى يرضيه، وعافاه من التعب، ويسّر لقائله اليُسْرَ**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي نور وجه حبيبه بضحى الجمعية الكمالية والجمالية النورية والظلالية ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أدبه حيث قال: «**أدبني ربي**»، وأمر برعاية أيتام أعيان أدوار النور والجمال ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أمره بالتحدث بنعم ربّه يزداد مواد كرمه ويصداد فوائد منحه وزوائل نقمه.

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ [الضّحى: 1] إشارة إلى كمال جمعية أدوار النور ومعية أطوار أنوار الجمال وأزهار البطون والظهور.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾

﴿وَٱلَّيْلِ﴾ عبارة عن كمال إحاطة مرتضى أسرار أكوان الظل والجلال ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضّحى: 2] أي سكن وأظلم وغطى وستر وأحاط سلطان الجلال لدى استتار نهار فردارية النور واختفاء ضياء نجم الجمال في أرض الجلال وكواكب التفصيل في عرض الإجمال دون انتقال حكم الفردارية من النور والجمال إلى الظل والجلال والشمس إشارة إلى الأدوار النورية الوجودية الإفرادية، والليل إلى الأكوار الظلية العدمية الفردارية، والضحى إلى جمعية الأدوار والليل إلى جمعية الأول.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾

﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ وتركك، ما منعك ﴿رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي وتلا وقرأ من القلي والقليات والحركة وعطف بيان لـ(ما ودعك)، والمراد منه الوحي. روي أن يهودًا سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وعن الروح وعن أصحاب الكهف قال ﷺ: «**سأخبرك**» ولم يستثن، فاستبطأ الوحي فقال لخديجة رضي الله عنها: «**إن ربي ودّعني وقلاني**» فشكى إليها فقالت: كلا والذي بعثك بالحق ما أهداك الله بهذه الكرامة إلا أن يتمها لك، فنزلت: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضّحى: 3]، وذلك لأنَّ إنما ينزل حسب المصالح والحِكَم فربما كان في التأخير حكمة ومصلحة. واختلف في قدر التأخير قال بعضهم: إثنا عشر يومًا أو خمسة عشر. عن ابن عباس: خمسة وعشرين، والبعض أنها أربعون يومًا، فلما نزل جبرائيل عليه عاتبه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد لا ندخل بيتًا فيه كلب أو صورة.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ أي الوحي الأخير الذي أرسله الله إليك بعد الفترة خير لك ﴿مِنَ﴾ الوحي والرسالة ﴿الْأُولَىٰ﴾ [الضّحى: 4] فإنَّ الوحي والرسالة معنى واحد لا يختلف في الحقيقة بل بالقلة والكثرة والتأخير والعجالة.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ وينزل لك الوحي بعد الترك والتأخير ﴿رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضّحى: 5].

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ ربك ﴿يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضّحى: 6] أي يعلمك يتيمًا وإن كان للمصادفة، فيتيمًا حال من المفعول الأول هذا وعدله شامل لما أعده من الفتح والنصر والظفر على أعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجًا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النّصر: 1، 2]، والغلبة على قريظة والنضير وأخلافهم، وبث عسكره وسراياه في بلاد العجم والعرب والترك وأصحاب القدم، ولما فتح على يدي الخلفاء

الراشدين في أقطار الأرض وأطرافها وفتح المدائن والثغور وهدم ممالك الجبابرة ونهيهم عن كنوز الأكاسرة وقذف الرعب في قلوب الشرق والغرب كما قال: «**نُصِرت بالرعب مسيرة شهر**»، وفور دعوتهم الناس إليه، واستيلاء المسلمين واستعلاء المؤمنين وغير ذلك من أنواع الفتوح، وقد ذخر له في الأرض من الثواب الذي لا يعلمه إلا الله.

عن ابن عباس: له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك، واللام في ﴿وَلَسَوْفَ﴾ للابتداء إشعار لمزيد العناية ووفور الشفقة ودرور النعمة وهو وراء هداية الله بأنه كان يتيمًا مات أبوه وهو في بطن أمه فلما وُلِدَ وأتى عليه ستة أشهر ماتت أمه وولّاه وحفظه جده عبد المطلب فحمله إلى رضيعته حليمة، فلما مضى ثمانية سنين مات جده عبد المطلب وولاه عمه أبو طالب ولم يبق له لا من أبيه ولا من أمه ولا من جده مال ولا مسكن يأوي إليه رباه الله تعالى بكمال لطفه، فلما بلغ عشرة سنين أرسل الله عزَّ وجلَّ جبرائيل عليه وشرح صدره وأعده للوحي والرسالة، وهكذا تواترت ألطافه وتكاثرت أعطافه إلى أن بلغ أعظمه. قال رسول الله ﷺ: «**سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته، قلت: يا ربي إنك آتيت سليمان بن داوود ملكًا عظيمًا وآتيت فلانًا كذا وكذا وفلانًا كذا، قال: يا محمد ألم أجدك يتيمًا فآويتك، قلت: بلى أي ربي، قال: ألم أجدك عائلًا فأغنيتك؟ قلت: بلى أي ربي**».

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ فيما مضى عما أنت اليوم عليه من أنواع الهداية وأصناف النعمة وصنوف الرشد والعناية ظاهرًا وباطنًا ﴿فَهَدَىٰ﴾ [الضّحى: 7] أي فهداك بأنواع الهداية من النبوة والولاية والحكم والحكومة وصنوف الإدراكات والمعارف والدراية وأرشدك إلى أصول غايته ومقامات رفعة غايته.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ فقيرًا ذليلًا لا مال لك ولا ملك ولا مسكن تأوي وترجع إليه وتسكن لديه ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ [الضّحى: 8] أي أعطاك خزائن ملوك الأرض وسخر لك ولأمتك الأرض وجهاتها وأسبابها.

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩﴾

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ﴾ إذا رأيته واطلعت على حاله وضعفه والتجأ إليك وتوجه للتعقل لديك ﴿فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضّحى: 9] فلا تجعله مقهورًا وتتركه مكسورًا.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠﴾

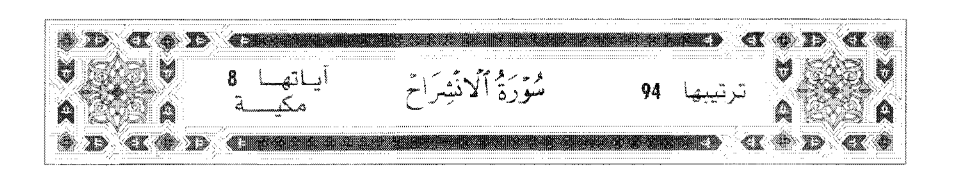
﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ أي الشخص غنيًّا كان أو فقيرًا ﴿فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضّحى: 10] لا تجحده وترده صفرًا آيسًا. قال ﷺ: «**وللسائل حق ولو جاء على الفرس**».

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ التي منحها لك في الظاهر والباطن، في الدنيا والآخرة، وهي غير متناهية ﴿فَحَدِّثۡ﴾ [الضّحى: 11] وذكّر واحصر كلياتها وإن لم تقدر عليها فعدم انحصار الجزئيات بطريق الأولى، فذكر النعمة والتحدث بها هو شكرها.
قيل: المراد بالنعمة النبوة، وتحدثها تبليغها إلى أهل العالم برًّا وبحرًا، برًّا وفاجرًا، جاهلًا وعالمًا ونحوًا.

قال النبي ﷺ على المنبر: «**مَن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بالنعمة شكر، وتركه كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب**». وعن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (والضحى) جعله فيمن رضي بمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكفيها الله له بعدد كل يتيم وسائل**» صدق رسول الله ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي شرح صدر حبيبه بيد قدرته كمال قوته لقبول أسرار الإسلام وحصول أنواره للخواص والعوام مرَّ الدهور والأعوام ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي قوى ظهر نبيه بذي الفقار الولاية المطلقة ورفع ذِكْرَه شرقًا وغربًا، أدوارًا وأكوارًا، ظلًّا ونورًا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي جمع أسرار الولاية وأنوار النبوة بأطوار العلوم والدراية في غيب قلبه وجيب غيب غيبه حتى اجتمع أطوار الأدوار بأسرار الأكوار في الطور القلبي والدور اليقيني.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشّرح: 1] أي الوجه الذي يلي النفس ويقبل منها صور الأفعال الاختيارية ودرر الأعمال الإرادية أي ألم نصرف وجه القلب الذي يلي النفس من مضيق عالم الحس إلى فضاء عميق طائر روح القدس حتى سمع مناجاة الروح والسر الخفية مع الحق وكلام الحق لدى دعوته الخلق إلى جمع الجمع مع الفرق، فيكون حاضرًا أو غائبًا وغايبًا وحاضرًا شاهدًا أو خفيًّا، أو لم ننسخه بما أودعنا فيك من الحِكم وأنزلنا عنك علة الجهل البسيط ومادته وهي الغفلة، أو بما يسرنا لك تلقّي الوحي بعدما كان يشق عليك. قيل: إنه إشارة إلى ما روي أن جبرائيل أتى رسول الله ﷺ في صباه في ستة سنين أو الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيمانًا وعلمًا وعرفانًا إشارة إلى نحو ما

سبق. ومعنى الاستفهام إنكار نفي الانشراح مبالغة في إثباته ولذلك عطف عليه.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾

﴿وَوَضَعْنَا﴾ وأزلنا ورفعنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشّرح: 2] الذي حباك بأن غفر له أو علمه بالشرائع أو بتمهيد عذره بعدما بلَّغ وبالغ.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ [الشّرح: 3] وكسره، أي الذي حمله على النقيض الذي لا أريده بل أريد خلافه وهو صوت الرجل عند الانقياض من ثقل الحمل وما هو ثقل عليه من فرط قبل البعثة وجهله بالحكم والأحكام، أو حيرته أو يلقى الروح أو ما كان يرى في ضلال قومه مع العجز عن إرشادهم أو من إصرارهم وبعدهم في البداية إذا دعاهم إلى الإيمان.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشّرح: 4] بالنبوة وغيرها، أي رفع أرفع من أن يقارن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاغية ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ [النِّساء: 59]، وصلَّى عليه في ملائكته، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه، وخاطبه بالألقاب، وقارن وجوده بوجوده، بل لا يحل وسطه بخلاف سائر الموجودات فإنها تفيض منه بواسطة وجوده «لولاك لما خَلَقْتُ الأفلاك». ومن اختصاص المقام المحمود وهو التحقق بالكمال الجمعي والجمع الكمالي في أطوار خصائص الأدوار وأنوار نصائص الأكوار إفرادًا وجمعًا، أصالة وفرعًا، استقلالًا وتبعًا.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ [الشّرح: 5] كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر من العصرِ وكرّ الدهر، أو ضلال القوم وإيذائهم على مقتضى الدور ومرتضى الكور يسرًا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة والاقتداء به في الشرائع للإطاعة ولحسن المطاوعة له لكمال الإشاعة على ما تقتضيه فردارية النور والجمال.

﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾

﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾ [الشّرح: 6] على عكس الأصناف المذكورة على مقتضى الأكوار يسرًا فإن ما كان في الجمال يسرًا يكون في الجلال عسرًا.

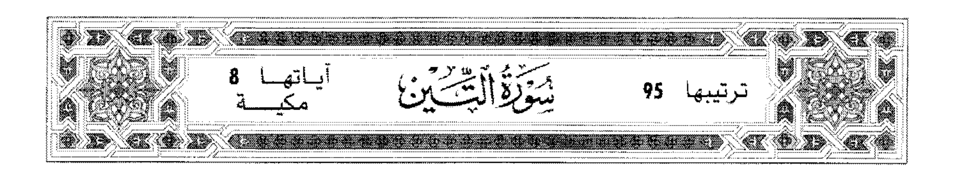
﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧﴾

﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾ من التبليغ في دورة النور ونوبة الجمال والظهور ﴿فَٱنصَبۡ﴾ [الشّرح: 7] في كورة الظلال وتدبير الجلال لأجزاء الأحكام ضمنًا.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨﴾

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ في الرتبة الجمعية والمرتبة الإحاطية والهيئة الكلية ﴿فَٱرۡغَب﴾ [الشّرح: 8] واعمد ومل واقصد إذ الإقرار لليسر الدائر والرغب السائر إلا من الكمال الجمعي والجمع الكمالي إذ فيه دور في عين الوقوف وسير في نفس العكوف، وسكون في عين الطرف. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الانشراح) فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني**» صدق رسول الله ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي زين ملكوت أرباب الفكر والنظر بعين القوة النظرية وعين لاكتساب الكمالات النفسية ليرتقي في مدارج حضائر القدس زيتون القوة العملية التي باطنها صعب وظاهرها لين نافع ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي جعل الطور القلبي طور المباحات ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى حضيض طبيعة أسفل السافلين ليصعد إلى أوج أعلى عليين.

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾

إشارة إلى الأدوار الأربعة النورية الوجودية الجمالية وهي: العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، وإلى أربابها وهي: العلم والحياة والقدرة والإرادة، صرف كل منها إلى ما يناسبها ويقاربها وإلى مراتب النفس وهي: الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة إلى مدارك العقل ومجاليه وهي: الهيولانية والملكة والمستفاد والعقل.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ وهو الحيوان الناطق بأن رتب له أجزاءه الأولية وهي الاسطقسات الأربع، وركبناها ومزجنا كلًّا منها إلى الآخر لتتعادل كمًّا وكيفًا، وحصل الفعل والانفعال والانكسار أمر وحداني ونعت جسماني وهو المزاج، ثم فاض الروح على المزاج والبدن وحصل من اجتماع الروح والبدن صورة جمعية أخرى وكيفية وحدانية أخرى ليست بجسم ولا نفس ولا روح ولا بدن بل أمر آخر

وهو المسمى ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: 4] وهو كالزيتون الذي يشار به إلى الاستعداد الذاتي والقابل الأولي ليست من فرق عالم الأرواح ولا من غير عالم الأجسام، والبدل والأشباح والتقويم في الأصل يصير الشيء على ما ينبغي أن يكون في التأليف والتكميل والاعتدال والتعديل فقال: قوّمت العدد فاستقام وتقوّم، وذلك لأن الروح الإلٰهي والأمر الرباني تنزل من عالم القدس وحضائر الإنس إلى عالم التركيب والتطهير أولًا بصورة المعدنيات ثم يرتقي إلى عالم النبات ومنه إلى عالم الحيوان مندرجًا في الحسن والبهاء إلى أن يبلغ في أفق عالم الإنسان، فكلما يزداد التركيب والاستحالة والامتزاج يزداد في المركب حسن وجمال إلى أن يحصل عدل المزاج وهو المزاج الإنساني، فحينئذ يتعلق به أفضل روح وأكمل نفس ويظهر في أحسن صورة وأبهى هيئة وأبين بنية بحيث يستغرق دقائق الحسن وحقائق الجمال ويحصر حكم سلطان العشق والمحبة ولا يتعلق بغيره.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥﴾

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥﴾ [التين: 5] في عالم الكورة والفساد في مدارج الأدوار ومدامج الأطوار والأكوار إلى نهاية التنزلات وغاية الدرجات ولم يبلغ إلى كمال الحقيقة أسفل سافلين وغاية مراتب أعيان الأولين والآخرين.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في مراتب جمعية الأدوار والأكوار الإفرادية فإن فيها تمام الأعيان والأكوان ومراتبها متساوية الأقدام لا يكون فيها علوٌّ ولا سفلٌ ولا أوج ولا حض وغير ذلك من الأعيان المتقابلة والأكوان المتباينة فإنها بأسرها قد ارتفعت خصوصيتها المتضادة فاتصفت كلها بصيغ الكلية ونعت الجمعية ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في جمعية الأكوار الظلية بأن توافقت مقتضيات الأدوار بمرتضيات الأكوار وتطابقتا بأن توافقت نسبة المولود الجمالي الإنسي بالمولود الجلالي الجني وحصل منهما مولود جمعي ومحدود وضعي كلي وجزئي ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [التين: 6] مقطوع ولا مختلف بأن كان منصوبًا ومرفوعًا إشارة إلى الجمعية الكبرى وهي جمعيته بين الجمعية النورية الوجودية والجمعية الظلية العدمية وهي الجمعية الإلٰهية والكونية والربوبية والعبودية الوجودية والعدمية «**خلق الله آدم على صورته**».

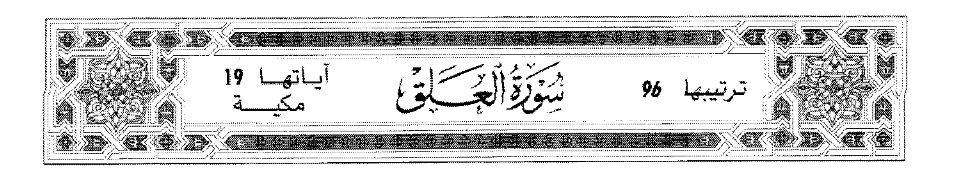
﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أي ما بقي في هذه الحالة أمر واحد يخالفك ويكذبك أحد، فالخطاب إما لمحمد أو لكل واحد وصل في هذه الجمعية وتلك الحالية المعية والهيئة الكلية من الأصلية والفرعية في التدريجية والدفعية، ففاعل (يكذبك) إما راجع إلى أحد مقدر ومصدره، أي بما وقع التكذيب من الخلق أصلًا لانتفاء المخالفة واختفاء المباينة ﴿بَعْدُ﴾ التطابق وكمال التوافق ﴿بِٱلدِّينِ﴾ [التِّين: 7] الإلٰهي واليقين التام الكامل الجمعي.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ﴾ الجامع لتمام مقتضيات الأدوار الإلٰهية ومرتضيات الأكوار الكونية الإفرادية والأطوار الجمعية والأسرار المعية ﴿بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التِّين: 8] انحصر الحكم عليه وانقصر القضاء لديه. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (والتين) أعطاه الله العافية واليقين ما دام حيًّا فإذا مات أعطاه الأجر بعدد من قرأ هذه السورة**».

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي علق خلق الإنسان باستحالة النطفة بالعلق والمضغة وبفيضان النفس الناطقة على وحدة المزاج ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي أنزل الوحي بالأمر بالقراءة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي جعل كثرة السجدة وقلة الاقتراب ووسيلة القربة ولغى الشك والارتياب.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾

﴿ٱقۡرَأۡ﴾ في بداية الأدوار ونهاية الأكوار القرآن المخصوص لكل دورة مفتتحًا ومصدرًا ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ الجامع لتمام المقتضيات وجميع المرتضيات ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العَلق: 1] حقيقة الإنسان في بداية كل دورة ثم خلق الأشياء بعد ذلك.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العَلق: 2] في نهاية كل دورة أولًا من كمال القدرة القابلية التي هي بعينها تمام فاعلية الفاعل فحينئذ يكفي في ظهور آدم اجتماع القوى القابلية ولا يحتاج إلى الازدواج الذكر والأنثى فيتولد حواء من آدم لانتفاء تلك القوة الكاملة قابلًا وفاعلًا احتاج التوالد والتولُّد إلى ازدواج الذكر بالأنثى وإلى النطفة واستحالتها أولًا إلى العلقة ثم إلى المضغة، فذكر العلقة لكونها واسطة بين النطفة والمضغة، قد أغنى عن النطفة والمضغة، اقرأ لدى الانتقال من

الدورة النورية الجمالية الصريحة إلى الكورة الظلية الجلالية ومن الدورة النورية إلى الدورة الجمعية الكورية الإفرادية أو الجمعية الجمعية.

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العَلق: 3] الزائد على كل كريم في الكرم وهو ربّ الدورة العظمى الجمعية، وإنه النعيم بلا غرض ويحكم من غير مخوف، بل هو الكريم المطلق والجواد الفياض المحقق المتساوي بالنسبة إلى كل الأكوار الأربعة والأدوار الأربعة الإفرادية وجمعية الجمعية الذي عَلَّم بالخط والتصوير الجمالي والجلالي.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ [العَلق: 4] الأعلى والقلم المقدم العلي.

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾

﴿عَلَّمَ﴾ حقيقة ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ في بداية كل دورة وفاتحة إفرادية وجمعية ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلق: 5] أي أمورًا ما كانت في الأدوار السابقة والأكوار الشاهقة إذ كل دورة لاحقة تشتمل على علوم متضاعفة وإدراكات متقاطعة وأحوال ومقامات متناسقة، فإن الإدراكات المركبة والتصديقات المترتبة قد ظهرت في الفطرة الأولى والنشأة العليا في بداية الدورة العظمى تصور الإدراك البسيط الفطري والتصور الضروري وفي سائر الأدوار الباقية، أعني الكبرى والوسطى والصغرى، تظهر الأعيان المركبة والمعالي المرتبة التي كانت تظهر بصور البسائط والمفردات وتختفي فيها هيئات المركبات.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع ونفي ومنع لمن كفى بنعم الله وجهل بها بانتفاء المقتضي له ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العَلق: 6] يصير طاغيًا وضالًّا وباغيًا.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العَلق: 7] أي رأى غنيًّا مستغنيًا غير محتاج إلى ربّه بل

يدّعي الربوبية كفرعون ونمرود ودادیان الذي دعى جرجيس النبي الذي هو من حواريي عيسى عليهما السلام وقتله سبع مرات بطرق مختلفة، فـ(استغنى) مفعول ثاني لأنه بمعنى علم من أفعال القلوب ويقتضي مفعولين يجوز أن تكون النفس الواحدة فاعلًا ومفعولًا، متميزًا أحدهما عن الآخر بالاعتبار ونحو رأيتني ووجدتني وعلمتني، وذلك من خصائص أفعال القلوب. وإنما سمى النفس الإنسانية طاغية لتجاوزها عن الحد بكونها فاعلة ومفعولة وذلك من لوازم النعت الجمعي والوصف الكل المعي (أن) في ﴿أَن رَّءَاهُ﴾ للتفسير.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العَلق: 8] الخطاب للإنسان للالتفات تهديدًا وتخويفًا وتشديدًا من عاقبة الطغيان و(الرجعى) مصدر كالبشرى.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾ [العَلق: الآيتان 9، 10] نزلت لأبي جهل قال: لو رأيت محمدًا ساجدًا لوطئت عنقه، فجاءه ثم نكص على عقبيه فقال: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه خندقًا من النار وهولًا وأجنحة وتنكير لفظ العبد لفظ للمبالغة في القبح والنهي والدلالة على كمال عبودية المنهي عنه.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [العَلق: 11] الضمير راجع إلى أبي جهل خطاب إلى كل من يستحق أن يخاطب، أي أخبر عمن نهى بعض عباده عن ضلالته إن كان ذلك الناهي على طريقة شديدة فيما ينهى من عبادة الله إذا كان.

﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾

﴿أَوْ أَمَرَ﴾ بالمعروف ﴿بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ [العَلق: 12] فيما يأمر عن عبادة الأوثان كما يعتقد.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أبو جهل ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [العَلق: 13] وأعرض عن الحق إن كان

على التكذيب للحق التولي عن الدين الصحيح فما أقول.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ ويطلع على أحواله من هداية وضلالة، استفهام على سبيل الإنكار، يعني أليس يعلم أبو جهل بأن الله يطلع على جميع أحواله لكن يصلح ويعلم بأن الله يعلم بتمام أحواله وغيره إلا أنه ينكر عنادًا واستنكارًا. وقيل المعنى: أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى، خطاب الرسول على سبيل التعجب ووجه التعجب أنه عليه السلام قال: «**اللهم أعزّ الإسلام إما بأبي جهل بن هشام أو بعمر**»، فكأنه تعالى يقول: كيف تظن به، هذا للعبد وهو ينهى العبد عن خدمة ربّه أو اتصف بالحكمة من يمنع عن طاعة الرحمان ويسجد للأوثان وأن ذلك الأحمق يأمر وينهى ويعتقد أنه يجب طاعة من ليس بخالق ولا رب ثم أنه ينهى عن طاعة الله الربّ الخالق المميت المحيي الرزاق، وليس هذا إلا غاية الحماقة ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العَلق: 14] ويطلع على جميع أحواله وعلى جميع الممكنات.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع للناهي عن الصلاة والآمر بالسجود للجمادات والموجودات الحسيّة ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ ويتمنع ويمتنع ويتجنب عما هو فيه ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العَلق: 15] أي ليأخذون بناصيته وليسحبنه إلى النار، والنسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة. قرأ: لنسفعن بالنون المشددة وكتبها في المصحف بالألف على حكم الوقفة لام (الناصية) عوض المضاف إليه أي ناصية الشخص المذكور.

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [العَلق: 16] بدل من الناصية وإنما جاز لوصفها، وقرأ بالرفع على أنها خبر هي والنصب على الذم.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [العَلق: 17] أي يطلب أهل ناديه وهو المجلس الذي يبتدئ به القوم. روي أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ فقال: أتهديني وأنا أكبر أهل الوادي؟ فوالله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت جبلًا جردًا رجالًا مردًا.

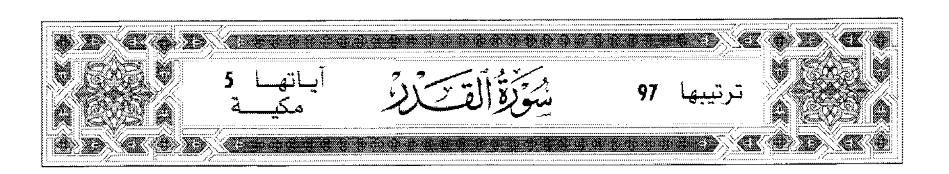
﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [العَلق: 18] قال النبي ﷺ: «**لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانًا**».

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ ردع أيضًا للناهي، أي لا تطع الناهي ولا تطاوعه ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العَلق: 19] فكثرة السجود ليتقرب إلى الله الربّ عالم الشهادة والغيب، قال الله تعالى: يا أحمد هل تعلم بأي وقت يتقرب إليَّ العبد؟ قال: لا يا رب، قال: إذا كان جائعًا أو ساجدًا، قال النبي ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد إذا سجد**».
عن رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة (العلق) أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصّل كله**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل ليلة القدر لعلو قدرها سارية في جميع الليالي ليعم آثار أنوارها في كل الليالي ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي جعل شرف قدرها موازيًا لألف ليال ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي نزل الملائكة والأرواح العلية من سعة فضاء عالم القدس إلى هواء مراتب الحسن إلى أن يطلع فجر ليلة فردارية دورة الجلال لاختفائها نوبة تدبير الجمال.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: 1] علم الليلة مخصوصة لها شرف عميم وقدر عظيم على سائر الليالي والعلم هو المجموع مثل شهر رمضان ابتداء إنزاله إنما يكون في هذه الليلة وباقيه في شهر رمضان لأن البعث كان في شهر رمضان. عن ابن عباس: نزلت دفعة ليلة القدر إلى سماء الدنيا ثم إلى الأرض بأن كان جبرائيل نزله على النبي ﷺ نجومًا في ثلاث وعشرين سنة. وقيل: المعنى أنزلناه في فضلها وهي أوتار العشر الآخر من رمضان والغرض من إخفائها في الليالي إحياؤها كلها. وإنما سميت بها لشرفها أو لتقدير الأمور في تلك السنة من المطر والرزق والحوادث الزمانية ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدّخان: 4].

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ [القدر: 2] إشعار إلى كمال شرفها بأن كل أحد لا يطلع على حقيقتها وشرفها إلا من أطلعه الله.

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ [القدر: 3] روي أن رسول الله ﷺ ذكر أن رجلًا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فتعجب المؤمنون منه وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يكونوا عابدين من أولئك العباد. قيل: إن رسول الله ﷺ رأى أن الخنازير يصعدون إلى المنابر، فأخبر جبرائيل فقال: سيأتي زمان يصعد بنو مروان على المنابر ويلعنون على أهل بيتك ألف شهر، فاغتم ﷺ، فجاء جبرائيل فبشره بأن الله تبارك وتعالى أعطاك ليلة وهي ليلة القدر يكون شرفها وثواب العمل فيها موازيًا لألف شهر، ويكون خيرًا منها. قد ذكر في كتب التواريخ أن معاوية بعد قتل علي بن أبي طالب وانتقال الدولة إلى ابنه اليزيد أمر الخطباء ليكون اللعن في المنابر في يوم الجمعة على خمسة نفر وهم: علي وابناه حسن وحسين وعبد الله بن عباس ومالك بن أزاد. وروي أن الإمارة لما بلغت إلى عمر بن عبد العزيز من بني مروان رفع اللعن، وبعد وفاته عادت اللعنة إلى ألف شهر، فلما انتقلت الدولة إلى بني عباس أمروا أن يرفع اللعن ويذكر في مواضعهم الخلفاء الراشدين أبا بكر وعمر وعثمان وعلي والحمزة والعباس بالرضوان رضوان الله عليهم أجمعين.

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤﴾

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ وأمره وإرادته ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ [القدر: 4] من أجل كل أمر، يعني أن كل واحد منهم إنما نزل لهم أجر ولهم أشغال كثيرة، فبعضهم بالركوع وبعضهم بالسجود وبعضهم بالدعاء وبعضهم بالتفكر والتعليم ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧﴾ [النّجم: 5 ـ 7]، وبعضهم بإبلاغ الوحي، وبعضهم لإدراك فضيلة الليلة والتسليم والصلاة على المؤمنين، وبعضهم خصص الأمر بكل ما قدر في تلك السنة خيرًا

وشرًّا، نفعًا وضرًّا، وفيه إشارة إلى أن نزولهم إنما كان عبادة، فكأنهم قالوا: إنا نزلنا إلى الأرض لأجل كل أمر فيه مصلحة المكلفين وعم لفظ، فإن قيل: أليس قد تقرر أن في منتصف شعبان ومن ليلة البراءة تقسيم الآجال والأرزاق وسائر الأحوال الجارية في تلك السنة؟ أجيب بأن ما روي عن النبي ﷺ أن الله يقدر المقدار في ليلة البراءة فإذا كان ليلة القدر يسلمها إلى أربابها، قيل: تقدر ليلة البراءة بالآجال والأرزاق وليلة القدر تقدر الأمور التي فيها الخير والبركة والسلامة. قيل: يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به إعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين، وأما ليلة البراءة فيكتب فيها أسماء من يموت.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: 5] أي الصبح الصادق أي تنزل خير وسلامة محضة قد قدره الله في تلك الليلة بخلاف سائر الليالي، فإن الخيرات مشوبة بالسرور وذلك لكثرة ما يسلمون في تلك الليلة ملائكة الأرواح النازلة على المؤمنين ثابت الضمير باعتبار أنه اسم الجنة أو بتقدير المضاف نحو: دار السلام، هذا ما قال في التفسير الكبير للرازي.

والذي أفاض الله على أن (سلام) خبر مبتدأ محذوف، يعني أن ما ينزل والروح بها هي سلام ورحمة من الله ودعاء للمؤمنين تدوم، وذلك الدعاء ونزول الرحمة إلى طلوع الفجر. قال الرسول ﷺ: «**من قرأ سورة (القدر) أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر**».

في علامات ليلة القدر:

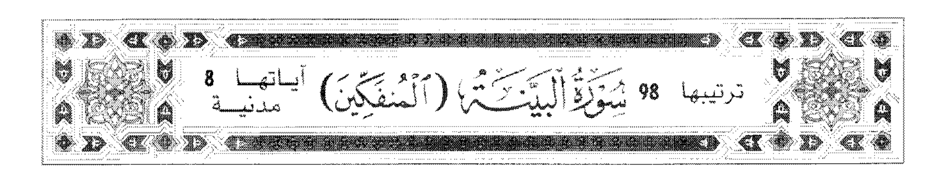
قال النبي ﷺ: «**إنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة، تطلع الشمس صبيحتها ليس بها شعاع**». قال عبيد بن عمر: كنت ليلة السابع والعشرين في البحر فأخذت من مائه فوجدته عذبًا سلسالًا.

وفي فضائل ليلة القدر وخواصها:

قال النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (القدر) ليلة القدر غفر له ما تقدم من ذنبه**». وقال أيضًا: «**إن الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا ينفذ فيها**

سحر ساحر، وإذا كان في ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى وفيهم جبرائيل، فنزل جبرائيل معه ألوية، لواء فيها على قبري، ولواء على بيت المقدس، ولواء في المسجد الحرام، ولواء في طور سيناء، ولا يدع فيها مؤمن ولا مؤمنة إلا سلم لأحد من الخمر وينتهي بأن غفرت له».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي ما كان أهل الكتاب المشركين المنفكين عن دينهم الأصلي ولا عن معتقدهم الأولي حتى جاءهم من الله رسول يتلو عليهم كتاب الله والصحف من عند الله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أرشدهم إلى الجنات وهداهم إلى شهود تجلياته ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي سماهم ورفيع الدرجات ومنبع المشاهدات وهي جمعية الجنات وكليات التجليات.

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من الأعراب وغيرهم من عبدة الأوثان، وأما الأولان فلإلحادهما في صفات الله وأسمائه الذاتية ﴿مُنفَكِّينَ﴾ منصرفين عما كانوا عليه من دينهم، أو مما كانوا في كتابهم من أحوال الأشياء سيما محمد ﷺ فإنه كان في التوراة والإنجيل وسائر الصحف بأن محمد ﷺ سيظهر ويحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، فعليكم أن تتابعوه وتنصروه في إظهار الدين الحق، وكذا كان في مجيء عيسى عليه السلام وبعثه ووجوب اتباعه، فإذا جاء كفروا عيسى ومحمدًا، وكذا النصارى كفروا. وقد كان عيسى أخبر بني إسرائيل وأمته من بعث محمد حيث قال: يا بني إسرائيل إني

رسول الله إليكم مصدق لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا: هذا سحر مبين، فانحرفوا عن التوراة والإنجيل ونبذوا قول عيسى وراء ظهورهم وكذبوا بمحمد ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البَيِّنَة: 1] الكتاب والرسول فإن كلًّا منهما يبين الحق والمعجزات للرسول وهي مصدر بمعنى الفاعل.

﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢﴾

﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إما بدل من البينة أو بيان لها ﴿يَتۡلُواْ﴾ ويقرأ ﴿صُحُفٗا﴾ كتبًا ﴿مُّطَهَّرَةٗ﴾ [البَيِّنَة: 2] من الأباطيل والأكاذيب، والجملة الفعلية إما صفة الرسول أو خبره، والرسول إن كان أميًّا إلا أنه لما تلا وقرأ أو تابع أمرًا كان في الصحف كالتالي لها.

وقيل: أمر جبرائيل وكون الصحف مطهرة من التغير والتبديل فإنها طاهرة في نفسها مطهرة لا يمسها إلا المطهرون. قوله: ﴿مُنفَكِّينَ﴾ [البَيِّنَة: 1] مفارقين من الكفر والشرك إلى أن يأتيهم محمد، فإن عبدة الأصنام وجدوا أو سمعوا من أهل المصحف أن محمدًا سيظهر ويمنع الكفار من عبادة الأصنام والأوثان وغيرها من الكواكب والملائكة والإنسان، فقالوا للأنبياء الذين دعوهم إلى التوحيد والإسلام: نحن نترقب محمد فنؤمن به ونسلم ونطيع بدينه.

﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣﴾

﴿فِيهَا﴾ أي في الصحف ﴿كُتُبٞ﴾ أي مكتوبات فيها حوادث العالم ووقائعها ﴿قَيِّمَةٞ﴾ [البَيِّنَة: 3] مستقيمة ناطقة بالحق.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤﴾

﴿وَمَا تَفَرَّقَ﴾ الأئمة والأعيان ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ والصحف التي وجدوا فيها نعت محمد وأحوال أمته وأصول دينه وفروعه وكانوا متفقين على ما كانوا عليه ووجدوا في كتبهم مصرين على حقيقته ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البَيِّنَة: 4] أي محمد وكتابه وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا

كـفـروا بـه ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البَقَرَة: 146].

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ والحال أن كلهم ما أُمروا ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده لا شريك له لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأسماء ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البَيِّنَة: 5] حال كونهم مائلين عن العقائد الزائفة والقواعد الباطلة الزائغة ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة وغيرها من التطوعات والنوافل والفائتة بشرائطها وأركانها وأبعاضها وهيئاتها وسننها ﴿وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ﴾ والصدقة المفروضة لكنهم حرفوا كتابهم وغيروا لغته وما فيه من أحواله وأحوال أمته ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الأمر الذي كتبه الله عليهم وأمرهم بالعمل به مطابقًا لدينه هو ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البَيِّنَة: 5] المستقيمة الحقة القويمة المصونة عن التبدل والتغير.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بمحمد ودينه وبكل ما جاء به وهم ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ﴾ عطف على أهل ﴿جَهَنَّمَ﴾ جزاءً لكفرهم وشركهم، فإن نار الكفر والشرك التي كانت في قلوبهم كانت في قلوبهم مكتوبة فبالمناسبة ينجذب إلى الأصل وهو النار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ﴾ [البَيِّنَة: 6] إلى أن زالت ظلمة الكفر والشرك عنهم ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر: 53]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الكافرون الظالمون ﴿هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البَيِّنَة: 6] الخاسرة والخاسئة.

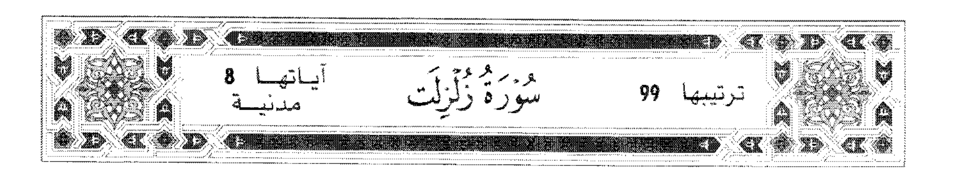
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من أهل المؤمنين بالله وبما جاء به ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البَيِّنَة: 7] وأشرف الأمة.

﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾

﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ استئناف ﴿ذَٰلِكَ﴾ [البَيِّنَة: 8] الأمر المذكور والوعد المزبور ﴿لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البَيِّنَة: 8] فإن الأمر الإلٰهي والحكم الرباني إنما يترتب على الخوف والخشية والحرية. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كان يوم القيامة مع خير البرية مساءً ومقيلًا**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل نهاية كل دورة زلزلة وزلزالًا تتبعها نفخة أولية وثانية ثم تقوم قيامة وتظهر ساعة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أخرج عن العرصة الإلهية وهي الأرض الجلالية التي قيامها انتقال أعيان الأدوار النورية بأحوالها وأطوارها وأثقالها ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أعاد إلى ما كانت عليها عائدين وما فيها من الجنات والتجليات والدركات اجتنبوا إياها واكتسبوها في الأدوار النورية الصريحة والأكوار الظلية الضمنية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزّلزَلة: 7، 8].

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزّلزلَة: 1] أي الأرض التي اختزنت واكتنزت فيها الكثرات بأنواعها والممكنات بتمام أطوارها وأسرارها ومنافعها ومضارها بعمومها ومسارها، وذلك عند انتقال دورة فردارية تربية الدورة النورية الوجودية الجمالية إلى الكورة الظلية والعدمية والجلالية، إفرادية كانت أو جمعية وبالعكس، فعند انتقال كل دورة إلى دورة زلزلة وزلزالًا قبل النفخة الأولى وهو من أشراط الساعة وقيام القيامة.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزّلزلَة: 2] الجمالية لدى انتقال سلطنة القوة الفاعلية إلى

القوة المفعولية ليصير القابل فاعلًا والفاعل قابلًا، والجمال جمالًا، والجلال جلالًا، والدنيا آخرة، والآخرة دنيا، والنبوة ولاية، والولاية نبوة، والظاهر باطنًا، والباطن ظاهرًا، أو تبدلت الناسوت لاهوتًا، واللاهوت ناسوتًا وجبروتًا، والجبروت ملكوتًا، والملكوت برزخًا، والبرزخ ملكًا، والملك ناسوتًا، وهكذا لدى انتقال الفردارية من دورة إلى دورة ومن كورة إلى كورة ومن الدورة إلى الكورة ومن الكورة إلى الدورة بتبدل أطوار مقتضيات دورة الجمال إلى مرتضيات الأكوار، وهكذا تتبدل أطوار الأدوار والأكوار إلى أن تصل لجمعية الجمعية، فحينئذ يرتفع التبدل والنمو والانتقال لاستواء الكل بالنسبة إليها ونسبتها إليه فحينئذ لا يتبدل، والانتقال والحركة عين الدوام والثبات، وتكون الحركة عين السكون، والسكون نفس الحركة، والظاهر عين الباطن، والباطن عين الظاهر، والدنيا عين الآخرة، والآخرة عين الدنيا، وهكذا تتحد جميع التباينات وتمام المتخالفات كما اتحدت في الجمعية الأحدية والأحدية الجمعية وتعاقبت الأطراف فيها على وجه لا يتحدان اتحادًا حقيقيًّا ولا يختلفان اختلافًا فاحشًا بما كانتا في الأدوار الإفرادية تتراءى تبعًا بحيث لا يحجب إحديهما الأخرى ولا ينقدح إحديهما بالأخرى، كما نرى الوحدة والكثرة معًا لا تقدح الوحدة الكثرة ولا تحجب الكثرة الوحدة، بل يشاهد الوحدة عين الكثرة والكثرة عين الوحدة ﴿أَثْقَالَهَا﴾ [الزّلزلَة: 2] وإنما أسند الفعل إلى القابل وهو الأرض إشارة إلى أن كمال الفاعلية هو بعينه تمام قابلية القابل، يعني أن الأعيان الإفرادية والأعيان الجمعية التي كانت مكمونة في الأرض الإلٰهية التي كانت برزخًا بين الأنانية الذاتية والإنية العينية التي أشار إليها بقوله: «**لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن**»، قد أخرجتها عن الأرض الإلٰهية، الاستعداد القوة القابلية، التي كانت القوة الفاعلية عليها والذات جامعة لهما، وكلما كان مندرجًا تحتهما من المفهومات المتقابلة ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الجامع للذات بتمام الأسماء والصفات، الدائر في النشآت، والسر الإلٰهي السائر في مجامع الشؤونات ﴿مَا لَهَا﴾ [الزّلزلَة: 3] أي شيء حدث

لتلك الأرض حتى انتقلت من القابلية والفاعلية وصار الفاعل بها عين القابل والقابل نفس الفاعل.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الأرض وتتكلم بما فعل الإنسان عليها ﴿أَخْبَارَهَا﴾ [الزّلزلَة: 4] من مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار الإفرادية والجمعية.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزّلزلَة: 5] واعلم أن ما جرى منه في نشآت أدوارها وشؤونات أكوارها لها، فتقول الأرض بإعلام الله ووحيه وتقديره ويشهد للمؤمنين بأنهم أطاعوا الله وعبدوه ووحدوه وتولوا عن المشركين وغير ذلك من صنوف العبادات وصنوف الطاعات.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ عن مقابرهم وأجداثهم ومواضع مضاجعهم ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقة منتشرة ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الزّلزلَة: 6] أي صورة أعمالهم التي تمثلت وتجسدت بهما كما قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس على صور أعمالهم**».

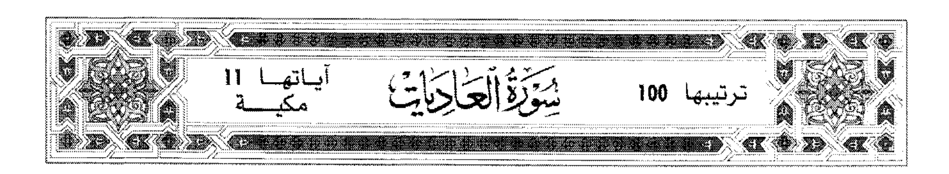
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزّلزلَة: 7] مطابقًا لمرتضاها وموافقًا لمقتضاها لدى الجمل والجمال ومطاوعته له.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي مقدار شيء في الغاية ﴿شَرًّا﴾ كقبضة المولود الجني عند مخالفته للمولود الإنسي وخروجه عن حيز إطاعته وموضع مطاوعته ﴿يَرَهُۥ﴾ [الزّلزلَة: 8] في الدنيا والآخرة كما قيل: الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي فضل المجاهدين وفضل السالكين المرتاضين راكبين على أعيان النفوس المطمئنة يصبح ويصوت صبحًا ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي خلق الإنسان كنودًا وفي سبيل الله وجهاده ساعيًا وكدودًا أو كافرًا وكنودًا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي هو عالم بالقلوب والصدور وقادر على بعث ما في القبور.

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾﴾

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العَاديَات: 1] جمع عادية من العدو وهو السرعة في الحركة والمشي صفة موصوفها محذوف، أي الفرس العادية والخيل التي تسرع في المشي، والضبح هو صوت أنفاس الخيل عند العدو وليس بصهيل ولا جمجمة ولكنه صوت نفس، وهي خيول الغزاة.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾﴾

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾ أي الخيول التي يظهر من حوافرها إذا عدت وتسارعت على الحجارة، أو على الأرض، أو على الأرض الحجارية كما يظهر من الزند والقدح ﴿قَدْحًا﴾ [العَاديَات: 2] فتحًا وكسرًا، نصبه بالمقدر يقدح قدحًا، والجملة حال من فاعل الموريات.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾﴾

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العَاديَات: 3] من الإغارة وهي سرعة السير وإيقاع الشخص

في الغيرة، يعني خيول الغزاة يغير فرسانها وأهلها على العدو وفي وقت الصبح، فالعاديات على ما روي عن علي وابن مسعود وسعيد بن جبير وابن عباس: هي الإبل ساعية من عرفة إلى مزدلفة، ومن المزدلفة إلى المنى، يعني إبل الحاج. ويعضد هذا الرأي ما روي في فضل السورة مرفوعًا: «**من قرأها أعطي من الأجر بعدد من يأتي بالمزدلفة**». وعلى هذا القول فالموريات مدخلة يعني الحوافر قد ترمى بالحجر من شدة العدو فيضرب به حجرًا آخر فيوري النار أو يكون المعنى الذين ركبوا الإبل وهم الحجيج إذا أوقدوا نيرانهم بالمزدلفة، فالمغيرات هي الإغارة سرعة السير وهم مدفعون صيحة يوم النحر مسرعين إلى منى.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [العَاديَات: 4] أي بهجن تلك الخيول بالعدو وبذلك المكان أو بذلك الوقت غبارًا أو صياحًا. قيل: النقع ما بين المزدلفة إلى منى.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ أي بذلك الوقت وبالعدو أو بالنقع أو فوسطن أي دخلن به أي بمكان العدو الذي دل عليه والعاديات. قال بعضهم: فوسطن به أي دخلن به وسطهم فقال: وسطت القوم أي دخلت وسطهم ﴿جَمْعًا﴾ [العَاديَات: 5] أي مزدلفة لأنها ليست الجمع لاجتماع الحاج بها.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ﴾ ومولى نعمه ﴿لَكَنُودٌ﴾ [العَاديَات: 6] أي كفور. يقال: كند النعمة إذا كفرها جواب القسم.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العَاديَات: 7] أي على كنود نفسه بشهيد يشهد به لأنه يرى النعمة ولا يرى المنعم فقد كفرها إذا ما أسند ما أضاف إليه. وقال بعضهم: استعمال نعم الله إلى المعاصي وصرفها إليها هو الكنود. قيل: هو الذي أسند النعم إلى نفسه لا إلى الله. قال فضيل بن العياض: هو الذي أكد الخصلة الواحدة من الأشياء الخصال الكثيرة من الإحسان والشكر هو الذي

أكد الخصلة الواحدة من الإحسان والخصال الكثيرة من الإساءة. والظاهر أن الكنود هو الذي وقع نظره على مساوئ الشخص ويسمي فضائله وإحسانه.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساوئا

قال النبي ﷺ: «**أتدرون ما الكنود؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: الكنود هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده. قال: هو قليل الخير**»، والأرض الكنود هي التي لا تنبت شيئًا. وبعضهم: الكنود هو الهلوع ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج: 20، 21]، والذي يشكر البر ولا يشكر الكثير أو هو الكنود أو الحسود.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العَاديَات: 8] حريص جدًّا قد نهى عن مشاهدة مضاره. قال النبي ﷺ: «**حب الشيء يعمي ويصم**».

﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ الإنسان ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ [العَاديَات: 9] وبعث ونشر وحشر ما في الأجداث ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [العَاديَات: 9] من المولى يوم القيامة.

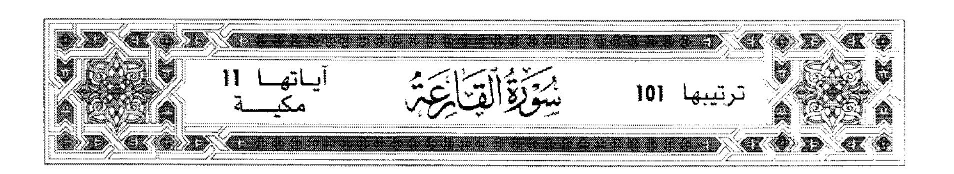
﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾

﴿وَحُصِّلَ﴾ ميز وأظهر وحقق ﴿مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [العَاديَات: 10] من صور الأعمال ودرر الأفعال ونتائجها وثمراتها، فإن ما في الصدور من الأفكار الصحيحة والأنظار الصريحة والأقوال الفصيحة كالأعمال الصالحة والأفعال الطالحة كلها صور متحدة وهيئات متباينة متجسمة وأمثال متقاربة من الحسن والقبح. قال النبي ﷺ: «**إنما أعمالكم تردّ عليكم**»، ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [البَقَرَة: 284] الآية. ففي المحشر الأولى والعظمى تمثيل جميع الأفعال وتمام الأحوال وعموم الأقوال بصور وأشكال وهيئات وأمثال، إن كانت الأعمال خيرًا فالصور حسنة بهية، وإن كانت شرًّا فالهيئات قبيحة مهيبة مهلكة يحشر الناس بها، وترى ذلك الهيئات عليهم.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة والمحشر العظمى ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ [العَاديَات: 11] عالم بتمام الأعمال والأفعال وصورها وأمثالها ونتائجها وأشكالها ظاهرًا وباطنًا سرًّا وعلانيةً. عن النبي ﷺ: «**من قرأ (والعاديات) أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من يأتي إلى المزدلفة وشهد جمعًا**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أظهر القارعة وأصدر الساعة في آخر أنواع الأدوار النورية الجمالية لدى انتقال نوبة التربية والتدبير من النور والجمال إلى الظل والجلال بأمره وحكمه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي دبر أفعال الناس وقدرها ووزنها بالميزان القويم والقسطاس المستقيم، فإن كانت حسنة ثقلت الموازين بها، وإن كانت سيئة خفت ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي جعل أصحاب الميزان الثقيل في عيشة راضية والخفيف في نار حامية ودار غير حامية.

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢﴾

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢﴾ [القَارعة: الآيتان 1، 2] أيُّ شيءٍ القارعة، وكيف تكون، ومتى تكون وتقع، ومن يوقعها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القَارعة: 3] القرع الضرب الشديد والاعتماد العتيد ثم نقلت إلى الحادثة العظيمة من حوادث الدهر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾ [الرّعد: 31] قارعة هي هنا اسم القيامة العظمى التي تظهر لدى انتقال الدورة النورية إلى دورة هي آخر أنواع الأدوار الفرعية من الدورة الصغرى النورية وذلك أن الله تعالى أظهر الصيحة الأولى التي

تذهب بالعقول ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزمر: 68]، وفي الثانية يموت الخلائق سوى إسرافيل ثم يميته الله تعالى ثم يحييه فينفخ الثانية فيقومون بأن يحيي الله كل جسد بتلك النفخة الواصلة إليه ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: 49]، فإنما هي زجرة واحدة.

واعلم أن الأجرام العلوية والسفلية تصطكان اصطكاكًا شديدًا عند تخريب العالم فلذلك سميت تلك القرعة بيوم القيامة، وقد تطلق القارعة على الفزع يفزع للأذان بالشدة والعنف والأهوال وهو الفزع الأكبر وذلك كانفطار السماء وانشقاقها وانشقاق ما فيها من الشمس والقمر، وكانتثار الكواكب ودك الجبال ونسفها وتسييرها وتسخير البحار وهيجها.

﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤﴾

﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾ نصبه بالعامل المحذوف أي ذكر أي اتّقِ واحذر زمان كون الناس ﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ [القَارعة: 4] وهي دويبة تدور حول السراج وتطرح نفسها عليها وتحترق.

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾

﴿وَتَكُونُ﴾ في ذلك اليوم ﴿ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾ الصوف الملون ﴿ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القَارعة: 5] المندوف المشتتة الأجزاء ومتفرقة المقدار والجزاء من هول ذلك اليوم واقترابه.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ [القَارعة: 6] ورجحت المقادير أعماله الحسنة المكتوبة في السجلات الموزونة والموضوعة في إحدى كفتي الميزان وسجلات السيئات في كفة أخرى فرجحت كفة الحسنات على كفة السيئات، وبالسيئات يكون بالعكس، تكون السيئات راجحة على كفة الحسنات لقلة الحسنات وكثرة السيئات وثقلها كمًّا وكيفًا. وأما ما قيل: الموزون هو البدن فغير ظاهر إذ البدن واحد لا يمكن أن يجعل في كفتين اللهم إلا أن يوزن مرتين إحديهما بالحسنات والأخرى بالسيئات، أو يجعل الله تعالى للشخص الواحد

بدنين أو أكثر كما حكي عن بعض المشايخ أنه في مجالس متعددة وأنه لم يقعد عن نبيه، وأن النبي ﷺ قد عرج في السماء ببدنه، والحال أن بدنه لم يفقد كما روي أنه والله ما فقد جسم محمد ﷺ.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨﴾

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨﴾ [القارعة: الآيتان 7، 8] من الحسنات والخيرات ومن حسن الطاعات والعبادات، وإنما اعتبر الثقل بالخيرات والحسنات وثواب الطاعات وحسن العبادات والعفة عن المعاصي والسيئات إذ الطاعات والعبادات والخيرات والحسنات إنما تصدر عن النفس إذا نزلت عن كرة طبيعة النار والهواء إلى الأرض واستولت طبقة الأرض وهي الثقل والرزانة والوقار والتمكن والمتانة والتذلل والخشوع والسفل والتواضع والحقارة والتضرع وتكون خالية عن خفة طبيعة النار والهواء واستقلالها وتكبرها.

فحق البشر أن تكون بمقتضى الهواء خفيفًا خاليًا عن مقتضى النار الغضبية ومرتضى الهواء الشهوية وعن جبروتهما وكبرهما وثقلًا تحقق أو تخلق أو تقلد بمقتضى الأرض وهو السفل والانخفاض والقبول والطمأنينة والوقار والخضوع والتذلل والتمكن والقرار، ولذا رأى السالك المبتدئ قيل: استبدال الأخلاق الذميمة واستبدال الأوصاف الرذيلة كالغضب والجور والتعظيم والجبروت والعلم والعظمة والاستعلاء والكفر أنه يعرج إلى السماء ويصعد إلى الهواء كان هذا الحال في حقه مذمومًا ودلالاته على أنه متصف بهذه الأوصاف الرديئة والبغيضة والتعظيم والاستعلاء والتغلب فلا بد على المرشد العارف بأطوار القلب ومقتضياته أن يأمره بتبديل هذه الأوصاف الرديئة وتعديل الأخلاق الدنية، وإذ أنه ينزل إلى الأرض يدل على حسن حاله وثباته ووقاره في السلوك والرياضة واطمأن وتمكن في مخالفة هواء النفس والمجاهدة.

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾

﴿فَأُمُّهُ﴾ أي مأواه ومصيره ﴿هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: 9] أي في جهنم، والسعير نار حامية تحرق أحشاءه وجوفه ليخف عن أثقال الكفر والعبث والجنوح وأعمال المعاصي والذنوب.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [القارعة: الآيتان 10، 11] فيه إشارة إلى أن محمدًا والأنبياء كلهم كانوا خالية عن العلوم والإدراكات كلها سيما الإدراكات المتعلقة بأحوال الآخرة وأعمال النبوة وأسرار الولاية. قيل: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: 110]، ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: 52].

وفائدة النار وإحراقها، ظهور نور القلب وتنوره عن ظلمة الشك والريب، واستخلاصه عن دركات عالم الطبيعة وملكات عالم الشهادة إلى عالم الغيب وغيب الغيب، إذ أنه يعود منه إلى عالم الشهادة ثانيًا وثالثًا ورابعًا إلى غير النهاية ليحصل إلى كمال الكلية بين المتخالفات وحقائق المتباينات من اللاهوت والناسوت وعالم الملك والجبروت، والأول والآخر والظاهر والباطن في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (القارعة) ثقَّل الله ميزانه يوم القيامة**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي ألهى النفس دون شهود التجليات الآثارية عن تدبر أحوال البدن كما يلهي القلب عن التصرف في كمال النفس وحالاتها عند شهود التجليات الجمعية والوفاء بما جرى في المعاهد الأزلية الأصلية والفرعية الحقيقية والشرعية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي ميز مرتبة علم اليقين عن رتبة عين اليقين ورتبة عين اليقين عن رتبة حق اليقين ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي حقق العارف بجمعية التجليات ومعية الحالات لجميع المقامات وعموم كمالات الذات والأسماء والصفات.

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التّكاثُر: 1] أي شغلكم كثرة الأموال والأولاد والعلوم والإدراكات والأحوال والحالات والمقامات وغير ذلك من الاعتبارات من ألهى يلهي إلهاءً وهو الشغل فقال: ألهاني فلان عن كذا إذ شغلني وصرفني.

والتكاثر والتفاخر في شغل القلب واحد لقوله تعالى: ﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ [الحَديد: 20]، والتفاخر إنما يكون بإثبات نوع من أنواع السعادات لنفسه.

وأجناس السعادات ثلاثة:

أحدها: في النفس.

والثانية: في البدن.

والثالثة: دائرة على البدن والنفس. أما النفسانية فهي العلوم والإدراكات والتقرب إلى الله، والحالات والمقامات والأخلاق المرضية والأوصاف الأكيدة الرضية، وإليهما الإشارة حكاية عن إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: 83] وهما التقاء الأيدي والسعادة السرمدية. وأما التي في البدن فهي الصحة والجمال والقدرة والقوة. وأما الثالثة التي تكون دائرة على النفس والبدن من خارج فقسمان، أحدهما: ضروري وهو المال والجاه، والآخر غير ضروري وهو الأقرباء والأصدقاء، فالحري بالعاقل أن يقدم الأهم فالأهم فيكون إلهامه أتم والانصراف إليه أولى وأقدم، والاشتغال به أعم وأثره وتأثيره أعم وأكرم وأدوم، نزلت في بني عبد شمس وبني عوف وبني عبد مناف حيث تفاخروا لكثرة أموالهم وقوة الجاه وكثرة الأتباع وقوة الأقرباء والأشياع، يعني شغلتكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والجاه والعرض وطلاقة اللسان وسلاسة الفاه وحسن ما صدر من الفاه والرياسة عن طاعة الله وعبادته.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: 2] أي مقابر البدن، فمن هلك بهذا الجهل فهو ميت وبدنه قبر لنفسه. قال علي كرَّم الله وجهه [نظم]:

والجهل قبلَ الموتِ موتٌ لأهلِهِ فأجسادُهُمْ قبلَ القُبُورِ قُبُورُ
وإنِ امْرؤٌ لَمْ يَحْيَ بالعِلْمِ مَيِّتٌ وليسَ لهُم حتَّى النُّشُور نُشُور

والبدن قبر للنفس حي لا يموت لأنها باقية ببقائه: «مت بالإرادة تحيا بالطبيعة». إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور إلى أن متم ورفعتم إلى المقابر ودفنتم فيها وزرتم إياها.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [التكاثر: 3] ردع وتنبيه على أن الغافل المسترشد ينبغي أن لا يغفل وأن لا يتلهَّى بسبب حطام الدنيا ولذاتها والميل إليها وشهواتها عن مبدئه ومعاده وأن لا يشتغل بما لا بقاء له، فإن أوله غناء وآخره فناء وثمراتها وبال ونكال وغصة وغوال، وأن لا يغفل أن الدنيا وما فيها لا عاقبة لها، وأنها بلاء في بلاء وعناء في عناء في آخر الدورة النورية.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝﴾

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝﴾ [التّكاثُر: الآيتان 4، 5] في آخر الدورة الظلية الإفرادية ثم بعد نشأة الدورة الأولى والكورة الأخرى، فلو تعلمون دنيا الدورة الأولى النورية وآخرتها بطريق علم اليقين بالنظر والاستدلال فلم يبق فيكم ريب ولا شك ولا ارتياب في الطور العالي والطور النفسي والطور القلبي بتبدل علم اليقين بعين اليقين كما تبدل وانتقل من الفطرة الأولى من العلم إلى العين لانطباق النشأتين وما بينهما، وتحصل له دورة وحركة ونوع سر وطور في الأدوار وشاهد في كل دورة دنياتها وما فيها من الأفلاك والعقول والنفوس والأملاك والعناصر والمركبات إلى غاية التنزلات ونهاية التعينات، وأجزائها ومدتها من الجذبات وطور التجليات حسب اقتضاء الاستعدادات القابليات والصراط والميزان وهما صورة خلق العدالة وهيئة لغة الوحدة المزاجية التي كانت مدار صحة البدن وحسن شجرة الأخلاق وثمراتها وأنوارها وجناتها وأنهارها والدركات وهي صورة نقائص وحدات العدالة ونقائص بينات الأخلاق الحميدة، فلا تستغرب، ولم تجعل هذه الأمور مستحيلة، فإن الأدوار والأكوار وما فيهما وأفرادًا من الأعيان والأكوان وما لها من الأطوار والأعمال ثابت في علم الله ودفائن قضائه وكنوز حكمه، فمنَّ بعلمه ووجوده في علم الله ووجوده فحينئذ علم بعلمه وبقي ببقائه ويتحرك ويدور في الأدوار والأكوار بقدرته وقوته وينصر بنصره ويسمع بسمعه ويعطي ويأخذ بعطائه وأخذه، ويتصرف بتصرفاته كما قال: «**لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يمشي، وبي يبطش، وبي ينطق**». وإذا استكمل مرتبة عين اليقين وإذا استكمل فيهما يرقى بمرتبة حق اليقين فحينئذ ينصرف في الكون جسمًا وشيكًا فتكون الأدوار والأكوار بما فيها ثابتة عنده، حاضرة دونه ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سَبَإ: 3].

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝﴾

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝﴾ [التّكاثُر: 6] في مرتبة علم اليقين.

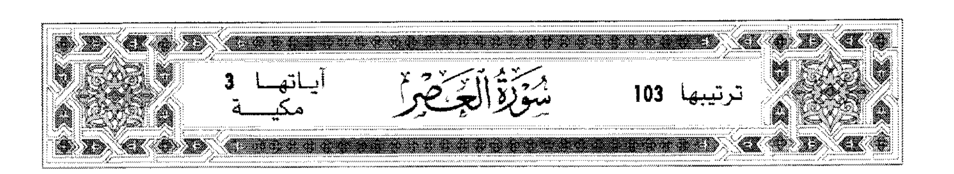
﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التّكاثُر: 7] فالأول في الطور القلبي وهو نهاية استكمال القوة النظرية وتركيبها، والثاني في الطور السري وهي نهاية استكمال القوة العملية وتعيينها وهي الشهود وفاتحة الكشف والمشاهدة والعيان في طور دور الوجود، ويسمى بالفؤاد وهو أحد وجهي القلب الذي يلي الروح والوجه الآخر الذي يلي النفس يسمى بالصدر.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التّكاثُر: 8] في نهاية الروحي والخفي بذاته الأدوار والأكوار نحن الآخرون السابقون. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (ألهاكم) لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي فضَّل صلاة العصر لكونها واسطة بين صلوات النهار والليل على سائر الصلوات وأمر بمحافظتها والمواظبة عليها بقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البَقَرَة: 238]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي عيَّن خلق الإنسان بعد عصر يوم الجمعة ولم يخلق أحدًا خلقًا آخر لا من المجردات ولا من الماديات ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي وفَّق الإنسان بكمال الأحيان ليختبر به ذلك الخسران.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العَصر: 1، 2] نظر إلى حقيقته التي هي نهاية التنزلات وغاية التعينات وأن كلًّا منهما بطبعه يخالف الآخر في الاقتضاء، فإذا اتبع الإنسان كلًّا منها وقع في الخسران لأن تقتضي حقيقته ليس ذلك إذ مقتضى ذاته وحقيقته الجامعة إنما هو مقتضى جمعية الكل، ولا يتأتى ذلك إلا لفرد كامل وشخص فاضلٍ اتصف بالإيمان والعمل الصالح.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العَصر: 3] بتوفيق الله وحسن هدايته وكمال قوته ووفور علمه وحكمته، فحقيقة الإيمان إنما تقع في بداية الأدوار، يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، والأعمال لما يتفرع ويخترع بعد الإيمان في نشأت الشؤونات

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٧٨ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعـراف: 178، 179] عن حقيقتهم الكلية وماهيتهم الجمعية الأصلية والفرعية، فإذًا خسروا خسرانًا مبينًا ووجدوا في نشأتهم نقصانًا متينًا.

واعلم أن لحقيقة الإنسان واستكمال ماهية الجمعية مراتب الجبروت والملكوت والبرزخ والملك والناسوت، وأن لكل منها فلكًا عقليًّا ونفسيًّا وروحيًّا وبرزخيًّا وجسمانيًّا يتحرك كل فلك منها حركة مناسبة تعادلها مقدارًا وامتدادًا، فامتداد حركة فلك العقل وهو الانتقال في المعقولات الصرفة والمجردات الطلقة تسمى بالوقت الذي يقع فيه التكوين الإبداعي «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**».

ومقدار حركة فلك الروح والحياة يسمى بالدهر، ومقدار حركة فلك النفس في البرزخ هو العصر، ومقدار امتداد حركة فلك عالم الملك والشهادة وهو عالم الأجسام يسمى بالزمان وهو مكيال الحوادث الزمانية تقدر هي بها، ولكل من هذه الامتدادات مدة معينة وبرهة بينة، فمقدار دورة فلك العقل ثلاثمائة وستون ألف سنة، ومدة دورة فلك العقل في مرتبة الواحدية عبارة عن ثلاثمائة وستون يومًا، ومقدار اليوم ثلاثمائة وستون ألف سنة من أيام ما دونها من الدورة والمرتبة، فإن مقدار يوم عالم الملكوت خمسون ألف سنة ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعَارج: 4].

وكذا مقدار دورة فلك الروح والحياة أيضًا ثلاثمائة وستون سنة، ومقدار السنة ثلاثمائة وستون يومًا، ومقدار يوم هذه الدورة ألف سنة من سنين مرتبة ما دونهما وهو البرزخ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحَجّ: 47]، وهكذا مدة دورة فلك النفس ومرتبتها البرزخ ثلاثمائة وستمائة يومًا كمدة دورة عالم الملك، إلا أن الفرق في مقدار اليوم، فمقدار يوم الملك أربعة وعشرون ساعة، ومقدار يوم البرزخ مائة سنة ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ﴾ [البَقَرَة: 259].

﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾ [العَصر: 3] أي وتحابوا دبر اعتوار أوصى بعضهم بعضًا وأرغب

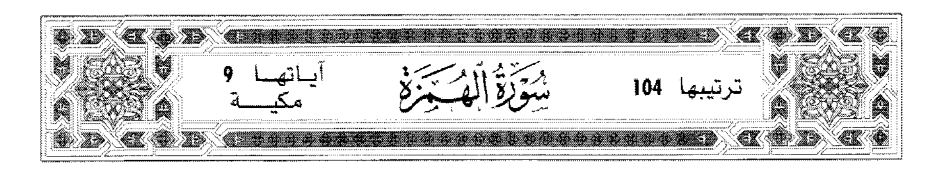
وحثّ بعضهم بعضًا ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي بالإيمان بالحق أي الثابت وبالتثبت عليه ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العَصر: 3] على طاعة الله وعبادته وتقاصر ما تقررنا وحققنا.

قرأ علي كرَّم الله وجهه: والعصر، ونوائب الدهر، إن الإنسان لفي خسر، وإنه فيه إلى آخر الدهر، قال بعضهم: الذين آمنوا هو أبو بكر، وعملوا الصالحات هو عمر، وتواصوا بالحق هو عثمان، وتواصوا بالصبر علي رضي الله عنهم.

قال جعفر الصادق: أقسم بفضله بأن الإنسان التارك للصلاة في الخسران والشقاوة والمؤمن هو الآمن أمن بالوفاء وعمل بالرضاء واستقام على الحق بنور التقوى وصبر في المكاره ولا ينظر إلى الدنيا. ثم قال: كمال الأحوال ينطق بالزوال إلا من يخصه الله تعالى ويصون به أربع خصال: النظر إلى المنعم بعين الإفضال، وإلى النفس بعين الإذلال، وإلى الدنيا بعين الإقلال، وإلى الخلق بعين الاحتمال، فحينئذ يصير مستقيمًا على الحق، صابرًا في محنته، صائرًا إلى كمال جمعية مودته بالتحقق بها».

تمَّت السورة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل ويل الحسرة والندامة فذلكة ومقدمة لتقاصي ثمرة شجرة الهمزة فاكهة الدوحة اللمزة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي جعل الأموال والنعم والتوجه إلى تحصيلها من غير التفات إلى منعمه ذريعة لعذاب دار الخلد ووسيلة لعقاب نار الأبد ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أوقد نار الله وهي نار الحسرة والندامة على أفئدتهم تخلصًا لها من صور الأعيان إلى مشاهدة لقاء الرحمان وضياء الديان وسناء ملح المنان.

﴿وَيۡلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾

﴿وَيۡلٌ﴾ لفظ الذم والسخط وهو كلمة كل مكروب أصله (وي) أوصلت إليه اللام لكثرة استعماله وهو جبل في جهنم، وتنكيره للتعظيم إشعارًا بأنه لا يعلمه إلا الله ولا يدرك كنهه إلا الله. وأما تعريفه في قوله: ﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ﴾ [الأنبيَاء: 18]، قد تقدم ذكره. وقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [القَلَم: 29] نزلت في الأخنس ابن شريف أو في وليد بن مغيرة أو في أمية بن خلف كانوا يغتابون النبي ﷺ ويطعنون مواجهته بكون اللفظ في الظاهر عامًّا، والمراد يكون شخصًا معينًا ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزَة: 1] الهمزة بالكسر كالهمز، واللمز الطعن، همزه ولمزه أي طعنه. قال ابن عباس: هم المشاؤون بالنميمة والمفرِّقون بين الأحبة. قال بعضهم: الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، واللمزة الطعان في

أنساب الناس، أو الذي يغتاب ويطعن على وجه الوجد إذا قيل: واللمز الذي يغتابه من خلفه إذا أدبر وغاب. قال بعضهم: الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللمز يلمزهم بلسانه ويغتابهم، أو الذي يلمز بلسانه ويلمز بعينيه، أو الهمزة هو الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكسر عنقه على جليسه ويشير برأسه ويومئ بعينه ويرمز بحاجبه.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ بدل من (كل) أو منصوب بالذم أو مرفوع، أي جعل نصب عينيه مقصودًا بالذات ولا يلتفت إلى من خلقه وربّاه ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الهُمزَة: 2] وتوجه بتعداده وإحصائه، واشتغل قلبه، ويردده الشيطان ويوسوس له ويلقي في قلبه مرة بعد أخرى، فيستغرق أوقاته إلى تعداده مرة بعد أخرى، وشغله عن ذكر الله وطاعته، وأغفل قلبه عن ملاحظة معاني الذكر والقرآن في الصلاة وغيرها.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ [الهُمزَة: 3] قال الباقر: الويل لمن أدبر عن الله وأقبل على الدنيا ووافق الشيطان بالهمزة والهوى باللمزة، وكذا من يحسب أن ماله خلده ويدوم عليه، فإن حب الدنيا ومالها يغفل القلب عن ذكر المولى ويطول أمله حتى كأنه لا يعتقد الموت ولا يذكره وينساه ويجعله شيئًا منسيًّا.

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حسناته ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهُمزَة: 4] أي ليطرحن ويوقعن في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يرد فيها وتهلكه.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾﴾ [الهُمزَة: 5] تفسير وبيان لها أن الحطمة هي ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهُمزَة: 6] أي أوقدها وما أوقده الله من نار لا يقدر أحد على أن يعطلها ويخمدها ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ﴾ [الهُمزَة: 7] ويبلغ ويصل ألمها ووجعها وحدة إحراقها، وتسري شدة إحراقها إلى القلب والروح، ويتألم ويحترق، ولا يطلع ولا يقف على حاله أحد وهو في عذاب لا يدركه ولا يطلع عليه إلا الله، ويقال

لها: نار الله وعذاب الله.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ [الهُمزَة: 7] جمع الفؤاد وهو الوجه العلي الذي يلي الروح والعقل وهو موطن التجلي الآثاري ومنتهى الإدراكات النظرية وغاية الكمالات للقوة العملية، أو هي علم اليقين وبداية مرتبة عين اليقين، وهي شمس قلادة الأطوار السبعة القلبية بمنزلة فلك الشمس في الأفلاك السبعة.

﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨﴾

﴿إِنَّهَا﴾ أي النار الموقدة ﴿عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾ [الهُمزَة: 8] أي منطبعة على أفئدتهم وقلوبهم وأرواحهم بحيث لا يخلو جزء منها من تلك النار، إشعار بانقسام الأرواح وكونها مجسمة كما ذهب المِلِّيُّون من الأنبياء والأولياء المحققين والعلماء الربانيين والحكماء المتألهين الذين اقتدوا بهم، فإن فيثاغورس قدِّس سرّه وأتباعه قد ذهبوا إلى أن ما سوى الله مركب من وحدات لزمت من اعتبار إدراك نسبة الوحدة الذاتية من ذاتها إلى ذاتها بإنماء لا يعد ولا يحصى، ومن هذا ذهب المسلمون إلى أن ما سوى الله تعالى مركب من الجواهر الفردة والأجزاء لا تنقسم ولا تتجزأ، مجردة كانت أو مادية، ملكًا أو أرواحًا أو نفوسًا أو فلكًا أو عنصرًا أو مركبًا منهما.

﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾

﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ [الهُمزَة: 9] معلقة أو موثوقة في أعمدة ممدودة مثل المقاطير التي يقطر ويقيد فيها اللصوص ويدخل فيها أرجل اللصوص، يعني أدخلهم في عمد ممددة عليهم بعماد وفي أعناقهم السلاسل وسدت عليهم بها الأبواب.

قال النبي ﷺ: «**المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ وفاق متثبت لا يعجل عالم ورع، والمنافق هَمَزَةٌ لُمَزَةٌ حُطَمَةٌ كحاطب الليل لا يأمن مِن أين اكْتَسَبَ وفيما أنفق**».

وقال ﷺ: «**من قرأ سورة (الهمزة) أعطاه الله عشر حسناتٍ بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه**».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل أصحاب الفيل عبرة لأرباب الطير وأصحاب الفأل وأهل القيل والقال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي صير قصتهم تبصرة لأولي النهى، والبصيرة لذي المقامات وأولي الحال ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي جعل حكاية طير الأبابيل، وتذكرة لمن كان له قلب ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: 37] وشاهد ودليل.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: 1] خاطب رسول الله ﷺ وإن لم يشاهد واقعة الفيل بناء على أنها كانت قريبة العهد، فيشاهد آثارها وبالتواتر أخبارها، فكأنه رآها. وإنما قال: (كيف) ولم يقل: (ما)، لأن المراد به تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال الله ووفور قوته وظهور قدرته وشرف رتبة نبوته لما روي أنها قد وقعت في السنة التي وُلِد فيها الرسول ﷺ، وقصتها أن إبراهيم بن الصياح الأسدم قد ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنوان وسماها القديس، وأراد أن يصرف وجوه الحجاج، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلًا لقضاء حاجته، فأغضبه ذلك فحلف بخراب بيت الله الحرام.

وقيل: إذ أحجب رفقة من العرب نارًا ليتقرب إلى الكنيسة فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة، فخرج بجيشه ومعه فيل له اسمه محمود، وكان قويًّا عظيمًا واثنا عشر فيلًا غيره، قيل: كان معه ألف فيل، فلما بلغ قريبًا من

مكة خرج إليه عبد المطلب جد رسول الله ﷺ وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدَّم الفيل، فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح مكانه، وإذا وجهوه إلى اليمن وإلى جهات أخرى هرول. ثم إن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليهم وكان رجلًا عظيمًا مهيبًا جسيمًا وسيمًا قال: هذا سيد قريش صاحب مكة، فلما ذكر صاحبه قال: لأهدمنَّ البيت الذي هو دينك ودين أبيك. فلما بالغ في التوجه إلى البيت أرسل الله عليهم طيورًا سودًا وخيلًا خضراء، وقيل: بيضاء، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجر في منقاره، وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، وكان الحجر بإذن الله وأمره يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره فيقطع أحشاؤه ويحرقه ويهلكه، وقد كتب على الحجر اسم من يقع عليه، وفرت جموع الجيش وفرقت وهلكوا في كل طريق ومنهل.

روي أن أبرهة قد تساقطت أنامله وما مات حتى انصدع صدره وخرج قلبه وانفلت وزيره يكسوم وفوقه طائر حتى بلغ النجاشي وقص عليه القصة، فلما أتمها وقع عليه الحجر فخرَّ ميتًا بين يديه. عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ [الفيل: 2] أي جعلتهم في قصد تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وإبطال. يقال: ضلك كيده إذا جعله ضالًّا ضائعًا باطلًا.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾ [الفيل: 3] واحدها أبالة.

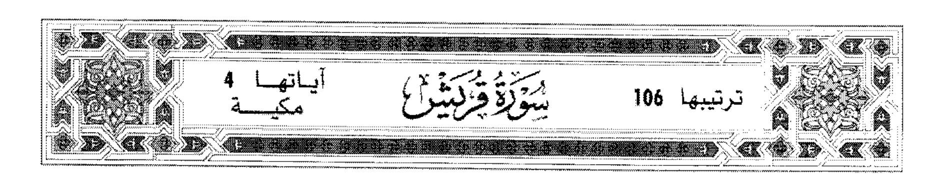
﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ [الفيل: 4] كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينًا علم لديوان أعمالنا كأنه قيل: الحجارة من جملة العذاب المكتوب من المدون أو معرب من (سنك وكل) أي طين متحجر.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أي جعل الله وصيَّر الكفار القاصدين لتخريب الكعبة ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: 5] العصف ورق الحنطة وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفر نتن. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الفيل) أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ**».

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي ألف قريش القوى النفسانية بالمبادئ الروحانية والمبادئ الربانية ليتراجعوا إلى الأحدية الجمعية وإلى مكة الواحدية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي أطعمهم من جوع الأطعمة الروحانية ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي أمن القوى الروحانية والمبادئ النفسانية من متابعة القوى الجسمانية لغلبة عساكر العناية الإلٰهية وجنود الهداية الربانية.

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ [قُريش: 1] متعلق بقوله: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ﴾ [قُريش: 3] والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن قسم الله عليهم لا يحصى، فإن لم يعبدوه لأجل أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم. وقيل: اعجبوا لإيلاف قريش. وقيل: متعلق بما قبله أي فجعلهم ﴿كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ [الفِيل: 5]، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ وهذا بمنزلة المتضمن في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بما قبله تعلقًا لا يصح الآية وهما في مصحف أُبَي سورة واحدة بلا فصل.

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾

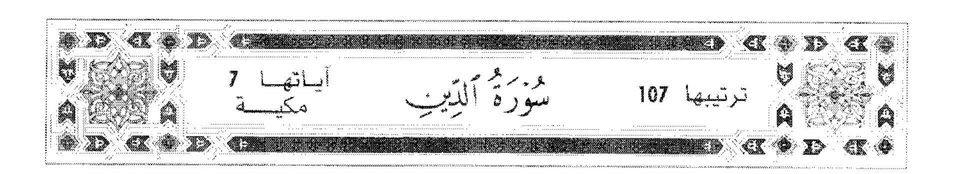
﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ بدل من إيلاف قريش ﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ [قُريش: 2] مفعول إيلاف، والمعنى إن أهلك الحبشة الذين أجراه بينهم حتى ينتظم الأمن في

رحلتهم فلا يجزي واحدة. قد كانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتَّجِرون، وكانوا في رحلتيهم أمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم الناس ولا غيرهم، يحفظونهم ويغارون عليهم، والإيلاف من قولك: ألفت المكان إذا ألفته فأنا مؤلف.

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قُرَيش: 3، 4] في الرحلتين لعدم تعرض الناس لهم بالسيف وإكرامهم وتعظيمهم لهم. عن رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة (قريش) أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



[مختلف فيها، سبع آياتٍ]

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أجرى من كذب بالدين في يوم الدين بأشد العذاب وأحدِّ العقاب لأنه تكذيب بالدين وبيوم الدين وبصاحب يوم الدين وبكل ما جاء به من الكتاب لأصحاب اليقين ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أجرى جزاء الأعمال بالخير خيرًا أو بالشرِّ شرًّا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي فرض الصلاة على المؤمنين من النعيم وأنذر المتناهين بالويل والجحيم.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ [المَاعون: 1] استفهام منشؤه التعجب.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [المَاعون: 2] ويدفعه دفعًا عنيفًا ويمنعه منعًا حفيفًا عن أكل ماله ونَهبِهِ.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [المَاعون: 3] فلا يبعث ولا يحث أهله على بذل الطعام على المسكين، جعل علامة التكذيب بالجزاء منع المعروف

وإنكاره والإقدام على إيذاء الضعيف، يعني أنه لو آمن بالجزاء وأبين بالوعد والوعيد لحسنى الله وعقابه لم يقدم على ذلك لحين ما أقدم علم أنه مكذب، فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير من المعصية وكل حرام، فويل إذا كان الأمر كذلك.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾

﴿فَوَيْلٌ﴾ ثابت وواجب ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [المَاعون: 4].

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن﴾ عن حقيقة ﴿صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [المَاعون: 5] وعن أداء شرائطها وقضاء أركانها لاهون.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾ [المَاعون: 6] يعني المنافقين يظهرون الصلاة علانية ويتركونها في الخلوة فصلاتهم في الحقيقة رياء لا إخلاص ولا صفاء فيها لا في أدائها ولا في قضائها.

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [المَاعون: 7] هو الأمر الذي أباحه الله تعالى بين الخلق كالماء والنار وأثاث البيت وحوائجه كالمنخل والفأس والمصفاة والداس والماء والنار وغير ذلك مما يعم حاجات الناس إليه. قالت عائشة رضي الله عنها: هذا الماء فما بال النار والملح؟ «**فقال: حمراء من أعطى نارًا فكأنما تصدق بجميع ما طبخ بتلك النار، ومن أعطى ملحًا فكأنما تصدق بجميع ما طيّب بذلك الملح، ومن سقى شربة من الماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أعتق ستين نسمة، ومن سقى شربة ماء حيث لا يوجد ماء فكأنما أحيا نفسًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا**». قال البعض: الماعون في الجاهلية كل منفعة وعارية فهو في الإسلام الطاعة والزكاة. قيل: من الطاعة والانقياد والزكاة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي خصص حوض كوثر المعادن الفطرية بالعارفين الموحدين والواصلين المحققين ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أوجب على المؤمنين الصادقين والمحبين الواثقين صلاة التقرب ليستعد للورود على كوثر الشهود ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي فرض وأرغب على متولي الأقوال العلمية والأحوال والإدراكات الحكمية الحج إلى بيت الله الحرام، وهو الكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي هو مشروط بتجريد النفس بالقرب إلى سدة حضائر القدس.

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثَر: 1] أي الخير المفرط الكثير من العلم والعمل الذين بهما شوق الدارين وكرامة النشأتين وأهلهما.

روي أن النبي ﷺ قال: «**إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأبيض من اللّبن وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضةٍ بعدد نجوم السماء**».

وروي أنه لا يظمأ من يشرب منه أبدًا، أول وارديه فقراء المهاجرين الدنس الثياب، الشعث الرؤوس، الذين لا يرجون التنعمات ولا يفتح لهم أبواب السدد، يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره، لو أقسم على الله لأبره. فسره ابن عباس بالخير الكثير فقال له ابن جبير: فإن ناسًا يقولون في فعل هذا الخير الكثير يخرج من أصل السدرة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب. قال النبي ﷺ:

«إن لحوضي أربعة أركان، فأول ركن منها: في يد أبي بكر رضي الله عنه، والثاني في يد عمر رضي الله عنه، والثالث في يد عثمان رضي الله عنه، والرابع في يد علي رضي الله عنه، فمن أحب أبي بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحب عثمان وأبغض عليًّا لم يسقه عثمان، ومن أحب عليًّا وأبغض عثمان لم يسقه علي، ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين، ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل، ومَن أَحْسَن القول في عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحسن القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن، ومن أساء القول فهو منافق».

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكَوثَر: 2] أي أقدم على الصلاة، أو مَن يُصَلِّ، أي صلِّ وواظب على الصلوات المكتوبة وداوم عليها خالصًا لوجه الله، لاهبًا عليها، لاهيًا دونها، مرائيًا بها، شكرًا لإنعامه لا كفرًا لإنعامه، فإن الصلاة جامعة لأنواع الشكر وأقسامها، فالمراد إما مطلق الصلاة أو الموقتة. قال بعضهم: صلاة عيد الأضحى بقرينة الجزاء أي صلِّ صلاة العيد يوم النحر. كان النبي ﷺ ينحر قبل أن يصلِّ، قال بعضهم: نزلت هذه يوم الحديبية حين حضر النبي ﷺ وأصحابه وصدُّوا عن البيت، فأمر الله تعالى أن يصلي وينحر البُدن وينصرف، ففعل ذلك، قال علي رضي الله عنه: فصلِّ لربك، فوضع يده اليمنى على ساعده اليسرى ثم وضعها على صدره.

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: الكوثر نور في قلبك يدلك على الله ويقطعك عما سواه. وعنه أيضًا: هو الشفاعة. وقيل: هو الصلوات الخمس والتفقه في الدين.

عن علي كرَّم الله وجهه: لما نزلت الآية ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكَوثَر: الآيتان 1، 2] قال النبي ﷺ: «**ما هذه النحور التي أمرني بها ربي؟**» قال: ليست بنحرة ولكنه يأمرك أن تحرمن للصلاة وأن ترفع يديك إذا كبَّرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت، فإنه صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السماوات السبع، وأن لكل شيء زينة، وزينة القرآن الصلاة ورفع اليدين عند كل تكبيرة. قال رسول الله ﷺ: «**رفع الأيدي في الصلاة من**

الاستكانة». يقرأ هذه الآية: ﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: 76]، قال: هو الخضوع. يدل عليه ما أخبرنا عبد الله عن علي كرَّم الله وجهه عن رسول الله ﷺ: إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبَّر ورفع يديه حذو منكبيه ويصنع مثل ذلك إذا قضى قراءته، وإن أراد أن يركع ويصنعه إذا رفع عن الركوع ولا يرفع يديه في صلاته.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾

﴿وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: 2، 3] أي الذي لا عاقبة ولا عقب له، يعني إن عدوك ومن أبغضك هو الأقل والمنقوص الأعلى المنقطع الدابر ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾ [الأنعام: 45] والحمد لله ربّ العالمين، نزلت في العاص بن وائل في عقبة بن أبي معيط، عن ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف أو جماعة قريش وذلك أنه لما قدم كعب مكة قالت له قريش: نحن أهل السقاء والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصنوبر المنبتر من قومه؟ فقال: بل أنتم خير منه. فنزلت في كعب: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عِمرَان: 23]. قالوا للنبي ﷺ: هو الأبتر، يعني المنقطع. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: الكوثر خير كبير وهو على خمسة: الصلاة على الدوام، ونصر أمته على الأعداء إلى يوم القيامة، وحجّة المحتجين على الملحدين إلى يوم القيامة، ودوام الجماعات وزيارة القبور بالدوام، مع أن عمل أمته يعرض عليه في كل سبعة أيام مرتين.

وقال: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1] أي نورًا في سرك يشهد الخلق بحقيقته ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [الكوثر: 2] أي اتصل إليه وانقطع عما سواه في الكون «عدوك نفسك هو الأبتر محجوب لا أنت يا حبيبي»، والكوثر نهران: نهر الشوق ونهر اللقاء، فهو الشوق أحرقه عما سواه حتى صار مستحقًّا للقائه.

وقال الباقر: الكوثر نهران أحدهما على باب الجنة والثاني في رياض الجنة، فأما الذي على باب الجنة في يد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم يسقون الرجال، والذي في رياض الجنة في يد خديجة وعائشة وفاطمة الزهراء وحفصة وهنَّ يسقون النساء المؤمنات. والعيون ستة عشر، أربعة منها خاصة للمتقين وهو قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن

لَبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محَمَّد: 15].

وفي قلب المتقين قبل أن يصلوا إلى هذه الأنهار الأربعة أربعة أنهار أخرى: نهر الخوف، ونهر الرجاء، ونهر المحبة، ونهر المعرفة، وهذه الأربعة أرفع من تلك الأربعة ومنها ثلاث أعين خاصة للأبرار وهي الكافور والسلسبيل والزنجبيل، وفي قلوبهم ثلاثة أنهار أرفع منها وهي: الأمانة والشوق والوصلة، واثنان على باب الجنة: عين الحياة وعين المودة.

وفي قلوب المؤمنين عينان أرفع منها وهي: العقل واليقين، واثنان خاصة للمهاجرين قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطففين: 25 ـ 26]، والثاني قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطفّفِين: 27، 28].

وفي قلوب المهاجرين عينان: عين التوحيد وعين التفويض، وعين خاصة للساقين وهي قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصَّافات: 46].

وفي قلوبهم عين أفضل منها وهي عين الاختبار والافتخار، ومنها عين خاصة لمحمد ﷺ وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكَوثَر: 1]، وفي قلبه عين أرفع منها وهي عين الرؤية وعين منها خاصة للمحبين وهي شراب الطهور ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسَان: 21].

وفي قلوبهم عين أفضل منها وهي الطهارة عن العيوب، وعين منها للمنافقين وهي الصديد، قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 16]، وفي قلوبهم عين أشر منها وهي عين الإياسة والغدر ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكَوثَر: 2].

فصل قلبك بنور الوصال واخرج عن دار البوار التي تغير أهلها بالشهوات، وانحر أهوال سيف ذي الفقار مجلوة من آثار الملك الجبار. والنحر ثلاثة: نحر القلب بمحبته، ونحر اللسان بتوحيده، ونحر النفس بموافقة بره والوصول إلى التوحيد مبروك، والبر موصوف، والرب لا يحتمل الصفة والمعنى، وهو خارج عن طبع البشرية ونور محيط بالأفئدة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل الكافرين من مقتضيات الظل والجلال، والمؤمنين من مقتضيات النور والجمال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي وفق المؤمنين لأن يؤمنوا بالله الواحد القهار وتبرأوا من مخالفة الله الجبار ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي اصطفى من الأديان دين الإسلام وليس دين الكفار الباطل وجعله مردودًا بين أخص الآثام مر الشهور والأعوام مستمرًا إلى يوم القيامة.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافِرون: 1] الذين قد علم الله تمرسهم في الكفر. روي أن رهطًا من قريش قالوا: يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلٰهك سنة، فنزلت: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافِرون: الآيتان 1، 2] من الأوثان والأصنام أصلًا لا في سنة ولا في غيرها.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾ [الكافِرون: 3] وهو خالق الأرض والسماوات وما فيها من الملائكة المدبرة، وهو خارج عنهما من الأشباح والمثل النورية وجواهر الأرواح والنفوس والعقول والملأ الأعلى والملائكة المقربين والجن والشياطين والأغوال والأهرمينات الصغرى والكبرى ليلًا ونهارًا، علانية وخفية وجهارًا، لم أغفل زمانًا بل أنا في الأدوار النورية الجمالية والأكوار الظلية الجلالية.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافِرون: 3] أي ليس لكم أن تعبدوا في الدورة النورية الجمالية الصريحة ما أعبد فيها من خالق الكل لأنها تخالف الإرادة الإلٰهية التي دبرها الله تعالى في الكورة الظلية الجلالية الضمنية التي يباين مرتضاها مقتضى الدورة النورية الجمالية.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ [الكافِرون: 4] في الكورة الظلية الجلالية الصريحة لدى انتقال نوبة التدبير وتربية من الجمال والنور إلى الجلال والغمور لما تقرر من أن لكل واحد من الظل والنور له اقتضاء خاص من الأعيان والكفر والخير والشر والنفع والضر حالَ الإفراد، وأما أعيانهما وهي الأملاك والشياطين فهما كالجمال والجلال والنور والظل توأمان وما يقتضيان وهو الطاعة والعصيان والكفر والإيمان متلازمان لا يخلو أحدهما عن الآخر إلا أن يحكم عليه اقتضاء سلطان الجلال والجمال يظهر أحدهما ويستبطن الآخر، فحيث استبطن إيمانهم وتعلوه إرادة الله بإخفائه وإظهاره أو بالعكس، لا يمكن إظهاره، فحينئذ لا يظهر لمحمد إظهار الكفر وللكافر إظهار الإيمان، فالتكرار إشارة إلى هذا الإسرار والإخفاء والإظهار، وأما حالة الجمعية والإحاطة الجمعية والمعية فالجلال وما يقتضيه فتابع للجمال وما يرتضيه، فانقلب الكفر إيمانًا عند جمعية الأدوار النورية والإيمان كفر لدى انقطاع الأكوار الجلالية، وعند جمعية جمعيتهما استوى الكفر والإيمان والطاعة والعصيان. قال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم بيدي ولا يأمرني إلا بالخير**».

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافِرون: 5، 6] في الإفرادية الظلية والجلال الإفرادي ومرتضى خصوصية ترتيبها أولى باعتبار جمعيتها ومرتضى خصوصية معيتهما دين الجمعي وهو دين الله ودين الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ

﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عِمرَان: 19] وهو دين الجمال الجمعي والجمع الكمالي الجلالي.

عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتحب يا جبير أن تكون إذا خرجت سفرًا من أمثل أصحابك هيئة وأكثرهم زادًا؟ قال قلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: فاقرأ هذه السور الخمس:** ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»، قال جبير: «كنت أخرج في سفر فأكون قليل الزاد وأبذهم هيئة وأقلهم زادًا، فما زلت منذ علمنيهن رسول الله ﷺ وقرأت بهنّ أكون من أحسنهم هيئة وأكثرهم زادًا حتى أرجع من سفري».

وقال لرجل: «**اقرأ في منامك:** ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ **فإنها براءة من الشرك**». وقال أيضًا: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ **ربع القرآن، ومن قرأها فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشيطان وبراءة من الشرك، ويعافى من الفزع الأكبر**».

وقال: «**مروا صبيانكم فليقرؤوها عندما يعرض لهم شيء**».

عن ابن عباس: ليس في القرآن سورة أشد بالفيض من هذه السورة، لأنها توحيد وبراءة من الشرك. وقال أيضًا: الكافر ثلاثة: جاحد ومارد ومريب، فالجاحد من رد القرآن وعبد الأوثان، والمارد من عبد النفس والهجران، والمريب من عبدَ النعمة والطغيان. وقال لنبيه ﷺ: قل للجاحدين ادخلوا في السلم كافة واخرجوا عن عبادة الأوثان، وقل للماردين: ادخلوا في البرِّ ودعوا التمرد والطغيان، وقل للمريب: ادخلوا في الإحسان مع ما يرد الهجران، فإن الرحمان وضع ما بيديه وهي التوحيد والقاعدون عليها ثلاثة: السابقون والمقربون والمؤمنون. والمراد بالسابق هو بالطهارة عن العصيان، والمقرب من تقرّب إلى مناجاة الرحمٰن بإظهار السر في ميدان الإيمان، والمؤمنون من خالف وعيده وآثر العقبى وطلق النفس والدنيا وأحب المولى جازاه المولى جلَّ وعلا وسقاه على مائدة التوحيد بكأس الوفاء حتى صار طاهرًا عن دنس الخفايا، مستحقًّا للرؤية واللقاء.

قال الصادق: «**الخلق ثلاثة أصناف: هارب وجائي وواصل، والهارب ثلاثة: هارب من الدين، وهارب عن العدل وأهل اليقين، وهارب عن التوحيد.**

والجائي أيضًا ثلاثة: ناس المعهود، وناس لما في القلوب بالإيصال إلى غيب الغيوب، وناس الخفاء على بساط المعبود. والواصل أيضًا ثلاثة: من وصل لسانه بنور التوحيد، ونفسه بنور البر، وقلبه بنور الإيمان». ثم قال: «**الإيمان هو الفصل، والإسلام يسيل إلى الرحمان، والمولى أمر لحبيبه حتى يدعو الهارب والجائي إلى مائدة العبادة التي بسطها، والعقول وهي ثلاثة: الحق والعدل والصدق، فالحق على الجوارح، والعدل على القلوب، والصدق على العقول وهو دين الله المزين برضوانه وهو ثمر حياته ورؤيته، فإن قبلوا وإلا فأعرض عنهم وقل لهم لكم دينكم ولي ديني**».

قال الباقر: الدين ثلاثة: إظهار الحق في أرض الخفاء، وعرفان الغيوب في أرض الوفاء، وإظهار المفاجآت مع الرحمان في أوقات الخفاء ممن أظهر دينه بالإحسان والإرادة إليه إلى بساط الشيطان وهي الحؤول عن رؤية الرحمان، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ [الكافِرون: 6] لكم دينكم الهجران ولنا الإحسان، لكم الطغيان الفناء ولنا البقاء، لكم العزل ولنا الولاية والوصل، لكم الخلق ولنا المولى.

ويقال: الدين ثلاثة: الإسلام والتوحيد والتقريب. الإسلام قبول الأمر، والتوحيد أداؤه، والتقريب الاستقامة على الأمر. ويقال: العباد ثلاثة: الجحود والهجران والطغيان، أما الجحود عن الهوى والهجران عن الفناء والطغيان من الخضوع لدعوة الشيطان، فمن عبد الله بهذه الأمور الثلاثة فهو من الأبديين، ومن لم يعبده فهو من شياطين الإنس كما قال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ لبداءتكم ومدة العقوبة والملك في القطيعة والإياسة عن الرحمة، ولنا ديننا التفريد والتوحيد والإسلام ومناجاة الرحمان.

ويقال: العبادة ثلاثة: عبادة النفس، وعبادة القلب، وعبادة الروح. فعبادة النفس التوحيد، وعبادة القلب التفريد والإخلاص، وعبادة الروح اللقاء. ولا يجد العبد مولاه إلا بثلاثة: التجلي باليقين، والتبري عن رضاء اللّعين ورياض النفس. ويقال: التوحيد ثلاثة: حفظ الولاية بغير المنة، وحفظ أداء العمل بغير أذى، والاستقامة على البر والتقوى. ويقال: التوحيد بر، والإخلاص نية، والمعرفة مدينة، والعقل المدخول فيها والعلم رسوله إلى المولى والإيمان رسوله

بالمولى والإسلام سلامة عند المولى والإحسان وصوله إلى الرحمان.

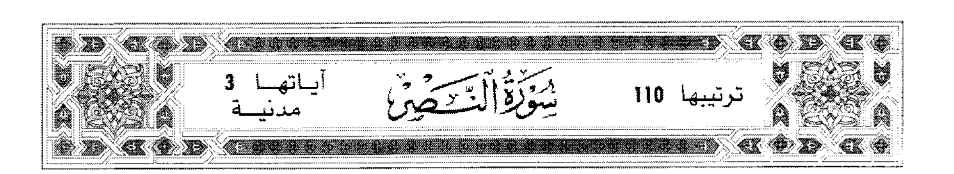
نظم:

وبنا يوم يأخذ بالنَّواصي الفزع بالذُّنوب والمعاصِي
وتخلو بالخطيئة خلف سترٍ وربّ العالمين عليك يحصي

قال يحيى بن معاذ:

قدِّم لنفسك ما استطعت من التُّقى إنَّ المنيةَ نازل بكَ يا فتىٰ
أصبحت ذا فرحٍ كأنك ترى أحباب قلبك في المقابر والبلىٰ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي وعد حبيبه النصر والفتح والظفر على أرباب الوبر والمدر وعلى المدائن في البر والبحر ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي فتح مدائن الجمال بحسام القهر والجمال، وجعلَ الناسَ يدخلون في دين الله أفواجًا أفرادًا وأزواجًا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي أمره بالتسبيح والتقديس والاستغفار لأنه كانَ توابًا وغفارًا بالتجاوز والاستتارِ.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النّصر: 1] في فتح مداين الكفارِ في فردارية أدوار النور والجمالِ وفي فردارية توبة تدبير الظل والجلال أفرادًا وعند جمعيتهما أطوار القلب في طور النفس في مدينة البدنِ ومكة النفس والقول والجوارح والأعضاء.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾ [النّصر: 2] في طور الآفاقِ بل الجن والشياطين والحيوان الطاير والساكن والداير لدى جمعيتهما، وذلك دون ظهور صاحب الزمان المظهر الموعود الذي من شرف مقدمه أوحى الله لدى سريان نور الهداية وجريان ظهور العدالةِ في جميع الموجوداتِ أعيان النور والجمالِ وأكوان الظل والجلالِ، وتحققوا بنور الإيمان وكمال العرف ووفور اتقانِ الإيقان.

﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النّصر: 2] وهو دين الله وهو الإسلام الحقيقي وهو انقياد أهل المعالم تمام إطاعتهم وكمال مطاوعتهم لأمر اللَّهِ تعالى

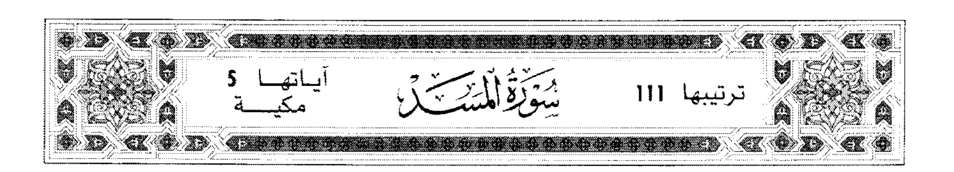
والأحكام شريعته، والأعلام طريقته، أفواجًا: أفرادًا وأزواجًا.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ إشارة إلى العبادة الجمعية والإحاطة المعية المجتمعة في الحقيقة الجمعية الواحدة والصورة النوعية، وهي اجتماع التشبيه والتنزيه الذين اقتضاهما الجمال والجلال على الانفراد ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ حال انفراد اقتضاء كل منهما قال النبي ﷺ: «**وإني ليغان على قلبي وإني لأستغفر اللَّهَ في كل يوم مائة مرة**» وفي رواية سبعين مرة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النّصر: 3] قابلًا للتوبة فاعلًا للزيادة والحوبةِ، فمن استعد لكمال الجمع وجمع الكمال ومعية الفرق بالجمع، قال علي كرم الله وجهه: يا رسول الله أرأيت لنا أمرًا لم يبين الله سبحانه وتعالى فيه قرآنًا ولم ينص فيه سُنة منك، قال: تجعلونه شورى بين العابدين، ولا تقصر برأي خاصة، ولو كنت مستخلفًا أحدًا لم يكن أحد أحق منك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله وصهرك وعند فاطمة سيدة نساء المؤمنين، وقيلَ ذلك ما كان من بلاء أبي طالب إياي حين نزل القرآنَ.

عن عبد الله ابن عباس: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ جاء العباس إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ادخل على رسول الله فإن كانَ هذا الأمر لنا من بعده لم تشاحنا عليه قريش، وإن كان لغيرنا سألته الوصاة لنا، قال سأفعل، قال فدخل عباس على رسول الله ﷺ مشيرًا، فذكر ذلك، فقال النبي ﷺ: «**يا عباس يا عم رسول الله إنَّ الله سبحانه وتعالى جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه وهو مستوحى فاسمعوا له تفلحوا وأطيعوا ترشدوا**». وقال ابن عباس رضي الله عنه: ففعلوا واللَّهِ فرشدوا. والأكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة وإنه نعي لرسول الله ﷺ لأنه لما قرأها بكى العباس فقال له عليه السلام: «**ما يبكيك؟**» قال: نعيت إليك نفسك. ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمرِ الدين فهي كقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المَائدة: 3] الآية، أو لأن الأمرَ بالاستغفار تنبيه على حلول الأجل ولهذا سميت سورة التوديع. وعنه ﷺ: «**من قرأ سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد فتح مكة**».

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾



﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي تبت بتقديره وهلكت بتدبيره النفوس الشقية وتبترت آثار العكوس الشعشعية التي ستظهر في آخر الزمان ودابر الدوران ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي أغناها إيمانًا وأغلاها بنار وأعلاها في تلهبها في ظل وضمور وغلّ وغمور ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي امرأة أبي لهب حمالة الحطب بأمره وحمالة لمباني خطبه.

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أي أهلكت بنية شخص كنيته أبو لهب وهو أخو أبو طالب عم رسول الله ﷺ بسبب كفره وحقده وحسده ﴿وَتَبَّ﴾ [المسد: 1].

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ②﴾

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾ مالَهُ به تمول ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ [المَسَد: 2] أي مكسوبه بكد يده ويمينه مع عرق جبينه من الأدوار والأصياد وعمله الذي ظن أنه ينفعه أو ولده عتبة، وقد افترسه أسد في طريق الشام وأهلكه، (ما أغنى) استفهام في معنى الانكارِ نفي، والاغناء المال عنه وصرفه العذاب حين نزلَ به التباب، وهلاكه يعني لا ينفعه في ذلك الوقتِ ماله ولا ولده بأن يعرف العذاب عنه، قيلَ إنما خسأ لأنه عليه السلام لما نزلت: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 214] جمع أقاربه فأنذرهم فقالَ أبو لهب مالك وهذه الدعوة قريب، قيل المراد باليدين اسما الدنيا

والآخرة. وإنما كناه لأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكره، ولأنه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله وتعبيره بالماضي لتحققه. روي أنه كان يقول لو كان ابن أخي ما يقوله حقًّا فأنا أقتدي به بنفسي ومالي وولدي لكنه ليس كذلك.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾ يدخل نارًا ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ نارًا عظيمة ذات [المَسَد: 3] اشتعالٍ مرتفقة وأظلالٍ مجتمعة، وإنذار أنه يريد نار جهنم ما يراد من أبي لهب شخص جهنمي.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾

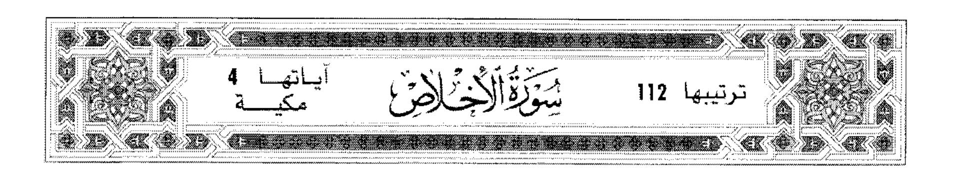
﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ عطف على المستكن في سيصلى ومبتدأ أو هي أم جميلة بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان فكانت غواره ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المَسَد: 4] نقّالة الحديث الكذب، قد كانت تمشي بالنميمة في جيدها وعنقها ورقبتها.

﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾

﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ [المَسَد: 5] أي مما مُسِدَ وفُتِل. يقال: رجل ممسود الخلقِ والخلق أي مجدوله وهو ترشيح للمجاز أو تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقير شأنها أو بيان لحالها في نار جهنم، فإنها تحمل حطب جهنم، وهو كناية عن الأعمال القبيحة والأفعال الوقيحة فإنها كانت تحمل الأولاد وتحثهم على عداوتهم رسول الله ﷺ وتحرك زوجها على إيذائه والنميمة، فإنها توقد نار الخصومة أو حزمة الشوك والحسك، فإنها كانت تحملها فتنشرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ. قال الصادق: «**التبّت ثلاثة: تبّ المؤمن وتبّ العارف وتبّ الكافر**». فتبّ الكافر البعد والقطيعة عن الطاعةِ والمعرفةِ، وتبّ المؤمن التباعد عن رضاء الشيطان وملامة الإخوان، وتبّ المعارف القطيعة عن النفس وشهواتها والقلب وملاحظتها وغفلاتها وعما شغلها عن حفظ البر والتقوى. الحبل ثلاثة: حبل الشيطان، وحبل الهوى مثل القطيعة، والإسلام حبل الله، فالشيطان يأخذ غيلة قلوب الراغبين، والهوى يأخذ قلوب

المرتدين، والمولى يأخذ بحبله قلوب عباده السعداء المستحقين للخدمة والولاية.
قال الشيخ: مثل أبو لهب مع المصطفى عليه السلام كما الخارجي إذا خرجَ على السلطانِ فيأخذه السلطان ويبعده عن ماله وأهله ويقيده ويجعلها حبلًا في عنقه ويعلقه حتى يموت فيها، فكذلك من خرج على المصطفى وعلى دينه مثل أبي لهب وغيره، فيأخذه أخذًا ويقيده بالكثرة والشقاوة، ويلقيه ويعلق في عنقه حبل القطيعة، ويعطفه عن التوحيد والطاعة حتى يصير هالكًا ملعونًا عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (تبت) رجوت أن لا يجمع بينه وبين أبي لهب في دار واحدة**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



[مختلف فيها، أربع آيات]

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي توحدت ذاته بذاته الديمومية وتفردت هويته الذاتية الحقيقية السرمدية وأنيته الغيبية وأنانيته العينية ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي شأنه يشير إلى الشؤونات الذاتية والألوهية والربوبية والكونية، إلى أنواع التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، وإلى التوحيدات الذاتية على التجليات الإفرادية والجمعية وإلى الإخلاص في الكل ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ المنزه عن الوالد والولدِ هوَ الصمد الذي لم يكن له كفوًا أحد لا في الذات ولا في الأسماءِ ولا في الصفاتِ كانَ الله ولم يكن معه شيء وهو الآن على ما عليه كانَ.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1] أي الشأن الواجب الموجود في حد ذاته واحد، ذو وحدة حقيقية وفي أسمائه وصفاته، وفي إبداع المكوناتِ، صمد ظاهره هو عين باطنه وباطنه عين ظاهره، فلا يكون له جوف فيحتاج إليه الكل في الوجود، وهو في وجوده العيني ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: الآيتان 3، 4].

روي أن قريشًا قالوا: يا محمد صف لنا ربك وعرف لنا حالك ومقامك ورتبة مالك إلى إلٰهك؟ أتستحق النبوة والدعوة إلى ربك؟ فنزلت (هو) ضمير شأن

يشير إلى هويته الذاتية وأنيته الحقيقية مبتدأ، (الله أحد) جملة بيان الضمير وخبره، وإنما حذف العايد عنها لكونها عبارة عنه وإلى تحقق رسوله وحبيبه الذي هو أول التعين والمعلول الأول لقوله عليه السلام: «**أول ما خلق الله نوري وأنا وعلي من نور واحد**»، بمبدئه «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**». وأيضًا: «**من رآني فقد رآني**» في تمام الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية فقد رأى الحق فيها فإن الشيطان الذي هو مربوب الظل والجلال لكمال نقصانه ووفور رضوانه وعصيانه لا يتمثل، وإلى أن ذاته كافية في تمام الكمالاتِ الذاتية والأسمائية، وفي الألوهية والربوبية من غير احتياج إلى أمر غير الذاتِ من الأسماءِ التنزيهية والنعوت التقديسية والسبحانية، التي أشار إليها أولًا في صدر السورة، ثم اختتم على التفصيل عليها، ومن هذا أن سورة الإخلاصِ كافية في التوحيدِ الذاتي والأسمائي والأفعالي والآثاري، والتوحيد الجمعي من غير احتياج إلى أمر آخر من الدلائل العقلية والرسايل النقلية والوسايل العلمية والعملية، لأنه الظاهر والباطن والأول والآخر وهو بكل شيء عليم وهذه السورة مضمونها الدلالة على المراتب الست والعوالم الخمس ﴿هُوَ﴾ لا و.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾

و﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: 2] السيد المصمود إليه في الجوايح يتضمن العلم والحكمة والقدرة والمشيئة والإرادة وسائر الصفات الذاتية والأسمائية ولا ينبغي لأحد هذه الكمالات ولا يستحق لها ألا هو ليس كمثله شيء والصمد مصدر بمعنى المفعول إشارة إلى أن ذاته تعالى هو فاعل وقابل بذاته كما في الفاعلية والقابلية، كما كان كافيًا في الألوهية والمألوهية في الربوبية والمربوبية والعالمية والمعلومية، قالَ الصادق عليه السلام: هو الله أحد بلا صورة، الله الصمد بلا حيلةٍ ولا فكر وروية لم يلد ليس لولايته ولا لأوليته ولا لأزليته بداية ولا نهاية، ولم يولد ليس لدوامه وأبديته أمد ولا غاية، ولا لبقائه وإيجاده وإبقائه ولا في كل تكميل الممكنات وتبليغ الكائنات إلى مقامها الأولى، ولا في اظهار كمالاتة الذاتية والأسمائية احتياج إلى غيره بالإعانة والمدد، ولم يكن له كفوًا أحد ينازعه في أجزاء مقتضيات ذاته وصفاته، ولا أحد يعارضه في

أسمائه وكمالاته الأولية والثانية، ولا واحد يناقضه في أفعاله وآثاره، فلا يستحق بهذه الصفات فرد سواه فانحصرت الصفات والكمالات كلها عليه.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾

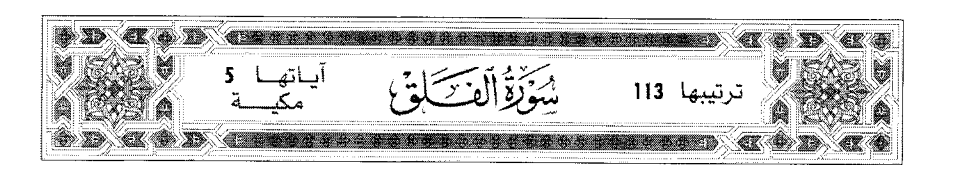
﴿لَمْ يَلِدْ﴾ دليل الوحدانية بلا شريك في الذات ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: 3] دليل الفردارية بلا نظر في الصفاتِ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 4] دليل الفردارية والأحدية في جمعية فرداريتهما، وإليه الإشارة بقوله: هو ضمير الشأن، فإن في الهاءِ عينين عيني الجمال والجلالِ، في الواو عين واحد يتضمن العينين، واو وهو عين جمعيتهما، وفي الله إشارة إلى الأدوار الأربعة الإفرادية النورية والجمالية، وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، و(ها) إشارة إلى جمعيتهما، والصمد بحروفه الخمسة، ونفسه الباطني إشارة أيضًا إلى الأكوار الجلالية المذكورة وإلى الشهود الباطني الجلالي، وفي ذاته إشارة إلى جمعيتهما لم يلد إشارة إلى تنزيه الحقِّ في الأدوار النورية الجمالية، ولم يولد إلى تقديس في الأكوار الأربعة الجلالية واحد في جمعيتهما، والصمد أيضًا على ثلاثة صمدية في الجمال وصمدية في الجلال وصمدية في جمعيتهما، فبالأول ينزهه عن العيوب، وبالثاني يطلع المعارف على أسرار القلوب وأطوارها، ويتحقق بأنوار أطوار المعايب والذنوب، وبالثالث يشاهد الحق بعين الأحدية والواحدية، وبعين التشبيه وعين التنزيه والتقديس، وكذا يشاهد الذات المعينة بعين الظاهر والباطن وبعين الأول والآخر.

قيل: الصمد هو الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهوَ اللطيف الخبير، والصمد هو الذي لا زوال لملكه والانتقال في وصف ملكوته وبعث أمره وصفة جبروته، لا يحتاج في تدبيره فيها إلى اليقين، وهو المنزه من ثبات الحدوث والهيئات الجسمانية والصفات النفسانية وخصايصها، فلا يحتاج إلى الأكل والشرب والنوم، فلا يحتاج إلى التولد والتوليد، فلا يلد عن غيره ولا غيره عنه، ولم يكن له في ألوهيته وربوبيته ولا في الذاتِ والصفاتِ الذاتية والأفعالية كفؤٌ ولا شبه ولا مشابهة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



[مختلفٌ فيها، خمس آياتٍ]

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الذي فلق صبح غياهيب حديثه شمس تجليه الذاتي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي فلق وأظهر شق على مقتضى محبته الذاتية نهار الحقيقة المحمدية في فردارية النور والجمال، مصونة على شر ما خلق ضمنًا في تدبيره من أعوان الجلال وصفات سلطنته إلى أن سحره للجمالِ وجعله مطيعًا له في استدراك مدارك الكمال إذا تاور صفًا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي صارَ مظهر النور والجمالِ عن ظلمة النهار الجمالي في أفق إقليم خط استواء البرزخ الأعلى والدورة الأولى.

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ [الفَلَق: 1] قيل هو بيت فيها إذا فتح بابه صاحَ واستغاث جميع أهل النار من شدة حرها، هوَ الصبح وهو رواية عن ابن عباس أيضًا قال بعضهم هو شجرة في النار. وقيل: هو نوى إن الله فالق الحب والنوى، قال ابن عباس إن الله خلق الخلق وجعلهم من استعاذ باللَّهِ عما سواه وعما يبعدهم عن خدمته وعن خلوص عبادته، والكافر وهو بعض ما ذكره، والمنافق يستبعد بما لديه من نعمته، فآواهم الله في الأياسة يتكلمون فأكبّهم عن رحمته. قال الصادق: «**الناس ثلاثة: العاقل والعالم والعارف، والعالم طالب والعارف هارب، والعاقل عاتب عن العيوب، والعالم طالب المحبوب، والعالم وهو**

هارب عما يبعده عن علام الغيوب». قال: قرأ أعوذ أربعة أحرف الألف والعين والواو والذال والمذكور في هذه السورة الفلق والشر وما خلق والغاسق والنفاثات والحاسد.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفَلَق: 2] في عالم الملك والشهادة وعالم الخلق وإنما خص الخلق بالاستعاذة لأن عالم الخلقِ وهو عالم الأجسام الفاسقة والظلمة والمظلمة كلها شر، والنور كله خير.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ للّيل أي ليل عظيم ظلامه وعميم غمامه، من الغسق والغسوق وهو الظلمة ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفَلَق: 3] أي دخل ظلامه في كل شيء، وتخصيصه لأن المضارّ والمشار إليه كبير لغير وقعها ويتعذر وقعها، ولذا قيل: الليل أخفى من الويل، وقيل: المراد به القمر فإنه في نفسِه كمد مظلم.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾

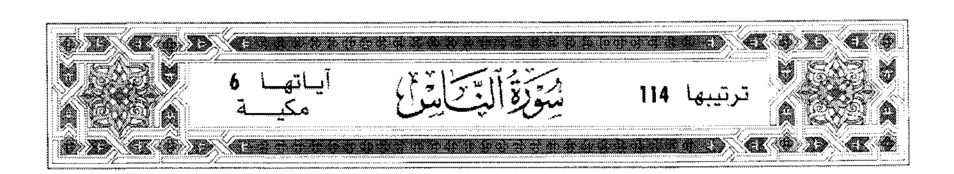
﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفَلَق: 4] من شر النفوس الخبيثة أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوطٍ وينفثن عليها، والنفث هو النفخ مع الريق، وتخصيصه به لما روي أن يهوديًّا قد سحرَ النّبيَّ ﷺ في إحدى عشرة عقدة ودسه في بير، فمرض النبي ﷺ فنزلت المعوذتان، وأخبره جبرئيل موضع السحر فأرسل عليًّا موضعه فجاء بهما فقرأهما عليه، فكان كلما قرأها انحلت عقدة، ولا يوجب ذلك صدق في أنه مسحور، لأنهم أرادوا أنه مجنون بواسطة السحر، وقيل المراد بالنفث في العقد إبطال عزايم الرجال بالحيل، مستعاذ من ثلاثين عقدة، وينفث الريق ليسهل حلها وإفرادها بالتعريف، لأن كل نفاثةٍ شريرة بخلاف كل غاسِق وحاسد.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

﴿وَمِن شَرِّ﴾ كل ﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق: 5] إذا ظهر حسد وعمل بمقتضاه فإنه لا يعود ضرره منه، قيلَ ذلك إلى السجود وبل لا محيص به لإعمامه

وتخصيصه لأن العمدة في أضرار النفس بل الحيوان غيره، ويجوز أن يعاذ بالغاسِق وما يخلق عن السواد وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات، النفاث فأتت القوى النباتية من حيث إنها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كأنها تنفث بالعقد الثلاثة بالحاسِد والحيوان، فإنه يقصد غيره غالبًا طمعًا فيما عنده، ولعل أفرادها من عالم الخلقِ لأنها من الأسباب القريبة للمضرّة. عن النبي ﷺ: «**لقد أنزلت عليّ سورتين ما أنزل مثلها وإنك لن تقرأ سورتين أرضى عند الله منهما**» يعني المعوذتين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



[مختلف فيها، ستُّ آياتٍ]

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي ختم كتابه على ما افتتح به وصدر ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي شرف آدم بالقلب والفؤاد والصدر ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي كرم في نشآت الأدوار وشؤونات الأكوار منزلًا على المراتب إلى الناسِ.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ [النَّاس: 1] أي مربي جسده وجسمه.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ②﴾

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ②﴾ [النَّاس: 2] أي الحاكم على نفسه وروحه وملكوته وهي محل ربوبيته.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③﴾

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③﴾ [النَّاس: 3] أي مربي جوهر عقله ببعث ألوهيته حين خمر بيده أربعين صباحًا، وهي المظاهر والأقانيم الثلاثة التي عبر عنها بلسان عربي صار التثليث مبدأ فيضان أفضل السعاداتِ وأكمل الخيرات ودار مر التكوين.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي وسواس الشيطان أو الوسواس الذي هو الشيطان نفسه وأصله هو الصوت ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ [النَّاس: 4].

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [النَّاس: 5] ويعود من جهة ووجوه أخرى ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: 17] الآية إلخ. روي أن عيسى عليه السلام دعا ربه وأصفى رأسه على ثمرة القلب، فإذا العبد ذكر ربه خنس الشيطان وولى، وقد مر أن الصدر عبارة عن وجه القلب فيما يلي النفس وبهذا صارَ محل الوسوسةِ، ومن هذا على الصفة والرفع، والنصب على الشتم والذم، كما أن السر والفؤاد هو الوجه، يقابل الروح وعالم القدس، وموطن ظهور التجليات ومعطن الكشف والمشاهدات ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ [النّجم: 11] الآية.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: 6] أردف الجنة بالناسِ إشارة إلى كل فرد إنساني يولد معه مولود جني كما أشار إليه النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: نعم إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**».

واعلم أنَّ الله تعالى ذكر في هذه السورة لفظ الناس في خمس مواضِعَ إشارة إلى العوالم الخمس، إلى عدد الأدوار الأربعةِ الإفرادية والجمعية، وكذا إلى أعداد الأكوار الأربعة والإفرادية والجمعية.

وإنما ختم على الناس الذي هو الإنسان صورة ومعنى، وليطابق زبر أجزائه وهو نون بيناته ومنتهاه، وهو س س ع ع، وإذا عنى واو وهو عدد كامل ومدد شامل فاضل عادل التمام والفراغ والتخلص والاستفراغ من كتابة كتاب تفسير الحسام تنوير كتاب التنزيل بعونِ الملكِ العلام، فإنه هو المولى للتوفيق والاختتام، المدبر لأمور الخواص والعوام، وفق إشارة الملك العالم العامل، والسلطان الفاضل العادل، أدام الله إقباله ودولته وعمّر دينه وشوكته كيف ما

يحب ويرضى ويشاء، لا زالت شموسه شارقةً، ونجوم شوكته على بني آدم بارقة، ولا زالت أعناق أرباب الحاجاتِ نحو عتبته طويلة، وأرقاب أصحاب الأغراض في سلال قهره ذليلة، على يد الحقير الفقير الذليل، الراجي إلى عفو الملك الجليل، تراب أقدام الفقهاء، غبار طريق العلماءِ، رسول الصوري في سادس شهر ربيع الآخر في سنة ألف ومائتين وأربع من الهجرة النبوية، المصطفوية م م، في نسبته لهم.

غفر لآمره ولناظره ولكاتبه
ولجميع المسلمين والمؤمنين
آمين يا رب العالمين، آمين

فهرس المحتويات

سورة الصافات 3

سورة ص 47

سورة الزمر 77

سورة غافر 115

مطلب دخول أولاد الرجل الصالح الجنة 124

سورة فصّلت 161

سورة الشورى 197

مبحث بيعة المصنِّف للشيخ السيد محمد نور بخش 222

سورة الزخرف 225

سورة الدخان 253

سورة الجاثية 269

سورة الأحقاف 287

سورة محمد ﷺ 311

مطلب الذّكر الخفي 322

سورة الفتح 333

سورة الحجرات 355

سورة ق 367

سورة الذاريات 385

مطلب نزول الجبل في زمان المصنِّف 395

سورة الطور 403

سورة النجم 417

سورة القمر 435

سورة الرحمٰن 449

مبحث الاسم الأعظم 471

سورة الواقعة 477

مطلب حكاية ردّ المؤلف ـ نفعنا الله بأنفاسه القدسية ـ على الخضر ـ عليه السلام وقدَّس سرّه ـ 493

سورة الحديد 501

سورة المجادلة 527

مطلب أنوشروان وهارون الرشيد 539

سورة الحشر 541

سورة الممتحنة 557

سورة الصف 567

سورة الجمعة 575

سورة المنافقون 585

سورة التغابن 591

مطلب قرض حسن 599

سورة الطلاق 601

مطلب الاستغفار 605

سورة التحريم 611

مطلب التوبة 615

سورة الملك 621

سورة القلم 637

سورة الحاقة 661

سورة المعارج 675

سورة نوح 689

مطلب حكاية إدريس عليه السلام 699

سورة الجن 705

سورة المزمل 719

سورة المدثر 729

سورة القيامة 745

سورة الإنسان 755

سورة المرسلات 771

سورة عمّ يتساءلون 781

سورة النازعات 791

سورة عبس 805

سورة التكوير 815

سورة الانفطار 823

سورة المطففين 831

سورة الانشقاق 839

سورة البروج 845

مطلب في فضيلة يوم الجمعة 846

سورة الطارق 851

مطلب دعاء مأثور 852

سورة الأعلى 857

سورة الغاشية 863

سورة الفجر 869

سورة البلد 881

سورة الشمس 887

سورة الليل 891

سورة الضحى 897

سورة الانشراح 901

سورة التين 905

سورة العلق 909
سورة القدر 915
سورة البينة (المنفكّين) 919
سورة زلزلت 923
سورة العاديات 927
سورة القارعة 931
سورة التكاثر 935
سورة العصر 939
سورة الهمزة 943
سورة الفيل 947
سورة قريش 951
سورة الدّين 953
سورة الكوثر 955
سورة الكافرون 959
سورة النصر 965

سورة المسد 967

سورة الإخلاص 971

سورة الفلق 975

سورة الناس 979

فهرس المحتويات 983